

مجلة دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

مجلة دراسات في التاريخ والآثار - جامعة بغداد - كلية الآداب - بغداد

ملحق العدد (٨٣) لشهر ايلول لسنة ٢٠٢٢

ISSN:2075-3047

الترقيم الدولي :

البريد الالكتروني : jasha@coat.uobaghdad.edu.iq

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٥) لسنة ٢٠٠٢

مجلة دراسات في التاريخ والاثار – جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد

ملحق العدد (٨٣) لشهر ايلول لسنة ٢٠٢٢

عدد الصفحات : ٥٣٦ صفحة

تصميم واخراج

علا صالح الجراح



دار ومكتبة كلكاش للطباعة والنشر

بغداد – باب المعظم – شارع المكاتب

07729093707 – 07736558370

ola.algarah88@gmail.com

رئيس التحرير : أ.د. جواد مطر الموسوي
مدير التحرير : أ.د. باسمة جليل عبد المعموري

اعضاء هيئة التحرير

أ.د. انعام مهدي علي	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. قصي صبحي عباس	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. عادل شابث جابر	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. عبد الرحمن فرطوس حيدر	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. فاضل مهدي بيات	تركيا
أ.د. حسين القهواني	الاردن
أ.د. مارجريتا فان أيس	المانيا
أ.د. والتر زلابيرجر	المانيا
أ.د. بيتر ميكلوس	المانيا
أ.م.د. فاروق محمد علي	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ليث مجيد حسين	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. احمد ناطق ابراهيم	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ميثم عبد الكاظم جواد	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ماجدة حسو منصور	كلية التربية / جامعة المستنصرية

التصحیح اللغوي للغة العربية: أ.م.د. لى فائق جميل
التصحیح اللغوي للغة الانكليزية: أ.م.د. سناء لازم حسن

شروط النشر في المجلة

١. ان تتضمن الصفحة الاولى من البحث ما يأتي:
 - أ. عنوان البحث باللغتين الانجليزية والعربية.
 - ب. اسم الباحث باللغتين الانجليزية والعربية ، وشهادته العلمية ، ومؤهلاته، وتخصصه العلمي ومكان عمله.
 - ج. البريد الالكتروني الرسمي للباحث ورقم الهاتف.
 - د. ملخصان احدهما باللغة العربية والاخر باللغة الانجليزية وحجم الخط (١٢) .
 - هـ. الكلمات المفتاحية (الدالة) للبحث باللغتين العربية والانجليزية.
٢. ان يتم طباعة البحث بواسطة الكومبيوتر باستخدام Microsoft Office Word 2010 ان يتم تزويد هيئة التحرير بنسخة الكترونية من البحث بوصفه مجلداً واحداً فقط ؛ ولا يمكن تقسيم البحث على اكثر من مجلد.
٣. ضرورة توثيق متن البحث بالمراجع (الاقتباسات) على وفق نظام (APA)
٤. ان لا يزيد عدد صفحات البحث عن ٢٥ صفحة حجم (A4).
٥. على الباحث دفع رسوم النشر المحددة.
٦. ان يكون البحث خالياً من الاخطاء اللغوية والنحوية والكتابية.
٧. يجب ان تتم طباعة البحث باستخدام برنامج Microsoft Office Word 2010 ووضع المخططات والاشكال ان وجدت في المكان المناسب للبحث وان تكون جيدة من الناحية الفنية للطباعة. وان لا يتم تضمين الرموز في داخل البحث.

٨. ان يلزم الباحث بانواع واحجام الخطوط كما ياتي:
- أ. العربية (Simplified Arabic) حجم الخط (١٤).
 - ب. اللغة الانجليزية (Times New Roman) حجم الخط (١٦)
الملخص خط (١٢) . يجب ان تكون جميع صفحات البحث
الاخري الخط (١٤) .
 - ج. استخدام معالج النصوص في داخل البرنامج Microsoft
Office Word .
٩. اخطار الباحث المجلة اذا لم يكن البحث مناسباً للنشر في مدة
لا تزيد عن شهرين من وقت وصله الى المجلة.
١٠. يلتزم الباحث بالتعديلات التي يقوم بها الخبراء في البحث على
وفق التقارير المرسله اليه . ويجب اجراؤها في مدة لاتتجاوز (١٥)
يوم.
١١. تضاف قائمة اخرى للمصادر مترجمة للغة الاتينية غير مرقمة
على وفق نظام (APA) ومرتبة ترتيباً ابجدياً .
١٢. ملء الاستمارة الخاصة بـ (اتفاقية التلخيص لحقوق الطبع
والنشر) والخاصة بمجلة دراسات في التاريخ والاثار .
١٣. التقديم يكون عبر الموقع الالكتروني للمجلة :
jasha@coat.uobaghdad.edu.iq بعد التسجيل في
الموقع ثم رفع طلب للنشر .

- لاتنشر البحوث التي لا تطبق هذه الفقرات.

رئيس التحرير

فهرس ملحق العدد (٨٣)

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
١.	نظرة في مخططات المدافن الأشورية	غيداء عبد الكريم أحمد الجنابي أ.م.د. فائز هادي العلي الحسنوي	٢٢-٣
٢.	دور سليم علي سلام في الحركة الإصلاحية في بيروت (١٩١٢-١٩١٣)	ياسر خاشع عبيد أحمد أ.م.د. أنس إبراهيم العبيدي	٥٢-٢٣
٣.	عقوبة الزنى في قوانين الشرق الأدنى القديم	أ.م.د. جيا فخري عمر	٩٠-٥٣
٤.	قوانين استبعاد الصينيين في الولايات المتحدة الأمريكية - الأسباب والتداعيات (١٨٨٢ - ١٩٠٢)	م.م. بارق احمد تالي	١١٤-٩١
٥.	نماذج من الحلقات المعمارية في القصور الأشورية	فرح شاكر محمد الياسري أ.م.د. فائز هادي علي الحسنوي	١٣٤-١١٥
٦.	مقهي حسن عجمي - دراسة تاريخية	أ.د. جاسم محمد هائس	١٥٢-١٣٥
٧.	الحركة العلمية في مدينة باجة	هبه احمد عبد النبي حسين أ.م.د. خليل جليل بخيت القيسي	١٧٢-١٥٣
٨.	أثر الفقر على التجارة في خراسان	أحمد داود خضير أ.د. عربية قاسم أحمد	١٩٢-١٧٣
٩.	الأثر العلمي والفكري للإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) في المصنفات المغربية والأندلسية	هيفاء عليوي محيسن أ.د. نعمة شهاب جمعة	٢٠٦-١٩٣
١٠.	التعليم المبرمج	عبد الله منذر نجم	٢١٦-٢٠٧
١١.	الصحفيين اللبنانيين وأثرهم في تطور الصحافة المصرية في القرن التاسع عشر	ا.م. ايمان عبد الله حمود	٢٣٨-٢١٧
١٢.	العوامل التربوية المكونة لشخصية الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)	م. م باسم عبد الزهرة دغير المطيري	٢٥٨-٢٣٩
١٣.	دور سليم علي سلام في المؤتمر العربي الأول في باريس (١٩١٣)	ياسر خاشع عبيد أحمد أ.م.د. أنس إبراهيم العبيدي	٢٧٦-٢٥٩

٢٩٤-٢٧٧	ا.م. نبراس خليل ابراهيم	١٤. بوغوص بك يوسفیان واثره في السياسة المصرية (١٧٧٥-١٨٤٤)
٣٢٤-٢٩٥	ا. م . د. علي فيصل عبد النبي العامري	١٥. إمارة الكنوز وعلاقتها مع الخلافة الفاطمية(٣٩٧-٥٦٧هـ / ١٠٠٤-١١٧١ م)
٣٥٢-٣٢٥	علاء محمد الزيدي أ.د.م. وسن ابراهيم حسين	١٦. منهج ابن ابي الدم(٦٤٢هـ/١٢٤٤م) في كتابه المختصر في تاريخ الاسلام
٣٦٨-٣٥٣	أ.م.د حسين عليوي عبد الحسين السعدي	١٧. تقديس الكلب في معتقدات الشرق الادنى القديم (بلاد الرافدين و وادي النيل أنموذجا)
٣٩٢-٣٦٩	أ.م. د عمار صبيحي خلف	١٨. التوثيق الرقمي للمباني الأثرية الاسلامية التي تعرضت للتخريب من قبل تنظيم داعش في محافظة نينوى(دراسة ميدانية) ((جامع الأغوات وجامع الجويجاتي أنموذجا))
٤٢٠-٣٩٣	علي كريم محمد المعموري أ.م.د. حيدر فرحان الصبيحاوي	١٩. دور فن التصوير الإسلامي في توثيق غزوات الرسول محمد (ﷺ)
٤٤٨-٤٢١	م.م. سَرَبِسْت عثمان بكر	٢٠. الشائعة وأثرها على الفرد والمجتمع
٤٧٤-٤٤٩	أ.م.د. علي كاظم الشيخ	٢١. دراسة أختام إسلامية من المتحف العراقي
٥٠٠-٤٧٥	أ.م.د.حسن كاظم دخيل	٢٢. مقومات فكرة العدالة والتشريع في بلاد اليمن القديم
٥١٦-٥٠١	أ.م.د فاضل كاظم حنون	٢٣. معبد أبيس في العهد الأخميني (٥٣٠-٤٢٤ق.م)
٥٣٦-٥١٧	Ahmed Naje Sabee Samraa Hameed Naeif	٢٤. Unpublished Omen Reports Texts From the Old Babylonian Period

نظرة في مخططات المدافن الاشورية

غيداء عبد الكريم أحمد الجنابي
Gidaa.86aljanabi@gmail.com

أ.م.د. فائز هادي العلي الحسناوي
faazalhesnawy@coart.uobaghdad.edu.iq

نظرة في مخططات المدافن الاشورية

غيداء عبد الكريم أحمد الجنابي

أ.م.د. فائز هادي العلي الحسناوي

تعد المخططات من الجوانب الضرورية في عمارة بلاد الرافدين وتعتمد الأبنية في اختلاف اشكالها واغراضها على هذه المخططات، وعادة ما يبدأ المعماري في حضارة بلاد الرافدين قبل الشروع في أي بناء بعملية تخطيط ماهية البناء في فكره ثم يترجم هذا التخطيط على واقع الأرض المراد البناء عليها وبذلك فان عملية تخطيط البناء تسبق عملية البناء نفسه، كما انها تعتمد بالدرجة الأساس على ماهية البناء نفسه (كبر مساحته من صغرها) وعلى عدد المرافق العمارية التي يشتملها البناء نفسه، ومن خلال استقراء مخططات المدافن الاشورية الملكية سواء اكانت لمدينة اشور او لمدينة نمرود توضح بان هذه المخططات تتراوح ابنيتهما ما بين التخطيط المستطيل الذي هو الاعم الاغلب للمدافن وكذلك التخطيط المربع والتخطيط المزدوج (غرف مستطيلة او مربعة متجاورة).

A view at the Assyrian burial plans

Abstract:

The plans are one of the necessary aspects in the architecture of Mesopotamia, and the buildings, in their different forms and purposes, depend on these plans. The construction planning process precedes the construction process itself, as it depends mainly on the nature of the building itself (larger than the smallest area) and on the number of architectural facilities included in the building itself. Its buildings range from the rectangular layout, which is the most common of cemeteries, as well as the square layout and the double layout (rectangular or square adjacent rooms).

الكلمات الافتتاحية:

١- بلاد الرافدين ٢- المخططات ٣- المقابر الملكية ٤- اشور ٥- نمرود

لقد تم الكشف خلال التنقيبات الاثرية* للبعثة المشتركة الألمانية والعراقية على نماذج عديدة لمدافن وقبور مختلفة ومنها على شكل بناء ويضم عددا من القبور مثل المقبرة الملكية التي عثرت عليها البعثة

* تم التنقيب في مدينة اشور من قبل البعثة الالمانية في سنة (١٩٠٣م) وحتى سنة (١٩١٤م)، اذ اتبعت البعثة التنقيبات العلمية في حفرياتها، ومن ثم استؤنفت البعثة التنقيبية العراقية اعمالها سنة (١٩٧٩م) ومن ضمن اعمال التنقيب للموسم الثاني لتنقيبات البعثة العراقية واعيد استظهار وتنظيف المدافن، واستؤنفت تلك الاعمال ثانية عام (١٩٨٦م) للبعثة التنقيبية العراقية.

نظرة في مخططات المدافن الاشورية

الألمانية، وقبورا مشيدة من اللبن وقبورا مشيدة من الاجر على شكل بناء مقبب منها داخل بيوت السكنى تحت ارضيات ومنها خارج القصور والبيوت ،تضمنت رفاة شخص او اكثر في قبر واحد وتوابيت مستقلة ... وقبورا أخرى هنا وهناك داخل جرتين او بناءً بسيط وكل قبر منه نجد رفات الميت وهو يحتضن او يمسك بعض الاثاث الجنائزية وكل حسب وضعه الاجتماعي والمدافن والمقابر على ثلاثة أنواع وهي :-

القبور الملكية الملكية - وقبور الامراء

أ - القبور الملكية (المقبرة الملكية)

سميت المدافن الملكية نسبة الى الراقدين فيها من ملوك اشوريين، اهتم الاشوريون بدفن ملوكهم بالشكل الذي ميزهم عن المدافن العامة وبما يناسب مع موقعهم ومكانتهم في المجتمع. حظيت المقابر الملكية على اهتمام كبير من قبل العائلة الملكية ام من قبل عامة الناس وذلك لاهمية ومكانة الملوك لدى سكان بلاد الرافدين في حياتهم وعند مماتهم، لذا نجد ان قبور هؤلاء الملوك امتازت عن قبور عامة الناس سواء بماهية البناء ام بالمودعات (مقتنيات المدافن) التي وضعت مع رفاة الملك.

وقد وجدت المقبرة الملكية بمحاذاة القصر الملكي في مدينة اشور، واكتشفتها البعثة الالمانية برئاسة المنقب الالمانى فالتر اندريه ١٩٠٣-١٩١٤ وتمت صيانتها والعمل فيه بمشروع بعثة الاحياء التراثي لمدينة اشور ١٩٧٨، وتعود المقبرة للعصر الاشوري الوسيط ١٥٠٠-٩١٢ ق.م وحدد تاريخها بتاريخ وفاة الملك اشو-بيل -كالا ١٠٥٧ ق.م (Grayson.,A.K.,Assyrian,1991:,pp.86ff) وبدأت بالتوسع بعده ،(القصر القديم) من جهة الجنوب،قصر الملك ادد نيراري الاول(١٣٠٠-١٢٧٥ ق.م) (Grayson.,A.K.,Assyrian, 1987,pp.128ff) ، وموقعها ما بين القصر القديم وشارع الموكب ضمن المنطقة المقدسة .

التخطيط:

وهذه المقبرة عبارة عن حفرة مستطيلة الشكل تمتد طوليا من الشرق الى الغرب طول الضلع الشمالي حوالي ٢٤ متر،والضلع الجنوبي ٢٥,٦٠ متر، والعرض: الضلع الشرقي ٢٠ مترا والضلع الغربي ٢١ مترا والعمق بحدود ٦ متر وظهر من اعمال التنقيب ان المدافن الملكية لم تبنى في ان واحد وانما تم بنائها في مدد متعاقبة او متتالية، وقد ضمت في ثناياها مجموعة من القبور ، الشكل(٢).

العمارة :

والمقبرة غير ظاهرة للعيان وهي مخفية تحت الارض وبنيت من مادة اللبن والمرافق والممرات مغلقة بالاجر من الداخل ،وسقفها على شكل اقبية من الاجر مسيعة بالقير من الخارج ومغطاة بالدفن بسمك ٣م والارضيات مبلطة بالاجر الفرشي ،باستثناء مدفين مبلطين بالاجر وينزل اليها بمدخل سري من

نظرة في مخططات المدافن الاشورية

داخل احدى غرف القصر الملكي، وبالتحديد عند زاويته الجنوبية الغربية في حفرة تحت الأرض بعمق (٥م) وينزل اليها بدرج من الاجر يبدأ من جهة الشمال وينحدر نحو الجنوب والدرج يرتبط بأحد ملحقات القصر يفتح على أحد الغرف في الجناح الجنوبي.

ينزل من الدرج الى ممر طولي يقطع المقبرة وله مداخل جانبية الى يسار الداخل مدخل في البداية يقود الى غرفة كبيرة مستطيلة الشكل اقتطع جزء صغير منها عند المدخل ليشكل غرفة مربعة تفتح الى ممر يودي الى الغرفة الرئيسية وهناك مدخل ثان في وسط الممر بالاتجاه نفسه يقود أو ينتهي الى غرفة ثانية ذات شكل مستطيل الا انها بوضع معاكس لوضع الغرفة السابقة تمتد طوليا نحو الشرق وينتهي الممر ليتعارض او يتقاطع مع ممر عرضي فرعي ينزل بأربع درجات ويستمر حتى ينتهي بغرفة مستطيلة لا يزل التابوت الحجري قائما في محله فيها، وفرع ينزل الى الجهة المعاكسة لينفتح الى غرفة مستطيلة وهي آخر غرفة من جهة الغرب ، الشكل (٢).

ان الغرفة رقم (١) يفتح لها باب مباشرة الى الممر الرئيسي على يسار النازل بعد انتهاء الدرج الرئيسي مباشرة، والغرفة الصغيرة المجترأة منها في الممر الفرعي النافذ الى الغرفة رقم (٢) والغرفة رقم (٣) تفتح اليها في زاويتها الشمالية الشرقية ، اما الغرفة رقم (٤) غرفة التابوت المعمول من الحجر فقد خصص لها ممر فبعد تجاوز الباب ينزل بأربع درجات ليتسع الممر مشكلا شبه باحة مربعة تنتهي بمدخل الى الغرفة . واما الغرفة رقم (٥) وتسمى الغرفة الطويلة يتفرع لها فرع باتجاه اليمين الى الغرب لينفذ اليها . ينظر مخطط الشكل رقم (٢) ومادة البناء من اللبن وعموم الغرف الخمسة -غرف الدفن مغلقة من الداخل بغلاف من الاجر والممرات عرضها (٦٠سم) والارضيات مبلطة بالاجر المطلي من الأعلى بملاط سميك من الجص ، وفواصل الاجر ملئت بمادة القير وتحت الاجر تيكلة نهريّة ناعمة ممزوجة بالرمل، اما السقوف فقد كانت كل غرفة مسقفة بسقف مستقل على شكل قبة نصف دائري وكذلك الممرات - والبعثة عثرت على أجزاء منه متساقطة في ارضيات الغرف (عبد محمد جرو، ١٩٧٩، ص ٤٩) ويلاحظ ان هذه الغرفة لم تبنى مرة واحدة وانما بنيت بالتعاقب الزمني ويتوضح ذلك من خلال الفواصل الموجودة بين الغرف، فالغرفة ذات التابوت الحجري والممر الرئيسي كانت الأولى في التنفيذ ثم بدأت الغرفة الأخرى تأتي تباعا، والمخطط الذي عمل على ترك مداخل على الممر الرئيس تقود الى ارض خالية يمكن استعمالها عند الحاجة اليها فكلما مات ملك اسسوا غرفة له وقبروه ودفنوه فيها (الجميلي، ٢٠١٨، ص ٣٠). اما هوية الملوك المدفونين في المقبرة الملكية في اشور فقد حددت النصوص أسماء ثلاثة منهم وهي:

١. الملك اشور - بيل - كالا (١٠٧٤-١٠٥٧ ق.م)
٢. الملك أشور - ناصر - بال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩ ق.م)
٣. الملك شمسي - ادد - الخامس (٨٢٣-٨١١ ق.م)

نظرة في مخططات المدافن الاشورية

ويتوضح لنا من خلال أسماء هؤلاء الملوك بان تاريخ تأسيس المقبرة بدأ من وفاة الملك اشور-بيل-كالا (١٠٥٧ ق.م) وبعد مضي قرنين من الزمن دفن فيها اشور ناصر بال الثاني (٨٥٩ ق.م) وبعد نصف قرن دفن فيها شمسي ادد الخامس (٨١١ ق.م) .

وتحتوي الغرفة المعلمة (١) على تابوت من الحجر الضخم عمل من حجر الكلس القوي الصلب ومن قطعة واحدة متناسقة ابعاده الطول التابوت 3,02م، العرض=٣,٣٩م، الارتفاع=١,١٧م، العمق-من الداخل ١,15م، والسماك ٠,١٨م.

ويهيئ التابوت قبل الوفاة ولا يستبعد ان الملك كان يشرف بنفسه على تصميم وشكل التابوت والقبر الذي سيوضع فيه، ونتيجة لعدم ذكر أسماء الملكين الاخرين، ومحتمل ان الغرفتين الاخيرتين لم يضمنا رفات ملوك بل ضمنا رفات زوجات اثنين من الملوك الثلاثة المدفونين فيها او هيأت للدفن ولم يتم الدفن فيها (الجميلي، ١٩٧٩، ص ٥٠٠).

ولعل المقبرة الملكية التي الكشف عنها في اشور هي ليست الوحيدة هناك، طالما ان الملوك الاشوريين أينما توفوا يتم نقل رفاتهم الى اشور اعتقادا منهم بقدسيته، وحتى ان الملك الذي بنى لنفسه مدينة (عاصمة) مستقلة بعيدا عن اشور فانهم يعودون بجثمانه بعد مماته الى اشور، وهذا ما حدث فيما يتعلق بعدة ملوك اشوريين ومنهم اشور-ناصر-بال الثاني وشمشي-ادد الخامس .

ويرجح وجود مقابر أخرى او قبورا منفردة للملوك الاخرين ولعل مكانها واقع ضمن الحارة المقدسة المحصورة ما بين معبد اشور شرقا والمعبد المزدوج لانو-ادد غربا ومن الجدير بالذكر ان العثور على مقابر الملكية صعب للغاية لكونها مخفية تحت الأرض وتم الاعتناء بعملية اخفائها وممكن ان يصل عمقها الى حوالي ٦م وقد يكون المدخل الخارجي للقبر مغطى بحجر للحيلولة دون الوصول الى القبر والعبث فيه، ولا يمكن الكشف عنه عن طريق التنقيبات الا مصادفة او بعد اجراء حفريات شاملة في المنطقة المحددة الامر الذي يزيد صعوبة في إيجاد القبر* .

وأشارت النصوص المسمارية الى وجود قبر الملك سنحاريب الذي أطلق عليه اسم قصر النوم-قصر الراحة* (Kühne, 1979, p.181) وعثر على النص ومكتوب على اجرة وجدت جوار القصر القديم -ضمن الركام هو: (قصر النوم، قصر الراحة، المقام الخالد، العائد الى سين -أخي -اريبا، ملك العالم ملك بلاد آشور)

* تم تشكيل فريق عمل في الموسمين الأول والثاني ١٩٧٩/٧٨ للبحث عن المقابر بأنواعها وتوثيقها بالرسم والصورة والتسجيل-برئاسة المنقب السيد عبد محمد جرو .

* كلمة قصر تطلق على القبر المشيد وله أسماء أخرى مثل قصر الراحة او قصر المقام الخالد .

نظرة في مخططات المدافن الاشورية

وهذه النصين يؤيدان ما تم تحليلها عن حتمية وجود قبورا أخرى عديدة في المنطقة المحددة-الأرض المقدسة - ولا بد من تكثيف البحث والتحري عن مقابر الملوك من قبل البعثات الاثرية التي ستعمل في آشور مستقبلا.

ولقد تمت اعمال الصيانة لسنة ١٩٨٦ وشملت صيانة الممرات والدرج النازل وأعادته بناء الغرفة المعلمة (١) وبارتفاع (٣٠م)، والموسم ١٩٨٧ إذ تمت صيانة بقية الغرف بارتفاع (٨٠سم) فوق مستوى الأرضيات وإكمال الدرج النازل ومن مادة الاجر نفسها في الموقع وإعادة بناء جدران اللبن بالمادة نفسها وبارتفاعات الجدران نفسها. وكانت الخطة استكمال بناءها بالكامل في موسم ١٩٨٨ وتسقيفها بالعقادات والاقبية ودفنها مثلما كانت عليه في العصر الاشوري، الا ان نهاية موسم العمل لسنة ١٩٨٧ كان اخر أيام عمل في المقبرة.(الجميلي، ٢٠٠٨، ص ١٩٤).

ب- قبور الامراء وهي على عدة أنواع:-

١. القبر ذو الغرفتين:

يكون تخطيطه عبارة عن فناء صغير مربع الشكل تنفذ اليه غرفتان جانبيتان غرفة في كل جانب - شرقية وغربية -تسقيفها بقبو وعمق الدفن فوق القبو بمقدار (٢٥م). عثرت البعثة التنقيبية العراقية على نماذج عديدة لقبور تحوي رفاة شباب تنحصر أعمارهم ما بين (١٨-٢٥سنة) وسميت من قبل المنقبون بقبور الفتیان، والبعثة عثرت على نماذج عديدة من هذه القبور الا ان اغليبتها وجد مخربا ومنهوبا، وأفضل قبر وجد كاملا ببنائه: هو القبر في حديقة مقر البعثة عثر عليه بالصدفة اثناء العمل في الحديقة ويمتد غربا حتى يأخذ من قاعة مسافة (٢م) وعرف باسم (قبر القاعة) ونقب فيه السيد عبد محمد جرو رئيس متابعة فريق المقابر في المدينة وأكمل تنقيبه وتوثيقه(عبد محمد جرو، ١٩٧٩، ص ٤٤-٤٩)،

وعند النزول بعمق (٢م) تظهر أرضية الغرفة المربعة (١,٥×١,٥) مبلطة بالآجر قياس (٣٦×٣٦×٦سم) وفي هذا الغرفة المربعة مدخلان الأول في الجانب الشرقي بعرض (٦٠سم) من الأسفل ومن الأعلى (٥٢,٥ سم) يعلوه عقد من الاجر نصف دائري وهذا العقد ينفذ الى الغرفة الشرقية وهي ذات أرضية ذات مستوى اعلمق من أرضية الفناء وبعلمق (٨٤سم)لتسهيل عملية إنزال الرفاة والغرفة ذات ابعاد (٢,٦٨×٢,٨٨م)(طولا وعرضا) اما ارتفاعها (١,٩٦م) وهي مسقفة بقبو ويوجد في الجدار الشرقي كوة للمسرجة، اما الأرضية فقد بلطت بالاجر والقير، وتم العثور في داخلها على أثاث جنائزي وتابوت فخاري . واما الغرفة الغربية فيضي اليها من الغرفة المربعة قبالة مدخل الغرفة الشرقية ولها الشكل نفسه والغرفة أصغر حجما من سابقتها وفيها المشكاة نفسها وأرضيتها مبلطة كذلك بالآجر والقار والسقف مقبى، وعثر المنقب بداخلها على بقايا جماجم وكسر من العظام وتبين بانها مفتوحة في العصور اللاحقة ومنهوب اغلب اثارها الجنائزي وعظام رفات الموتى فيها مهشمة، والغرفة الوسطى والواقعة بين الغرفتين ذات

نظرة في مخططات المدافن الآشورية

الشكل المربع ابعادها (١,٢٥×١,٢٥م) بناؤها يبرز إلى الأعلى فوق مستوى أقبية السقوف ويغلق بغطاء من الحجر -المرمر مخفي تحت الارضيات. الشكل (٣).

٢. القبر ذي الغرفة الواحدة :

عثرت البعثة التنقيبية العراقية على نماذج عديدة من هذا النوع من القبور الا إن البعثة اختصت بدراسة القبر الواقع جوار بوابة تابيرا ملاصقا للقصر الجديد من جهة الغرب والمتميز بالتخطيط الفريد ومغاليق الحجر المعولة في مدخل غرفة المدفن وهذه المغاليق تظهر لأول مرة في العصر الآشوري وظهرت بكثرة في العصر الهلنستي وسبق للبعثة الألمانية أن اكتشفته ولندرته قامت بدفنه ثانية للحفاظ عليه بعد ان افرغته من أثائه الجنائزي يقع في أقصى الغرب من القصر الجديد، ضمن بقايا بناية تعود لبني آشوري مخرب من ملاحق القصر الجديد ومن جهة الغرب (Arndt 1997).

التخطيط:- غرفة مربعة مبنية من الحجارة المهندمة قياس (١٠×٢٠×٢٠سم) وقياس الغرفة يساوي (١,٥٠×١,٨٨م) متجهة من الجنوب الى الشمال والمنزل من جهة الجنوب وفي جانب الغرفة الجنوبي ثلاث درجات لتسهيل عملية النزول سمك الواحدة (٢٠سم) وبروزها (٢٠سم) وعمق المنزل الكلي (١,٧٥م) وارضيته مبلطة بأحجار البناء نفسها، وفي الجانب الشمالي من غرفة الغرفة مدخل صغير بعرض (٥٠سم) وارتفاعه (٧٠سم) ينفذ الى غرفة مستطيلة (١,٩٠×٢,٣٠سم) اما اسكفة الباب حجرة واحدة معمولة بشكل قوس سمكها (٥٠سم) فيكون ارتفاع الباب مع الاسكفة يساوي (١,٢٠سم) والارضية مبلطة بالحجر المهندم نفسه والمذكور أعلاه- وجدار الغرفة بارتفاع (١,٢٠م) مبنى بالحجر ومنها يبدأ القبو المشيد بالآجر -والاجر مصمم ليكون قوس فهو من جهة بسمك ٦سم ومن جهة ثانية بسمك ٣سم فإذا ما تلاصق هذا الاجر يشكل قوسا (وهو القبو) وفي الجزء المقابل للباب مشكاة للسراج عثر في أرضية الغرفة على تابوتين من الفخار لربما لشخصين من العائلة نفسها (الجميلي، ص ١٩٥).

وتميز هذا القبر بالمغلاق ذي الصرعتين المنحوتين من الحجر قياس كل صرعة (١٠×٣٥×٧٢سم) ولكل واحدة من الجانب الخارجي نتوءان بارزان الى الأعلى والاسفل كمزاليج للباب السفلى لها فتحة في تخطيط الأرضية والعليا لها فتحة في حجرة الاسكفة إذا أغلقا يلتقيان. الشكل (٤) .

ومن خلال التنقيبات الاثرية عثر أيضا على مجموعة أخرى من القبور العائدة للامراء وكانت ذات تخطيط مستطيل الشكل ،اما مادة البناء فقد تراوحت ما بين مادتي اللبن والاجر ،وامتازت القبور المشيدة من اللبن بانها كانت قبورا فردية وخاصة تلك القبور الواقعة في نل المجنة(عبد محمد جرو، ٢٠١٩، ص ٣٩) ،في حين ان القبور المبنية من مادة الاجر كانت مصممة كقبور عائلية(الجميلي، ص ١٩٦) .

* المجنة :-هي كلمة يأتي معناها من معنيين الاول من الجنة ،والثاني من الجن اي الشياطين ،وقد سمي بتل المجنة بهذا الاسم لاستعماله من قبل سكان القرى المجاورة لمدينة آشور في قضاء الشرايط ، ويقع جنوب زقورة آشور ،حيث استعملوا هذا التل المرتفع (مقبرة) لدفن موتاهم وتسمى مقبرة باللهجة المحلية ب (المجنة) .

نظرة في مخططات المدافن الآشورية

المدافن الملكية في مدينة نمرود :

تعد مدينة نمرود ثاني العواصم الآشورية بعد آشور تقع على بعد حوالي ٣٧ كيلومتر إلى الجنوب الشرقي من مدينة الموصل ،وعلى الجانب الشرقي من نهر دجلة والذي يوفر لها الحماية ويسهل تجهيز الحملات العسكرية منها إلى الجهات الشمالية والشرقية من بلاد آشور دون حواجز طبيعية ،وهي العاصمة السياسية والعسكرية لمدينة آشور، ان اول من نقب فيها المنقب الانكليزي اوستن هنري ليرد عام ١٨٤٥ واستمر إلى ١٨٤٧ وعاود العمل في ١٨٤٩-١٨٥٢ م بمساعدة هرمز رسام تم اعقبه لوفنس وتوالت البعثات الاجنبية في التنقيب ،وان البعثة العراقية ١٩٧٦ التي قامت بها دائرة الآثار كشفت عن مجموعة من القطع العاجية المحفورة والمنحوتة نحتا دقيقا كانت في بئر يقع وسط قصر الملك آشور-ناصر-بال الثاني وكشفت عن اربعة ابار حيث ضم البئر الرابع عن مجموعة كبيرة من الهياكل العظمية البشرية لرجال كانوا مقيدون الايدي والارجل ربما كانوا جنود اشوريون لقوا حتفهم بهذا الاسلوب عند هجوم الميديين ٦١٢ ق.م او مجموعة من المعارضين لايعرف بالضبط من هم(الزوبعي، ١٩٩٩، ص ٣٢) ان اربعة ملوك اشوريون حكموا المدينة في مدة تقع بين أول تأسيس للمدينة في حقبة شيلمنصر الاول ١٢٤٥-١٢٧٤ ق.م وثاني تأسيس لها في عصر الملك آشور-ناصر-بال الثاني ٨٥٩-٨٨٣ ق.م ،هم كل من توكلتي ن-نورتا الاول ابن مؤسس المدينة الأول ونورتا ايل ايكور ونورتا توكلتي آشور ، وتوكلتي نورتا الثاني وهو والد آشور- ناصر-بال الثاني المؤسس الحقيقي للمدينة(باقر، ص ٤٨٨، ٤٩٩)

المدافن الملكية في كالح (نمرود) اكتشاف جديد لم يكن يتوقعه المنقبون إيجاد مدافن ملكية خارج المدينة المقدسة آشور فالطريقة التي اتبع ان يدفن الملوك في آشور وحتى الذين اتخذوا لأنفسهم عواصم أخرى دفنوا في آشور ولم توجد دلائل نصية تشير عكس ذلك ولا تشير الى وجود مدافن في قصر آشور ناصر بال الثاني ولا في المعابد وان اكتشاف المدافن الأربعة كانت مفاجئة للآثاريين(الزوبعي، ص ٣٣)، الشكل (٥).

ان اكتشاف المدافن الملكية في كالح (نمرود) عام ١٩٨٨ والأعوام التالية يعد اكتشاف مذهل بالنسبة للمهتمين بتاريخ حضارة بلاد الرافدين ولمنقبي الآثار وبخاصة ممن عملوا منهم في العواصم الآشورية ومن ضمنها كالح (نمرود) ذاتها ،بوصفه الاكتشاف الوحيد الفريد من نوعه في بلاد آشور جميعها، وقد القت هذه المكتشفات ضوء ساطعاً على جوانب عديدة من الحضارة الآشورية إذ عكست لنا ظاهرة الرخاء الاقتصادي في البلاد واتصاله مع البلدان المجاورة وظاهرة دفن الميت مع كافة ممتلكاته وكذلك التأثيرات الحضارية المتبادلة مع بلاد الشام ومصر(الزوبعي ، ، ص ١١٤).

ولدفن الملوك في حضارة بلاد الرافدين طقوس وتقاليد معينة اذ يتم تجهيزهم بالأثاث الجنائزي الملائم الا ان قبورهم كانت بسيطة وغير ظاهرة للعيان وجثثهم غير محنطة مما أدى الى تلفها بعد مدة قصيرة ،وان معظم اثارها الجنائزي امتدت اليه أيادي السراق ولم يسلم منها الا المقبرة الملكية في أور ، وهذه المدافن

نظرة في مخططات المدافن الاشورية

الأربعة التي نحن بصدد الحديث عنها، اما قبور المقبرة الملكية في آشور فقد وجدت خالية حتى من العظام ويحتمل أنها تعرضت للنهب والإتلاف اثناء تدمير المدينة.

واعتمدت البعثة العراقية على مجمل نتائج تنقيبات البعثة البريطانية والعاملة في نمرود وخاصة فيما يتعلق بمدن شخص بانه متعلق باميرات ،اذ عادت البعثة العراقية إلى المكان نفسه وأخذت تبحث فيه مجدداً، وكانت النتائج أن عثرت على مدفن في الغرفة نفسها وثلاثة مدافن أخرى فكانت النتيجة الكشف عن أربعة مدافن في المدة (١٩٨٨-١٩٩٢) (الوردي، ص٩٥-٩٦).

وفيما يأتي وصفاً موجزاً لكل مدفن تم اكتشافه وتخطيطه وأثاثه:

المدفن الأول:

يقع في جناح الحريم في الغرفة المرقمة (MM) في مخطط البعثة البريطانية وموقعها لم يكن بعيداً عن موقع الغرفة (DD)، وانتبه الحفارون الى نتوء بارز في أرضية الغرفة وبذلك عثروا على المدفن الأول عام ١٩٨٨ (الشكل ٦)، وكان حافظاً قويا للبحث عن مدافن أخرى. وبعد تنظيف الغرفة كليا تم رفع البلاطات الناتئة وتبين انها تغطي مدخل القبو (الزويبي وسليمان، ص١٢٣)، و ينزل إليه بواسطة مدخل عميق منخفض تؤدي إليه ثلاثة سلالم لتفضي إلى غرفة طويلة ذات ابعاد (١٠×٢م) وهي مسقفه بقبو نصف دائري (الشكل رقم ٦ - أ) والقبو يوصل الى غرفة المدفن الرئيسة التي ابعادها (١,٨٥×٢,٥م) والمشيدة بالآجر السميك وجد بداخلها تابوت ضخم من الطين المشوي وهو ذو شكل بيضوي وهو يشغل الجانب الغربي من الغرفة ومدخل بعرض (٠,٥٨م) وبارتفاع (١,١٢م) وهو مغلق بسبع صفوف من الآجر فوق صف من اللبن (الدامرجي، ١٩٩٩، ص٤)، وقد وضع بداخلها تابوت قبل بناء الغرفة وهو بطول يزيد قليلاً عن عرض الغرفة (الشكل ٦-ب)، وفي الزاوية الغربية وجدت ثلاث غرف مقببة تشبه القبو الرئيس أصغرهما الغرفة الغربية التي بلغ طولها (٢,٥×٣,٥م) ضمت جدرانها كوات لمسارج لأناره المدفن (الوردي، ص٩٦).

واما التابوت في غرفة الدفن الرئيسية فهو ذو قياس (١,٨٥×٠,٦٧م) والتابوت مغطى بقطعة كبيرة من الفخار، احكم سدها تماما بمادة القير لمنع تسرب الرطوبة إلا إن الغطاء وجد محطماً وقد سقط داخل التابوت مما سمح للرطوبة بالتسرب واتلاف الهيكل العظمي الذي أمكن تحديده من خلال الأثاث الجنائزي، وهو يحتوي على جثة ممددة داخل التابوت تستلقي على ظهرها واليدان ممدودتان مع امتداد الجسد مسبلتان وعثر معها داخل التابوت على أثاث جنائزي (الزويبي، وسليمان، ص١٢٤-١٢٦).

وتشير نتائج التنقيبات استنادا لبقايا العظام والاسنان ان هذا القبر يعود الى امراة في الاربعينيات من عمرها ومما تجدر الإشارة اليه ان القبر يحتوي على مجموعة نفيسة من الحلي.

المدفن الثاني :-

في موسم ١٩٨٩م اخذت البعثة العراقية بالتوسع في الجناح الجنوبي من القصر في المنطقة غير المنقبة لمتابعة بقية أجزاء الجناح واكتشفت فعلا عددا من الغرف المكملة لمخطط القصر، وعثرت في الغرفة المحددة (٤٩) منه على المدفن الثاني في غرفة مملوءة بالتراب بارتفاع أربعة أمتار وبعد أن أفرغت من التراب وتبين إن مدخلها في الجانب الغربي وجدرانها مشيدة باللبن وأرضياتها مرصوفة بمادة اللبن أيضا (الشكل (٧))، وبعد تنظيفها كليا تبين إن هناك أنبوبا فخاريا يرتكز على القسم الأعلى من قبو مشيد بالآجر يمتد من القسم الشمالي من الغرفة وحتى منتصفها، وتبين ان هناك قبوا اخر مشابه للأول ومجاورا له يمتد من الجهة الشرقية من الغرفة الى جهتها الغربية وبمستوى اعلى من مستوى القبو الأول ويشكل كلا القبوين ما يشبه الحرف اللاتيني T (الشكل (٧-أ) شيد المدفن من الاجر (الزويبي، سليمان ، ص١٣٧).

و يتقدمها فناء مربع مشيد بالآجر أيضا بقياس (١١٦×١٠٤سم) وارتفاع جدرانها (٤٠سم) واتجاه القبو فيها من الغرب الى الشرق، وفي الوقت الذي كانت فيه الغرفة الرئيسية ذات قياسات (١٤٠×٢,٣٠) وارتفاعها (٢٧٥سم) وظهر قبوها بهيئة زاوية قائمة على القبو الأول باتجاه شمالي جنوبي، يتم الدخول اليها بواسطة مدخل واطئ من الغرفة الأولى ارتفاعه (١٠سم) وعرضه (٨١سم) وله باب من الحجر بمفردتين لغلق غرفة الدفن ترتكز كل فردة على صنارتين من الحجر (الدامرجي، ص٥). وينزل من الفناء المربع الى غرفة الدفن بواسطة درج يتالف من خمسة درجات ذات إبعاد متفاوتة وفي كل غرفة من غرف الدفن كوتان متقابلتان قياس الواحدة (٣٨×٣٨سم) (الزويبي، وسليمان ، ص١٤٢). (الوردي، ص٩٩) ، وفي داخل كل كوة جرة من الرخام تحتوي بداخلها مواد متفحمة لم تعرف ماهيتها ومسرجة معدنية بجانب الجرة، وأرضيات الغرفة مفروشة بالآجر الفرشي المربع (Fadhil,A, 1999,p.461-470) (الشكل (٧-ب)).

وفي المدفن تابوت من حجر الكلس الأبيض بشكل قطعة واحدة (٢,٣٠×٠,٨٦) وارتفاعه (٠,٨٦سم) يشوبه بكسر عمودي من جانبية -موضوع في الجزء الشمالي من الغرفة- وقد تم وضعه قبل بناء الغرفة وذلك لضيق المداخل المؤدية الى الاقبية والتي لا يمكن ادخال التابوت منها، ووجود بعض الانحراف في جدار الغرفة الغربي في الجزء المجاور للتابوت، والتابوت مغطى بثلاث قطع مسطحة من الاحجار الكلسية نفسها اثنان كبيرتان والوسطى صغيرة. وقبل فتح التابوت عثر في أرضية الغرفة على مجموعة من الاواني النحاسية المتنوعة والآخرى فخارية وصحن من الذهب وقدر من حجر المرمر الأبيض. وبعد فتح التابوت تبين انه يحوي جثتين لامرأتين لا يتجاوز عمر كل منهما الخامسة وثلاثين من العمر. تم التعرف عليهما من خلال الاالواح الرخامية التي وجدت داخل المدفن والتي تشير الى المرأة التي توفيت أولا هي الملكة (يابايا) زوجة الملك الاشوري تجلات- بليزر الثالث (٧٤٤-٧٢٧ ق.م)

نظرة في مخططات المدافن الاشورية

والنص الكتابي المؤلف من اثنين وعشرين سطرا تضمن اسم الملكة المدفونة ولعنات على من يعبت بقبرها والتوسل الى الالهة لتحسن معاملتها في العالم الاخر،(الوردي،ص٩٥-٩٦) وقد تم ترجمة هذا النص * .
ووجد في التابوت هيكل ثاني لامرأة أخرى توفيت بعد يابايا بحدود الثلاثين عاماً، وهي لمرأة تدعى "اتاليا" وقد وضعت جثتها فوق جثة يابايا بعناية فائقة.(مصطفى ، نساء القصر الاشوري، ٢٠٠٢، ص ١٣٣)
واثبت ومن خلال النصوص المسامرية المثبة على الأثاث الجنائزي -اتاليا زوجة الملك سرجون الثاني أي انها هي سيدة القصر في عهد سرجون الثاني(Fadhil , p.473).
واحتوى المدفن على اثاث جنائزي غني جداً فاق بكثرته وتنوعه ما ظهر في المدفن الأول ،وهذه الأثاث تقارب عددها سبعمائة قطعة ذهبية تباينت مابين زهور واقراط وبراعم وتيجان ...الخ(الوردي، ص١٠٠).
المدفن الثالث:

كشفت عنه عام ١٩٨٩ في الغرفة المعلمة (٥٧) وبعد إزالة الأنقاض والاتربة من داخل الغرفة تبين إن أرضيتها مبلطة بالآجر المربع قياس (٣٠×٣٠×٨سم) ولوحظت فيها انحدار تدريجي باتجاه الجنوب وكشفت تحت الأرضية مجموعة كبيرة ومهمة من رقم الطين وعلى شكل مجموعتان المجموعة الأولى في الجزء الشمالي من الغرفة اغلبها تالفة بسبب تماسك التربة الشديد وكثرة الاملاح والثانية في الزاوية الجنوبية الشرقية من الغرفة وهي احسن حالا من الأولى، وعلى عمق (٧٠سم) من مستوى الأرضية تم الكشف عن لوح من حجر المرمر مربع الشكل مهتم الى قطعتين نتيجة للثقل الواقع عليه، وبعد رفعه ظهر الوجه العلوي من قبو مشيد بالآجر ويبدو إن القاعدة التي تحمله قد انهارت في الجزء الشمالي منه أو إن يد السراق قد تسربت الى الداخل ،ووجد بداخله تابوت فارغ كلياً مصنوع من الحجر وبعد استظهار جوانب القبو تبين إن له مدخل في الجدار الجنوبي ،وهذا المدخل يشير الى وجود غرفة ثانية متصلة بالغرفة الأولى(الزويبي، ص١٥٩-١٦٠).الشكل (٨-أ).

ويتم الدخول الى الغرفة بواسطة درج مؤلف من خمس درجات فرشت عتباتها بالمرمر، يفضي الى مدخلين في المنزل وكل باب يفضي الى غرفة مقببة فالباب الشمالي يفضي الى غرفة الدفن الرئيسية المسقفة بالقبو المذكور أعلاه(الوردي، ص ١٠٠). الشكل (٨-ب) المخطط الأرضي. والقبو للغرفة الرئيسية

* ترجم الأستاذ احمد كامل ونشر باللغة الإنكليزية ،وترجمة الدكتور عبد الاله فاضل ونشر باللغة الألمانية ،ونقرا فيه "...في حياة الاله شمش ،ايرشيكال،الانونكي،الالهة العظام للعالم السفلي ،القضاء المحتوم داهم يابايا سيدة القصر بالموت فمضت بطريق آبائها(كل)من سبقتها -سواء كانت ملكة تتربع على العرش ،كن ذوات حظوة محبوبات الملك - اللواتي يخرجنني من قبوري أو(كل من) يدفن كائن من كان معي (فيه)يعد (يمد)يده إلى حليتي بنية خبيثة،ومن يفتح ختم القبر المذكور فوق،في ضياء الشمس،لتهيم روحه الميتة عطش في المناطق الخارجية تحت،في العالم السفلي إلايستلم لدى التبرك بالماء شرباً فاخراً ،ضمي (و)دقيق سوية مع الانوناكي ،كقربان ،ونن-كشزيدا(و)بطوطي -وكل الإلهة العظام للعالم الأسفل ليعاقبوا جثته بارواح زقيقو إلى ابد الابدين..." ينظر : CDA, p.361 -

نظرة في مخططات المدافن الاشورية

التي يتم الدخول اليها عن طريق الباب وهو بارتفاع (٢,٣٨م) وبعرض (١,٦٥م) وطول (٣,٨٠م)، اما قبو الغرفة الشمالية فهو بطول (٣,٨٠م) وبعرض (١,٦٠م) ومشيد بالآجر وشكله مدبب تقريبا ويتألف من اثنين وأربعون آجرة. والاجزاء السفلى منها ترتد بمقدار (٢٠سم) وفي الجدار الشرقي والغربي كوتان بمستوى قريب من الأرضية وفي الجدار الشمالي كوة ثالثة (الزويعي ، ص١٦٠-١٦١).

واما الغرفة الثانية الجنوبية - القبو الجنوبي الواقع في الجزء الجنوبي من الحجرة، فقد عثر على قطعتين من حجر الحلان بطول (١,٩٠م) وعرض (٠,٨٠م) (قياس كل حجرة) وقد تهشمتا من جراء الثقل الواقع عليها والقطعتان يغطيان قبو (جوف قبو) مجاور ومن الطرف الجنوبي عقادة أخرى تتعامد مع العقادة السابقة إلا أن اتجاه صفوفها الأربعة عشر بعكس اتجاه صفوف القبو الشمالي، والقبو يمثل الغرفة التي تتقدم غرفة الدفن وفي جداره الشرقي كوة تقابلها كوة أخرى في الجدار الغربي وعثر بداخلها على لوح من الرخام مكتوب بالخط المسماري - الا انه تالفاً من جراء الرطوبة، وللقبو سلم من الآجر يؤدي الى الأعلى يتقدم مصراعي الباب الشمالي، وهو على شكل فناء صغير (١,١٠×٢,٣٨م) مبلط بالآجر وتوجد قطعة كبيرة من الحجر تسند مصراعي الباب عليها كتابة مسمارية وهي تالفة الأخرى نتيجة الرطوبة.

المدفن الرابع :

ويعد آخر مدفن اكتشف من قبل البعثة العراقية عام ١٩٩٠م في الجناح نفسه في الغرفة المعلمة (٦٥) وبعد رفع الأتقاض من أرضيتها لاحظت البعثة مساحة صغيرة في أرضية الغرفة محاطة بخطين متوازيين يمتدان من الشمال الى الجنوب وهناك تضيق في المقدمة يكون ما يشبه المدخل، وفي القسم الجنوبي من الجدارين جدار ثالث يربط بينهما فيه دخله، وفي نهاية الجدار الجنوبي مدخل ينفذ الى الغرفة المجاورة المعلمة (٧١) من خلال ممر يتقدمه مجرى ماء أو ساقية (الزويعي ، ص١٨٩).

وبعد إزالة صفوف اللبن وكتل الطين التي تحتها من أرضية الغرفة تبين ان هناك اربع قطع من حجر الحلان (الحجر الكلسي) كانت جوانبها متداخلة مع أسس جدران الممر، وقد تكسرت هذه القطع من جراء الضغط الواقع عليها من أرضية الغرفة، ومن هذا المكان يمكن النفاذ الى الجزء الذي يتقدم الدفن، وهو عبارة عن بناء مستطيل الشكل مشيد بالآجر الخالي من النصوص الكتابية وخال من مادة القار - التي وجدت في المدافن الثلاثة السابقة وهذا الجزء بطول (٢,٩٨م) وعرض (٠,٩٠سم) وأرضيته فرشيت بالآجر بعدة طبقات يضيق كلما ارتفع ليصبح (٠,٦٨سم) وهو بارتفاع (١,٣٠م) وأرضية المدفن تنخفض عن أرضية البناء الذي يتقدمه . الشكل رقم (٩ أ) .

اما المدفن فهو عبارة عن بناء مربع الشكل تقريبا طول ضلعه (٢,٨٨م) وارتفاع السقف عن الأرضية (١,٧٤م) تعلوه عقادة بنيت بالآجر تبدأ من ارتفاع (٨٥سم) ومؤلفة من (٢٩) صفا من الاجر، والملاحظ في هذا المدفن ان صفوف اللبن في الجدارين الشرقي والغربي لا ترتبط مع صفوف

نظرة في مخططات المدافن الآشورية

العقادة، وفي الجدار الشرقي كوتان متشابهتان (الشكل ٩-ب). ويبدو هنا أيضا إن المعمار قد انجز بناء الجدارين الشرقي والغربي أولا وعلى ارتفاع (٨٥سم) ثم ادخل التابوت الى مكانه وبعده اتم البناء ومما يؤيد ذلك عدم ترابط صفوف العقادة مع صفوف اجر الجدارين وان مستوى أرضية المدفن تنخفض عن مستوى عتبة. وكشف بداخله تابوت وضع بموازاة الجدار الشمالي وفق مقاسات بلغت (٢,٠٥م) طولاً و(٧٦سم) عرضاً و(٧٢سم) عمقاً، وقد عثر بداخله على لقي متنوعة ذهبية وفضية ونحاسية وأحجار كريمة وبقايا نسيج، ويرجح من خلال البقايا الاثرية ان هذا التابوت يعود في زمنه الى العصر الآشوري الحديثة (الزوبعي ، ص ١٩٢-١٩٣).

الاستنتاجات:

- ١- مثلت القبور الملكية في حضارة بلاد الرافدين واجهة حضارية مهمة وعكست في مقتنياتها وتخطيطها فكرا دينيا مهما لسكان بلاد الرافدين واعتقادهم بالعالم الاخر ومتطلبات هذا العالم.
- ٢- تنوعت المدافن في حضارة بلاد الرافدين ومنها المدافن الملكية التي عادة ما كانت مخصصة للملك والامراء وزوجات الملك ، اما النوع الاخر فهو المدافن العامة التي خصصت لبقية شرائح وطبقات المجتمع وتباين هذين النوعين بحسب المكانة ومنزلة الشخص فكانت المقابر الملكية ابهى وافخم وافضل من تلك المدافن العامة كما انها تميزت عنها من حيث المقتنيات الشخصية ايضا.
- ٣- تميزت عمارة القبور الملكية بانها كانت مدفونة تحت الأرض وتم العناية ببنائها وهي غير ظاهرة للعيان (مخفية) للحيلولة دون سرقتها والعبث بها ، وعادة ماتبنى المقابر الملكية من الاجر ولها اقبية ومسيجة بالطين واللبن او القير او الجص ، كما انها كانت مسقفة ، وتميزت معظم المقابر الملكية بانها لم تكن تبنى لمرّة واحدة وانما تمتاز بالتعاقب الزمني وهي صفة تميزت عنها تلك المقابر العامة ، وكما ان المقابر الملكية يحوي المدفن فيها على غرفة واحدة او عدة غرف تضم في جنباتها المقابر الملكية ، اما فيما يتعلق بالمقابر العامة فعادة ماكانت على هيئة حفرة بسيطة او قبر بسيط ويضم أيضا مقتنيات بسيطة لاتضاهي ما يوجد في المدافن الملكية .
- ٣- قدس الآشوريون الاله آشور وكذلك مدينة آشور باعتبارها المدينة الدينية المقدسة للآشوريين ، وقد انعكس ذلك على مكان دفن الملوك أيضا اذ عادة ما يتم دفن الملك فيها حتى وان كانت العاصمة هي غير مدينة آشور ، وكان مكان المقابر الملكية يبنى بشكل منعزل خارج القصور وفي احيان اخرى بداخلها ، وقد حددت المدة الزمنية للمقبرة الملكية في مدينة آشور ابتداءً من العصر الآشوري الوسيط وصعودا الى العصر الآشوري الحديث ومن الأمور الجديرة بالذكر ان العاصمة الآشورية نمرود لم تحض بقبر أي ملك من الملوك الآشوريين باستثناء قبور الملكات الآشوريات وكانت اشهرها الملكة يابايا زوجة الملك الآشوري ثجلات-بليزر الثالث كما ان الملاحظ في القبور الملكية

نظرة في مخططات المدافن الاشورية

وخاصة وخاصة قبور الملكات بان تدفن في مكان واحد (او احدهما فوق الأخرى) مع وجود الفارق الزمني في زمن الوفاة ، اما فيما يتعلق بالمقابر العامة فان القبور عادة ماكانت تقام تحت ارضيات السكن في غرفة خصصت لهذا الغرض بشكل عام .

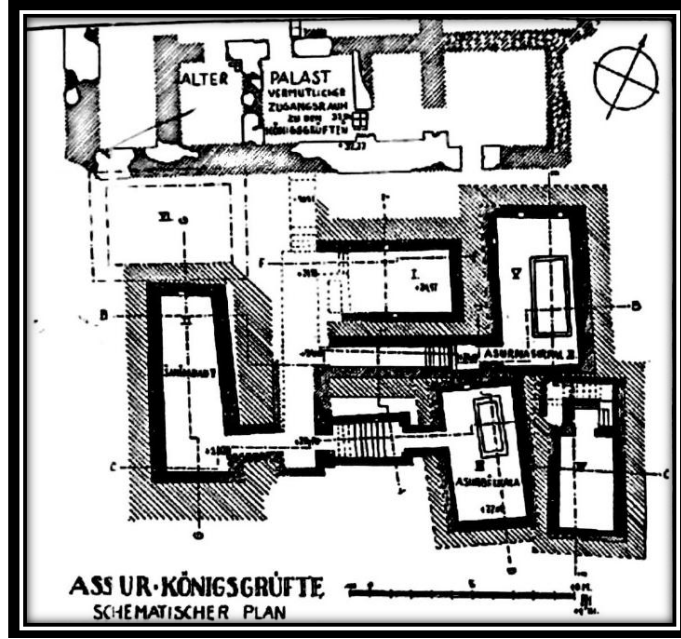
٤- تميزت مخططات المقابر الملكية عن تلك المخططات المتعلقة بعامة الناس وكذلك تميزت مساحة البناء فيها أيضا، وهناك ملحوظة في بعض هذه المقابر هو تخصيص مكان واحد لاكثر من ملك او ملكة يدفنون تباعا بذات المكان .



شكل رقم (١) خارطة مدينة آشور

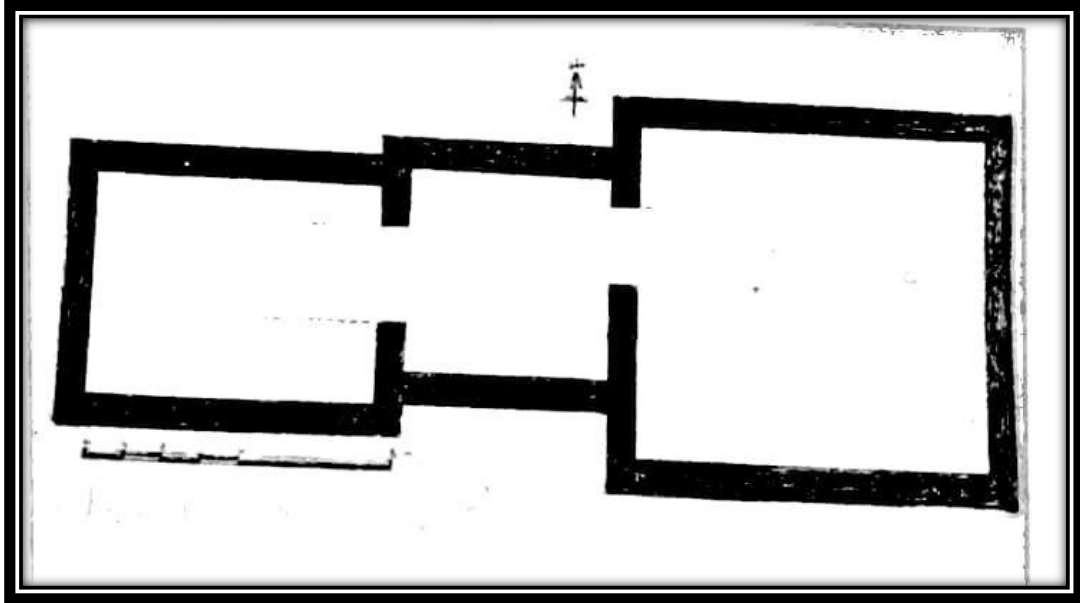
Roaf Michael, Cultur Atlas of Mesopotamia and the Ancient Near east, 2003, p.149.

نظرة في مخططات المدافن الاشورية



شكل رقم (٢) مخطط مدافن المقبرة الملكية في آشور

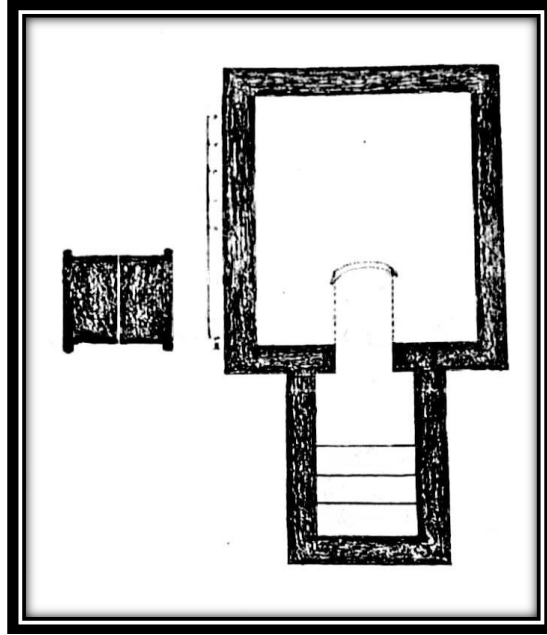
Haller, Arndt, Die Gräber and Grüfte Von Assyr, Berlin, 1954, p.176.



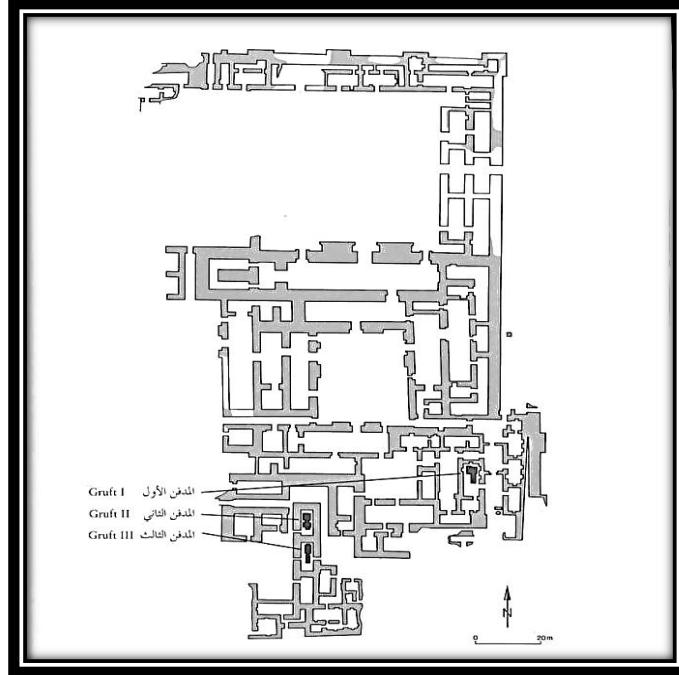
شكل رقم (٣) مخطط ارضي للقبر ذي الغرفتين

عبد محمد جرو، القبور المكتشفة في آشور، مجلة سومر، الموسم الثاني، م٤٢، ١٩٧٩، ص٤٦

نظرة في مخططات المدافن الاشورية



شكل رقم (٤) مخطط ارضي للقبر ذو الغرفة الواحدة الجميلي، محمد عجاج جرجيس، العواصم الاشورية الأربعة...، ص ٤٧٢.



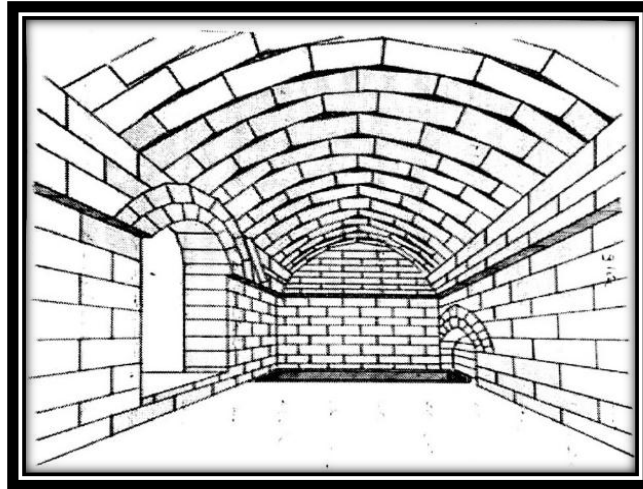
شكل رقم (٥) مخطط القصر الشمالي الغربي لأشور ناصر بال الثاني مع المدافن الاجرية الأول والثاني والثالث.

الدامرجي، مؤيد سعيد بسيم، قبور الملكات الاشوريات في النمرود، المتحف المركزي الروماني
الجرماني، ١٩٩٩، ص ٦٣، شكل ٧.

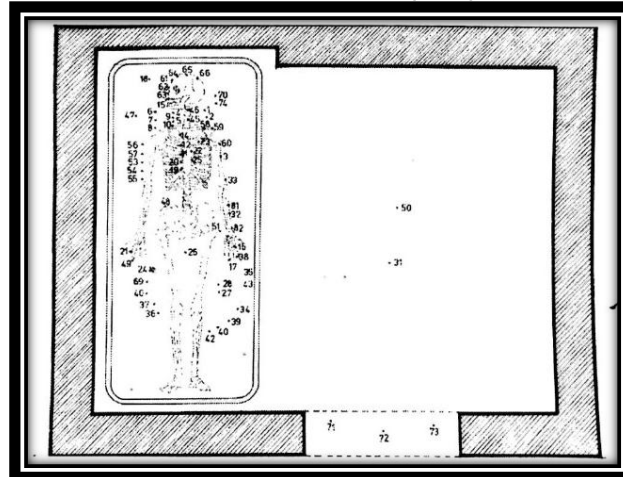
نظرة في مخططات المدافن الاشورية



شكل رقم (٦) المدفن الأول



شكل رقم (٦- أ) منظر من الداخل للمدفن الأول



شكل رقم (٦- ب) مخطط المدفن الأول ومقابر اهم الملتقطات الاثرية

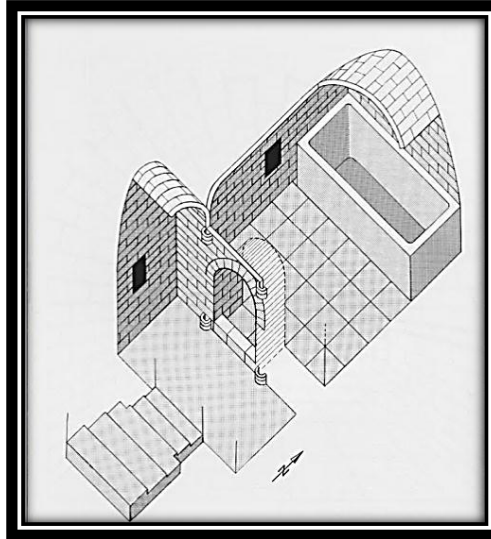
Oates. David, and Joan , Nimrud, London, 2001, Joan and Oates, D.Nimrud, p.80, Fig.79.

الزوبعي، مزاحم محمود حسين، عامر سليمان، نمرود، ص ١٢٤.

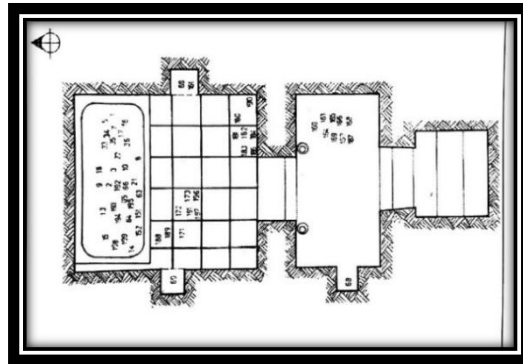
نظرة في مخططات المدافن الاشورية



شكل رقم (٧) المدفن الثاني



شكل رقم (٧-أ) المدفن الثاني منظور من الداخل



شكل رقم (٧-ب) مخطط المدفن الثاني ومعاثر اهم المقتطفات الاثرية

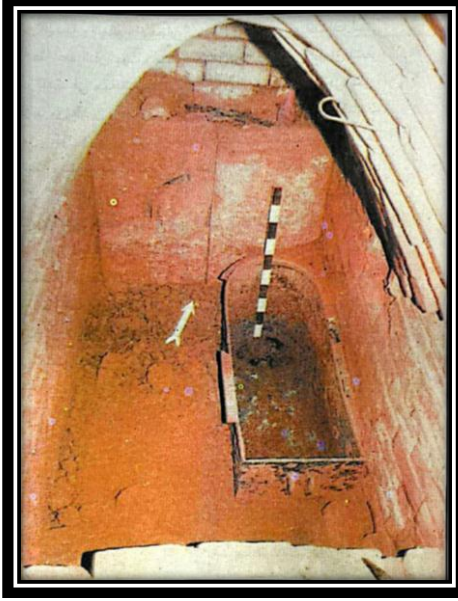
مزاحم محمود حسين، عامر سليمان، نمرود...، ص ١٣٨، ١٤٠.

Joon and Qates, D, Nimrud..., p. 18, Fig.48

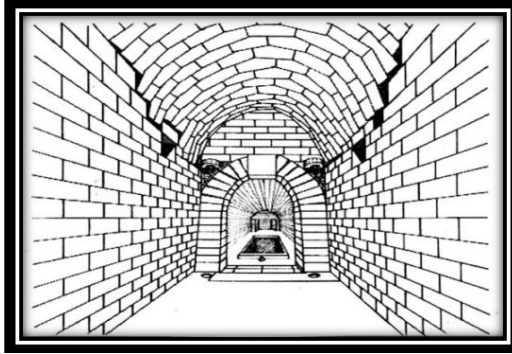
الدامرجي، مؤيد سعيد بسيم، قبور الملكات الاشوريات في النمرود، المتحف المركزي الروماني

الجرماني، ١٩٩٩، ص ٣٣، شكل ١٦.

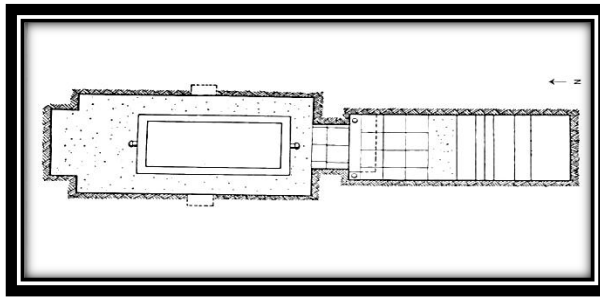
نظرة في مخططات المدافن الاشورية



شكل رقم (٨) المدفن الثالث التابوت البرونزي الثاني



شكل رقم (٨-أ) منظور المدفن الثالث

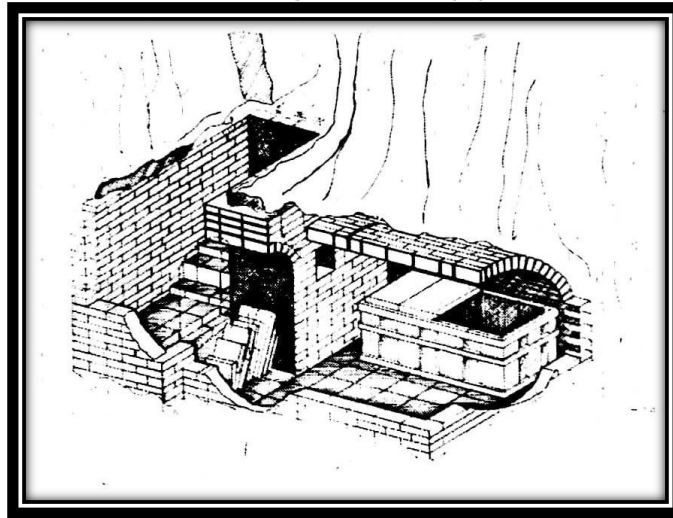


شكل رقم (٨-ب) مخطط المدفن الثالث ومعاثر اهم المقتطفات الاثرية
الوردي، محمود فارس عثمان، المدافن في العراق.....، ص ١٨٦-١٨٨.
الدامرجي، مؤيد سعيد بسيم، قبور الملكات الاشوريات في النمرود، المتحف المركزي الروماني
الجرماني، ١٩٩٩، ص.....، شكل ٣٣.

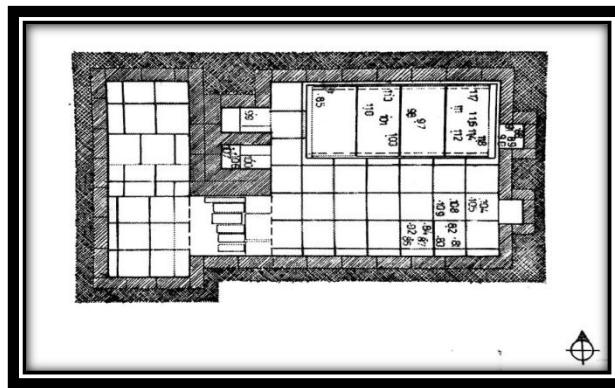
نظرة في مخططات المدافن الاشورية



شكل رقم (٩) المدفن الرابع التابوت الفخاري



شكل رقم (٩-أ) رسم مجسم للمدفن الرابع



شكل رقم (٩-ب) مخطط ارضي للمدفن الرابع ومعاثر اهم المقتطفات الاثرية
الجميلي، محمد عجاج جرجيس، العواصم الاشورية،، ص ٤٩٦.
مزاحم محمود حسين، عامر سليمان، نمرود مدينة، ص ١٩١، ١٩٤.

نظرة في مخططات المدافن الاشورية

المصادر العربية :

١. الجميلي، محمد عجاج جرجيس، (٢٠٠٨) : العواصم الاشورية الاربعة، دراسة في تاريخ المدن القديمة وتخطيطها، أطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا .
٢. الجميلي، محمد عجاج جرجيس، (٢٠١٤) : المقبرة الملكية في اشور، الموصل .
٣. الجميلي، محمد عجاج جرجيس، (١٩٨٩) : التنقيب والصيانة الأثرية في مدينة اشور للموسم للموسم الحادي عشر، ١٩٨٨، الندوة الوطنية في الهيئة العامة للأثار، بغداد .
٤. الدامرجي، مؤيد سعيد، (١٩٩٩) : قبور الملكات الآشوريات في نمرود، ماينز .
٥. الزوبعي، مزاحم محمود حسين، عامر سليمان، (١٩٩٩) : نمرود مدينة الكنوز الذهبية، بغداد .
٦. الصبيحاي، حيدر فرحان حسين، (١٩٩٧) : المسارح الإسلامية في المتحف العراقي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار .
٧. طه باقر، (٢٠٠٩) : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، لبنان .
٨. عبد محمد جرو، (١٩٨٦) : " القبور المكتشفة في اشور للموسم الثاني ١٩٧٩ "، سومر، ٤٢ .
٩. عبد محمد جرو، (٢٠١٩) : سلسلة تنقيبات مدينة اشور الاثرية، ج٣، ط١، العراق .
١٠. هبة حازم محمد مصطفى، (٢٠٠٢) : نساء القصر الاشوري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار .
١١. الورد، محمود فارس عثمان، (٢٠٠٦) : المدافن في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب .

المصادر الأجنبية :

1. Arndt H., (1954): Die Graber und Gräudte von Assur, Mit Eniem Stadtplan, 44 Lichtdrucktafeln und 197 Abbildungen in un Tet.
2. Fadhil, A., (1999) : Die in Nimrud/ Kalhu Aufgefundene Grabinschrift Der jaba Baghdader Mittelungeh, 21, Berlin .
3. Grayson, A., K., (1987) : Assyrian Rulers of the Third and Second Millennia BC (TO 1115 BC), Toronto, (=RIMA, Vol.1).
4. Grayson, A., K., (1991) : Assyrian Rulers of the Early First Millennium BC I (1114-859 BC), Toronto, (=RIMA, Vol.2).
5. Kühne, H., and others., (1978-1979) : " Augrabungen und forschung sreisen " , afu ,band, 26 .

**دور سليم علي سلام في الحركة الإصلاحية
في بيروت (١٩١٢-١٩١٣)**

ياسر خاشع عبيد أحمد

أ.م. د. أنس إبراهيم العبيدي

جامعة بغداد - كلية الآداب - قسم التاريخ

Yaserkashea@gmail.com

ياسر خاشع عبيد أحمد

أ.م. د. أنس إبراهيم العبيدي

الملخص

بعد ان توالى هزائم الدولة العثمانية وخسرت أجزاء كبيرة من أراضيها في أوائل القرن العشرين، بدأ العرب من أبناء الولايات العثمانية يفكرون في مصير بلادهم إذا ما تعرضت الدولة العثمانية الى الانهيار، فبدأت حركة إصلاحية في بيروت بين عامي ١٩١٢-١٩١٣، قادها الزعيم البيروتي سليم علي سلام، والتي تمثلت بتأسيس جمعية بيروت الإصلاحية، وانتخب سليم علي سلام مسؤولاً تنفيذياً للجمعية، ودعت الحركة الإصلاحية في بيروت الى ترك الشؤون الداخلية للولايات العربية في ايدي السكان المحليين، فضلا عن الاعتماد على المستشارين الاوربيين في كل ولاية. الا ان الحكومة العثمانية لم تستجب لتلك المطالب وأقدمت على إغلاق الجمعية.

The role of Salim Ali Salam in the reform movement in Beirut (1912-1913)

Yasir Khashi'a Ubaid Ahmed

Dr. Anas Ibrahim al-Ubaidi

Baghdad University - College of Arts - Department of History

Abstract

After the Ottoman Empire suffered further defeats and lost large parts of its territories in the early twentieth century, the Arabs of the Ottoman states began to think about the fate of their country if the Ottoman state was subjected to collapse. A reform movement started in Beirut between 1912-1913, led by Perutian leader Salim Ali Salam, which was represented by the establishment of the Beirut Reform Society. Salim Ali Salam was elected executive officer of the Assembly, and the reform movement in Beirut called for leaving the internal affairs of Arab states in the hands of the local population, as well as relying on advisors Europeans in every state. The Ottoman government did not respond to these demands and proceeded to close down the assembly.

ظروف تأسيس جمعية بيروت الإصلاحية:

ارتبطت الحركة الإصلاحية في بيروت في أواخر عام ١٩١٢ ارتباطا وثيقا بالحالة التي آلت إليها أوضاع الدولة العثمانية على مختلف الأصعدة، سياسيا وعسكريا واجتماعيا، وما اثارته هذه الحالة من تحركات على صعيد الدولة العثمانية نفسها، وعلى صعيد القوى المحلية والدولية^(١).

فمنذ ان سيطر الاتحاديون على مقاليد الحكم في الدولة العثمانية عام ١٩٠٩، عملوا على انتهاج سياسة معادية للعناصر العثمانية غير التركية أساسها التتريك والتمييز العنصري. واخذوا يسنون القوانين الجديدة لمصلحة العنصر التركي لكي يهيمن على سائر العناصر الأخرى فيسلبها كافة الامتيازات التي حصلت عليها قبل استئناف العمل بالدستور^(٢). كما تكررت الدعوة من قبل الكتاب العثمانيين الى التخلص من كل ما هو عربي حتى وان كان دينيا، واخذوا يسيئون للعرب في أعمدة صحفهم. وتذكر المصادر ان أحد كتابهم ألف كتابا بعنوان (القومية الجديدة)، يدعو فيه الى التقليل من شأن العرب والرموز العربية الإسلامية^(٣).

ولا شك ان التمييز الذي لمسه العرب في تلك الحقبة كان له الأثر الكبير في اثاره نقيمتهم على السلطة العثمانية، ففي العهود السابقة كان العربي يجد طريقه أحيانا الى منصب عال في الجيش او الوظائف المدنية، ولكن بعد ان جاء الاتحاديون أقدموا على عزل الأغلبية الساحقة من كبار الضباط والموظفين العرب بسبب عنصرهم العربي وعينوا محلهم اتراكا، فلم يبق في الجيش العثماني كله سوى ضابط عربي واحد برتبة لواء " زكي باشا الحلبي"^(٤). ولم يبق للعرب الذين يجيدون اللغة التركية مجال للمشاركة في وظائف الدولة القيادية، حتى وجدوا ان ليس لهم من الدولة الا التبعية^(٥).

وقد زاد في تقليل ثقة العرب بالاتحاديين واخلاصهم ان نفوذ اليهود كان متغلغلا في صفوف قاداتهم^(٦). ومن جهة أخرى سيطر الاستعمار الألماني ثقافيا وفكريا على قيادات "حزب الاتحاد والترقي" من خلال النظريات العنصرية التي كانوا يخلقونها^(٧).

ومن جانب اخر فقد اثارته الهزائم المتلاحقة التي منيت بها الدولة العثمانية قلقت عميقا على المصير العثماني ومصير الولايات العربية. ففي عام ١٩١١ هاجم الايطاليون

طرابلس الليبية بشكل مباغت وبدون سابق انذار، وبعد مقاومة عنيفة تمكنوا من الاستيلاء عليها، كما احتلوا جزيرة رودس^(٨). ولم تعد الدولة العثمانية قادرة على مواجهة الايطاليين وجها لوجه نظرا لضعف اسطولها وقوة الاسطول الإيطالي، الامر الذي دفعها الى الاستعانة بأهالي طرابلس فأخذت تهرب لهم الأسلحة والعدد الحربية، وترسل لهم عدد من ضباطها ليقودوا الحركة المناهضة للإيطاليين هناك. وكانت ترسل ذلك عن طريق مصر التي كانت "تساهل وتغض النظر"^(٩).

في هذه الاثناء وفي سياق متصل أصبح سليم علي سلام من الشخصيات اللبنانية-العثمانية البارزة، وبدأ اسمه يظهر في الأوساط السياسية العثمانية والاوربية، كما بدأت شخصيته تلفت نظر الولاة الاتحادين والقناصل الاوربيين. ففي تقرير آخر ارسله "Couget" القنصل الفرنسي في بيروت، الى وزير خارجية فرنسا Jean Cruppi (١٨٨٥-١٩٣٣) في السابع عشر من أيار ١٩١١، أشار فيه الى موضوع الانتخابات في بيروت وذكر التقرير "انه بالمناسبة كان هناك تنافس بين كامل الاسعد وسليم علي سلام في الانتخابات"، وعرف "Couget" سليم علي سلام بأنه "العضو المسلم في مجلس إدارة بيروت، وهو محبوب جدا من مسيحيي بيروت كما انهم راضون عنه"^(١٠).

وقد تعددت التقارير الاجنبية التي تناولت نشاط سليم علي سلام السياسي، فتناولت هذه التقارير رحلة سليم علي سلام الى مصر ولقائه بالخدوي عباس حلمي^(١١)، مشيرة الى ان الهدف من اللقاء هو ان سليم علي سلام عرض على الخديوي مسألة الوحدة السورية المصرية. فقد أرسل Robert Coulonder (١٨٨٥-١٩٥٩) -وكيل القنصلية الفرنسية في بيروت- تقريرا الى وزير خارجية فرنسا Raymond Poincare (١٨٦٠-١٩٣٤) في الثاني عشر من تشرين الثاني ١٩١٢، أشار فيه الى الأوضاع في البلاد السورية بشكل عام ولبنان بشكل خاص، والى نشاط سليم علي سلام وغيره من الشخصيات اللبنانية. ومما جاء في التقرير ان فرنسا لا تزال تحظى بمحبة وثقة مسيحيي سورية، اما المسلمين العرب فعلى الرغم من استيائهم من الحكم العثماني الا انهم لا يزالون يعارضون "حكم الأمة المسيحية"، ولهذا فقد اتجهوا الى مصر حيث الحكم الإسلامي، وأن فكرة الانضمام الى مصر تلقى مؤيدين وأنصار كثر في سورية^(١٢).

ويذكر "Coulonder" في التقرير ذاته " حسب المعلومات الاكيدة التي تلقيتها من مدير صحيفة "الثبات" اللبنانية والتي تصدر باللغة العربية في بيروت... ان هناك لجنة سرية تعمل بدعم من الإنكليز في اتجاه الوحدة بين سورية ومصر. ففي مصر يوجد واحد من اعيان الطائفة الإسلامية في بيروت هو سليم علي سلام... فوجود هذه الشخصية في مصر تزامن مع حضور شخصية أخرى هو سليم ثابت أحد اثرياء بيروت ومتأثر بالسياسة الإنكليزية، حيث قال عند عودته ان كل شيء أصبح جاهزا لنجاح هذا المشروع"،^(١٣).

اما سليم علي سلام فقد أوضح ملابسات سفره الى مصر بقوله " كنت في شباط ١٩١٢ موجودا في مصر فذهبت وعبد الله افندي بيهم^(١٤) لسراي الخديوي عباس حلمي باشا وحظينا بمقابلته، والتمسنا منه باسم الوطنية العربية ان يأمر ولو سراً بالسماح الى الضباط العثمانيين بالمرور بالأراضي المصرية باتجاه طرابلس الليبية لغرض تحشيد المقاومة ضد الايطاليين هناك، فأجاب قائلاً: انا لا أتأخر عن كل مساعدة بهذا الخصوص، وقد أجريت كل التسهيلات الا ان الاتحاديين وبسبب عدائهم الشخصي لي اوعزوا للذين يمرون بمصر من الضباط ان يحرروا لهم تلغرافا عن اجتيازهم الحدود ويشكرون مساعدتي لهم ليحرجوا موقفي امام الدول الاوربية"،^(١٥).

ويتبين لنا ان سليم علي سلام كان قد اصطحب عائلته معه الى مصر كما ترويه ابنته عنبرة في مذكراتها، وتذكر عنبرة انها اقامت مع عائلتها عدة شهور في مصر وقامت بالعديد من الجولات السياحية في القاهرة مع عائلتها خلال تلك المدة^(١٦).

وفي هذا الصدد عثرنا على وثيقة في الأرشيف العثماني تتضمن طلب قدمه سليم علي سلام الى وزارة التجارة والزراعة من اجل ايفاده الى مصر لمدة سنتين ليكتسب الخبرة في مجال تطبيق أساليب الزراعة في المناطق الحارة وبراتب ٣٥٠ فرنك، كما تضمنت مخاطبة والي بيروت للجهة المصرية المعنية بهذا الشأن ويطلب منهم اجراء ما يلزم من تسهيلات^(١٧).

وعلى الرغم من ان سليم علي سلام وابنته لم يوضحوا سبب وجودهم في مصر الا انه ومن خلال الوثيقة المشار اليها ومن خلال سياق الكلام يتبين لنا ان سبب ذهاب سليم علي سلام الى مصر لم يكن من اجل العمل على الوحدة السورية المصرية، بل ربما أرسل

بمهمة رسمية ثم تزامنت هذه الاحداث مع وجوده هناك فتدخل لتسهيل عبور المعدات والضباط العثمانيين الى طرابلس عن طريق مصر.

ويعزز ذلك ما ذكره الدكتور حسان حلاق من ان سليم علي سلام يبقى عثماني النزعة، ولكنه كان اصلاحيا مؤمنا بضرورة تحسين أوضاع ولايته والولايات العربية الأخرى. ولهذا استطاع مع نفر من البيروتيين قيادة الحركة الإصلاحية علنا في بيروت^(١٨).

على اية حال وبالعودة الى مجرى الاحداث فقد هاجم الاسطول الإيطالي مرفأ بيروت في شباط ١٩١٢، ظنا منهم ان السفن الحربية العثمانية الراسية هناك تساعد في تهريب الأسلحة والمعدات الى طرابلس فدمروا تلك السفن. كما قصف الاسطول عدد من مناطق بيروت بدافع ان البيارة يتعاونون مع الدولة العثمانية في ارسال الدعم الى طرابلس، فراح ضحية ذلك القصف العديد من الأهالي ودمرت العديد من الأبنية. وحصل جراء ذلك هلع ورعب في المدينة^(١٩).

كما وقعت حالات من الانفلات الأمني، اذ هاجم البعض مستودع الأسلحة التابع للحكومة ونهبوه، كما تم نهب العديد من المحال التجارية، فما كان من الوالي أبو بكر حازم بك^(٢٠) الا ان يعلن الإدارة العرفية للسيطرة على الوضع^(٢١).

وفي العام نفسه أعلنت دول البلقان الأربع (بلغاريا، اليونان، الصرب، والجبل الأسود) الحرب على الدولة العثمانية. وفي هذه الاثناء أثار الاتحاديون-وهم خارج الحكم-^(٢٢) النفوس بالحماسة لزع الدولة العثمانية في الحرب والتخلي عن فكرة المفاوضات والتفاهم السلمي. وهذا ما حدث فعلا فقد دخلت الدولة العثمانية الحرب وأحرز البلقانيين الانتصار بفترة وجيزة فوصلت جيوشهم الى ضواحي العاصمة إسطنبول واستولوا على سلانيك^(٢٣) وحاصروا أدرنة^(٢٤)، فاضطرت الحكومة العثمانية الى توقيع هدنة مع دول البلقان في الثالث من كانون الأول من العام نفسه خوفا من سقوط العاصمة العثمانية نفسها بيدهم. ثم استأنفت الحرب في حزيران ١٩١٣ وكانت النتيجة النهائية لهذه الحرب ضياع جميع أراضي الدولة العثمانية في اوربا تقريبا^(٢٥).

وبعد كل هذه الهزائم التي منيت بها الدولة العثمانية واقتطاع أجزاء مهمة من أراضيها، بالإضافة الى حالة الضعف التي باتت تنذر بزوال وشيك للحكم العثماني إذا ما

استمر الوضع على ما هو عليه. فقد اشاعت هذه الهزائم قلقا عميقا على مصير الدولة العثمانية وعلى مصير الإسلام برمته، بعد هذه التطورات التي تؤكد تصميم الدول الأوروبية على الاستيلاء على أراضي الدولة العثمانية^(٢٦). فبدأ العرب يفكرون بمصير ولاياتهم التي أخذت تتطلع الى تبديل احوالها الى الأفضل^(٢٧). خاصة وانهم باتوا يشاهدون الاعتداءات من الدول الأوروبية على الدولة العثمانية التي تربطهم بها رابطة الإسلام، دون ان تكون قادرة على الدفاع عن نفسها^(٢٨). فتألفت خلال هذه المدة جمعيات عربية عديدة في إسطنبول والقاهرة وبيروت ودمشق وبغداد لتعزيز شأن العرب والمطالبة بحقوقهم ومساواتهم بالأتراك، فأثرت هذه الجمعيات بشكل كبير في تكوين الرأي العام العربي، بالتعاون مع الصحافة العربية في مصر والشام والعراق وإسطنبول^(٢٩)، وكان منها جمعيات قومية سرية كجمعية العربية الفتاة^(٣٠)، وجمعية العهد^(٣١) وغيرها، ومنها إصلاحية كجمعية بيروت الإصلاحية^(٣٢). كما أسس حزب اللامركزية الإدارية العثماني^(٣٣) في القاهرة عام ١٩١٢. وكان هذا الحزب يهدف الى ان تتولى كل ولاية عربية إدارة شؤونها الداخلية بنفسها^(٣٤).

وما يهمنا الحديث عنه هنا هو الحركة الإصلاحية التي حدثت في بيروت بين عامي ١٩١٢-١٩١٣ التي تمثلت بـ (جمعية بيروت الإصلاحية)، والتي كان سليم علي سلام أحد روادها وأبرز المحركين لها والمؤثرين فيها. فخلال الظروف التي أشرنا اليها وبعد ان نشطت السياسة الفرنسية في بيروت وجبل لبنان لتشجيع تأسيس الجمعيات التي تعمل في جوهرها لدعم مصالح فرنسا وسياستها الرامية الى بسط نفوذها في لبنان، أسست جمعيات على يد الموارنة والكاثوليك عام ١٩١٢ في بيروت وجبل لبنان^(٣٥)، والتي كانت على صلة وثيقة بقناصل فرنسا في بيروت. وتهدف هذه الجمعيات الى وضع بيروت وجبل لبنان تحت الحماية الفرنسية^(٣٦).

وتجدر الإشارة الى انه بدأ واضحا وجود عدة توجهات لدى أهالي بيروت في مسألة تقرير المصير، فالاتجاه الأول والمتمثل بالمسيحيين يتطلع الى الاحتلال الفرنسي، والاتجاه الثاني ممن استهوتهم مظاهر النهضة الاقتصادية في مصر في ظل الحماية البريطانية، رغبوا بجعل بيروت تحت الحماية البريطانية^(٣٧)، والاتجاه الثالث، مع حرصهم على المطالبة باللامركزية وتأمين حقوق العرب، الا انهم يسعون لتحقيق ذلك عن طريق اصلاح

أوضاع الدولة العثمانية دون الانفصال عنها^(٣٨)، وكان سليم علي سلام من أصحاب هذا الاتجاه.

وفي هذا الاثناء كان "حزب الائتلاف والحرية"^(٣٩) العثماني المعارض للاتحاديين والمؤيد للامركزية يتولى السلطة، فعمل على تهيئة مناخ سياسي ملائم للدعوة الى اللامركزية، وشكل ذلك منطلق لقيام عدد من الحركات الإصلاحية للمطالبة بالإصلاح^(٤٠). الا ان ذلك فسح المجال لتلك الحركات من الاستعانة بالدول الاوربية لتحقيق الاصلاح، ففي بيروت قابل أحد زعماء الطائفة المسيحية وهو نخلة التويني^(٤١) القنصل الفرنسي " Couget " وتباحث معه أوضاع البلاد فوعد الأخير بالمساعدة العسكرية بأن ترسل فرنسا الى بيروت عشرين ألف جندي فرنسي لمساعدة البيروتيين في حال اعلانهم الثورة ضد الدولة العثمانية^(٤٢). وقد فاتح نخلة التويني سليم علي سلام بما دار بينه وبين القنصل الفرنسي، ومما ذكره سليم علي سلام بهذا الصدد " لكننا بالرغم من ضعف الدولة واضطهاد الاتحاديين لنا ولعنصرنا كنا نحرص قلبا وقالبا على البقاء في حظيرة الدولة. وإثر ذلك توجهت الى الوالي أدهم بك^(٤٣) وأطلعته على حقيقة الحال، وذكرت له ميل بعض الاهليين الى الانسلاخ عن الدولة وميل البعض للالتحاق بمصر والآخر بالفرنسيين، دون ان اطلعه على ما حدثني به نخلة التويني ". فأراد الوالي الوقوف على رأي سليم علي سلام فيما يمكن فعله لتدارك الأمور، فأجابه " ان سوء الحال بقطع النظر عن ضعف الدولة وقوتها لا يمكن ان يعالج حاضرا ومستقبلا الا بإجراء إصلاحات واسعة النطاق، ليس في ولايتنا فحسب، بل في جميع الولايات " ^(٤٤).

وبعد مناقشات بين الوالي وسليم علي سلام تمكن الأخير من اقناع الوالي بوجهة نظره، فأرسل الوالي تقريرا الى الصدر الأعظم عن الحالة السياسية في الولاية، وقد جاء فيه " يتجاذب البلاد عوامل مختلفة، ولقد ولى قسم عظيم من الأهالي وجههم نحو إنجلترا او فرنسا لإصلاح الحالة التعيسة التي هم فيها، فإذا نحن لم نأخذ بالإصلاح الحقيقي تخرج البلاد من ايدينا لا محالة " ^(٤٥). فكان رد الصدر الأعظم بأن طلب من الوالي دعوة مجلس ولاية بيروت للاجتماع لدراسة الموقف وتقديم برنامج إصلاحي للحكومة^(٤٦).

وبعد ذلك اجتمع سليم علي سلام مع صديقه مختار بيهم، وتناقش الاثنان في موضوع الإصلاح واستمرت اجتماعاتهم لفترة من الوقت الا ان توصلا الى ضرورة اشراك جميع الطوائف والتوجهات في المشروع الإصلاحي. وبالفعل تم ذلك وبدأت تتقارب وجهات النظر فتوصل الجميع الى رأي واحد وهو ” ضرورة تأليف هيئة وطنية إصلاحية تكون حائزة صفة النيابة عن الأهالي عموماً “^(٤٧). والحقيقة ان هذه القناعة المشتركة لم يتم التوصل اليها بسهولة، اذ ان وجهات نظر البيروتيين كانت مختلفة خصوصاً وانه هناك فئة لا يستهان بها كانت مصرة على التخلص من الحكم العثماني بالتعاون مع فرنسا^(٤٨).

وعلى اية حال فقد اسفرت الاتجاهات التي أشرنا اليها الى ولادة اول جمعية بيروتية غير طائفية ضمت بين أعضائها المسلمين والمسيحيين هي (جمعية بيروت الإصلاحية)^(٤٩). فبدعوة من سليم علي سلام اجتمع عدد من وجهاء بيروت في دائرة بلدية بيروت وتمكنوا من تشكيل الجمعية الإصلاحية وكان ذلك في نهاية تشرين الثاني ١٩١٢^(٥٠). وكان لجهود سليم علي سلام واحمد مختار بيهم أثر واضح في انتساب المسيحيين الى الجمعية الإصلاحية. حيث توالت الاجتماعات في منزل سليم علي سلام للاتفاق على صيغة نهائية للمشروع الإصلاحي، حتى اتفق الجميع على تأسيس الجمعية المذكورة، واتخذوا مقراً لهم في منطقة (البسطا التحتا) لعقد اجتماعاتهم واتخاذ القرارات التي تصدر عن الجمعية. وبلغ التضامن بين الطوائف حداً كبيراً ظهرت على إثره الجرائد والصحف وفيها تبادل مقالات رؤساء التحرير، فيكتب الصحافي المسلم افتتاحية الجريدة المسيحية والصحافي المسيحي افتتاحية الجريدة الإسلامية، واتفقوا على عنوان واحد في مقالاتهم وهو (مضى زمن التفريق واتفق الرأي)^(٥١). ويذكر سليم علي سلام بهذا الصدد ” وطلبنا من الهيئات الوطنية الرسمية ايفاد نواب عنها لينتخبوا الجمعية الإصلاحية. ومن جهة أخرى اخذنا بتشويق الأهالي وترغيبهم للاتفاق حول الإصلاحات “^(٥٢).

وكتب سليم علي سلام مقالا في صحيفة الاتحاد العثماني جاء فيه ” ما أعظم سروري عندما اقرأ بالجرائد المحلية وعلى الخصوص جريدتكم الغراء، وكلها تضرب على نغمة حيوية لا أرى للأمة ولا للدولة حياة بدونها الا وهي الإصلاح. لا اظن يوجد أحد ممن من الله عليه بنعمة البصر والبصيرة الا يرى ان الحالة التي اوصلتنا لها سوء الإدارة

الماضية بعدم إعطائها واجرائها الإصلاحات اللازمة لحياة هذه الدولة هي التي كانت سببا لنشوب الحروب الداخلية والخارجية مما أدى لانسلاخ جملة ولايات عن جسم الدولة العلية، وأذرت البقية لا سمح الله بالخراب العاجل، إذا لم تتدارك الامة والدولة وتعطي الإصلاحات اللازمة بأسرع ما يمكن^(٥٣).

وقد افضت كل هذه الاجتماعات الى عقد اجتماع يشمل جميع الطوائف للمرة الثانية في دائرة بلدية بيروت وانتخاب لجنة عرفت بـ " لجنة الإصلاح " في الأول من شباط ١٩١٣، التي انيط بها وضع البرنامج الإصلاحي للجمعية^(٥٤). وتألقت هذه اللجنة من ٨٤ عضوا وعلى النحو الآتي^(٥٥):

٤٢- عضوا من الطائفة الإسلامية

١٦- عضوا من طائفة الروم الأرثوذكس

١٠- أعضاء من الطائفة المارونية

٦- أعضاء من طائفة الروم الكاثوليك

٢- من الطائفة الانجيلية

٢- من الطائفة اللاتينية

٢- من الطائفة السريانية

٢- من طائفة الأرمن الكاثوليك

٢- من طائفة الأرمن الأرثوذكس

٢- من الطائفة الإسرائيلية.

ثم افتتحت الجلسة برئاسة الشيخ احمد عباس الازهري باسم (جمعية بيروت الإصلاحية)^(٥٦). وبعد مناقشات تقرر انتخاب لجنة مؤلفة من اثني عشر عضوا من الطائفة الإسلامية واثني عشر من الطوائف المسيحية وعضو من الطائفة الإسرائيلية لوضع لائحة بالإصلاحات اللازمة للولاية ومتابعة تنفيذها، فكان سليم علي سلام واحدا من اعضاء الطائفة الإسلامية الذين تم اختيارهم بالانتخاب السري ثم اختير مع بئرو طراد^(٥٧) ليكونا مديرين مسؤولين عن اعمال الجمعية واستحصال رخصة رسمية لها من الحكومة^(٥٨).

وبعد كل هذه الإجراءات والمباحثات توصلت اللجنة المكلفة الى وضع "لائحة إصلاحية" تتضمن البرنامج الإصلاحي للجمعية ودعت الجمعية بعد ظهر يوم الاحد في السادس والعشرين من كانون الثاني ١٩١٣ للاجتماع والنظر فيها^(٥٩). وفي هذه الاثناء وقبل عقد الجلسة المرتقبة هاجم الاتحاديون رئاسة الوزراء الثالث والعشرين من كانون الثاني من العام نفسه وقتلوا وزير الحربية ثم اجبروا كامل باشا على الاستقالة وتألقت وزارة جديدة برئاسة محمود شوكت باشا^(٦٠). وبعد ان استولى الاتحاديون على الحكم بهذه الطريقة قابل سليم علي سلام والي بيروت أدهم بك ومما قاله له "مما يؤسف له ان جميع الولاة تبلغوا هذا الانقلاب المؤسف وغير المشروع ولم يبدو اقل اعتراض عليه مما يجرى الناس في كل فرصة تسنح لهم ان يأتوا بأعمال كهذه، وان لو كنت واليا لرفضت الخضوع لأوامر حكومة غير مشروعة وأعلنت العصيان عليها"، ويكمل قائلاً: "فصار يتنهد ولم يجب على ذلك"^(٦١).

على اية حال وعلى الرغم من الإطاحة بكامل باشا "صديق الإصلاحيين" وأحد كبار المؤيدين لفكرة الإصلاح، رأت الجمعية ان البلاد بحاجة للإصلاح وفيه حياتها، وكما ان الحكومة السابقة كانت مكلفة بالاستجابة للمطالب الإصلاحية فإن الحكومة التي تلتها لا عذر لها عن الاستجابة أيضاً، فقررت المضي في مشروع الإصلاح والتمسك بمطالبها في الإصلاح^(٦٢).

اللائحة الإصلاحية:

استأنفت الجمعية نشاطها وعقدت جلستها في اليوم المحدد برئاسة كامل الصلح^(٦٣) وبعد قراءة اللائحة طلب من الحاضرين التصويت عليها الا ان أحد الأعضاء طالب بطباعة نص اللائحة وتوزيعه على الأعضاء ليدققوا فيها حتى إذا ما رأوا ما هو قابل للانتقاد فينتقدوه او التفتيح فينقحوه، فتم طبع اللائحة وتوزيعها على الأعضاء وحدد موعد آخر لعقد جلسة في دائرة البلدية وتكون قرارات تلك الجلسة قانونية، على ان تكون الاعتراضات خطية^(٦٤).

عقدت الجمعية جلستها في الموعد المحدد أيضاً في يوم الجمعة الموافق في الحادي والثلاثين من كانون الثاني ١٩١٣ برئاسة سليم علي سلام، وقرأت مواد اللائحة الإصلاحية

وجرى فيها تنقيح بسيط. ثم كلفت الجمعية اللجنة المعنية بمتابعة اللائحة بتقديمها الى الحكومة ومتابعة تنفيذها^(٦٥).

وفيما يأتي المواد التي تضمنتها اللائحة الإصلاحية والتي تم إقرارها في الجلسة الأخيرة^(٦٦).

مادة أساسية: الحكومة العثمانية حكومة دستورية نيابية.

المادة الأولى: الإدارة

تقسم إدارة الولاية الى قسمين: القسم الأول هو المشتمل على الاعمال المتعلقة بكيان الدولة وشؤونها الأساسية وهي: المسائل الخارجية والعسكرية والجمارك والتلغراف وسن القوانين. والقسم الثاني هو المشتمل على الاعمال المحلية المتعلقة بالشؤون الداخلية لكل ولاية. وكل ما يتعلق بالقسم الأول يناط به الى الحكومة المركزية، واما القسم الثاني فيناط به الى مجلس إدارة كل ولاية.

المادة الثانية: الوالي حقوقه وواجباته

للوالي صفتان قانونيتان: الأولى تمثيل الحكومة المركزية، وبهذه الصفة يتولى تنفيذ جميع الاعمال المتعلقة بالقسم الأول طبقاً لقرارات الحكومة المركزية. والثانية تمثيل حكومة الولاية التي يرأسها، وبهذه الصفة يتولى تنفيذ جميع الاعمال المتعلقة بالقسم الثاني طبقاً لقرارات مجلس إدارة الولاية.

المادة الثالثة: مجلس إدارة الولاية حقوقه وواجباته

يتم تشكيل مجلس إدارة الولاية يتألف من ثلاثين عضواً نصفهم من المسلمين والنصف الاخر من الطوائف الأخرى لمدة أربع سنوات، تكون صلاحياته إدارية بصورة أساسية، والى حد ما تشريعية، شرط الا تمس شؤون الدولة الأساسية كالأمور السياسية او الأمنية او الخارجية.

المادة الرابعة: الوالي ومجلس إدارة الولاية

تعتبر قرارات المجلس نافذة مالم يعترض عليها الوالي. اما إذا اعترض الوالي فيعيد المجلس النظر في قراره، وإذا أصر على القرار أكثر من ثلثي الأعضاء يكتسب الصفة القانونية القطعية وعلى الوالي تنفيذه.

المادة الخامسة: لجنة مجلس إدارة الولاية

ينتخب مجلس إدارة الولاية بالاقتراع السري لجنة مؤلفة من ستة من اعضاءه، أربعة منهم من الالوية واثنان من مركز الولاية ولمدة سنة واحدة. ومن وظائف هذه اللجنة مراقبة تنفيذ قرارات المجلس، ودراسة المشاريع اللازمة للولاية وتقديمها للمجلس.

المادة السادسة: الموظفون تعيينهم وعزلهم

الوالي والقاضي في مركز الولاية والدفتردار والمسؤولين عن التلغراف والجندرمة وضباطها تعيينهم الحكومة المركزية، على شرط معرفتهم باللغة العربية معرفة تامة ويستثنى من هذا الشرط والي الولاية، لمدة خمس سنوات من تاريخ وضع مواد هذه اللائحة موضع التنفيذ. اما بقية الموظفين فينبغي ان يكونوا من أهالي البلاد ويتم تعيينهم عن طريق اخضاعهم لإمتحان من قبل لجنة تابعة للدائرة التي يرغبون العمل فيها. اما عزل الموظفون المعينون من قبل الولاية فيتم بناء على قرار مفتش ورئيس الدائرة التي يعملون فيها وينفذ الوالي قرار العزل.

المادة السابعة: المستشارون والمفتشون

تعين الحكومة المركزية مستشارين ومفتشين من الأجانب على شرط معرفتهم اللغة العربية او التركية او الفرنسية وذلك للدوائر الاتية في مركز الولاية: وهي الجندرمة والعدلية والمالية والتلغراف والجمرك. وتعين الحكومة أيضا مفتش أجنبي عام لكل لواء وهو مخول في تفتيش أي دائرة داخل اللواء.

المادة الثامنة: مالية الولاية

تقسم واردات الولاية الى قسمين:

-واردات الجمارك والبريد والبرق وضريبة الخدمة العسكرية، تعود الى خزينة الحكومة المركزية.

- ماعدا ذلك من واردات تعود جميعها الى مالية الولاية كرسوم البلدية او ضريبة العقارات وغيرها.

المادة التاسعة:

ينظم مجلس إدارة الولاية ميزانية سنوية ويدخل فيها جميع رواتب الموظفين والمستشارين عدا موظفي ومستشاري الجمارك والتلغراف.

المادة العاشرة: الأراضي والأملاك الأميرية

تسلم الأراضي والأملاك الأميرية الداخلة ضمن الولاية الى مجلس إدارة الولاية وتكون ملكا للولاية.

المادة الحادية عشر: الأوقاف

لا علاقة للإدارة المركزية ولا مجلس إدارة الولاية بالأوقاف، ويسلم كل وقف الى مجلس الملة المنسوب اليها لاستخدامه بموجب قانونها.

المادة الثانية عشر: مجلس المفتشين

يؤلف مجلس يسمى مجلس المستشارين يكون أعضاؤه رئيس مجلس إدارة الولاية وجميع مستشاري الدوائر في مركز الولاية.

أما اهم وظائف هذا المجلس فهي:

- تفسير مواد النظام الذي تضعه الحكومة المركزية وفقا لهذه اللائحة الإصلاحية ليكون دستور لحكومة الولاية ومجلس ادارتها.

- تفسير القرارات والأنظمة التي يضعها مجلس إدارة الولاية.

- النظر والحكم في وجوب عزل الموظف او عدمه.

المادة الثالثة عشر: اللغة المحلية

تعد اللغة العربية لغة رسمية في الولاية، وان تكون أيضا لغة رسمية في مجلس المبعوثان الى جانب اللغة التركية، على ان تبقى المراسلات بين العاصمة والولاية باللغة التركية.

المادة الرابعة عشر: الخدمة العسكرية

تخفض الخدمة العسكرية الى سنتين، وتكون الخدمة أيام السلم في الولاية.

وهكذا اذن فقد بنيت اللائحة الإصلاحية على مبدئين أساسيين هما: اللامركزية، والاستعانة بمفكرين وموظفين أجانب. فالمطلب الأول هو مطلب الأعضاء المسلمين في الجمعية الإصلاحية، اما المطلب الثاني فكان مطلب الأعضاء المسيحيين^(٦٧).

وفي السابع من اذار ١٩١٣ وصل والي بيروت الجديد أبو بكر حازم الى الولاية، وفي الثاني عشر من الشهر نفسه ذهبت اللجنة الإصلاحية في (جمعية بيروت الإصلاحية) لمقابلته في مركز الولاية من اجل تقديم اللائحة الإصلاحية له، وبينوا له الغاية من الزيارة وضرورة اجراء الإصلاحات التي لا أمل للبلاد الا بها. فأحسن الوالي استقبالهم وقرأ اللائحة بإمعان ثم وعدهم بالاستجابة لمطالبهم وتم الاتفاق معه على مقابلة عدد منهم بعد عدة أيام^(٦٨). وتشير المصادر الى ان الوالي أبو بكر كان قد أرسل بالأصل من اجل احباط المشروع الإصلاحي وتفتيت لجنة الإصلاح بالاعتماد على أسلوب الدس والافتراء من اجل الإيقاع بين أعضائها وضرب وحدتهم، وسعى الى ترغيب واستمالة بعض الأعضاء عن طريق تعيينهم في الوظائف العامة ومجلس إدارة الولاية ومجلس البلدية^(٦٩).

وبعد خمسة أيام من اجتماع الوالي وأعضاء الجمعية أرسل الوالي في السابع عشر من اذار ١٩١٣ الى سليم علي سلام بصفته أحد الزعامات البيروتية ورائد الحركة الإصلاحية، وعند لقائه به قال له: ” لقد قرأت لائحتم بإمعان، ولقد صدرت الإرادة السنية بتنفيذ قانون الولايات الجديد، وهو يحتوي على بعض مواد لائحتم، فلجنتكم مخيرة بين انتظار ورود القانون او ارسال اللائحة الى الإستانة “^(٧٠). فعاد سليم علي سلام الى لجنة الإصلاح ليستشيرهم في الأمر وأخبرهم بما جرى، فاجتمعت اللجنة وقررت ارسال اللائحة الإصلاحية الى العاصمة العثمانية، وكلفت سليم علي سلام ان يطلب من الوالي ارسالها الى العاصمة فعاد الى الوالي وأخبره بقرار الجمعية وان الجمعية مستعدة لإرسال وفد عنها الى العاصمة من اجل التفاوض بهذا الشأن^(٧١).

كما أبلغ سليم علي سلام الوالي استقالته من عضوية مجلس إدارة الولاية بعد يومين فقط من صدور قرار الوالي بتعيينه عضوا في المجلس من اجل الضغط على الحكومة العثمانية لقبول تلك اللائحة. وكان سليم علي سلام قد انتهت مدة عضويته في مجلس إدارة الولاية ولم يحصل على الأصوات الكافية في الانتخابات الجديدة، لكن الوالي وعلى الرغم

من ذلك وسعياً منه لكسب أحد أبرز الزعماء الإصلاحيين إلى صفه، أصدر أمراً بتعيين سليم علي سلام في المجلس المذكور^(٧٢).

وكانت الجمعية الإصلاحية قد أصدرت قراراً برفض أعضائها لأي منصب أو وظيفة في الحكومة العثمانية لحين الاستجابة لمطالبهم، فعرض الوالي على سليم علي سلام إمارة الحج وهي من الوظائف المهمة التي يطمح لها أي شخص بارز، كذلك عرضت على رضا الصلح ولاية بغداد فرفضها^(٧٣). حتى أنه كانت مدة عضوية عدد من أعضاء مجلس بلدية بيروت قد انتهت ولما أجريت الانتخابات لاختيار أعضاء جدد لم يقدم أحد من الأهالي على الانتخاب إلا القليل، وقدم الأعضاء الجدد استقالتهم أيضاً. وهكذا أوقع الإصلاحيون الحكم العثماني في ولاية بيروت في أزمة حقيقية ارتسمت من خلالها معظم ملامح العصيان المدني^(٧٤).

وتشير المصادر إلى أن توتر العلاقة بين الجمعية والحكومة جاء بعد أن طلب الوالي من سليم علي سلام حذف عبارة "الاستعانة بمستشارين أجانب" من المادة السابعة في اللائحة وهو مطلب خاص بالطائفة المسيحية كما ذكرنا^(٧٥).

وهنا لا بد من الإشارة إلى أمر مهم، وهو أن بعض أعضاء الجمعية من المسيحيين كانوا على ارتباط بفرنسا. وتشير المصادر إلى أن ستة منهم وهم يعادلون نصف عدد الأعضاء المسيحيين كانوا على صلة دائمة بالقنصل الفرنسي في بيروت، وكانوا ينفذون السياسة الفرنسية بصورة سرية داخل اللجنة التنفيذية لجمعية بيروت الإصلاحية، وما كان انضمامهم إلى الجمعية إلا محاولة لكسب المسلمين إلى صفوفهم، وهم متحمسين لضم بيروت إلى متصرفية جبل لبنان تحت الحماية الفرنسية، وهذا الأمر يوضح أيضاً موقف بعض المسيحيين الانفصاليين عن الدولة العثمانية^(٧٦). وقد أرسل الأعضاء المسيحيين في جمعية بيروت الإصلاحية مذكرة سرية إلى القنصل الفرنسي في بيروت في الثامن عشر من آذار ١٩١٣، طالبوا فيها فرنسا ببسط حمايتها على البلاد السورية^(٧٧).

حل جمعية بيروت الإصلاحية وإغلاق مقرها:

لجأ الوالي أبو بكر حازم في ضرب الحركة الإصلاحية وتشيت صفوفها إلى اتباع خطة أخرى في تحركه، أبدى فيها المزيد من الليونة والتعاطف. فقد أغرى الجمعية بأنه

سيرسل لائحتهم الإصلاحية الى العاصمة إسطنبول، وفي الوقت نفسه لمح لأعضائها ان مشروعهم ليس أكثر من مقترحات نظرية لا قيمة لها على الصعيد العملي، وان أعضاء الجمعية ليست لهم أي صفة رسمية^(٧٨).

وهكذا وبعد مراسلات بين الوالي والحكومة المركزية تم رفض اللائحة الإصلاحية وصدر قرار من الإدارة العليا بحل جمعية بيروت الإصلاحية ومنع اجتماعاتها. وبالفعل ففي الثامن من نيسان ١٩١٣ أعلن الوالي قرار حل الجمعية^(٧٩)، ومما جاء في هذا القرار ”بما ان الجمعية التي تشكلت منذ شهرين ونصف من بعض الذوات في بيروت باسم جمعية بيروت الإصلاحية، قد كان تشكيلها مغايرا لقانون الجمعيات، فضلا عن ان بعض المطالب التي اخذ هؤلاء يطالبون بها باسم الإصلاحات، هي منافية أيضا لأحكام القانون الأساسي، وبناء عليه فقد صار من الطبيعي منع دوام واجتماع هذه الجمعية“^(٨٠).

وفي اليوم نفسه بعد اعلان قرار الاغلاق استدعى الوالي مديري الجمعية سليم علي سلام وبترو طراد، وأخبرهما ” ان الحكومة أمرت بقتل مقر الجمعية ومنع اجتماعاتها، لان الحكومة قررت تطبيق قانون الولايات الجديد، وان إعطاء الرخصة كان لا لزوم له“^(٨١)، فرد عليه مديرا الجمعية ” ان الجمعية الإصلاحية قد تشكلت بصورة مطابقة للقانون وهي قائمة على قاعدة اخذت من سياسة جمعية الاتحاد والترقي“^(٨٢)، فأجابها الوالي ”بلى، ان وجود مثل هذه الجمعية لا لزوم له في مثل هذه الأيام، وخصوصا بعد ان اخذت الحكومة على عاتقها تطبيق قانون الولايات الجديد“^(٨٣). فاشتد الجدل بينهما وبين الوالي وبيننا له وخامة العاقبة إذا ما بقي مصرا على قراره، لكنه تمسك بموقفه فتركاه وتوجها الى مقر الجمعية الذي كان يكتظ بقسم كبير من الأهالي، فأبلغاهم بما جرى، ثم اتفق الرأي على ارسال بريقيات اعتراض الى السلطان محمود باشا^(٨٤).

كما رأت إدارة الجمعية انه من الحكمة ان تساير قرار الحكومة فأزلت شعار الجمعية من على مقرها على أمل ان تثمر شكواهم للسلطان بإعادة فتح الجمعية. غير انه في الثاني عشر من نيسان ١٩١٣ صدرت الجرائد بيضاء تخلو من أي خبر الا من امر اغلاق الجمعية محاطة بإطار باللون الأسود دلالة على الحداد، وشوهدت كلاب في شوارع بيروت علق في رقابها بطاقات تحمل اسم الوالي تحقيرا له^(٨٥)، وأقفلت مدينة بيروت

بالكامل احتجاجا على قرار الحكومة، فأمر الوالي بإنزال القوات الحكومية التي أخذت تهدد وتطلب من الأهالي عدم اقفال المحلات^(٨٦)، والصقت على جدران المنازل والمحلات الإعلان التالي: ” شرعت ولاية بيروت بتطبيق القانون الذي يحوي على إصلاحات واسعة، والذي قصد به الباب العالي اجراء إصلاحات لجميع الولايات العثمانية... ان البعض اخذوا بعرقلة معاملات الحكومة ومصالح العباد، وهم لا يزيد عددهم عن الخمسة او الستة، واشاعوا بين الناس انهم اذا اقفلوا حوانيتهم يتخلصون من العسكرية او بعض التكاليف، وشوقهم لعدم فتحها. لا جرم ان الذين يشاركون هؤلاء بتحركاتهم يستلزمون الجزاء الشديد“^(٨٧). وفي الوقت نفسه تلقى والي بيروت تلغراف من الصدر الأعظم تضمن ضرورة اتخاذ الإجراءات اللازمة بحق كل من يثير الفوضى والقاء القبض عليه^(٨٨). وبالفعل امر الوالي بتوقيف عدد من أعضاء جمعية بيروت الإصلاحية بتهمة انهم كانوا يحرضون الأهالي على اقفال محلاتهم وكان عددهم ستة أعضاء^(٨٩). وبالرغم من هذه التحذيرات استمر الأهالي في اقفال محلاتهم فأخذ البوليس العثماني يسجل أسماء أصحاب المحلات المقفلة فقال لهم أحد الأهالي مازحا ” لو عمدتم الى قيد أسماء أصحاب المحلات المفتوحة لهان الامر عليكم“^(٩٠).

وتصاعدت وتيرة الاحتجاجات في بيروت حتى امتدت الى بقية المدن العربية، ففي البصرة شكلت جمعية إصلاحية ووضعت لائحة إصلاحية لولاية البصرة على غرار لائحة بيروت الإصلاحية^(٩١). كما تحرك الأهالي في بغداد لدعم الحركة الإصلاحية في بيروت، فنظموا المظاهرات ورفعوا اللافتات التي تدعو الى الثورة على الاتراك، ثم وضعوا لائحة إصلاحية على غرار لائحة بيروت أيضا، وما ان اقبلت جريدة " المقتبس " الدمشقية على نشرها حتى تعرضت للإغلاق^(٩٢).

وكذلك في طرابلس الشام اجتمع وجهاء المدينة من مسلمين ومسيحيين وأسسوا جمعية إصلاحية - كان نصف أعضائها من المسلمين والنصف الاخر من المسيحيين- طالبت بالاستقلال الإداري لسورية^(٩٣).

كما اجتمع اعيان بعلمك واختاروا من بينهم ثلاثين عضواً حددت مهمتهم بوضع لائحة إصلاحية، وفي دمشق انتهى دعاة الإصلاح أيضا من اعداد لائحتهم الإصلاحية وسلموها للوالي^(٩٤).

وأرسل حزب اللامركزية في مصر احتجاجا الى الدولة العثمانية ووالي بيروت والدول الكبرى، على الإجراءات التعسفية التي اتخذت بحق الحركة الإصلاحية في بيروت. كما أرسلت الجمعية العربية-السورية في باريس بريقة احتجاج الى الحكومة العثمانية تعرب فيها عن اسفها العميق لقرار الحكومة بحل الجمعية الإصلاحية، معتبرة ان كل ما تدعيه الحكومة بشأن الإصلاح هو باطل. ثم حملت السلطة العثمانية مسؤولية اخماد كل حركة إصلاحية تهدف الى انتشار الدولة العثمانية من المخاطر المحدقة بها^(٩٥).

وعلى الرغم من كل ذلك فإن الاتحاديين استمروا في رفضهم لأي محاولة للإصلاح او الموافقة على أي من لوائح الإصلاح التي قدمت لهم من مختلف الولايات العربية، بحجة انه لا حاجة للجان الإصلاحية بسبب تطبيق قانون الولايات الجديد، الذي لم يفي بالغرض المطلوب ولم يحقق طموحات الولايات العربية في حصولها على استقلالها الإداري، بل انهم رأوا ان هذا القانون ما هو الا خطوة نحو مزيد من المركزية^(٩٦).

وحيال هذه المواقف المتصلبة من قبل حكومة الاتحاديين اضطرت الحركة الإصلاحية في بيروت الى التراجع، فتوجه وفد من وجهاء المدينة الى الوالي حازم بك وطلبوا منه إطلاق سراح المعتقلين، لكي تعود الحالة الى طبيعتها وتفتح المدينة والمحال التجارية^(٩٧). وبعد ان عرض الوالي هذا الطلب على الصدر الأعظم وافق على إطلاق سراحهم بشرط ان يأخذ منهم تعهد على ان لا يقوموا بشيء من هذه الحركات في المستقبل، وفي الثالث عشر من نيسان ١٩١٣ تمت تبرئتهم من التهم التي وجهت إليهم والافراج عنهم^(٩٨). وفي اليوم التالي دعا أعضاء جمعية بيروت الإصلاحية وبطلب من الحكومة الأهالي الى إعادة فتح محالهم التجارية والعودة الى حياتهم الطبيعية، وهكذا كانت نهاية الحركة الإصلاحية في بيروت^(٩٩).

- (١) الياس جرجس، ولاية بيروت ١٨٧٨-١٩١٤، بيروت: مطبعة عكار، (د.ت)، ص ٣٠٥-٣٠٦.
- (٢) سليمان موسى، الحركة العربية ١٩٠٨-١٩٢٤، ط٣، بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٨٦، ص ٦٠.
- (٣) عنبرة سلام الخالدي، جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين، بيروت: منشورات الجمل، ٢٠١٥، ص ٧٢.
- (٤) منحه الاتحاديون رتبة "فريق" وعينوه مع بدء الحرب العالمية الأولى قائدا للجيش الرابع المتواجد في سورية، وجعلوا معاونيه وجنوده من العرب، وتظاهروا لهم بحسن المعاملة وأكدوا لهم الاخوة بين العرب والترك وان الوطن واحد ويجب حمايته. وسرعان ما تبدلت سياستهم تجاه هؤلاء العرب، فلم تمضي شهور قليلة حتى اقالوا الفريق زكي باشا الحلبي ليحل بدلا عنه جمال باشا قائدا للجيش العثماني في سورية. ينظر: زبير سلطان قدوري، العسكريون العرب والثورة العربية الكبرى، دمشق: مطبعة اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٨، ص ١٢٦.
- (٥) فواز سعدون، الحركة الإصلاحية في بيروت في أواخر العهد العثماني، بيروت: مؤسسة صائب سلام للثقافة والتعليم العالي، ١٩٩٤، ص ٢٢-٢٣.
- (٦) سليمان موسى، المصدر السابق، ص ٦١.
- (٧) فواز سعدون، المصدر السابق، ص ٢٣.
- (٨) جزيرة رودس: وهي احدى الجزر اليونانية في البحر المتوسط، وتقع بالقرب من الساحل الجنوبي لتركيا. دخلها العثمانيون عام ١٥٢٢ على يد السلطان سليمان القانوني بعد حرب بحرية عنيفة، واحتلها الايطاليون عام ١٩١٢. ينظر: صالح كولن، سلاطين الدولة العثمانية، القاهرة: دار النيل للطباعة والنشر، ٢٠١٤، ص ١٠٤.
- (٩) حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨-١٩٣٨، بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، ١٩٨٢، ص ١٢٦.
- (١٠) المصدر نفسه، ص ١٦-١٧.
- (١١) الخديوي عباس حلمي الثاني ١٨٧٤-١٩٤٤: وهو ابن الخديوي عباس الاول حكم مصر للفترة ١٨٩٢-١٩١٤. ينظر: احمد مصفى، مذكرات عباس حلمي الثاني ١٨٩٢-١٩١٤، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٣؛ صقر يوسف صقر، عائلات حكمت لبنان، بيروت: المركز العربي للمعلومات، ٢٠٠٨، ص ٢٩٤.
- (١٢) حسان حلاق، المصدر السابق، ص ١٧.

دور سليم علي سلام في الحركة الإصلاحية في بيروت (١٩١٢-١٩١٣)

(١٣) حسن زعرور، بيروت التاريخ الاجتماعي ١٨٦٤-١٩١٤، بيروت: المركز العربي للطباعة والنشر، (د.ت)، ص ١١١-١١٢.

(١٤) عبد الله بيهم: أحد الشخصيات البيروتية التي قامت بدور بارز في العهد العثماني والعهد الفرنسي وعهد الاستقلال. تولى امانة سر الدولة للفترة ١٩٣٤-١٩٣٦، وتولاها مرة أخرى عام ١٩٤٣. ينظر: حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص ١٥٦.

(١٥) حسان حلاق، المصدر السابق، ص ١٨.

(١٦) عنبرة سلام الخالدي، المصدر السابق، ص ٦٠-٦١.

(١٧) الأرشيف العثماني. A.MTZ.(05).32.B.257.1 في ٣ أيلول ١٩١٣.

(١٨) حسان حلاق، المصدر السابق، ص ١٩.

(١٩) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(٢٠) أبو بكر حازم بك ١٨٦٣-١٩٤٧: عين واليا على بغداد وقدم استقالته عام ١٩٠٨ بعد خلاف مع ناظم باشا الذي خلفه في ولاية بغداد. ثم عين واليا على بيروت عام ١٩١٣ خلفا لنور الدين بك، وإليه تنسب ضاحية "الحازمية" الواقعة في الجنوب الشرقي من مدينة بيروت. ينظر: خالد السعدون، الولاية العثمانية في العراق ١٩٠٨-١٩١٤، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٩١-٩٢، أيلول-كانون الأول ٢٠٠٥، ص ١٤٢؛ الولاية العثمانية في بيروت، <https://www.yabeyrouth.com>، ١٥ نيسان ٢٠٢١.

(٢١) حسان حلاق، المصدر السابق، ص ١٢٧-١٢٨؛ حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، بيروت: الدار الجامعية، ١٩٨٧، ص ٢٨٠.

(٢٢) أجري الاتحاديون في ربيع عام ١٩١٢ انتخابات نيابية جديدة بعد ان أقدموا على حل مجلس المبعوثان، واستخدموا فيها مختلف أساليب الضغط والتلاعب، فأحرزوا اغلبيه ساحقة في مجلس المبعوثان ولم ينجح من خارج حزبهم سوى اربعة مبعوثين. وأدى استبدالهم في الحكم وفشلهم في الحرب مع إيطاليا الى نفور الرأي العام والجيش منهم. فاستقالت وزارتهم في تموز ١٩١٢ وتألقت وزارة من المعتدلين الائتلافيين وهم الجناح الاخر من جمعية الاتحاد والترقي، وعمدت الوزارة الجديدة الى تطبيق الإصلاح في الولايات العثمانية على أساس اللامركزية كأفضل وسيلة للوقوف في وجه أطماع الدول الأجنبية. الا ان الاتحاديين عادوا الى الحكم بعد ستة أشهر فقط، حيث قاموا بهجوم على رئاسة الوزراء في ٢٣ كانون الثاني ١٩١٣ وقتلوا وزير الحربية وأجبروا كامل باشا على الاستقالة وتألقت وزارة جديدة برئاسة محمود شوكت باشا. ينظر: سنان صادق جواد، موقف جمعية الاتحاد والترقي من الحركة الصهيونية ١٨٨٩-١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٥،

Walter laqueur ,AHistory of Zionism, London:The Trinity press ؛٢٢٠-٢١٨ص

،1972,p.223؛ سليمان موسى، المصدر السابق، ص ٢٩-٣٠.

(٢٣) سلانيك: او سالونيك. وهي احدى ولايات الدولة العثمانية ما بين عامي ١٨٦٧-١٩١٣ والتي تمثل اليوم أجزاء من أراضي اليونان ومقدونيا وبلغاريا، وتبلغ مساحتها ٣٣ ألف كم مربع. ينظر: ولاية سالونيك، <https://m.marefa.org> ، ١٥ نيسان ٢٠٢١.

(٢٤) أدنة: احدى المدن التركية في وقتنا الحالي، وتقع في اقصى الجهة الشمالية الغربية من القسم الواقع في اوربا، وبالقرب من بلغاريا واليونان. أسسها الرومان في القرن الثاني الميلادي وكان يطلق عليها تسمية " ادريانويل" حتى دخلها العثمانيون عام ١٣٦٢م وأصبحت عاصمتهم من ١٣٦٥-١٤٥٣م. ينظر: مدينة ادنة، <https://www.turkpress.co/node/10308> ، ١٥ نيسان ٢٠٢١.

(٢٥) سليمان موسى، المصدر السابق، ص ٢٩-٣٠.

(٢٦) جورج اديب كرم، أحزاب اللبنانيين وجمعياتهم، بيروت: دار النهار للنشر، ٢٠٠٣، ص ١٦٥؛ فواز سعدون، المصدر السابق، ص ٢٤.

(٢٧) ان مطالبة العرب بالاستقلال الذاتي بدت بوادرها في أجزاء مختلفة من الدولة العثمانية لا سيما في شبه الجزيرة العربية ومصر ولبنان وسورية، ولأسباب متباينة وذلك منذ منتصف القرن الثامن عشر. لكن العداء العربي للأتراك ازداد في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ثم استقل أكثر وبلغ ذروته في عهد الاتحاديين نتيجة لسياساتهم المعادية للعرب وبقية العناصر غير العثمانية. ينظر: زين نور الدين زين، نشوء القومية العربية، ط٤، بيروت: دار النهار، ١٩٨٦، ص ٤٤.

(٢٨) احمد قدرى، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، دمشق: مطابع ابن زيدون، ١٩٥٦، ص ٧-١١.

(٢٩) امين سعيد، الثورة العربية الكبرى، ج ١، القاهرة: مكتبة مدبولي، (د.ت)، ص ١٤.

(٣٠) جمعية العربية الفتاة: جمعية سرية تأسست في باريس عام ١٩١١ على يد مجموعة من الطلاب العرب الذين كانوا يدرسون هناك، منهم عوني عبد الهادي وجميل مردم ومحمد المحمصاني وآخرون. كانت تهدف الى استقلال البلدان العربية وتخليصها من الحكم العثماني. انتقل مقرها الى بيروت عام ١٩١٣، وبلغ عدد أعضائها مائتي عضو، وامتازت بوضوح أهدافها ووعي أعضائها. ينظر: إبراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦-١٩١٦، جامعة الموصل: دار ابن الاثير للطباعة والنشر، (د.ت)، ص ٤١٧.

(٣١) جمعية العهد: تشكلت هذه الجمعية من مجموعة ضباط في الجيش العثماني، كان اغلبهم من العراقيين أمثال نوري السعيد وجميل المدفعي. وكان عزيز علي المصري وهو ضابط عربي في الجيش العثماني هو من أسس هذه الجمعية في إسطنبول عام ١٩١٢ بحسب ما ذكر هو، كما ضمت كل من

دور سليم علي سلام في الحركة الإصلاحية في بيروت (١٩١٢-١٩١٣)

سليم الجزائري وطه الهاشمي. وتعد واحدة من الجمعيات السرية التي تأسست في المرحلة التي سبقت الحرب العالمية الأولى، وسميت بهذا الاسم لان انتماء أي عضو إليها يكون بمثابة "عهد" بينه وبين الله على خدمة الوطن. وكان هدف هذه الجمعية هو حصول البلدان العربية على استقلالها. ينظر: المصدر نفسه، ص ٤١٤-٤١٦؛ رأفت الشيخ، تاريخ العرب المعاصر، القاهرة: دار عين للدراسات والبحوث، ١٩٩٦، ص ١٣.

(٣٢) احمد قدرى، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، دمشق: مطابع ابن زيدون، ١٩٥٦، ص ٧-١١.

(٣٣) أدى هذا الحزب دوراً مهماً في الحركة القومية العربية وهدفه السعي لتطوير أسلوب الحكم في ولايات الدولة العثمانية على أساس اللامركزية، أي إعطاء كل ولاية استقلالها الإداري من أجل تطبيق الإصلاحات الضرورية. وطالب هذا الحزب ان يصبح نظام الدولة العثمانية على نمط يشبه نظام الولايات المتحدة الأمريكية، وان تكون في كل ولاية لغتان رسميتان: اللغة التركية واللغة المحلية. وفتحت فروع لهذا الحزب في الأقطار العربية. ينظر: سليمان موسى، المصدر السابق، ص ٣٤-٣٥.

(٣٤) عصام محمد شبارو، المطول في تاريخ بيروت، مج ٣، بيروت: دار النهضة العربية، ٢٠١٨ ص ١٣٩١-١٣٩٢.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ١٣٩٢.

(٣٦) انيس النصولي، عشت وشاهدت، بيروت: ١٩٥١، ص ١٨٦.

(٣٧) فواز سعدون، المصدر السابق، ص ٢٤-٢٥.

(٣٨) محمد جميل بيهم، قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، ج ٢، بيروت: مطابع دار الكشاف، ١٩٥٠، ص ٢٢.

(٣٩) حزب الائتلاف والحرية: أسس هذا الحزب في الثامن من تشرين الثاني عام ١٩١١ على يد مجموعة من المنشقين عن جمعية الاتحاد والترقي ومجموعة أخرى من العناصر المختلفة التي تجمعها فكرة معارضة الاتحاديين، والايان باللامركزية. وقد اعتمد هذا الحزب على بعض الصحف لنشر أفكاره ومبادئه مثل جريدة (تنظيمات)، وفتحت له فروع في عدة بلدان عربية منها العراق. نشر برنامجه السياسي الذي نص على المطالبة باللامركزية مع الحفاظ على الرابطة العثمانية، وشجب فكرة الاعتماد على الفكرة القومية والإسلامية التي من شأنها ان تفكك تلك الرابطة بين عناصر الدولة العثمانية. ينظر: إبراهيم خليل العلاف، حزب الحرية والائتلاف وانتخابات سنة ١٩١٢ في الموصل، <http://www.wallafblogspot.com.blogspot.com>، ٦ تموز ٢٠٢١.

(٤٠) وجيه كوثراني، الاتجاهات الاجتماعية-السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠-١٩٢٠، بيروت: معهد الانتماء العربي، ١٩٧٦، ص ٢٠٥.

دور سليم علي سلام في الحركة الإصلاحية في بيروت (١٩١٢-١٩١٣)

(٤١) نخلة التويني (١٨٥٥-١٩٢٩): انتخب عام ١٨٩٢ عضو في مجلس إدارة ولاية بيروت، وعضو في مجلس بلدية بيروت عام ١٨٩٩. كان من المعادين للدولة العثمانية وحكم عليه بالإعدام ثم عفي عنه، سافر على إثر ذلك إلى سويسرا وعاد إلى بيروت عام ١٩١٨ بعد انهيار الدولة العثمانية. انتخب نائبا عن بيروت في مجلس النواب لعدة مرات وترأس جلسات المجلس عام ١٩٢٢ بصفته رئيس السن. ينظر: <https://www.alnssabon.com/t82606.html> ، ١٦ نيسان ٢٠٢١.

(٤٢) فواز سعدون، المصدر السابق، ص ٢٤-٢٥.

(٤٣) أدهم بك: عين واليا على بيروت خلال الفترة التي تشكلت بها حكومة الائتلافيين عام ١٩١٢ وتم عزله في السنة الثانية من قبل حكومة الاتحاديين وعين حازم بك محله. وكان أدهم بك صديقا للإصلاحيين وداعما للحركة الإصلاحية. ينظر: <https://www.yabeyrouth.com> ، ٩ تموز ٢٠٢١.

(٤٤) حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص ١٢٩.

(٤٥) وجيه كوثراني، المصدر السابق، ص ٢٠٧؛ جورج اديب كرم، المصدر السابق، ص ١٦٦.

(٤٦) أصدر الوالي بلاغا في أواخر كانون الأول من عام ١٩١٢ دعا فيه مجلس إدارة ولاية بيروت للاجتماع للنظر في الإصلاحات التي تحتاج إليها الولاية، فتم اعداد لائحة رسمية وهي تشبه في موادها إلى حد ما اللائحة التي وضعتها لجنة الإصلاح في جمعية بيروت الإصلاحية إلا انها تتعارض مع مطالب الإصلاحيين في الكثير من النقاط الجوهرية وبالتالي سقطت شرعية هذه اللائحة لأنها لم تحظ بتأييد شعبي. ينظر: فواز سعدون، المصدر السابق، ص ٤٩-٥٩؛ وجيه كوثراني، المصدر السابق، ص ٢٠٧.

(٤٧) فواز سعدون، المصدر السابق، ص ٢٦-٢٧.

(٤٨) محمد جميل بيهم، المصدر السابق، ص ٢٢.

(٤٩) حسان حلاق، الابعاد الطائفية والسياسية في مواقع الحكم والسلطة في لبنان، بيروت: الدار الجامعية، (د.ت)، ص ٨.

(٥٠) فاضل حايف كاظم، صائب سلام ودوره السياسي في لبنان حتى عام ٢٠٠٠، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠١٤، ص ١٧.

(٥١) صقر يوسف صقر، المصدر السابق، ص ٢٩٥؛ عنبرة سلام الخالدي، المصدر السابق، ص ٧٣-٧٤.

(٥٢) حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص ١٣٠-١٣١.

(٥٣) المصدر نفسه، ص ١٣١.

دور سليم علي سلام في الحركة الإصلاحية في بيروت (١٩١٢-١٩١٣)

- (٥٤) حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص ٢٠.
- (٥٥) المصدر نفسه، ص ١٣٣-١٣٧؛ حسن زعرور، الحركة الإصلاحية في بيروت أوائل القرن العشرين، مجلة المقاصد (لبنان)، العدد ٥٢، ١٩٨٦، ص ٥٤.
- (٥٦) فواز سعدون، المصدر السابق، ص ٣٥.
- (٥٧) بترو اسكندر طراد (١٨٧٦-١٩٤٧): تلقى تعليمه في بيروت وفرنسا وتخرج من جامعة باريس عام ١٩٠٠ من كلية الحقوق. أحد أعضاء جمعية بيروت الإصلاحية. ترك بيروت عام ١٩١٤ وسافر الى الإسكندرية خوفا من بطش الدولة العثمانية نتيجة لمعارضته للحكم العثماني. عين نائبا عن بيروت في البرلمان اللبناني لعدة دورات في الأعوام ١٩٢٢، ١٩٢٩، ١٩٣٧، ثم انتخب رئيسا للبرلمان. وفي عام ١٩٤٣ أصبح رئيسا للوزراء لفترة مؤقتة. ينظر: إبراهيم كريديه، أبناء الشرق، بيروت: مؤسسة نوفل للطباعة والنشر، ٢٠٠٧، ص ٢٦٥-٢٦٦.
- (٥٨) حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص ١٣٧.
- (٥٩) فواز سعدون، المصدر السابق، ص ٣٨.
- (٦٠) سليمان موسى، المصدر السابق، ص ٢٩-٣٠؛ حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص ١٥٠-١٥١.
- (٦١) حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص ١٥٢.
- (٦٢) فواز سعدون، المصدر السابق، ص ٣٧-٣٨.
- (٦٣) كامل الصلح: من مواليد صيدا واحد المنخرطين في الإدارة المدنية العثمانية. قام بدور بارز في السياسة العثمانية وفي الحركة الإصلاحية. توفي عام ١٩١٧. ينظر: حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص ١٣٠؛ <https://m.marefa.org>، ٩ تموز ٢٠٢١.
- (٦٤) فواز سعدون، المصدر السابق، ص ٣٨-٣٩.
- (٦٥) المصدر نفسه، ص ٣٨-٣٩.
- (٦٦) مجلة المنار (مصر)، العدد ٤، ٨ نيسان ١٩١٣، ص ٢٧٥؛ توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨-١٩١٤، القاهرة: دار الهنا للطباعة، ١٩٦٠، ص ٤٤٦؛ وجيه كوثراني، الاتجاهات الاجتماعية-السياسية، ص ٢٠٨؛ فواز سعدون، المصدر السابق، ص ٤١؛ حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص ١٤٠-١٤١؛ خالد بن إبراهيم بن عبد الله البريان، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين، ج ١، الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع، (د.ت)، ص ١٣٠؛ علي معطي، تاريخ لبنان السياسي والاجتماعي ١٩٠٨-١٩١٨. بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٩٢، ص ١٠٠.

- (٦٧) فواز سعدون، المصدر السابق، ص ٤٧.
- (٦٨) حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص ١٥٣-١٥٥.
- (٦٩) الياس جرجس، ولاية بيروت ١٨٧٨-١٩١٤، مطبعة عكار، (د. ت)، ص ٣٣٦.
- (٧٠) فواز سعدون، المصدر السابق، ص ٨٩.
- (٧١) حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص ١٥٥.
- (٧٢) فواز سعدون، المصدر السابق، ص ٨٩-٩٠.
- (٧٣) عنبره سلام الخالدي، المصدر السابق، ص ٧٤.
- (٧٤) فواز سعدون، المصدر السابق، ص ٩٠.
- (٧٥) حسن زعرور، بيروت التاريخ الاجتماعي ١٨٦٤-١٩١٤، بيروت: المركز العربي للطباعة والنشر، (د. ت)، ص ١١٨.
- (٧٦) عصام محمد شبارو، المطول في تاريخ بيروت، ص ١٣٩٧.
- (٧٧) حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص ٢٤٤.
- (٧٨) الياس جرجس، المصدر السابق، ص ٣٣٧.
- (٧٩) حسان حلاق، بيروت المحروسة، ص ٢٨٢.
- (٨٠) خالد بن إبراهيم بن عبد الله البريان، المصدر السابق، ص ١٣٢.
- (٨١) فواز سعدون، المصدر السابق، ص ٩٧.
- (٨٢) حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص ١٥٨.
- (٨٣) فواز سعدون، المصدر السابق، ص ٩٧-٩٨.
- (٨٤) حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص ١٥٨.
- (٨٥) عنبره سلام الخالدي، المصدر السابق، ص ٧٤؛ علي الورد، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٣، إيران: أمير قم، ١٩٩٢، ص ٢١٣.
- (٨٦) حسان حلاق، بيروت المحروسة، ص ٢٨٣.
- (٨٧) كمال صليبي، الحركة الإصلاحية في بيروت في أواخر العهد العثماني، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد ١٢٧، أيار ١٩٨٩، ص ١٠٤.
- (٨٨) حسان حلاق، بيروت المحروسة، ص ٢٨٢-٢٨٣.
- (٨٩) كمال صليبي، الحركة الإصلاحية في بيروت (٨٩)، ص ١٠٦.
- (٩٠) حسان حلاق، بيروت المحروسة، ص ٢٨٢-٢٨٣.

دور سليم علي سلام في الحركة الإصلاحية في بيروت (١٩١٢-١٩١٣)

- (٩١) علي معطي، تاريخ لبنان السياسي والاجتماعي ١٩٠٨-١٩١٨، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٩٢، ص ١٠٦.
- (٩٢) محمد جميل بيهم، العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب، (د. م): (د. مط)، ١٩٥٧، ص ١٦٢.
- (٩٣) علي معطي، المصدر السابق، ص ١٠٧.
- (٩٤) المصدر نفسه، ص ١٠٧.
- (٩٥) المصدر نفسه، ص ١٠٧.
- (٩٦) جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة: احسان عباس، ط ٨، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧، ص ١٩٠-١٩١.
- (٩٧) علي معطي، المصدر السابق، ص ١٠٨.
- (٩٨) كمال صليبي، الحركة الإصلاحية في بيروت، ص ١٠٨.
- (٩٩) علي معطي، المصدر السابق، ص ١٠٨.

مصادر البحث

- إبراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦-١٩١٦، جامعة الموصل: دار ابن الاثير للطباعة والنشر، (د. ت).
- إبراهيم كريدية، أبناء الشرق، بيروت: مؤسسة نوفل للطباعة والنشر، ٢٠٠٧.
 - احمد قدرى، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، دمشق: مطابع ابن زيدون، ١٩٥٦.
 - احمد مصفى، مذكرات عباس حلمي الثاني ١٨٩٢-١٩١٤، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٣.
 - الأرشيف العثماني. A.MTZ.(05).32.B.257.1 في ٣ أيلول ١٩١٣.
 - امين سعيد، الثورة العربية الكبرى، ج ١، القاهرة: مكتبة مدبولي، (د. ت).
 - انيس النصولي، عشت وشاهدت، بيروت: ١٩٥١.
 - توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨-١٩١٤، القاهرة: دار الهنا للطباعة، ١٩٦٠.
 - جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة: احسان عباس، ط ٨، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧.
 - حسان حلاق، الابعاد الطائفية والسياسية في مواقع الحكم والسلطة في لبنان، بيروت: الدار الجامعية، (د. ت).
 - حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، بيروت: الدار الجامعية، ١٩٨٧.

دور سليم علي سلام في الحركة الإصلاحية في بيروت (١٩١٢-١٩١٣)

- حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨-١٩٣٨، بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، ١٩٨٢.
- حسن زعرور، الحركة الإصلاحية في بيروت أوائل القرن العشرين، مجلة المقاصد (لبنان)، العدد ٥٢، ١٩٨٦.
- حسن زعرور، بيروت التاريخ الاجتماعي ١٨٦٤-١٩١٤، بيروت: المركز العربي للطباعة والنشر، (د. ت.).
- حسن زعرور، بيروت التاريخ الاجتماعي ١٨٦٤-١٩١٤، بيروت: المركز العربي للطباعة والنشر، (د. ت.).
- خالد السعدون، الولاة العثمانيون في العراق ١٩٠٨-١٩١٤، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٩١-٩٢، أيلول-كانون الأول ٢٠٠٥.
- خالد بن إبراهيم بن عبد الله البريان، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين، ج ١، الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع، (د. ت.).
- رأفت الشيخ، تاريخ العرب المعاصر، القاهرة: دار عين للدراسات والبحوث، ١٩٩٦.
- زبير سلطان قدوري، العسكريون العرب والثورة العربية الكبرى، دمشق: مطبعة اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٨.
- زين نور الدين زين، نشوء القومية العربية، ط ٤، بيروت: دار النهار، ١٩٨٦.
- سليمان موسى، الحركة العربية ١٩٠٨-١٩٢٤، ط ٣، بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٨٦.
- سنان صادق جواد، موقف جمعية الاتحاد والترقي من الحركة الصهيونية ١٨٨٩-١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٥.
- صالح كولن، سلاطين الدولة العثمانية، القاهرة: دار النيل للطباعة والنشر، ٢٠١٤.
- صقر يوسف صقر، عائلات حكمت لبنان، بيروت: المركز العربي للمعلومات، ٢٠٠٨.
- عصام محمد شبارو، المطول في تاريخ بيروت، مج ٣، بيروت: دار النهضة العربية، ٢٠١٨.
- علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٣، ايران: امير قم، ١٩٩٢.
- علي معطي، تاريخ لبنان السياسي والاجتماعي ١٩٠٨-١٩١٨. بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٩٢.
- عنبرة سلام الخالدي، جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين، بيروت: منشورات الجمل، ٢٠١٥.
- فاضل حايك كاظم، صائب سلام ودوره السياسي في لبنان حتى عام ٢٠٠٠، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠١٤.

دور سليم علي سلام في الحركة الإصلاحية في بيروت (١٩١٢-١٩١٣)

- فواز سعدون، الحركة الإصلاحية في بيروت في أواخر العهد العثماني، بيروت: مؤسسة صائب سلام للثقافة والتعليم العالي، ١٩٩٤.
- كمال صليبي، الحركة الإصلاحية في بيروت في أواخر العهد العثماني، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد ١٢٧، أيار ١٩٨٩.
- مجلة المنار (مصر)، العدد ٤، ٨ نيسان ١٩١٣، ص ٢٧٥.
- محمد جميل بيهم، العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب، (د. م): (د. مط)، ١٩٥٧.
- محمد جميل بيهم، قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، ج ٢، بيروت: مطابع دار الكشاف، ١٩٥٠.
- وجيه كوثراني، الاتجاهات الاجتماعية-السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠-١٩٢٠، بيروت: معهد الانماء العربي، ١٩٧٦.
- الياس جرجس، ولاية بيروت ١٨٧٨-١٩١٤، بيروت: مطبعة عكار، (د. ت).

عقوبة الزنى في قوانين الشرق الأدنى القديم

**أ.م.د. جيا فخري عمر
الجامعة التقنية الشمالية
المعهد التقني / كركوك**

عقوبة الزنى في قوانين الشرق الأدنى القديم

أ.م.د. جيا فخري عمر

ملخص

اتفقت المجتمعات قاطبة على أن من أهم المهمات التي تلقى على الأخلاق هي تنظيم العلاقات الجنسية، وتكشف المصادر المسمارية عن تقليد قانوني شائع في علاج الزنا، تعود الاختلافات الواضحة إلى طريقة العرض التي استخدمتها قوانين القديمة، فكان الزنا جريمة على الزوج من قبل طرفين: الزوجة والعشيق، وكان الزنا في نفس الوقت خطيئة يمكن أن تؤدي إلى عقاب إلهي، وكانت الخيانة الزوجية قبل الزواج تخضع لقواعد مماثلة، يتم التعامل مع الزنا من خلال عدد من قوانين الشرق الأدنى القديم والرموز المسمارية والكتابية على حد سواء، مثل الأحكام الموجودة في قوانين بلاد الرافدين، والمملكة الحثية، وفي مصر، أما في التوراة فقد اعتبرت عقوبة الخيانة الزوجية هي الإعدام في القانون التوراتي (سفر التثنية)، ويعتبر زنى الزوجة خطيئة في حق الله، ويشير نص بابلي إلى الزنا على أنه (جريمة كبيرة مميتة).

لقد شرعت القوانين والمراسيم والإصلاحات الملكية منذ الألف الثالثة ق.م، وقد سبق القوانين المدونة فترة طويلة اعتمد فيها المجتمع على الأعراف والتقاليد في حسم قضايا الزنى وتثبيت حقوق الزوج وأحياناً الزوجة، وقد سيطرت على مجتمعات الشرق الأدنى القديم مفهوم شائع ومتعارف عليه بضرورة اتخاذ موقف متشدد من الزوجة الخائنة، وغض النظر عن الرجل في حالة خيانتته لزوجته، وحتى شروط الزواج كانت الأرجحية في الحقوق للرجل فله حق الطلاق، وتعدد الزوجات، وغالبية عقود الزواج التي وصلتنا تتضمن طلب الزوج الانفصال عن زوجته، والملاحظ في الأسباب الشرعية للطلاق أنها تلتزم جانب الرجل على حساب المرأة، إلا في حالات نادرة كما ورد في النصوص القضائية السومرية بان من حق المرأة أن تطلب الطلاق من زوجها إذا قام الزوج فعلاً بأعمال تسيء إليها وإلى حقها كزوجة، ولهذا هناك واجبات أساسية على الزوجة في محافظة المرأة وحرصها الكامل على حقوق الرجل الزوجية، ويعني ذلك الاحتشام، والمحافظة على العفة، وحسن السلوك، والتصرف، وعدم إقامة علاقات غير شرعية مع رجال آخرين، والامتنال التام لرغبات الرجل، فعندما يتم القبض على زوجة رجل في وضع غير محتشم (اضطجاع) مع رجل آخر يكفي هذا الأمر من الناحية القانونية فسخ رباط الزوجية، ولكن على حساب المرأة فقط والحكم عليها بالموت، والغريب في الأمر برمته أن عقوبة المرأة الخائنة في بلاد الرافدين هو ذاته في بلاد الشام، وبلاد الأناضول، وحتى في مصر، و كانت العقوبة التي تفرضها مجتمعات الشرق

الادنى القديم هي عقوبة القتل وانهاء حياة الزوجة الخائنة وكذلك تشمل الزاني ايضا، ولكن إذا عفى الزوج عن زنى زوجته فالاعفاء يشمل الزاني ايضا.

Summary

All societies agreed that one of the most important tasks assigned to morality is the regulation of sexual relations, and cuneiform sources reveal a common legal tradition in the treatment of adultery. At the same time, adultery was a sin that could lead to divine punishment, and marital infidelity before marriage was subject to similar rules. And the Hittite kingdom, and in Egypt, and in the Torah, the penalty for treason was considered the death penalty in the biblical law (Deuteronomy), and the adultery of the wife is considered a sin against God, and the Babylonian text refers to adultery as (a great and deadly crime).

Laws, decrees, and royal reforms have been legislated since the third millennium BC. The codified laws preceded a long period in which society relied on customs and traditions in resolving adultery issues and establishing the rights of the husband and sometimes the wife. The ancient Near East societies were dominated by a common and recognized concept of the need to take a hard stance. Of the unfaithful wife, and the man turned a blind eye in the event of his betrayal of his wife, and even the conditions of marriage were the most likely rights for the man, he has the right to divorce, and polygamy, and the majority of marriage contracts that we have received include the husband's request to separate from his wife, and it is noted in the legitimate reasons for divorce that they adhere to the side of the man on The woman's account, except in rare cases as stated in the Sumerian judicial texts that the woman has the right to ask for a divorce from her husband if the husband actually performs acts that harm her and her right as a wife. That is modesty, the maintenance of chastity, good behavior, conduct, not having unlawful relations with other men, and full compliance with the desires of a man, when the wife of a man is arrested in an indecent position (lying down). With another man, this matter is sufficient from a legal point of view to annul the marital bond, but at the expense of the woman only and to sentence her to death, and the strange thing in the whole matter is that the punishment for the unfaithful woman in Mesopotamia is the same in the Levant, Anatolia, and even in Egypt, and the punishment was The punishment imposed by the societies of the ancient Near East is the death penalty and the end of the life of the unfaithful wife, as well as the adulterer as well. But if the husband pardons his wife, the exemption includes the adulterer as well.

الزنا هو شكل معين من أشكال الخيانة الزوجية، ويعرف الزنا بالنصوص البابلية بأنه (الجماع الجنسي بالتراضي بين امرأة متزوجة مع رجل آخر غير زوجها)، كما نلاحظ في هذا التعريف فان سلوك المرأة هو الأساس والحاسم، قد يفترض أن الرجل يمارس الجنس مع أي امرأة أخرى ماعدا المرأة المتزوجة، لأن مثل هذا السلوك كان دائما غير لائق بالنسبة للمرأة المتزوجة أو غير متزوجة^(١)، ولذلك تم تحذير الشباب لتجنب مثل هذا الموقف: (لا تضحك مع شابة متزوجة، هذا يسبب قدرا كبيرا من القيل والقال)، أو (يا بني لا تجلس في غرفة مع امرأة متزوجة)^(٢).

ولأجل التعريف أكثر عن الزنى نجد في القانون الآشوري إشارة للفعل (nâku) الذي يرمز تحديدا إلى العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج، ووفقا للباحث (Heeßel)^(٣) يجب أن تكون الكلمة قد حملت إichاءات من العار لأنها تستخدم دائما للإشارة إلى السلوك غير الأخلاقي، ويعني الفعل (nâku) في الأساس (الجماع) كما وردت في بعض المواد القانونية من العهد الآشوري الوسيط ففي (المادة ١٢): (إذا مرت زوجة رجل في الشارع (عمومي) ومسكها رجل وقال لها ، (دعيني اضاجعك nâku)، إذا رفضت ودافعت عن نفسها بغيرة وحماس...)^(٤)، وفي (المادة ١٧): (إذا قال رجل لرجل (آخر) ان زوجتك زانية nâku)، ولم يكن لديه شهود (حول صحة قوله)...)^(٥)، وايضا (المادة ٢٣): (إذا أدخلت زوجة رجل، زوجة رجل (آخر) إلى بيتها وقدمتها إلى رجل بقصد الزنا (nâku)، وإذا كان الرجل يعلم انها زوجة رجل...)^(٦)، وهكذا فان (nâku)، أو (niâku) في الواقع كلمة تعني (الجماع)، والفعل (nâku)، لا يعني الاتصال الجنسي الشرعي للزوجين بمعنى لا تستعمل الكلمة (nâku) في العلاقات الزوجية، بل لها طابع ازدراي واضح: فتستعمل الكلمة في الاتصال الجنسي غيرالشرعي وغير الأخلاقي والعمل غير القانوني، على سبيل المثال الزنى بين امرأة متزوجة ورجل غريب، والجماع لمثلي الجنس، أو كاهنة المعبد التي لا يحق لها الاتصال جنسيا، وما دام الكلمة تستخدم للممارسة الجنسية غير الأخلاقية فقد وصف الفعل (nâku) بأنه يسبب الأمراض الجنسية^(٧)، ولهذا حرص سكان بلاد الرافدين على رفض الزنى تماما والتأكيد على الزواج لغرض الانجاب كما في تعويذة تتلى عند الولادة (من ماء الجماع خُلق العظم)^(٨).

يحدث الزنا والخيانة الزوجية في الغالب بالتراضي، يمكن الاستدلال على هذا من المثل السومري: (تلائم العصا الخائنة وعاء الخائنة)^(٩)، ولكن الموافقة المتبادلة بين (الزاني والزانية) تحتاج إلى إثبات، ولذلك تتحدث قوانين بلاد الرافدين القديمة عن شخص أجبر على ممارسة الجنس خارج نطاق الزواج، ويدخل ضمن نطاق الاغتصاب، ففي القانون الحثي (المادة ١٩٧) يوجد ثلاثة اشكال تحدد ظروف الزنى: (إذا استولى رجل على امرأه في منطقته جبليية)^(١٠)، فالرجل مذنب ويجب ان يقتل، لكن اذا

استولى عليها في منزله فالمرأة مذنبه ويجب ان تقتل، اذا عثر عليهما زوج المرأة وهما في حالة المضاجعة ! وقام بقتلها، فلا قصاص عليه^(١١)، يوضح الباحث (Saporetti) أن المرأة التي تم مضاجعتها (في الجبال) كانت ضحية اغتصاب رجل عفيف، اما المرأة المأخوذة (في المنزل) سيُنظر إليها على أنها قد أغرت شريكها وبالتالي يتم إعدامها، وفي الحالة الثالثة وافق الطرفان على فعل الزنا، ووافق الزوج على قتلها كعقاب لها على موافقتها^(١٢).

المبحث الاول

المساواة في عقوبة الزانى والزانية

النساء اللاتي يوافقن على الزنا

لا يتم توجيه اللوم على الرجال عند النظر إلى النساء، وللبابليين كلمة خاصة لمثل هذه المشاهدة (النظر بشهوة) (balāšu)^(١٣)، ففي قوانين حمورابي (المادة ١٥٩) تتناول: (إذا جلب رجل هدية الخطوبة إلى بيت عمه واعطى المهر، ونظر (بعدئذ) إلى امرأة ثانية وقال لعمه: (لن أتزوج ابنتك) ، فلوالد الفتاة ان يأخذ كل شيء كان قد جلبه اليه)^(١٤)، نستنتج ان رفض الاتفاق مع أسرة البنت بعد دفعة المهر تدل على عدم الاحترام من جهة والنظر بشهوة على امرأة ثانية، فعبارة (لن أتزوج ابنتك) قد يسبب لها عدم الزواج من شخص اخر خاصة في مجتمع مغلق يحكم على تصرفات النساء بالشك والريبة ويتهم النساء على الفور ويصبحن عرضة للشك حتى لو استدارت النساء برؤوسهن^(١٥)، وتذكر النصوص المسمارية القديمة بان المرأة المخطوبة أو المتزوجة من رجل وصفها البابليون بتعبير نصرت (našrat) بمعنى (عفيفة)، وعلى النقيض من التعبير السابق نجد صفة (gad·about)^(١٦)، والاعتقاد الخاطيء بأنها تميل إلى السلوك السيئ وهذا يؤدي إلى ما هو الأسوأ فتوصف كلمة (gad·about) البغايا وهي مشتقة من الفعل وصو (wašû) بمعنى (الخروج) وبالتالي فإنها (امرأة مشهورة بالخروج من منزلها)^(١٧).

يُعتقد في الشرق الأدنى القديم (وحتى الآن وعلى نطاق واسع) أن البادئ بأي فعل من أفعال الزنا هي المرأة، وتميل النصوص الأدبية إلى وضع الذنب على النساء لكونهن محرضات لارتكاب الزنا، فهناك الكثير من الأمثال تحذر الرجال منها^(١٨)، فعلى سبيل المثال: (يا بني لا ترفع نظرك إلى امرأة متبرجة متكحلة ولا تشتهيها في قلبك، لأنك إن أعطيتها كل ما ملكت يداك، لن تجد فيها خيرا، وترتكب إثما أمام الآلهة)، و (يا بني لا تفسق بامرأة صاحبك لئلا يفسق آخرون بامراتك)^(١٩)، ولعل اشهر القصص هي قصة النبي يوسف (ع) مع زوجة عزيزمصر التي ورد ذكرها في التوراة، والقرآن^(٢٠)، وفي الشرق الأدنى ينظر للحب ليس أكثر من الإشباع الجنسي، وان المرأة مذنبه بارتكاب الزنا أو بأي نوع من المعاشرة خارج نطاق الزوجية، ويتم وضع الاثم دائما على المرأة^(٢١).

عقوبة الزنى في قوانين الشرق الأدنى القديم

تضم النصوص البابلية على عدة تنبؤات حول المرأة غير المخلصة، بالمقابل عدد قليل عن الرجل غير المخلص^(٢٢)، والكلمة الأكادية للحبيب السري (الزاني) تعني حرفياً (من يدخل خلصة) موشتاريقو (muštarriqu) (يقابلها بالعربي مستطرق)، كما ان بعض الفؤول المستمدة من قراءة كبد الاضاحي من الأغنام تذكر حالات غير عادية وشبه سرديّة وتخلق أجواء من الشك والريبة مثل:

- زوجة الرجل ستقتل زوجها.

- تكتب زوجة الرجل باستمرار لعشيقتها السري (muštarriqu)، (اقتل زوجي وتزوجني!)

- تكون زوجة الرجل حامل من قبل رجل آخر^(٢٣)

- تنام زوجات الرجال بين احضان رجال آخرين^(٢٤)

لقد تم إدانة الزنا باعتباره أمراً مستهجناً أخلاقياً^(٢٥)، وتذكر الإشارات في النصوص الأدبية والطقوس إلى بعض الأفعال مثل: (الاقتراب من زوجة زميل)، و (الذهاب سرا إلى زوجة صديقه)^(٢٦)، و (النوم مع زوجة شخص آخر)، و كانت الخطايا الفظيعة تحتاج إلى تطهير رسمي في المعبد وتحت اشراف كاهن^(٢٧).

ذكرت دعوى قضائية تتعلق بجريمة قتل اشترك فيها ثلاث اشخاص في قتل موظف يعمل في المعبد، واخبروا زوجة القتيل بعملهم والتزمت زوجة المقتول بالصمت، وتم تبرئة المرأة وفرضت العقوبة على القتلة، ولا يمكننا أن نقول ان المقصود بهذه القضية تهمة الزنا أو كان الدافع الفعلي وراءه^(٢٨)، وهناك دعوى قضائية أخرى، والتي كانت أيضاً مثالا لغرض التعليم في المدارس نيبور (Nippur)، وكانت بالتأكيد قضية زنا: فقد اتهمت فيها امرأة متزوجة بارتكاب سلسلة من الجنح الخطره: حيث اقتحمت غرفة المؤمن العائد لزوجها، وأحدثت ثقباً سرياً في برميل زيت السمسم، ثم تم اكتشافها في الفراش مع رجل، وعندما أمسك زوجها بهما قام بربطهما ببعضهما البعض بالسرير، وعوقبوا بالضرب والإهانة علانية، وقام ممثل عن الملك بجرها في جميع أنحاء المدينة، وما يلي بيان غير واضح حول الطلاق:

(تزوج إرا-مالك (Erra-malik) من عشتار-أومي (Ištar-ummi) ابنة إيلي-أسو (Ili-asû)، في المقام الأول اقتحمت مخزنه، في الموضع الثاني، صنعت فتحة في جرة الزيت وغطتها بقطعة قماش، ثالثاً مسكها مع رجل، ربطها مع جسد الرجل الآخر على السرير، وحملها إلى المجلس (محكمة نيبور)، ولأنها تم القبض عليها مع رجل آخر، قرر المجلس ... نقود الطلاق .. حلقوا لها العضو التناسلي، وثقبوا أنفها بسهم، سلمها الملك للتشهير بها في جميع أنحاء المدينة، إنه قرار الملك، وكان إشمي-داجان-زيمو (Išme-Dagan-zimu) ممثل عن الملك)^(٢٩).

لقد فسر الباحث (Van Dijk) هذه القضية في وقت سابق على أنها حالة طلاق بسبب (المثلية الجنسية) للزوج، لكن نص القضية لا يعطي سرداً متماسكاً ولا يتوافق مع معرفتنا بالظروف الاجتماعية

عقوبة الزنى في قوانين الشرق الأدنى القديم

في بلاد الرافدين^(٣٠)، اما الباحث (Durand) فقد قدم مؤخرا تفسيراً مختلفاً لسوء سلوك الزوجة، فقد تشاجرت الزوجة مع زوجها^(٣١) كما في الفقرات التالية:

(السطر ١٢: (ugu-lú-ka in-dab₅ = ina muḫḫi mutim iṣabit) بمعنى (منعته من الجماع).

(السطر ١٣: (su - lú inim gišná-a-kéš -) (هي ألزمت الزوج على احترام مسألة الفراش)، فاصبح الزوج كارها وغير ودي معها.

(السطر ١٦: (mu lú ugu.na al. dab₅ .ba. aš)، (حصل على الطلاق بدون غرامة مالية).

فسر الباحث (Durand) المعنى الحرفي للعبارة السومرية التي تحتوي على حق الزوج في الطلاق بدون عقوبة مالية بان السبب هو (سوء سلوك زوجته)، وليس بسبب الشجار مع زوجته، ويقارنه مع استخدام مصطلح (الكراهية)^(٣٢) في المادة (142) من قانون حمورابي (إذا كرهت امرأة زوجها وقالت له لا تاخذني (لا تضاجعني)، ففي ادارة بلدتها سوف يدرس سلوكها، فإذا كانت محتزسة ولم ترتكب خطيئة، بينما زوجها يخرج كثيرا من البيت، ويحط من شأنها، فلا جرم على تلك المرأة، ويمكنها ان تأخذهديتها(التي جلبتها من بيت أبيها) وتذهب إلى بيت والدها)^(٣٣)، لكن الفعل (كره أو أبغض)

(zêru) في قانون حمورابي هو مصطلح قانوني تقني يستخدم فقط بالتزامن مع العمل السلوكي ومصمم لإظهار أن الإجراء المعني كان قد اتخذ لأسباب تتعلق بأفعال وهي (سوء السلوك)، وقد فسّر الباحث (Greengus) تهمة السرقة من مخزن الزوج بأن الزوجة بصفتها سيدة المنزل ستتمكن من الوصول إلى مخزن زوجها وسرقتها، لكن ترجمته لعبارة (اختزقت جداره)، بمعنى حاولت الهرب، فقد افترض الباحث (Greengus) بأن سيدة المنزل (الزوجة) كانت سجيناً في منزلها^(٣٤).

علق الباحث (Lafont) أنه من المحتمل جداً أن يتم إعدام المرأة في المدينة^(٣٥) كما ورد في قانون اور-نمو (المادة ٤): (إذا اغوت زوجة رجل بمفاتها رجلاً آخر بحيث أنه ضاجعها (فللزوج الحق) في ان يقتل المرأة (أي زوجته)، ولكن يجب اطلاق سراح الرجل (الذي اغوته تلك المرأة)، وفي قانون حمورابي (المادة ١٢٩): (إذا ضبطت زوجة رجل مضطجعة مع رجل آخر، فعليهم ان يربطوهما معا ويرموهما في الماء...)^(٣٦)، مهما كان الامر فان القصد من هذا النص اعلاه أن يكون مفيداً لتلاميذ المدارس في ذلك الوقت، وكان الأولاد عادة مليئين بالخيال، يبدو أن الخيانة الزوجية قد اعتبرت من نقاط الضعف النموذجية لسوء السلوك الأنثوي^(٣٧)، وكان من المستحسن إصدار الحكم من الملك كلما تم التهديد بعقوبة الإعدام، وبهذه الطريقة يتم تجنب في حالات الكذب أو الانتقام من طرف الزوج أو أحد الاشخاص الحاقدين^(٣٨).

وفقاً لدعوى قضائية نموذجية أخرى، تم القبض على امرأة وهي بين ذراعي رجل^(٣٩)، ومن اللافت للنظر أن الملك أعلن موافقته على العقوبة على ما ورد في الدعوى القضائية، ويمكننا أن نقول إنه كان من الأفضل أن ندع الملك يقرر بدلاً من أن الثار الشخصي بين المتخاصمين، وهناك فقرة غير عادية

عقوبة الزنى في قوانين الشرق الأدنى القديم

في رسالة بابلية قديمة، أوضحت فيها امرأة كانت مخطوبة وكيف كادت أن تضل، وأعلنت أن (الزوج) بريء كما ورد في الرقيم الطيني:

(غفرت زوجة سين - ادينام (Sîn-iddinam) (؟) (ipšur) نفسها من الذنب بالطريقة التالية: (قبل أن يتزوجني سين - ادينام (ahāzu) بمعنى (قبل ان ياخذها) (أو ضاجعها)، كنت أتفق مع الأب والابن، عندما غادر سين - ادينام منزله، أرسل لي ابن أسقدوم (Asqûdum) رسالة قال لي: (أريد أن أتزوجك (ahāz). فقبل شفتي، ولمس وعائي، لكن عصاه لم تدخل وعائي، وقلت له: (لن أرتكب أي خطأ ضد سين - ادينام، الذي لم يخطئ ضدي في منزلي، لذلك لم أفعل شيئاً غير لائق)^(٤٠).

تنظر المواد القانونية بعناية في وضع المرأة التي تتصرف بهذه الطريقة، لتحديد إذا كانت بالفعل زوجة صالحة، وتهدف بعض المواد في قوانين اشنونا (Ešnunna) إلى صياغة تعريف (للزوجة) و (المرأة المتزوجة) اشاتو (aššatu) على وجه التحديد لتحديد ما إذا كان قد تم ارتكاب الزنا أم لا:

- (المادة ٢٨): (إذا تزوج (ahāzu) رجل امرأة بدون سؤال أبيها وأمها، ولم يقيم وليمة ليلة الزفاف ولم يكتب (بذلك) عقداً مختوماً مع ابنيها وأمها، فلا تعتبر (هذه المرأة) زوجة شرعية (aššatu) حتى لو عاشت في بيته سنة كاملة).

- (المادة ٢٩): (ولكن إذا أقام وليمة ليلة الزفاف وكتب العقد مع أبيها وأمها ودخل بها فانها (في هذه الحالة) زوجة شرعية (aššatu)، ويوم يقبض عليها في حضان رجل (آخر) يجب أن تموت ولا تستمر على قيد الحياة)^(٤١).

أما في قانون حمورابي فنرى مواد قانونية مشابهة:

- (المادة ١٢٨): (إذا اتخذ رجل زوجة (له) ولم يدون عقدها (أي عقد الزواج)، فإن هذه المرأة ليست زوجة شرعية (aššatu).

- (المادة ١٢٩): (إذا ضبطت زوجة رجل مضطجعة مع رجل آخر، فعليهم ان يربطوهما معا ويرموهما في الماء، فاذا رغب الزوج في الابقاء على حياة زوجته، فالملك يبقي على حياة خادمه (أي الرجل الاخر)^(٤٢).

يتفق كلا القانونين (اشنونا وحمورابي) على أنه إذا كانت المرأة تعيش مع رجل وليس لديها عقد زواج فلا يجوز أن تعامل كزانية^(٤٣).

التعامل بالمساواة في عقوبة الزنى لكلا الطرفين

في قوانين حمورابي من (المواد ١٢٩-١٣٦)^(٤٤) تشير إلى واجب المرأة في الحفاظ على الإخلاص لزوجها، وإتاحة الفرصة للزوجة للإفلات من العقاب:

عقوبة الزنى في قوانين الشرق الأدنى القديم

- (المادة ١٢٩): فإذا رغب الزوج في الإبقاء على حياة زوجته، فالمملك يبقي على حياة خادمه (أي الرجل الآخر)، من حيث المبدأ ، تم إعدام كلا الطرفين في تهمة علاقة الزنا، لكن في (المادة ١٢٩) يوضح أن العقوبة المعتادة قد تحتاج إلى تعديل، فأن المشرع البابلي يريد ان يغير العقوبة في (المادة ١٢٩) لإظهار أن هناك إمكانية لعنصر الرأفة، ويمكن للزوج المخدوع أن يغفر لزوجته ما فعلته، وحتى في حالة السرقة نجد عنصر الرأفة كما في (المادة ٤) من العهد الاشوري الوسيط : (....) وفي حالة عدم معاقبة الزوج لزوجته، فلا يجوز قطع اذني وانف العبد أو الامة، (ولذلك فان) هذه السرقة سوف لا تحتاج إلى عقاب^(٤٥) ، وفي (المادة ١٥) من العهد الاشوري الوسيط حالة ضبط رجل رجلا (آخر) مع زوجته واتهمه واثبت التهمة فمن حق الزوج قتل زوجته ولكن نرى في الفقرة الاخيرة من نفس المادة القانونية (...) اما إذا عفا الزوج عن زوجته، فعليه ان يعفو عن الرجل (الجاني كذلك)^(٤٦)، كما ورد في المواد القانونية الأخرى، أراد المشرع العراقي القديم أن يعامل الزاني بالمثل، يمكن أن يُسمح للرجل الزاني بالحرية إذا تم العفو عن الزوجة الخائنة، واعتقد هذا ابتكار بتقديم معاملة متساوية لكلا الطرفين، ولو عدنا إلى (المادة ١٢٩) ورد عبارة (فالمملك يبقي على حياة خادمه) (الكلمة الأكديّة (wardu) تعني عبد وخادم) لماذا يذكر الملك (عبده)؟ هذا ليس بالسؤال السهل للإجابة عليه، فكلمة (العبد) يمكن تستخدم هنا للإشارة إلى أن الرجل المعني كان أحد رعايا الملك، أو شخصا تابعا، عموما اراد المشرع العراقي القديم المساواة في معاملة الاثنين هما (عبيد) من قبل أسياد: كان الزوج (سيد) على زوجته، في حين كان الملك هو سيد الرعية .

نصت (المادة ١٩٨) من القوانين الحثية : (إذا الزوج جلبهما الى بوابة القصر) بمعنى محكمة الملك، وقال: (لا تقتلوا زوجتي) فهو قد منحها الحياة، وكذلك العفو يشمل العشيق، لكن عليه ان يضع علامة على راسه)^(٤٧)، من نص المادة يظهر ان الملك يمكنه اتخاذ القرار النهائي لإظهار الرحمة لكلا الطرفين المتهمين بالزنا، بمجرد أن يقوم الزوج المخدوع بإحضار كلا الجناة إلى بوابة القصر، اما العبارة التي وردت في (المادة ١٩٨) (يغطي رأسه) ربما يضع شيء ما على رأسه في حالة العفو عن زوجته الزانية ، ولكن هناك رأي للباحث (Tsevat) فقد ترجم العبارة إلى (ربما، يجعلها ترتدي الحجاب) ومن وجهة نظره أن الحجاب ليس جزء من العقاب على زنا الزوجة لكن عليها أن تلتزم منزلها وهو) ربما، يجعلها ترتدي الحجاب)^(٤٨)، وعلق الباحث (Hoffner) في ترجمته (المادة ١٩٨) بان (كلاهما سيموتان) بانهم (يدحرجون العجلة) ولا نعرف طبيعة وعمل العجلة كعقوبة فالمعنى مجهول^(٤٩)، فالحجاب هنا هو تأكيد الزواج، ومعاملة الزوجة والحبیب متكافئة^(٥٠)، لم تكن هذه هي الحالة الوحيدة في المواد القانونية الحثية التي تعطي الحق للملك في العقوبة بالتساوي أو ابداء الرحمة^(٥١).

ان وراء معاملة كلا العاشقين على قدم المساواة من الممكن أن تكون هناك رغبة في (لعبة خداع) يخطط لها الزوجان، فيمكن ان نتصور الوضع بان يرتب الزوجان لإغواء رجل حتى يعاقب بالإعدام،

عقوبة الزنى في قوانين الشرق الأدنى القديم

بينما تهرب المرأة مع زوجها عندما يمنحها زوجها العفو، وهذا ما نلاحظه في قانون حمورابي (المادة ١٢٩) الذي الغى المشرع البابلي مثل هذه اللعبة الخبيثة^(٥٢)، أن بناء (المادة ١٢٩) مدروسة بذكاء، ويبدو أن الإصلاح في هذه (المادة ١٢٩) هو أن المرأة لم تكن الوحيدة التي يُعاقب عليها بل هي وعشيقها وعوقبوا بالتساوي، ومحتمل أن معاقبة كلا الطرفين بالتساوي كان أيضا مبدأ أساسيا في القوانين من العهد الاشوري الوسيط (المواد ٤ و ١٣ و ١٥ و ٢٣)^(٥٣).

تذكر القوانين الرافدينية مشكلة ما يجب فعله بالرجل، وقد أثير هذا في وقت مبكر في قانون اور- نمو (المادة ٤) (إذا اغوت زوجة رجل بمفاتها رجلا آخر بحيث انه ضاجعها (فللزوج الحق) في ان يقتل المرأة (أي زوجته) ولكن يجب اطلاق سراح الرجل (الذي اغوته تلك المرأة)^(٥٤)، هنا نفترض أن الزاني لم يكن يعلم أن الزانية كانت متزوجة، لأنها كانت تتصرف كعاهرة في عرض مفاتها، فلا يضر من ابتغاهما، فقد لا يكون العمل الجنسي قد حدث في المكان الذي عاشوا فيه، وهو ظرف وصف بشكل أوضح في قوانين العهد الاشوري الوسيط، حيث نرى مرة أخرى امرأة تأخذ زمام المبادرة:

- (المادة ١٣) : (إذا خرجت زوجة رجل من بيتها وذهبت إلى مسكن رجل (آخر)، وضاجعها وهو يعرف أنها متزوجة، فالرجل والمرأة يقتلان).

- (المادة ١٤) : (إذا ضاجع رجل زوجة رجل في بيت للدعارة أو في شارع (عمومي) وهو يعرف أنها متزوجة، فان هذا الرجل سوف يعامل (=يعاقب)، إذا صرح زوج (تلك المرأة) بأنه سوف يعامل (=يعاقب) زوجته، وإذا كان لا يعرف أنها متزوجة ولذلك ضاجعها، فإنه برىء، وعلى الزوج معاقبة زوجته وله ان يفعل بها ما يشاء)^(٥٥).

نرى في (المادة ١٣) أنها تشكل حالة زنا لانها حدثت بالتراضي في منزل رجل آخر، ومن المحتمل أن المرأة تركت منزلها الان زوجها كان غائبا لفترة طويلة، وهذه المادة تشابه ما ورد في قانون حمورابي (المادة ١٢٩)، ومرة أخرى، فإن العقوبة المتساوية لكلا الطرفين في (المادة ١٣) تعكس حكمة المشرع العراقي القديم، فالسبب في معاقبة الرجل لأنه خدع زوج المرأة وانتهك حقوق الزوج الحصرية لزوجته، علاوة على ذلك، كان سلوك المرأة فاضح، لذا تطالب (المادة ١٣) بقتل كل منهما، ولا يستطع الزوج ان يعفو عن زوجته.

اما في (المادة ١٤) من قانون العهد الاشوري الوسيط فهي حالة من الزنا بشكل اخف، يعتقد ان الرجل التقى بالمرأة في الأحياء المشبوه من المدينة على الرغم من أنها كانت متزوجة، ولكن تصرفاتها تشبه سلوك العاهرة في جميع النوايا والأغراض، هنا المعيار القانوني هو إذا كان الرجل يعرف أنها متزوجة أم لا؟ على هذا الأساس تم إعطاء دليل للزوج المخدوع حول نوع العقوبة المستحقة، ولكن لماذا في (المادة ١٤) لم يتدخل المشرع لتحديد مستوى الذنب؟ ربما كان المشرع متحفظا لأن المرء لا يعرف كيف وصلت المرأة إلى منطقة سيئة السمعة في المدينة، فمن الممكن أن سمح الزوج لزوجته بالعمل في

عقوبة الزنى في قوانين الشرق الأدنى القديم

بيت دعارة أو في الشارع، مما يعني أنه من الممكن أن يكون هناك عنصر تواطؤ بين الزوج والزوجة، بالنسبة لهذا السيناريو، قام القانون بحماية الرجل ، بتطبيق نفس المبدأ كما في (المادة ١٢٩) من قانون حمورابي فكل ما حدث للمرأة يجب أن يحدث للرجل أيضاً، اما الحالة التي لا يعرف فيها الرجل شيئاً عن المرأة التي التقى بها وهي متزوجة مذكورة بوضوح في (المادة ١٤) لذلك يجب إعلان براءة ذلك الرجل، من أجل التوضيح اكثر نجد في (المادة ١٥) من القانون الاشوري الوسيط :

- (المادة ١٥): (إذا ضبط رجل رجلا (آخر) مع زوجته واتهمه واثبت عليه التهمة، فكلاهما يقتلان وليس هناك مسؤولية على (الزوج)، وإذا جلب (الرجل الجاني) أمام الملك أو القضاة واثبت عليه التهمة، (ففي هذه الحالة) إذا قتل الزوج زوجته يمكنه ان يقتل الرجل (كذلك)، أما إذا قطع (الزوج) أنف زوجته، عليه ان يخصي الرجل (الجاني) ويشوه وجهه، اما إذا عفا الزوج عن زوجته، فعليه ان يعفو عن الرجل (الجاني كذلك) ^(٥٦).

يمكن ملاحظة الفقرة الأولى من المادة بان الزوج هو الذي القى القبض على الزوجة الخائنة ومعها الزاني، وفي الفقرة الثانية هناك اشخاص آخرون مسكوا الاثنين و(تم القبض عليهم وإحضارهم على حد سواء)، وقد وصف الباحث (Stol) (المادة ١٥) بالدقة النحوية ويضيف (لم نشهد مثلها من قبل في هذه المادة القانونية)، كان الزوج هو محور الفقرة الأولى التي أدت إلى الفقرة الثانية التي قام بها الآخرون في اكتشاف حالة الزنا، وتم تقديم كلا الجناة إلى العدالة، ويسعى القانون إلى إقامة معاملة متساوية لكل من الرجل والمرأة ^(٥٧).

تضم القوانين من العهد الاشوري الوسيط على المزيد حول بدء علاقة مع امرأة يبدو أنها متزوجة، ففي (المادة ٢٢) (إذا تسبب رجل في ان تشترك زوجة رجل (آخر) برحلة تجارية...) ، وفي (المادة ٢٣) (إذا أدخلت زوجة رجل، زوجة رجل (آخر) إلى بيتها وقدمتها إلى رجل بقصد الزنا...) ، أو (المادة ٢٤) (إذا هربت زوجة رجل من وجه زوجها (أي من بيتها) ودخلت أي بيت آشوري...) في جميع هذه الحالات، كانت النقطة الحاسمة إذا كان الرجل يعرف أن المرأة متزوجة أم لا؟ ^(٥٨)

اما (المادة ١٣٠) من قانون حمورابي فمن المفروض ان تدخل ضمن الاغتصاب لكن المشرع البابلي وضع هذه المادة مع قوانين الزنا:

- (المادة ١٣٠): (إذا باغت رجل زوجة رجل آخر، لم تكن قد تعرفت (بعد) على رجل (بمعنى عذراء)، وهي لا تزال (تعيش) في بيت أبيها، واضطجع في حجرها وقبض عليه (اثناء ذلك)، فان هذا الرجل يقتل ويخلى سبيل تلك المرأة) ^(٥٩)، ينتقل حمورابي من طرف (امرأة مذنبه) تمارس الزنا إلى أخرى (عذراء بريئة) تعيش في منزل ابيها فلا ذنب لها.

المبحث الثاني

الاتهامات بالزنى

كيفية القبض على الزاني

وردت عبارة (اثبت عليه التهمة) في (المادة ١٥) من قانون العهد الاشوري الوسيط يفهم منها (القبض متلبسا بالزنى)^(٦٠)، فلا بد من استدعاء الشهود على الفور، ففي الاسطورة الأوديسيا اليونانية تذكر هيفايستوس، حداد الآلهة، الذي وجد زوجته أفروديت في السرير مع الإله آريس^(٦١)، وايضا في التوراة ضرورة استدعاء الشهود وذكرت في (سفر التثنية) في التوراة، وفي القوانين الرومانية في الالواح الاثني عشر^(٦٢)، كما تم العثور على تشابه أقرب في المكان والزمان في رسالة من مملكة ماري: (Mari) (تل الحريري على الفرات في شرق سوريا):

(جاءني التاجر وريا (Wariya) قائلاً: لقد فاجأت خادما في القصر، مع زوجتي، لقد ربطتهم بحبل وجعلتهم يأتون لمقابلتك، علاوة على ذلك، فإن الأشخاص الذين ساعدوني بالقبض عليهما هم شهود لي، (لقد نظرت في أمر المرأة...) ^(٦٣)، بعد ذلك هناك كسر في النص، فقد تم القبض على المذنب عليه على حين غرة وربط معا بالفعل، ولابد من الشهود الذين شاهدوا الحادثة وهو امر ضروري، هذه القضية مشابه جدا لربط الزوجين المشار إليه في دعوى قضائية النموذجية من نيبور التي ذكرت سابقا عندما مسكها مع الرجل، وربطها معا في السرير وحملها إلى مجلس نيبور.

العقوبة جريمة الزنى

ان ممارسة الزنا محظور بشكل صارم وأي شخص أدين به حُكم عليه بالإعدام، وتحدثت قوانين حمورابي عن الإعدام بالغرق أو الرمي من برج عالٍ^(٦٤)، ونقرأ في فآل قديم من كبد الاضاحي البابلية: (إذا كان الفص الأيسر يشبه ... وكان به ثقب، فسوف تنام زوجة الرجل مع رجل آخر، وسيقبض عليها زوجها ويقتلها)^(٦٥).

ان الدعاوى القضائية النموذجية التي تمت كتابتها في المدارس لغرض التعليم، وتم فيها معاملة المرأة بشكل مهين عن طريق حلق نصف رأسها أو شعر عانتها، أو أن يتم خوزقها^(٦٦)، أما في (المادة ١٥) من قانون الاشوري الوسيط، فنرى العقوبة أخف من عقوبة الإعدام، وإذا قطع أنف زوجته فعليه أن يخصي الرجل، ويقطعون وجهه، ومن الناحية القانونية يمكن وصف هاتين العقوبتين بأنهما متماثلتان، وقد وردت عقوبة قطع أنف الزوجة في تعويذة حب بابلية قديمة وغامضة إلى حد ما:

(تكره الزوجات أزواجهن، (لذا) يقطعون أنفها العالي، ويضعون أنفها تحت قدمي) يظهر ان هذه العقوبة كانت تنفذ بالفعل^(٦٧)، اما العقود القانونية من العهد البابلي الحديث فتذكر القتل بواسطة (خنجر حديدي) وخاصة في حالة طلب الزوجة الطلاق: (إذا ضبطت الزوجة مع رجل آخر تموت بالخنجر الحديدي، إذا

عقوبة الزنى في قوانين الشرق الأدنى القديم

سمح لها زوجها بالذهاب (mušuru)، وأراد الزواج ان يتزوج من امرأة أخرى، فعليه أن يدفع لها ستة مينات من الفضة وستذهب إلى منزل والدها أو (يرسلها إلى منزل والدها) (٦٨)، في العهد الجديد فقد تم تحديد الرجم بالحجارة كعقاب للمرأة الزانية (٦٩).

أن الرافة لا تُمنح دائما في حالة الزنى والعبارة (يجب أن تموت ولا تستمر على قيد الحياة) قد وردت في (المواد ١٢ و ١٣ و ٢٩) من قوانين اشنونا (Ešnunna) تعني أنه لن تكون هناك إمكانية لتأجيل التنفيذ (٧٠).

الأمراض التناسلية بسبب خطيئة الزنى

سادت فكرة أن الجماع خارج إطار الزواج يسبب المرض، لأنه نتيجة للخطيئة (٧١)، فقد وصفت الامراض الجنسية فمثلا تشخيص المرض: (amēlu šū muruṣ nâki maruṣ qāt lštar) (أملو شو مروص ناك مروص قات عشتار) ترجم هذا التشخيص حرفيا: (هذا الرجل مريض بمرض ناكي، يد عشتار)، بمعنى مرض جنسي بسبب الجماع، يمكن للمرء أن يفترض أن ذكر الأعضاء التناسلية الذكرية في وصف الأعراض المرضية مع ذكر (اليد) للإلهة عشتار لأنها تشمل مسؤولياتها أيضا في عالم الأعضاء التناسلية بالكامل، وإلى جانب الاتصال غير الشرعي الذي يلعب دوره في مثالنا، حيث يُنظر إلى الذنب الأخلاقي (الزنى) من جانب المريض على أنه سبب المرض، لذلك يجب أن تكون الترجمة الصحيحة هي: (إنه يعاني من مرض ناتج عن الاتصال الجنسي (nâki) الغير شرعي) وهذا يفسر أيضا سبب الاعتقاد بأن الإلهة عشتار هي سبب المرض، حيث أن الجانب الأخلاقي للحياة الجنسية يقع ضمن نطاقها ومسئوليتها،

هناك حالة تشخيص مرضي لشخص:

DIŠ NA GIŠ-šú u SAG ŠÀ-šú KÚM ṣar-ḥa ú-kal TÚN ŠÀ-šú GU₇-šú u ŠÀ-šú ma-ḥu Á.II- šú GÌR.II-šú u ŠÀ-šú KÚM-em NA BI GIG na-a-ki GIG ŠU^{dXV6}

(عندما يحترق قضيب الرجل والمنطقة اعلى البطن، تتسارع آلام تجويف البطن وأمعائه، وتكون ذراعيه وقدميه وبطنه ساخنة: هذا الرجل يعاني من مرض بسبب (nâki)، يد عشتار) (٧٢)، فهو مرض تناسلي بيد الإلهة عشتار، كما ان انتقال الأمراض التناسلية كانت معروفة وتنتقل عن طريق الاتصال الجنسي كما ورد في نصوص بابلية، ومن ثم فان تشخيص الأعراض المرتبطة بالامراض الجنسية يقال لها (muruṣ nâki maruṣ) (اعراض مرض ناكي)، فقد وردت في رسالة تؤرخ الى القرن الثامن عشرة ق.م. خاطب زمري ليم ملك ماري (Mari) زوجته قائلا: (سمعت بأن السيدة نانامه قد أصابها مرض، وذلك لاتصالها جنسيا مرات متعددة مع ساكني القصر، وأنها أتصلت جنسيا مع عدة نساء في محل سكنها،

عقوبة الزنى في قوانين الشرق الأدنى القديم

ولهذا أعطيت الأوامر الصارمة لأي شخص بعدم الشرب من الكاس نفسه الذي تستعمله هذه السيدة، وعدم الجلوس على المقعد الذي تجلس عليه، وعدم النوم على الفراش الذي تنام عليه، وعليها قطع الاتصال مع النساء في محل مسكنها، فهذا شر معد^(٧٣)، وهكذا كثيرا ما تشخص الأمراض مثلا (maruṣ (muruṣ minâti) (إنه يعاني من مرض كيساتو)، أو (muruṣ kiṣṣati marus) (إنه يعاني من مرض في الأطراف)، علاوة على ذلك، يمكن مقارنة عبارة: muruṣ (râmi maruṣ) (إنه يعاني من مرض الحب) وفسرها الباحث (Labat) بأنه (مرض تناسلي)، كما يستخدم الفعل مخاصو (maḥāṣu) في وصف الأعراض المرضية، ويعطي معنى (ضرب) بمعنى أن المريض (تعرض للضرب أو الإصابة) على جزء من الجسم^(٧٤)، كما نقول اليوم (ضربته جلطه بالدماع) أو (ضربته سكتة قلبية)، ومن الأمثلة على ذلك وردت في التشخيص البابلي:

DIŠ ina SAG.DU-šú SÌG-iṣ-ma SA SAG.KI-šú ŠU. [II] -šú u [GÌ] R.II-šú 1-niṣ ZI.MEŠ SA. u i-mim ŠU DINGIR TI (SA.GIG 3/81)

(إذا كان (= المريض) "ضرب" على رأسه والأوعية الدموية في رأسه ويدها ورجلاه تنبضان بقوة في نفس الوقت، وهو أحمر فمع رضى الإله، سوف يتعافى)

DIŠ ina EME-šú SÌG-iṣ ŠU ^dIŠKUR [...]

عندما "يلق" على لسانه: يد أداد [...]

DIŠ ina ÉLLAG-šú SÌG-iṣ ŠU ^dIŠKUR ŠU ^dKù-bi [...]

عندما "ضرب" في كليته: يد أداد (بدلا من ذكر: يد Kùbu)، (مخلوقات (kùbu) وهي أرواح الأجنة المولودة ميتة والرضع وقد وردت في مصادر بلاد الرافدين)^(٧٥).

وتشخيص آخر نجده في نص طبي يصف الكتل التي تظهر على الجسد الباهت لإله القمر سين: (إذا كان مغطى من رأسه إلى قدمه بكتل حمراء وكان جسده (أبيض) ، فقد وجد مع امرأة في الفراش ؛ إنها يد سين)،

وإذا كان الجسد (أسود) فإن التشخيص نفسه، وتتحدث الفؤول الأخرى ذات الصلة عن اللحم (الأحمر)، ومن ثم كانت يد شمش (إله الشمس)، وهكذا تنسب التشخيصات المرضية بهيئة كتل بيضاء إلى إله الشمس ، والأخرى الحمراء لإله القمر، والأخرى السوداء للإلهة عشتار^(٧٦) ، إذا جاءه المرض مرارا وتكرارا في منتصف الليل، فقد اقترب من زوجة رجل (آخر): يد أوراش (Uraš)^(٧٧).

الزنى في القوانين العراقية القديمة

في الأدب القديم المتداول في الشرق الأدنى، غالبا ما تُتهم المرأة بالزنا، ولكن الاتهام ربما يكون ناشئا عن القيل والقال، والذي قد يؤدي إلى الاتهام الباطل ثم إلى عقوبة تنص على أن المتهم سيعاقب بنفس

عقوبة الزنى في قوانين الشرق الأدنى القديم

العقوبة التي كان من الممكن أن تتلقاها ضحيته، اما في حالة إذا وجه الرجل اتهامات كاذبة لفتاة عذراء كما في قانون لبت عشتار كان عليه فقط دفع غرامة^(٧٨):

- (المادة ٣٣): (إذا ادعى رجل بان ابنة رجل حر غير متزوجة قد مارست العملية الجنسية (مع رجل ما)، وثبت أنها لم تقم بذلك، عليه ان يدفع (كغرامة) عشرة شيقلات من الفضة)^(٧٩).

اما في قانون اور نمو فهناك (الاتهام) الرسمي كما:

- (المادة ١٠): (إذا اتهم رجل رجلا آخر ب.....و(المشتكي) جلب (المتهم) إلى النهر (الحكم) ولكن النهر اثبت براءته، فالشخص الذي جلبه (اي المشتكي)، عليه ان يدفع (كغرامة) ثلاثة شيقلات من الفضة).

- (المادة ١١): (إذا اتهم رجل زوجة رجل آخر بالزنا ولكن النهر (الحكم) اثبت براءتها، فعلى متهمها ان يدفع (كغرامة) ثلث المنا من الفضة)^(٨٠).

هناك فرق في الغرامة بين قانون اور-نمو السومري وقانون لبت عشتار من العهد البابلي القديم، ربما يعود إلى اختلاف في وزن قيمة التبادل، ففي قانون اور-نمو لا تتجاوز الغرامة نصف ما فرضه قانون لبت عشتار^(٨١).

درس الباحث (Locher) المرأة في الشرق الأدنى القديم وتوصل إلى أن المرأة كانت دائما تُعاقب بشدة أكثر من الرجل، وأن المحسوبة ظهرت للرجل^(٨٢)، ويشير أيضا بقوله من الواضح أن الناس تقبلوا نزعة النميمة حول عفة المرأة المتزوجة، والتي شجعها عدم الثقة المستمر في جنس الأنثى، فاضطرت النساء لبذل قصارى جهدهن للدفاع عن سمعتهن، كما في قوانين حمورابي (المادتين ١٣١-١٣٢)^(٨٣)

- (المادة ١٣١) (إذا اتهمت زوجة رجل من قبل زوجها، ولكنها لم تضبط وهي تضاجع رجلا آخر، فعليها ان تؤدي القسم بحياة الإله (بخصوص براءتها) وترجع إلى بيتها)^(٨٤)

هنا المرأة يتهمها زوجها بالزنى، فلا بد من (القسم بالاله) وانها لم تنام مع رجل آخر أبدا، وغالبا ما لجأ الناس إلى قوانين حمورابي لغرض (قسم التطهير)، ونلاحظ هنا أن عبء الإثبات يقع على عاتق المرأة، فلا بد من القسم حتى تتمكن من العودة إلى عائلتها، وقد تم العثور على جزء من (قسم التطهير) الرجل، والنص مكسور بشكل سيئ لكن جملة واحدة تقول: (لم أتم معها، وعصاتي لم تدخل وعائها)، ولدينا نص لرسالة من ماري (Mari) تضم هذه الكلمات وعلى لسان فتاة: (عصاه لم تدخل وعائي)^(٨٥).

وفي قانون حمورابي:

- (المادة ١٣٢): (إذا أشر بالاصبع على زوجة رجل بسبب رجل ثان، ولكنها لم تضبط وهي تضاجع الرجل الثاني، فعليها ان تلقي نفسها في النهر (لإثبات براءتها) لأجل زوجها)^(٨٦)، هنا وجه الاتهام بعدم عفة المرأة من قبل طرف ثالث، يبدو ان الإشارة إلى المرأة كانت نتيجة ثرثرة بدلا من كونها زانية، ومرة أخرى عبء إثبات البراءة يقع على عاتق المرأة، ومرة أخرى أيضا لا بد من التأكيد الإلهي مطلوبا، ومع ذلك لم يكن كافيا لها أن تقسم اليمين فحسب بل كان عليها أن تخضع لمحنة، وهو إجراء محفوف

عقوبة الزنى في قوانين الشرق الأدنى القديم

بالمخاطر لاكتشاف حكم الإله، ففي بابل كان الأسلوب المعتاد لتحديد الإرادة الإلهية جعل المرأة تقفز في النهر، فقد كان النهر مقدسا، فإذا غرق الشخص في هذه المحنة اعتبر مذنبا من قبل إله النهر، تظهر نفس اللائحة في القوانين اور نمو السومرية والتي تبين أن المرأة لم تغرق دائما:

- (المواد ١٠-١١) ^(٨٧)، ونقرأ في قوانين من العهد الآشوري الوسيط: ^(٨٨)
- (المادة ١٧): (إذا قال رجل لرجل (آخر) (ان زوجتك زانية) ولم يكن لديه شهود (حول صحة قوله)، فعليهما ان يذهبا إلى النهر (للحكم الإلهي).

- (المادة ١٨): (إذا قال رجل لصاحبه سرا (=على انفراد) أو في مشاجرة (ان زوجتك زانية) ووعد قائلا (أنا سأتهمها بذلك) فإذا لم يتمكن من اثبات تهمته، فان هذا الرجل سيضرب أربعين جلدة ويوضع في خدمة أعمال الملك مدة شهر كامل، ويعلم بعلامة وعليه ان يدفع طالنتا واحدا من الرصاص) ^(٨٩).

اعتبر النهر الحكم الإلهي في رسالة من العهد البابلي القديم تتعلق بزوجة يركاب- أدو (Yarkab-Addu)، ملك دولة صغيرة تسمى خنزات (Hanzat) تابعة لبلاد زلماقوم (Zalmaqum) ^(٩٠)، تم توجيه اتهامات مختلفة ضد هذه المرأة، وكان على إله النهر أن يحدد ما إذا كان ما قيل صحيحا أم أنه افتراء: (هل قامت سيدتك بأي شعوذة ضد سيدها يركاب- أدو؟ هل أخرجت كلمة من القصر للخارج؟ أو هل فتح آخر فخذي سيدتك؟ هل عشيقتك تصرفت (أي شيء) ضد سيدها؟) ^(٩١)، من الواضح أن هذه الاتهامات، والشعوذة، وافشاء الأسرار، والخيانة، ترمز إلى الآثام التي قد يشتبه بها المرء في المرأة المتزوجة، ولا يمكن الحكم إلا من خلال الحكم الإلهي وعن طريق المحنة، عموما لم تكن كل زوجة متهمة بارتكاب جريمة مثل الزنا تكون خجولة فلدينا نص ضمن رسالة آشورية نقرأ فيها: (هذه المرأة الخاطئة عند باب القضاة لها فم أكبر من زوجها) ^(٩٢).

المبحث الثالث

نصوص عن الزنا في الشرق الأدنى القديم

(١) - أم الخطيئة: نص من (بلاد الرافدين)

تأتي المزيد من المعلومات حول الزنا من قصة أسطورية غير معروفة، عندما حكمت الإلهة إنانا (Inanna) على جارية تدعى اما-نامتجا (Ama-namtaga) معنى الاسم (أم الخطيئة) بالإعدام، ويفترض أنها كانت على علاقة مع الإله دوموزي (Dumuzi) عشيق إنانا، فعندما عادت من العالم السفلي، أصبحت إنانا غاضبة بشكل خاص لأنها رأت دوموزي يحتفل ولم يكن قلقا بشأن (موتها)، من الواضح أن دوموزي قد بدأ للتو في الاستمتاع مع (أم الخطيئة)، وعندما وصلت الإلهة إنانا اوقفت الإجراءات، وسلمت اما-نامتجا للجمهور ليتم إعدامها، وهو أمر قد يحدث أحيانا في العالم الحقيقي ^(٩٣).

(٢) - القانون المصري القديم والخيانة الزوجية

كان المشرع المصري القديم على قدر كبير من الوعي لوظيفة القانون في المجتمع، وكان التشريع أو المرسوم يصدر باسم الملك الإله^(٩٤)، لكن المؤرخ ديودوروس الصقلي (Diodorus Siculus)^(٩٥) أخبرنا بأن كتب القانون المقدسة في مصر وضعها (تحت) إله الحكمة^(٩٦) ومن المحتمل أن يكون على صواب بشأن ما أورده خاصة محتويات القوانين القديمة فقد ذكر بأن قتل رجل حر أو رقيق أو يمين الزور كانت عقوبتها الموت وأن عقوبة خيانة الزوجة قطع اللسان، وتزوير العقوبة أو الأختام هي قطع الأيدي، لكننا نشك بما قاله ديودوروس الصقلي بأن الأم التي تقتل طفلها عليها أن تمسك جثة رضيعها بين ذراعيها لمدة ثلاثة أيام كاملة لان (رقعة) هذه العقوبة تدل على أنها اختراع حكماء الإغريق وليس تفكير مصري، وكان يعتبر العقاب نتيجة لا مفر منها للجريمة التي تتعقبه إلى حتفه، فإن من يعاقب (تأخذه جريمته، وتتصب عليه وعلى رأسه وتهلكه)^(٩٧).

مما يؤسف له إننا لا نعرف من القوانين المصرية التي كانت تسترشد بها المحاكم والملوك إلا النزر اليسير فمن مجموعة القوانين الرسمية التي كتبت على أربعين ملفا من الرق والتي وضعت عند أقدم الوزير (رخمي-رع)^(٩٨) عندما كان يقصد المحكمة في قاعته الكبرى، فمن هذه المجموعة القانونية لم يصل إلينا غير جزء بسيط من القوانين ومنها بطبيعة الحال ما خلفه العصر المبكر لتاريخ مصر وكلها اتفقت على أن أصل القانون الهي، فأحدي الوثائق من عصر الدولة الحديثة تحدثنا بأن المجرم يجب أن يحكم عليه (بعقوبة الموت العظمى التي يقول عنها الآلهة (افعلوها له) ..) ثم تستمر الوثيقة في القول بأن قرار الآلهة هذا قد كتب بكلمات مقدسة^(٩٩).

إلى جانب القوانين القديمة المقدسة كانت توجد قوانين يعود أصلها إلى العصور التاريخية القديمة فبعض تلك القوانين سنها الحكماء ومنهم كبير قضاة الفرعون سنوسرت الأول^(١٠٠) ويدعى (خم-نخن) وكان يحتل منصب كاهن آلهة العدل (منتو حتبي) ويفخر في نص له بأنه سن الشرائع^(١٠١)، والبقية الوحيدة التي وصلت إلينا من القوانين هي التي نقشت على الحجر الضخم الذي أمر بإقامته في معبد الكرنك الكبير الملك (حور محب) (Horemheb) (١٣١٩ - ١٢٩٢) ق.م^(١٠٢)، ربما كانت شريعته في مستهل حكمه ولكنه كان يهدف من قوانينه محاربة مختلف مظاهر الفساد والاستغلال والرشوة التي انتشرت في المجتمع آنذاك حيث تضمن المرسوم (إن الرجل الفقير هو الهدف المقصود بالحماية من الظلم) و(الرخاء الاجتماعي هو الغاية التي ننشدها)، ويستطرد في ديباجته بأنه سهر الليالي والأيام يبحث في جميع حالات الظلم في هذا البلد ليقضي على بعض مظاهر الفوضى التي انتشرت في العصور السابقة وقد أمر الملك الكتبة (فاخذ هؤلاء الكتاب الملفات وكتبوا ما قاله جلالته بالحرف الواحد)^(١٠٣)، مع الأسف أن هذا النص الفريد من نوعه وجد لاحقا مهشما إلى درجة أنه لم تبق فقرة واحدة منه سليمة إلا

عقوبة الزنى في قوانين الشرق الأدنى القديم

أنها احتوت على عقوبات فرضت على الموظفين والجنود وجامعي الضرائب وفلاحى البلاط الملكي واتسمت بالقسوة والعقاب البدني منها (مائة جلدة)، ومن بين العقوبات أيضا (خمسة جروح مفتوحة) و(جدع الأنف) وحتى (النفي) إلى (زل) وهي مدينة تقع في أقصى الشمال الشرقي من مصر على حدود الصحراء^(١٠٤).

ففي مصر هناك علاقة الزنى مارسها الإله (اوزريس) مع الإلهة (نفتيس) (أخت وزوجة الإله ست شقيق اوزريس) وكانت عاقرا وصورة على شكل صحراء، وكذلك زوجها (ست) يطلق عليه إله الرمال الحمراء (الصحراء)، وكما تذكر الأسطورة بان (نفتيس) تقمصت شكل الإلهة أوزير (زوجة اوزريس) وقادته إلى سريرها وهو في حالة سكر ونشوة ومكافأة لها رمى إليها إكليل الزهور، فيما بعد اكتشف الإله (ست) الواقعة برمتها وعرف بان أكليل الزهور يعود لأوزريس فسرت في نفسه الكراهية والحقد للانتقام بقتله^(١٠٥).

أن اغلب معلوماتنا حول الإجراءات القانونية جاءت من فترة حكم الأسرة الثامنة عشر وما بعدها وهذا أمر طبيعي لان السجلات ما قبل تلك الأسرة كانت قليلة، ولا يذكر منها غير المحاكمات الكبيرة الهامة مع تفاصيل قليلة، ومنها على سبيل المثال محاكمة الحريم التي كلف فيها القاضي (اوني)^(١٠٦) ولم نعرف تفاصيلها وأسبابها فقد كلف اوني بناء على توصية من الفرعون للتحقيق مع حريم الملك في القضية المقامة ضد الزوجة الملكية العظيمة (حتس) فقد ذكر اوني (أمرني جلالتة أن أتولى إدارة الإجراءات) وكنت أنا وحدي من غير كبير القضاة ولا وزير ولا احد حاضر لأنني كنت محببا ومقربا إلى قلب جلالتة... ولم يسبق لأحد في مركزي في الأزمنة القديمة أن سمع الشئون السرية الخاصة بالحريم الملكي وقد استثنيت وحدي وسمح لي جلالتة بالقيام بالتحقيق لأنني كنت مقربا إلى قلب جلالتة أكثر من سائر أمرائه ونبلائه كلهم وخدمه أجمعين...^(١٠٧).

على كل حال العقوبات تتغير حتما سواء ما كان منها العقوبات البدنية أو التعويضات ففي مجال بحثنا كانت عقوبة خيانة الزوجة (قطع اللسان) كما أوردها ديودوروس الصقلي الذي عاش في فترة متأخرة تعود إلى القرن الأول ق.م، ولكننا نقرا في نصوص الأسرة الثامنة عشر عقوبة هذه الجريمة هي (قتل الزوجة وتقطيع أوصالها ورميها إلى الكلاب) على ما يبدو لي أن هذه العقوبة كانت من الأعراف السائدة في مصر بينما ما ذكره المؤرخ ديودوروس الصقلي كان قانونا وهو غير ملزم عند عامة الشعب فنحن نعرف ولحد الآن لدى عامة الشعب وخاصة في صعيد مصر بان القتل يتم بعيدا عن قانون الدولة بالنسبة لهذه الجريمة، كما واستعملت وسائل تعذيب من غير شك لإكراه المتهم على الاعتراف بذنبه، وكانت شهادة الزور تستحق الإعدام أيضا، إذ كان القسم الأكبر في المحاكم بحياة فرعون^(١٠٨) وكان الكذاب في القسم معناه إصابة الملك بضرر ويمكننا أن نرى في اللعنة التالية كم كانت حياة الملك بالغة الأهمية (سوف لا تكون لمن يعادي جلالتة مقبرة، بل يلقي جسده في الماء) والمعنى واضح أن لا يكون

عقوبة الزنى في قوانين الشرق الأدنى القديم

للشخص مقبرة - حيث تقدم القرابين والصلوات - وبذلك المذنب يتعرض إلى الانقراض الكلي بعد موته^(١٠٩)، وهذا ينطبق تماما على الزوجة الخائنة في عقوبتها بتقطيع أوصالها ورميها إلى الكلاب فلا مقبرة لها ولا إقامة القرابين أو الصلوات على روحها .

كان للجرائم الكبيرة التي لا يعاقب مرتكبوها بالإعدام عقوبات عديدة ائحدهما قطع الأنف، وسلم الأذنين، وأخرى تتضمن أشغال شاقة في المناجم وهذه العقوبة الأخيرة أسوأ من الموت وذلك بسبب الأحوال القاسية التي كان يعيش فيها المسجونون، وجرائم السرقة بعد ثبوتها على المذنب يحكم عليه برد البضائع المسروقة ودفع غرامة قدرها ضعف أو ثلاث أمثال قيمة المسروقات، أما إذا كان مالك البضائع المسروقة رحيما فكان يعيد الغرامة للشارق، وكان الضرب هو العقوبة العادية لمعظم الذنوب البسيطة، أما القضايا المدنية المتعلقة بالأراضي والوراثة وتتم محاكمتها أمام الوزير، ولما كانت كلها في الغالب لفئة من الناس لها مكانتها كان لزاما على الوزير أن يكون قاضيا منصفا، وقد أشار الملك تحوتمس الثالث إلى أهمية ذلك عندما عين (رخ-م-رع) لهذا المنصب (أن المحاباة رجس ضد الإله) ونبه الوزير الجديد بان يعامل الصديق والغريب والغني والفقير على قدم المساواة (لان الرهبة الحقيقية للأمير هي في عدالته)^(١١٠) .

(٣) - الأميرة الزانية؟ من الدولة الحثية

تم تسجيل قصة حدثت بالفعل في وثائق عن ابنة الملك الأموري بنتي-شينا (Bente-šina) ^(١١١)، وكانت والدتها أميرة حثية معروفة بلقبها (السيدة العظيمة)، وكان الملك عمي-شتمرو الثاني (Ammi-štamru) ملك أوغاريت (١٢٦٠-١٢٣٥) ق.م متزوجا من ابنة الملك الاموري، وليس لدينا أي سجل باسمها، انما الوثيقة الأولى في الملف هي إقرار بالطلاق، مما يدل على أن ملك الحثيين الذي يلقب نفسه (شمسي) يعتبر القوة المهيمنة على شمال سوريا في ذلك الوقت ^(١١٢).

أمام (شمسي) تودحليا الملك العظيم ملك الحثيين: (اتخذ عمي-شتمرو ملك اوغاريت زوجة ابنة بنتي-شينا ملك الاموريين، (بعد ذلك) سببت له (مرض بالرأس)، ترك عمي-شتمرو ملك أوغاريت ابنة بنتي-شينا إلى الأبد، اترك ابنة بنتي-شينا تأخذ معها كل ما أدخلته إلى منزل عمي-شتمرو، دعها تبتعد عن بيت عمي-شتمرو، كل ما سرق من عمي-شتمرو يجب على الأموريين تأكيده تحت القسم وسيقوم عمي-شتمرو بإعادته إليهم بالكامل).

وتري-شاروما (Utri-šarrumma) هو خليفة العرش في أوغاريت، (إذا قال وتري-شاروما: (أنا اذهب مع والدتي)، فليترك عباءته على الكرسي ويغادر، وسيعين عمي-شتمرو أحد أبنائه خلفا للعرش، إذا مات عمي-شتمرو، (سيجعل وتري-شاروما) والدته ملكة مرة أخرى في أوغاريت، وعليه أن يترك

عقوبة الزنى في قوانين الشرق الأدنى القديم

عباءته على الكرسي، (و) يذهب بعيدا حيثما يشاء، ثم يقوم (شمسي) (بمعنى تودحليا الرابع) بتعيين ملك على أوغاريت من أحد أبناء عمي-شتمرو.

(في المستقبل لا يجوز لابنة بنتي-شينا المطالبة بأبنائها أو بناتها أو أصهارها، سيبقون مع عمي-شتمرو، إذا قدمت أي مطالبة، فسوف يبطل هذا اللوح ولا يحق لها (المطالبة)^(١١٣)).

اللوحة مختوم بختم الملك تودحليا، ولا ندرى ما تعنيه عبارة (مرض بالرأس) وألقى الملك باللوم على زوجته، ربما كانت تعاني من صداع، أو كانت تعاني من ارتباك في التصرف، أو كانت تجهد دماغها لحل مشاكل الآخرين، على أي حال، من الواضح أنه تعبير مجازي، ما نعرفه أن الملك تودحليا الرابع أراد من زوجها عمي-شتمرو أن يطلقها، وهذا يعني أنها كانت حرة في المغادرة وأخذ ممتلكاتها معها، أما البند المتعلق بابنها وتري-شاروما ولي العهد فالامر ملفت للنظر، فلا بد وأن يكون لديها أطفال بالغين، لأنه كان كبيرا بما يكفي ليكون له رأيه الخاص، وبالنسبة لوضع عباءة المرء على كرسي عمل رمزي بمعنى أن الشخص ترك أسرته، فالأرامل اللاتي ذهبن أيضا للزواج ثانية فعن هذا، وكان شاوشكا-موا ملك الأموريين شقيق المرأة في ذلك الوقت، وقد هربت إليه، وتظهر الوثائق الأخرى أنها أصبحت فجأة ضحية لأفعالها عندما تورط الملك الحثي، وهو أيضا أحد أفراد الأسرة، وطالب بتسليمها، لذلك سُجنت وعرض شقيقها تسليمها لأوغاريت:

(تحدث اليوم شاوشكا-موا، ابن بنتي-شينا، ملك الأموريين، هكذا إلى عمي-شتمرو، ابن نقميا، ملك أوغاريت. (حسنا، أما بالنسبة لزوجتك، ابنة السيدة العظيمة، التي ارتكبت خطيئة عظيمة بحقك، فإلى متى يجب أن أبقى احمي أتمك؟ حسنا، خذ ابنة السيدة العظيمة وافعل معها كما يحلو لك، إذا كنت ترغب في ذلك، اقتلها، إذا اردت ارمها في البحر، أو افعل ما يحلو لك مع ابنة السيدة العظيمة).

كانت هذه كلماته (...)، الآن شاوشكا-موا، ابن بنتي-شينا، ملك الأموريين، قد قبض على ابنة السيدة العظيمة التي ارتكبت خطيئة، وسلمها إلى يد عمي-شتمرو بن نقميا، ملك أوغاريت، والآن عمي-شتمرو

ابن نقميا ملك أوغاريت يعامل ابنة السيدة العظيمة كما يشاء، كما أعطى عمي-شتمرو، ابن نقميا، ملك أوغاريت (١٤٠٠) قطعة ذهب لشاوشكا-موا، ابن بنتي-شينا، ملك الأموريين، إذا جاء شاوشكا-موا، ابن بنتي-شينا، ملك الأموريين، وقال لعمي-شتمرو، ابن نقميا، ملك أوغاريت: (هذا الذهب قليل جدا أعطني المزيد من الذهب)، فإن هذا اللوح يبطل (ادعاءه). ختم شاوشكا-موا ابن بنتي-شينا ملك الأموريين^(١١٤).

يظهر أن المرأة قد ارتكبت (خطيئة عظيمة) تدل على الزنا، كما ورد نفس التعبير في التوراة ويدل على الزنا أيضا (تكوين ٢٠: ٩)، وجاء في الترنيمة الأكديّة: (سيء جدا (kabtu) وذنب عظيم من جامع زوجة رجل آخر)^(١١٥)، يمكن أن يقال أن زوجة عمي-شتمرو خانة زوجها وبلدها، والتهديد

عقوبة الزنى في قوانين الشرق الأدنى القديم

بمعاقبتها برميها في البحر يوحي بالتأكيد بالزنا، لأنه يذكرنا بالطريقة البابلية القديمة بالقاء النساء اللواتي يرغبن في الطلاق في النهر، ففي النهاية قُتلت الأميرة بالفعل، لا بد أن المبلغ المرتفع المقدم لملك أوغاريت كان بالتأكيد تعويضا عن قتلها، وثائق أخرى من الملف تسميها (الدية) ^(١١٦).

ان استخدام عبارة (مرض بالرأس) عمدا لإخفاء الحقيقة، ففي مقطع مكسور يقول مواطنو أوغاريت: (لقد سمحت لنبلائك ... بالذهاب إلى الداخل وكانت تضحك معهم بانتظام)، هنا تشير كلمة (ضحك) إلى المغازلة وقد تكون تعبيراً ملطفاً عن الجماع، ولكن الباحثة (Spronk) أشارت إلى أنه من غير المرجح أن تغازل الجميع بهذا الحجم الكبير، ربما كانت المرأة متهمة زورا في هذه القضية ^(١١٧). كما عثر على نص ورد فيه: (ذهب يابنينو (Yabninu) إلى ملك أمورو، وأخذ معه مئة قطعة ذهبية، واعطاها لملك أمورو، وأخذ زيتا في قرنه وصبه على رأس بنت ملك أمورو، مهما كان ذنبها ... فهي أُمي... ^(١١٨)

هل هذه بادرة غفران وبداية زواج جديد للمرأة الخاطئة؟ يمكن ان نعود إلى (المادة ١٩٨) من القوانين الحثية: (إذا الزوج جلبهما الى بوابة القصر (بمعنى محكمة الملك)، وقال : (لا تقتلوا زوجتي) فهو قد منحها الحياة، وكذلك العفو يشمل العشيق، لكن عليه ان يضع علامة على رأسه) ^(١١٩)، يبدو ان الاميرة الامورية تم العفو عن جريمتها بتهمة الزنا وعادت إلى منصبها كملكة في اوغاريت.

الهوامش:

- ^(١) Raymond Westbrook: "Adultery in Ancient Near Eastern Law "Law from the Tigris to the Tiber: The Writings of Raymond Westbrook, Volume 1: The Shared Tradition, Indiana. 2009. Pp. 245 ff
- ^(٢) Bendt Alster: "The Instructions of Šuruppak," Wisdom of ancient Sumer, Bethesda, Maryland, CDL, 2005. p.63
- ^(٣) Nils P. HeeBel: "Rechts oder links –wörtlich oder dem Sinn nach?" Writings of Early Scholars in the Ancient Near East, Egypt, Rome, and Greece." Edited by Annette Imhausen, Tanja Pommerening, Walter de Gruyter , Berlin, 2010a. p. 178

^(٤) فوزي رشيد: الشرائع العراقية القديمة، الطبعة الثالثة، بغداد، ١٩٨٧، ص ١٨٦

^(٥) المصدر نفسه: ص ١٨٧

^(٦) المصدر نفسه: ١٨٩

^(٧) فمثلا تشخيص المرض: (amēlu šū muruṣ nāki maruṣ qāt lštar) (أملو شو مروص ناك) مروص قات عشتار) ترجم هذا التشخيص حرفيا: (هذا الرجل مريض بمرض ناك، يد عشتار)،

بمعنى مرض جنسي بسبب الجماع (إنه يعاني من مرض ناتج عن الاتصال الجنسي (nâki) الغير شرعي) وهذا يفسر أيضا سبب الاعتقاد بأن الإلهة عشتار هي سبب المرض، حيث أن الجانب الأخلاقي للحياة الجنسية يقع ضمن نطاقها ومسئوليتها، وفي تشخيص آخر: (عندما يحترق قضيب الرجل والمنطقة اعلى البطن، تتسارع آلام تجويف البطن وأمعائه، وتكون ذراعيه وقدميه وبطنه ساخنة: هذا الرجل يعاني من مرض بسبب ناكو، يد عشتار)، فهو مرض تناسلي بيد الإلهة عشتار، كما ان انتقال الأمراض التناسلية كانت معروفة وتنتقل عن طريق الاتصال الجنسي كما ورد في نصوص بابلية، ومن ثم فان تشخيص الأعراض المرتبطة بالامراض الجنسية يقال لها (muruş nâki maruş) (اعراض مرض ناكى):

Bendt Alster: (2005). Op.cit. p. 179

(⁸) Marten Stol: "Birth in Babylonia and in the Bible." Cuneiform Monographs 14. Groningen, Styx. 2000. p.11

(⁹) Marten Stol: " Women in the Ancient Near East." Translated by Helen and Mervyn Richardson, Berlin. 2016. p. 234

(¹⁰) (منطقة جبلية) باللغة الحثية (HUR. SAG-i)، وفي (منزله) (É-ri-ma): صلاح رشيد

الصالحى: القوانين الحثية، تأثير الشرائع العراقية القديمة على قوانين بلاد الاناضول، بغداد،

٢٠١٠، ص ٢٨٥

(¹¹) صلاح رشيد الصالحى: (٢٠١٠)، المصدر السابق، ص ٦٢

(¹²) Claudio Saporetti : "Studi di Storia e di Filologia Anatolica dedicati a G. Pugliese Carratelli" Firenze, 1988. Pp.237-241

(¹³) على الرغم من أن هذا المعنى (النظر بشهوة) غير موجود في القواميس، لكن الباحث (Borger)

في (Babylonisch-assyrische Lesestücke) يؤكد وجود هذا المعنى:

Rykle Borger: "Babylonisch-assyrische Lesestücke", Pontifical Biblical Institute, third edition, Rome. 2006. p. XIV

(¹⁴) فوزي رشيد: المصدر السابق، ص ١٤٦ ، عامر سليمان: القانون في العراق القديم، الطبعة الثانية،

بغداد، ١٩٨٧، ص ٢٥١

(¹⁵) Jesper Eidem : "The royal archives from Tell Leilan." Old Babylonian Letters and Treaties from the Lower Town Palace East (PIHANS 117), 2011. Pp. 395, 403 no. 3

(¹⁶) يطلق تعبير (gad about) على الشخص الذي يسافر كثيرا ولا يستقر بمكان واحد، وحبه للمتعة:

Andre Finet: " Hammurapi et l'épouse vertueuse. A propos des parr 133 et 142-143 du Code." In: Symbolae F. M. Th. De Liagre Böhl, Leiden, 1973. Pp.137-143; Jacob J. Finkelstein: "Sex Offenses in Sumerian Law," Journal of the American Oriental Society, 86: New Haven, 1966. Pp. 355 f

(17) Jacob J. Finkelstein: (١٩٦٦). Op.cit. p.363 n. 29

(18) Gerd Steiner" :Die Femme fatale im alten Orient." In: Durand, La Femme, 1987. Pp. 147–153.

(١٩) صبيح عبد اللطيف عبد الله: عقوبة جريمة الزنا في حضارة وادي الرافدين والشريعة الإسلامية السمحاء، رسالة ماجستير، معهد التاريخ العربي، بغداد، ١٩٩٨، ص ١٩

(٢٠) (التوراة) سفر التكوين (الاصحاح ٣٩)، القرآن (سورة يوسف).

(21) Marten Stol: (2016). Op.cit. p. 236

(22) Jean-Jacques Glassner: "Écrire à Sumer." – L'invention du cunéiforme. Paris: Editions du Seuil, Compte rendu de la vingtième Rencontre Assyriologique Internationale 47, part I: 2002. p. 163

(23) Marten Stol: (2000). p.103; Ulla Koch-Westenholz: "Babylonian liver omens." The Chapter Manzāzu, Padānu and PānTākalti of the Babylonian Extispicy Series Mainly from Aššurbanipal's Library. Copenhagen: Museum Tusculanum Press, 2000. Pp.105 f.

(24) Erica Reiner: "Revue d'assyriologie et d'archéologie." Orientale 69 :Paris, 1975. Pp. 95 f.

(٢٥) يمكن العثور على وصف مهين للرجل الزاني (الرجل الذي يرقد مع زوجة رجل آخر) في أدب الحكمة السومرية:

Bendt Alster :(2005). Op.cit. Pp. 368 f

(26) Sophie Lafont: " Femmes, droit et justice dans l'Antiquité orientale: Contributions à l'étude du droit au Proche-Orient ancien, Fribourg/Göttingen. 1999. Pp. 32 f

(27) Wilfred G. Lambert: "Babylonian Wisdom Literature." Oxford: Clarendon Press, 1960. Pp.119 f

(٢٨) من القضايا القانونية التي ذكرت في النصوص المسمارية وانصفت فيها المرأة، واعتبرت أول سابقة قضائية في تاريخ البشر، يؤكد الباحث (Kramer) في كتابه (هنا بدأ التاريخ)، أن وثيقة تاريخية مسجلة في إحدى الوثائق السومرية باسم (الزوجة المتسترة على الاخبار بالجريمة) ودونت بأكثر من نسخة واحدة، تتحدث هذه الوثيقة التي تعود إلى (١٨٥٠) ق.م عن ثلاثة رجال اشتركوا في قتل أحد موظفي المعبد، ولسبب مجهول أخبروا زوجته بجريمتهم، وعند إلقاء القبض عليهم، وتم عرضهم على أور- نورتا ملك ايسن، وكان القانون آن ذاك فعلا حول الملك القضية إلى (مجمع المواطنين) في مدينة نفر، وهو مجمع الذي يعتبر محكمة للفصل في القضايا للنظر في الجريمة، ونهض في المجمع تسعة رجال (قضاة) ليقاضوا المتهمين، وهم القتلة الفاعلون بل ويلزم أيضا مقاضاة الزوجة بسبب بقائها ساكنة كاتمة للأمر بعد ان علمت بالجريمة واتخاذ القرار المناسب للقصاص من المجرمين، وأكدت الوثيقة أن مهمة الادعاء العام أوكلت إلى سبعة من رجال الجمعية، الذين شملوا

زوجة القتل بالجرم لكونها تسترت على الجريمة، إلا أن من اثنان من القضاة دافعوا عن الزوجة وأثبتوا انها بريئة من الجريمة، وبالفعل صدر قرار الحكم بتبرئة الزوجة وبإدانة المجرمين الثلاثة (لان العقوبة ينبغي إلا تشمل سوى القتلة الفاعلين) عثر على محضر المحكمة عام (١٩٥٠) في مدينة نفر: فوزي رشيد: (١٩٨٧) المصدر السابق، ص ١٧-١٨

(^{٢٩}) التفسير القائل بأن المرأة عوقبت بارتداء ملابس على هيئة الكيزرتو (kezertu) بمعنى (عاهرة)، لا يمكن أن تكون صحيحة، لان الكيزرتو (kezertu) هي عاهرة في المعبد وليست عاهرة في الشارع:

Samuel Greengus" :A textbook case of adultery in Ancient Mesopotamia." Hebrew Union College Annual 40-41: Ohio, 1969-1970. Pp. 33-44; Jacobus van Dijk: Zeitschrift für Assyriologie 55: Berlin. 1963. Pp. 70-77; Sophie Lafont: "Sanctions sociales et peines infamantes dans le droit de la famille au Proche-Orient ancien." In: Hommage à Romuald Szramkiewicz, 1998. Pp. 550-554; William W. Hallo: "The Context of Scripture Vol. 3: Publisher: Brill. 2002. p.311

(³⁰) Jacobus van Dijk: (1963). Op.cit. Pp. 70-77

(³¹) Jean-Marie Durand: "[Title unavailable.] Annuaire de l'École Pratique des Hautes Études".IVe Section: Sciences historiques et philologiques 110: 1977-1978. Pp. 144-152

(³²) Jean-Marie Durand: (1977-1978). Op.cit. p. 146-147

(³³) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ١٧-١٨ ، عامر سليمان: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ٢٥٤-٢٥٥

(³⁴) Samuel Greengus: (1969-1970).Op.cit. p.34

(³⁵) Sophie Lafont: (1999) Femmes... Pp. 40 f

(^{3٦}) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ٢٧ و ١٤١

(^{3٧}) فسرت (فتح جرة الزيت) بشكل غير صحيح على الأرجح أنها احتقال أو طقوس دينية:

Hans Neumann: "Gottliche Gerechtigkeit und menschliche Verantwortung im alten Mesopotamien im Spannungsfeld von Norm(durch)setzung und narrative Formulierung". In: Barta, H. ; Rollinger, Robert ; Lang, M. (Hrsgg.): Recht und Religion. Menschliche und göttliche Gerechtigkeitsvorstellungen in den antiken Welten. Wiesbaden 2008. Pp. 42f

(³⁸) Hans Neumann :(2008). Pp.39 f ; Hans Neumann: " Schuld und Sühne . Zu den religiös-weltanschaulichen Grundlagen und Implikationen altmesopotamischer Gesetzgebung und Rechtsprechung". In: Hengstl,

- J. ; Sick, U. (Hrsgg.): Recht gestern und heute. Festschrift zum 85. Geburtstag von Richard Haase. Wiesbaden. 2006. Pp.32-34
- (³⁹) Sophie Lafont: (1999) Femmes... Pp. 67 f
- (⁴⁰) Sophie Lafont: (1999) Femmes... p 56 ; Lionel Marti: Nouvelles Assyriologiques Breves Utilitaires (NABU), Paris. 2001. p. 73
- (⁴¹) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ٩٠-٩١ ، عامر سليمان: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ٢١٤
- (⁴²) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ١٤١
- (⁴³) Herbert P.H. Petschow : "Die §§ 125 bis 129 CH und ihre Stellung im Gesetz." Nouvelles Assyriologiques Breves Utilitaires (NABU), Paris. 1990. p.81
- (⁴⁴) راجع مواد قانون حمورابي : فوزي رشيد: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ١٤١-١٤٢، عامر سليمان: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ٢٥١-٢٥٣
- (⁴⁵) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ١٨٣
- (⁴⁶) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ١٨٧ ، عامر سليمان: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ٢٨٣-٢٨٤
- (⁴⁷) ترجمة الباحثة (Roth) (يغطي رأسه)، ومع هذا يؤكد بان المعنى غير أكيد، أما (Goetze) فأخذت بترجمته: (يضع علامه على رأسه) دون أن يوضح اذا كانت العلامة وشم أو شيء ما قد يكون غطاء أو شريط أو أي شيء اخر كان معروفا آنذاك: صلاح رشيد الصالحي: (٢٠١٠)، المصدر السابق، ص ٦٣
- Martha T. Roth: "Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor." Second Edition. Atlanta Scholars Press, 1997. p.237. n. 65; Albrecht Goetze: "The Hittite Laws. " In: Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament (3 rd ed.) Edited by J. B. Pritchard. Princeton. N.J Princeton University Press (1969). p. 196
- (⁴⁸) Matitiah Tsevat: " The Husband Veils a Wife " Journal of Cuneiform Studies 27. New Haven 1975. Pp. 235-240
- (⁴⁹) Harry Hoffner: " The Laws of the Hittites. " New York. 1997. p.157
- (⁵⁰) Matitiah Tsevat: (1975). Op.cit. Pp. 235-237
- (⁵¹) Raymond Westbrook: "Adultery in Ancient Near Eastern Law." Revue biblique 97: Paris, 1990. p. 555
- (⁵²) الباحثون (Driver) و (Miles) و (Cardascia) (في القوانين الاشورية، ص ١١٩) يتحدثون أيضا عن (التواطؤ):

Raymond Westbrook: (1990). Op.cit. Pp. 551, 554 f

(^{٥٣}) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ١٨٣-١٨٩، عامر سليمان: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ٢٥١

Guillaume Cardascia: "Hommage à Guillaume Cardascia" (= Méditerranées no. 3), Publisher: Nanterre Association Méditerranée, 1995. Pp. 169 f

(^{٥٤}) مخطوطة واحدة تجعل (الرجل (lú) يقتل تلك المرأة التي يجب أن تكون خطأ، يفترض الباحث (Civil) أن المرأة مخطوبة، (إذا) هو (الزوج) قتل المرأة، سيتم إطلاق سراح الزاني: فوزي رشيد: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ٢٧

Claus Wilcke: "Sumerological Studies in Honor of Thorkild Jacobsen on His Seventieth Birthday June 7, 1974" Assyriological Studies, 2014. p. 313

(^{٥٥}) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ١٨٧، عامر سليمان: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ٢٨٣

(^{٥٦}) فوزي رشيد: (١٩٨٧) المصدر السابق، ص ١٨٧

(^{٥٧}) Marten Stol: (2016) . p. 242; Raymond Westbrook: "Evidentiary Procedure in the Middle Assyrian Laws." Journal of Cuneiform Studies 55: New Haven, 2003. Pp. 75-85

(^{٥٨}) انظر المواد القانونية من العهد الاشوري الوسيط (٢٢-٢٤): فوزي رشيد: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ١٨٨-١٨٩

(^{٥٩}) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ١٤١، عامر سليمان: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ٢٥٢

(^{٦٠}) لكون الرجل (متورطا)، فقد ذكر الباحث (Polak) حالة عايشها في إيران في القرن التاسع عشر الميلادي فحسب الاعراف آنذاك (إذا قبض رجل على زوجته متلبسة بالجرم ، فعليه أن يقتلها، لكن بعد تقديم الشهود)، ونظرا لأنه من الصعب جدا تقديم الأدلة من قبل الشهود فالطلاق هو المفضل، و يجب على المرأة أن تتخلى عن المهر):

Jakob Eduard Polak: "Persien. Das Land und seine Bewohner. Ethnographische Schilderungen." Vol. I: Front Cover, 1865. p. 215

(^{٦١}) ورد في ملحمة الأوديسيا الأسطر (٨٠٢٦٦-٣٥٩) بان هيفايستوس تزوج من أفروديت، أجمل الآلهة، الآلهة، لكنها خدعته مع أخيه الإله آريس، وأخبر الإله هيليوس (إله الشمس) هيفايستوس ذات مرة

بخيانة افروديت له، فقرر الحرفي الماهر معاقبتهم: لقد صنع شبكة غير مرئية كانت جزءا من آلية معينة، وطبيعتها الدقيقة غير واضحة، بمجرد قيام شخص ما أو شيء ما بالضغط على سرير زواج هيفايستوس تسقط الشبكة عليه، وكما هو متوقع نامت أفروديت وعشيقها أريس على سرير هيفايستوس وأطلقوا العنان لممارسة الجنس، وفجأة سقطت الشبكة عليهما، وسجن كلاهما عريانين معانقين بعضهما البعض، واستدعى هيفايستوس جميع الآلهة الأخرى، وضحكوا جميعا على مشهد العاشقين، وبقيت الآلهة في المنزل، وأخيرا طلب الإله بوسيدون (إله البحر) من هيفايستوس إطلاق سراحهما، بعد هذا الحادث، كان العاشقان يخافان من العودة إلى جبل أوليمبوس حيث مقر الآلهة، فذهب الإله أريس إلى تراقيا، وأفروديت إلى قبرص، وألغى هيفايستوس زواجه من أفروديت وتزوج من خاريتيس (Charis) إحدى ربات البهاء، واللطافة، والبهجة، واسمها بأجليا (Aglæa):

Samuel Greengus: (1969-1970). Op.cit. Pp.33-44

(^{٦٢}) على الرغم من عدم ذكر حالات محددة من الزنا هناك:

Guillaume Cardascia: "Hommage à Guillaume... (1995). p. 121,

(⁶³) Sophie Lafont: (1999)... Femmes. p.38

(⁶⁴) Godfrey Rolles Driver and John Charles Miles: "The Babylonian Laws I" Publisher: Oxford, 1956. p. 495

(⁶⁵) Albrecht Goetze: " Old Babylonian Omen Texts," Yale Oriental Series, Babylonian Texts Vol. 10. Yale University Press, New Haven. 1947. Pp. 146 f

(^{٦٦}) حلاقة شعرها (nam.giš.dim.šè):

Dominique Charpin : "Le clergé d'Ur au siècle d'Hammurabi (XIXe-XVIIIe siècles av. J.-C.)" French edition, 1986. p.471

(^{٦٧}) يبحث في مسألة قطع أنف امرأة ويشير إلى انها من (النساء المهمشات) على أنهم غير مهمات ويمارسن عبادة الإلهة عشتار نينوى عند الحثيين:

Claus Wilcke: "Liebesbeschwörungen aus Isin." Zeitschrift für Assyriologie 75: Leipzig, 1985. Pp.47-49

(^{٦٨}) ربما يشك الزوج البابلي في خيانة زوجته إذا أرادت الطلاق، أو على الأقل في الرغبة في الخيانة الزوجية، والسؤال الذي يجول بخاطر (لماذا تريد أن تتركني ما لم يكن هناك شخص آخر؟) فلم يكن من الممكن أن تعود المرأة المطلقة لتعيش بمفردها في مجتمعها، هذا الاقتراح مدعوم في الوثائق من العهد البابلي الحديث وكانت العقوبة الإعدام بـ(خنجر الحديد):

Martha T. Roth: "Babylonian marriage agreements 7th–3rd centuries B.C",
Alter Orient und Altes Testament 222. Neukirdhen–Vluyn: Neukirchner
Verlag, 1989. Pp. 1–34

(^{٦٩}) اوقف المسيح عليه السلام هذه العقوبة في عبارته المشهورة: (من كان منكم بلا خطيئة فليرمها
بحجر) (يوحنا ٨: ٧)

(⁷⁰) René Labat: and Dietz O. Edzard: "Textes littéraires de Suse," Mémoires
de la Délégation de Perse 57, Paris, 1974. 245 v 5

(⁷¹) Nils P. Heeßel: "Writings of early scholars in the Ancient Near East, Egypt,
Rome, and Greece." Translating Ancient Scientific Texts, Edited
by: Annette Imhausen and Tanja Pommerening, 2010b. Pp. 178–180

(⁷²) Nils P. Heeßel: (2010). Op.cit. p. 178

(^{٧٣}) صلاح رشيد الصالحي : الطب في بلاد الرافدين ، السحر والعقلانية في معالجة الامراض، الكتاب
العلمي السنوي لمركز إحياء التراث العلمي العربي، العدد الأول، بغداد، ٢٠٠٩-٢٠١٠، ص ٢٥٥

(⁷⁴) René Labat: " Traité akkadien de diagnostics et pronostics médicaux".
Volume 1, Paris: Académie internationale d'histoire des sciences; Leiden:
E.J. Brill, 1951. p. 171. Z 9

(⁷⁵) Nils P. Heeßel: (2010). p. 179

(⁷⁶) Gernot Wilhelm : "Medizinische Omina aus Ḫattuša In akkadischer
Sprache." Wiesbaden, 1994. Pp. 44f

(^{٧٧}) الإلهة اوراش (Uraš) في الديانة السومرية، وهي إلهة الأرض، وأحد رفقاء إله السماء أنو (Anu)،
وهي والدة الإلهة نينسون (Ninsun) وجدة البطل كلكامش:

Nils P. Heeßel: "Babylonisch–assyrische Diagnostik "Alter Orient und Altes
Testament 43, Münster: Ugarit Verlag, 2000. p.198 Tablet XVII

(^{٧٨}) التعبير (غير متزوجة) المستخدم في (المادة ٣٣) هي (لم تكن تعرف العسا):

Nils P. Heeßel : (2000). Op.cit. p.199

(^{٧٩}) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ٦٥

(^{٨٠}) موفق مهذول محمد شاهين الطائي: قانون اورنمو، دراسة تاريخية قانونية مقارنة، بغداد، ٢٠٠٨،
ص ٧٢

(⁸¹) Clemens Locher: "Die Ehre einer Frau in Near East." Exegetische und rechtsvergleichende Studien zu Deuteronomium 22, (= Orbis Biblicus et Orientalis 70), 1986. Pp. 323, 376

(⁸²) Clemens Locher: (1986).Op.cit. Pp. 376 f

(⁸³) Clemens Locher: (1986).Op.cit. Pp. 347-352

(^{٨٤}) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ١٤١

(⁸⁵) Clemens Locher: (1986).Op.cit. p.140

(^{٨٦}) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ١٤١

(^{٨٧}) موفق مهذول محمد شاهين الطائي: (٢٠٠٨)، المصدر السابق، ص ٧٢

Clemens Locher: (1986). Op.cit. Pp. 336-338

(⁸⁸) Clemens Locher: (1986).Op.cit. Pp. 356-365

(^{٨٩}) فوزي رشيد: (١٩٨٧)، المصدر السابق، ص ١٨٧-١٨٨

(^{٩٠}) كانت خنزات مدينة ملكية في بلاد زلماقوم، ورد ذكرها في ألواح ماري في النصف الأول من القرن الثامن عشر ق.م، و موقعها غير معروف، ويمكن أن تكون القلعة التي تظهر في المصادر الأرمينية مثل (Anzith)، شمال شرق مدينة (Tomisa) على ضفاف نهر الفرات في شرق تركيا حاليا:

Daniel E. Fleming: "Democracy's Ancient Ancestors: Mari and Early Collective Governance", Cambridge University Press, 2004. p. 48

(⁹¹) Jean-Marie Durand: "Les accusations d'adultère", In: G. del Olmo Lete, Mythologie et religion des Sémites occidentaux I, 2008. Pp. 532-535.

(⁹²) Leo Oppenheim: "Letters from Mesopotamia" 1967. p.117 no. 116

(^{٩٣}) أعطى الباحث (Leick) تفسيراً للنص أن الإله دوموزي لم يذكر اسمه في النص، فهو ليس زنا:

Thorkild Jacobsen, "Toward the Image of Tammuz and Other Essays on Mesopotamian History and Culture" Edited by William L. Moran, Harvard University Press, 1970. p. 206; Gwendolyn Leick: "Sex and eroticism in Mesopotamian literature" London, 1994. Pp.212-216

(^{٩٤}) صلاح مصطفى الفوال: سوسيولوجيا الحضارات القديمة، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٢٧

(^{٩٥}) ولد المؤرخ ديودوروس الصقلي في صقلية وألف كتاب عن تاريخ العالم ، وأطلق عليه (خزانة التاريخ) (بيلوتيكيا) وهو في أربعين مجلدا من أقدم العصور وحتى الحرب الغالية التي قادها قيصر ، ثم تطرق إلى آثار مصر ، وحرب طروادة ، والاسكندر المقدوني ، إلا أن كتاباته لا تخلوا من اللبس والغموض وكان كثير الإعجاب بالإمبراطورية الرومانية:

Charles E. Muntz: "Diodorus Siculus and the World of the Late Roman Republic." 1st Edition, Oxford University Press, 2017. p. 35

(^{٩٦}) الإله تحوت أصل الحكمة والحساب ورعاية الكتاب والكتابة والقضاء وهو نائب وزير الإله رع ، يقسم الزمن إلى شهور وينظم شؤون العالم: أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق دراسات حضارية، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٨٥-١٨٧

(^{٩٧}) ادولف ارمان و هرمان رانكه: مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر و محمد كمال ، القاهرة، بدون سنة طبع، ص ١٤٢

(^{٩٨}) (رخ-م-رع) وزير الفرعون تحوتمس الثالث من الأسرة الثامنة عشر (المملكة الحديثة) وكان من المقربين لجلالته، ونقل عنه عبارات يشيد بسيدة وعلمه وخبرته العسكرية والإدارية، وكان محق في ذلك فقد اثبت تحوتمس الثالث قدرة فائقة في إقامة إمبراطورية امتدت من الفرات وإلى مصر وأصبح قدوة لكل الملوك الذين حكموا من بعده: وائل فكري: موجز موسوعة مصر القديمة، الجزء الأول، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٢٩١-٢٩٣

(^{٩٩}) Pascal Vernus: "

Affairs and Scandals in Ancient Egypt", Cornell University Press, 2003.

Pp. 108f

(^{١٠٠}) سنوسرت الأول من الأسرة الثانية عشر حكم بعد وفاة أبيه امنحات الأول ولمدة (٤٥) عاما ولديه العديد من الحملات العسكرية ضد بدو سيناء وفي وادي الحمامات واسوان وضد القبائل الليبية بوادي النطرون ، وهو أول ولي عهد اشترك في إدارة الدولة مع والده وأصبح من التقاليد الملكية فيما بعد: جيمس هنري برستد: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة: حسن كمال، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١١٥-١١٨

(^{١٠١}) ادولف ارمان و هرمان رانكه: المصدر السابق، ص ١٤٢

(^{١٠٢}) الفرعون حور محب من الأسرة الثامنة عشر استلم الحكم بعد وفاة الفرعون (آي) (Ay) وسبق وان كان قائدا في عهد اخناتون ومن بعده خليفته توت عنخ آمون وقد حكم سبعة وعشرين عاما وكان آخر ملوك الأسرة الثامنة عشر: وائل فكري: (٢٠٠٩)، ص ٣٥٢-٣٥٧

- (¹⁰³) صلاح مصطفى الفوال: (١٩٨٢)، المصدر السابق، ص ٢٧
- (¹⁰⁴) Wilhelm Spiegelberg: " Studien und Materialien zum Rechtswesen des Pharaonenreiches – Hannove, 1892. Pp. 66ff
- (¹⁰⁵) محمد بيومي مهران: الحضارة المصرية القديمة، الجزء الثاني، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٣١٧ وما بعدها
- (¹⁰⁶) عين اونى قاضيا في عهد الملك بيبى الثاني من الأسرة السادسة الذي حكم وهو في السن السادسة من عمرة والى أرذل العمر ما يقارب أربعة وتسعين عاما واعتبرت أسرته آخر حكم للمملكة القديمة: دومينيك قالبييل: الناس والحياة في مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتي، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٥٥-٥٦: مختار السويفي: أم الحضارات ملامح عامة لأول - حضارة صنعها الإنسان، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٧٨
- (¹⁰⁷) Kurt Sethe:" Urk. 1 " Urkunden des Alten Peiches " Leipzig, 1903. Pp.100f
- (¹⁰⁸) يلاحظ قسم (يوسف) ورد في سفر التكوين: (وإلا وحياء فرعون إنكم لجواسيس)، كذلك في القرآن الكريم سورة (الشعراء ٤٣ - ٤٤) (قال لهم موسى القوا ما انتم تلقون. فالتقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون)، وفي مجمع البيان في تفسير القرآن الجزء السابع، ص ١٦٩ (هذا القول قسم منهم وان كان غير مبرر): (سفر التكوين (٤٢:١٦)
- (¹⁰⁹) مرجريت مري: مصر ومجدها الغابر ، ترجمة: محرم كمال ، القاهرة ، ١٩٥٧، ص ١٤٤-١٤٥
- (¹¹⁰) نفس المصدر: ص ١٤٦
- (¹¹¹) Sylvie Lackenbacher: "Textes akkadiens d'Ugarit." Littératures anciennes du Proche-Orient 20, Paris. 2002. Pp. 108-126; Sophie Lafont: (1999) Femmes... Pp. 35-37
- (¹¹²) صلاح رشيد الصالحي: المملكة الحثية، دراسة في التاريخ السياسي لبلاد الاناضول، بغداد، ٢٠٠٧، ص ٤٢٨-٤٣١
- (¹¹³) Trevor Bryce: " The Kingdom of the Hittites." New Edition, Oxford University Press. 2005. Pp. 310-312
- (¹¹⁴) Sylvie Lackenbacher: (2002). Op.cit. Pp.123 f
- (¹¹⁵) Sophie Lafont: (1999) Femmes... Pp. 36 f
- (¹¹⁶) Sylvie Lackenbacher: (2002).Op.cit. p.113

(¹¹⁷) Klaas Spronk : ‘Vals beschuldigd? Achtergronden bij de scheiding en verdwijning van een Ugaritische koningin uit de dertiende eeuw voor onze jaartelling’, In: C. Houtman, De leugen regeert .” 2004. Pp.100 no. 1 with p. 111

(¹¹⁸) Klaas Spronk :(2004). Op.cit. p.108

(¹¹⁹) صلاح رشيد الصالحي: (٢٠١٠)، المصدر السابق، ص ٦٣

الاستنتاجات

بحلول الألفية الثانية ق.م (إن لم يكن قبل ذلك) شرعت القوانين في بلاد الرافدين مع انتشار الكتابة المسمارية، وقد تناولت تنظيم العلاقات الأسرية من حيث الزواج، والطلاق، والارث، والتبني، وايضا تناولت المشاكل الاجتماعية مثل الزنا، وحددت العقوبة للزاني والزانية بالموت ولدينا نصوص مسمارية القبض على الزوجة وعشيقها وتسليمهم للسلطة القضائية في مدينة نيبور، وليس مصادفة ان تكون عقوبة الزوجة الزانية متشابهة في الممالك المجاورة للعراق القديم، فقد انتشرت اغلب الاحكام من بلاد الرافدين إلى جميع أنحاء الشرق الأدنى القديم وما وراءه حيث نجد العقوبات متشابهة ومطبقة في القانون المحلي في حاتتي (بلاد الاناضول)، وكنعان (فلسطين)، وفي مصر، وبدرجة أقل في أوائل اليونان، وروما، وبنفس الأساليب سواء في تدخل الملك أو المحكمة لأثبات حالة الزنى وتقديم الشهود والمساواة في نوع العقوبة للزانية وعشيقها، كما لوحظ بان عفو الزوج عن زوجته الخائنة يشمل ايضا العفو عن الزاني، كما اعتبرت الممارسات الجنسية خارج نطاق الزواج المتعارف عليه يسبب امراض تناسلية ترسلها الآلهة كعقوبة لمن يمارس الزنى، كما تطرقت القوانين إلى ثلاثة اشكال تحدد ظروف الزنى كما ورد في القوانين الحثية: اذا استولى رجل على امرأه في منطقته جبلية، فالرجل مذنب ويجب ان يقتل، لكن اذا استولى عليها في منزله فالمرأة مذنبه ويجب ان تقتل، اذا عثر عليهما زوج المرأة وهما في حالة المضاجعة ! وقام بقتلهما، فلا قصاص عليه، ونفس الحالة في قوانين بلاد الرافدين من حق الزوج قتل زوجته وعشيقها، وايضا العقوبات تفرق بين امرأة متزوجة واخرى عذراء، وفي حالة وجود عقد زواج أو عدمه، أو سفر الزوج وتركه زوجته فترة طويلة دون معيل، وحتى مكان المضاجعة في الشارع العام، أو في منطقة سيئة السمعة، أو دخول العشيق بيت الزوجة اثناء غياب الزوج هنا في جميع القوانين كلاهما يقتل، وهكذا كل حالة لها عقوبة منصوص عليها في التشريعات القديمة.

عقوبة الزنى في قوانين الشرق الأدنى القديم

المصادر العربية

- ١- القرآن الكريم
- ٢- التوراة
- ٣- أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق دراسات حضارية، بيروت، ٢٠٠٢
- ٤- ادولف ارمان و هرمان رانكه: مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر و محمد كمال ، القاهرة، بدون سنة طبع
- ٥- جيمس هنري برستد: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة: حسن كمال، الطبعة الثانية، القاهرة ، ١٩٩٦
- ٦- دومينيك فالبييل الناس والحياة في مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتي، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠٠١
- ٧- صبيح عبد اللطيف عبد الله: عقوبة جريمة الزنا في حضارة وادي الرافدين والشريعة الإسلامية السمحاء، رسالة ماجستير، معهد التاريخ العربي، بغداد، ١٩٩٨
- ٨- صلاح رشيد الصالحي: المملكة الحثية، دراسة في التاريخ السياسي لبلاد الاناضول، بغداد، ٢٠٠٧
- ٩- صلاح رشيد الصالحي : الطب في بلاد الرافدين ، السحر والعقلانية في معالجة الامراض، الكتاب العلمي السنوي لمركز إحياء التراث العلمي العربي، العدد الأول، بغداد، ٢٠٠٩-٢٠١٠
- ١٠- صلاح رشيد الصالحي: القوانين الحثية، تأثير الشرائع العراقية القديمة على قوانين بلاد الاناضول، بغداد، ٢٠١٠
- ١١- صلاح مصطفى الفوال: سوسولوجيا الحضارات القديمة ، القاهرة، ١٩٨٢
- ١٢- عامر سليمان: القانون في العراق القديم، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٨٧
- ١٣- فوزي رشيد: الشرائع العراقية القديمة، الطبعة الثالثة، بغداد، ١٩٨٧
- ١٤- محمد بيومي مهران: الحضارة المصرية القديمة، الجزء الثاني، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٩
- ١٥- مختار السويدي: أم الحضارات ملامح عامة لأول - حضارة صنعها الإنسان، القاهرة، ١٩٩٩
- ١٦- مرجريت مري: مصر ومجدها الغابر، ترجمة: محرم كمال، القاهرة، ١٩٥٧
- ١٧- موفق مهذول محمد شاهين الطائي: قانون اورنمو، دراسة تاريخية قانونية مقارنة، بغداد، ٢٠٠٨
- ١٨- وائل فكري: موجز موسوعة مصر القديمة، الجزء الأول، القاهرة، ٢٠٠٩

References

- 1- Albrecht Goetze: "Old Babylonian Omen Texts," Yale Oriental Series, Babylonian Texts Vol. 10. Yale University Press, New Haven. 1947
- 2- Albrecht Goetze: "The Hittite Laws "In: Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament (3 rd ed.) Edited by J. B. Pritchard. Princeton. N.J Princeton University Press, 1969
- 3- Andre Finet: "Hammurapi et l'épouse vertueuse. A propos des parr 133 et 142-143 du Code." In: Symbolae F. M. Th. De Liagre Böhl, Leiden, 1973
- 4- Bendt Alster: "The Instructions of Šuruppak," Wisdom of ancient Sumer, Bethesda, Maryland, CDL, 2005
- 5- Charles E. Muntz:" Diodorus Siculus and the World of the Late Roman Republic." 1st Edition, Oxford University Press, 2017
- 6- Claudio Saporetti : "Studi di Storia e di Filologia Anatolica dedicati a G. Pugliese Carratelli" Firenze, 1988
- 7- Claus Wilcke: "Liebesbeschwörungen aus Isin." Zeitschrift für Assyriologie 75: Leipzig, 1985
- 8- Claus Wilcke: "Sumerological Studies in Honor of Thorkild Jacobsen on His Seventieth Birthday June 7, 1974" Assyriological Studies, 2014
- 9- Clemens Locher: "Die Ehre einer Frau in Near East." Exegetische und rechtsvergleichende Studien zu Deuteronomium 22, (= Orbis Biblicus et Orientalis 70), 1986
- 10- Daniel E. Fleming: "Democracy's Ancient Ancestors: Mari and Early Collective Governance", Cambridge University Press, 2004
- 11- Dominique Charpin : "Le clergé d'Ur au siècle d'Hammurabi (XIXe-XVIIIe siècles av. J.-C)." French edition, 1986
- 12- Erica Reiner" :Revue d'assyriologie et d'archéologie." Orientale 69: Paris, 1975
- 13- Gerd Steiner" :Die Femme fatale im alten Orient." In: Durand, La Femme, 1987
- 14- Gernot Wilhelm: "Medizinische Omina aus Ḫattuša In akkadischer Sprache." Wiesbaden, 1994
- 15- Godfrey Rolles Driver and John Charles Miles: "The Babylonian Laws I" Publisher: Oxford, 1956
- 16- Guillaume Cardascia: "Hommage à Guillaume Cardascia" (= Méditerranées no. 3), Publisher: Nanterre Association Méditerranée, 1995
- 17- Gwendolyn Leick: "Sex and eroticism in Mesopotamian literature" London, 1994
- 18- Hans Neumann: "Schuld und Sühne . Zu den religiös-weltanschaulichen Grundlagen und Implikationen altmesopotamischer Gesetzgebung und

- Rechtsprechung”. In: Hengstl, J.; Sick, U. (Hrsgg.): Recht gestern und heute. Festschrift zum 85. Geburtstag von Richard Haase. Wiesbaden. 2006
- 19- Hans Neumann: “Gottliche Gerechtigkeit und menschliche Verantwortung im alten Mesopotamien im Spannungsfeld von Norm(durch)setzung und narrative Formulierung”. In: Barta, H.; Rollinger, Robert; Lang, M. (Hrsgg.): Recht und Religion. Menschliche und göttliche Gerechtigkeitsvorstellungen in den antiken Welten. Wiesbaden 2008
- 20- Harry Hoffner: “The Laws of the Hittites “New York. 1997
- 21- Herbert P.H. Petschow : "Die §§ 125 bis 129 CH und ihre Stellung im Gesetz.” Nouvelles Assyriologiques Breves Utilitaires (NABU), Paris. 1990
- 22- Jacob J. Finkelstein: "Sex Offenses in Sumerian Law,” Journal of the American Oriental Society, 86: New Haven, 1966
- 23- Jacobus van Dijk: Zeitschrift für Assyriologie 55: Berlin. 1963
- 24- Jakob Eduard Polak: “Persien. Das Land und seine Bewohner. Ethnographische Schilderungen.” Vol. I: Front Cover, 1865
- 25- Jean-Jacques Glassner: “Écrire à Sumer.” – L’invention du cunéiforme. Paris: Editions du Seuil, Compte rendu de la vingtième Rencontre Assyriologique Internationale 47, part I: 2002
- 26- Jean-Marie Durand: “[Title unavailable.] Annuaire de l’École Pratique des Hautes Études”.IVe Section: Sciences historiques et philologiques 110: 1977-1978
- 27- Jean-Marie Durand: “Les accusations d’adultère”, In: G. del Olmo Lete, Mythologie et religion des Sémites occidentaux I, 2008
- 28- Jesper Eidem : “The royal archives from Tell Leilan.” Old Babylonian Letters and Treaties from the Lower Town Palace East (PIHANS 117), 2011
- 29- Klaas Spronk : “Vals beschuldigd? Achtergronden bij de scheiding en verdwijning van een Ugaritische koningin uit de dertiende eeuw voor onze jaartelling”, In: C. Houtman, De leugen regeert. 2004
- 30- Kurt Sethe:” Urk. 1 “ Urkunden des Alten Peiches “ Leipzig, 1903
- 31- Leo Oppenheim: “Letters from Mesopotamia” 1967
- 32- Lionel Marti: Nouvelles Assyriologiques Breves Utilitaires (NABU), Paris. 2001
- 33- Marten Stol: “Birth in Babylonia and in the Bible.” Cuneiform Monographs 14. Groningen, Styx. 2000
- 34- Marten Stol: “Women in the Ancient Near East.” Translated by Helen and Mervyn Richardson, Berlin. 2016
- 35- Martha T. Roth: “Babylonian marriage agreements 7th-3rd centuries B.C”, Alter Orient und Altes Testament 222. Neukirchden-Vluyn: Neukirchner Verlag, 1989

- 36- Martha T. Roth: "Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor." Second Edition. Atlanta Scholars Press, 1997
- 37- Matitiahu Tsevat: "The Husband Veils a Wife "Journal of Cuneiform Studies 27. New Haven 1975
- 38- Nils P. Heeßel" :Babylonisch-assyrische Diagnostik "Alter Orient und Altes Testament 43, Münster: Ugarit Verlag, 2000
- 39- Nils P. Heeßel: "Rechts oder links –wörtlich oder dem Sinn nach?" Writings of Early Scholars in the Ancient Near East, Egypt, Rome, and Greece." Edited by Annette Imhausen, Tanja Pommerening, Walter de Gruyter , Berlin, 2010a
- 40- Nils P. Heeßel: "Writings of early scholars in the Ancient Near East, Egypt, Rome, and Greece." Translating Ancient Scientific Texts, Edited by: Annette Imhausen and Tanja Pommerening, 2010b
- 41- Pascal Vernus: " Affairs and Scandals in Ancient Egypt", Cornell University Press, 2003
- 42- Raymond Westbrook: "Adultery in Ancient Near Eastern Law." Revue biblique 97: Paris, 1990
- 43- Raymond Westbrook: "Evidentiary Procedure in the Middle Assyrian Laws." Journal of Cuneiform Studies 55: New Haven, 2003
- 44- Raymond Westbrook: "Adultery in Ancient Near Eastern Law "Law from the Tigris to the Tiber: The Writings of Raymond Westbrook, Volume 1: The Shared Tradition, Indiana. 2009
- 45- René Labat: "Traité akkadien de diagnostics et pronostics médicaux". Volume 1, Paris: Académie internationale d'histoire des sciences; Leiden: E.J. Brill, 1951
- 46- René Labat: and Dietz O. Edzard: "Textes littéraires de Suse," Mémoires de la Délégation de Perse 57, Paris, 1974
- 47- Rykle Borger: "Babylonisch-assyrische Lesestücke", Pontifical Biblical Institute, third edition, Rome. 2006
- 48- Samuel Greengus" :A textbook case of adultery in Ancient Mesopotamia." Hebrew Union College Annual 40-41: Ohio, 1969-1970
- 49- Sophie Lafont: "Sanctions sociales et peines infamantes dans le droit de la famille au Proche-Orient ancien." In: Hommage à Romuald Szramkiewicz, 1998
- 50- Sophie Lafont: "Femmes, droit et justice dans l'Antiquité orientale: Contributions à l'étude du droit au Proche-Orient ancien, Fribourg/Göttingen. 1999
- 51- Sylvie Lackenbacher: "Textes akkadiens d'Ugarit." Littératures anciennes du Proche-Orient 20, Paris. 2002

- 52- Thorkild Jacobsen, "Toward the Image of Tammuz and Other Essays on Mesopotamian History and Culture" Edited by William L. Moran, Harvard University Press, 1970
- 53- Trevor Bryce: "The Kingdom of the Hittites." New Edition, Oxford University Press. 2005
- 54- Ulla Koch-Westenholz: "Babylonian liver omens." The Chapter Manzāzu, Padānu and PānTākalti of the Babylonian Extispicy Series Mainly from Aššurbanipal's Library. Copenhagen: Museum Tusculanum Press, 2000
- 55- Wilfred G. Lambert: "Babylonian Wisdom Literature." Oxford: Clarendon Press, 1960
- 56- Wilhelm Spiegelberg: "Studien und Materialien zum Rechtswesen des Pharaonenreiches - Hannover, 1892
- 57- William W. Hallo: "The Context of Scripture Vol. 3: Publisher: Brill. 2002

**قوانين استبعاد الصينيين في الولايات المتحدة
الأمريكية - الأسباب والتداعيات (١٨٨٢ - ١٩٠٢)**

م.م. بارق احمد تالي

وزارة التربية / مديرية تربية بغداد _ الرصافة الاولى

قوانين استبعاد الصينيين في الولايات المتحدة الأمريكية - الأسباب والتداعيات
(١٨٨٢ - ١٩٠٢)

م.م. بارق احمد تالي

ملخص

يناقش هذا البحث " قانون الاستبعاد الصيني في الولايات المتحدة الأمريكية، الأسباب والتداعيات ١٨٨٢ - ١٩٠٢ " والذي يعد من اهم القوانين الذي تعامل مع المهاجرين الصينيين وحدد دخولهم على اساس العرق ، ان الاشكالية التي يطرحها البحث تتمثل في السؤال الاتي "هل كان للعامل الاقتصادي وحماية الهوية الثقافية للمجتمع الامريكي السبب الاساس الذي دفع المشرعين الامريكيين لإصدار تلك القوانين ، ام ان هنالك اسباب اخرى وراء ذلك ". توصل البحث الى مجموعة من النتائج منها : مثل وجود الصينيون ، لاسيما في الولايات الغربية مشكلة ارقت حكومات تلك الولايات ، لاسيما بعد التوترات التي حصلت بين العمال الأمريكيين ونظرائهم الصينيين ، اذ نظر معظم العمال الأمريكيين الى العمالة الوافدة بأنها السبب في خفض الاجور وتقليل فرص العمل ، مما دفعهم الى مهاجمة تجمعات الصينيين والمطالبة بأبعادهم . كان قانون بيج في ٣ اذار ١٨٧٥ القانون الاول الذي تعامل مع الهجرة الصينية والذي وضع حواجز امام دخول بعض فئات المجتمع الصيني ، استمرارا لهذه السياسة صدر قانون الاستبعاد الصيني في ٦ ايار ١٨٨٢ والذي يعد القانون الاول الذي قيد الهجرة على اساس العرق والذي استهدف الجالية الصينية داخل الولايات المتحدة الأمريكية ، اذ منع هذا القانون قدوم العمال الصينيين بشكل كامل ووضع شروط قاسية على الفئات الاخرى ، وكان له تداعيات كبيرة في كافة المجالات ، والذي استمر العمل بمضمونه الاكثر من عقدين .

الكلمات المفتاحية : (قانون الهجرة ، الاستبعاد الصيني ، الولايات المتحدة الأمريكية ، قانون بيج)

The Chinese Exclusion Acts in the United State of American ,Causes and Consequences (1882-1902)

Assist. Lecture . Barik Ahmed Tali

This research discusses the "Chinese Exclusion Act in the United States, Causes and Consequences 1882-1902," which is one of the most important laws that dealt with Chinese immigrants and determined their income on the basis of race. The problem is represented in the following question: "Was the economic factor and the protection of the cultural identity of the American society the main reason that prompted the American legislators to issue these laws, or are there other reasons behind that ?" The research reached a set of results, including: such as the presence of the Chinese, especially in the western states, a problem that raised the governments of those states, especially after the tensions that occurred between American workers and their Chinese counterparts, as most American workers viewed the expatriate workers as the reason for lowering wages and reducing job opportunities. This prompted them to attack the Chinese gatherings and demand their expulsion. The Big Law of March 3, 1875 was the first law that dealt with Chinese immigration and that put barriers to entry for some

groups of Chinese society. The United States, as this law completely prevented the arrival of Chinese workers and placed harsh conditions on other groups, and it had great repercussions in all fields, and the work of its content continued for more than two decades.

Keywords: (immigration law, Chinese exclusion, the United States of America, page law)

المقدمة

أدى انفتاح الولايات المتحدة الأمريكية على الهجرة إلى إثراء ثقافتها ، وتوسيع الفرص الاقتصادية ، وتعزيز نفوذها في العالم ، فضلا عن استمرار المهاجرين في التدفق والاندماج بنجاح في المجتمع الأمريكي ، لاسيما الساحل الغربي الذي شكل فيه الصينيين واحد من اقدم الاقليات في الولايات المتحدة الأمريكية حتى منتصف القرن التاسع عشر ، حينما بدأ العديد من العمال الأمريكيين يشعرون بالتهديد من زيادة الهجرة الصينية إلى الولايات المتحدة الأمريكية في مجال العمل فضلا عن امكانية تأثيرهم على هوية البلاد . اذ شعر العديد من الأمريكيين منهم بالقلق من أن ينافسهم المهاجرون الصينيون على وظائفهم والعمل بشكل غير عادل والعمل بأجور أقل ، اذ وجد عمال السكك الحديدية انفسهم في منافسة مع العمال الصينيين ، و بدأت المجموعتان بالتنافس على الحد الأدنى من الاجور وتلبية طلب أرباب العمل وتوفير المهارات المطلوبة وكسب ثقة ارباب المعامل ، وعلى الرغم من ان الصينيين بذلوا جهودا كبيرا في بناء واعمار مدن الساحل الغربي ، الا ان جهودهم اخفقت في الاندماج بالمجتمع الامريكي ، اذا واجهوا الطرد والاستبعاد والقتل في بعض الاحيان، من هنا جاء اختيارنا لموضوع " قانون الاستبعاد الصيني في الولايات المتحدة الأمريكية، الأسباب والتداعيات ١٨٨٢-١٩٠٢ " ، لمعرفة تلك القضية وبيان أهمية العوامل التي ساهمت في عدم اندماج المهاجرين الصينيين بالمجتمع الامريكي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر كمهاجرين يتمتعون بالحقوق التي نصت عليها القوانين الامريكية فيما يتعلق بالحق في الهجرة والعمل و الاحترام المتبادل مع المواطنين الأمريكيين على الرغم من تأثيرهم الفاعل والبناء في مجتمع بكر التكوين .

ان الاشكالية التي يطرحها البحث تتمثل في السؤال الاتي "هل كان للعامل الاقتصادي وحماية الهوية الثقافية للمجتمع الامريكي السبب الاساس الذي دفع المشرعين الامريكيين لإصدار تلك القوانين ، ام ان هنالك اسباب اخرى وراء ذلك " ، وعن طريق الخطة المنهجية التي قسم البحث على اساسها سوف يتم الاجابة عن تلك الاشكالية من خلال محاور البحث .

قسم البحث الى مقدمة واربعة محاور وخاتمة ، تتبع المحور الاول تطور مراحل المشاعر المناهضة للصينيين ١٨٧٥-١٨٨٢ ، فيما جاء المحور الثاني بقانون الاستبعاد الصيني لعام ١٨٨٢ ، وتناول المحور الثالث تداعيات قانون الهجرة لعام ١٨٨٢ ، ودرس المحور الرابع قانون جيري لتقييد الهجرة ١٨٩٢ ، واخيرا الخاتمة التي حملت اهم الاستنتاجات الى جاء بها البحث . واعتمدنا في كتابة هذا البحث على مجموعة من اهم المصادر الانكليزية المتمثلة بالكتب والمقالات التي ناقشت هذا الموضوع

،فضلا عن محاضر الكونجرس الأمريكي المنشورة على موقع الكونجرس الأمريكي والتي ناقشت قوانين وقضايا الهجرة الأمريكية ، وغطت بما احتوته من معلومات وبيانات ومناقشات اغلب محاور البحث وكانت رافدا لا غنى عنه عند الكتابة عن هذا الموضوع .

المحور الاول : تطور مراحل المشاعر المناهضة للصينيين ١٨٧٥-١٨٨٢

بدأ المهاجرون الصينيون بالتدفق إلى الولايات المتحدة الأمريكية بشكل عام في أواخر أربعينيات القرن التاسع عشر وتحديدًا عام ١٨٤٨ بعد الأنباء التي انتشرت عن اكتشاف مناجم الذهب في كاليفورنيا* (Nancy and others , 1999) ، فضلا عن حاجة شركات السكك الحديدية الى العمالة الاجنبية الرخيصة ، والتي قامت بتوظيف المئات من العمال الصينيين في المناطق الريفية والذين بلغ عددهم بحلول ١٨٥٢ في سان فرانسيسكو وحدها (٢٩٥٤) ، عامل صيني من الرجال و (١٩) فقط كانوا من النساء (Abrams , 2005 , P.649) ، لاسيما وان الصينيين الذين كانوا على تواصل وعمل دائم هم في غالبيتهم من التجار والبحارة الذين عملوا في موانئ الصين وجنوب شرق اسيا ، ولم يفكر اغلبهم في الهجرة الدائمة او الاقامة المتواصلة في الولايات المتحدة الأمريكية حتى ذلك التاريخ ، اذ خضع معظمهم الى قوانين التجنيس والاقامة فيما يتعلق بدخولهم الى الولايات المتحدة الأمريكية (Danico, 2014, P.217) ، او قوانين تنظيم الهجرة فيما يتعلق بعملية نقلهم (Report of the secretary of the treasury on the state of the finances, 1854, PP.497-501.)

سرعان ما تغير الوضع في العقدين الخامس والسادس من القرن التاسع عشر، لاسيما مع ازدياد الهجرة الصينية الى الولايات المتحدة الأمريكية والتي كان لها ما يبررها عند النظر في الواقع الاقتصادي الصيني خلال تلك المدة والتي شهدت ضعف اقتصادي وفقر مدقع جعل الحكومة الصينية تدعم وتشجع مواطنيها بالهجرة ملوحين لهم بالفرص الاقتصادية التي تنتظرهم في تلك البلاد ، فضلا عن الضرائب العالية التي عانى منها المواطن الصيني لاسيما بعد حرب الافيون الاولى (١٨٣٩-١٨٤٢) والثانية (١٨٥٦-١٨٦٠) (Hanes, Sanello , 2002) ، وازمة الرز والمجاعة والفيضانات التي جعلتهم على حد قول احد الكُتاب في (يأس اقتصادي) (Segal, 2002 ,P.42).

دفعت تلك الاسباب التي ذكرناها الصينيون بالهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية للعمل في مناجم التعدين ورفض الطرق على امل ان يعودوا محملين بما يكفيهم من المال ، لاسيما وان ٨٤% من هذه العمالة الوافدة كانت تقيم في كاليفورنيا التي شهدت في ذلك الوقت تطورا في مجال التعدين والعديد من الصناعات الاخرى (Tarling, Gomez, 2008 ,P.102). وخلال الفترة الممتدة من عام (١٨٤٨-

* أعلن مجموعة من المستوطنين في سونوما استقلال جمهورية كاليفورنيا في عام ١٨٤٦ ، وكنتيجة للحرب المكسيكية الأمريكية تخلت المكسيك عن ولاية كاليفورنيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وأصبحت الولاية الحادية والثلاثين المنضمة إلى الاتحاد في ٩ ايلول ١٨٥٠

١٨٧٠) وصل عدد المهاجرين الصينيين العاملين في الولايات المتحدة الأمريكية الى (٦٣٠٠٠) عامل ، والذين تضاعفوا خلال تلك المدة بنسبة (٢١) مرة ، مما عزز من مجتمعات الآسيويين في كاليفورنيا مما واثر بصورة مباشرة على العمالة المحلية الأمريكية ، فضلا عن التأثيرات الاجتماعية لهجرة الجاليات الآسيوية التي دفعت المشرعين الأمريكيين بالبحث عن قوانين تحد منها او تضع لها حلولاً مناسبة والتي توجت بإصدار قانون بيج في ٣ اذار ١٨٧٥ (Lee , 2010 ,P.255).

كان القانون الذي تقدم به السيناتور هوراس ف. بيج * (United States. Congress House. Horace F. Page 1976 ,P.53) (المعروف بقانون بيج) التشريع الفيدرالي الأمريكي الاول الذي تعامل مع مسألة المهاجرين الصينيين والاثار الاجتماعية والاقتصادية الناجمة عنها ، اذ كان ذلك القانون من اوائل الحواجز التي اقامتها الولايات المتحدة الأمريكية لتحديد الهجرة الصينية المتواجدة في كاليفورنيا والتي دعا اليها عضو الكونغرس الأمريكي هوراس بيج ، والذي طالب بتحديد الشروط للمهاجرين الصينيين واستبعاد بعضهم ، اذا تمكن من منع المهاجرين غير المرغوب فيه ومنع النساء الصينيات اللاتي يعملن في البغاء من القدوم الى الولايات المتحدة الأمريكية مما يسهم في تعزيز المجتمعات الصينية ونشر الرذيلة فيها (Austin, 2015, P.213)، فضلا عن استبعاد المجرمين وقطع الطريق امام المقاولين الذين جلبوا الآلاف من العمالة الصينية الرخيصة والعاهرات بطرق ملتوية واللاتي دخلن بصفتهن زوجات ثانويات للعمل في الدعارة فتولدت مشاعر مناهضة للصينيين في تلك الحقبة (Motomura, 2014, P.35).

ساهمت تلك المشاعر المعادية للصين خلال عقد السبعينيات من القرن التاسع عشر والتي اتسمت بالإيحاءات العرقية والأخلاقية والصحية الى الدفع بالمشرعين لطرح مشروع ذلك القانون الذي كان يتعارض مع معاهدة بورلينجيم The Burlingame Treaty ، التي وقعت في ٢٨ تموز * ١٨٦٨ (Cheng, 1955) ، اذا نصت المادة الخامسة من المعاهدة على حماية الحقوق المتبادلة للهجرة الحرة بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية (Dobson , 2009 ,P.116)، دفعت هذه المعاهدة دعاء تقييد

* هوراس فرانسيس بيج (١٨٣٣ - ١٨٩٠) محامي وسياسي أمريكي ،مثل كاليفورنيا في مجلس النواب بالولايات المتحدة الأمريكية لمدة خمس فترات بين ١٨٧٣ و ١٨٨٣ . بدأ يحرض ضد هجرة الآسيويين ، والصينيين في المقام الأول ، استخدم الأفكار العنصرية علانية للدفاع عن موقفه.

* معاهدة بورلينجيم : هي معاهدة تاريخية بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين ، لتعديل معاهدة تينتينس ، لإقامة علاقات ودية رسمية بين الدولتان ، منحت الولايات المتحدة الأمريكية الصين مكانة الدولة الأكثر تفضيلاً فيما يتعلق بالتجارة . تم التوقيع عليها في واشنطن العاصمة عام ١٨٦٨ ، وتم التصديق عليها في بكين عام ١٨٦٩ ، كانت النتيجة الأكثر أهمية للمعاهدة أنها رفعت فعلياً أي قيود سابقة فيما يتعلق بالهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية من الصين ، مع هجرة واسعة النطاق إلى الولايات المتحدة الأمريكية تبدأ بجديّة من قبل المهاجرين الصينيين .

الهجرة الى التركيز على العمالة الصينية والنساء ، اذ حاول المشرعون في ولاية كاليفورنيا التحايل على بنود معاهدة بورلينجيم من خلال استخدام قوانين مكافحة الدعارة للحد من هجرة النساء الصينيات بشكل خاص (Abrams , 2005 ,P.664) .

حدد قانون بيج ثلاث حجج وراء استهداف تلك الفئات من المهاجرين الصينيين والتي تمثلت في ،
اولا : أن ممارسة العمالة الرخيصة تنتهك أخلاق سكان كاليفورنيا وتضر بالولاية اقتصاديًا ؛ ثانيا : أن
الخطر المفروض على العمالة الرخيصة بموجب معاهدة بورلينجيم يجب دعمه ، ثالثا: أن الدعارة
وممارستها عامل مهم في حياة المرأة الصينية المهاجرة ، لاسيما وان السيناتور بيج كان يرى فيها
تعارضاً مع القيم الأخلاقية لسكان كاليفورنيا (Austin, 2015,P.213)، إذا على الرغم من أن عدد النساء
الصينيات المهاجرات كان قليلاً نسبياً إلا أن العديد من المنظمات الصينية والمقاولين وجدوا أن استخدام
النساء في مجال الدعارة امر مريح للغاية مما دفعهم لجلب العشرات منهن إلى الولايات المتحدة الأمريكية
واللأثني غالباً ما اتهمن بأنهن مصدر الأمراض الجنسية والانحلال الأخلاقي مما اعطا المناهضين للهجرة
الصينية الفرصة للمطالبة بمنعهم بحجة حماية الصحة العامة (Abrams , 2005 ,P.664) . وهذا ما أشار
إليه الرئيس الأمريكي يوليوس جرانت * Ulysses S. Grant (Bunting, 2004) ، في رسالته السنوية
الاخيرة إلى الكونجرس في كانون الأول ١٨٧٥ والتي قال فيها " استرعي انتباه الكونجرس. إلى أنه ليس
اقل شراً جلب النساء الصينيات ولكن ليكن معلوم بأن القليل منهن يتم إحضارهن إلى شواطئنا لمتابعة
العمل في مهنة شريفة ومحترمة..". (<https://www.presidency.ucsb.edu/documents/seventh-annual-message-3>)

وبناءً على ذلك قدم مشروع ذلك القانون إلى الكونجرس الأمريكي الثالث والأربعون الفصل
التشريعي الثاني ، اذ وافق عليه مجلس النواب في ٢٢ شباط ١٨٧٥ ، ومجلس الشيوخ في ٣ اذار من
نفس العام وصادق عليه الرئيس في اليوم ذاته ، ليصدر رسمياً في ٣ اذار ١٨٧٥ ، تضمن ذلك القانون
خمس مواد تعاملت مع مشكلة منع المتعاقدات الصينيات الراغبات في الهجرة الى الولايات المتحدة
الأمريكية للعمل في الدعارة او اي دولة من شرق اسيا (Austin, 2015, P.213) ، وجاءت المادة الثانية
بعقوبات على المواطنين الأمريكيين الذين يقومون بتسهيل او جلب تلك البغايا إلى الولايات المتحدة
الأمريكية، فيما نصت المادة الثالثة بصورة واضحة الى ان إدخال النساء لغرض الدعارة ومعاقبة من
يعمل بتلك التجارة ، وحددت المادة الرابعة عقوبة لكل شخص يحاول ممارسة تلك التجارة أو يسهل عملية

* يوليوس جرانت (١٨٢٢ - ١٨٨٥) ، الرئيس الثامن عشر للولايات المتحدة (١٨٦٩-١٨٧٧)، والقائد العام لجيش الولايات المتحدة الأمريكية (١٨٦٤-١٨٦٩)، عمل مع الرئيس أبراهام لينكون لقيادة جيش الاتحاد للانتصار على الكونفدرالية في الحرب الأهلية الأمريكية، طبق جرانت سياسات الكونجرس لإعادة الإعمار، وقاد الجمهوريين في جهودهم الرامية إلى إزالة بقايا القومية الكونفدرالية والعبودية، وحماية المواطنين السود.

نقل النساء المهاجرات الى الولايات المتحدة الأمريكية ، وتناولت المادة الخامسة الفئات الممنوعة من دخول الولايات المتحدة الأمريكية وهم الاشخاص المدانين بجرائم جنائية والنساء المهاجرات لغرض العمل في الدعارة ، والقيت مسؤولية تحديد تلك الفئات على ضابط التفتيش في الميناء الذي توجب عليه تفتيش السفينة لغرض منع قدوم هؤلاء الاشخاص (Abrams , 2005, pp.643-644) .

الواضح أن القانون استهدف بالدرجة الأولى النساء الصينيات اللاتي يدخلن للعمل بمهنة غير أخلاقية الى الولايات المتحدة الأمريكية ، ويبدو أن الهدف المعلن هو تعارض تلك الأعمال مع القيم الأخلاقية ، الا أن المشرعين الأمريكيين كانوا راغبين في عدم وجود مجتمعات متكاملة من المهاجرين الصينيين التي بدورها تؤثر على العمالة الأمريكية المحلية والطبيعية الديموغرافية في ولاية كاليفورنيا ، لاسيما مع وجود الاحتكاكات العنيفة التي بدأت ارهاصاتها تظهر في المجتمع الأمريكي، لذا شرع ذلك القانون الذي اثبت نجاحه للحد من هجرة النساء الصينيات التي كانت نسبتها ٧٨ لكل ١٠٠٠ مهاجر صيني في أوائل سبعينيات القرن التاسع عشر وانخفض إلى ٤٧ لكل ١٠٠٠ بعد اقرار قانون بيج الذي مهد الطريق لتشريعات اخرى للحد من الهجرة الصينية* (Wood, 1930)، والذي تبلور بعد ذلك بإقرار قانون الاستبعاد الصيني لعام ١٨٨٢ (Austin, 2015, P213) .

المحور الثاني : قانون الاستبعاد الصيني ١٨٨٢

اولا : ملابسات تشريع القانون :

لم يوقف قانون بيج لعام ١٨٧٥ سيل المشاعر المعادية للمهاجرين الصينيين وإنما كانت بداية تفكير جدي في إيجاد حلول تشريعية لمسألة العمال الصينية المتواجدة على الأراضي الأمريكية والتي يرى فيها العديد من الأمريكيين بأنها مصدر تهديد للاقتصاد الأمريكي والطبقة العمالية المتنامية التي تضررت كثيرا من الكساد الاقتصادي لعام ١٨٧٣ ، لاسيما وانهم برروا ذلك بأن الأرباح التي تحصل عليها العمال الاجنبية تعود بالنفع على الاقتصاد الصيني، وأكدوا على أن هذه العمالة الرخيصة زادت من أرباح الطبقة الرأسمالية وزيادة الفجوة بين الفقراء والأغنياء . ومع استمرار تداعيات الأزمة الاقتصادية لعام ١٨٧٣ وزيادة معدل البطالة في ولاية كاليفورنيا والتي وصلت إلى ١٤% عام ١٨٧٦ واستمرار معدلاتها العالية التي وصلت إلى ٢٠% عام ١٨٧٧ ، وتحت تأثير الدعاية المناهضة للصينيين، اندلعت أعمال عنف

* صدر قانون الهجرة The Immigration Act في ٣ اب ١٨٨٢ ضد جميع المهاجرين واستبعد المجانين والمدانين والاشخاص الذي يمكن ان يكون مصدر عبث ، والنساء اللواتي يسافرن بمفردهن واللواتي يُمنعن من الدخول وفرض القانون رسوم قدرها (خمسون سنتًا) على كل مسافر ليس من مواطني الولايات المتحدة الذين يدخلون اراضي الولايات المتحدة طبق ذلك الشرط المالي لأول مرة على المهاجرين الذين يدخلون الاراضي الامريكية في ذك العام، ويودع في تمويل مهاجر ، لتحمل نفقات تنظيم الهجرة ورعاية المهاجرين.

ضدهم، واستمرت المظاهرات المطالبة بتحسين ودعم عمال السكك الحديدية واحتشد العديد من العمال وهاجموا الشركات الصينية والعديد من العمال الصينيين، وأصبح " الصينيون يجب ان يرحلوا" شعار عام في الحملات السياسية" (P. 5, 2015, koehn) .

في ظل ذلك الجو المشحون بالمشاعر المناهضة للصينيين والمدعوم بالكساد الاقتصادي وارتفاع معدل البطالة قرر دنيس كيرني Denis Kearney تأسيس حزب عمال كاليفورنيا والذي عقد اول اجتماعاته عام ١٨٧٨ على مستوى الولاية والتي دعا في أجدته من بين أمور كثيرة إلى حضر العمالة الصينية بحجة ضعف اجور العمال الأمريكيين لصالح العمالة الأجنبية، وعلى الرغم من أن الحزب لم يكن مؤثراً على المستوى الوطني إلى أنه نجح في إدخال العديد من الأفكار المعادية للصينيين في دستور ولاية كاليفورنيا الصادر عام ١٨٨٠ **ولاسيما** المادة التاسعة عشر التي اكدت على جملة من الامور منها: " حرمان المواطن الصيني من حق التصويت ، وحضر كامل على توظيف الصينيين في القطاع العام ، فضلا عن دعوة مجلس الولاية لحماية كاليفورنيا من الشرور الناتجة عن وجود الجاليات الصينية"

(constitution of the state of California , 1880, article 19, P. 6)، وبدأت مسألة المهاجرين الصينيين تظهر في الحملات الانتخابية الرئاسية فدعت تلك الأحداث الإدارة الأمريكية إلى التفكير بصورة جدية في

إعادة النظر في معاهدة بورلنجيم واختيار السيد جيمس بوريل انجل* James Burrill Angell (Smith and Angell, 1954) لهذه المهمة وقيادة الوافد التفاوضي مع الصين في بداية عام ١٨٨١، وبعد مفاوضات عميقة وافقت الحكومة الصينية على مضمون منح الحكومة الأمريكية سلطة (تنظيم أو تعليق الهجرة) طالما أن هذه الإجراءات تكون بشكل معقول مع ضرورة حرية الطلاب والمعلمين والتجار في السفر ، فضلا عن حق العمال الصينيين الذين يقيمون في الولايات المتحدة **الأمريكية** بالسفر بمحض إرادتهم، وقد صادق الكونجرس الأمريكي على معاهدة انجل في أيار ١٨٨١ وتم الإعلان عنها رسمياً في ١٧ تشرين الثاني ١٨٨١ (Gold , 2011 ,P.P.503-504).

تكونت معاهد انجل من اربع بنود(Gold , 2011,PP.503-504)، واهم ما جاء فيها (كلما كان في رأي الولايات المتحدة **الأمريكية** ، قدوم العمال الصينيين يؤثر على مصالح البلد ، توافق حكومة الصين على أنه يجوز لحكومة الولايات المتحدة **الأمريكية** تنظيم أو تقييد أو تعليق مثل هذا القدوم أو الإقامة ، لكنها قد لا تحظره تمامًا ، ويجب أن يكون التقييد أو التعليق معقولاً وينطبق فقط على

* جيمس بوريل أنجيل (١٨٢٩ - ١٩١٦) دبلوماسي أمريكي، اشتهر بكونه الرئيس الأطول خدمة لجامعة ميشيغان ، من ١٨٧١ إلى ١٩٠٩ ، شغل أنجيل مناصب دبلوماسية كوزير لأمريكا في الصين من ١٨٨٠ - ١٨٨١ في مهمته إلى الصين كان المفاوضات الأساسية لمعاهدة انجل لعام ١٨٨٠ التي حددت من هجرة العمال إلى الولايات المتحدة الأمريكية ومعاهدة اخرى تقيد تجارة الأفيون في الإمبراطورية العثمانية ثم موفوداً إلى الدولة العثمانية من ١٨٩٧ - ١٨٩٨، كان مسؤولاً عن حماية المبشرين الأمريكيين خلال الاضطرابات التي أعقبت مذبحه الأرمن.

الصينيين الذين قد يذهبون إلى الولايات المتحدة الأمريكية كعمال (United States Congress , 1904) P.4084, عدلت معاهدة انجيل المعروفة رسمياً (بمعاهدة تنظيم الهجرة مع الصين) بنود معاهدة بورلنجيم التي تخص الهجرة ،اذ سمح ذلك التعديل الاخير بتقييد هجرة فئات معينة من العمال الصينيين ونقلت سياسة الهجرة الأمريكية الى وضع اقرب ما يكون الى اقصاء العنصر الصيني بشكل كامل ، واشرت تلك المعاهدة تحول مهم في العلاقات بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية على مستوى الهجرة ،فقد انتهت هذه المعاهدة سياسة الباب المفتوح امام الهجرة الصينية وفتحت الباب امام اللوبيات الأمريكية لدعم التشريعات التي تحد الهجرة ،لاسيما وان حماية الهجرة الصينية ضلت حبراً على ورق مع الاعتقاد السائد لدى الرأي العام الأمريكي بأن الصين امة ضعيفة لا تمتلك قوة لدعم مطالبها (koehn, 2015 ,p. 6).

على الرغم من ان ذلك التعديل، استمرت المطالبات بتحديد الهجرة الصينية وتقييدها من قبل العديد من المنظمات والحركات الأمريكية على الرغم من التعديل الذي طال جوهر سياسة الهجرة الأمريكية ، اذ استلم الكونغرس الأمريكي عام ١٨٨١ خمس وعشرون عريضة مناهضة للصينيين مقدمة من قبل جماعات مدنية ودينية ، لاسيما الكنيسة الميثودية وفوج عصبة اتحاد نيويورك League Corps New York Union، فضلا عن ممثلين عدد من الولايات المتحدة الأمريكية لاسيما الاباما وفيرجينيا وويسكونسن (Mapping Racisms, 2012, P.P.36-37).

دفعت تلك الضغوطات السلطات التشريعية التي يهيمن عليها الجمهوريين إلى محاولة إصدار تشريع يجسد تلك المشاعر قانونياً، لذلك قدم السيناتور جون ميلر* John Miller (Guns in American Society, 2012, P.532)، مشروع قانون لاستبعاد الصينيين في ٩ اذار ١٨٨٢ ، والذي فرض حظر شامل على العمالة الصينية لمدة عشرين عاماً والذي مرر من قبل مجلسي الشيوخ والنواب بأغلبية كبيرة الا ان الرئيس تشستر آرثر* (Pafford and Arthur, 2019)، نقض ذلك القانون في ٤ نيسان ١٨٨٢ ، محتجاً بأن فرض حظر على العمالة الصينية يتعارض مع مواد معاهدة انجل لعام ١٨٨١ التي سمحت بفرض حظر معقول على الهجرة الصينية ، ولكي يتجاوز الكونغرس تلك المشكلة قرر أن يكون الحظر لمدة عشر سنوات فقط ، وبالفعل صوت مجلس النواب بالموافقة عليه يوم ١٧

* جون فرانكلين ميلر (١٨٣١ - ١٨٨٦) محامي ورجل أعمال وجنرال في جيش الاتحاد أثناء الحرب الأهلية الأمريكية ، مثل كاليفورنيا في مجلس الشيوخ بالولايات المتحدة الأمريكية من عام ١٨٨١ حتى وفاته، اشتهر بعدة مشاريع قانونية ضد المهاجرين الصينيين

* تشيستر آلان آرثر (١٨٢٩ - ١٨٨٦)، محامي وسياسي أمريكي ، الرئيس الحادي والعشرين للولايات المتحدة (١٨٨١-١٨٨٥)، تولى الرئاسة بعد وفاة الرئيس جيمس أ. جارفيلد في سبتمبر ١٨٨١ ، نجح بتبنيه قضية إصلاح الخدمة المدنية، وكان صاحب الدعوة لقانون بندلتون لإصلاح الخدمة المدنية وقام بتطبيقه ، وكان هذا القرار محور إدارته الرئاسية.

نيسان ١٨٨٢ بواقع (١٠٢ عضوا موافق) ورفض (٨٨ عضو) وامتناع (٥٢ عضو) عن التصويت ، ووافق عليه مجلس الشيوخ في ٢٨ نيسان ١٨٨٢ بواقع موافقة (٢٢ عضوا) ورفض (٩ اعضاء) وامتناع (٢٩ عضوا) وصادق عليه الرئيس الأمريكي في ٦ ايار ١٨٨٢ (Soennichsen , 2011,P.67).

ثانيا :محتويات القانون

تم تمرير قانون الاستبعاد الصيني المعروف رسميا بـ " قانون لتنفيذ بعض أحكام المعاهدات المتعلقة بالصينيين " An Act To Execute Certain Treaty Stipulations Relating to Chinese في ٦ ايار ١٨٨٢ ، وبعد أول قانون يقيد الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية على أساس العرق ،على الرغم من أن الجالية الصينية في الولايات المتحدة الأمريكية لا تشكل سوى (٠.٠٠٢) من سكان البلاد أي ما يعادل (١٠٥) الف صيني من أصل (٥٠,١٨٩,٢٠٩) مواطن أمريكي طبقاً لإحصاء عام ١٨٨٠ (Chinese immigration : speech of William W. Rice, 1989 ,P.18)، الا ان المشاعر المناهضة لهذه الجالية والأحداث الاقتصادية والاجتماعية التي صاحبته ساهمت في إقرار ذلك القانون الذي تكون من **خمس عشر مادة** ، منعت المادة الاولى قدوم العمال الصينيين إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، والزمّت المادة الثانية ريان السفينة بعدم جلب أي عامل صيني وبخلافه يعتبر مذنباً بارتكاب جنحة ويعاقب بغرامة لا تزيد عن خمسمائة دولار عن كل عامل صيني يتم جلبه او بالسجن لمدة لا تزيد عن عام واحد(United States. Department of State, 1893, P.P.110-113).

استثنت المادة الثالثة العمال الصينيين المتواجدين قبل تاريخ (١٧ تشرين الثاني ١٨٨٠) من مواد ذلك القانون شرط ان يقدم ما يثبت ذلك ، واكدت المادتين الرابعة والخامسة الى وجوب تقديم السفن قائمة بجميع العمال الصينيين وتسجيلها في دفاتر التسجيل (**كشهادة تعريفية**) ، يذكر فيها الاسم والعمر والمهنة والمكان الأخير الإقامة ، ووصف الشخصية ، وجميع الحقائق اللازمة لتحديد هؤلاء العمال الصينيين وتحفظ هذه البيانات في دار الجمارك مع التأكيد الى ان اي عامل يغادر الولايات المتحدة الأمريكية برا له الحق بالحصول على شهادة تعريف مماثلة لتلك المنصوص عليها اعلاه ، واوصت المادتين السادسة والسابعة بوجوب تحديد سبب قدوم الشخص الصيني إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وتحديد اهليته من قبل الحكومة الصينية ،اذ يجب تقديم شهادة إثبات صادرة من الحكومة الصينية باللغة الإنجليزية أو مصحوبة بترجمة إلى اللغة الإنجليزية يذكر فيها الاسم واللقب والرتبة الرسمية إن وجدت ، فضلا عن العمر والطول وجميع الخصائص الجسدية والوظيفة السابقة والحالية والمهنة ومكان الإقامة في الصين ، وتقدم كل تلك البيانات إلى ضابط الجمارك داخل المقاطعة التي سيصل إليها الشخص المذكور على الساحل الأمريكي ، وبينت تلك المادتان العقوبة التي يتعرض لها المخالفين اذ اكدت بأن اي شخص يقوم بتزوير الشهادة سيعتبر مذنباً بارتكابه جنحة ؛ وتفرض عليه

غرامة لا تتجاوز ألف دولار والسجن لمدة لا تزيد عن خمس سنوات. (United States. Department of State , 1893 ,PP.110-113)

اما المواد الثماني المتبقية فقد الزمت ربايين السفينة التي تصل الولايات المتحدة **الأمريكية** بضرورة الإبلاغ عن اي ركاب صينيين ، وواجبتهم بتقديم قائمة بجميع الركاب الصينيين ، بضمنهم المسؤولون والموظفون المعتمدون من الحكومة الصينية ، مع استيفاء شروط تسجيل البيانات كما هو مبين في الشهادات الخاصة التعريفية مع مقارنة تلك الشهادة بالقائمة وبالركاب، واكدت بعدم جواز استقبال اي مواطن صيني دون تقديم تلك الشهادات ، مع الاشارة الى ان الرفض أو الإهمال المتعمد في تسجيل تلك البيانات من الممكن ان يعرض الشخص المسؤول لنفس العقوبات في المواد اعلاه ويعد انتهاكا للقانون وتصادر السفينة ، فضلا عن ان أي شخص يساعد أو يحرض على الهبوط في **الولايات المتحدة الأمريكية** يُعد مذنباً بارتكاب جنحة ويتم تغريمه مبلغ لا يتجاوز ألف دولار ، وسجنه لمدة لا تزيد عن عام واحد ، ولا تنطبق الشروط التي ذكرت على المسؤولين الدبلوماسيين وغيرهم من المسؤولين في الحكومة الصينية الذين يسافرون بعمل رسمي والذين يجب أن تُؤخذ أوراق اعتمادهم على أنها معادلة للشهادة ، كما لا يجوز لأي محكمة في **الولايات المتحدة الأمريكية** منح الجنسية للمواطنين الصينيين من صدور ذلك القانون فصاعداً ، اما المادة الخامسة عشر والاخيرة اكدت أن عبارة "العمال الصينيين" أينما استخدمت في هذا القانون ، يجب أن تفسر على أنها تعني العمال المهرة وغير المهرة والصينيين العاملين في مجال التعدين (United States Department of the Treasury ,1886 ,P.P.107-111).

بحلول عام ١٨٨٢ شهدت سياسة الهجرة الأمريكية تحولين مهمين تمثل الاول بالشروط التي فرضها قانون الاستبعاد الصيني ،والذي عُد القانون الاول للهجرة والذي استهدف جنسية محددة منعا من دخول الولايات المتحدة الأمريكية ،على الرغم من سياسة الهجرة الأمريكية المفتوحة على مدى عقود ،فضلا عن تمرير قانون الهجرة في ٣ اب ١٨٨٢ والذي وضع شرطا ماديا توجب على الراغب بالهجرة الى الولايات المتحدة **الأمريكية** دفعه للدخول لتلك البلاد ،وبذلك تكون تلك المرة الاولى التي يفرض فيها شرط مادي وتحديد جنسية محددة تعاملت معها قوانين الهجرة الأمريكية .

المحور الثالث: تداعيات قانون الهجرة لعام ١٨٨٢

اولا : التداعيات الشعبية

عارض المجتمع الصيني الأمريكي بشدة قانون الاستبعاد الصيني لعام ١٨٨٢ ،وقدم الآلاف من المهاجرين الصينيين الذين مُنعوا من الدخول في الميناء أوامر إحضار مُدعين أنهم احتُجزوا بشكل غير قانوني وحُرموا من حقهم في السفر ، مما أدى إلى إرباك محاكم الساحل الغربي بشكل كبير، وكشف قضايا المثول أمام القضاء والتي وجدت تعارض مع معاهدة بولنجم لعام ١٨٦٨ ، وايجاد ثغرات سمحت للمهاجرين الصينيين بتقديم أدلة مثل الشهادات الشفوية أو السجلات المكتوبة ، بدلاً من

الشهادات الرسمية لإثبات الإقامة- (https://www.archives.gov/milestone-documents/chinese-exclusion-act)

من جهة أخرى كان قبول الطلاب الأجانب في الكليات والجامعات الأمريكية عنصرًا مهمًا في عكس الثقافة الأمريكية في مجتمعهم ، إذ كان يُنظر إلى التعليم الدولي تاريخيًا على أنه وسيلة لتحسين العلاقات الدبلوماسية وتعزيز التجارة بين الامم ، ومع ذلك أجبر قانون الاستبعاد الطلاب الصينيين الذين حاولوا دخول الولايات المتحدة الأمريكية لتقديم دليل على أنهم لا يحاولون تجاوز اللوائح والقوانين التي انبثقت من القانون والتي خضعت لأوضاع أقل مثالية للطلاب الصينيين ، مما أدى إلى بعض الانتقادات للمجتمع الأمريكي وقدرته على المشاركة في مبادرات التعليم الدولية. (Moon , 2018, P.P. 261-294)

شجع إصدار قانون الاستبعاد الصيني العنف ضد مجتمعات المهاجرين الصينيين والتي تضمنت محاولات لإجبار الصينيين على مغادرة منازلهم وأراضيهم ، مما انعكس على ولادة عصر جديد عرف "بعصر طرد الصينيين" في تلك الفترة ، إذ أجبر الأمريكيون المناهضون للصين المجتمعات الصينية على الفرار إلى مناطق أخرى ، وكان الحادثان الأكثر بروزًا في تلك الفترة هما ؛ الأولى مذبحة روك سبرينغز Rock Springs massacre في مقاطعة سويتواتر بولاية وايومنغ في ٢ ايلول ١٨٨٥ (Song, 2009 P.241)، كانت دوافع هذا الاعتداء تكمن في اعتقاد العمال المحليين الأمريكيين بأن العمالة الصينية الرخيصة باجتهادهم في العمل وقبولهم بأجور أقل من نظرائهم الأمريكيين يمكن ارباب العمل من الاستغناء عنهم في اي وقت ، ولم يعد لإضرابهم ومناوراتهم من اجل زيادة اجورهم وتحسين ظروفهم اي فائدة تذكر لاسيما اضرابهم الاخير في ايلول ١٨٨٥ ، والذي حاولوا من خلاله تحقيق بعض مطالبهم الا ان وجود العمال الصينيين بالميزات التي ذكرناها انفا ، دفعت ارباب العمل الى تعويض العمال البيض المضربين بزملائهم الصينيين بواقع ١٥٠ عام صيني ولم يعد منهم سوى ٥٠ عامل ابيض فقط ، ولم يتمكن العمال البيض المطرودين من ايجاد عمل اخر لهم ، وازاء ذلك شعر العديد من العمال البيض بالتهديد من المنافسة التي شكلها العمال الصينيون مما دفعهم الى اصدار اذار الى العمال الصينيون لمغادره المدينة خلال ساعه واحده وبدأوا قبل نفاذ الوقت المهاجمة السطو عن العمال الصينيين واطلاق النار ورغم محاوله العديد منهم الفرار الا ان جزء كبير منهم تعرض للحرق او الموت جوعا في ملاجئهم واستطاع بعضهم الهروب الى ولاية ايلينوي ، وكان حصيلة اعمال العنف مقتل حوالي ٤٠ عامل صيني، ولتهدئه الوضع ارسلت الحكومة الأمريكية قوات فيدرالية لحماية الجالية الصينية والتي قامت بدورها دفع لهم تعويضات بلغت (١٤٠.٠٠٠) الف دولار الا انهم لم يقاضوا او يحاسبوا اي شخص عن اعمال العنف التي جرت في تلك الواقعة (Sarat , 2020 ,P.P.102-104)

اما الحدث الاخر الذي تمثل بمذبحة هيلز كانيون Hells Canyon massacre في ٢٥ ايار ١٨٨٧ ، راح ضحيته أكثر من ٣٠ شخص من عمال مناجم الذهب الصينيين في مدينة هيلز كانيون

شمال ولاية أوريغون ، ولم يتم اكتشاف الجرائم الوحشية إلا بعد أسابيع عندما طفت عدة جثث في النهر، وأبلغت مجموعة من عمال المناجم الصينيين عما عثروا عليه في الموقع (Zhao, J.W., 2013, P.490)، وتم اتهام عصابة من اللصوص المعروفين بارتكاب جرائم القتل ، ولم تثبت التحقيقات تورطهم بالقضية ، إذ سرق المهاجمون ذهب بقيمة تتراوح من (٤٠٠٠ - ٥٠٠٠) دولار ، لكن العداء العنصري كان دافعاً واضحاً للمذبحة (Zhao, J.W., 2013, P.490).

تجاهلت السلطات المحلية تفاصيل المجزرة ولم يحض الهجوم باي تغطيه صحفيه ، لذلك سعت الحكومة الصينية بالرغم من عدم امتلاكها الا القليل من المعلومات والحقائق عن تلك الحادثة الى الاحتجاج لدى الحكومة الأمريكية التي وافقت على دفع تعويضات مقدارها (٦١٩.٧٥ ، ٢٧٦) دولاراً للحكومة الصينية في تشرين الاول ١٨٨٨ ، وعلى الرغم من ان الاحصاءات الرسمية قد اوردت ان عدد الضحايا بين يتراوح بين (٣١ و ٣٤) عامل صيني الا ان حجم المجزرة قد تتجاوز ذلك (Zhao, J.W., 2013, P.490).

ثانيا : قانون سكوت ١٨٨٨

أدت المشكلات المتعلقة بتطبيق قوانين الاستبعاد الصيني إلى قيام الكونغرس بإلغاء وضع "العمال العائدين ، والذي تم توثيقه من خلال " شهادات العودة "، وتطبيق ذلك القانون انقطعت السبل بنحو ٢٠ ألف عامل صيني يحملون هذه الشهادات خارج الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن تلقوا وعوداً بإعفائهم من قوانين الاستبعاد، وطعن العمال الصينيون في ذلك القانون أمام المحاكم الأمريكية ، بحجة أنه ينبغي احترام شهادات العودة باعتبارها اتفاقيات تعاقدية بين العمال المستبعدين وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية ، وعلى العكس من ذلك أيدت المحكمة العليا الأمريكية ذلك القانون ، مستشهدة بـ "السلطات العامة" للحكومة الأمريكية فيما يتعلق بشؤون الهجرة (Blume , 2016 , P.360). وازاء ذلك الحراك السياسي المحتدم في المجتمع الامريكي خلال عقد الثمانينيات من القرن التاسع عشر قدم السيناتور ويليم لورانس سكوت William L. Scott عضو الكونغرس الامريكي والعضو المؤثر في الحزب الديمقراطي مشروع لتعديل قانون الاستبعاد الصيني لعام ١٨٨٢ في عام ١٨٨٨ وبعد مراجعته سريعة مرر في الكونغرس الامريكي بمجلسيه وصادق عليه الرئيس جروفر كليفلاند Grover * Cleveland ، (Graff and Cleveland, 2002) في ١ تشرين الاول ١٨٨٨ (Soennichsen , 2011 , P.110).

* ستيفن جروفر كليفلاند (١٨ آذار ١٨٣٧-٢٤ حزيران ١٩٠٨) محامٍ وسياسي أمريكي شغل منصب الرئيس الثاني والعشرين والرابع والعشرين للولايات المتحدة ، للأعوام (١٨٨٥-١٨٨٩) و (١٨٩٣-١٨٩٧) ، وهو الرئيس الأمريكي الوحيد الذي فاز بفترتين غير متتاليتين

جاء قانون سكوت بخمس عشر مادة ، استتنتت المادة الاولى والثانية من القانون دخول فئات معينة من الصينيين الى الاراضي الأمريكية (المسؤولين والمعلمين والطلاب والتجار والسياح) بشرط الحصول على إذن من الحكومة الصينية ، مع ضرورة إثبات هويته الشخصية بشهادة صادرة عن الممثل الدبلوماسي للولايات المتحدة في تلك الدولة-148 P.P., 1889, United States. Dept. of the Treasury, (151)، يكتب فيها اسمه في الوثيقة ووصف كامل له وعمره وطوله وخصائصه البدنية العامة ووظيفته السابقة والحالية ومكان إقامته ، وتكون هذه الشهادة بنسختين، اذ تسلم النسخة الاولى للمسافر فيما تسلم النسخة الثانية إلى ريان السفينة المتجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ويخضع ريان السفن الذين يتسترون على اي مسافر صيني دون أن يكون بحوزته هذه الشهادة الى العقوبات المنصوص عليها في هذا القانون. (United States, Statutes of the United States of America Passed at the Session of the Congress , 1888, P.P.476-479)

حددت المادة الثالثة والرابعة سريان أحكام هذا القانون جميع الأشخاص الصينيين او من اصل صيني، باستثناء الدبلوماسيين أو القناصل الصينيين ومرافقيهم ، فيما اوضحت هذه المادة المقصود بعبارة العمال الصينيون أينما استخدمت في هذا القانون والتي تعني العمال الصينيين المهرة وغير المهرة والعمال في التعدين ،ويجب على ريان أي سفينة تصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية وقبل السماح لهبوط أي شخص صيني (ما لم يكن موظفًا دبلوماسيًا أو قنصليًا أو مرافقًا لمثل هذا الموظف) ان يسلم إلى جامع الجمارك تلك شهادات الدبلوماسية ، والتي يجب أن تكون متطابقة مع الشهادات التي يحملونها ، وأن أي رفض أو إهمال متعمد من قبل ريان أي سفينة للامتثال لأحكام هذا القانون سوف يخضع لنفس العقوبات والمصادرة كما هو منصوص عليه في حالة رفض أو إهمال الإبلاغ عن بيان الحمولة واو الامتناع عن تسليمه(LeMay, and others , 1999 , P.P.60-63).

منعت المادة الخامسة والسادسة من هذا القانون عودة أي عامل صيني في الولايات المتحدة الأمريكية بعد مغادرته الاراضي الأمريكية ،إلا وفقًا للشروط المنصوص في هذا القانون، باستثناء الذين لديهم زوجة أو أطفال أو والد شرعي في الولايات المتحدة الأمريكية أو ممتلكات تبلغ قيمتها ألف دولار ، وأن يكون ذلك الزواج قد تم قبل عام واحد على الأقل من تقديم العامل للحصول على تصريح للعودة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وأن يكون متبوعًا بالمعاشرة المستمرة بين الطرفين كرجل وزوجة (United States. Dept. of the Treasury, 1889, P.P.148-151)، فيما تطرقت المادة السابعة والثامنة الى أن أي صيني يدعي الحق في السماح له بمغادرة الولايات المتحدة الأمريكية والعودة إليها ، يجب أن يتقدم بطلب إلى جامع جمارك المنطقة التي يرغب منها المغادرة قبل شهر على الأقل ويجب أن يؤدي أمام المحصل قسما بصحة المعلومات المذكور، مشفوعةً ببيانا كاملاً وصفياً لعائلته أو ممتلكاته أو ديونه وحسب كل حالة ، ويجب أن يقدم لجامع التحصيل تلك الأدلة لتخوله حق العودة ، ويتحمل عقوبات الحنث باليمين

فيما يتعلق بأي قسم كاذب ،ويُسمح للعامل الصيني الحاصل على شهادة العودة بالدخول إلى الولايات المتحدة الأمريكية فقط في الميناء الذي غادر منه حصرا ، باستثناء المسؤولين الدبلوماسيين أو القنصليين الصينيين ومرافقيهم الذين يسمح لهم بدخول بعض الموانئ الأخرى التي يحددها وزير الخزانة ، فيما لم يطرأ تغييرا على المواد من (٩ إلى ١٢) من قانون ١٨٨٢ . (United States. Dept. of the Treasury, 1889 , P.P.476-479)

نصت المادة الثالثة عشر على جواز القبض على أي شخص صيني أو أشخاص من أصل صيني يتم العثور عليهم بشكل غير قانوني في الولايات المتحدة الأمريكية أو أقاليمها ، وبناءً على شكوى قضائية أو ما شابه ذلك ، اذ يعاد ذلك الشخص إلى البلد الذي جاء منه ، واستثنت المادة الرابعة عشر المسؤولين الدبلوماسيين أو القناصل الصينيين الذين سيتم قبولهم في الولايات المتحدة الأمريكية بموجب تعليمات خاصة من وزارة الخزانة دون تقديم دليل آخر غير اثبات الشخصية ، اما المادة الخامسة عشر فقد استبدلت قانون ١٨٨٢ بهذا القانون (LeMay, and others , 1999 ,, P.P.60-63) .

أقر مجلس النواب مشروع القانون بالإجماع ولم يواجه معارضة تذكر في مجلس الشيوخ، وايدت المحكمة العليا الأمريكية ذلك القانون ،الذي واجه اعتراض الحكومة الصينية والتي لم تعترف بشرعيته (Soennichsen, 2011, P.110) . كان قانون سكوت ملحقا وتدعيما لقانون الاستبعاد الصيني لعام ١٨٨٢ الذي حظر دخول العمال الصينيين الى الولايات المتحدة الأمريكية، وانتهت هجرة أو عودة العمال الصينيين وكانت عملية اقرار ذلك القانون بمثابة تأشيرة خروج لجميع العمال الصينيين .

المحور الرابع : قانون جيري لتقييد الهجرة ١٨٩٢

اولا: اقرار القانون

قدم عضو الكونجرس الأمريكي عن ولاية كاليفورنيا توماس جي. جيري Thomas J. Geary ، القانون الجديد لاستبعاد المهاجرين الصينيين والذي عرف (بقانون جيري) الى الكونغرس الثاني والخمسين في فصلة التشريعي الاول ، ودخل هذا القانون حيز التنفيذ في ٥ ايار ١٨٩٢ ، عزز القانون ما جاء في القوانين السابقة على الهجرة الصينية لمدة عشر سنوات اخرى ،وطالب القانون المقيمين الصينيين في الولايات المتحدة الأمريكية بحمل وثائق خاصة (شهادات إقامة)، (Zhao and Park, 2013, P.447) من دائرة الإيرادات الداخلية Internal Revenue Service التابعة لوزارة الخزانة الأمريكية ، وحُكم على المهاجرين الذين تواجدوا على الاراضي الأمريكية وتم القبض عليهم وهم لا يحملون الشهادات بالأشغال الشاقة والترحيل ، ولم يكن الإفراج بكفالة خياراً متاحاً الا إذا ايد المتهم "شاهد أبيض موثوق به" (The Londonderry sifter newspaper , September 09, 1892)، فضلا عن ذلك وضعت الإجراءات الجديدة عدداً من القيود الأخرى على الصينيين ، مثل تقييد وصولهم إلى سندات الكفالة والسماح بالدخول

فقط لأولئك الذين كانوا مدرسين وطلابًا ودبلوماسيين وسائحين ، وأغلق الكونجرس الباب أمام الهجرة الصينية بالكامل تقريباً (Milford chronicle. Newspaper , June 30, 1893).

سمح القانون للعمال الصينيين بالسفر إلى الصين والعودة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، لكن أحكامه كانت أكثر تقييداً من قوانين الهجرة السابقة، إذ كان يتطلب من الصينيين تسجيل وتأمين شاهد ابيض او اوراق ثبوتية كدليل على حقهم في العودة الى الولايات المتحدة الأمريكية، ويواجه عقوبة الحبس أو الترحيل لمن يتخلف عن تقديم الاوراق الثبوتية أو الشهود، وبذلك تكون المجتمعات الصينية في الولايات المتحدة الأمريكية قد خضعت لتغيير جذري بسبب ذلك القانون وتم إجبار العائلات على الفصل فيما بينهم ، وتم إغلاق الشركات التي كانوا يعملون بها بسبب القيود الشديدة التي فرضت على المهاجرات لاسيما نمط هجرة الشباب بمفردهم .

جاء قانون الاستبعاد الصيني لعام ١٨٩٢ بتسع بنود نص في بنده الاول ان جميع القوانين التي سنها الكونجرس سواء مجلس الشيوخ او مجلس النواب التي تنظم وتحضر دخول الصينيين والاشخاص من اصل صيني تظل نافذة عشر سنوات من سن هذا القانون . وتناول البند الثاني من القانون عند ادانة اي شخص صيني او حكم عليه بوجوب اي من القوانين المذكورة لا يحق له قانونيا البقاء في **الولايات المتحدة الأمريكية** ويرحل الى الصين اما في حال ادعاء الاشخاص الصينيين بانهم خاضعون لبلد اخر ويطلب البلد ضريبة ترحيل فيجب ترحيله الى الصين . فيما جاء البند الثالث من القانون بان اي شخص صيني يتم القبض عليه يجب الحكم عليه بان وجوده غير قانوني ما لم يثبت ذلك ، امام المحكمة ، أو الشخص المفوض اليه ذلك الامر في منحه حقه القانوني في البقاء في الولايات المتحدة الأمريكية، اما البند الرابع من القانون فقد نص على أن أي شخص صيني أو من أصل صيني تمت إدانته وحكم عليه بأنه غير مؤهل قانونياً للبقاء في الولايات المتحدة الأمريكية، يجب أن يُسجن مع الأشغال الشاقة لمدة لا تتجاوز عام واحد ثم يُبعد بعد ذلك من الولايات المتحدة الأمريكية (United States Congress Serial Collection, P.2, 1893). اكد البند الخامس من القانون على ان اي طلب يقدم من شخص صيني يسعى لدخول الولايات المتحدة الأمريكية إلى أي قاضٍ أو محكمة امريكية للمثول امامها ، لن يُسمح له بتقديم كفيل ويحرم من هذا الامتياز ، ويجب على المحكمة البت في طلبه على الفور ودون تأخير (United States Congress Serial Collection, 1893, P.3).

واوجب البند السادس من القانون على جميع العمال الصينيين داخل حدود الولايات المتحدة الأمريكية والذين يحق لهم البقاء في فيها تقديم طلب إلى جامع الإيرادات الداخلية في المقاطعات الخاضعين اليها ، في غضون عام من صدور هذا القانون للحصول على شهادة إقامة ، وأن اي عامل صيني ضمن حدود الولايات المتحدة الأمريكية يتجاهل أو يرفض الامتثال لأحكام هذا القانون ولم يحصل على شهادة الإقامة بعد عام واحد من اقرار ذلك القانون يتم الحكم عليه بعد تواجده داخل الولايات المتحدة الأمريكية

غير قانوني ، ويمكن اعتقاله من قبل أي مسؤول جمركي بالولايات المتحدة الأمريكية أو محصل الإيرادات الداخلية أو نوابه ، ويعاد النظر في طلب الإقامة أمام المحكمة إذا كان طالب الإقامة قد قدم ما يثبت ويبرر تأخيره في تقديم طلب مدعوم بشهادة رجل أبيض . أما الأشخاص الصينيين غير العاملين فلهم الحق في البقاء في الولايات المتحدة الأمريكية ويجوز لهم تقديم طلب الحصول على شهادته الإقامة دون مقابل . (United States Congress Serial Collection, 1893,P.3) .

واوكل البند السابع الى وزير الخزانة بوضع القواعد واللوائح التي قد تكون ضرورية للتنفيذ الفعال للقانون ،وتوفير الامور اللازمة لتمكين محصلي الإيرادات الداخلية من إصدار الشهادات المطلوبة بموجب القانون ، ووضع قوانين واحكام الحصول على الشهادات في مواقع ملائمة لمقدم الطلب التي يجب أن تحتوي على الاسم والعمر والإقامة المحلية والمهنة لمقدمي الطلبات وأي وصف آخر على النحو المنصوص عليه ويجب تقديم نسخة منه في مكتب محصل الإيرادات الداخلية للمنطقة التي يتقدم فيها الطلب ، شدد البند الثامن على ان الأشخاص الذين يقومون عن قصد وخطأ بتغيير أو استبدال أي اسم مكتوب في الشهادة أو تزويره يكون مذنباً بارتكاب جنحة وإدانته بغرامة لا تتجاوز ألف دولار أو بالسجن لمدة لا تزيد عن خمس سنوات. خول البند التاسع والاخير من القانون وزير الخزانة أن يأذن بدفع تعويض لمحصلي الإيرادات الداخلية عن الخدمات التي يؤدونها بموجب أحكام هذا القانون بالإضافة إلى الرواتب التي يسمح بها القانون ، حسبما يراه ضرورياً ،بما لا يتجاوز دولار واحد عن كل شهادة تصدر (United States Congress Serial Collection, 1893,P.3) .

ثانيا : معارضة القانون

رد الصينيون على تلك الاجراءات بالعصيان على التسجيل على بطاقات الإقامة من شرط المادة السادسة من القانون والتي تستهدف في المقام الأول الصينيين الستة قادت الشركات ومقاومة بطاقات ومتطلبات التسجيل . الشركات الست الصينية المعروفة (بالرابطة الصينية الخيرية الموحدة the Chinese Consolidated Benevolent Association) (Alexandria gazette newspaper, September 12, 1892) التي قدمت مساعدات وخدمات مختلفة إلى الصينيون ولاسيما على الساحل الغربي ، وبالتالي كسب ثقة الشعب الصيني. طلبت الشركات الصينية الستة من كل صيني التبرع بدولار واحد للمساعدة في دفع المصاريف القانونية ، وتعهدوا بمساعدة أي شخص يتم القبض عليه لعدم التسجيل لكنهم لن يساعدوا أولئك الذين انتهى بهم الأمر في ورطة بعد التسجيل . وبجهود منسقة بلغ عدد الصينيين الراضين للتسجيل (١٠٧,٠٠٠) (Zhao and Park, 2013, P.449) .

اعتقدت الشركات الست الصينية أن الاحتجاج على هذا القانون مهم فشكّلوا رابطة الحقوق المتساوية الصينية (Chinese Equal Rights League) (The daily herald newspaper, May 20, 1893) ، والتي نظمت لقاء جماهيري بعد تطبيق لبحث تداعيات ذلك القانون وللاحتجاج على عدم دستورية القانون

الجديد واستأجرت الشركات الست الصينية محامين استعدادا لاقتراب آخر موعد للتسجيل المرتقب في ٥ ايار ١٨٩٣. وافق المحامون الذين يمثلون الصينيين المقيمين على رفع الدعوى في محاكم نيويورك على ان يتألف الفريق القانوني من محامين نيويورك ، ألقى القبض على ثلاثة عمال صينيين في ٦ ايار ١٨٩٣ لعدم حمل بطاقات التسجيل بالمخالفة لقانون جيرري ، وأمر قاضي محكمة المقاطعة الفيدرالية بترحيلهم ، وأوضح القاضي جراي GRAY من المحكمة العليا ، أن العمال الصينيين مثل جميع الأجانب المقيمين في الولايات المتحدة الأمريكية يحق لهم التمتع بضمانات الدستور وحماية القوانين لكنهم لم يتخذوا أي خطوات تجاه أن يصبحوا مواطنين بموجب قوانين التجنس ؛ وبالتالي تبقى سلطة الكونجرس الحق في طردهم ، أو إصدار الأمر لإبعادهم وترحيلهم من البلاد كلما كان ذلك ضرورياً للصالح العام وأن الحق في استبعاد أو طرد الأجانب هو حق أصيل وحق كل أمة . سلطة الكونجرس في طرد الأجانب يمكن أن تمارس من قبل المسؤولين التنفيذيين ، وبالتالي فان البند السادس من القانون دستوري وصالح (Zhao and Park, 2013, P.448-449).

أثار هذا المنطق معارضة قوية على ثلاثة نقاط : أولاً ، أن الأشخاص الذين تم توجيه لهم عقوبات في المادة السادسة من قانون عام ١٨٩٢ ضدهم هم أشخاص مقيمين بشكل قانوني داخل الولايات المتحدة الأمريكية ؛ ثانياً ، على هم داخل حماية الدستور ، ومضمونة بضماناته ضد القهر والظلم ؛ وثالثاً ، تحرم المادة السادسة من حريتهم ، وفرض العقوبات ، دون اتباع الإجراءات القانونية الواجبة ، في تجاهل للضمانات الدستورية . كانت خسارة القضية بمثابة نكسة كبيرة للشركات الصينية الست التي فقدت ثقة الشعب الصيني .

بعد حوالي ست اشهر جرت بعض التعديلات لقانون جيرري في ٣ نوفمبر ١٨٩٣، والتي تضمن التعريف الموسع للعمال (العمال المهرة وغير المهرة) وإضافة تعريف للتجار . كما تطلب أن يكون الشهود أشخاصاً غير الصينيين ، وعلى الرغم من أن الصينيين خسروا المادتين السادسة والسابعة من قانون ، الا انهم فازوا بطعن المادة الرابعة (السجن لمدة عام مع الأشغال الشاقة لعدم التسجيل) من ذلك القانون. الا ان الولايات المتحدة الأمريكية لم تلتزم بمضمون الطعن في المادة الرابعة ، فقد امسكت بأربعة اشخاص كانوا يقيمون بشكل غير قانوني داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وحُكم عليهم بالسجن مع الأشغال الشاقة وأمر بترحيلهم وذكرت المحكمة في تناولها لدستورية المادة الرابعة ، أن الولايات المتحدة الأمريكية يمكنها منع الأجانب من القدوم إلى الولايات المتحدة الأمريكية وطرد الموجودين فيها لأسباب تتعلق بالسياسة العامة، عندما يسعى الكونجرس إلى إخضاع الأجانب لعقوبة الأشغال الشاقة ، يجب تقديم المتهم لمحاكمة قضائية لإثبات إدانته ، على النحو الذي ينص عليه دستور الولايات المتحدة الأمريكية (Zhao and Park, 2013, P.449). واصل الرئيس بنجامين هاريسون الحجر الصحي على السفن التي تحمل المهاجرين بسبب وباء الكوليرا في الخارج . ففي 1893، فوض الكونجرس الرئيس لحجر أي

سفينة ومنع أي شخص أو ممتلكات من الدخول عندما تكون معدية او من الأمراض المهددة (Ciment and Radzilowski, 2015, No page).

ثالثاً: الإجراءات الإضافية للحد من الهجرة الصينية

بحلول عام ١٩٠٢ ، انتهى قانون جيرري ١٨٩٢ ، مما دفع مؤيدي الاستبعاد الصيني للمطالبة بقانون جديد أكثر تقييداً . مدد القانون الذي أقره الكونجرس الاستبعاد الصيني عام ١٩٠٢ إلى أجل غير مسمى ولكنه أيضاً احترام المعاهدة القائمة بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين ، والتي كان من المقرر أن تنتهي في عام ١٩٠٤ . فضلاً عن ذلك استبعد قانون ١٩٠٢ العمال الصينيين من جميع الأراضي الأمريكية ، بما في ذلك هاواي والفلبين ، ورفضت الصين عام ١٩٠٤ تجديد معاهدتها مع الولايات المتحدة الأمريكية بسبب غضبهم من معاملة رعاياها في الولايات المتحدة الأمريكية ، لاسيما بعد ان اتخذ الكونجرس قراراً رجعيًا بإدخال قانون استبعاد صيني آخر ، مرة أخرى دون حد زمني ، بما في ذلك جميع الأراضي الأمريكية . ومع ذلك ، كان معارضو الهجرة الصينية يشكون لسنوات من أن الصينيين استخدموا المحاكم الفيدرالية لدخول الولايات المتحدة الأمريكية من خلال الثغرات وخذاع القضاة وهكذا في عام ١٩٠٥ ، قررت المحكمة الأمريكية العليا بأن الصينيين الذين مُنعوا من دخول الولايات المتحدة الأمريكية لم يعد بإمكان مسؤولي الهجرة في الولايات الاستئناف أمام محاكم المقاطعات الفيدرالية ، لكون الأخيرة قد سمحت فعلياً لآلاف الصينيين بدخول الولايات المتحدة الأمريكية.

بين عامي ١٨٩١ و ١٩٠٥ ، تم الاستماع إلى (٢٦٥٧) قضية إحضار من المهاجرين الصينيين في محاكم سان فرانسيسكو وحدها ، وحُكم على العديد منها في النهاية لصالح الملتمسين الصينيين وبالتالي فإن حقيقة أن هذه المحاكم لم يعد يُسمح لها بسماع قضايا قبول الصينيين ، حدث بشكل كبير من فرص دخول المهاجرين الصينيين إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وتولى مكتب الهجرة في عام ١٩٠٣ السيطرة على جميع الأمور المتعلقة بالهجرة الصينية، لاسيما وان كان العديد من مسؤولي المكتب كانوا مناهضين للصين وفسروا بصرامة قوانين الاستبعاد الصينية لمنع أكبر عدد ممكن من المهاجرين الصينيين (Hayes, 2012, P. 761).

أدى الاستياء والغضب الصيني من تمديد قانون الاستبعاد في عام ١٩٠٤ واستحالة الطعن في قرارات مسؤولي الهجرة إلى مقاطعة البضائع الأمريكية في الصين بدءاً من ايار ١٩٠٥ واستمرت عاما كاملا ، وتم دعم المقاطعة أيضاً من قبل المجتمعات الصينية في سان فرانسيسكو ولوس أنجلوس ، في خريف عام ١٩٠٥ ، بدأت الحكومة الصينية في قمع المقاطعة ، لكنها أثرت على الشركات الأمريكية في الولايات المتحدة الأمريكية والصين ودفعتهم إلى المطالبة بسياسات جديدة بشأن الهجرة الصينية إلى الولايات المتحدة الأمريكية. على الرغم من أن بعض الصحف الأمريكية انتقدت الطريقة التي عومل بها مسؤولو الهجرة في الولايات المتحدة الأمريكية التجار والطلاب والمسافرين الصينيين ، ورفع الضريبة على

كل مواطن يدخل الولايات المتحدة الأمريكية الى (٢ دولار) بعدما كانت (٥٠ سنتا) (Yamato , 1993 ,P.180)

لم يكن يوجد هنالك مثل ذلك تعاطف مع العمال الصينيين ، واستمرت معارضة هجرتهم ، وظلوا يتخوفون من آثار المقاطعة على الاقتصاد الأمريكي ، ولحل ذلك الاشكال اقترح الرئيس ثيودور روزفلت قانونًا جديدًا يسمح بهجرة جميع الصينيين باستثناء العمال ، الا أن هذا القانون لم يتم تمريره في الكونغرس ، لكن الادارة الأمريكية أوقفت تطبيق قانون الاستبعاد دون تقييد حرية الصينيين الذين كانوا مستثناة في جزءًا من القانون . فبينما بقيت قوانين الاستبعاد كما هي ، فقط تم تغيير بعض جوانب الهجرة ، ولا سيما الإجراءات المهنية (Hayes , 2012 ,P. 762). كان قانون الاستبعاد الصيني لعام ١٩٠٢ هو أول قانون أمريكي يتم تمريره على الإطلاق لمنع الهجرة والتجنس على أساس العرق ، والذي تم تمديده وتوسيعه لاحقًا ليشمل المهاجرين الآسيويين وغيرهم ، مثل اليابانيين والكوريين والهنود ، لاسيما وان تلك السياسات الإقصائية قد ادت إلى انخفاض في عدد السكان الصينيين ، من (١٠٥,٤٦٥) عام ١٨٨٠ إلى (٨٩,٨٦٣) عام ١٩٠٠ (Bayor , 2011,P.298) .

الخاتمة

تبين لنا من خلال دراستنا لموضوع " قانون الاستبعاد الصيني في الولايات المتحدة الأمريكية، الأسباب والتداعيات ١٨٨٢ - ١٩٠٢ " مجموعة من الاستنتاجات هي :

- كانت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء الهجرة حتى العقد السابع من القرن التاسع عشر ، تتميز بالدعم الكامل لبرامج الهجرة والعمل على استيعاب اكثر عدد منهم ،وقدمت الادارات الأمريكية المتعاقبة العديد من التسهيلات في هذا المجال ،ولاسيما للمهاجرين الاوربيون بهدف رفد الولايات المتحدة الأمريكية بالعمالة الرخيصة والتي كانت بحاجة لها في عصر الاعداد .
- بدأ المهاجرون الصينيون بالتدفق الى الولايات المتحدة الأمريكية منذ بداية خمسينيات القرن التاسع عشر بسبب الازدحام الاقتصادي والسياسية الصعبة التي عاشتها الصين في تلك المدة ، مما دفع العديد منهم الى الهجرة الى الولايات المتحدة الأمريكية التي رحبت بهم ووفرت لهم سبل العيش وفرص العمل ، لاسيما وان عددهم وصل الى ٦٣,٠٠٠ الف عام ١٨٧٠ .
- مثل وجود الصينيون ، لاسيما في الولايات الغربية مشكلة ارقت حكومات تلك الولايات ، لاسيما بعد التوترات التي حصلت بين العمال الامريمين ونظرائهم الصينيين ، اذ تظر معظم العمال الامريكين الى العمالة الوافدة بأنها السبب في خفض الاجور وتقليل فرص العمل ،مما دفعهم الى مهاجمة تجمعات الصينيين والمطالبة بأبعادهم .

- صدر قانون بيج في ٣ اذار ١٨٧٥ والذي تعامل لأول مرة مع مسألة الهجرة الصينية ،والاثار الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المترتبة عليها ، ويعد هذا القانون التشريع الاول الذي وضع الحواجز امام بعض فئات المهاجرين الصينيين لاسيما النساء المشهورات بالبغاء و المجرمين وغيرهم ، وكان اللبنة الاكلى لكل التشريعات التي استهدفت المهاجرين الصينيين .
- استمرارا لهذه السياسة صدر قانون الاستبعاد الصيني في ٦ ايار ١٨٨٢ والذي يعد القانون الاول الذي قيد الهجرة على اساس العرق والذي استهدف الجالية الصينية التي كانت تعدادها حوالي ١٠٥ الف شخص داخل الولايات المتحدة الأمريكية ، اذ منع هذا القانون قدوم العمال الصينيين بشكل كامل ووضع شروط قاسية على الفئات الاخرى ، مع تطبيق بصورة صارمة .
- كان لقانون الاستبعاد الصيني تداعيات كبيرة في كافة المجالات ، وفسر وفهم داخل المجتمع الامريكي بطرائق مختلفة كان من نتائجها في بعض الاحيان استخدام العنف المفرط بحق الجالية الصينية وحدث بعض المجازر بحقهم .
- اصدرت الادارة الامريكية في ١٨٨٨ قانون سكوت والذي حاولت تعديل قانون ١٨٨٢ ، اذا بموجب هذا القانون تم استثناء بعض الفئات من الجنسية الصينية من الخول الى الولايات المتحدة الامريكية ، لاسيما (الطلاب والدبلوماسيين والتجار والسياح)
- عزز القانون قانون جيري الذي صدر في ٥ ايار ١٨٩٢ ، ما جاء في القوانين السابقة التي تعاملت مع الهجرة الصينية ، اذ مدد الحظر المفروض على الصينيين لمدة عشر سنوات اخرى ، وطالب القانون المقيمين الصينيين في الولايات المتحدة الامريكية بحمل وثائق خاصة (شهادات إقامة) ، والسماح بالدخول فقط لأولئك الذين كانوا مدرسين وطلاباً ودبلوماسيين وسائحين ، وأغلق الكونجرس الباب أمام الهجرة الصينية بالكامل تقريباً .
- انتهى قانون جيري بحلول عام ١٩٠٢ ، مما دفع مؤيدي الاستبعاد الصيني للمطالبة بقانون جديد أكثر تقييداً ، مدد قانون الاستبعاد الصيني عام ١٩٠٢ الذي أقره الكونجرس إلى أجل غير مسمى ولكنه أيضاً احترم المعاهدة القائمة بين الولايات المتحدة الامريكية والصين ، فضلا عن ذلك استبعد قانون ١٩٠٢ العمال الصينيين من جميع الأراضي الأمريكية بصورة نهائية .

المصادر

1. Abrams, Kerry ,(2005), "Polygamy, Prostitution, and the Federalization of Immigration Law". Columbia Law Review ,VOL. 105 , NO. 3.
2. Alexandria gazette newspaper, September 12, 1892
3. Austin, Allan W.,(2015) *Huping Ling , Asian American History and Culture: An Encyclopedia: An Encyclopedia* , Routledge .
4. Bayor, Ronald H.,(2011) , *Multicultural America: An Encyclopedia of the Newest Americans* ,4 volumes, ABC-CLIO.

5. Blume, Kenneth J. , (2016), *Historical Dictionary of U.S. Diplomacy from the Civil War to World War I* , Rowman & Littlefield .
6. Bunting, Josiah, (2004), *American presidents series* , Thorndike Press,.
7. Capace, Nancy and others ,(1999), *Encyclopedia of California* , North American Book Dist LLC.
8. Cheng, Emily Hwa , (1955), *China and the Burlingame Treaty of 1868* , University of Georgia.
9. *Chinese immigration : speech of William W. Rice, of Massachusetts, in the House of Representatives, March 15, 1882.* (1989). (Washington: 1882); University of Arizona. Division of Economic and Business Research, Arizona Statistical Abstract: A Data Handbook, Northland Press.
10. Ciment, James and, Radzilowski, John, (2015) , *American Immigration: An Encyclopedia of Political, Social, and Cultural Change* , Routledge .
11. constitution of the state of California ,California :Sacramento :state office ,J.D. young ,supt. state printing, 1880, article 19.
12. Danico, Mary Yu,(2014), *Asian American Society: An Encyclopedia* ,SAGE Publications.
13. Dobson, John M. ,(2009), *Belligerents, Brinkmanship, and the Big Stick: A Historical Encyclopedia of American Diplomatic Concepts*, ABC-CLIO.
14. Gold, Martin , (2011), *Forbidden Citizens: Chinese Exclusion and the U.S. Congress : a Legislative History* , The Capitol Net Inc.
15. Graff, Henry Franklin and Cleveland, Grover, (2002): *The American Presidents Series: The 22nd and 24th President, 1885-1889 and 1893-1897* , Henry Holt and Company .
16. Guns in American Society: An Encyclopedia of History, Politics, Culture, and the Law, 2nd Edition ,3 Vol , ABC-CLIO, 2012, P.532 .
17. Hanes, William Travis and Sanello, Frank , (2002),*The Opium Wars: The Addiction of One Empire and the Corruption of Another*, Sourcebooks, Inc.
18. Hayes, Patrick J. ,(2012), *The Making of Modern Immigration: An Encyclopedia of People and Ideas* ,2 volumes, ABC-CLIO.
19. <https://www.archives.gov/milestone-documents/chinese-exclusion-act>
20. <https://www.presidency.ucsb.edu/documents/seventh-annual-message-3> .
21. Huang, Xiao and koehn, peter, (2015), *The Expanding Roles of Chinese Americans in U.S. China Relation*, New York , Routledge.
22. Lee, Catherine ,(June 2010) *Race, Gender, and Chinese and Japanese Exclusion in the United States 1870–1924* , Sociological Forum , Vol. 25, No. 2.
23. LeMay, Michael C. and others ,(1999), *U.S. Immigration and Naturalization Laws and Issues: A Documentary History : Primary documents in American history and contemporary issues*, Greenwood Publishing Group.
24. *Milford chronicle. Newspaper* , June 30, 1893 .
25. Moon, Krystyn R. ,(2018), "*Immigration Restrictions and International Education: Early Tensions in the Pacific Northwest, 1890s-1910s*", History of Education Quarterly.
26. Motomura, Hiroshi ,(2014), *Immigration Outside the Law* , Oxford University Press .
27. Pafford, John M. and Arthur, Chester A., (2019): *The Accidental President* , Regnery History.
28. Racisms, Mapping , (2012), *Defining America: Through Immigration Policy*, Temple University Press.

29. Report of the secretary of the treasury on the state of the finances, United states, Dept. of the treasury 33d congress, 2nd session, senate, Washington, senate printer, 1854.
30. Sarat, Austin ,(2020)*Studies in Law, Politics, and Society*,Emerald Group Publishing .
31. Segal, Uma A.,(2002), *A Framework for Immigration: Asians in the United States*,Columbia University Press.
32. Smith, Shirley Wheeler and Angell, James Burrill, (1954), *An American Influence* , University of Michigan Press.
33. Soennichsen, John Robert ,(2011), *The Chinese Exclusion Act of 1882* , ABC-CLIO.
34. Song, Yuwu, (2009), *Encyclopedia of Chinese-American Relations*, McFarland .
35. Tarling, Nicholas and Gomez, Terence, (2008), *The State, Development and Identity in Multi Ethnic Societies: Ethnicity, Equity and the Nation*, Routledge.
36. *The daily herald newspaper*, May 20, 1893.
37. *The Londonderry sifter newspaper* , September 09, 1892 .
38. United States ,Statutes of the United States of America Passed at the Session of the Congress ,U.S. Government Printing Office, 1888
39. United States Congress , Congressional Record: Proceedings and Debates of the Congress, part 5 ,Vol 38 , U.S. Government Printing Office, 1904 .
40. United States Congress Serial Collection, Vol. 3150 ,U.S. Government Printing Office, 1893.
41. United States Department of the Treasury. Navigation Bureau , Navigation Laws of the United States ,1886.
42. United States. Congress House. Committee on Interstate and Foreign Commerce ,Hearings, Reports and Prints of the House Committee on Interstate and Foreign Commerce ,U.S. Government Printing Office, 1976.
43. United States. Department of State , Foreign Relations of the United States, U.S. Government Printing Office, 1893 .
44. United States. Dept. of the Treasury. Bureau of Statistics ,Arrivals of Alien Passengers and Immigrants in the United States from 1820 to 1888 ,U.S. Government Printing Office, 1889.
45. Wood, Susie Harriett, (1930),*The Evolution of the Federal Immigration Act of 1882* ,University of Illinois at Urbana-Champaign,.
46. Yamato, Alexander ,(1993) *Asian Americans in the United States* , Kendall Hunt Publishing Company.
47. Zhao, Xiaojian and W., Edward J. ,(2013), *Asian Americans: An Encyclopedia of Social, Cultural, Economic, and Political History* , ABC-CLIO.

نماذج من الحليات المعمارية في القصور الآشورية

فرح شاكر محمد الياسري

farah.shaker1208a@coart.uobaghdad.edu.iq

أ.م.د. فائز هادي علي الحسنأوي

قسم الآثار/ كلية الآداب / جامعة بغداد

faazalhesnawy@coart.uobaghdad.edu.iq

نماذج من الحليات المعمارية في القصور الآشورية

فرح شاكر محمد الياسري

أ.م.د. فائز هادي علي الحسناوي

تميزت القصور في بلاد الرافدين عامة والآشورية خاصة ولاسيما في العصر الآشوري الحديث بفخامتها وسعتها واحتوائها على مرافق كثيرة وبروعة بنائها بالحلان والرخام (المرمر)، وقد تم الكشف عن بقايا العديد من القصور في آشور وكلخو(بوتسفيت، ١٩٩١ ، ص١٣٣) وخورسباد(باقر و سفر، ١٩٦٦ ، ص٣٥)، ونيوى(باقر و سفر، ١٩٦٦، ص٢٤)، إذ تميزت العمارة في العصر الآشوري الحديث بأنها أغنى مراحل التطور العماري الهندسي في بلاد الرافدين(سعيد، ١٩٨٥، ص١٦٦)، ونتيجة لكثرة المخلفات المعمارية ونشاط الملوك الآشوريين الواضح في مجال العمارة، ولاسيما ملوك السلالة السرجونية فقد كشف عن عدد من القصور الملكية في العواصم الآشورية الأربع والتي كانت جميعها تتميز بفخامتها وروعته ودقة تخطيطها وترتيبها وزخرفتها(سليمان، ١٩٩٣ ، ص٣٤٠)، وتكاد تكون قصور الملوك الآشوريين جميعها متشابهة في تصميمها وزخرفتها(ميخائيل، ١٩٦٧ ، ص٢٠٨).

أولاً: الشرفات المسننة:-

وقد جعل واجهة القصر عبارة عن كتلة بنائية ضخمة تعلوها الشرفات وحول عقد المدخل وفي أعلى الأبراج أفاريز مزخرفة بكتابات ورسوم على بلاطات من الخزف فأصبح القصر في غاية الروح والجمال والفخامة التي تليق بعظمة المملكة الآشورية(علي، ١٩٨٣، ص١٢٥)، إذ زين قصر دور-شروكين بنصوص كتابية والتي تعد أكثر تكاملاً وغنى بالمعلومات المهمة، ودونت هذه النصوص من أجل تزيين جدران القصر وأيضاً بوصفها قطعاً لتبليط مرافقه المختلفة وكذلك على الأغلب لأغراض الدعاية لشخص الملك وتعظيمه، وكان ذلك عن طريق النقوش العمرانية سواء بالجدران أم بأرضة الأرض(الأحمد، ١٩٦٩، ص٥٧، ٥٨).

ثانياً: الألواح الحجرية (المنحوتات الجدارية) :-

لقد بدأ الآشوريون بزخرفة جدران قصورهم بالمنحوتات البارزة، منذ القرن التاسع قبل الميلاد أي بداية العصر الآشوري الحديث، إذ زينت جدران جميع القصور الملكية بالمنحوتات البارزة وتطور تنفيذ أساليبها وطرائق عدة ويعد قصر الملك الآشوري آشور ناصربال الثاني هو أول القصور الملكية الآشورية التي زينت جدرانها بألواح النحت البارز (الحديدي، ٢٠٠٥، ص ١٠٥). إذ احتوت القصور الآشورية على حليات معمارية كثيرة منها الألواح الجدارية المنقوشة بالنحت البارز والتي كانت تزين واجهات القصور الملكية الآشورية في العصر الآشوري الحديث، هناك مشهد منحوت على لوح عثر عليه في مدينة نينوى يعود بتاريخه إلى زمن حكم الملك الآشوري آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٧ ق.م) (Rander, 2011, P.328)، وكان الجزء الصغير المتبقي منه يمثل مدينة نينوى، إذ كان يصور سور المدينة وهو يتقدمه مجرى مائي عريض والسور من نوع الأسوار المزدوجة التي يتخلل بدنها عدد من الأبراج العالية ويزين قمة الأبراج والأسوار شرفات مسننة، والسور الخارجي كان يتوسطه بوابة كبيرة لها برجان دفاعيان ولها مداخل واسعة يعلوه عقد نصف أسطواني كما في جميع مشاهد المدن الآشورية والتي ربما كانت واحدة من سمات البوابات الآشورية (شكل ١) (Pope, 1967, p. 500)، ونجد مشهداً آخر من قصر سنحاريب يعود بتاريخه أيضاً إلى عصر الملك الآشوري آشور بانيبال (شكل ٢)، وهو على الأغلب يمثل مدينة أربيل وأيضاً كانت المدينة مقامة على ضفة مجرى مائي وهي محاطة بسور مزدوج داخلي وخارجي ويتخلله عدد من الأبراج الدفاعية ويزين قممها شرفات مسننة، تتوسط السور بوابة كبيرة ويعلو مدخل البوابة عقد نصف أسطواني (Pope, 1967, p. 501).

كشفت التنقيبات الأثرية في قصر سنحاريب الشهير الذي شيده في القسم الجنوبي الغربي في مدينة نينوى، والتي كانت مرافقه البنائية مزينة بمنحوتات تعالج موضوعات مختلفة (محمد، ٢٠٠٣، ص ١١٦). فكانت الألواح المنحوتة بالنحت البارز، تكسو القسم الأسفل من جدران أجنحة القصر والتي كانت تعرض مشاهد تمثل حملات الملك العسكرية واحتفالاته السنوية (مورتكات، ١٩٧٥، ص ٤١٦، ٤١٧). هذا ومن المرافق المهمة التي كشفت عنها التنقيبات في هذا القصر هي قاعة العرش والتي زينت جدرانها بألواح حجرية وضمت

أيضاً نقوشاً تجسد بعضاً من منجزات الملك سنحاريب، وكان الجزء الغربي من قاعة العرش تضم مدخلين يؤدي أحدهما إلى قاعة مستطيلة والتي كانت مزينة بألواح الحجر (محمد، ٢٠٠٣، ص ١١٨).

أما بالنسبة لقصر الملك آشور بانيبال في نينوى والذي كان تجديداً للقصر الشمالي الذي شيده سنحاريب، قد زينت القاعة المستطيلة فيه من خلال نقش جدرانها بمنحوتات تعبر عن مشاهد صيد الأسود (Rassam , 1897, P.31)، كما عثر على غرفة مربعة الشكل عرفت باسم (غرفة سوسة) والتي زينت جدرانها أيضاً بألواح حجرية نقشت عليها مشاهد تمثل حملات الملك آشور بانيبال على عاصمة العيلاميين (سوسة) وتدميرها والذي يبدو واضحاً من تسمية الغرفة (Rassam , 1897, P.32).

كما تم الكشف عن قاعة كبيرة في داخل القصر عرفت بقاعة العرش والتي كسيت جدرانها وزينت بألواح حجرية نقشت عليها مشاهد مع كتابات توضح انجازات الملك الآشوري آشور بانيبال وقد نقلت العديد من هذه الألواح إلى المتحف البريطاني (العلوي، ٢٠١٠، ص ٣٥-٣٨)، وزينت جدران قصر الملك الآشوري آشور بانيبال بالصور الجدارية ومنها مشهد للملك آشور بانيبال في الحديقة الملكية بمناسبة الانتصارات على العيلاميين ونلاحظ وجود العازفين على القيثارة (الشكل ٣) (بارو، ١٩٨٠، ص ٣٢٧)، وكان الموسيقيون يتبعهم النساء والأطفال الذين يصفقون بأكفهم كما يظهر على المشهد فضلا عن عازفين القيثارة العازفين على المزامير المزدوجة، ورجلا يضرب على طنبور (بارو، ١٩٨٠، ص ٣٢٧).

زينت الصور والرسوم الجدارية القسم الأعلى من مشاهد المنحوتات التي تزين قاعات قصر الملك سنحاريب فقد عثر على عدد كبير من المنحوتات البارزة التي كانت تزين جدران الغرق الخاصة بقصر الملك سنحاريب القصر الجنوبي الغربي خلال التنقيبات الأثرية، والتي كانت أغلبها تتعلق بحياة الملك الخاصة منها الناحية الدينية والعسكرية، فضلا عن المنحوتات المعبرة عن حياة الفروسية من مشاهد الصيد والمطاردة وغيرها وأن أغلب هذه المنحوتات قد زودت بكتابات مسمارية في قسمها العلوي، وكان في مقدمة المشاهد التي استعرضتها منحوتات الملك سنحاريب هي المشاهد العسكرية التي عبرت بشكل دقيق عن مضمون الحدث ولاسيما حملاته العسكرية ضد المتمردين والتي زينت جدران قصره، وكانت

هذه المنحوتات متميزة بكبر محميتها وارتفاعها العالي إذ تصل حوالي إلى ثلاثة أمتار (محمد، ٢٠٠٣، ص ١٤٠)، كما زينت جدران قصور الملك سنحاريب بصور العازفين (بارو، ١٩٨٠، ص ٣١٢).

لقد عدّ النحت الآشوري واحداً من أهم الفنون التي خلفتها الحضارة الآشورية إذ تعد النماذج الفنية من النحت الآشوري المجسم البارز والغائر فناً آشورية أعطت الهيئة العامة للشخصية الآشورية (مظلوم، ١٩٩١، ص ٢٥٨). فضلاً عن الدور التزيني التجميلي التي كانت تؤديه الألواح الجدارية فقد استعملت هذه الألواح الحجرية المنحوتة في جدران القصور أو المعابد والتي كانت تلتصق على الجدران لتقويتها فضلاً عن الغرض الثالث وهو الدعاية الإعلامية للملوك (الخطابي، ٢٠١١، ص ٢٣٣)، وكذلك النقش البارز المنحوت على قاعدة العرش يظهر فيه الملك سرجون واقف في عربته الحربية فوق جنث القتلى ويجمع الجنود إهرامات من الرؤوس امامه (الحديدي، ٢٠٠٥، ص ٤٦).

كما كشفت التنقيبات الأثرية على منحوتة جدارية في قصر الملك الآشوري سرجون الآشوري وكان يظهر على هذه المنحوتة الجدارية كائن مجنح يرفع اليد اليمنى ممسكاً بها بكوز صنوبر أما اليد اليسرى فكان يمسك بها وعاء صغير ويضع في أذنه قرطاً مؤلفاً من حلقة يتدلى منها شكل شاقولي، وهناك حلقة صغيرة ملاحقة للحلقة الداخلة في ثقب شحمة الأذن والشاقول متدلي نحو الأسفل، وفي القصر نفسه وجدت منحوتة جدارية أخرى تمثل البطل الأسطوري كلكامش وهو في المشهد يرتدي ثوباً قصيراً فوقه شال وبيده اليسرى يتأبط شبللاً صغيراً، ويمسك بيده اليمنى بسوط وفي أذنيه قرط مؤلف من حلقة غليظة يتدلى منها شكل شاقولي ويتصل القرط بحلقة معلقة في شحمة أذنه بواسطة حلقات صغيرة جداً، والزخرفة التي عليه مكونة من خطوط طولية تكون في شكلها العام مثلثات متداخلة وخطوط أخرى كأنها شبكة متقاطعة مع بعضها تحيط بالقرط من كل الجهات (الهالي، ٢٠٠٨، ص ١٠، ١١).

وكذلك منحوتة من حجر الحلان الرمادي اللون بمساحة (٢م٢، ٣٦×٣، ٥١) وكانت هذه القطعة الحجرية على شكل نقش السجاد تزين أرضية مدخل قصر سجون الثاني في مدينة خرسباد (دور-شروكين) (الجبوري، ٢٠١٨، ص ٦٢).

وكذلك عثر على نموذج آخر لمنحوتة حجرية على شكل سجادة يزيد طولها على المترين ومن مدينة خرسباد (دور-شروكين) نفسها وهي مزينة بعدة وحدات زخرفية من بينها زهرة اللوتس(الجادر، ١٩٨٥، ص٤٠٠). كما يتبين لنا أحد المشاهد الفنية في المنحوتات الجدارية في قصر الملك سرجون الثاني تبين نوعية وأصناف الأشجار، إذ تشير أحد اللوحات إلى قيام الملك برحلة يتجول في الحدائق الملكية ويمارس الصيد ونرى من خلال تلك اللوحة أشجار السنوبر وأشجار الأرز، وأشجار السرو، والتي كانت مرتبة بشكل حقوف، والتي لم تعرفها بلاد آشور إلى أن قام الملك بنقلها إلى بلاد آشور وغرسها في عاصمته (شكل ٤) (الطائي، ٢٠١١، ص٢٦، ص٢٧)، كما عثر على منحوتات جدارية تزين جدران قصره والتي نحت عليها مشاهد مميزة تمثل نقل الأخشاب من المدن الفينيقية إلى دور-شروكين عبر البحر المتوسط إذ صور على يمين المنحوتة مشهد يمثل جمع الأخشاب من خلال سحبها بواسطة الحبال عن طريق الرجال، والمنحوتة الأخرى صورت عليها القوارب وهي تقترب من ساحل البحر ليتم تحميل الأعمدة الخشبية عليها ويظهر بالمشهد الرجال الذين يقومون بالتجذيف مع وجود شخص واقف في مؤخرة أحدها ليعطي الأوامر بإنجاز العمل(الجبوري، ٢٠١٨، ص٧٢).

عثر على حلية معمارية متمثلة بمنحوتة جدارية والتي كانت تزين قصر الملك آشور-بانيبال وكانت هذه المنحوتات الجدارية القصصية الطولية والمترابطة والتي تتمثل وتتضمن الأعمال البطولية للحاكم، وكان يحوي هذا القصر على قاعة مستطيلة الشكل كسيت جدرانها بمنحوتات تمثل مشاهد لصيد الأسود، فضلا عن وجود قاعة مربعة الشكل يوجد على جانبي بوابتها قاعدتا عمودين، وأيضاً كانت هناك القاعة مربعة الشكل التي زينت جدرانها بألواح حجرية نحتت عليها مشاهد مثل حملات آشوربانيبال على سوسة عاصمة العيلاميين وتدميرها (العلوجي، ٢٠١٠، ص٣٨).

كما زينت قاعة عرش الملك الآشوري سنحاريب بألواح حجرية نقشت عليها انجازات الملك الآشوري سنحاريب ، وهناك ساحة تسمى ساحة غرفة العرش لا يعرف عنها إلا القليل وربما قام بداخلها بناء بقواعد ذات أعمدة مربعة(Lloyd, 1955, p.63).

أما في قصر الملك الآشوري آشور بانيبال فإن قاعة العرش المربعة والتي كانت مزينة بمنحوتات جدارية تمثل حملات الملك الآشوري آشور بانيبال ، كما يوجد في هذه القاعة الواح جدارية تشتمل على صف من الحملات العسكرية المختلفة على كل من (بابل، سومر، سوسة) فضلا عن أن هناك لوحتين جداريتين غير مزخرفتين يقابلان الباب الرئيس ويفترض أنهما كانتا مزخرفتين ذات يوم بمشهد الملك والشجرة المقدسة وكان يوجد فيها دكة لعرش الملك (الحديدي، ٢٠٠٥، ص ٤٨) ..

من المواضيع التي كانت تزين جدران القصر الملكي الشمالي آشور بانيبال هي عملية اصطياد الأسود ومطاردتها (شكل ٥) فقد زخرفت جدران احدى غرف القصر بمشاهد للملك وهو ذاهب للصيد وعائد منه، وركزت عملية الصيد على الحيوانات المتوحشة كالأسود والثيران والفيلة، فنلاحظ مشاهد الصيد من خلال المنحوتات والنقوش قد زينب أغلب القصور (بشكل ٦) (الحديدي، ٢٠٠٥، ص ١١٥)، كما زينت جدران القصر بمنحوتات تمثل منجزات الملك وحملاته وقد دونت فيها كتابة مسمارية على شكل حقول، كما كانت واجهات الجدران التي تعلو هذه اللوحات مزينة بالرسومات الزاهية (الدوري، ٢٠٠١، ص ١٦٢).

زينت جدران هذا القصر ألواحاً كبيرة من رخام الموصل الأزرق والتي تمثل مشاهد حربية ومراسيم ملكية ودينية ومشاهد للحياة اليومية (شكل ٧) (عبر، ١٩٩١، ص ٤٠٨).

احتوت قاعات القسم الرئيس في قصر الملك الآشوري آشور ناصربال الثاني على ألواح حجرية مزينة بأرتفاع (٢,٧٠م) ويسمك (٠.٢٥) سم وغطت الأجزاء السفلى من الجدران، فدق كان نصف متر من هذه الألواح تحت الأرض والجزء المتبقي بحدود (٢.٢٠-٢.٣٠م) فكان مزيناً بنقش بارز قليلاً يمثل صوراً لمشاهد دينية (شكل ٨)، كما زين سقف القصر برسوم تصور الأزهار والحيوانات مرصعاً بالعاج وصفائح الذهب على الجدران وكانت المدونات النحتية معمولة بالنحت البارز لكي يقرأها الداخل إلى القصر (الحديدي، ٢٠٠٥، ص ١٠٦).

أما الجدران الداخلية لقاعات وواجهات القصر فكانت مزينة بألواح من الحجر أيضاً ترتفع بحوالي مترين أو ما يقارب ذلك وكانت منقوشة ثم يعلوها تصاوير جدارية بأصباغ

نماذج من الحليات المعمارية في القصور الآشورية

مائية زاهية تمثل مختلف المناظر منها الحربية والتي تصور الملك وهو يهاجم الأعداء أو يتسلم الجزية و الغنائم(بصمجي، ١٩٥٢، ص ٣٠٢، ٣٠٤).

ويمكن مشاهدة الأقسام العليا من قصر كبير يعود للملك أسرحدون وكانت جدران هذا القصر مزينة بالألواح التي نقلها أسرحدون من القصور الملكية في كالح ولاسيما من قصر آشور ناصر بال الثاني ووضعا بصورة معكوسة برسومها ونقوشها إلى الحائط ونقش على الوجه الآخر رسومه وكتاباتة(الفتلاوي، ٢٠٠٦، ص ٢١١).

كسيت ساحات القصر والقاعات الواسعة والممرات بألواح جدارية مرمرية ارتفاعها عدة أمتار مزينة بمنحوتات ناتئة على نطاق واسع(مورتكات، ١٩٧٥، ص ٤٠٧).

كما استعمل الملك الآشوري سنحاريب أسلوباً مغايراً للمنحوتات الآشورية عن تلك التي استعملت في عهد الملك آشور ناصرال الثاني وذلك عن خلال الاستغناء عن الأشكال التي سميت بالأسطورية وإنما استعمل المنحوتات التي تستعرض المنجزات التاريخية البطولية للملك والتي قل استعمالها في عهد الملك الآشوري آشور ناصرال الثاني(عكاشة، بلا تاريخ، ص ٥٧٣).

وزينت الجدران الداخلية لقصر الملك سنحاريب بمنحوتات مختلفة هي آية في الفن والتعبير والتي تبحث في مختلف نواحي الحياة العامة ولاسيما ما يتعلق بأعمال الملوك وانتصاراتهم، أما بالنسبة للسقوف فأعلى أغلب الظن كانت مزينة من خلال تلوينها بالألوان الفاتحة الكاشفة لإزالة الظلمة من القاعات، يبدو إن القصر كان مصوراً لعرض المنحوتات الجدارية، كما أن غرفه المتعددة قد شيدت لتحمل هذه الحوليات التصويرية(مورتكات، ١٩٧٥، ص ٤١٧).

كانت الزخارف التي زينت بها قاعات العرش لا توجد في أقسام أخرى من القصر، وكل نقش من هذه النقوش يمثل حادثة تاريخية منفصلة (شكل ٩)، فمثلاً تكثر المشاهد العسكرية في القصر كما في القصور الأخرى وكانت بعضها المشاهد لشن هجوم أو لضرب حصار فضلا عن وجود خلفية لمشاهد طبيعية جرى تصويرها فتظهر مختلف أنواع الأشجار وجميع أشكال الحياة المختلفة وكان قصر الملك سنحاريب هو القصر الوحيد الذي أعيدت زخرفته جزئياً ليستعمل من حفيده آشوربانيبال(الحديدي، ٢٠٠٥، ص ١١٤).

كما عثر على حلية معمارية متمثلة بمنحوتة جدارية نقلت المشاهد الطبيعية بنقوش بارزة لتزين جدران قصر الملك الآشوري آشور بانبيال في قصره الشمالي في نينوى فهناك صورة لمدينة ثلاثية السور مستقرة على منحدر تل والمدينة ذات ابراج وبناء بقاعدة عمودية وهذه القواعد تزين قصوره وقصور جده (سنحاريب) والى اليمين من المدينة هناك تل مغطى باصناف مختلفة من الاشجار النامية بين تقاطع جداول الماء والاشجار التي تتضمن النخيل والصنوبر فضلا عن اشجار الصنوبر في اسفل التل بجانب ضفاف جدول الماء (Albanba, 1974, P.152).

وأيضاً تم العثور في قصر الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٤-٦٨١ ق.م) في مدينة نينوى على منحوتات جدارية تظهر فيها مشاهد السفن ويتوضح عليها استعمال القوات الآشورية وقيادة الملك لهذه السفن الحربية على نهري دجلة والفرات، للتقدم نحو الاجزاء الجنوبية من العراق وتحديداً توجهها نحو منطقة الأهوار ومن ثم إلى بلاد عيلام، وكانت هذه السفن الآشورية مبنية بطابقين الأول منها مخصص للملاحين والثاني مخصص للجنود وفصل الطابقين بشريط مزين بالاشكال الهندسية الدائرية، وصور النحات الآشوري الاسماك وهي تسبح بالمياه(الأحمد، ١٩٧٩ ، ص ٢٢٧). كما استعملت المجاذيف في قسم منها لتيسيرها، في حين استعملت الأشرعة في القسم الآخر، إذ استعملت هذه المنحوتة لتزيين جدران القصر كحلية معمارية جميلة (الشكل ١٠) (الأحمد، ١٩٧٩ ، ص ٨٦).

ومن ومن الحليات المعمارية الجميلة هي لوح جداري أو منحوتة جدارية كانت تزين قاعات قصر الملك سرجون الآشوري (٧٢١-٧٠٥ ق.م) في مدينة خرسباد(الحمادي، ٢٠٠٢، ص ٥٦) وكانت منقوشة بنقوش تمثل عمليات لصيد الارنب البري (الشكل ١١) والطيور اللبرية (شكل ١٢) (Parpola, 1987, P.85).

عثر في قصر الملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني على منحوتات جدارية بارزة كانت تغطي جدران قاعة العرش إذ مثلت هذه المنحوتات قوة وعظمة الملك فتبدو شجرة الحياة بالوسط ويظهر مرتين على جانب الشجرة، كما ظهرت الروح الحارسة وهي تحمي الملك والتي مثلت شكل رجل له أجنحة يمسك أثناء بإحدى يديه ويرش الحاكم باليد الثاني

دلالة على التقديس، وفوق الشجرة قرص الشمس المجنح مع صورة للإلهة عشتار (الشكل ١٣) (غافليكوفسكا، ١٩٩٥، ص ١٦٠).

عثر في حصن الملك شلمنصر الثالث في ضمن الجناح الجنوبي منه على غرفة مهمة وهي مخصصة كحمام لذلك الجناح وقد طليت الأقسام السفلى منها بالقيصر أي جدرانها حفاظاً عليها من الرطوبة فضلاً عن تزيينها بتصوير جداري عبارة عن شريط من الأزهار. (Mallowan, 1966, P.450)، كما تم الكشف عن طلاء لأشرطة أفقية صحراء على امتداد الجدران (Oates, 1962, P.29). إلا أن أهم اللوحات الجدارية في ضمن ذلك الجناح، تلك التي مثلت شخصية الروح الحامية أو الملك الحارس بارتدائها عباءة على شكل سمكة (Reade, 1983, P.39) مزينة بالحراشف تطلت نهايتها بذيل سمكة، وقد زينت السيقان بالحراشف أيضاً، فضلاً عن ذلك فقد زينت تلك الشخصية بالأساور، وكانت تحمل في اليد اليمنى وهي مرفوعة مخروط كوز الصنوبر أو لقاح النخيل وفي اليد اليسرى دلواً بمقبض علوي وسمكة صغيرة يظهر رأسها متجهاً إلى الأمام وهو من أجمل المشاهد الفنية الاستثنائية (الشكل ١٤) (Oates, 1962, P.29-30).

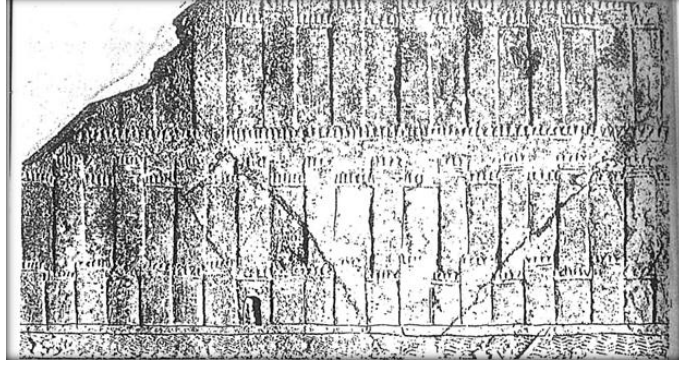
كذلك عثر في حصن الملك شلمنصر الثالث في أحد الغرف على لوحة من التصوير الجداري بشكل أفريز مستعرض على الجدار الجنوبي منها، وكانت هذه اللوحة تصور موكباً ملكياً لصف من الشخصيات تمثل حراس الملك وهم يتقدمون باتجاه الملك (الشكل ١٥) (Mallowan, 1966, P.379-30, Fig, 307-8).

وقد عثر في قصر الملك آشور بانيبال في نينوى على منحوتة جدارية لمشهد مصور في حديقة الملك إذ تظهر فيه جلسة الملك آشور بانيبال مع زوجته تحت أشجار (الكروم) وقد عمرت مائدتهم شتى أصناف الطعام في جو بهيج تحت أنغام الموسيقى (Larsen, 1840-1860, P.299) (الشكل ١٦) إذ كان الفنان الآشوري ينقل الواقع وينفذه على الأعمال، إذ تظهر زخرفة عناقيد الكروم وأغصان شجرة العنب وأوراقها (النجاري، ٢٠٠٣، ص ١٧)، وظهر الملك وزوجته يمسكان بكأس باليد اليمنى ويمسكان زهرة اللوتس باليد اليسرى احتفالاً بنشوة النصر (صالح، ٢٠٠٦، ص ٦١).

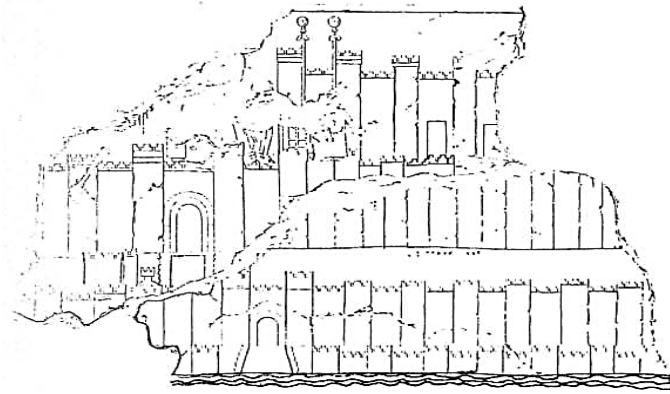
كما زينت منحوتة جدارية بمشهد آخر الذي زين أحد جدران القصر الملكي الآشوري للملك آشور بانيبال وهو يصور الجنود وهم واقفون أمام بوابة في ظل زخرفة أوراق العنب المثمرة (النجاري، ٢٠٠٣، ص١٨)، وأشجار الصنوبر التي غرست في حديقة الملك آشور بانيبال (Botta, 1972, P.12).

لقد كشف في زاوية القصر الشمالي الغربي للملك آشور ناصر بال الثاني الكثير من النقوش البارزة فقد كانت تزين زاوية هذا القصر وواجهاته زخرفة زهرة الرمان بهيئة متناسقة ورائعة (النجاري، ٢٠٠٣، ص٢٦)، كما عثر على منحوتة جدارية تعود لهذا الملك وهي مزينة بمشاهد مزخرفة شجرة الحياة، إذ كان في ذلك لمشهد يقف الملك على جانبي هذه الشجرة وهو يمارس الشعائر الدينية الخاصة (Eleanor, 1995, P.89)، إذ يظهر وهو يمسك بيده اليسرى الشجرة بينما ترتفع اليد الأخرى ربما لتقديم الولاء والطاعة للآلهة، إذ يمثل هذا المشهد عملية التطهير بالماء المقدس إذ تظهر شجرة الحياة بصورة واضحة والتي كانت تمثل عقائدياً الصورة الاسطورية للملك فهي شجرة مباركة ومقدسة وشجرة الحياة بالنسبة للآشوريين، كما ظهر في المشهد الرمز المتمثل بالقرص المجنح لآله آشور مع الشجرة المقدسة وعلى الأغلب كان المشهد يمثل حفلاً دينياً من الملك (الشكل ١٧) (صالح، ٢٠٠٦، ص٥٧) (مورتكات، ١٩٧٥، ص٣٧٥)، كما تم العثور على حلية عمارية أخرى وهي اللوحة الجدارية التي تعود للملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني والتي صورت زخرفة عنصر رجلاً الصنوبر المنقوش على معطف الملك والمنفذ على هذه اللوحة (صالح، ١٩٦٧، ص٥٠١).

الملاحق



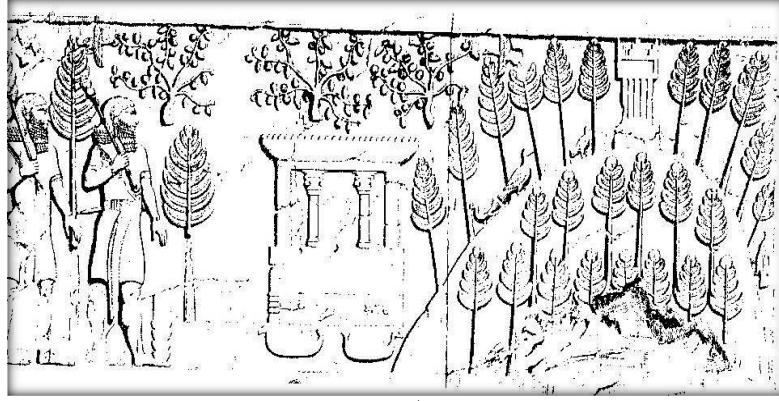
شكل (١) الأعظمي ، محمد طه محمد ، الاسوار والتحصينات الدفاعية ، ١٩٩٢



شكل (٢) الأعظمي ، محمد طه محمد ، الاسوار والتحصينات الدفاعية ... ،

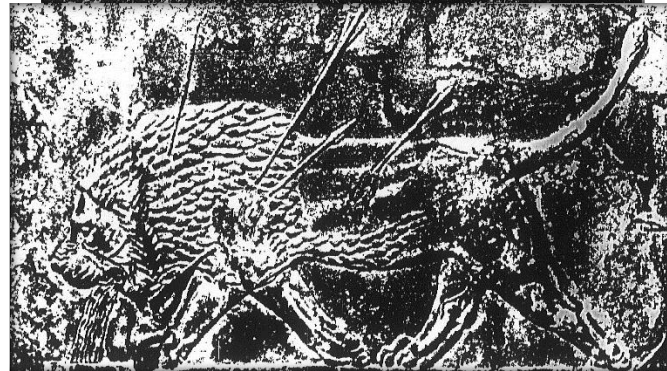
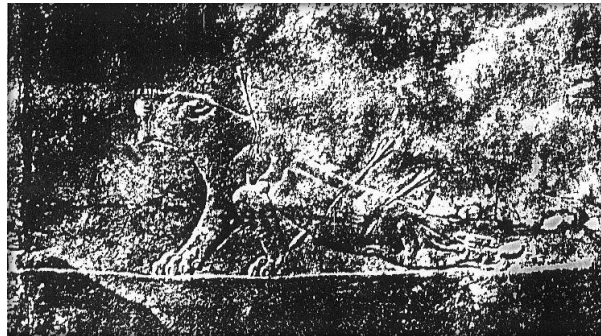


الشكل (٣) مأخوذ من Larsen , Mogens trolle, Excavations , OP.Cit



شكل (٤)

مأخوذ من: Botta, P. E. Mesurre, OP.Cit.



شكل (٥) انطوان مورتنكات ، الفن في العراق القديم ، بغداد ، ١٩٧٥



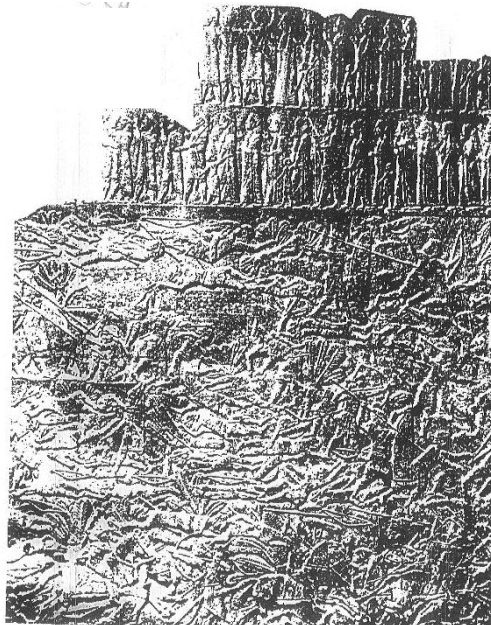
شكل (٦) اندريه بارو ، بلاد آشور (نينوى وبابل) ، بغداد ، ١٩٨٠



شكل (٧) مورنتاكات، انطوان، الفن في العراق القديم.....،



شكل (٨) انطوات مورتكا ، في العراق القديم ، بغداد ، ١٩٧٥

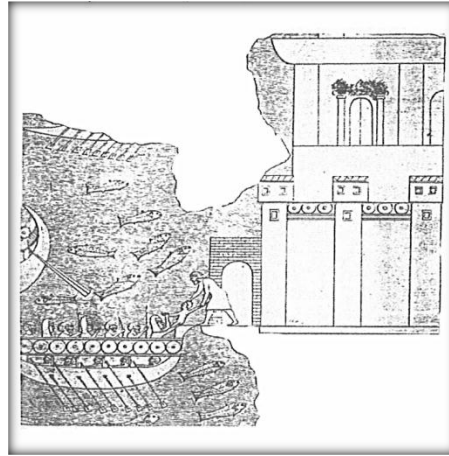


شكل (٩) انطوان مورتكات ، الفن في العراق القديم ، بغداد ، ١٩٧٥.

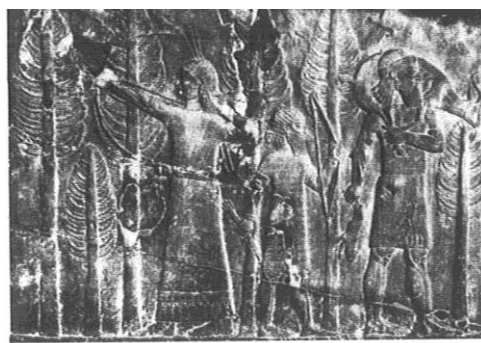
نماذج من الحليات المعمارية في القصور الآشورية



شكل (١٠) . Reade , j , op . cil . p36.



شكل (١١) . SAA , vol . 11 . p23.



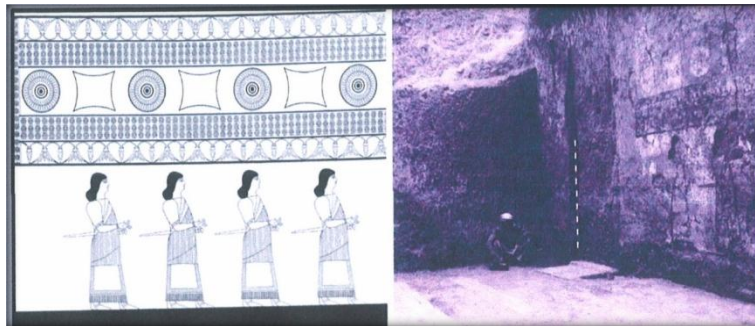
شكل (١٢) انطوان مورتكات ، الفن في العراق القديم ، بغداد ، ١٩٧٥.



شكل (١٣)



الشكل (١٤) مأخوذ من : Larsen, Mogens, troue, op.cit

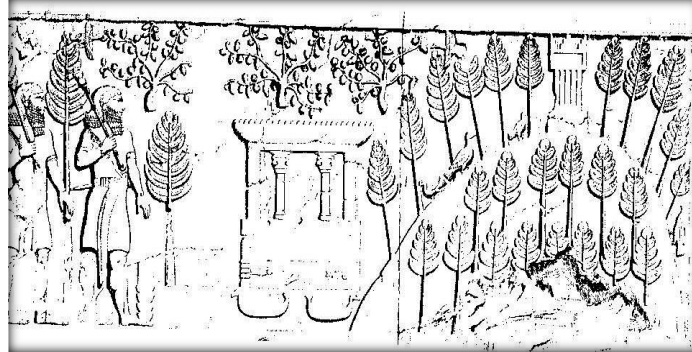


شكل (١٥) m.e.l . mallowan , nimrund and it's remains , vol 2 , fig 3oy.

نماذج من الحليات المعمارية في القصور الآشورية



الشكل (١٦) مأخوذ من Larsen , Mogens trolle, Excavations , OP.Cit



شكل (١٧) مأخوذ من: Botta, P. E. Mesurre, OP.Cit.

المصادر

أولاً: المصادر العربية

١. الأحمد، سامي سعيد. (١٩٦٩)، "كتابة التأريخ عند الآشوريين"، سومر، م ٢٥، ج ١.
٢. الأحمد، سامي سعيد، (١٩٧٩)، تاريخ فلسطين القديم، بغداد.
٣. بارو، اندري، (١٩٨٠) بلاد آشور، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد.
٤. بارو، اندري، (١٩٨٠)، بلاد آشور، ترجمة: عيسى سلمان، سليم طه التكريتي، بغداد.
٥. باقر، طه، و سفر، فؤاد، (١٩٦٦)، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة - الرحلة الثالثة، بغداد.
٦. بصمجي، فرج. (١٩٥٢)، "النمرود"، سومر، مج ٨.
٧. بوتسفيت، نيكولاس. (١٩٩١)، حضارة العراق وآثاره، ترجمة: سمير عبد الرحيم، بغداد.
٨. الجادر، وليد، (١٩٨٥)، حضارة العراق، الأزياء والاثاث، ج ٤، بغداد.
٩. الجبوري، خالد علي خطاب، (٢٠١٨)، جوانب من اعمال الملك سرجون الثاني في العواصم الآشورية، العراق.

نماذج من الحليات المعمارية في القصور الآشورية

١٠. الحديدي، خلف زيدان خلف سلطان، (٢٠٠٥)، عمارة القصر الملكي في العصر الآشوري الحديث، رسالة ماجستير، الموصل.
١١. الحمداني، ياسر هاشم حسين علي، (٢٠٠٢)، وسائط النقل في العراق القديم، رسالة ماجستير، الموصل.
١٢. الخطابي، علي سالم عبد الله. (٢٠١١)، خصائص المعادن المعمارية من عصر فجر السلالات إلى نهاية العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار.
١٣. الدوري، رياض عبد الحميد، (٢٠٠١). آشور بانينال (٦٦٩-٦٢٧ ق.م)، سيرته ومنجزاته، بغداد.
١٤. سعيد، مؤيد. (١٩٨٥)، "العمارة من عصر فجر السلالات إلى نهاية العصر البابلي الحديث"، حضارة العراق، ج٣، بغداد.
١٥. سليمان، عامر. (١٩٩٣)، العراق في التاريخ القديم، ج٢ (موجز التاريخ الحضاري)، الموصل.
١٦. صالح، عبد العزيز، (١٩٦٧)، الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ج١، القاهرة.
١٧. صالح، ياسمين ياسين، (٢٠٠٦)، المشاهد النباتية في الفن العراقي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار.
١٨. الطائي، علي جبار عزيز مجيد، (٢٠١١). تأثير الحروب الخارجية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المملكة الآشورية الحديثة ٩١١ - ٦١٢ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، واسط، ٢٠١١.
١٩. عبر، عادل نجم، (١٩٩١)، "فن العمارة"، موسوعة الموصل الحضارية، ج١، الموصل.
٢٠. عكاشة، ثروت، (بلا تاريخ)، الفن في العراق القديم، بيروت.
٢١. العلوجي، عبد الكريم. (٢٠١٠) آشور بانينال الفنان المحارب، القاهرة.
٢٢. غافليكوفسكا، كريستينا، (١٩٩٥)، الفن في بلاد ما بين النهرين، ترجمة: كبرو كدو، دار الينابيع.
٢٣. الفتلاوي، أحمد حبيب سنيد، (٢٠٠٦)، أسرحون ٦٨٠-٦٦٩ ق.م، رسالة ماجستير، جامعة واسط، كلية التربية، تاريخ قديم.
٢٤. محمد، صباح حميد يونس. (٢٠٠٣)، نينوى خلال عصر السلالة السرجونية، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار.
٢٥. محمد، صباح حميد يونس. (٢٠٠٣)، نينوى خلال عصر السلالة السرجونية، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار.
٢٦. محمد، قاسم. (١٩٨٣)، سرحون الآشوري، رسالة ماجستير، بغداد.

نماذج من الحليات المعمارية في القصور الآشورية

٢٧. مظلوم، طارق عبد الوهاب، (١٩٩١)، فن النحت، المدور، البارز، النحت على العاج، موسوعة الموصل الحضارية، مج ١، الموصل.
٢٨. مورتكات، انطوان، (١٩٧٥)، الفن في العراق القديم، ترجمة: عيسى سليمان وسليم ط التكريتي، بغداد.
٢٩. ميخائيل، نجيب. (١٩٦٧)، مصر والشرق الأدنى القديم، العراق وفارس، ط ٢، القاهرة.
٣٠. النجاري، غسان مردان حجي، (٢٠٠٣)، العناصر الزخرفية في الفن الآشوري الحديث، رسالة ماجستير، الموصل.
٣١. الهلالي، ليال خليل اسماعيل، (٢٠٠٨)، الحلي على مشاهد النحت الآشوري، رسالة ماجستير غير منشورة، الموصل.

ثانياً: المصادر الأجنبية

32. Albanba, P.(1974), Drapebines In, as hurbanipals Garben, bulletin of the American fthools of oriental research, no: 215.
33. Botta, P. E.(1972). Monument De ninive vol. 4, Biblco verlay osnabvuch.
34. Eleanor, G. L.(1995). Sargonid Sculpture and The Late Assyrian Gubit, Iraq, Vol. 34.
35. Larsen, M.T.. Excavations In an antiqeland, 1840-1860, London.
36. Lloyd, S.(1955). Building in Brick and Stone, vol.1, Oxford.
37. Mallowan, M.(1966). Nimrud and its Remains vol. 1, London.
38. Oates, D.(1962). "The Excavation at Nimrud (kalhu), 1961", Vol. 24, No.1.
39. Parpola, F.(1987). The correspondence of sargon II, part1. Letter from Assyria and the west, (Helsinki), Ssa, vol. no:101.
40. Pope, A.U.(1967). A Survey of Persian Art- from Prehistoric to the Present, vol.2, Oxford.
41. Rander, K.(2011). "The Assur –Nineveh –Arbela triangle, central Assyria in the Neo-Assyrian Period", between the cultures the central Tigris region from the 3rd to the 1st millennium B. C. A. P. miglkus, and Muhl's , Berlin.
42. Rassam. H. A, (1897).Ashur and The Land of Nimrod, New York.
43. Reade J. E.(1983). Assyrian Sculpture, Brithish Museum, London, 1983.

مقهى حسن عجمي
دراسة تاريخية

أ.د. جاسم محمد هايس
الجامعة العراقية- كلية الآداب - قسم التاريخ

مقهى حسن عجمي - دراسة تاريخية

أ.د. جاسم محمد هابس

بدأت ظاهرة تأسيس المقاهي في العراق في عهد الأحتلال العثماني (١٥٣٤-١٩١٧)م ضمن سياق عفوي لايتعدى المتعة واللهو في البدأ ، ثم تحولت الى وظائف أخرى أدبية وسياسية ،أبتداءً من العقدين الأول والثاني من القرن العشرين .وهي الفترة نفسها التي تشيرفيها المصادر التاريخية الى تأسيس مقهى حسن عجمي ، وأن الوظيفة السياسية طغت على باقي الادوار التي لعبتها المقاهي .(١)

أرتبط أسم مقهى حسن عجمي بشارع الرشيد الذي تأسس في عهد الوالي العثماني خليل باشا عام ١٩١٦ م ، وهو اخر والي عثماني لبغداد . أفتتح الشارع في ٢٣ تموز ١٩١٦ م وكان يمتد من باب المعظم الى منطقة السيد سلطان علي . وقد سمي في البداية (جادة خليل باشا) وبعد الاحتلال البريطاني للعراق سمي (الشارع الجديد) ثم تحول أسمه فيما بعد الى (شارع الرشيد) .(٢)

كان لشارع الرشيد الحصة الأكبر من مقاهي العاصمة بغداد التاريخية ، إذ ضم على جانبيه الكثير من المقاهي التي تأسست مع بداية أنشاء هذا الشارع ، مثل مقهى حسن عجمي والشاهبندر والزهاوي والبرلمان والبلدية وأم كلثوم وغيرها .(٣)

مع بدايات القرن العشرين أنتشرت ظاهرة تأسيس المقاهي في بغداد ، وأصبحت ظاهرة ملفتة للنظر ، وكانت هذه المقاهي ملاذاً لذوي الميول المتقاربة والمهن المتشابهة .فأصبح يتردد عليها التجار والموظفون والعمال ، يجلسون فيها ويدخنون الاراكيل ويشربون الشاي والقهوة ويلعبون الدونة والطاولي ، وهي من الالعب الشعبية المتداولة في المقاهي حتى الآن .(٤)

أكسبت قوة حضور شارع الرشيد في الحياة المدنية العامة ، بأعبتارة مركز المدينة ، هذه المقاهي سر ديمومتها وحيويتها وتواصلها على مر السنين ن وأستطاعت أن تحافظ على بقائها وتقاوم المتغيرات لسنوات طويلة .(٥)

تذكر بعض المصادر التاريخية أن عدد مقاهي بغداد قد بلغ عام ١٨٨٢م ١٨٣ مقهى ، وأن هذا العدد قد أرتفع عام ١٩٣٤م الى ٥٩٩ مقهى .(٦) وقد سجل الدليل الرسمي العراقي لسنة ١٩٣٦ م جدولاً بين فيه أن شارع الرشيد وحده قد أحتوى على (٦٢) مقهى بأسماء أصحابها وعناوين مقاهيهم .(٧)

يأتي مقهى حسن عجمي في مقدمة المقاهي التي تأسست في شارع الرشيد ، وتشير المصادر التاريخية الى أنه تأسس عام ١٩١٧ م وتحديداً بعد أشهرمن تاسيس شارع الرشيد ١٩١٦م . الذي يقع المقهى على جانبه الأيمن أبتداءً من جهة باب المعظم باتجاه الباب الشرقي . وكان يسمى في بداية

تأسيصة (كهوه خانة حسن عجمي) ، وتشير المصادر أن أسم مؤسسه هو عبد الرزاق أفندي ، وفي عام ١٩٢٦م أنتقلت ملكيته الى الحاخام حسقيل بن هارون .(٨)

أحتوى شارع الرشيد على " أمبراطورية فريدة " من المقاهي ، تبدأ من ساحة الميدان جنوباً ، وتنتهي في شارع أبو نؤاس شمالاً . أنها أمبراطورية شارع الرشيد العمود الفقري لمدينة بغداد ، الذي أحتضن رصيفاه ما يحتاج إليه المواطن البغدادي وغيره من العراقيين الوافدين اليه من المحافظات الأخرى.(٩)

بعد تأسيس شارع الرشيد أصبح مركز مدينة بغداد ، وهو في رأي الروائي وارد بدر السالم : " مهندس ومؤسس المقاهي لأنه حاضنة بغداد التجارية القديمة بأمتداده الطويل ، ووقوعة قريباً من نهر دجلة ومقار وزارات الحكومات المتعاقبة ، ودوائرها ومراكزها الصحفية ، أضافة الى الحياة المواره فيه ، حيث توجد حارات جانبيه وجوامع ومحال وسينمات وأزقة وأسواق ، وثم مقاهيه الكثيرة التي تحولت معظمها الى منتديات ثقافية بمرور الزمن ولقاءات سياسية ومواطن للشعر التحريضي بشقه العمودي المؤثر آنذاك " .(١٠)

يقع مقهى حسن عجمي في محلة الحيدر خانة وهي إحدى محلات شارع الرشيد ، في المكان القريب من منطقة الميدان ، تجاوره من الجنوب مدرسة شماش اليهودية ، ومن الشمال دكان حجي زباله بائع عصير الزبيب الشهير ، ومن الجهة المقابلة للشارع دكان كعك السيد ، ويؤكد من عاشوا فترة ازدهار المقهى أنك تستطيع أن تستدل على المقهى من رائحة تتن الأركيلة والفحم المتقد تحت سماورات الشاي وقوارية . وأنه كان ملتقى لوجهاء بغداد لتبادل الأحاديث والنقاشات السياسية والأدبية ، وأن مايميزة أن أغلب قواريه تأتيه هدايا من باشوات بغداد الذين كانوا مع العثمانيين ومن الأنكليز والأعيان والمختارية.(١١)

أحتوى المقهى على طابق أرضي وطابق علوي ، والطابق العلوي كان يستخدم للسكن لطلاب مدرسة شمشون اليهودية المجاورة للمقهى .(١٢) وكان يقابل المقهى مستشفى صحة الطلاب في عقد الثلاثينات ، وكذلك مديرية صحة بغداد ، ومديرها الكتور أسماعيل الصفار ، الذي كان يملك عيادة مقابل منطقة الحيدر خانة ، كذلك كان يقابل المقهى عيادة الدكتور صبيح الوهبي ، مدير مستشفى الشعب ، التي كانت تسمى سابقاً مير الياس ، وكان وزيراً في العهد الملكي . (١٣)

أصبحت مقهى حسن عجمي ومنذ فترة مبكرة لتأسيسها مكاناً يرتاده المتقنين والمعلمين والمتقاعدين ، ممن أقتضت طبيعة عملهم وظروفهم أن يجتمعوا فيها لقربها من دوائر الدولة وتوسطها لمدينة بغداد وشارع الرشيد والهدوء الذي تتميز به .(١٤)

أعتبر البعض أن مقهى حسن عجمي مقهى الفن الفطري ، ففيها يوجد كل مايشعر به الإنسان بأنه ينتمي الى الشعب وتراثه الأصيل . وكان صاحبه يقتطع زاويه من المقهى أيام الصيف للطلبة

ليذاكروا فيها ويمنع لعب الطاولي والصياح قريباً منهم حتى يوفر لهم الجو الملائم للقراءة لحين الانتهاء من المطالعة. (١٥)

يذكر الرواد الأوائل للمقهى أنه كان من أنظف مقاهي بغداد ، واكنت أرضيته تغسل يومياً ، وأن الوجاغ الذي هو مكان عمل الشاي ممثلي بأنواع السماورات الروسية الأصيلة ، أي الواردة من موسكو وأنواع القواري شكلاً وحجماً ، وكان المقهى مفروشاً بالسجاد الأصلي الكاشان ، كما تمت تغطية آرائك المقهى وجدرانه بالسجاد. (١٦)

يصف الشاعر محمد مهدي الجواهري - الذي كان من أوائل رواد المقهى - صاحب المقهى بأنه:

" متوسط الطول ، أسمر اللون ، مقبول ، عربيته جيدة ، يعمل بتجارة السجاد التي كانت تجارة مريحة " (١٧). وكان يجلس الى جوار خزانة حديدية وكان يهتم به - أي بالجواهري - كثيراً حتى لو كلفه ذلك كثيراً من المال ، كان جلسة في المقهى يشبه الديوانية ، يجلس كالمملوك على كرسي وثير ليس من أجل فلوس يجمعها مني أو من غيري وإنما لكي يزهو ويتسلى أيضاً ، ولهذا كان يعتني بمقهاه كثيراً ويهتم بديكوراته . والظاهر أنه لم يكن متزوجاً . ففي كل صباح كان ينزل (كاشخاً) ويجلس في صدر المقهى ، وقد توفي في أوائل الخمسينات " (١٨)

يصف الشاعر الجواهري اهتمام صاحب المقهى به بقولة :

" ومن باب الذوق الرفيع ، وأعتزازاً منهم بي كانوا يقدمون لي القهوة ، وقد كتب على كشوتها كلمة الجواهري ، بخط أنيق وجميل ، وكان ثمن أستكانة الشاي عانة واحدة (أربعة فلوس) ، وكانت القنفأة مغطاة بالسجاد . (١٩)

صنف مقهى حسن عجمي ومنذ عقد الثلاثينات من القرن العشرين على أنه مقهى الأدباء ، وأستمر على هذا التصنيف عبر الأجيال ، وترجع أولى النشاطات التي مورست في المقهى الى السنوات ١٩٢٦-١٩٢٧-١٩٢٨ م ، حيث بدأ الشاعر محمد مهدي الجواهري بأرتياد المقهى. (٢٠)

يذكر الشاعر محمد مهدي الجواهري في مذكراته بأن رواد مقهى حسن عجمي كانوا من السياسيين والأدباء ومنهم رئيس الوزراء العراقي في العهد الملكي عبد الوهاب مرجان ، الذي يصفه الجواهري بأنه كان من ضمن عشرات الشباب الصاعدين في المسرح السياسي وأنه كان من أترابه في المقهى. (٢١)

يصف الجواهر بداية فترة أرتياده للمقهى بأنها من أروع الفترات في حياته الأدبية في شبابة :
" رغم الحرمان والجو الخانق بوسعي القول أن تلك الفترة كانت أبداع فترة في حياتي الأدبية في مرحلة الشباب . كنا نجتمع في مقهى حسن عجمي في منطقة الحيدر خانة ، شلة من الشباب الصاعد ، وكنت في الصميم منهم ، فما أن أصل حتى يتبدل الجو الى الألف ، والحديث الى الأجل . نجتمع

نتلهي ، نانس ، ثم نذهب الى الباب الشرقي ونرتب أمورنا المادية ، روبية أو نصف روبية من كل واحد في هذا الجو ، ووسط هذه الدوامة ، كانت الأنطلاقة الأدبية والشعرية عندي تتوالى ، فالجو المتناقض ، المتفارق ، ينسجم مع هذا الأنسان في تناقضاته وفي هذا التناقض يحصل الأنسجام " (٢٢)

يصف الكاتب ساسون سومينغ الأجواء في مقهى حسن عجمي بأنه كان هادئاً ، في شارع يضج بالناس على الدوام . وأنه حين كان يعبر من أمام المقهى كان يرى الشاعر الجواهري مستغرقاً في كتابة قصائده ، محرراً شفتاه بصمت . (٢٣) وأنه - سومينغ - قد أشتري المجموعة الشعرية للجواهري عام ١٩٤٨م وأنه قد توقف عند قصيدة بعنوان " دلجة في الخريف " لأنه أحب هذه القصيدة ، رغم أن لغتها كانت صعبة ، وانه لجأ الى أحد مدرسيه - وكان هذا المدرس صديقاً للجواهري - وأسمة محمد شرارة ، ليشرح له القصيدة . (٢٤)

وكانت مواقف الجواهري المؤيدة لليهود العراقيين ضد السلطة الملكية الحاكمة في العراق ، محط أجاب ساسون سومينغ ، ويؤكد سومينغ أنه قد ألتقى الجواهري في مقهى حسن عجمي ، وأن هذا اللقاء قد أثار قريته الأدبية لقراءة الشعر ، وأنه بدأ بترجمة بعض القصائد من اللغة الأنكليزية الى اللغة العربية بتشجيع من مدرسه ، كما وأنه ألتقى الشاعر بدر شاكر السياب في المقهى نفسه ، في أواسط عقد الأربعينات ، وأنه جلس معه لتصحيح بعض الأخطاء المطبعية في ديوان السياب الشعري . (٢٥)

في بداية عقد الثلاثينات وأثناء حكم الملك فيصل الأول للعراق ، أصدرت حكومة نوري السعيد قائمة منع ممارسة النشاط السياسي ، أسماها الجواهري ب " القائمة السوداء " لمجموعة من الاشخاص كان من ضمنهم الشاعر محمد مهدي الجواهري . تضمنت القائمة منع ممارسة النشاط السياسي لمدة ثلاث سنوات . وفي ذلك يقول الجواهري :

" نقل لي رئيس الديوان الملكي رستم حيدر بألم ما اراده لي الملك فيصل ، أن السنوات الثلاث المطلوبة هذه تعني ملازمتي البيت أو أن شأت فمقهى عزاوي أو مقهى حسن عجمي ، شرط أن لا يكون لي مكان في الدولة " . (٢٦)

يكشف لنا الفنان محمد محسن جانب مما كان يجري في مقهى عجمي في عقد الثلاثينات بقوله :

" كنت ومازلت مولعاً بكل فنان أصيل ، وكان قد ذاع صيت المطرب عزيز علي ، خاصة أغنيته " شوباش شوباش " ، فوقفت أمام احد المحلات الذي كان ينطلق منه صوت المطرب عزيز علي من خلال المذياع ، إلا أن صاحب المحل دفعني بعيداً . وبينما كنت أسير وصلت الى مقهى حسن عجمي ، وكنت بعمر صغير ، عبرت الشارع ، ودخلت المقهى ، دون سلام أو كلام ، وكان المقهى ممتلئ بكبارالشعراء والادباء وكبار السن . وبدأت أستمع لأحدى أغنيات المطربة سليمة مراد ، غير مكترث لنظرات رواد المقهى لقد رأيت رجلاً يجلس بمهابة على منصة عالية وأمامة جهاز الكرامفون مع عدد كبير من الأسطوانات " . (٢٧)

بقي مقهى حسن عجمي نقطة ألتقاء الأدباء ، ففي عقد الأربعينات من القرن العشرين أزداد عدد رواده من الادباء . وفي ذلك يقول الشاعر بلند الحيدري :

" لم يكن ثمة شئ يلفت أنتباه الوافدين في عقد الأربعينات ويثير عجبهم وأعجابهم كمنظر المقاهي المنتشرة في كل شوارع بغداد وأزقتها " . ثمة مقهى آخر هو مقهى حسن عجمي كان يرتاده أحياناً الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري ، وكنا نأنس بلقائه وبحديثه الشيق ، ونكبره شاعراً وسياسياً وثائراً . وكان الى جانب ذلك صاحب نكته لاذعه لا يرويه إلا وقد حملها معاني ... ثمة شعراء آخرون ممن يتحلقون حوله ويتخذون مواقع حوله " . (٢٨)

وفي أهمية مقهى حسن عجمي قال الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد ، الذي كان أحد رواد المقهى :
" لا أعتقد أن أحداً من الادباء لم يراوده الفضول للجلوس في مقهى حسن عجمي ، أنها تذكرني ، بمقهى زقاق المدق في القاهرة " . (٢٩) كانت المقهى مصدر جذب للشعراء والأدباء الشباب ، يقول الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد :

" كنت طالباً في الصف الأول في دار المعلمين العالية ، حيث ألقى يومها الجواهري قصيدته الرائعة " أتعلم أم أنت لا تعلم " في جامع الحيدر خانة عام ١٩٤٧م ، واتذكر كيف أنقطع شارع الرشيد وبدأ طوفان صوت الجواهري :

" أتعلم أم أنت لا تعلم "

بأن جراح الضحايا فم " (٣٠)

يؤكد الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد ، أنه ومنذ ذلك التاريخ ، أصبح لمنطقة الحيدر خانه جلال مبهم في نفسه . لم تخفف من هيمنته ، السنين الطويلة التي قضاها بين مقاهيها .

" الغريب أن منطقة الحيدر خانه ، أنفردت من بين جميع مناطق بغداد ، ومحالها بأن أحتوت المقاهي الأربع أو الخمس ، التي كان يرتادها أغلب الشعراء والأدباء في تلك الأيام ، وأهم هذه المقاهي هو مقهى حسن عجمي " . (٣١)

يصف الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد هذه المقاهي بأنها تقع جميعها في محلة الحيدر خانة ، وكانت تلتقي فيها الغالبية العظمى من الشعراء ، رشيد ياسين ، بدر شاكر السياب ، محمود البريكان ، أكرم الوتري ، وحسين مردان ، ثم الجيل اللاحق من الشعراء ، سعدي يوسف ، كاظم جواد ، محمد النقدي ، موسى النقدي ، رشدي العامل ، راضب مهدي السعيد ، زهير أحمد ، كاظم نعمة التميمي ، وعبد الرزاق عبد الواحد . (٣٢) وأن هذه المقاهي كانت شديدة الضوضاء يخلل لغطها صياح باعة الصميط والحب والسكاثر والصحف اليومية . وان ثمن الجلوس في مقاه الحيدر خانة عشرون فلساً ، يقدم مقابلها شاي عراقي ، بأستكان مذهب ومن الخدمات التي تقدمها هذه المقاهي هي قراءة الصحف وبعض المجلات أيضاً بأربع فلوس . (٣٣)

لم يكن رواد هذه المقاهي من الشعراء والأدباء فقط ، بل كان من روادها الدائمين أيضاً ، عدد كبير من الصحفيين اللامعين والمحامين والمنقذين ، مثل الصحفي المعروف عبد القادر البراك . (٣٤)

كان مقهى حسن عجمي من الداخل عبارة عن :

" هرم من السماورات اللماعة ، قاعدتها على جانبي الموقد ، ثم يصعد الى الأعلى حتى يكاد السماور الذي في قمته يلامس سقف المقهى ، وأمام قاعدة السماورات يمتد صف من الأراكيل بألوانها المختلفة ، وعلى مساحة مئة متر مربع تقريباً ، التي هي جزء مساحة المقهى ، تمتد التخوت بخطوط متقابلة ومتوازية " . (٣٥)

أستمر مقهى حسن عجمي بأستقطاب الكثير من الشعراء الرياديين ، مثل الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد والشاعر بدر شاكر السياب والشاعر بلند الحيدري ، وجماعة كركوك الأدبية والشاعر عبد الامير الحصري ، والذي يعتبر بحسب رأي الروائي وارد بدر السالم ، علامة فارقة من علامات هذا المقهى الخالد . (٣٦)

وفي أستذكاره للشاعر بلند الحيدري يقول عبد الرزاق عبد الواحد :

" نادراً ماكنت أرى الشاعر بلند الحيدري في مقاهي الرشيد أو حسن عجمي ، لأن بلند كان موزعاً بين أنتماتين ، فلا هو لجماعة مقهى البرازيلية ، ولا هو لجماعة لمقهى حسن عجمي " . (٣٧)

حتى الأدباء الذين يمرون بالعاصمة بغداد من غير محافظات ، كان مقهى حسن عجمي مكانهم المفضل . يقول الكاتب حسن رزاق أبراهيم أنه تعرف على القاص والروائي محمود سعيد في سبعينات القرن الماضي في مقهى حسن عجمي ، رغم ان الروائي لم يقيم في بغداد طويلاً . وحتى في أثناء تواجده في المقهى ، كان القاصين الكبارين فؤاد التكرلي وموسى كريدي يأخذان أغلب وقت الروائي محمود سعيد وأيامه القليلة في المقهى . (٣٨)

يصف عبد الجبار محمود وهو أحد رواد مقهى حسن عجمي المقهى بقوله :

" تنصدر المقهى مرآة كبيرة محاطة بأطار ذهبي توحى لك بأنها قاعة لملك ... لعله ملك المقاهي " . كان سجاد الكاشان يغطي الأرائك والشاي يقدم لرواد المقهى في اناء نحاسي أصفر ، بتقليد بغدادية أصيل ، يوحي بالذوق الرفيع ... في وسط المقهى تتدلى من ، أقفاص البلابل والبيغاوات التي كانت تتكلم مع رواد المقهى وتتأديهم بأسمائهم ... ويقال أن الوصي على عرش العراق الأمير عبد الآله أخذ أحدهم أثناء زيارته المقهى وكان صاحب المقهى يضع شدة ورد كل يوم الى جانبه .. أنها أمتداد طويل متصل بتقاليد العصر العباسي ، نوافذه ، رواده ، ... ومنذ ثلاثينات القرن العشرين كان الناس يتجمعون في المقهى ليستمتعوا بشغف ، وبعد أنتظار طويل للملا عبود الكرخي ، ليلقي قصائده . فقد كان له أثره على نفوس البغداديين . وكان الشاعر محمد بحر العلوم يجلس في إحدى جهات المقهى لوحده ، فلم يكن يحب الأحتكاك بالناس ... أتذكر أنه مر من أمام المقهى فجر أحد أيام سنة ١٩٤٩ م ،

الشاعر بدر شاكر السياب موقوفاً في عربة خيل مع سريره وفراشة وحقيبته ، جاؤا به من سجن الرمادي". (٣٩)

بقي شارع الرشيد ومقاهيه مركز أستقطاب القادمين من المحافظات الأخرى الى بغداد يقول الشاعر حسين مردان :

" فجأة قررت ترك المدرسة والسفر الى بغداد ، كان عمري في وقتها العشرينات ...تلقفني شارع الرشيد ...البساتين الملونة والزجاج ...كان شارع الرشيد ، يضم بين جانبيه أكبر المقاهي الثقافية في العاصمة بغداد ، مثل مقهى البرلمان، والزهاوي، وحسن عجمي والبرازيلي . هذه المقاهي كانت تشكل بؤراً لتجمع الشعراء والأدباء والمتقنين ، وقد شهد شارع الرشيد العريق أغلب التظاهرات السياسية والمسيرات الاحتجاجية السلمية والصدامات الدموية ، حتى أصبح يمثل بحق المشهد الحقيقي ، ليوميات الواقع العراقي ". (٤٠)

" أقتحم حسين مردان الشاب المتقد وأدباً نشاطاً وحكمة مقاهي الرشيد الثقافية ممثلاً بحيوية وثقة عالية بالنفس . وأصدر ديوانه الأول " قصائد عارية" الذي اعتبره بعض الكتاب وعياً متقدماً لحسين مردان ، وأن هذا الديوان قد مثل تياراً أدبياً جديداً في أخلاقياته وأنه قد تجاوز السائد والتقليدي في وقتها". (٤١) هكذا بدأ حسين مردان أولى خطواته في بغداد وشارع الرشيد ومقهى حسن عجمي ، حيث التقي محمد مهدي الجواهري والأستاذ كمال الجبوري والشيخ جلال الحنفي . (٤٢)

كانت اللقاءات بين الأدباء والشعراء في المقاهي عادة طريفة ونواة متفجرة للحوار والمصادمات الأدبية في رأي الشاعر حسين مردان ، ويشير الى أن من مرتادي هذه المقهى في أثناء حضوره لها هم الشاعر محمد مهدي الجواهري والشيخ جلال الحنفي والأستاذ كمال الجبوري الصحفي والأديب عبد القادر البراك ، ويؤكد أنهم كأدباء شباب كانوا يعاملون هؤلاء بتقدير فائق ، وأن هؤلاء الكبار كانوا بدورهم يشيدون بنتائجهم فيسهمون بدفعهم للتجديد والابتكار . (٤٣)

وعن ذكرياته في المقهى يقول الشاعر حسين مردان :

" يعتبر مقهى حسن عجمي ، أكثر المقاهي عراقيةً وشهرة ، فقد حافظ على حضوره واستمراريته عقوداً طويلة وأرتبط اسمه بشارع الرشيد ، وتردد عليه معظم الادباء والمتقنين . ومن رواده المعروفين ، الذين أرتبط أسمهم بالمقهى الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري . الذي كان يجلس فيه قبل أن يبدأ باللقاء قصائده المحرصة أبان أنتفاضة ١٩٤٨ م . فكانت الجماهير المعجبه بقصائده وبلاغتها وتأثيرها ، تتطلق من جامع الحيدرخانه الى شارع الرشيد ، بمسيرات غاضبة ومننده ، بالمعاهدة الجائرة التي وقعتها الحكومة العراقية مع بريطانيا ". (٤٤)

كانت اللقاءات بين الأدباء في مقهى حسن عجمي يوم الأربعاء من كل أسبوع ، وهذا اللقاء تمهيدي يسبق اللقاء الأساسي ، الذي يتم يوم الجمعة من كل أسبوع أيضاً . يجتمع فيه رواد المقهى من

النخبة المثقفة . ورغم الأجواء الخانقة بدخان الأراكيل ، ورائحة البناء القديم ، إلا ان الجلسات والنقاشات الخاصة كانت تأخذ ساعات طويلة . (٤٥)

أستمرت مقهى حسن عجمي تمثل الأنطلاقة الأولى في حياة الكثير من الشعراء والأدباء ، ففي عقد الثمانينات بدأت أجيال جديده ترتاد المقهى ، يقول القاص علي السوداني :

" في واحدة من الظهيرات الساخنة أخذتني قدماي باتجاه مقهى حسن عجمي العتيقة ، وهي واحدة من علامات مفتتح شارع الرشيد البديع من جهة الميدان ، والحيدرخانة وجديد حسن باشا ، وهي المكان الذي يجتمع فيه أدباء العراق ، ومريديهم ، وجلاسهم ، من الغاوين الكثيرين والغاويات النادرات " (٤٦) .

ويبدو أن العنصر النسائي أيضا كان يرتاد المقهى .

يصف علي السوداني مرتادي المقهى بقولة :

" في المقهى ستري أغلب أجيال الوسط الأدبي ، لكن الصوت العالي سيبقى خاصاً بجيل الستينات ، الذي يرى نفسه - وهو على حق - مدرسة مكتظة بتلاميذ قائمين على غضاضة ، ونتاج جديد يحمل أثرعسا العلم وطاعة التلميذ النجيب " . (٤٧)

كانت مدرسة علي السوداني الأدبية الأولى ، مقهى حسن عجمي ، تعلم منها ثقافة الصعاليك ، وأنضم من خلالها الى مجاميع المثقفين التي ترتاد ذلك المقهى ، وكانو يعرفون أنفسهم بأنهم (صعاليك بغداد) . (٤٨)

وعن بداياته الأدبية الأولى يقول القاص علي السوداني :

" حدث هذا ببغداد العباسية صيف السنة الميلادية ١٩٨٢ م ، بدأ الأمر بمقهى حسن عجمي بمنطقة الحيدر خانة التي يفتتح بها شارع الرشيد ، النازل صوب الباب الشرقي ... تكاد تكون هذه المقهى المعتقة هي بوابة الدخول الحتمية لوسط الكتابة والثقافة والفنون الجميلة كلها ، فهناك ستتعرف على وجوه كنت تقرأ قصصهم وقصائدهم وماتيسر من روايه ونقد على صفحة جريدة أو كتاب . ومن محاسن المصادفات المبهجات أنني عرفت القاص الراحل موسى كريدي مع أول جلوس لي هناك . وكان موسى من الجلاس اليوميين ، على العكس من معظم الأدباء الكبار الذين كانوا ينظرون يوم الجمعة ، ليهاجروا الى المقهى وليصنعوا ظهيراتهم الممتعة حتى مطلع العصر " . (٤٩)

يصف القاص علي السوداني الاجواء الادبية التي كانت تجري في المقهى بقوله :

" لموسى كريدي الجميل طقوس خاصة به لم أجدها في غيره من الكتاب . فهو يدخل المقهى بهدوء ووجه مصنوع من أبتسامة خالده ، ويتوجه صوب المغسلة المزروعة بباب غرفة الأراكيل ، ويقوم بغسل وجهه وتعديل شعره بمشط حديدي صغير شاع أيامها . ثم يأتي موزعاً البشاشة والسرور على الأصدقاء ، وكان غاباً ما يختار مصطبة الجلوس التي تطل على الشارع ، ومنها يستطيع قنص دكان كعك السيد والحلاق الحلي ومعارك أبو السمك اللغوية المكرورة بباب المكان " . (٥٠)

بعد حرب الخليج الثانية ١٩٩١م ودخول العراق في نفق الحصار مع بداية عقد التسعينات ن بقيت مقهي حسن عجمي نبض بغداد تغص بالأدباء ، بعد أصبحت يتيمة شارع الرشيد ، بعد أن فقد الشارع العديد من مقاهيه التراثية . مثل عارف آغا ومقهي البرلمان ومقهي البرازيلية والمقهي السويسري ، المطل كتفه الأيسر على ساحة التحرير .(٥١)

حدد بعض مواعيد اللقاءات في المقهي فهي تبدأ من سويغات الظهرية وصولاً الى الذروه عصرًا ، حتى اذا تكاثف الحضور وغص المقهي بروادها الأدباء ، فأنك لن تجد متسعاً داخل إحدى التخوت الأدبية المتراصفة طولياً فوق أرضية مبلطة بالكاشي الموزائيكي الأصفر المتقاطع بأحناءات بنيه ، أو المتراصفة مربعاتياً كأنك في حوش من زامن متقادم . لتريح عليها جسدك التائه كأنما في البريه وليس في المدينة".(٥٢)

يذكر لنا كمال العبدلي أسماء من كان يرتاد المقهي في عقد التسعينات ومنهم الشاعر نصيف الناصري ، وكان من أوائل الحضور ، والقاص علي السوداني والاديب جبار أحمد والناقد التشكيلي جبار ياور ومن الشعراء ناجي أبراهيم وستار موزان ورياح نوري وحسين علي يونس ووسام هاشم ومن القصاصين حميد المختار ومحمد سعدون السباهي وشوقي كريم وزعيم الطائي والشاعر حسن النواب ، الذي كان يأتي من مدينة كربلاء".(٥٣)

هكذا بقيت مقهي حسن مأوى للأدباء خلال عقد التسعينات ، ومجس للثقافة العراقية ، فحين يهزم الوطن يصبح طعم الشاي مرّاً مثل هزيمة الوطن ، وحين يؤجل الأدباء الثرثرة في حداثة القصيده أو القصة يلعبون النرد(الطاولي). (٥٤)

لقد تأثر مقهي حسن عجمي كغيره من المقاهي بالتحويلات السياسية والأجتماعية في العراق ، فمنذ عقدي الثمانينات والتسعينات ، من القرن العشرين ، بدأت مقاهي بغداد تتحول الى عيون ثانية ترصد الهمسه وحركة الداخل والخارج والواقف والجالس والكتحدث والصامت وتكتب التقارير اليومية بالغة الدقة والرصد والانتظام . (٥٥)

" كانت بغداد ضخمة في مساحتها ومقاهيها وشوارعها الثقافية ، واللقاءات تكرر فيها أربع مرات أو أكثر في الشهر، هذه اللقاءات كانت مميزة وتضم الأدباء الوافدين من المحافظات الاخرى الى بغداد ، هذه اللقاءات كانت تمثل لبعض هؤلاء الوافدين الدهشة الأولى التي تشير الى أتساع العاصمة ، وتعدد منافذها الثقافية المختلفة . تلك اللقاءات التي كانت غالباً ما تنتهي في مقهي حسن عجمي الذي يرتادة الثمانيون والتسعيون والرواد الكبار . تتقابل التخوت الخشبية بذلك الخليط غير المتجانس من الصبية النزقين المتهورين والكبار المنضبطين ببذلاتهم الرسمية .مثل سامي مهدي ومالك المطلبي وموسى كريدي وعبد الخالق الركابي وأحمد خلف وفؤاد التكرلي وخالد علي مصطفى وأسماء أخرى".(٥٦)

وتطول قائمة مرتادي مقهى حسن عجمي وتتنوع منهم خزعل الماجدي وزاهر الجيزاني وحميد قاسم وجواد الحطاب وزيارة مهدي وسلام كاظم وعبد الزهرة زكي ورعد عبد القادر وعدنان الصائغ وجيل وأجيال أخرى . رغم أن لحظات أختلاط هذه الأجيال كانت قليلة للغاية بسبب التهريج التي تخوضه التخوت مقارنة بحالة الكآبة والسكون الذي تبثه التخوت الأخرى . يكمل الناقد علي سعدون كلمة :

" كنت أنهال بالأسئلة على عبد الخالق كيطان وغريب أسكندر ومحمد عزيز بخصوص ما يحدث في المقهى الغريب هذا ، شبه المعتم والرطب والمقابل للمسجد الجميل للغاية بزخارفه ومعمارهِ الحميم " جامع الحيدر خانة " .(٥٧)

كان الشعراء حين يكتبون قصائدهم يستعجلون في الذهاب الى مقهى حسن عجمي لقرائتها وعرضها أمام زملائهم ، يقول الكاتب هادي الحسيني :

" في واحده من صباحات بغداد عام ١٩٩٠ م مررنا بمقهى حسن عجمي أنا ورياض وأخي ستار ، أذكر جيداً لم يك أحداً من الأصدقاء في الصباح ، عامل المقهى أبو داوود كان يوزع الشاي وسجارته لاتفارق شفثيه الغليظتين ، وشكله البغدادي القديم . في تلك اللحظة دخل محمد النصار الى المقهى ، جلس معنا وقال لم أستطع النوم . فجأت الى المقهى بعد أن كتبت قصيدة بعنوان " سهواً على مصطبة الظلام " ، يقول فيها :

في النظره تتحاشى مرأتها

في الرماد

يتلمظ

داخل جمجمة الضحية

في الفراغ ينخر ثعبانين أسودين

مثل سيفين من الذهب .. بيكيان

في البلاد البعيدة ؟.

كانت قصيدة محمد النصار التي قرأها لنا ونحن في المقهى، واحدة من القصائد المهمة في تاريخه الشعري الطويل .(٥٨)

تميزت علاقة الأدباء مع صاحب مقهى حسن عجمي بميزة خاصة ، فبعد أن توفي صاحب المقهى المعروف حسن عجمي ، أستلم إدارة المقهى بعده شخص جديد أسمه أبو داوود . يوقل الكاتب هادي الحسيني أن أبو داوود كان بمثابة الأب والصديق للأدباء الذين يرتادون المقهى ، فكان يغض الطرف عنهم أثناء الدفع لاسيما أثناء الحصار ابتداءً من عام ١٩٩١ م .(٥٩) بل انه كان يدفع ثمن لفة (سندويج حين لا يمتلكون ثمنها .(٦٠)

والمقابل يقول الكاتب هادي الحسيني أن أغلب الأدباء الذين هاجروا الى المنفى لاسيما في الأردن ، كانوا يبعثون بعض المبالغ البسيطة الى أبو داوود تقديراً لمواقفة النبيلة . ويأسف الكاتب لوفاة أبو داوود دون علم علي السوداني ومحمد النصار ونصيف الناصري ووسام هاشم وستار كاوش وعلي منشد ومحمد مظلوم ن وهم جميعاً في المنافي . (٦١)

تعدى مقهى حسن عجمي دوره الأدبي كملتقى للأدباء وإنما أصبح يشهد مواقف اجتماعية - إنسانية مميزة . فحين أراد الشاعر جان دمو الهجره من وطنه الى الأردن ، قام مجموعة من أصدقاءه الأدباء في المقهى بجمع مبلغ بسيط من المال . رغم أنهم كانوا يرزحون تحت طائلة الحصار الاقتصادي ، حتى يستطيع السفر الى العاصمة الأردنية عمان . (٦٢) بقي مقهى حسن عجمي وطناً للأدباء لا يستطيعون نسيانه ، رغم سفرهم وهجرتهم الى المنافي . وفي ذلك كتب الشاعر والروائي حميد قاسم :

" عن بعد أشير بعينين دامعتين الى بيتنا المتهاك الذي تركناه ورائنا ، غرفة ذكرياتنا وموطن أسرارنا وصدقاتنا ، حماقاتنا ، وحكمتنا المبكرة ، مغامراتنا وهفواتنا ومكائدنا ... عراقنا ... أو حسن عجمي ، الذي لم يكن مجرد مقهى بل كان وطناً " . (٦٣)

" أمس أردت أن اودع مقهى حسن عجمي الذي أقف عند بابه منذ فارقتة في ٢ نيسان ١٩٩٧م . لكي أخلص من حقيقة أنني مريض بذكرياتي ، فقلت سأختمها ب " قيلوللة الشتائم " القصيدة التي كتبتها عن جان دمو ، فما أستطعت ... مقهى حسن عجمي أحال يومي - أيها الأصدقاء جحيماً ، في البيت وفي العمل ، في الطريق وعلى سريري " . (٦٤)

وحسب رأي الروائي وارد بدر السالم ، يبقى لمقهى حسن عجمي حضور كبير في الذاكرة التاريخية - الثقافية ، لما له من عراقه ، رغم أن أدباء العراق وشعراءه ومتقفوه هجروه منذ منتصف عقد التسعينات ، بسبب وضع البناء المتهاك . إلا أن التاريخ الطويل لهذا المقهى يسمح له بالبقاء على قيد الحياة الى أشعار آخر . (٦٥)

١. أسامة ناصر النقشبدي ، أطلالة تاريخية على شارع الرشيد ، بحث في كتاب باسم حميد حمودي (محرر) ، شارع الرشيد (الدار العربية للموسوعات ، ٢٠٠٤) ط ١ ، ص ص ، ١٠-١١ .
٢. صالح هويدي ، مقاهي بغداد تلاحم السياسي والثقافي ، موقع الانطولوجيا الإلكتروني ، ٢ تموز ٢٠١٩ .
٣. المصدر نفسه .
٤. عبد الكريم العلاف ، بغداد القديمة ، (مطبعة المعارف -بغداد ، ١٩٦٠) ط ١ ، ص ٥٨ .
٥. محمد جبير ، المقاهي الأدبية ، بحث في كتاب ، دعلي عويد وآخرون ، ذاكرة بغداد الثقافية ، (مركز الدراسات والبحوث ، وزارة الثقافة ، بغداد ، ٢٠١٣) ط ١ ، ص ١٧٦ .
٦. جبار البهادلي ، بغداد تعبق بذكرى الماضي (دار عدنان ، بغداد ، ٢٠١٥) ص ١١ .
٧. جمال حيدر ، بغداد ، في حادثة الستينات (دار ألكا ، بلجيكا ، ٢٠١٧) ط ٢ ، ص ١٠٥ .
٨. عبد الجبار العتابي ، حسن عجمي ، مقهى الأدباء الذين غابوا عن حضور مؤيته ، موقع الشبكة العراقية الإلكتروني ، ٥ ديسمبر ٢٠١٧ .
٩. شفيق المهدي ، مقاهي بغداد (دار الشؤون الثقافية ، وزارة الثقافة ، ٢٠١٣) ط ١ ، ص ١٨٤ .
- ١٠- وارد بدر السالم ، مقاهي بغداد الأدبية ، ملف المقاهي ، قدم له وجمعه القاص والناقد نقوس مهدي ، مجلة بصريانا ، ٢٢ نيسان ٢٠١٤ .
- ١١- عبد الجبار العتابي ، مصدر سابق .
- ١٢- المصدر نفسه .
- ١٣- زين النقشبدي ، تأريخ مقاهي بغداد القديمة (وزارة الثقافة - ٢٠١٣) ط ٢ ، ص ١٠١ .
- ١٤- نوري حمودي القيسي ، المقاهي ووظائفها الاجتماعية ، مجلة التراث الشعبي ، دائرة الشؤون الثقافية ، وزارة الثقافة والأعلام ، بغداد ، العددان الخامس والسادس ، السنة الرابعة عشر ، ١٩٨٣ ، ص ١٢٢ .
- ١٥- شفيق المهدي ، مصدر سابق ، ص ص ١٨٣-١٨٤ .
- ١٦- عبد الجبار العتابي ، مصدر سابق .
- ١٧- عبد الجبار العتابي ، حسن عجمي ، ليست مجرد مقهى ، ولكن لا أحد لها ، موقع أيلاف الإلكتروني ، ١٧ آب ٢٠١٤ .
- ١٨- عبد الجبار العتابي ، حسن عجمي ، مقهى الادباء ، مصدر سابق .
- ١٩- عبد الجبار العتابي ، حسن عجمي ، ليست مجرد مقهى ، مصدر سابق .
- ٢٠- عبد الجبار العتابي ، حسن عجمي ، مقهى الادباء ، مصدر سابق .

مقهى حسن عجمي - دراسة تاريخية

- ٢١- محمد مهدي الجواهري ، مذكراتي ، ج ١ (دار المجتبي ، قم ، ٢٠٠٥) ط١، ص ١٩٤ .
- ٢٢- المصدر نفسه ، ص ٢٧٠ .
- ٢٣- ساسون سومينغ ، مقهى بغداد ، موقع اللحظة الشعرية الالكتروني ، العدد ١٥ ، صيف ٢٠١٩ .
- ٢٤- المصدر نفسه .
- ٢٥- المصدر نفسه .
- ٢٦- الجواهري ، مصدر سابق ، ص ٢٧٢ .
- ٢٧- محمد عبد المحسن ، في مقهى حسن عجمي ، ملاحق جريدة المدى ٢٥ تشرين أول ٢٠١٥ .
- ٢٨- بلند الحيدري ، بغداد بين مقاهي الأدباء وأدباء المقاهي ، ملاحق المدى ، ٨ تشرين ثاني ٢٠١٥ .
منقول عن مجلة المجلة ، ١٩٨٢ .
- ٢٩ - عبد الرزاق عبد الواحد ، مقاه وشعراء ، نصوص ، ذكرياتي ٦٨ ، صحيفة الزمان ، ١٢ يناير ٢٠١٥ .
- ٣٠- المصدر نفسه .
- ٣١- المصدر نفسه .
- ٣٢- المصدر نفسه .
- ٣٣- المصدر نفسه .
- ٣٤- المصدر نفسه .
- ٣٥- المصدر نفسه .
- ٣٦- وارد بدر السالم ، مصدر سابق .
- ٣٧- عبد الرزاق عبد الواحد ، مصدر سابق .
- ٣٨- رزاق إبراهيم حسن ، ذكرى لقاء في مقهى حسن عجمي ، موقع الناقد العراقي الإلكتروني ، ١ آذار ٢٠١٤ .
- ٣٩- صحيفة البيان الاماراتية ، تسرب عمر روادها وأستقر على الجدران ، زمن مقاهي بغداد توقف عند بدأ الحصار ، ٢٥ فبراير ١٩٩٩ .
- ٤٠- صباح الأنباري ، حسين مردان ، شاعر الدهشة ورجل المفاجآت ، ملاحق جريدة المدى ، العدد ، ١٣٥٧ ، الخميس ، ٣٠ تشرين أول ٢٠٠٨ .
- ٤١- المصدر نفسه .
- ٤٢- صدام فهد الأسدي ، المرأة في شعر حسين مردان ، مجلة حولية المنتدى ، العدد التخصصي التاسع ، الدراسات اللغوية والأدبية ، كانون الأول ٢٠١٦ ، ص ١٢ .
- ٤٣- حسين مردان ، من ذكرياتي في مقاهي بغداد ، ملاحق المدى ، ٣ حزيران ٢٠١٨ .

مقهى حسن عجمي - دراسة تاريخية

- ٤٤- أفراح شوقي ، مقاهي بغداد الثقافية ولدت فيها أولى التجارب الشعرية ، صحيفة الشرق الأوسط ، ٢ سبتمبر ٢٠١٥ .
- ٤٥- محمد جبير ، مصدر سابق ، ص ١٧٦ .
- ٤٦- علي السوداني ، مقهى حسن عجمي ومآحولها ، صحيفة الزمان ، ٢٣ ديسمبر ٢٠١٩ .
- ٤٧- المصدر نفسه .
- ٤٨- سعد الدغمان ، تخرج من حسن عجمي لينضم الى صعاليك بغداد ، موقع الناقد العراقي ، ٣١ آيار ٢٠١٥ .
- ٤٩- علي السوداني ، لذة نشر النص الاول ، صحيفة الزمان ، ٢٧ فبراير ٢٠٢٠ .
- ٥٠- المصدر نفسه .
- ٥١- كمال العبدلي ، حين تكون البيئة الأدبية حاضنة الأبداع (٣) البيت الأوسع...مقهى حسن عجمي ، جريدة صدى الوطن ، ١٢ تشرين أول ٢٠١٢ .
- ٥٢- المصدر نفسه .
- ٥٣- المصدر نفسه .
- ٥٤- علي السوداني ، قبل زمان حسن عجمي وبعده ، صحيفة العرب ، ٢٨ يناير ٢٠١٧ .
- ٥٥- جبار البهادل ي، مصدر سابق ، ص ١٠ .
- ٥٦- علي سعدون ، جدل النص التسعيني ، دراسة عن الجيل التسعيني في الشعر العراقي وعلاقته بالاجيال الاخرى (دار غيداء ، عمان ، ٢٠١٧) ط ١ ، ص ص ٥٧-٥٨ .
- ٥٧- المصدر نفسه .
- ٥٨- هادي الحسيني ، رمضانيات ، ١٨- حياة الثالثة ، موقع كتابات الالكتروني ، ٢٧ يوليو ٢٠١٣ .
- ٥٩- هادي الحسيني ، مات أبو داوود ، عراب الادباء في مقهى حسن عجمي ، موقع الحوار المتمدن ، العدد ٤٠٤ ، ٢١ شباط ٢٠٠٣ .
- ٦٠- حسن النواب ، هذيان الغريب ، صحيفة الزمان ، ١١ ديسمبر ٢٠١٦ .
- ٦١- هادي الحسيني ، مات ابو داوود ن مصدر سابق .
- ٦٢- هادي الحسيني ، أين أجذك هذه الليلة ياجان دمو ، موقع الحوار المتمدن ، العدد ٦٠٩ ، ٢ تشرين أول ٢٠٠٣ .
- ٦٣- حميد قاسم ، على أبواب حسن عجمي ، موقع النور الالكتروني ، ٢٤ تموز ٢٠٠٨ .
- ٦٤- المصدر نفسه .
- ٦٥- وارد بدر السالم ، مصدر سابق .

المصادر:

- ١- أسامة ناصرالنقشبندي، أطلالة تأريخية على شارع الرشيد ، بحث في كتاب باسم حميد حمودي (محرر) ، شارع الرشيد (الدار العربية للموسوعات ، ٢٠٠٤) ط١
- ٢- أفراح شوقي ، مقاهي بغداد الثقافية ولدت فيها أولى التجارب الشعرية ، صحيفة الشرق الأوسط ، ٢ سبتمبر ٢٠١٥ .
- ٣- بلند الحيدري ، بغداد بين مقاهي الأدباء وأدباء المقاهي ، ملاحق المدى ، ٨ تشرين ثاني ٢٠١٥ . منقول عن مجلة المجلة ، ١٩٨٢ .
- ٤- جبار البهادلي ، بغداد تعقب بذكرى الماضي (دار عدنان ، بغداد ، ٢٠١٥)
- ٥- جمال حيدر ، بغداد ، في حداثه الستينات (دار ألكا ، بلجيكا ، ٢٠١٧) ط٢
- ٦- حسن النواب ، هذيان الغريب ، صحيفة الزمان ، ١١ ديسمبر ٢٠١٦ .
- ٧- حسين مردان ، من ذكرياتي في مقاهي بغداد ، ملاحق المدى ، ٣ حزيران ٢٠١٨ .
- ٨- حميد قاسم ، على أبواب حسن عجمي ، موقع النور الالكتروني ، ٢٤ تموز ٢٠٠٨ .
- ٩- رزاق أبراهيم حسن ، ذكرى لقاء في مقهى حسن عجمي ، موقع الناقد العراقي الإلكتروني ، ١ آذار ٢٠١٤ .
- ١٠- زين النقشبندي ، تأريخ مقاهي بغداد القديمة (وزارة الثقافة - ٢٠١٣) ط٢
- ١١- ساسون سومينغ ، مقهى بغداد ، موقع اللحظة الشعرية الالكتروني ، العدد ١٥ ، صيف ٢٠١٩
- ١٢- سعد الدغمان ، تخرج من حسن عجمي لينضم الى صعاليك بغداد ، موقع الناقد العراقي ، ٣١ آيار ٢٠١٥
- ١٣- شفيق المهدي ، مقاهي بغداد (دار الشؤون الثقافية ، وزارة الثقافة ، ٢٠١٣) ط١ .
- ١٤- صالح هويدي ، مقاهي بغداد تلاحم السياسي والثقافي ، موقع الانطولوجيا الإلكتروني ، ٢ تموز ٢٠١٩
- ١٥- صباح الأنباري ، حسين مردان ، شاعر الدهشة ورجل المفاجآت ، ملاحق جريدة المدى ، العدد ، ١٣٥٧ ، الخميس ، ٣٠ تشرين أول ٢٠٠٨ .
- ١٦- صحيفة البيان الاماراتية ، تسرب عمر روادها وأستقر على الجدران ، زمن مقاهي بغداد توقف عند بدأ الحصار ، ٢٥ فبراير ١٩٩٩ .
- ١٧- صدام فهد الأسدي ، المرأة في شعر حسين مردان ، مجلة حولية المنتدى ، العدد التخصصي التاسع ، الدراسات اللغوية والأدبية ، كانون الأول ٢٠١٦ .
- ١٨- عبد الجبار العتابي ، حسن عجمي ، ليست مجرد مقهى ، ولكن لا أحد لها ، موقع أيلاف الإلكتروني ، ١٧ آب .

مقهى حسن عجمي - دراسة تاريخية

- ١٩- عبد الجبار العتابي ، حسن عجمي ، مقهى الأدباء الذين غابوا عن حضور مؤيته ، موقع الشبكة العراقية الإلكتروني ، ٥ ديسمبر ٢٠١٧
- ٢٠- عبد الرزاق عبد الواحد ، مقاه وشعراء ، نصوص ، ذكرياتي ٦٨ ، صحيفة الزمان ، ١٢ يناير .
- ٢١- عبد الكريم العلاف ، بغداد القديمة ، (مطبعة المعارف -بغداد ، ١٩٦٠) .
- ٢٢- علي سعدون ، جدل النص التسعيني ، دراسة عن الجيل التسعيني في الشعر العراقي وعلاقته بالاجيال الاخرى (دار غيداء ، عمان ، ٢٠١٧) ط١ .
- ٢٣- علي السوداني ، قبل زمان حسن عجمي وبعده ، صحيفة العرب ، ٢٨ يناير ٢٠١٧ .
- ٢٤- علي السوداني ، لذة نشر النص الاول ، صحيفة الزمان ، ٢٧ فبراير ٢٠٢٠ .
- ٢٥- علي السوداني ، مقهى حسن عجمي ومآحولها ، صحيفة الزمان ، ٢٣ ديسمبر ٢٠١٩ .
- ٢٦- محمد جبير ، المقاهي الأدبية ، بحث في كتاب ، دعلي عويد وآخرون ، ذاكرة بغداد الثقافية ، (مركز الدراسات والبحوث ، وزارة الثقافة ، بغداد ، ٢٠١٣) ط١
- ٢٧- كمال العبدلي ، حين تكون البيئة الأدبية حاضنة الأبداع (٣) البيت الأوسع...مقهى حسن عجمي ، جريدة صدى الوطن ، ١٢ تشرين أول ٢٠١٢ .
- ٢٨ - محمد عبد المحسن ، في مقهى حسن عجمي ، ملاحق جريدة المدى ٢٥ تشرين أول ٢٠١٥ .
- ٢٩- محمد مهدي الجواهري ، مذكراتي ، ج١ (دار المجتبي ، قم ، ٢٠٠٥) ط١ ، ص ١٩٤ .
- ٣٠- نوري حمودي القيسي ، المقاهي ووظائفها الاجتماعية ، مجلة التراث الشعبي ، دائرة الشؤون الثقافية ، وزارة الثقافة والأعلام ، بغداد ، العددان الخامس والسادس ، السنة الرابعة عشر ، ١٩٨٣ .
- ٣١- وارد بدر السالم ، مقاهي بغداد الأدبية ، ملف المقاهي ، قدم له وجمعه القاص والناقد نقوس مهدي ، مجلة بصريآثا ، ٢٢ نيسان ٢٠١٤ .
- ٣٢- هادي الحسيني ، أين أجذك هذه الليلة ياجان دمو ، موقع الحوار المتمدن ، العدد ٦٠٩ ، ٢ تشرين أول ٢٠٠٣ .
- ٣٣- هادي الحسيني ، رمضانيات ، ١٨- حياة ثالثة ، موقع كتابات الإلكتروني ، ٢٧ يوليو ٢٠١٣ .
- ٣٤- هادي الحسيني ، مات أبو داوود ، عراب الادباء في مقهى حسن عجمي ، موقع الحوار المتمدن ، العدد ٤٠٤ ، ٢١ شباط ٢٠٠٣ .

الحركة العلمية في مدينة باجة

هبة احمد عبد النبي حسين

أ.م.د. خليل جليل بخيت القيسي

جامعة بغداد – كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

الحركة العلمية في مدينة باجة

هبه احمد عبد النبي حسين

أ.م.د. خليل جليل بخيت القيسي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين. اما بعد:

تعد مدينة باجة من المدن القديمة والهامة في المغرب الادنى بشكل عام وتونس بشكل خاص، فكانت ومازالت منارة علمية ورمزاً حضارياً في الشمال الغربي التونسي، وكانت مركزاً استراتيجياً ذا اهمية بالغة، فنشطت فيها الحركة العلمية وظهر فيها العديد من العلماء والفقهاء من ابنائها، فكانت لهم مساهمات في نشر وتعليم التعاليم الدينية بين ابناء المدينة، فأزدهرت المدينة وبرز فيها الدور الثقافي. وكان للعلماء اسهامات كبيرة في تعليم ابناء المدينة العلوم الدينية، وكان العديد من فقهاء المدينة تسلموا القضاء في باجة، ودرسوا في الجامع العتيق وفي العاصمة تونس. فأصبحت مدينة باجة مدينة العلم والعلماء.

الحركة العلمية في مدينة باجة

العلوم الدينية وتشمل:

اولاً : علوم القرآن:

إن آيات القرآن الكريم هي خزينة، وإذا أردت ان تفتح خزينة ما فينبغي ان تنتظر داخل هذه الخزينة، لتعرف ما فيها فألله سبحانه وتعالى جاء بمعارف كثيرة أدهشت عقول أ فلاسفة وأبهرت المفكرين من الشرق والغرب منذ بداية ظهور الدين الاسلامي والى يومنا هذا. وفي الحقيقة سيبقى القرآن مثاراً لدهشة وحيرة العلماء والمفكرين الى آخر الزمان. وهذا بلا شك من اعجاز القرآن الكريم وإن الباحثين اكدوا حقيقة إن الامم السابقة ما قبل الاسلام كانت تعاني من الجهل والانحطاط في أخلاقهم ومعارفهم، فكانت الهمجية سائدة عندهم، ولما بُعثَ الرسولُ ألكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، أشرقت شمسُ

ألاسلام ونورت بصيرتهم فأسئبذلت ألوثنية بالتوحيد والجهل بالعلم، فبرز العرب بحضارتهم في كل أقطار الارض.

فالقرآن الكريم هو دستور للامة الاسلامية وأصل شريعتها وعمودها والمصدر الأساسي للأسلام، والنموذج الاعلى لحضارة الامة العربية و بلاغة اللغة العربية، فمنه تستمد علومها وتأخذ من ينبوعه بلاغتها وفصاحتها ^(١)، فالمنهاج الذي وضعه الله سبحانه وتعالى لأصلاح البشر جعله شاملاً عاماً كاملاً، قال تعالى: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً"^(٢). إذ نزل على خاتم الانبياء والمرسلين، وختم الله به أكتب السماوية، فهو حجة النبي (محمد صلى الله عليه واله وسلم) ومعجزته الكبرى.

والقرآن نظامٌ شامل نجد فيه تفصيلاً لكل شيء، فهو نظامٌ وعقيدة، وعبادة وحُسن خُلق، واقتصادٌ وعمران، وعدل وتضحية، وفيه إصلاح للنفوس وتهذيبها وتقويمها^(٣).

ومن ذلك لا بد أن تكون علوم القرآن هي اول العلوم التي اهتم بها المسلمون ، ومن أهم هذه العلوم هي: علم أسباب النزول، وعلم القراءات، وعلم المحكم والمتشابه، علم الناسخ والمنسوخ، وعلم إعجاز القرآن وفضائله وتفسيره^(٤) .

اما عن علم القراءات هو علم من علوم القرآن، يُعنى بكيفية تلاوة آياته ونطق ألفاظه من تخفيف وتشديد، فكتب العلماء عن القراءات السبع، والعشر، والأربعة عشرة، والقراءات الشاذة^(٥).

وإختلف العلماء والمفسرين في معنى قول النبي محمد(صلى الله عليه واله وسلم): إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأقرأوا ماتيسر منه، فذكر الثعالبي نقلاً عن ابن عبيدة، في معنى الحديث، وإنه أنزل على سبع لغاتٍ ولقبائل سبع فإختلفوا في تعيينهم، وفاصل ذلك إن قاعدته قريش، ثم بنو سعد بن بكر، وذلك لان النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) من قريش، وكان قد إسترضع في بني سعد، ونشأ بينهم، فترعرع وهو يخالط في اللسان كنانة، وثقيف، وهذيل، ولما أرسل الله تعالى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، أنزل عليه القرآن بلغة قبائله، تيسيراً له وللناس، وقسمها على سبعة أحرف^(٦)، كان العرب عند بداية ظهور الإسلام يقرأون القرآن الكريم مثلما تلقوه من النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) أو ممن تلقاه من صحابته (رضي الله عنهم)، وبعد الفتح الاسلامي وانتشار الإسلام في ربوع الارض، تفرق صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في البلدان، واصبح كل بلد يأخذ قرائته من الصحابي الذي استوطن فيه، فوقع خلافٌ في طريقة قراءة الايات لفظاً وتفهماً، وذلك الصحابة رروا القرآن عن النبي

(صلى الله عليه واله وسلم) بطرق مختلفة، في إداء الحروف وبعض من ألفاظه، فتناقلوا ذلك، إلى أن ثبتت واستقرت على سبع طرق تواتر نقلها، وانتسبت إلى من اشتهر بروايتها، فأصبحت القراءات السبع أصولاً لقراءة القرآن^(٧).

وعن زيد بن أرقم قال: " جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أقرني عبد الله بن مسعود سورة، أقرنيها زيد وأقرنيها أبي بن كعب، فاختلفت قراءتهم، فبقراءة أيهم آخذ؟ قال: فسكت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، قال: وعليّ إلى جنبه، فقال علي: ليقرأ كل إنسان كما علم، كلُّ حسنٌ جميل."^(٨)

وعُرفت مدينة باجة بكثرة الصالحين فيها من شيوخ وعلماء والذين الموقر بقرأة القرآن وعلمه ودرسوه للناس ومن ابرزهم :

١- عمر بن محمود بن غلاب :

وهو مقرئ باجي، عرف بأبو حفص الإفريقي الباجي، من باجة البلاد التونسية، ولد في رجب سنة (١٠٤٢هـ/١٠٤٢م) بباجة القمح بإفريقية^(٩)، وكان عالم صالح، وقرائته بها منفعة للناس، ومن شيوخه ابي اسحاق الاشيري^(١٠) وعبد الحق^(١١) وعبد الجليل بن مخلوف^(١٢). توفي في صفر سنة (١١٢٦هـ/١١٢٦م) وكان عمره ست وثمانون سنة^(١٣).

٢- ابو العباس الباجي :

احمد بن عمر ابو العباس الباجي، شيخ النحو بالمغرب، قارئ من باجة القمح^(١٤)، كان ممن قرأ عليهم احمد بن نفيس^(١٥)، ويذكر ابو العباس الباجي إنه سمع الشيخ احمد بن نفيس إنه كان يقرأ القرآن وهو جالس عند قبر النبي (محمد صلى الله عليه واله وسلم) وختمه الف مرة، ويورد ذكرها كاملاً ابو طاهر السلفي^(١٦): "سمعت ابا العباس احمد بن نفيس المقرئ الضرير التونسي يقول رأيت النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في المنام بمصر بعد رجوعي من الحجاز وتوجهي الى المغرب فقال اوحشتنا يا ابا العباس وذلك اني كنت اكثر من قراءة القرآن عند ضريحه بالمدينة قال الباجي فقلت له كم قرأت من ختمه عند قبره يا أستاذ فقال الف ختمة، وقال جعت بالمدينة ثلاثة ايام فجئت الى القبر فقلت يا رسول الله جعت ثم نمت ضعفاً فركضتني جارية برجلها فقامت اليها فقالت اعزم فقامت معها الى دارها فقدمت إلي خبزاً بُرّ وتمراً وسمناً وقالت كل ابا العباس فقد امرني بهذا جدي (صلى الله عليه واله وسلم) ومتى جعت فأت الينا."

أما عن الذي قرأ على ابو العباس الباجي هو عبدالله بن ابي القاسم المعروف بالمكشم^(١٧)، وكان ممن روى عن ابو العباس الباجي الشيخ الحافظ القيرواني ابو الفضل احمد بن عبد الكريم^(١٨) وذكر ان ابو العباس من باجة افريقية^(١٩).

٣-سفيان الباجي:

وهو احد علماء باجة القمح في الشمال الغربي التونسي وشيوخها، احاط بالعلوم الشرعية، كعلم القراءة، واطلق عليه عدة القاب منها الولي الصالح، توفي في شهر رمضان سنة (٦٧٥هـ/٢٧٦م)^(٢٠)، وتم دفنه بالحماري^(٢١) بجوار قبر الولي الصالح عبد الوهاب^(٢٢).

٤-ابو محمد الزواوي :

هو عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس المالكي، فقيه وقارئ، وشيخُ القراء كان عالماً بالقراءات، ولد بباجة إفريقية سنة (٥٨٩هـ/١١٩٣م)، ورحل الى مصر طالباً للعلم سنة (٦١٤هـ/٢١٧م)، وتوجه بعدها الى دمشق سنة(٦١٦هـ/٢١٩م) واستقر بها، وُلِي قضاء المالكية بها، وولي الأقرء فيها، الف كتاب (عدد الآي)، وصنّف كتاباً نفيساً في (غريب الوقف والأبتداء)، وكتاب التنبهات على معرفة ما يخفى من الوقوفات، توفي في مدينة دمشق سنة (٦٨١هـ/١٢٨١م)^(٢٣).

ثانياً- علوم الحديث :

علم رواية الحديث في الشرع: هو علمٌ يشتملُ على نقل كل ماقاله النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، أو فعله، وروايته وضبطه، وتحرير الفاظه، وقيل كل ما جاء عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو وصفٍ خلقي أو خلقي^(٢٤).

اما اصطلاحاً: فهو الأثر المروي عن النبي محمد (صلى الله عليه وواله وسلم) او عن صحابته او من التابعين سواء كان مطلقاً أو مرفوعاً أو موقوفاً^(٢٥).

يُعد الحديث من أهم العلوم الشرعية في الاسلام فهو من دعائم التشريع بعد القرآن الكريم، فهو إما مؤيد ومؤكد لما جاء في القرآن الكريم من أوامر وأحكام، أو موضحاً ومبيناً لما يحتاج للتوضيح والبيان، لان الكثير من آيات القرآن الكريم مُجملّة أو مُطلقة أو عامة فجاء قول الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) أو عمله فبينها أو قيدها أو خصصها، فالقرآن الكريم مثلاً لم يبين تفاصيل الصلاة وإنما أمر بها مُجملّة، فأوضح النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أوقاتها وكيفياتها، وكانت تُعرض على النبي حوادث فيقضي بها، وتُطرح عليه أسئلة فيجيب عنها، وكل هذه أحياناً ينزل فيها قرآن أو لاينزل، فأصبح الحديث

مَرَجِعٌ لِلْمُشْرَعِينَ، وعليه إقتضى العناية بالحديث وجمعه^(٢٦)، وجاء هذا الرشد للقرآن عن طريق اقوال الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) والذي قال فيه الله سبحانه وتعالى: "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى"^(٢٧)، وكذلك اسناداً الى قول الله تعالى: "وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا"^(٢٨).

ومما تقدم فإن الحديث يُشير للقول، والسنة تُشير للعمل، وأحياناً تكون السنة مَشْمُولَةٌ بحديث^(٢٩)، فعندما سئل النبي (صلى الله عليه واله وسلم) عن رجل مات وهو مُحْرَمٌ فقال: "كفنوه في ثوبيه واغسلوه بماء وسِدْرٍ، ولا تُخْمَرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُلْبِي، قال ابو داوود: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، يَقُولُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: حَمْسُ سُنَنِ، كَفَنُوهُ فِي ثَوْبِيهِ: أَيُّ يُكْفَنُ الْمَيِّتُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَأَغْسِلُوهُ بِمَاءِ وَسِدْرٍ: أَيُّ إِنَّ فِي الْعَسَلَاتِ كُلِّهَا سِدْرًا، وَلَا تُخْمَرُوا رَأْسَهُ وَلَا تُقْرَبُوهُ طَيْبًا، وَكَانَ الْكَفْنُ مِنْ جَمِيعِ الْمَالِ"^(٣٠).

وكان صحابة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الذين عاشوا معه وصحبوه واهل بيته الذين لازموه، خير مصدرٍ للمعلومات عن الحديث والسنة، إذ سمعوا الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) نفسه يتكلم وشاهدوا أفعاله واعماله، ومن بعدهم أخذ الناس الأحاديث والسنة عن أتباعين، وهو الجيل الذي تلى عصر النبوة والذين سمعوا الحديث من الصحابة، ثم اخذوا بعد ذلك من تابعوا أتباعين^(٣١).

فكل ما ورد عن الصحابة واهل بيته (رضي الله عنهم) من حديث عن رسول الله هو حديث، والذي يدل على إبلاغ أو رواية، وأطلق على مجموع الأحايث السنة، ومعناها الطريق الذي يتبعه المسلمون مُتَقْتَنِينَ آثار الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وصحابته ومن تبعهم، وبذلك رأى المسلمون في السنة النبوية والحديث الشريف أساساً بعد القرآن في تفهم كل أمور الحياة الدينية والاجتماعية^(٣٢).

وإن السنة النبوية دُونَ الكثير منها زَمَنُ الصَّحَابَةِ وكان أكثر اعتمادها على الحفظ والتواتر، ولم تكن مُدَوَّنَةٌ تدويناً كاملاً كالقرآن الكريم^(٣٣). وبدأوا يدونونه في صحفهم في القرن الاول الهجري وذلك لان الروايات إنتشرت والأسانيد طالت، وأسماء الرجال وأنسابهم وكُنَاهُمْ قد كَثُرَتْ، فإختلفت الالفاظ والعبارات، وعجزت القلوب عن الحفظ وتنوعت الالسن التي دخلت في الاسلام^(٣٤).

فبدأ العلماء بتدوين الحديث في نهاية القرن الاول الهجري ومطلع القرن الثاني للهجرة /الثامن للميلاد، ومن الذين دونوا الحديث في وقت مبكر هم الصحابة وابنائهم كعروة بن الزبير (ت ٩٢هـ/ ٧١٠م)، وابان بن عثمان (ت ١٠٥هـ/ ٧٢٣م) ووهب بن منبه (ت ١١٠هـ/ ٧٢٩م) وشرحبيل بن سعد (ت ١٢٣هـ/ ٧٤٠م) وغيرهم^(٣٥).

الحركة العلمية في مدينة باجة

ومن بعدهم جاء كُتاب الحديث وجامعيه من المسلمين واولهم مالك بن انس الاصبحي(ت ١٧٩هـ/٧٨٩م) الذي جمع احاديث الرسول في كتاب الموطأ^(٣٦).

وظهر بعد ذلك علم رواية الحديث واتصالها بالرسول (صلى الله عليه واله وسلم) من حيث عدالة الراوي وظبطه وكيفية السند متصلاً أو منقطعاً، وبيان صحة الفاظ الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بالرواية وضعفه وفق قاعدة الجرح والتعديل في رواية الاحاديث الصحيحة، وفي علم الحديث منفعة كبيرة للناس فهو أحد أركان الدين^(٣٧).

ومن ابرز العلماء المحدثين في مدينة باجة :

١- ابو محمد عبد الله بن محمد الباجي :

هو عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة بن رفاعة اللخمي، حافظ، محدث، اصله من باجة القمح، ولد سنة (٢٩١هـ/٩٠٣م)، وذهب للاندلس^(٣٨)، وعاش في مدينة اشبيلية، ويبدو إنه رحل في فترة ثورة ابو يزيد الخارجي، سمع عبدالله بن يونس المرادي^(٣٩) ومحمد بن عبدالملك بن أيمن وغيرهم^(٤٠). روى عنه ابنه ابو عمر وابن لبابة^(٤١)، وأحمد بن عمر بن عبدالله بن عصفور وخلف بن سعيد بن أحمد^(٤٢) المعروف بابن المنفوح^(٤٣). توفي وعمره سبع وثمانون سنة في رمضان سنة (٣٧٨هـ/٩٨٨م)^(٤٤).

٢- محمد بن ابي سعيد الباجي :

وهو محمد بن محمد بن ابي سعيد ويُعرف بأبي احمد، فقيه، ومحدث، كان من البارزين في مدينة باجة في علم الحديث رواية ودراية^(٤٥) وإصطلاح، خلال عهد الفاطميين، اشتهر برواية الحديث والتمكن منه، كان مُدرساً في المسجد الجامع بباجة فأخذ عنه الكثير من الناس، ومن ابرز تلامذته هاشم بن يحيى البطليوسي^(٤٦)، ومحمد بن عبد الملك اللخمي^(٤٧)، كان حياً سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م)^(٤٨).

٣- احمد بن عبد الله بن محمد الباجي:

وهو ابو عمر احمد بن عبد الله بن محمد اللخمي، محدث وفقيه، اصله من باجة إفريقية، اخذ عن ابوه العلم، وروى عنه^(٤٩)، إنتقل مع والده الى الأندلس وعاش في اشبيلية فأصبح من العلماء المشهورين فيها، إذ ولي قضاء إشبيلية، كان حافظاً لعدة مصنفات، وامام في الاصول والفروع، وكان يعرف الحديث بكل اوجهه، توفي سنة (٣٩٦هـ/١٠٠٦م)، وعمره اربع وستون سنة^(٥٠)، ومن صلبه محمد الباجي، عالم محدث وُلِدَ سنة (٣٥٦هـ/٩٦٧م)، له كتاب في سجلات الفُضاة، توفي سنة (٤٣٣هـ/١٠٤٢م)^(٥١).

إن الرسالة الإسلامية لم تكن رسالة موضعية محددة، تخص جيل من البشر دون آخر، شأن الأديان السماوية التي سبقتها بل إن الدين الإسلامي جاء برسالة الى كل الناس^(٥٢)، قال تعالى: "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا"^(٥٣).

فالفقه هو العلم بالأحكام الشرعية من حيث إستنباطها من الأدلة التفصيلية، ومأخذ من القرآن والسنة والأجماع^(٥٤) والقياس^(٥٥)^(٥٦).

والفقه يبحث في كافة الامور والمسائل التي تواجه الإنسان في حياته الدينية والدنيوية والشخصية والاجتماعية والاقتصادية، ويضع الأسس لتنظيم حياة افضل، فالفقه هو " معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب و الحذر و الندب و الكراهة و الإباحة و هي متلقاة من الكتاب و السنة و ما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه. و كان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيما بينهم، و لا بد من وقوعه ضرورة، فإن الأدلة غالبها من النصوص و هي بلغة العرب وفي اقتضاءات ألفاظها لكثير من معانيها و خصوصاً الأحكام الشرعية اختلاف بينهم معروف، و أيضاً فالسنة مختلفة الطرق في الثبوت و تتعارض في الأكثر أحكامها فتحتاج إلى الترجيح"^(٥٧).

فوضعت قواعد عامة للأسلام، سار عليها المسلمون، للأبتعاد عن الأختلاف والتفرق في الدين، ورد المسائل التي فيها تنازع الى الكتاب والسنة، لان القرآن قد فصل الأحكام وبينت السنة الامور العملية، وخير دليل على ذلك قوله تعالى: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا"^(٥٨)، " فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ "^(٥٩)، وقوله تعالى: " وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ "^(٦٠).

وبذلك اتم الله تعالى الدين الإسلامي ووضحت المسائل الدينية، مادام المصدر الذي يرجعون اليه عند التحاكم موجوداً، فلا معنى للاختلاف ولا مجال له، وفي ضوء هذه القواعد سار الصحابة (رضي الله عنهم)، والتابعين، ومن جاء من بعدهم من علماء الإسلام، ولم يقع إختلاف بينهم إلا في مسائل معينة، ومرد الاختلاف التفاوت في فهم النصوص وتفسيرها.^(٦١)

ونتيجة لأمتداد حدود الدولة الإسلامية وتوسعها، تغيرت الظروف وتطور المجتمع، فعرضت مسائل جديدة، لم يجد المسلمين حلاً صريحاً لها، لا في القرآن ولا في السنة، فكان لأبد من العمل بالرأي لإستخراج الاحكام، إما عن طريق القياس أو الأخذ بإجماع اراء فقهاء المسلمين^(٦٢).

ولما جاء ائمة المذاهب اتبعوا السنن التي قبلهم ، وإن بعضاً منهم كان أقرب الى السنة كالحجازيين إذ كثر فيهم حملة السنة ورواة الآثار، اما البعض الاخر كان أقرب الى الأخذ بالرأي، وبذل الائمة كل جهودهم من اجل تعريف الناس بالدين الاسلامي وهدايتهم، وكانوا لايرضون تقليد الناس لهم، إذ لايجوز لأي شخص أن يقول قولهم قبل أن يعرف دليلهم، وإن مرجعهم هو الحديث الصحيح، وإن غايتهم إعانة الناس على فهم أحكام الله،^(٦٣) أما في مدينة باجة، فقد برز العديد من الفقهاء والذين كان لهم دور كبير في توعية الناس بدين الله وتعليمهم الأحكام الشرعية، نورد منهم :

١- محمد بن غلبون الصنهاجي ابو عبد الله:

من مدينة باجة، ويعرف بالوقاد، فقيهاً على المذهب المالكي، حافظاً، ذو فهم جيد، وكان بينه وبين ربيع القطان^(٦٤)، مناظرات في الفقه، إذ كانت المناظرة والفقه وجودة القرينة تغلب عليه، اكثر من الحفظ، وإذا عرضت عليه مسألة، ينظر في تلك المسألة ولايسمع الجواب حتى يعرف ما يظهر له، لانه يريد الانتفاع منها وبعلمه، وكان يتكلم في فقه السنن، وفي معاني الاحاديث كلاماً جميلاً ومبسطاً للناس، وكان ذا مروءة وهيئة حسنة^(٦٥)، وذكر القاضي عياض بأن الفارسي حكى عنه: "مسألة القملة، تسقط في قفيز قمح، لا يؤكل"، توفي في باجة سنة (٣٢٩هـ/٩٤٠م)^(٦٦).

٢- عبد الله بن فطيس :

هو عبد الله بن فطيس المعروف بأبي محمد، فقيهاً من فقهاء مدينة باجة خلال عهد الدولة الفاطمية، ومن شيوخها الذين درسوا في الجامع الأعظم، ومن ابرز تلامذته الذين اضطلع بتدريسهم هاشم بن يحيى البطليوس، ومحمد اللخمي بباجة القيروان، كان حياً سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م)^(٦٧).

٣- ابو محمد منّ الله بن علي الكراني ألباجي:

وهو من فقهاء المالكية، اصله من مدينة باجة، عاش بها، اخذ الطريقة الصوفية من محرز بن خلف^(٦٨) فكان احد تلامذته^(٦٩)، وكانت له مواقف سلبية من مذهب بنو عبيد الله المهدي، فقال: " سئل عن من أكرهه بنو عبيد على الدخول في دعوتهم، أو يقتل؟ قال: يختار القتل، ولا يعذر أحد بهذا، إلا من كان أول دخولهم البلاد. فيسأل إن يعرف أمرهم، وأما بعد، فقد وجب الفرار، فلا يعذر أحد بالخوف بعد

إقامته..^(٧٠). وإن أبو محمد الكراني كان معاصراً لمحرز بن خلف وأبو طاهر الفارسي^(٧١)، فكان حياً عام (١٠٤٨/هـ ٤٤٠م).

٤- أبو يوسف الطنقي :

وهو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الطنقي، من فقهاء باجة وكان شيخاً صالحاً عادلاً، فكان لايهتم للمال بل يشهد للناس في باجة بلا أجر، أي كان من الشهود العدول الذين يثق بهم القضاة كونه يعرف أهل البلد جيداً^(٧٢).

٥- سفيان الباجي:

وهو من علماء باجة القمح وشيوخها، احاط بالعلوم الشرعية، كعلم الفقه واصوله والقراءة، إذ كان يحفظ القرآن ويحمله في صدره عن ظهر غيب، واطلق عليه عدة القاب، فلقب بألشيخ العارف، توفي سنة (١٢٧٥/هـ ١٢٧٦م)^(٧٣).

٧- علي الباجي الأفريقي :

علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطّاب المغربي، الباجي الشافعي، لقبه علاء الدين أبو الحسن، فقيه، اصولي، محدث، منطقي، متكلم، فريقي، حاسب، وُلد بمدينة باجة سنة (١٢٣٤/هـ ١٢٣٤م)، ثم رحل الى المشرق فدرس الفقه واصوله بالشام، وتولى القضاء فيها في عهد الملك الظاهر بيبرس^(٧٤) (٦٥٩هـ - ٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م)، ثم رحل بعد ذلك ودخل القاهره واستقر بها، وكان عمدة في الفتوى، ومن تلامذته تقي الدين السبكي^(٧٥)، واثير الدين ابو حيان^(٧٦)، وكانت له مصنفات ومختصرات في علوم عدة^(٧٧)، ومن مؤلفاته: مُختصر المحصول لفخر الدين الرازي في أصول الفقه، ومُختصر المحرر للرافعي في فروع الفقه الشافعي وسماه التحرير، وكشف الحقائق في المنطق، ومُختصر علوم الحديث، والرد على اليهود والنصارى^(٧٨)، وغاية السؤل في علم الأصول، توفي في مصر سنة (٧١٤/هـ ١٣١٤م)^(٧٩).
ومن شعره:

رثي لي عدلي إذ عايئوني ... وسُحب مدامعي مثل العيون
وراموا كحل عيني قُلت كفوا ... فأصل بليتي كحل العيون^(٨٠)

وقوله :

بُلْبُلٌ والهَزْأُ والشَحْرُورُ ... يَسِيي طَرِباً قَلْبَ الْجَسِيِّ المَغْرُورِ
فأنهضُ عَجلاً وانهبُ مِنَ اللَذَّةِ ما ... جادَتْ كَرَمًا بِهِ يَدِ المَقْدُورِ^(٨١)

٨- عبد الله بن عبد السلام الباجي :

فقيه مالكي، ولد بباجة إفريقية، اخذ علمه من ابي مهدي عيسى الغبريني، نقل عنه ابن ناجي^(٨٢) في شرح المودوة، يرجح إنه ولد في منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي^(٨٣).

٩- أبو عبد الله الفلشاني:

هو محمد بن عبد الله الفلشاني الباجي التونسي وهو فقيه مالكي ولد سنة (٧٥٣هـ/ ٣٥٢م) من ذي القعدة، كان عالماً فاضلاً، تولى قضاء الانكحة ببلده، أخذ العلم والفقه عن ابن عرفة وابي العباس بن حيدر و اخرون، اما من اخذ من علمه فهم ولديه احمد وعمر الفلشاني، وابو زيد الثعالبي الذي لازمه وانتفع من علمه، توفي في ربيع الثاني سنة (٨٣٦هـ/ ٤٣٢م)^(٨٤).

١٠- ابن ناجي :

وهو ابو الفضل ابو القاسم بن عيسى بن ناجي التتوخي، ولد بمدينة القيروان ونشأ فقيراً، ثم ذهب الى تونس، واخذ علمه من ابن عرفة والابي والغبريني وغيرهم، وكان فقيهاً، خطيباً، وقاضياً إذ تولى قضاء باجة والخطابة فيها وكانت خطبته مؤثرة في الناس، ومن اثاره شرح المدونة، شرح رسالة بن ابي زيد القيرواني، الشافي في الفقه، مشارق انوار القلوب، وعلق على كتاب معالم الايمان في معرفة اهل القيروان واكملة، توفي سنة (٨٣٩هـ/ ٤٣٥م)^(٨٥).

١١- عمر الفلشاني:

هو عمر بن محمد بن عبد الله الباجي، فهو مغربي تونسي اصله من باجة تونس، عرف بالفلشاني وابو حفص، وهو فقيه مالكي وحافظ، ولد سنة (٧٧٣هـ/ ٣٧٢م)^(٨٦)، اخذ العلم عن ابيه ابو عبد الله الفلشاني وهو فقيه مالكي مشهور، وعن ابو مهدي الغبريني^(٨٧)، ومحمد بن مرزوق^(٨٨)، وابن عرفة و اخرون، وشارك في البعض من العلوم الاخرى، كالطب مما يدل على فهمه وسعة علمه وقوة ادراكه، واخذ الطب عن الشريف الصقلي^(٨٩)، وعلم الفقه ودرسه، والاصليين والمنطق، والعربية والمعان والبيان، وابدع في الشرح والتأليف فشرح طوابع الانوار للبيضاوي إذ وصل فيه الى الالهيات في اكثر من مجلد، وشرح مختصر ابن الحاجب الفرعي، وألف تحفة الاخيار بخلود الكافر بالنار، ودقائق الفهم في مباحث العلم^(٩٠).

ولحسن سيرته وفهمه تم توليته قضاء الانكحة ببلده في اول ولايته ثم تولى قضاء الجماعة في مدينة باجة بعد ذلك^(٩١).

وممن اخذ عنه ابنه محمد ابراهيم الاخضري وابو عبد الله التريكي وغالب الاعيان، وعبد المعطي بن خصيب، والابي^(٩٢)، واحمد النخلي^(٩٣).

وشهد كبار علماء إفريقية بفضلته فذكره الرصاع^(٩٤) بقوله: "وحيد عصره وفريد دهره .. شيخ التحقيق وبيان الطريق، ما رأيت مجلساً اعظم من مجلسه ولا اشد حرمة من هيئته ولا منظرًا احسن من مشيخته ولا ترتيباً احسن من ترتيبه"، توفي ابو حفص سنة (٨٤٧هـ/٤٤٤م)^(٩٥).

١٢- احمد القلشاني:

هو أحمد بن محمد بن عبد الله ألقشاني عرف بأبو العباس القلشاني، اخو عمر القلشاني، وهم من بيت علم مشهور فكان شيخاً حافظاً للمذهب المالكي، وهو احد علماء مدينة باجة، ولي القضاء في تونس والخطابة بالجامع الاعظم^(٩٦)، اخذ علمه عن والده محمد القلشاني والغبريني وابن عرفة، اما من اخذ منه القلصداوي^(٩٧)، وذكره في رحلته.

واشتهر بالبحث والتأليف والتدريس، ومن ابرز مؤلفاته هي شرح مختصر ابن الحاجب أفرعي وجمعها في سبعة أسفار، كتاب شرح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني يتألف من مجلدان في دار الكتب، وشرح على المدونة^(٩٨)، توفي سنة (٨٦٣هـ/٤٥٨م)^(٩٩).

١٣- عبد الله الغرياني :

ابو محمد عبد الله الغرياني، من فقهاء مدينة باجة وعلمائها، مالكي، اخذ علمه من ابي مهدي عيسى الغبريني إذ تتلمذ على يديه، وكان من اصحاب ابا القاسم بن ناجي، كان مُعاصراً لأبن عبد السلام الباجي وعمر ومحمد واحمد القلشاني، فهو من علماء القرن الثامن الهجري، ورحل الى المشرق للترود بالعلم والمعرفة^(١٠٠).

١٤- علي بن أبي سعيد (ابو الحسن):

وهو من شيوخ باجة، وكان عابداً، فقيهاً، صالحاً، محترماً له مكانة كبيرة لدى الناس، سمحاً، كريماً مع الفقراء فيُعطي اغلب مايملك الى الناس المحتاجة، كما أورده المالكي^(١٠١): "أنه كان لايشتهي الزيد ولايميل إليه عاوده طبعه في كراهيته فقال لنفسه، كنت لاتشتهينه ثم اشتيته فمكنت منه ثم عدت الى النزوع عنه، فهو كذلك حتى قرع عليه بابه فإذا بأبي عبدالله السدري^(١٠٢).. فأدخله وقدم إليه الطعام فلما رآه السدري بكى فقال له: مالك؟ فقال له: لما وصلت الى وادي باجة^(١٠٣) اشتيتهت هذا الطعام فدعوت الله عز وجل فيه، فهلا كان دعائي وسؤالي الجنة والله لا أكلت زيداً حتى القى الله عز وجل".

الخاتمة

من خلال دراسة مدينة باجة، توصلنا الى النتائج التالية:

- ١- ظهور العديد من الاسر العلمية والتي قدمت للبلاد عدة علماء وفقهاء وقضاة ومنها اسرة القلشاني والتي كانت لهم اسهامات في الحركة العلمية في المغرب العربي وباجة بالتحديد.
- ٢- اصبحت مدينة باجة مركز استقطاب العديد من العلماء الاندلسيين ونقطة التقاء لطلاب العلم والرحالة واثّر في بنيتها الاجتماعية فزاد عدد سكانها إذ وفد اليها العديد من العلماء هرباً من الفتن والحروب.
- ٣- التواصل العلمي بين مدينة باجة والمدن الاسلامية الاخرى في المشرق والمغرب.
- ٤- حظي العلماء والفقهاء بمكانة مرموقة من قبل الحكام فأجزلوهم بالعطاء، وكانت لهم كلمة مسموعة في كثير من الامور.

الهوامش:

- (١) معروف، اصالة الحضارة العربية، ص ٢٤٤.
- (٢) سورة المائدة ، الآية ٣.
- (٣) الوليد، علوم القرآن ، ص ٤.
- (٤) الكروي، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية، ص ٢٠٥.
- (٥) ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ص ٩؛ ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص ٤٥، ٤٦؛ الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربعة عشر، ص ٦.
- (٦) الثعالبي، تفسير القرآن الموسوم بجواهر الحسان في تفسير القرآن ، ص ١٤.
- (٧) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١، ص ٢٢؛ ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص ٤٩.
- (٨) الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن، ص ٢٤.
- (٩) ابو طاهر السلفي، معجم السفر، ص ٢٣٢؛ الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، ج ١١، ص ٣٢١؛ ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة، ج ١، ص ٣١٠.

- (١٠) ابو اسحاق الاشيري: وهو من كبار شيوخ القراءات توفي بعد رجوعه من الحجاز سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٦م). ينظر: ابو طاهر السلفي، معجم السفر، ص ٢٣٣.
- (١١) عبد الحق: وهو عبد الحق بن محمد بن هارون السبتي، كان احد شيوخ القراءاة بمصر، توفي ببيت المقدس سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٦م). ينظر: ابو طاهر السلفي، معجم السفر، ص ٢٣٣.
- (١٢) عبد الجليل بن مخلوف: وهو شيخ كبير افتى ودرس المذهب المالكي مصر لمدة اربعين سنة، (توفي سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م). ينظر ابو طاهر السلفي، معجم السفر، ص ٢٣٢.
- (١٣) ابو طاهر السلفي، معجم السفر، ص ٢٣٢؛ الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، ج ١١، ص ٣٢١؛ ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة، ج ١، ص ٣١٠.
- (١٤) بن ماکولا، الاكمال في رفع الارتباب، ج ١، ص ٤٦٨؛ ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج ١، ص ٩٣.
- (١٥) احمد بن نفيس: أحمد بن عبد العزيز بن نفيس أبو العباس المغربي إمام زاهد، قرأ على فتاح بن عبد الله بتونس وعلي بن حجاج التونسي ثم رحل فقرأ بمكة على محمد بن الحسين الكارزيني وأحمد بن محمد القنطري. ينظر: ابن الجوزي، غاية النهاية في طبقات القراء، ج ١، ص ٦٩.
- (١٦) معجم السفر، ص ٣٦، ٣٥.
- (١٧) عبد الله بن ابي القاسم: هو ابو محمد الانصاري، مقرئ أفريقية يعرف بالمكمش ، قرأ على أحمد بن عمر الباجي، وقرأ عليه بالسبع محمد بن عبد السلام الحباس وتلا عليه يحيى بن محمد البرقي بحرف نافع، حدثنا بذلك شيوخنا عن أبي عبد الله محمد بن جابر العيسى عن أبي القاسم بن حماد عنه. ينظر: ابن الجوزي، غاية النهاية في طبقات القراء، ج ١، ص ٤٤٢، ٤٤١.
- (١٨) أبو الفضل: احمد بن عبد الكريم بن مقاتل صنهاجي النَّسَبِ قَدِمَ الإسْكَندريةَ سنَّة (٥٤٨هـ/١١٤٥م) حاجاً مقرئ متأدب رحمة الله من اهل الفضل عارفاً بالقراءات والاداب ووقراً الحديث وكتب بخطه الموطأ لمالك وصحيح المسلم وصحيح البخاري وسنن ابي داوود وغير ذلك، توفي بمدينة قوص من صعيد مصر في التاسع من محرم سنة (٤٥٩هـ/١١٥٥م) وكان مولده سنة (٤٨٦هـ/١٠٩٣م). ينظر: ابو طاهر السلفي، معجم السفر، ص ٣٦.
- (١٩) ابو طاهر السلفي، معجم السفر، ص ٣٥؛ ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة، ج ١، ص ٣١٠.
- (٢٠) بن يوسف، الصوفية بإفريقية، ص ٥٧٠؛ بشروش، موسوعة مدينة تونس، ص ١٥٧.
- (٢١) الحماري: وهو الاسم الذي عرفت به مقبرة الفدان والتي تضم قبور العديد من الاولياء الصالحين. ينظر: النبال، الحقيقة التاريخية للتصوف الاسلامي، ص ٢٥١.
- (٢٢) عبد الوهاب: هو من العلماء المتصوفة من اصحاب ابو الحسن الشاذلي توفي سنة (٦٧٥هـ/١٢٧٦م). ينظر: النبال، الحقيقة التاريخية للتصوف الاسلامي، ص ٢٥٢، ٢٥١.
- (٢٣) الذهبي ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، ج ١٥، ص ٤٥١؛ الذهبي ، معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، ص ٣٦٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات ، ج ١٨، ص ٢٦٢؛ ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج ١، ص ٣٨٦؛ ابو المحاسن، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج ٧، ص ٢٦٥؛ الزركلي، الاعلام، ج ٤، ص ٦.
- (٢٤) ابن الاكفاني، إرشاد المقاصد الى اسنة المقاصد، ص ١٥٥؛ السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ج ١، ص ٢٥.

- (٢٥) السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ج ١، ص ٢٩؛ الكروي، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية، ص ٢٢٦.
- (٢٦) امين، فجر الاسلام، ص ٢٢٩.
- (٢٧) سورة النجم، الاية ٣.
- (٢٨) سورة الحشر، الاية ٧.
- (٢٩) كاشف، مصادر التاريخ الاسلامي، ص ٢٥.
- (٣٠) ابو داوود، سنن أبي داوود، ج ٥، ص ١٤٣.
- (٣١) كاشف، مصادر التاريخ الاسلامي، ص ٢٦.
- (٣٢) انخل، تاريخ الفكر الاندلسي، ص ٣٩٣؛ كاشف، مصادر التاريخ الاسلامي، ص ٢٦.
- (٣٣) ابن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج ١، ص ١٥.
- (٣٤) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص ٦٤.
- (٣٥) الشافعي، اختلاف الحديث، ج ٨، ص ٦٤١؛ رمضان البوطي، فقه السيرة، ص ١٨.
- (٣٦) ابن قرقول، مطالع الانوار على صحاح الاثار، ج ١، ص ١١؛ الكروي، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية، ص ٢٢٨.
- (٣٧) ابو داوود، سؤالات ابي عبيد الاجري، ج ١، ص ٧؛ الرازي، الجرح والتعديل، ج ١، ص ٢؛ ابن الصلاح، معرفة انواع علوم الحديث، ص ٥٧.
- (٣٨) ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة، ج ١، ص ٣٠٩؛ ابن ماكولا، الاكمال في رفع الارتياب، ج ١، ص ٤٦٧.
- (٣٩) عبد الله بن يونس المرادي: هو عبد الله بن يونس بن محمد بن عبيد الله، ابو محمد القبري الاندلسي المرادي، اصله من قبره سمع منه ناس كثيره، توفي سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م) في رمضان عن عمر سبع وسبعين سنة. ينظر: الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، ج ٧، ص ٥٩٢.
- (٤٠) محمد بن عبد الملك بن ايمن: ابو عبد الله القرطبي، ولد سنة (٢٥٢هـ/٨٦٦م)، كان مفتياً، فقيهاً، مشاوراً، مالكياً، حافظاً، صنّف كتاباً على سنن ابي داوود، ولي الصلاة بالاندلس، وذهب بصره اخر ايامه، توفي سنة (٣٣٠هـ/٩٤١م). ينظر: الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، ج ٧، ص ٥٩٦.
- (٤١) ابن لبابة: محمد بن يحيى بن عمر القرطبي شيخ المالكية، كان حافظاً لآخبار الاندلس، له حظ من النحو والشعر، لم يكن له علم بالحديث بل ينقل بالمعنى، مات سنة (٣١٤هـ/٩٦٢م). ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٤، ص ٤٩٥.
- (٤٢) خلف بن سعيد بن احمد: من علماء الاندلس، من فقهاء اشبيلية، يعرف بأبن المنفوح، روى عن ابو محمد الله الباجي، روى عنه ابو عمر يوسف بن عبد البر واثى عليه، توفي سنة (٤٠٣هـ/١٠١٢م). ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الاندلس، ص ٢٠٧؛ الطبري، بغية الملتبس في تاريخ رجال اهل الاندلس، ص ٢٨٤.
- (٤٣) ابن ماكولا، الاكمال في رفع الارتياب، ج ١، ص ٤٦٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٣١، ص ٤٤٦.
- (٤٤) ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة، ج ٥، ص ٣٢٣؛ ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ج ٤، ص ٤١٣.

- (٤٥) الدراية: هي علم ومعرفة الشيء مع اجتهاد وحيلة وله دراية بفنون القول على وعي بها. ينظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ١، ص ٧٤٣؛ المناوي، التوقف على مهمات التعاريف، ص ٣٣٥.
- (٤٦) هاشم بن يحيى بن حجاج البطلبيوسي: من أهل بطلبيوس، يكنى: أبا الوليد. وكان مُقيماً بحاضرة بطلبيوس، وسُعي به إلى السلطان فامتحن، وأُسكن فُرطبة، فقرأ الناس عليه كثيراً، وسمع منه قديماً قبل المحنة وبعدها، تُوفي بحاضرة بطلبيوس سنة (٣٨٥هـ/٩٩٥م). ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج ٢، ص ١٧٠، ١٦٩.
- (٤٧) محمد بن عبد الملك: وهو محمد بن عبد الملك بن ضيفون بن مروان اللخمي الحداد، من أهل فُرطبة، يُكنى أبا عبد الله، رجلاً صالحاً أحد العُدول، حَدث، وكتب الناس عنه وسمع بباجة القيروان من أبي أحمد محمد بن محمد بن أبي سعيد، تُوفي سنة (٣٩٤هـ/١٠٠٣م). ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٥٦.
- (٤٨) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج ٢، ص ٩٨، ١١١.
- (٤٩) ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة، ج ٩، ص ١٧؛ ابن ماكولا، الاكمال في رفع الارتباب، ج ١، ص ٤٦٧.
- (٥٠) ابن العماد، شذرات الذهب في خير من ذهب، ج ٤، ص ٤١٣؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٣٣، ص ٦٤.
- (٥١) كحالة، معجم المؤلفين، ج ٨، ص ٢٣٧.
- (٥٢) سابق، فقه السنة، ج ١، ص ١٠.
- (٥٣) سورة الفرقان، الآية ١.
- (٥٤) الاجماع: هو اتفاق العلماء ومجتهدى الامة بالاجماع على رأي شرعي. ينظر: الزحيلي، الوجيز في اصول الفقه الاسلامي، ج ١، ص ٢٢٧.
- (٥٥) القياس: وهو مساواة فرع لاصله في علة حكمه، فالاصل هو ماورد فيه نص او اجمع المجتهدون على حكم فيه، والعلة هي الشبه المشترك بين الاصل والفرع. ينظر: الزحيلي، الوجيز في اصول الفقه الاسلامي، ج ١، ص ٢٣٨.
- (٥٦) الجرجاني، معجم التعريفات، ص ١٤١؛ حاجي خليفة، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ٨١.
- (٥٧) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ١، ص ٥٦٣.
- (٥٨) سورة الانفال، الآية ٤٦.
- (٥٩) سورة النساء، الآية ٥٩.
- (٦٠) سورة النحل، الآية ٤٤.
- (٦١) سابق، فقه السنة، ج ١، ص ١١-١٣.
- (٦٢) انخل، تاريخ الفكر الاندلسي، ص ٤١٣؛ الكروي، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية، ص ٢٣٥، ٢٣٤.
- (٦٣) سابق، فقه السنه، ج ١، ص ١٣.
- (٦٤) ربيع القطان: ربيع بن سليمان بن عطاء الله، أبو سليمان القطان، يرفع نسبه إلى قريش، ولد سنة (٢٨٨هـ/٩٠١م)، زاهد، من الكتاب، العلماء بالتفسير والحديث والوثائق، من أهل القيروان، كان له حانوت يبيع فيه القطن ويأتيه إليه الناس يسألونه في بعض العلوم، وحج سنة (٣٢٤هـ/٩٣٥م) فلما عاد انصرف إلى علم (الباطن) والنسك والعبادة، فكانت له حلقة في جامع القيروان يجتمع إليه فيها أهل طريقته. وكان شعره كثير وخطبه ورسائله كثيرة معقدة مشطحة على طرائق كلام الصوفية ورموزهم، ثم كان ممن خرج لنصرة مخلد بن كيداد على العبيديين فقتل شهيدا في حصار

المهدية سنة (٣٣٣هـ / ٩٤٥م). ينظر: عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج٥، ص ٣١٠؛ الزركلي، الاعلام، ج٣، ص ١٥.

(٦٥) عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج٦، ص ٩؛ سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ج٣، ص ١١٧١.

(٦٦) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج٦، ص ٩.

(٦٧) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ج٢، ص ١٧٠؛ بن يوسف، باجة ومفكروها، ص ٢٤.

(٦٨) محرز بن خلف: أبو محمد محرز بن خلف ابن أبي رزين التونسي، المعروف بالعباد وهو خاتمة صلحاء علماء

إفريقية، ولد سنة (٣٤٠هـ / ٩٥١م)، روى عن أبي إسحاق الدينوري، وكتب الى الأبهري، روى عنه حاتم، وكان متقشفاً فاضلاً، زاهداً في الدنيا، مجانياً لأهلها، مستجاب الدعوة، ذكر أن أهل تونس لما قتلوا بنو عبيد المهدي، وحدثوا أن محرزاً شيخهم حملهم عليه، وكان ذلك سنة (٤٠٤هـ / ١٠١٤م)، ورفعت القصة الى باديس أمير إفريقية، حنق على

التونسيين، وعزم على القصد لهم، وقال: تكون الأرض، ولا تكون تونس، فبلغ الخبر أهل تونس، فجزعوا له وفرزوا الى شيخهم محرز، وأخبروه ما بلغهم بأنفسهم، وقال لهم: بل تكون الأرض ولا باديس، فأخذ في الدعاء عليه، فأخذ باديس ذبحة أنت عليه، توفي محرز سنة (٤١٣هـ / ١٠٢٢م). ينظر: عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج٤، ص ٢٦٤؛ الزركلي، الاعلام، ج٥، ص ٢٨٤.

(٦٩) المالكي، رياض النفوس، ج٢، ص ١٦٨.

(٧٠) عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج٧، ص ٢٧٦.

(٧١) ابو طاهر الفارسي: وهو حفيد محرز بن خلف ومؤلف مناقبه، كان حياً عام (٤٤٠هـ / ١٠٤٨م). ينظر: المالكي،

رياض النفوس، ج٢، ص ١٦٨.

(٧٢) الدباغ، معالم الايمان في معرفة اهل القيروان، ج٤، ص ١١٨؛ بن يوسف، باجة ومفكروها، ص ٢٤.

(٧٣) بن يوسف، الصوفية بإفريقية، ص ٥٧٠؛ بشروش، موسوعة مدينة تونس، ص ١٥٧.

(٧٤) الظاهر بيبيرس: وهو بيبيرس العلائي البندقاري الصالحي، ركن الدين الملك الظاهر، كانت له فتوحات واثار، ولد

بأرض القبحاق سنة (٦٢٥هـ / ١٢٢٨م)، وتولى سلطنة مصر والشام (سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م) وتلقب بالملك القاهر، أبي الفتوحات ثم ترك هذا اللقب وتلقب بالملك الظاهر، وكان شجاعاً جباراً، يباشر الحروب بنفسه، وله الوقائع الهائلة مع التتار والإفرنج (الصلبيين) وله الفتوحات العظيمة، منها بلاد النوبة، وفي أيامه انتقلت الخلافة الى الديار

المصرية سنة (٦٥٩هـ / ١٢٦١م) وأثاره وعمائره وأخباره كثيرة جداً. توفي في دمشق سنة (٦٧٦هـ / ١٢٧٧م). ينظر: ابن

العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج١، ص ٢٣؛ ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء، ج١،

ص ٥٨٦؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، ج٤، ص ١٥٥؛ الزركلي، الاعلام، ج٢، ص ٧٩.

(٧٥) السبكي: وهو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن

عُثمَان بن مسوار بن سوار بن سليم الشَّيْخ الْعَالِم، مُفَسِّر، مُقَرِّئ، مُحَدِّث أصولي فقيه عارف بالمنطق والنحو، لغوي أديب، قاضي الفضاة تقي الدين أبو الحسن الانصاري الخزرجي المصري السبكي الشافعي الأشعري، ولد سنة (٦٨٣هـ / ١٢٨٤م)، وتوفي سنة (٧٥٦هـ / ١٣٥٦م) في مصر. ينظر: الذهبي، المعجم المختص بالمحدثين، ص ١٦٦؛

الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢١، ص ١٦٦.

(٧٦) ابو حيان الاندلسي: محمد بن يوسف بن علي بن حيان، العلامة الأوحى أثير الدين، الغرناطي، المقرئ النحوي،

وكتب العلم، له في الفقه والآثار، والقراءات، وله مصنفات في القراءات والنحو، توفي سنة (٧٤٥هـ / ١٣٤٥م) في

- القاهرة. ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، ص ٣٨٧؛ الصفي، اعيان العصر واعوان النصر، ج ٥، ص ٣٢٥.
- (٧٧) ابن شاکر، فوات الوفيات، ج ٣، ص ٧٣؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ١٠، ص ٣٣٩-٣٤٢؛ السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج ١، ص ٥٤٤؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج ٧، ص ٢٠٨.
- (٧٨) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ١٠، ص ٣٤١؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج ٧، ص ٢٠٩.
- (٧٩) ابن شاکر، فوات الوفيات، ج ٣، ص ٧٣؛ السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج ١، ص ٥٤٤؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج ٧، ص ٢٠٨؛ بن يوسف، باجة ومفكروها، ص ٤٠.
- (٨٠) ابن شاکر، فوات الوفيات، ج ٣، ص ٧٣؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج ٧، ص ٢٠٩.
- (٨١) ابن شاکر، فوات الوفيات، ج ٣، ص ٧٣؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج ٧، ص ٢٠٩.
- (٨٢) ابن ناجي: وهو ابو الفضل ابو القاسم بن عيسى بن ناجي التتوخي، ولد بمدينة القيروان، كان فقيهاً وقاضياً، توفي سنة (٨٣٧هـ/٤٣٥م). ينظر: ابن القاضي، ذيل ووفيات الاعيان، ج ٣، ص ٢٨٢؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج ٥، ص ٨؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج ٨، ص ١١٠.
- (٨٣) التتبيكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص ٢٣١؛ بن يوسف، باجة ومفكروها، ص ٤٣.
- (٨٤) مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج ١، ص ٣٥٢.
- (٨٥) الصدي، تاريخ ابن يونس، ج ٢، ص ٥٥٠؛ السخاوي، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، ج ١١، ص ٢٧٣؛ محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج ٥، ص ٨؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج ٨، ص ١١٠.
- (٨٦) كحالة، معجم المؤلفين، ج ٧، ص ٣١٢.
- (٨٧) أبو مهدي الغبريني: هو عيسى بن أحمد بن محمد التونسي، قاضي الجماعة بها وعالمها وصالحها وخطيبها بجامعها الأعظم بعد ابن عرفة وحافظها العالم الجليل أوجد أهل زمانه علماً وديناً وفضلاً أخذ عن ابن عرفة وغيره، توفي في ربيع الثاني سنة (٨١٣ هـ / ٤١٠م) أو سنة (٨١٥ هـ / ٤١٢م). ينظر: مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج ١، ص ٣٥٠.
- (٨٨) محمد بن مرزوق: أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الخطيب محمد بن مرزوق، الإمام المحقق العلامة المفسر، وكان محدث وراوي وحافظ، المتبحر في العلوم الدينية، الولي الصالح وكان يلقي الخطب في المنابر، أخذ عن جده بالإجازة، وأخذ عن أعلام من أهل المشرق والمغرب، منهم والده وعمه وأبو محمد الشريف التلمساني وأخوه أبو يحيى وسعيد العقباني وابن عرفة، وانتفع به وأبو حفص القلشاني. ينظر مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج ١، ص ٣٦٤.
- (٨٩) الصقلي: هو محمد بن محمد بن عثمان الشريف الصقلي من مواليد مدينة تونس، ومن اسرة اشتهرت بتعاطي الطب في العصر الحفصي الف رساله التحفظ من الوباء والكتاب المختصر الفارسي ويمتاز بكثرة الاوصاف والعلاجات للمرض، وجاء بأوصاف جديدة لكثير من الامراض التي لم يسبقه احد قبله كأمرض المخ والعينين والقلب والمعدة والرئة، توفي حوالي سنة (٨٢٠هـ/٤١٨م). ينظر: محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج ٣، ص ٢٤٦.
- (٩٠) السخاوي، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، ج ٦، ص ١٦٧؛ ابن ابي الضياف، اتحاف الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان، ج ٧، ص ٦٢، ٦٣.
- (٩١) مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج ١، ص ٣٥٤.

- (٩٢) الأبي: أبو عبد الله محمد بن خلف المعروف بالأبي الوشتاني، البارح المحقق العلامة الأصولي المطلع الفهامة المؤلف المتقن الفقيه المتقن الرواية النظائر المتحلي بالوقار، أخذ عن أئمة منهم ابن عرفة لازمه وبه انتفع وهو من أكابر أصحابه قال ابن عرفة: كيف أنام وأصبح بين أسدين الأبي بفهمه وعقله والبرزلي بحفظه ونقله وعنه أخذ أئمة كابن ناجي وأبي حفص القلشاني وأبي زيد الثعالبي وانتفع به، له شرح نبيل على صحيح مسلم سماه إكمال الإكمال شرح جليل مشحون بالفوائد والفوائد وله شرح المدونة وله نظم وتفسير، تولى قضاء الجزيرة سنة (٨٠٨ هـ/٤٠٦ م) وتوفي سنة (٨٢٨ هـ/٤٢٤ م). ينظر: مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج١، ص ٣٥١.
- (٩٣) أحمد النخلي: التونسي من علماء تونس المفتين العقلاء ممن انتفع به الفضلاء وولي قضاء بني زرت من أعمال تونس مع جلوسه للشهادة بتونس، مات بالطاعون سنة ثلاث وسبعين ومن شيوخه عمر القلشاني وابن عقاب ويعقوب الزعبي. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، ج١، ص ٤٣٢.
- (٩٤) فهرست الرصاع، ص ١٨٦؛ بن يوسف، باجة ومفكروها، ص ٤١.
- (٩٥) كحالة، معجم المؤلفين، ج٧، ص ٣١٢؛ السخاوي، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، ج٦، ص ١٣٧؛ ابن ابي الضياف، اتحاف الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان، ج٧، ص ٦٣.
- (٩٦) الزركلي، الاعلام، ج١، ص ٢٢٩؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج٢، ص ١٢٣.
- (٩٧) القلصداوي: وهو علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي الاندلسي البسطي الشهير بالقلصادي، المالكي، ولد سنة (٨١٥ هـ/٤١٢ م)، واخذ عنه شيوخ المغرب، برع في الفرائض والحساب وصنف فيها عدة كتب منها التبصيرة في الغبار والقانون في الحساب، وكشف الجلباب في الحساب، والكلليات في الفرائض، توفي في باجة سنة (٨٩١ هـ/٤٨٦ م). ينظر: السيوطي، نظم العقيان في اعيان الاعيان، ص ١٣١؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج٧، ص ٢٣٠.
- (٩٨) المدونة: مجموعة احكام قانونية او فقهية مرتبة بانتظام، ومثال على ذلك مدونة مالك بن انس اي اشهر كتب الامام مالك الفقهية. ينظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج١، ص ٧٩٢.
- (٩٩) مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج١، ص ٣٧٢؛ السخاوي، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، ج١، ص ٣٤٨، ج٢، ص ١٣٧.
- (١٠٠) التبتكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص ٢٣١؛ بن يوسف، باجة ومفكروها، ص ٤٣.
- (١٠١) رياض النفوس، ج٢، ص ١٦٩.
- (١٠٢) السدري: وهو ابو عبد الله محمد السدري، فقيهاً زاهداً عابداً، من اولياء الله عز وجل بايع على جهاد عبيد الله المهدي قبائل عديدة فبلغ المهدي خبره فأمر بقتله وكان السدري بباجة لكنه هرب واستطاعوا الامساك به وقتله. ينظر: المالكي، رياض النفوس، ج٢، ص ١٦٩.
- (١٠٣) وادي باجة: وهو نهر في باجة من جهة الشرق، جار من الجوف إلى القبلة على ثلاثة أميال منها. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص ٧١٩.

أثر الفقر على التجارة في خراسان

The impact of poverty on trade in Khorasan

أحمد داود خضير

Ahmed Daoud Khudair

Ahmed.dawood1205a@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

07718108244

أ.د. عربية قاسم أحمد

Prof.Dr. Arabyah Qassem Ahmed

arabyah.ahmed@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

07718108244

جامعة بغداد

كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

أثر الفقر على التجارة في خراسان

أحمد داود خضير

أ.د. عربية قاسم أحمد

المخلص :

شهد إقليم خراسان مرحلة انتقالية اتسمت بالركود وبالبطء الاقتصادي؛ نتيجة تعرض أغلبية مدنها إلى اختلالات في موازين استقرارها الاقتصادي، ما أسقطها في دوامة الفقر، فقد حصل اضطراب في استقرار العمل، وترك آثاراً غير مرغوب فيها خصوصاً على الطبقة الاجتماعية، فنتجت البطالة، وزادت الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وأصبحت المسؤوليات الاجتماعية للدولة أمراً ثانوياً مقارنة بتشجيعها للقطاع الخاص وزيادة الاستثمارات، وهذا سبب اشكاليات خارجية مع بعض الدول.

وعليه يكشف هذا البحث أثر الفقر على التجارة في خراسان، وكيف كانت التجارة الخارجية والتجارة الداخلية في خراسان، وما هي الكوارث الطبيعية التي أثرت على التجارة في هذا الإقليم. الكلمات المفتاحية : خراسان، الفقر، التجارة الداخلية، التجارة الخارجية، الكوارث الطبيعية.

Summary

The province of Khorasan witnessed a transitional phase characterized by stagnation and economic slowdown, as a result of the exposure of most of its cities to imbalances in the balance of their economic stability, which plunged them into the cycle of poverty. There was a disturbance in the stability of work and left undesirable effects, especially on the social class. A secondary matter compared to its encouragement of the private sector and the increase of investments, and this is the cause of external problems with some countries

Accordingly, this research reveals the impact of poverty on trade in Khurasan, how was the foreign trade and internal trade in Khurasan, and what were the natural disasters that affected trade in this region

Keywords : Khorasan. poverty. Internal trade. Foreign trade disasters.

المقدمة :

التجارة هي عصب الحياة الاقتصادية في إقليم خراسان والمدن، وهي سبب لديمومة الحياة بين الناس في توفير عيشهم ومتطلباتهم، وبالتالي ان توفر نوع من الثروات الطبيعية قد يمنح بعض المدن في إقليم خراسان واقليم ما وراء النهر، ولهذا نجد اي خلل اقتصادي يحدث ونقص في المواد الغذائية

أثر الفقر على التجارة في خراسان

واستغلال التجار ذلك فيقومون بتخزين المواد الغذائية وعدم بيعها من أجل رفع اسعارها "اهمية على ما يرتفع من تجارة هذه المدينة او تلك التي قد يعطيها دلالة لتلك المواد". (شليبي، ١٩٦٢، ص ٢٥٤)

والتجارة عملية تبادل لكنها في الوقت نفسه، تمثل البداية الأولى للتجارة كما نعرفها اليوم، ولا ندعو الحقيقة إذا قلنا إن معرفة المعدن وتطور صناعته كانت من الأسباب التي دفعت المجتمعات البشرية إلى استبدال ما عندها بأشياء لا تصنعها أو غير موجودة في موطنها، "ولم يكن هذا التبادل عبر المسافات الطويلة ليتم بالجهد الفردي بل عن طريق الدولة وتحت إشرافها ومسؤوليتها" (وهيبة، بدون تاريخ، ص ٣٠٧).

وبذلك نرى نشاط حركة التجارة في اقليم خراسان، بسبب ازدهار الزراعة والصناعة فيه، فضلاً عن ذلك فإن الموقع الاستراتيجي الذي تميز به الاقليم كان له أكبر الأثر في التنوع التجاري، ومما يدل على ازدهار التجارة في خراسان ما قاله ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ) في مدينة نيسابور: ليس بخراسان مدينة أدم تجارة وأكثر سابلة وأعظم قافلة من نيسابور، وأورد ابن حوقل قبل ذلك الأهمية الاقتصادية لخراسان إذ قال: "وإن اعظم هذه النواحي منزلة وأكثرها جيشاً وشحنة وأجلها منزلة وجباية نيسابور" (ابن حوقل، بدون تاريخ، ص ٤٣٣).

"ومرو وبلخ وهراة" (ابن حوقل، بدون تاريخ، ص ٤٣٠). كما أن رواج وازدهار التجارة في خراسان الأسواق الكثيرة المنتشرة في مدنه والتي بينا أهميتها مسبقاً كجزء من التطور الحضاري الذي شهده الإقليم، يبدو أنه كان لهذه الأسواق حركة نشطة في ازدهار التجارة، إذ جاء على لسان المقدسي (ت ٣٧٥هـ) بأن: "بضائعه تحمل الآفاق ويجبى إليها الثمرات ويرحل إليها التجارات" (المقدسي، ١٩٠٦م، ص ٣٢٣-٣٢٤)، "ولعل اهتمام الناس بالتجارة دليلاً على مظاهر الأبهة حتى غدت التجارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري المكانة الأولى بين التجارة العالمية" (متر، ١٣٧٧هـ/١٩٦٧م، ص ٣٧٠).

"لقد كان لخراسان دور فاعل في التجارة بحكم موقعها الجغرافي الذي جعله حلقة وصل بين الصين والهند مع أقاليم الدولة الإسلامية، وقد اتصف الخراسانيون بكثرة السفر وراء التجارة كسباً للرزق" (الأصطخري، ١٩٦١م، ص ٣٠٤)، "وقد عبر عن ذلك ابن الفقيه (ت ٣٢٠هـ) بقوله: أنهم أهل تجارة" (الهمداني، ١٣٠٢هـ، ص ٣١٦).

واقع الأمر هو أن الفقر إنما يعني خلق حلقة جديدة من إتاحة الفرص، وبرنامج العمل اللائق كونه جزء أساسي من هذا الحل لمعالجة الفقر. ويمكن للاستثمار التجاري أن يتخذ أشكالاً مختلفة في

أثر الفقر على التجارة في خراسان

المعالجات، التي تتمحور حول أولويات متباينة لكي يعالج مختلف جوانب الفقر وفئات الفقراء. ولعل استقرار الأوضاع السياسية في الإقليم أدى بدوره إلى رواج وانتشار التجارة فيه، "كل ذلك أدى إلى فتح الطريق أمام التجار المسلمين للوصول إلى الصين" (متز، ١٩٦٥، ص ١٤٩).

هناك روابط لا تقبل الجدل بين التجارة والحد من الفقر في العالم، من حيث الزيادات أو الانخفاضات السريعة في حركة التجارة على الفقراء وايضا تأثيرها الداخلي والخارجي على الدول المجاورة لها، وكيف يمكن للسياسات أن تكفل تعميم المكاسب على نطاق أوسع. وعلى تأثير التجارة في مستويات الأجور والتشغيل والدخل لدى الفقراء، ومما لا شك فيه أن النشاط التجاري الذي كان سائداً في الإقليم هو امتداد للنشاط القديم منذ العصر العباسي الأول نهاية بحكم الإمارات التي حكمت الإقليم، "وكانت نيسابور تمثل مركز التجارة في إقليم خراسان، فمنها ترتفع التجارات إلى العراق وبلاد الشام والحجاز" (المقدسي، ١٩٠٦ م، ص ٢٢٣)؛ (عدوان، ٢٠٠٨ م، ص ١٨٨)، وهي ترتبط بتجارة داخلية مع المدن الخراسانية الأخرى مثل نسا وطوس وهراة ومرو وسرخس وسجستان وقوهستان وبلخ وجرج الشار وغيرها من المدن الأخرى، "إذ تتبادل معها السلع والبضائع". (المقدسي، ١٩٠٦ م، ص ٢٢٥)؛ (عدوان، ٢٠٠٨ م، ص ١٨٨)

أولاً : التجارة الخارجية:

عبر دراسة أثر التجارة الخارجية على النمو الاقتصادي في خراسان، لاحظنا إنها لا تزال تعاني من ضعف النمو وارتفاع معدلات التقاعس عن العمل والجوانب الاجتماعية الأخرى مثل الفقر، وهنا يتضح تأثير المبادلات التجارية على عملية النمو الاقتصادي. "مما لا شك فيه إن لإقليم خراسان تجارة خارجية مع الأقاليم والبلاد الواسعة الأخرى مثل الهند وسجستان وبلاد ما وراء النهر والصين وغيرها من الأقاليم، فقد كانت تركستان تزود خراسان بالخيل والبغال وأنواع الخيل، "والشهباني والإبر والسكاكين والريباس" (المقدسي، ١٩٠٦ م، ص ٣٢٦)، أما عن الصادرات إلى إقليم تركستان "فهي الملابس والبطيخ واللحم والقسي والغضائر والكاغد والمعادن وأهمها الفيروزج والسبج والرخام وطين الختم والكتابة والفضة والنوشادر والذهب وذو الغار وهو ما يتصاعد من دخان الفضة والزئبق والنفط والقيبر" (المقدسي، ١٩٠٦ م، ص ٣٢٦-٣٢٧).

أثر الفقر على التجارة في خراسان

"وكانت مدينة توج" * (الزمخشري، ١٣١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٧١). تزود خراسان بالملابس والثياب، وهي ثياب رفيقة مهلهلة النسيج كأنها المنخل إلا أن ألوانها حسنة ولها طرز مذهبة تباع حزمًا بالعدد، "وكان أهل خراسان يرغبون فيها وتجلب إليهم كثيرا" (الحموي، ١٩٧٩م، ص ١٠٧).

وفي أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي كان تجار نيسابور شركاء لتجار تمتد مناطقهم إلى بلاد البلغار في الحوض الأوسط لنهر الفولجا، "ولاشك في أن هذه الاتصالات التجارية الوثيقة جعلت ملك البلغار أبا إسحاق إبراهيم بن محمد يرسل التبر في سنة (٤١٥هـ/١٠٢٤م) بمقدار كبير مع المال وذلك لإصلاح المساجد التي تقام فيها صلاة الجمعة في سيزاور وخسرو وجود في واحات بيهق" (العمادي، بلا تاريخ، ص ١٣٩).

ويبدو أن هناك نشاطاً تجارياً عادياً مثل: الجلود والشمع والشحوم والعسل، وكانت هذه المنتجات تأتي إلى خراسان ومن ثم توزع في مناطق بلاد الإسلام الأخرى، "وكان على رأس هذه البضائع تجارة الرقيق" (العمادي، بلا تاريخ، ص ١٣٩)، فضلاً عن ذلك المحور الذي يمتد من خوارزم باتجاه خراسان، فإن هناك طريق ثانٍ للتجارة يسير من خراسان إلى كرمان وفارس والخليج العربي، بحيث كان للكرمانيين في نيسابور سوق خاص بهم، "وكانت هذه السوق مركزاً للاتصال وخاصة في العصر السلجوقي في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر" (لومبارد، ١٩٩٨م، ص ١٥٦)، (آل سعد، ٢٠١١م، ص ٢٥٩)؛ (العمادي، بلا تاريخ، ص ١٤٠).

"ويذكر المسعودي (المسعودي، ١٩٨٢م، ص ١٥٧)؛ (ابن النديم، بلا تاريخ، ص ١٧١) أن القوافل التجارية كانت متصلة من السند إلى خراسان، وكذلك إلى الهند، إلى أن تتصل هذه الديار ببلاد زابلستان" * (ياقوت الحموي، ١٩٧٩، ص ١٢٥)، "التي تزدهر فيها بضائع الهند وتروج بصفة خاصة في كابل وغزنة" (المسعودي، ١٩٨٢م، ص ١٥٧).

* توج: موضع توج، في قول الشاعر يصف الصقر، أحمر من توج مخض حبشه ممكن على الشمال مركبه، وهو موضع بفارس تنتسب إليه الصقور

* زابلستان: كورة واسعة قائمة برأسها جنوبي بلخ وطخارستان، وهي زابل والعجم يزيدون السنين وما بعدها في أسماء البلدان تشبهاً بالنسبة، وهي منسوبة إلى زابل جد رستم بن دستان، وهي البلاد التي قصبته غزنة البلد المعروف.

أثر الفقر على التجارة في خراسان

"ويجلب تجار خراسان من الهند الدر والعنبر والأحجار الكريمة والذهب والعاج والخيزران والعود والكافور والقرنفل والصندل والياقوت والفلل الأسود والبلور" (الفي، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص ٢٦٩).

شهد إقليم خراسان مرحلة انتقالية اتسمت بالركود وبالبطء الاقتصادي نتيجة تعرض أغلبية مدنها إلى اختلالات في موازين استقرارها الاقتصادي، وما أسقطها في دوامة الفقر مما جعل اضطراب على استقرار العمل، وكشف أيضا دور الدولة الاقتصادي، وإيضا ترك آثار غير مرغوب فيها خصوصا على الطبقة الاجتماعية، فنتجت البطالة، وزادت الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وأصبحت المسؤوليات الاجتماعية للدولة أمر ثانوي مقارنة بتشجيعها للقطاع الخاص وزيادة الاستثمارات، وهذا سبب اشكاليات خارجية مع بعض الدول، "وقد أصبحت أكثر المدن من أهم مراكز التجارة بين الهند وبلاد المشرق الإسلامي ومنها خراسان" (آل سعد، ٢٠١١، ص ٢٤٢).

ترتبط مسألة الفقر بالتفاوت في قدرات المسلمين، وظروفهم، ومن أخطر نتائجها هو تآكل الثروة البشرية التي هي أتمن ما في الوجود. ويمثل الفقر عقبة أساسية في رفع معدلات النمو الاقتصادي، والاستقرار السياسي والاجتماعي، ولما كانت التجارة بين مدن وإقاليم الدولة العباسية تمثل محركا أساسياً لنمو الدخل المعيشي فإنها بذلك سوف تؤثر في مستويات الفقر للإقاليم والمدن. ولم يكن ما وقع أقل مما سبق ذكره، "إذ تصاحب القحط والغلاء المفرط مجاعة شديدة ووباء مفرط". (ابن الأثير، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٢٩١)

ثانيا : التجارة الداخلية:

تركزت هذه التجارة في النشاط الذي يحصل بين المدن الخراسانية، وهي عمليات البيع والشراء للبضائع، وقد تركزت في أسواق المدن، وتشمل على أهم البضائع والغلات الزراعية التي تنتجها هذه المدن، فتجارات إقليم خراسان تتوزع على مدنها، وتتنوع أصنافها وسوف نأخذ المدن الخراسانية حسب أنواع البضائع وأماكن أنتاجها.

"ويبدو أن الجغرافي المقدسي (ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م) قد وفق حين أشار إلى أهم ما يرتفع من خراسان من بضائع في موضع التجارات وهي ما يخص الصادرات والواردات في الإقليم" (المقدسي، ١٩٠٦م، ص ٣٢٣، ٣٢٦).

أثر الفقر على التجارة في خراسان

"فمن نيسابور ترتفع أصناف الثياب من القطن والإبرسيم والذي ينقل إلى سائر بلدان الإسلام وبعض بلاد الترك، وأصناف البز والقز والثياب الخفية والتختج والراختج" * (سبهاني، ٢٠١٨م، ص ٣٥١)، "والمصمت والحلل والعتايبات والسقلاطونيات والسابر والعمائم الشهبانية وبين الثوبين وثياب الشعر والغزل والحديد وأبر وسكاكين وريباس وطين وكماة والديواج وطرز" (الأصطخري، ١٩٦١م، ص ٢٥٥) (الهمداني، ١٣٠٢هـ، ص ٢٥٤)؛ (المقدسي، ١٩٠٦م، ص ٣٢٣، ٣٢٤)؛ (الثعالبي، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م، ص ٥٤٠)؛ (آل سعد، ٢٠١١م، ص ٢٤)، وكان مما يجلب من نيسابور تين يسمى بالنقل يحمل إلى أداني البلاد وأقاصيها، "ويتحف به الملوك والسادة وكان الرطل منه ربما يباع في مصر وبلاد المغرب بدينار" (الثعالبي، ١٩٦٠م، ص ١١٤)؛ (متز، ١٣٧٧هـ/١٩٦٧م، ص ٣١٣).

"وأما مدينة هراة التي تشتهر بالكشمش الذي يجلب إلى الآفاق والزبيب الطائفي والبز الكثير وديباج وأكثر حلوات خراسان والفسق والكرابيس والمبارم وطرائف الصفريات". (الأصطخري، ١٩٦١م، ص ٢٦٦) و (المقدسي، ١٩٠٦م، ص ٣٢٤)

"ومن مدينة مرو القطن وثيابه الذي يجهز إلى الآفاق والاشترغاز الذي يحمل إلى أكثر المواضع والإبرسيم والقز الكثير والملاحم ومقانع القز والبرابط" * (سبهاني، ٢٠١٨م، ص ٦٢٢)، "الجياد والطنافس والبقر والجبن والبزر والشيرج والنحاس والملابن" * (ابن دريد، ١٩٨٧م، ص ٥٦٧)، "واليابس من فواكهها من الزبيب والبطيخ يقدد ويحمل إلى العراق" (الجاحظ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٣٧)؛ (الأصطخري، ١٩٦١م، ص ٢٦٦)؛ (المقدسي، ١٩٠٦م، ص ٣٢٤، ٣٢٦)؛ (الثعالبي، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م، ص ٥٤٢).

"أما مدينة بلخ فاشتهرت بالصابون والسهم والأرز والجوز واللوز والزبيب والعنجد والسمن وعسل الشمس من العنب والتين ولب الرمان والأترج والكبريت والرصاص والزرنين والأبخرة والوقايات على عمل الجرجانية والأبراد والأدهان والجلود والنوق البخاتي" (المقدسي، ١٩٠٦م، ص ٣٢٤).

رغم تعدد هذه الأنواع من البضائع والتي تدخل ضمن قائمة الصادرات التي تخرج من خراسان والتي من ضمنها بضائع مصنعة، إلا أن هناك فقر واضح في المجتمع، مما ترك ضعف في الحركة

* الراختج: قد يكون من الرخت، وهو اللباس والثوب والرداء

* البرابط: هو العود من الآلات الملاهي، وقيل: هو معرب بربط، وقيل: أيضاً هو بكسر الراء أي صدر الإوز

* الملاين: وهي المحامل، الواحد منها ملين، وكان يتخذها أهل الترف والنعمة ومن مال إلى الدعة فيهم، وكانت هذه المحامل أو المراكب على اختلافها في القدر والسعة، وتختلف أيضاً في الاسماء لما لها من اختلاف الصفة والتركيب والهيئة

أثر الفقر على التجارة في خراسان

التجارية ونشاطها في الإقليم. وقد يدرك ذلك الذين يعيشون في حالة من الفقر، ويعلمون أن الحراك هو السبيل إلى حل المشاكل بطريقة سلمية، وبمقدور الذين يعيشون في حالة من الفقر على حل المنازعات كوسيلة للنهوض بمصالحهم. "ولا يذكر أحد هذا القحط كما في خراسان" (البيهقي، بلا تاريخ، ص ٦٦٩) والملاحظ على خراسان بشكل عام أنه يرتفع منه الكثير من الخيول والدواب والغلمان والمسك الكثير، فضلاً عن ما ذكر "من قبل من سمو وطرائف، وهذه من الهدايا التي وردت إلى الخليفة المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م) والتي أنفذها أحمد بن إسماعيل بن أحمد إلى دار الخلافة" (القرطبي، بلا تاريخ، ص ٢٥).

يعكس الناتج الاقتصادي لأي إقليم أو مدينة عبر قوة اقتصادها أو ضعفه، ليس من ناحية القيمة الاقتصادية والتجارية فقط، ولكن من حيث طبيعة مكونات هذه التجارة، فكلما كان المستوى المعيشي متحققاً من أنشطة إنتاجية، وقيمة معيشية عالية، كان ذلك دليلاً على قوة اقتصاد خراسان. وكلما اعتمد على الأنشطة الربعية وإنتاج المواد الأولية كان ذلك دليل ضعف.

ومن خلال إلقاء نظرة على البضائع الداخلة إلى خراسان من مناطق مختلفة نستطيع أن نطلق عليها أهم السلع والمواد الداخلة إلى خراسان: "فمن أرمينية ونواحيها البغال الجياد" (ابن حوقل، بدون تاريخ، ص ٣٤٦)، "ومن اصبهان العنابي والوشي وسائر ثياب الأبريسم والقطن" (الأصطخري، ١٩٦١م، ص ١٩٩)؛ (ابن حوقل، بدون تاريخ، ص ٣٦٣)، "أما من البلغار فالسمور والسنجاب وقاقون وفنك" * (ابن الحسن، بلا تاريخ، ص ٢٩٨)، (المطرزي، بلا تاريخ، ص ٨٧)، "ودله" * (الفيومي، بلا تاريخ، ص ١٩٨)، "والثعالب وخزبوست وخركوش" * (دوزي، بلا تاريخ، ص ٧٣)، "ملون وبزبوست والشمع والنشاب والتوز" * (ابن سيده، بلا تاريخ، ص ٩٩)، "والقلانس وغرا السمك وأسنان السمك وخزميان وكهروا والكيمخت" * (ابن سيده، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م،

* فنك: دابة يفترى جلودها: أي يلبس جلدها فرواً، وقيل: في موضع آخر: هو البنج وتقريبه فنك، وهو نبت له حب يسكر، وقيل: يسبت ورقه وقشره وبزره.

* دله: أصله الدلق، وهي الهرة الطويلة الظهر، يعمل منها الفرو، وهو فارسي معرب، وأصله دله

* خركوش: أو خركوس، وهو بالفارسية وهو لسان الحمل

* التوز: نوع من أنواع الشجر

* الكيمخت: ضرب من الجلود

أثر الفقر على التجارة في خراسان

ص ٤٠٤)، "والعسل والبندق ولبؤز والسيوف والدروع والخلنج"^{*} (ابن دريد ، بلا تاريخ، ص ٧٥٣)، "والرقيق من الصقالبة والأغنام والبقر" (المقدسي، ١٩٠٦ م ، ص ٣٢٥).

ويمكن ايجاد وسيلة تتخذ أشكالاً مختلفة، تتمحور أهدافه حول مستويات متباينة لكي يعالج مختلف جوانب الفقر وفئات الفقراء. على أن تعزيز توفير الامن، والاستقرار سيبقى يشكل نجاح السلاطين وسياستهم الرامية إلى الحد من الفقر.

"لذلك أصبح التجار هم من يمثلون الطبقة الغنية في المجتمع الخراساني وذلك لأنهم يمتلكون رؤوس الأموال ويحصلون على الأرباح" (الأصطخري، ١٩٦١ م، ص ٢٨٤)؛ (النرشخي، ١٩٦٥ م، ص ٣٤)، "وكان بعض تجار خراسان متخصصين في تجارة نوع معين من البضائع ويرحلون ورائها إلى كافة البلدان" (التنوشي، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م، ص ١٨٨)، "فهناك من يتاجر بالمعادن الثمينة من الجواهر وغيرها" (البيروني، ٢٠١٨ م، ص ١٦٩)، "وهناك تجار الإبرسيم وتجار البز" (الأصطخري، ١٩٦١ م ، ص ٢٨٢)، وهناك نوع من "التجار تميز بثتى أنواع الصناعات الخراسانية والغلات الزراعية" (النرشخي، ١٩٦٥ م، ص ٣٨، ٤١).

"ولما كان لخراسان نشاط تجاري واسع في الداخل والخارج كان على التجار الخراسانيين أن يضعوا لهم ممثلين في مختلف البلدان أو ما يطلق عليهم الوكلاء، "وقد أصبح السوق هو محور النشاط التجاري في المدن الخراسانية، وهو الذي يلعب دوراً بارزاً في حياة خراسان الاقتصادية والمالية" (الأصطخري، ١٩٦١ م ، ص ٢١٤)؛ (المقدسي، ١٩٠٦ م ، ص ٢٨١).

"ويمكن أن نستدل على مدى توسع النشاط الاقتصادي في خراسان من خلال مقادير الموارد المالية المتمثلة بالخراج إذ تدل كثرتها على سعة هذا النشاط، فقد أورد ابن خرداذبة (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) بأن خراج نيسابور أربعة آلاف ألف ومائة ألف وثمانية آلاف وتسع مائة درهم منها الأخلاف"^{*} (الفيروز آبادي، بلا تاريخ، ص ٨٠٧)، وسبع مائة ألف وثمانية وخمسون ألفاً وسبع مائة وأربعة وعشرون درهماً، "ومنها غلات المعادن ثمانية آلاف درهم" (الأصطخري، ١٩٦١ م ، ص ٣٥).

وخراج طوس "سبع مائة ألف وأربعون ألفاً وثمان وستون درهماً منها الأخلاف مائة ألف وتسعة وثلاثون ألفاً وعشرون درهماً، ومنها غلات المعادن سبعة آلاف وسبع مائة درهم، أما نسا ثمان مائة ألف

^{*} الخلنج: ويسمى النضار، وهو ضرب من الشجر

^{*} الأخلاف: ومعناه ما يستخرج من سائر الثمار والحبوب

أثر الفقر على التجارة في خراسان

وثلاثة وتسعون ألف وأربع مئة درهم منها الأخلاف مئة ألف وستون ألفاً وثلاث مئة واحد وثلاثون درهماً وثلاث وخمس دراهم" (الأصطخري، ١٩٦١م، ص ٣٥).

طأما مدينة أبيورد سبعمائة ألف درهم منها الأخلاف ثلاثمائة ألف وسبعة عشر ألفاً وسبعمائة وأربعة درهم" (المقدسي، ١٩٠٦م، ص ٣٢٥). وكان الخراج في عهد السامانيين يقبض ويحمل إلى الخزان في كل ستة أشهر، ومنها ما يقبض خراجها دفعة واحدة، "في حين أن هناك مدن لا يقبض خراجها بالمرة" (المقدسي، ١٩٠٦م، ص ٣٢٥).

يبدو إن خراج خراسان كبيراً، إذ وصل بالمجموع على حد قول المقدسي (ت ٣٧٥هـ): أربعة وأربعون ألف ألف وثمان مائة ألف وتسعمائة وثلاثون درهماً وثلاثة عشر درهماً، ومن الدواب عشرون دابة وألفاً شاة، ومن الرقيق ألف واثنا عشر رأساً، "ومن البرود والصفائح الحديد ألف وثلاثمائة قطعة" (المقدسي، ١٩٠٦م، ص ٣٤٠).

يرى الباحث أن رغم توسع النشاط الاقتصادي في خراسان، لكن هناك اشكاليات في المجتمع بسبب الفقر، وما نتج عنه من زيادة في الهجرة والامراض، وهذا ساعد على توقف الجانب التجاري وتحديده.

"ومن المعروف لدى أغلب الناس أن معدني الذهب والفضة هما من أقدم المعادن استعمالاً في المعاملات الاقتصادية، دلالة على أن الذهب والفضة كانا يستخدمان كوحدة صرفية، أي عملة في المعاملات التجارية" (آل سعد، ٢٠١١م، ص ٢٥١).

يبدو أن إجماع الناس كافة على تفضيل الذهب والفضة وذلك لسهولة استخدامها في السبك والطرق والجمع والتفرقة والتشكيل بأي شكل أريد حسن الرونق وعدم الروائح والطعوم الرديئة، وبقائهما على الدفن، "وقبولهما العلامات التي تصونهما وثبات السمات التي تحفظهما من الغش والتدليس فطبعوهما وثنوا بهما الأشياء ورأوا أن الذهب أجل قدراً في حسن الرونق" (الدمشقي، ٢٠١٦م، ص ٢٢). وتجدر الإشارة إلى أنه أطلق على النقود لفظ المعاملة: بمعنى واسطة للمبادلة، "وللثراء والبيع ثم عم وانتشر لفظ العملة: الذي لا يزال مستخدماً إلى اليوم" (الغزوي، ١٩٥٨م، ص ٦).

أثر الفقر على التجارة في خراسان

"لقد استمرت دولة بني العباس بتداول النقود التي كانت متداولة في العصر الأموي في خراسان واستمر ضرب السكة"* (ابن خلدون، ١٩٨٣، ص ١١٨ - ١٣١)، وصارت أوزانها تختلف زيادة أو نقصاناً، والكتابات التي عليها تتغير بتغير الخلفاء أو الولاة والحكام خاصة في خراسان والمشرق بشكل عام، بسبب ظهور دويلات عديدة كالدولة الطاهرية والصفارية والسامانية والغزنوية" (آل سعد، ٢٠١١، ص ٢٥١)، وانتشرت في خراسان وبلاد ما وراء النهر نوع من الدراهم سمي بالدراهم المسيبية والمحمدية" (ابن فضلان، ١٩٦٠م، ص ٦٠)؛ (الأصطخري، ١٩٦١م، ص ٣٢)؛ (ياقوت، ١٩٧٩، ص ٣٥٤)، "والدراهم الغطريفية" (المطرزي، بلا تاريخ، ص ١٠٦).

ومن الواضح أن إقليم خراسان على اختلاف مراحل حكم الدولة الإسلامية فيه وحكم الدويلات المستقلة كان هناك بيت مال وله دخل منصرف، وهذا يأتي من:

- ١ - الجزية: وهي التي يؤديها أهل الذمة من النصارى واليهود والمجوس.
- ٢ - ضريبة الخراج: وهي التي تفرض على الأرض الزراعية.
- ٣ - المصادرات: وشكلت دخلاً كبيراً للدولة.
- ٤ - الضرائب: "على الدور والحوانيت وضرائب التجارة والتي كانت كثيرة نتيجة مصادر الثروة الكبيرة في الإقليم" (آل سعد، ٢٠١١، ص ٢٥١).

"وكانت موارد بيت المال هذه تنفق على الجيش والموظفين والقضاة والعمال، وكان هناك فائض من هذه الأموال حتى قيل: أن عمرو بن الليث الصفار كان يمتلك ثلاث خزائن مملوءة بالذهب والفضة" (الكريزي، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ٢٢٨)، "وكذلك كان الحال بالنسبة للدولة الغزنوية إذ كان دخل الدولة كبيراً جداً بسبب الغنائم التي حصل عليها الجيش الغزنوي في حملاته على الهند" (الفاقي، ٢٠٠٨م، ص ٢٧١).

وعبر المناصب الإدارية التي ذكرت في خراسان بالنسبة للموظفين الذين يعملون وفق النظام المالي الذي يشهده الإقليم، "دل بشكل قاطع على التقدم الملحوظ في النظم المالية، فهناك "الصراف" الذي كان مهمته فحص قطع النقود ليفصل الصالح من الرديء، وكان يعرف بـ "الجهبذ"* (الزبيدي، بدون تاريخ، ص ٣٥٨)، وهناك "أمين الصندوق" الذي كان يضبط ما يدخل الخزينة وما يخرج منها.

* السكة: الختم على الدينار والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم، فتخرج رسوم النقوش عليها ظاهرة مستقيمة

* الجهبذ: معناه الناقد البصير، أو الناقد الخبير بغوامض الأمور البارح العارف بطرق النقد، وهو معرب الجهبذ

أثر الفقر على التجارة في خراسان

وقد كان الدينار الذهبي والدرهم الفضي هما أساس المعاملات المالية في خراسان في أغلب الفترات، وكانت توجد بمدينة هراة دار لضرب النقود، وكذلك في نيسابور وآمل، وبذلك ضربت عدة نقود في مدن مختلفة في مناطق خراسان منها مدينة نيسابور سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م)، وبذلك ساد الازدهار الاقتصادي والنقدي في المدينة، ولا بد من ذكر أن هذه الدنانير التي ضربت تحمل أوزان مختلفة" (آل سعد، ٢٠١١، ص ٢٥٥-٢٥٧).

ثم نجد أن للدينار مكانة في التعاملات المالية في خراسان في العصر الغزنوي (٣٥١هـ/٥٨٢م)، وكانت دور الضرب تنتشر في العديد من مدن خراسان منها هراة ونيسابور، وكانت الدنانير متوافرة لدى السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة، وكذلك الدراهم تستخدم لإتمام المعاملات المالية في جميع مدن وأقاليم بلاد خراسان، وكانت الدراهم الفضية تخلط بمعدن آخر كالنحاس والبرونز، وكان الدينار الصحيح يساوي أربعة عشر درهماً صحيحاً، ثم وصلت نسبة الدراهم إلى الدينار (٢٤/١)، وكان هذا في أواخر القرن الرابع للهجرة، ثم هبطت هذه النسبة بسبب سوء الأحوال الاقتصادية إذ وصلت إلى (٤٠/١) وربما أكثر من ذلك" (مؤنس، ١٩٧٣م، ص ٣٣٧).

"وفي هذا العهد كانت درجة نقاء الدينار النيسابوري عالية، إذ كانت تتراوح نسبة الذهب فيها ما بين (٩٦.٩٣%) في حين كانت نسبة الدينار الهروي أقل من ذلك، إذ بلغت ما بين (٧٥.٦٧%) ولعل سبب ذلك وفرة الذهب في نيسابور، إذ توجد مستودعات هامة للذهب ما بين نيسابور ومشهد" (آل سعد، ٢٠١١، ص ٢٦٣).

ثالثاً : أثر الفقر على التجارة في خراسان:

ان التجارة والعمل بها يعطي الثقة والاستقرار في خراسان بين التجار والرعية . وأي خلل في المعاملات التجارية يؤدي الى انعدام الثقة بالجانب التجاري، يكون عبر توفير الحماية للتجار من قبل السلاطين والأمراء ، وتقديم العون والمساعدة لهم ، والأساليب التي يتبعها السلاطين والولاة من اجل المحافظة على النشاطات الإنتاجية في خراسان من اجل التقدم للاضطلاع بدور متمم ومساعد لنشاط الاقتصاد التقليدي. وبالتالي ما ينتجه القطاع الزراعي يرى في القطاع الصناعي مجالاً لتحويله إلى إنتاج استهلاكي متنوع. وطبعاً يؤدي قطاع الخدمات دور الوسيط الأساسي بين القطاعين المذكورين. ويرتبط هذا الجانب بانسيابية الطرق التجارية وتوفرها لتكون مركزاً تجارياً، كما كان الطريق البري الذي يربط خراسان عبر بغداد الى اجزاء الدولة العربية الاسلامية في المغرب". (النرشخي، ١٩٦٥، ص ٣٧)

أثر الفقر على التجارة في خراسان

لذا، لا بد من تدعيم القاعدة الانتاجية، وتخفيف ما أمكن من هشاشة الاقتصاد المكشوف على الخارج. وذلك بتقليص الاعتماد على استيراد السلع من الخارج الأمر الذي يعني في نهاية المطاف تخفيفاً لاستيراد التضخم، وهذا ما يجب أن تكون عليه السياسة الاقتصادية الانمائية. إن نمو القطاع الصناعي يحمل إيجابيات كثيرة أبرزها تحول أعداد كبيرة من اليد العاملة الكامنة. "وذلك يلامس وضع التجارة البرية في خراسان وتعرضها للمخاطر التي السفن، وهذا ما جعلهم يتهيؤون للمغامرة بأرواحهم وأموالهم". (المسعودي، ١٩٨٢م، ص ١٧) ؛ (بوزورث، ١٤١٩هـ / ١٩٨٨م، ص ٦٢)

لا شك أن العلاقة بين التجارة والنمو والحد من الفقر واضحة، وذلك بسبب تعرض مصادر كسب أرزاق الناس أي العمل أو العاملين للخطر. فضلا عن إن التغييرات في السياسات التجارية تفرز أطرافاً رابحة وأخرى خاسرة، مما يقوض في بعض الأحيان التأييد الشعبي لتحرير التجارة، ويؤدي إلى تصاعد دعم النزعات القومية الاقتصادية. كما كانت تشير المصادر التاريخية على ان بغداد والشام ومصر والهند والصين، هي مراكز تجارية تعمل على تصدير إنتاج خراسان من البضائع والمواد الاستهلاكية، "والتي كان يسكنها التجار البزازين من خراسان ، ومن اقليم اشرسونه في ما وراء النهر". (المقدسي، ١٩٠٦م ، ص ٣٢١)

وحتى بالنسبة لأقوى المؤيدين للتجارة، من الأهمية بمكان إدراك أن الآثار التوزيعية للتجارة كانت متفاوتة وغير متكافئة. وقد تركزت المكاسب والخسائر بشدة في بعض القطاعات والوظائف والمناطق. ولضمان دعم التجارة، لابد أن نخفض التباينات الإقليمية والقطاعية، وتطبيق سياسات لتعميم المكاسب على نطاق أوسع.

رابعا : الكوارث الطبيعية وتأثيرها على التجارة في خراسان:

"في أيام القحط والفيضان ارتفعت الأسعار حتى لرغيف الخبز والشعير والقمح، ولذلك عمل السلطان محمود وابنه مسعود على التخفيف عن السكان" (علوي، ١٩٩٣م، ص ٧)، " بتوفير كميات من الطعام وتأمين سير القوافل التجارية، وباشروا ذلك بأنفسهم" (ابن الجوزي، ١٤٢١هـ / ١٩٩٢م، ص ١٩٢). وتأثرت الأسعار بوفرة الإنتاج، وقلته ونظام الري، والآفات الزراعية، والفيضانات، والكوارث الطبيعية، واحتكار بعض التجار للسلع الغذائية، كما تأثرت أيضاً بالضرائب المفروضة فكان فرض الضرائب والمكوس يعمل على زيادة الأسعار في الأسواق، وكان رفعها يؤدي إلى ازدياد السلع وكثرة المعروض منها في الأسواق ويزداد الإقبال عليها فرخص الأسعار، ففي سنة ٤١٢هـ / ١٠٢١م حينما تولى السلطة

أثر الفقر على التجارة في خراسان

الأمير محمد بن محمود الغزنوي بعد وفاة أبيه فتح أمور الولاية وصار العيش رغدا للناس ورخصت الأسعار، "وسر التجار، ولما وصلت أخبار ثراء غزنة وسعة عيشها الى المدن الأخرى قصدها التجار من انحاء مختلفة واحضروا الاقمشة والملابس الجميلة ورخصت الأسعار". (الكريزي، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ٢٧٤)

"وفي سنة ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م تعرضت خراسان لزلزال شديدة استمرت عدة أيام مما أدى إلى هلاك الكثير من أهالي المدن وهروب العديد منهم إلى الصحراء للإقامة بها" (ابن الأثير، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٣٧٧؛ ابن كثير، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٥٢)، "وتبع ذلك حدوث المجاعات ثم حدوث الغلاء الفاحش في سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م لانتشار الوباء الناتج عن قلة الأقوات ولجأ الناس إلى أكل الميت والكلاب وتكرر الوضع في سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م بسبب سيل عظيم وبرد شديد خرب البلاد وظهر الموت في الأغنام فقد ذكر أن راعياً كان معه خمسمائة رأس ماتت كلها في يوم واحد" (الذهبي، ١٣٦٥هـ، ص ٣٩٩)؛ (ابن الجوزي، ١٤٢١هـ/ ١٩٩٢م، ص ٥٦).

"وفي سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م وقع وباء عظيم بخراسان ومات من أهلها الآلاف" (ابن كثير، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٦٧)؛ (ابن الجوزي، ١٤٢١هـ/ ١٩٩٢م، ص ٦٤)، وفي سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٧٧م عم الموت بالطاعون البلاد وكثر الموتى حتى كادت الدور والقرى تخلو من ساكنيها ولم يكن الطاعون معهوداً بتلك البلاد قبل ذلك واختار الأطباء في علاجه ثم تلاه موت الفاجعة ثم أخذ الناس الجدري في أطفالهم ثم تعقبه موت الوحوش في البريه، ثم تلاه موت الدواب والمواشي ثم قحط الناس وعزت الأقوات وهلك العباد" (ابن الجوزي، ١٤٢١هـ/ ١٩٩٢م، ص ١١٤).

"وفي سنة ٥١٥هـ/ ١١٢٠م سقطت أمطار شديدة دامت لعدة أيام وأهلكت ما على رؤوس النخل وفي الشجر من الأرتاب والاعناب والفواكه وما كان في الاراضي من غلات وعم الغلاء على الناس" (ابن الجوزي، ١٤٢١هـ/ ١٩٩٢م، ص ٨)، ثم وقع غلاء شديد في سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م على خراسان طالت مدته وبلغت الشدة بالناس مبلغها" (ابن الأثير، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٥٠)، "وقد تكرر الوضع في سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م، ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م، ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م وفي هذه السنة كان بنيسابور طباخ ذبح أنساناً وباعه في الطبخ، ثم ظهر ذلك فقتل" (البيهقي، بلا تاريخ، ص ٤٨٧)؛ (ابن الأثير، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٢٠١).

"وقد كانت الأوقاف التي أوقفها الدولة على بعض المنشأة التي كانت تقدم أنواعاً من الرعاية الاقتصادية كالخانات والتكايا والفنادق بما كانت تقدمه من طعام وشراب دون مقابل" (ابن كثير، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٩١)، "وكذلك

أثر الفقر على التجارة في خراسان

البيمارستانات والتي كانت تقدم أنواعاً من العلاجات دون مقابل أيضاً من الأشياء التي كانت تخفف عن الناس وطأة تلك الأزمات" (ابن الجوزي، ١٤٢١هـ/١٩٩٢م، ص٣٠٦).

ومع كل ما ذكرناه من إجراءات من قبل السلطات إلا انها كانت قليلة بالقياس إلى عدد الأزمات التي حلت بالبلاد وشدتها وقوة تأثيرها، "خاصةً إذا علمنا أن الكثير من تلك الأزمات كان يستمر لمدة عام أو عامين والناس يعانون ويموتون" (الصلاحي، بلا تاريخ، ص٣٩٢)، "ولا نعرف أن كان هذا لعدم إكتراث الحكومة بالتخفيف عن الناس في أزمتهم أم لانشغالها في حروبها ونزاعاتها و أمورها الداخلية" (ابن خلدون، ١٩٨٣م، ص٧١).

الخاتمة

١. أن تأثيرات ظاهرة الفقر في البلدان الغنية في ثرواتها البشرية وإمكانياته الطبيعية المتنوعة، تترك مؤشرات عديدة الأبعاد، وأن هذه الظاهرة لم تعد مشكلة اقتصادية وقتية أو اجتماعية عابرة، بل تتحول إلى مأزق يواجه الواقع والاجتماعي بنحو عام.
٢. كان الفقر، ولا يزال، ظاهرة موجودة في غالبية مجتمعات العالم، ويتباين تأثيره بين مجتمع وآخر من الناحية الاقتصادية فمن خلاله وبسببه يهاجر الافراد وتعم الاوبئة وتتوقف الحياة. ويتغير المستوى الاقتصادي خارجيا وداخليا، وفق موارد الدول ونتاجها.

أثر الفقر على التجارة في خراسان

المصادر

١. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٠هـ). الكامل في التاريخ ، مراجعة وتصحيح : محمد يوسف الدقاق، ط١، دار الكتب العلمية لبنان، (بيروت، لسنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
٢. ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه : نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، دار صادر، (بيروت، لسنة ١٤٢١هـ/١٩٩٢م)
٣. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحاق بن محمد بن اسحاق الوراق البغدادي (ت ٣٨٤هـ) ، الفهرست، سير أعلام النبلاء، تحقيق: د.أيمن فؤاد، الناشر: دار المعرفة
٤. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٨هـ)، صورة الأرض، مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت).
٥. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، الناشر: دار الكتاب اللبناني، لسنة ١٩٨٣م
٦. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي (ت ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، الناشر: دار العلم للملايين، (بيروت ، لسنة ١٩٨٧م)
٧. ابن سيده، أبي الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، الناشر: دار الكتب العلمية
٨. ابن سيده، المخصص، المحقق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط١ (بيروت، لسنة ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م)
٩. ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر أبو الفداء الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح، ط٥، دار الحديث، (القاهرة، لسنة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)
١٠. احمد محمد عدوان، دراسات في تاريخ دويلات المشرق، الناشر: جمعية تطاون-أسمير، (المغرب، لسنة ٢٠٠٨م)
١١. الأصبخري، مسالك الممالك، تحقيق: محمد جابر عبد الحق الحسيني، مراجعة : شفيق غريال، مطابع دار القلم، (القاهرة، لسنة ١٩٦١م).
١٢. آل سعد عبد العزيز عبد الرحمن سعد، الجغرافية الحضارية في الشرق الاسلامي (بلاد فارس وما وراء النهر)، لسنة ٢٠١١م

أثر الفقر على التجارة في خراسان

١٣. بوزورث: ((نيسابور))، دائرة المعارف الإسلامية، ط ١، أ. جي. بريل تحرير م. ت هوتسما، ت. و. أرنولد ر. ناسيت. هارتمان، إشراف: محمد سمير سرحان، الشارقة، طبعة مركز الشارقة للأبداع الفكري، (الشارقة، لسنة ١٤١٩هـ / ١٩٨٨م). تراث الاسلام
١٤. البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠هـ). الجماهير في الجواهر، تحقيق: يوسف الهادي، (خوارزم، لسنة ٢٠١٨م).
١٥. البيهقي، أبو الفضل علي بن زيد بن محمد بن الحسين (ت ٤٧٠هـ) تاريخ البيهقي، ترجمة: يحيى الخشاب وصادق نشأت، مطبعة دار الحرية، بغداد
١٦. التتوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ). نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبور الثالجي، مطبعة دار صادر، (بيروت، لسنة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م)
١٧. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ). ثمار القلوب، في المضاف والمنسوب تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، (مصر، لسنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م).
١٨. الثعالبي، لطائف المعارف، تحقيق: إبراهيم الأبياري، وحسن كامل الصيرفي، دار أحياء الكتب العربية، (مصر، لسنة ١٩٦٠م).
١٩. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر البصري (ت ٢٥٥هـ)، التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأقسعة الرفيعة والأغلاف النفيسة، تحقيق: حسن حسين عبد الوهاب التونسي، ط ٣، (القاهرة، لسنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).
٢٠. الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي (ت هـ). الاشارة الى محاسن التجارة ومعرفة جيد الأعراض وورديها وغشوش المدلسين فيها، الناشر: مطبعة المؤيد، (لسنة ٢٠١٦م)
٢١. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د. ط، د. ت)
٢٢. الزمخشري، الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق: احمد عبد التواب عوض، مط دار الفضيحة للنشر والتوزيع، (القاهرة - ١٣١٩هـ / ١٩٩٩م)
٢٣. شلبي، احمد، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، مطبعة النهضة المصرية، ج ١، ط ٢، ١٩٦٢.
٢٤. الصلابي، علي محمد، دولة السلاجقة، دار ابن الجوزي، القاهرة
٢٥. العزاوي، عباس، تاريخ النقود العراقية، مط وزارة المعارف العراقية، (بغداد- ١٩٥٨م)

أثر الفقر على التجارة في خراسان

٢٦. العمادي، محمد حسن، خراسان في العصر الغزنوي، تقديم: د. نعمان جبران، كلية الانسانيات، جامعة قطر
٢٧. فظلان، أحمد بن فضلان بن العباس، (ت ٣٠٩هـ/او ٣١٠هـ). رسالة ابن فضلان، المجمع العلمي الصربي، تحقيق: د. سامي دهان، (دمشق، لسنة ١٩٦٠م)
٢٨. الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، دار الفكر العربي، (القاهرة، لسنة ٢٠٠٨م)
٢٩. الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، ط ١، دار الفكر العربي (القاهرة، لسنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)
٣٠. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠هـ) المصباح المنير، الناشر: المكتبة العلمية
٣١. القرطبي، عريب بن سعد (ت ٣٦٩هـ)، صلة تاريخ الطبري، منشورات مؤسسة الاعلمي، بيروت: (ب - ت)،
٣٢. الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي (ت ٤٤٠هـ). زين الأخبار، تعريب: محمد بن تاويت، مطبعة محمد الخامس الجامعية الثقافية، (فاس، لسنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)
٣٣. لعمادي، محمد حسن، خراسان في العصر الغزنوي
٣٤. لومبارد، موريس، الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، ط ٢، مط دار الفكر المعاصر، (بيروت - لسنة ١٩٩٨م)
٣٥. متز، آدم. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: عبد الهادي أبو ريده، لبنان، دار الكتاب العربي، (بيروت، لسنة ١٣٧٧هـ/١٩٦٧م)
٣٦. محمد جمال الدين، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، الناشر: دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٦٥
٣٧. محمد. المعجم الفضي (فارسي - عربي)، دار المحجة البيضاء، (بيروت، لسنة ٢٠١٨م)
٣٨. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) مروج الذهب ومعادن الجواهر، اعتناء ومراجعة: كمال حسن مرعي، المكتبة العربية (بيروت، لسنة ١٩٨٢م)
٣٩. المطرزي، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي (ت ٦١٠هـ)، المغرب في ترتيب المغرب، الناشر: دار الكتاب العربي (طبعة د. ط - د. ت)
٤٠. المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المعروف بالبشاري (ت ٣٧٥هـ). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ٢، مطبعة بريل، (ليدن، لسنة ١٩٠٦م)

أثر الفقر على التجارة في خراسان

٤١. مؤنس، حسين، عالم الإسلام، الحضارة، مط سلسلة عالم المعرفة، العدد الأول، تصدر من قبل المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: القاهرة، ١٩٧٣م
٤٢. ناصر خسرو، علوي (ت ٤٨١هـ). سفرنامه، ترجمة: يحيى الخشاب، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (لسنة ١٩٩٣م)
٤٣. النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت ٣٤٨هـ). تاريخ بخارى، ترجمة وتحقيق: أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، (مصر، لسنة ١٩٦٥م)
٤٤. الهمداني، أحمد بن محمد (ت ٣٢٠هـ). مختصر كتاب البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، ط ١، مطبعة بريل، (ليدن، لسنة ١٣٠٢هـ)
٤٥. وهيبه، عبد الفتاح محمد، الجغرافية التاريخية بين النظرية والتطبيق، منشورات دار النهضة العربية، بيروت: (د - ت).
٤٦. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦١٦هـ). معجم البلدان، ط ٥، د. ط، أحياء التراث العربي، (بيروت، لسنة ١٩٧٩م)

**الأثر العلمي والفكري للإمام جعفر بن محمد
الصادق (عليه السلام) في المصنفات المغربية والأندلسية**

هيفاء عليوي محيسن

أ.د. نعمة شهاب جمعة

جامعة بغداد / كلية التربية / ابن رشد للعلوم الإنسانية / قسم

التاريخ

الأثر العلمي والفكري للإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) في المصنفات المغربية والأندلسية

هيفاء عليوي محيسن

أ.د. نعمة شهاب جمعة

الملخص

الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) علم من أعلام أئمة المسلمين وهو الإمام السادس من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين جعلهم الله تعالى قادة للعباد وساسة للبلاد، وهو المثل الأعلى والأسوة والقدوة للأمة الإسلامية في أمور الدين والدنيا. ونوراً من أنوار بيت النبوة ومنبع الرسالة المحمدية. فهو المعين الذي لا ينضب ومصدراً من مصادر استنباط الأحكام ومقصداً للعلماء والمفسرين وطلبة العلم من كافة أنحاء الأمة الإسلامية. وكتبت عن مكانته وعلمه الكثير من أعلام العلماء والمفكرين والباحثين وتتابعت آثاره في كتب الفقه وكتب التفاسير وكتب الحديث ومنهم علماء المغرب الأندلس، الأمر الذي شجعتني على البحث عن مكانة الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) في المصنفات المغربية والأندلسية، وهنا يمكننا القول بأن تاريخ التشيع بشكل عام وسيرة الإمام الصادق (عليه السلام) يشكل خاص أصابه الحيف من المؤرخين المغاربة والأندلسيين الذين في الغالب قد خضعوا لأهواء الحكام فكانوا من الموالين للسلطة الأموية، وهذا ما أثر سلباً عن قلة المصنفات المغربية والأندلسية التي تناولت سيرة هذا الإمام العظيم (عليه السلام).

كلمات مفتاحية: الأثر، الفكر، الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، المصنفات، المغرب، الأندلس.

Abstract

Imam Jaafar bin Muhammad al-Sadiq (peace be upon him) is one of the most eminent imams of the Muslims. He is the sixth imam of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) imams whom God Almighty has made leaders of the servants and politicians for the country. And a light from the lights of the house of prophecy and the source of the Muhammadan message. He is the inexhaustible source, one of the sources for deducing rulings, and a destination for scholars, commentators, and students of knowledge from all parts of the Islamic nation. I wrote about his position and his knowledge by many prominent scholars, thinkers and researchers, and his traces have continued in

books of jurisprudence, books of interpretations and hadith books, among them the scholars of the Andalusian Maghreb. Shi'ism in general and the biography of Imam al-Sadiq (peace be upon him) in particular was unfair by Moroccan and Andalusian historians, who often submitted to the whims of rulers and were loyal to the Umayyad authority, and this negatively affected the lack of Moroccan and Andalusian works that dealt with the biography of this great Imam (peace be upon him). .

Keywords: Impact, thought, Imam Jaafar bin Muhammad Al-Sadiq (peace be upon him), works, Al-Mughrib, Andalusia.

الأثر الفكري للإمام جعفر بن محمد

الصادق (عليه السلام) في المصنفات المغربية والأندلسية

كانت المدينة المنورة مأهولة بالصحابة والتابعين، زاخرة برجال الأمة، تنتظم فيها حلقات الفقه، وتكثر عليها الوفود من أطراف البلاد ومختلف الأقطار، ويتخرج فيها حفاظ الحديث والفقهاء؛ لأنها دار هجرة الرسول (ﷺ) وموطن الشرع ومبعث النور، وعاصمة الحكم الإسلامي الأول، وهي مهد السنن والمرجع للأمة ومعدن العلم والفقه، ولها المكانة السامية، وفيها أهل بيت النبي وعترة^(١)، واشتهر الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) بسعة علمه وعظيم خلقه وذكي تصرفه^(٢).

وذكر القاضي النعمان عصر أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر (عليه السلام) " لقد بذل في عصره من نعم الله عنده وأسبغ منها على العباد ما لم يكن مثله فيما تقدمه إذا وافقه ذلك الوقت وساعده العصر، ثم كان من أبي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه بعده من التضييق والإمساك أمر عظيم بقدر ما تهيأ في زمانه واتجه في عصره وأوانه"^(٣) ودرس على الإمام محمد بن جعفر الصادق (عليه السلام) كثير من علماء الظاهر وأقر بفضل الخالص والعام، فظهرت بركته، وعلت كلمته، وبث الدعوة وحدود الدين في الجزائر، وأخذ العهود، وكشف الحقائق^(٤).

وبعد البحث في المصنفات المغربية والأندلسية، لم نجد أي ذكر للأثر العلمي والفكري الذي قام به الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) في المدينة المنورة، فلم نر أي إشارة حول ذلك في المصنفات سوى ما ذكرته من أسماء لرواة الإمام جعفر بن محمد

الصادق (عليه السلام) وتلامذته من المذكورين بالفقه من العامة^(٥)، فقد تتلمذ على يديه رجالات الحديث وأئمة المذاهب وشيوخها، وممن روى عنه من المذكورين بالفقه ومنهم، أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي^(٦) ومالك بن أنس المدني^(٧).

عدّ الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) من شيوخ مالك وممن روى عنه^(٨) وسمع من الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) لكونه معه في المدينة فأسمعه، ولم يكسر عليه شيئاً لما أعرض عنه، وذلك أشدّ لبعده منه^(٩).

وذكر ابن عبد البر لمالك عن الإمام جعفر بن محمد (عليه السلام) في الموطأ من حديث النبي (صلى الله عليه وآله) تسعة أحاديث، منها خمسة متصلة، أصلها حديث واحد، وهو حديث جابر الحديث الطويل في الحج، والأربعة منقطعة تتصل من غير رواية مالك من وجوه^(١٠)، وكان من المؤيدين لنشاط العلويين ولنضالهم من أجل حقوقهم الشرعية حتى امتحن في سبيل ذلك على يد أبو جعفر المنصور فقد ذكر ابن تميم " فدرسوا إلى أبي جعفر المنصور من قال له: أن مالكا يفتي الناس أن إيمان البيعة لا تلزمهم لمخالفتك واستكراهك إياهم عليها. فدرس عليه جعفر بن سليمان (وكان والي المدينة آنذاك) بعض من لم يكن ما لم أن يخشى أن يؤتى من قبله، ومن مأمنه يؤتى الحذر. فسأله عن ذلك سرا فأفتاه بذلك طمأنينة إليه وحسبة منه، فلم يلبث مالك أن جاء فيه رسول جعفر بن سليمان، فأتى به منتهك الحرمة، مزال الهيبة، فأمر به جعفر ابن سليمان فضربه سبعين سوطاً " ويذكر في موضع آخر "ولما ولي فلان المدينة أتاه قوم لهم أنساب وشرف فقالوا له: إن مالكا يقع في أئمتنا ويضع منا، ويميل إلى عمر بن الخطاب وإلى ابنه، ولا يرى أن يحدث عن جعفر بن محمد حديثاً، قال فقال لهم: ما تريدون، قالوا: نريد أن تضربه بالسياط، قال: أن مالك بن أنس لا يقدم على مثله، فهل عندكم شهادة عليه بشيء نضربه عليه، فلم يجدوا ذلك، قال: فأتى بالموطأ فرأى في الموطأ حديثاً كثيراً عن جعفر بن محمد، فقال: ألم تحدثوني أنه لا يحدث عن جعفر بن محمد حديثاً، هذا موطأه يكثر فيه الحديث عن جعفر بن محمد، قالوا: والله ما نرضى إلا بضربه، فضربه ضرباً شديداً أذهب ضبعه^(١١) عن يمينه وفتقه فكانت تخرج منه الريح، فلم يشهد جمعة ولا جماعة سبع سنين"^(١٢). وروى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) أنس بن مالك^(١٣) وسهل بن سعد^(١٤) وسفيان الثوري^(١٥)

وسفيان ابن عيينة^(١٦)، والحسن بن صالح^(١٧) أيوب السختياني^(١٨) يحيى بن سعيد^(١٩)، وعمرو بن دينار^(٢٠) وابن جريج^(٢١)، وكثير من علماء العامة^(٢٢) وأخرج حديثه البخاري^(٢٣) في التاريخ^(٢٤) ومسلم^(٢٥) والأربعة^(٢٦) محمد بن علي الدغشي^(٢٧)، وأبو البختري^(٢٨)، وأبو عاصم^(٢٩).

ونلاحظ مما تقدم مدى ما أغفلته المصنفات المغربية والأندلسية من أن تمدنا بمعلومات وافية عن مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ونضجها الفكري والعلمي في عهدي الإمامين محمد بن علي الباقر وابنه جعفر بن محمد الصادق (عليهم السلام).

في حين أمدتنا المصادر المشرقية بالكثير من المعلومات حول أثر الإمامين الباقر وابنه الصادق (عليهم السلام) فاهتم الإمام الباقر (عليه السلام) برعاية هذه المدرسة العلمية وأفاد من الضعف الذي بدأ يدب في جسد الدولة الأموية فازدهرت هذه المدرسة في عصره وأصبح مرجعاً للعالم الإسلامي.

وكانت هذه المدرسة مأهولة بأبناء الصحابة والتابعين. وهناك العديد من الروايات التي تبين أنها كان يقصدها طلبة العلوم من مختلف البلدان ما يذكره جابر بن يزيد الجعفي^(٣٠) قائلاً: "دخلت على أبي جعفر (عليه السلام)

فقال لي: مَنْ اين أنت؟

فقلت من أهل الكوفة،

قال: ممن؟

قلت: من جعف،

قال: ما أقدمك إلى ههنا؟

قلت: طلب العلم،

قال: فإذا سألك أحد من أين أنت فقل من أهل المدينة،

قلت: أيحل لي أن أكذب؟

قال: ليس هذا كذبا. من كان في مدينة فهو من أهلها حتى يخرج"^(٣١).

واستطاعا الإمامان الباقر وابنه جعفر الصادق (عليهم السلام) أن ينشروا فكر آل محمد بشكل أكثر حرية من آبائهم الأئمة من قبلهم، فبدأ بتدريس مختلف أنواع العلوم وفنون المعرفة وأخذ

يوصي أصحابه وتلاميذه بالاستمرار بهذه المدرسة تحت قيادة ابنه الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام).

وفي جواب الإمام الباقر (عليه السلام) لجابر الجعفي عن القائم بعده، فضرب بيده على أبي عبد الله (عليه السلام) وقال: "هذا والله قائم آل بيت محمد" (٣٢).

ونلاحظ من هذه الرواية أن الإمام الباقر أراد الإشارة إلى أن الإمام الصادق (عليه السلام) هو الذي سيقوم بدور الإمامة من بعده ونشر علم وفكر أهل البيت (عليهم السلام) وأيضا كان يوصي ابنه الإمام الصادق (عليه السلام) بأصحابه ومدرسته، قال الامام الصادق (عليه السلام): "لما حضرت أبي الوفاة، قال: يا جعفر أوصيك بأصحابي خيراً، فقلت: جعلت فداك والله لأدعنهم والرجل منهم في المصر فلا يسأل أحدًا" (٣٣).

وذكرت المصادر المشرقية أن رواة الامام الصادق (عليه السلام) الذين رووا عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات، على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل (٣٤).

الهوامش والمصادر والمراجع:

- (١) حيدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ج ١، ص ٣٨١.
- (٢) بن حمده، عبد المجيد، المدارس الكلامية إلى ظهور الأشعرية، (ط ١، مطبعة دار العرب، تونس، ١٩٨٦م)، ص ١٨٢ .
- (٣) القاضي النعمان، المجالس والمسائرات، ص ١٢٣.
- (٤) القرشي، الداعي إدريس عماد الدين (ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)، كتاب زهر المعاني، تقديم وتحقيق: مصطفى غالب، (ط ١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩١م)، ص ١٩٦.
- (٥) القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج ٣، ص ٢٩١-٢٩٢؛ ابن تميم، المحن، ص ٢٩٢؛ ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ، مج ٢، ص ٦٢؛ المالكي، الفصول المهمة، ج ٢، ص ٩٠٨-٩٠٩؛ البري، الجوهرة، ج ١، ص ٥٦؛ الفضيلي، الدرر البهية، ص ٢٠٢.

(٦) أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة، إمام الحنفية، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، كان عالماً، عاملاً، زاهداً، عابداً، ورعاً، تقياً، كثير الخضوع دائم التضرع إلى الله تعالى، ولد سنة (٨٠هـ/٦٩٩م) هـ، أصله من أبناء فارس، ولد ونشأ بالكوفة، وكان خزاناً يبيع الخز ويطلب العلم في صباحه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء وأراده يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقيين على القضاء بالكوفة أيام مروان بن الحكم - آخر ملوك بني أمية - فامتنع ورعاً، فضربه ١١٠ اسواط كل يوم ١٠ اسواط، وهو على الامتناع، فلما رأى ذلك خلى سبيله وأراد المنصور العباسي بعد ذلك على القضاء ببغداد، فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل فحبسه إلى أن مات، توفي سنة (١٥٠هـ/٧٦٧م) وكانت وفاته في السجن، له مسند في الحديث جمعه تلاميذه والمخارج في الفقه رواه عنه تلميذه أبو يوسف. القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج ٣، ص ٢٩١؛ ابن عبد البر، الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى، ج ١، ص ٥٧٢-٥٧٣؛ ابن قنفذ، وفيات ابن قنفذ، ص ١٢٩-١٣٠.

(٧) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري المدني حليف بني تيم من قريش وأمه عالية بنت شريك الأزدي، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكية. ولد بالمدينة المنورة سنة (٩٣هـ/٧١١م) وقيل (٩٤هـ/٧١٢م) وقيل (٩٥هـ/٧١٣م) بالمدينة، وتوفي بها سنة (١٧٩هـ/٧٩٥م) دفن بالبقيع، كان ثقةً، مأموناً، ثبتاً، ورعاً، فقيهاً، عالماً، حجة. القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج ٣، ص ٢٩١؛ ابن قنفذ، وسيلة الإسلام بالنبي، ص ١٤٦؛ وفيات ابن قنفذ، ص ١٤١-١٤٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ١٥٤.

(٨) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج ٢، ص ٥٢، السبتى، أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد (ت ٧٢١هـ/١٣٢١م)، السنن الأبين والمورد الامعن في المحاكمة بين الامامين السند والمنعن، تح: ابو عبد الرحمن صلاح بن سليم المصراطي، (ط ١)، مكتبة الغرباء الأثرية، المملكة العربية السعودية، (٩٩٧م)، ص ١١٨، السوسي، أبي عبد الله محمد بن أحمد (ت ١١٨٩هـ/١٧٧٥م)، الرحلة الحجازية، (ط ١)، مركز الدراسات والأبحاث وأحياء التراث، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، المغرب، (٢٠١١م)، ص ٦٠.

(٩) القاضي النعمان، دعائم الاسلام، ج ١، ص ٩٦.

(١٠) التمهيد لما في الموطأ، مج ٢، ص ٧٠.

- (١١) بضع: بضعت اللحم أبضعه بضعا ويضعته تبضيعا أي جعلته قطعاً والبضعة القطعة من اللحم. الفراهيدي، العين، ج ١، ٢٨٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٢٣٢٧.
- (١٢) المحن، ص ٢٦٤ - ٢٦٧ - ٢٦٨.
- (١٣) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي ابن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة الأنصاري النجاري البصري خادم رسول الله، يكنى أبا حمزة قديم المدينة وهو ابن عشر سنين وشهد بدر وهو غلام مات سنة ثلاث وتسعين وهو ابن مئة سنة وثلاث سنين في قصره بـ"الطف" على فرسخين من البصرة سنة إحدى وتسعين ودفن هناك. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (ط ١، دار الاعلام، الأردن، ٢٠٠٢م)، ص ٥٣-٥٤.
- (١٤) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن الحارث بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الساعدي الأنصاري، يكنى أبا العباس توفي سنة ثمان وثمانين وهو ابن ست وتسعين وقيل توفي سنة إحدى وتسعين، وقد بلغ مئة سنة وهو آخر من بقي بالمدينة من أصحاب رسول الله (ﷺ). ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٣٠٨-٣٠٩.
- (١٥) سفيان بن سعيد الثوري من بني ثور بن عبد مناة، من أهل الكوفة كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى وإماماً من أئمة المسلمين، ولد في خلافة سليمان بن عبد الملك، طلبه المنصور والمهدي فتوارى وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً سنة (١٦١هـ/٧٧٧م). ابن تميم، المحن، ص ٢٣٠؛ البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ٢١٩.
- (١٦) سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي مولى لقوم من ولد عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة رهط ميمونة زوج النبي (ﷺ) ويكنى أبا محمد، ولد بالكوفة سنة (١٠٧هـ/٧٢٥م) وتوفي بها سنة (١٩٨هـ/٨١٣م)، وهو من أصحاب الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) وكان إماماً عالماً ثباتاً زاهداً ورعاً مجتمعاً على صحة حديثه وروايته، وكان جده أبو عمران عاملاً من عمال خالد القسري. ابن قتيبة، المعارف، تح: ثروت عكاشة، (ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م)، ص ٥٠٦-٥٠٧؛ ابن قنفذ، الوفيات، ص ١٩٤؛ الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ٩، ص ١٦٤-١٦٥.
- (١٧) الحسن بن صالح وفي الأصل حي بن صالح، أبو عبد الله الحسن بن صالح بن حي الهمداني الثوري الكوفي ولد سنة (١٠٠هـ/٧١٨م) من زعماء الفرقة البترية من الزيدية توفي مختفياً في الكوفة سنة (١٦٨هـ/٧٨٤م). القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج ٣، ص ٢٩١.

(١٨) أيوب السختياني، أبو بكر كيسان بن أبي تميمه ويقال: ولاؤه لطيبة، وقيل لجهينة، عداؤه في صغار التابعين وقيل: مولى عمار بن ياسر، ولد سنة (٦٦٦هـ/٦٨٥م) وقيل سنة (٦٦٨هـ/٦٨٧م) سيد فقهاء عصره تابعي من النساك الزهاد من أصحاب الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، وقيل مات بالطاعون سنة (١٣١هـ/٧٤٨م). القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج٣، ص٢٩٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦، ص١٩٦-١٩٧.

(١٩) يحيى بن سعيد بن قيس بن فهد بن عمرو بن سهل، أحد الأعلام الحافظ شيخ الإسلام أبو سعيد الأنصاري النجدي المدني قاضي المدينة ثم قاضي القضاة للمنصور العباسي، حدث عن أنس بن مالك والسائب بن يزيد وأبي إمامة بن سهل وسعيد بن المسيب والقاسم بن محمد، ثقة فقيه، كنيته أبو نصر، مات بالهاشمية سنة (١٤٣هـ/٧٥٩م) قبل أن تبنى بغداد. الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي (ت٣٢٧هـ/٩٣٨م)، الجرح والتعديل، (ط١)، دار أحياء التراث العربي، بيروت، (١٩٥٢م)، ج٩، ص١٤٧؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٠٤-١٠٥؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكبري (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، (ط١)، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، (١٩٨٦م)، ج٢، ص٢٠٠.

(٢٠) عمرو بن دينار أبو محمد الأثرم عمرو بن دينار الجمحي بالولاء كان مفتي أهل مكة، ولد سنة (٤٦هـ/٦٦٦م) وتوفي سنة (١٢٦هـ/٧٤٣م). القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج٣، ص٢٩٢.

(٢١) ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج يكنى أبا خالد وأبو خالد، كان عبداً لأم حبيب بنت جبير زوج عبد العزيز بن عبد الملك بن خالد بن أسد فنسب إلى ولائه، ولد سنة (٨٠هـ/٦٩٩م)، ثقة فقيه، كان امام أهل الحجاز في عصره، وأول من صنف الكتب في العلم بمكة، رومي الأصل من موالى قريش وقدم بغداد على أبي جعفر المنصور ومات سنة (١٤٩هـ/٧٦٦م) وقيل (٥٠هـ/٦٧٠م). البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، تاريخ بغداد، تح: د. بشار عواد معروف، (ط١)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (٢٠٠٢م)، ج١٢، ص١٤٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٣٣٤؛ ابن قنفذ، الوفيات، ص١٣٠.

(٢٢) القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج٣، ص٢٩٢.

(٢٣) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الجعفي بالولاء، البخاري، الإمام صاحب الصحيح والتاريخ في علم الحديث، الحافظ لحديث رسول الله وصاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري. ولد في بخارى سنة (١٩٤هـ/٨٠٩م) ونشأ يتيماً وفي سنة (٢١٠هـ/٨٢٥م) رحل في طلب الحديث إلى سائر محدثي الأمصار، فزار خراسان والجزبال ومدن العراق والحجاز والشام ومصر، وجمع نحو ٦٠٠ ألف حديث اختار منها صحيحه، مات في قرى سمرقند، فمات فيها سنة (٢٥٦هـ/٨٦٩م). البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٢، ص ٣٤٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٢، ص ٥٠-٥٣-٥٥؛ المزي، تهذيب الكمال، ج ٢٤، ص ٤٣١؛ ابن قنفذ، الوفيات، ص ١٨٠.

(٢٤) الفأسي، الاشراف، ج ١، ص ١٢٠، الفضيلي، الدرر البهية، ٢٠٢.

(٢٥) أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين صاحب الجامع الصغير المعروف بصحيح مسلم، ولد سنة (٢٠٤هـ/٨١٩م) بنيسابور ورحل الى العراق والحجاز والشام ومصر، وقدم بغداد مرارا فروى عنه أهلها، توفي بظاهر نيسابور سنة (٢٦١هـ/٨٧٤م). ابن قنفذ، الوفيات، ص ١٨٥.

(٦) وهو البخاري محمد بن اسماعيل، ومسلم بن الحجاج القشيري، والشافعي محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف القرشي المكي، ولد سنة (١٥٠هـ/٧٧٦م) وتوفي في اخر رجب سنة (٢٠٤هـ/٨١٩م)، أحمد بن حنبل بن هلال بن أسعد الذهلي الشيباني، ولد في بغداد سنة (١٦٤هـ/٧٨١م) وفيها نشأ وشغف بالسنة حتى صار أحد أئمتها في عصره، وتتلذذ على الامام الشافعي وتوفي سنة (٢٤١هـ/٨٥٥م). ابن عياض، الشفا، ص ٢٣٧-٣٧٦.

(٢٧) محمد بن علي بن جعفر الدغشي وابنه عبد الله كانا من أهل إفريقية وسمع من جعفر بن محمد، روى عن أبيه وأبوه، عن جعفر بن محمد. ابن تميم، طبقات علماء إفريقية وكتاب طبقات علماء تونس، (دار الكتاب، بيروت، د.ت)، ص ٩٩-١١١.

(٢٨) أبو البخترى القاضي القرشي الأسدي وهب بن كثير بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، كان قاضياً للخليفة الرشيد ببغداد، بها توفي سنة (٢٠٠هـ/٨١٥م)، روى عن هشام بن عروة وجعفر بن محمد. ابن عبد البر، الاستغناء، ص ٤٦٦-٤٦٧.

- (٢٩) الضحاك بن مخلد الشيباني أبو عاصم النبيل وهو ابن مخلد بن الضحاك قال أنه روى عن الإمام جعفر بن محمد حديثاً واحداً. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٤، ص ٣٦٠.
- (٣٠) جابر بن يزيد: أبو عبد الله وقيل أبو محمد الجعفي عري، نسبه ابن الحرث بن عبد يغوث بن كعب بن الحرث بن معاوية بن وائل بن حرار بن جعفي. لقي أبا جعفر وأبا عبد الله (عليهما السلام) روى عنهما (عليهما السلام) مات سنة (١٢٨هـ/٧٤٥م) له أصل. ابن سعد، أبو عبد الله محمد (ت: ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تح: علي محمد عمر (ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١م) ج ٨، ص ٤٦٥؛ البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، التاريخ الكبير، (دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، الدكن، د. ت)، ج ٣، ص ٢١٠؛ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٣٨٥هـ/٩٦٨م)، رجال الطوسي، تح: جواد الفيومي الأصفهاني، (ط ٥، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ١٤٣٠هـ)، ص ١٢٩.
- (٣١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٣٣٢-٣٣١.
- (٣٢) الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٨٦، المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ١٧١؛ النيسابوري، محمد بن الفضال (ت ٥٠٨هـ/١١٤م) روضة الواعظين، تح: غلامحسين المجيدي، مجتبي الفرجي، (ط ٢، مطبعة نكارش، قم المقدسة، ١٤٣١هـ/٢٠٢١م)، مج ١، ص ٤٧٠؛ الطبرسي، أعلام الوري، ج ١، ص ٥١٦؛ الأربلي، كشف الغمة، ج ٢، ص ٣٨٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ١٢.
- (٣٣) الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٨٥؛ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ١٧٦؛ النيسابوري، روضة الواعظين، ص ٤٧١؛ الطبرسي، أعلام الوري، ص ٥١٦؛ ابن شهر آشوب، مناقب ابن شهر آشوب، ص ٣٧٢؛ الأربلي، كشف الغمة، ج ٢، ص ٣٨٠.
- (٣٤) المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ١٧٦؛ الطبرسي، أعلام الوري، ص ٥٣٢؛ ابن شهر آشوب، مناقب ابن شهر آشوب، ص ٣٧٢؛ الأربلي، كشف الغمة، ج ٢، ص ٣٨٠.

التعليم المبرمج

عبد الله منذر نجم

الجامعة المستنصرية

كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة

التعليم المبرمج

عبد الله منذر نجم

المقدمة

إن التطور المستمر للمعرفة العلمية والزيادة الكبيرة في أعداد المتعلمين والنقص الشديد في أعداد المدرسين جعلت الكثير من الدول تستخدم طريقة في التعلم تمكن المتعلم أن يتعلم بنفسه تبعاً لسرعته وإمكاناته الخاصة ، حيث تؤكد الاتجاهات التربوية على أهمية التعلم الذاتي الذي ينقل العملية التعليمية من الاهتمام بالمادة الدراسية إلى الاهتمام بالمتعلم ليتعلم حسب ميوله واستعداداته وقدراته ، ويكون دور المعلم مرشداً وموجهاً للمتعلم ، وفي نفس الوقت يعد التعلم المبرمج أول محاولة في هذا المجال فقدم للتعليم وسيلة يستطيع المعلم من خلالها التخلص من الأعمال الروتينية ويوفر لديه الوقت لأداء أنشطة مهارية أكثر وهذا ما يسمى (بالتعلم المبرمج) ، حيث أنه نوع من التعلم الآلي يؤدي إلى استيعاب المتعلم للموضوع المطلوب دراسته عن طريق تقسيمه إلى خطوات أو عناصر صغيرة مرتبة ومتتابعة ويوجد بينها علاقات تهدف إلى تجنب المتعلم للأخطاء .

ويعرف فخر الدين القلا بأنه (سلسلة من العمليات التي تعطى للدارس كمثيرات يعمل الدارس بها بسرعه الذاتية فيقوم باستجابة حتى يصل إلى نهاية البرنامج .

ويعرف على انه التعليم بواسطة برنامج تقسم فيه المعلومات إلى أجزاء وترتب ترتيباً منطقياً بحيث يستجيب لها المتعلم تدريجياً حتى نحصل على النتيجة المقصودة.

كما يعرف أيضاً على انه استخدام برنامج وإجراءات تكون فيما بينها برنامجاً في التعلم الذاتي ، أي وضع خطة ممكنة لعمل منسق أو سلسلة من العمليات المعدة سلفاً لتشكل في مجموعها عملية تعليمية واحدة متكاملة تقدم للمتعلم لتوصله إلى أغراض سلوكية محددة ،

التعليم المبرمج

في حين عرفه آخرون على أنه طريقة حديثة في التعلم تؤكد على التعلم الذاتي للمتعلم وتعتمد على مبدأ الاستجابة والتعزيز وتكون المواد والمواضيع الدراسية فيها مقسمة إلى سلسلة خطوات صغيرة متتابعة تتدرج بالمتعلم من الأمور السهلة إلى الصعبة ومن البسيطة إلى الأكثر تعقيداً .

مفهوم التعليم المبرمج:

التعليم المبرمج عبارة عن استراتيجية لترتيب المحتوى التعليمي في أطر أو خطوات صغيرة مرتبة ترتيباً منطقياً، بحسب الأهداف السلوكية للمحتوى، وينتقل التلميذ في تعلمه لها انتقالاً تدريجياً، فلا ينتقل إلى إطار إلا إذا أتقن الإطار الذي يسبقه، ويتكون الإطار من أربعة مكونات: المحتوى (المادة التعليمية)، والمثير (السؤال)، والاستجابة (وهي إجابة التلميذ)، والتعزيز أو التغذية الراجعة الفورية، التي قد تكون على شكل مادة مكتوبة، أو مرئية، أو مسموعة.

أو هو: "طريقة من طرق التعليم الفردي، تُمكن الفرد من أن يعلم نفسه بنفسه (ذاتياً)، بواسطة برنامج معد بأسلوب خاص يسمح بتقسيم المعلومات إلى أجزاء صغيرة، وترتيبها منطقياً وسلوكياً، بحيث يستجيب لها المتعلم تدريجياً، ويتأكد قدر من صحة استجابته حتى يصل في النهاية إلى السلوك النهائي المرغوب فيه.

أو هو نوع من أنواع التعليم الذاتي الذي يعمل المعلم بموجبه على قيادة المتعلم وتوجيهه نحو السلوك المنشود لبرنامج تعليمي أعد لتعلم مادة تعليمية إعداداً خاصاً، وتم عرضه في صورة كتاب، أو آلة تعليمية.

ويتضح من التعريفات السابقة أنها جميعاً تتحد في:

-التعليم المبرمج طريقة من طرق التعليم.

-تصاغ المادة العلمية في خطوات صغيرة ومتسلسلة منطقياً.

-جميع الخطوات مرتبطة ببعضها، ويتبع كل خطوة تعزيز لإجابة المتعلم الذي لا يستطيع الانتقال من خطوة إلى أخرى دون إتقانه للأولى.

-يتعلم كل متعلم بمفرده (ذاتياً).

التعليم المبرمج

- يتركز النشاط في التعليم حول المتعلم الذي يتحمل المسؤولية جميعها.
- يمكن عرض البرامج في صور مختلفة، كالكتب المبرمجة أو الآلات التعليمية أو أجهزة العرض.
- طريقة التعليم المبرمج تعد من طرق التعليم الذاتي التي تنادي بها التربية الحديثة.

أهميه التعلم المبرمج ودوره في عملية التعلم :

للتعلم المبرمج أهمية ودور فاعل في عملية التعلم ، حيث يتم الاعتماد عليه في اغلب المدارس والجامعات والمؤسسات لما له من أثار ايجابية في التعلم ومنها الآتي :

- يساهم في سرعة التعلم.
- يساعده اقتصاد زمن التعلم والجهد المبذول .
- يساعد على مواجهة الإعداد المتزايد من المتعلمين
- يساعد على مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين
- يساعد على إثارة حماس المتعلمين وتشويقهم للعمل بالدرس بفاعلية .
- يقدمه المدرس من تعزيز عند الإجابة يوفر للطالب التغذية الراجعة من خلال الصحيحة.
- يساعد المتعلم على اكتساب مهارات التعلم الذاتي تدريجياً.
- إيجابية المتعلم في علاقته بالمادة التعليمية وتفاعله المستمر .
- يساعد كل تلميذ أن يتعلم تبعاً لسرعته الخاصة.
- يوفر جهد المعلم ويتيح له التفرغ لأعمال تربوية أخرى مثل التوجه والإرشاد.

مميزات التعليم المبرمج:

- هناك عدة مميزات للتعليم البرنامجي يمكن ان نلخصها كالآتي :
- ١- يستلزم صياغة الاهداف بطريقة محددة وواضحة حتى يمكن وصف السلوك الذي يكون عليه الطالب بعد تعلمه البرنامج .
 - ٢- يساعد في تقديم المادة العلمية للطلبة بطريقة مبسطة وفي خطوات متتابعة .
 - ٣- يجعل الطالب نشطاً طوال الوقت حيث يستجيب الطالب لكل اطار من اطر البرنامج ، حيث يدرك بعد كل استجابة يقوم بها انه قد تعلم واكتسب شيئاً جديداً.
 - ٤- التعليم البرنامجي يبين للطالب ما اذا كانت استجابته صحيحة او خاطئة وتدعى هذه الخاصية التغذية الراجعة .
 - ٥- التعليم البرنامجي يساعد كل طالب ان يتعلم تبعاً لسرعته الخاصة.

أهداف التعليم المبرمج:

- ١- تعلم الفرد كيفية مزاولته أو ممارسته للخبرات التعليمية بنفسه.
- ٢- تأكيد قدرة المتعلم على إدراك جوانب الموقف التعليمي.
- ٣- استخدام المتعلم لقدراته، وتوظيف استعداداته في سبيل الوصول إلى غايته.
- ٤- المرونة في ا لممارسة العملية للمتعلم وفقا لإمكانياته الدراسية أو التحصيلية.
- ٥- إكساب المتعلم الثقة بنفسه نتيجة تحمله مسؤولية التعليم والاعتماد على قدراته الذاتية.

دور المعلم في التعلم المبرمج :

يختلف دور المعلم في التعلم المبرمج عن دوره في التعليم المتبع لأن مهمته التعليمية تتقلص وتزداد مهماته الإدارية ، ومن أهم مهمات المعلم هي :

- يخطط ويصمم المواد التعليمية اللازمة لنشاطات الطالب ويرتب مراحل الدرس ونشاطاته
- ينظم ويرتب أعمال الطلاب ونشاطاتهم.
- يشخص الأخطاء والصعوبات التي يعاني منها المتعلمين أثناء التعلم.
- يهيئ الوسائل التعليمية التي يستخدمها المتعلمون.

التعليم المبرمج

- يقوم بدور الموجه والمرشد للمتعلم الذي يعينه على كيفية استخدام هذا البرنامج والسير به والمرشد للمتعلم الذي يعينه على كيفية استخدام هذا البرنامج والسير فيه
- يختار المادة العلمية التي يتناولها الطلاب كما يختار الأهداف السلوكية. • يعد المبرمج الذي يرجع إليه المتعلم كلما واجه صعوبة أثناء عملية التعلم.

مبادئ التعليم المبرمج:

يرى "حسين الطوبجي" (١٩٨٨م) أن أهم مبادئ التعليم المبرمج هي:

- تقسيم كل عمل أو مهمة إلى الخطوات الصغيرة التي تتكون منها.

- الاستجابة والمشاركة الإيجابية.

- المعرفة الفورية لنتيجة الاستجابة التي تمت أو التعزيز.

- السير في التعليم حسب قدرة المتعلم الشخصية.

- الاعتماد على التقييم الذاتي للمتعلم

أما هارتلي (Hartely ١٩٧٠) فقد حدد أهم مبادئ التعليم

المبرمج فيما يلي:

- يجب أن يعمل التلميذ في البرنامج بمفرده وبسرعته الخاصة.

- يجب أن يعمل التلميذ في أطر صغيرة متدرجة الصعوبة وأن يطلب منه الاستجابة بطريقة محددة.

- يجب أن يصمم البرنامج بحيث يسمح بأقل قدر من الخطأ في استجابة الدارس.

- يتم بعد كل إطار مباشرة معرفة نتيجة الاستجاب

انواع التعليم المبرمج^١

للبرمجة نوعان وهما البرمجة الخطية او ما يعرف بالبرمجة الطولية والبرمجة الفرعية وسيأتي ذكر كل واحدة مفصلاً في ادناه .

اولاً :- البرمجة الخطية :

يحتوي على عدد كبير من الخطوات الصغيرة في عرض المهارة او المعلومة وتأتي التمارين والاسئلة مبرمجة بطريقة لا تسمح سوى بإجابة واحدة صحيحة ، وبعد ان يعطي المتعلم الاجابة ، تعرض عليه الاجابة الصحيحة مباشرةً فاذا كان هناك عدم توافق بين الاجابتين قام المتعلم بإعادة التجربة قبل السماح له بالانتقال الى الجزء التالي ، اما اذا تطابقت الاجابة يسمح له فوراً بالانتقال الى الجزء التالي

ثانياً :- البرمجة المتشعبة^(١) :

ويختلف هذا النوع من البرامج الخطية في اعداد من الجوانب حيث تكون اطار المعلومات اكبر حجماً وتعقبها اسئلة وتطرح بعدها اجابات عديدة واحدة فقط هي التي تكون صحيحة وهذا ما يمثل الاختيار من متعدد وتختار الاجابات فيه ، وعندما يتوصل المتعلم الى الاجابة الصحيحة يقدم له البرنامج اطاراً جديداً يؤكد له تبريرا لإجابته الصحيحة ، ثم يزوده بمعلومات جديدة واما اذا اخطأ فيتم تزويده بمعلومات اضافية قبل السماح له بمتابعة الدرس ويعتمد على توقع خطأ المتعلم وبالتالي يعتمد المبرمج او المصمم بتحديد الاخطاء المحتملة ويضع لها الحلول المناسبة وهو بذلك يتيم للمتعلم لإجابة خاطئة فسوف يجد تعليلاً لما وقع فيه من خطأ ويطلب منه العودة الى اطار سابق يجد فيه شرحاً للسبب في كون اجابته خاطئة مع توضيح المادة التعليمية ثم ينتقل الى اطار اخر ويواصل التسلسل الرئيسي للمعلومات والاسئلة

(١) عبدالرحمن العيسوي ، القياس والتجريب في علم النفس والتربية ، By Hasan R H Mahdi • Posted in

Tagged

(٢) المياحسن الديوان ، اساليب في تدريس التربية الرياضية ، مطبعة النخيل ، البصرة ، ط ١ ، ٢٠٠٩ ، ص ٣١ .

(٣) المياحسن الديوان ، مصدر سبق ذكره ، ط ١ ، ٢٠٠٩ ، ص ٣١

إيجابيات التعلم المبرمج :

يتمتع التعليم المُبرمج بالعديد من المزايا والإيجابيات التي تجعل منه أسلوباً ناجحاً، وفي بعض الأحيان يتفوق على التعليم بالأسلوب التقليدي؛ ذلك لأنه يُدرك ويتفهم القدرات والاحتياجات الفردية المختلفة للمتعلمين. وفيما يأتي بعض من إيجابيات استخدامه:

- ١- يتيح للمتعلم أن يسير في البرنامج وفق السرعة التي يستطيعها بدلاً من أن يُرغم على السير وفق سرعة لا تناسبه.
- ٢- يمنح المعلمين مزيداً من الوقت من أجل التركيز على المهام المعقدة.
- ٣- يقلل وقت التدريس
- ٤- يمنح فرصة للتعلم الذاتي
- ٥- يقوي التغذية الراجعة الفورية وتعزيزها .
- ٦- يقلل نسبة الخطأ والفشل للمتعلم في عملية التعليم

سلبيات وعيوب التعليم المبرمج:

يواجه التعليم المُبرمج انتقاداً كبيراً يتمثل في قلة التفاعل بين الطالب والمعلم؛ ذلك لأنّ الأبحاث والدراسات أثبتت أنّ الطلاب ينجحون وتتنامي مهاراتهم بشكل أفضل في ظلّ وجود الدافع البشري المتأهل الموجود في الوضع التعليمي التقليدي، وفيما يأتي بعض عيوب وسلبيات لاستخدام التعليم المُبرمج:

- ١- يُعدُّ تطوير برامج التعليم المُبرمج أمراً صعباً، ومكلف مادياً، ويحتاج لوقت
- ٢- يحقق الأهداف المعرفية فقط
- ٣- لا يمنح الطلاب الفرصة والمجال للإبداع؛ ذلك لأنّ إجاباتهم وردودهم مُنظمة ومحددة للغاية
- ٤- لا يمكن اعتماده كأسلوب تعليمي لمستويات التعليم الابتدائي أو مستويات التعليم العالي
- ٥- يفسد الأنظمة واللهجة التأديبية داخل الصفوف في ظل غياب المعلم
- ٦- يُقدّم محتوى الموضوع التعليمي في فترة زمنية مُحددة، ويُمكن أن يُشكّل هذا الأمر صعوبةً بالنسبة لبعض الطلاب.

- ١- وسام صلاح عبد وسامر يوسف متعب ، التعلم الحركي وتطبيقاته في التربية البدنية، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٤، ص ١٦١
- ٢- محمد سعد زغلول واخرون ، تكنولوجيا التعليم واساليبها في التربية الرياضية ، مركز الكتاب ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠١ ، ص ٦١ .
- ٣- انور محمد الشرقاوي ، التعلم نظريات وتطبيقات ، مكتبة الانجلو ، مصر ، ١٩٩٨ ، ص ٦٢ .
- ٤- ممدوح عبد المنعم الكناني واحمد محمد مبارك ، سيكولوجية التعلم وانماط التعليم ، مكتبة الفلاح ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ص ١٩٦ .
- ٥- يوسف قطامي ، سيكولوجية التعلم والتعليم الصفّي ، دار الشرق ، ط١ ، ١٩٩٨ ، ص ٣٣ ،
- ٦- لمياءحسن الديوان ، اساليب في تدريس التربية الرياضية ، مطبعة النخيل ، البصرة ، ط١ ، ٢٠٠٩ ، ص ٣١ .

**الصحفيين اللبنانيين وأثرهم في تطور الصحافة
المصرية في القرن التاسع عشر**

**Lebanese journalists and their impact on the
development of the Egyptian press in the
nineteenth century**

**ا.م. ايمان عبد الله حمود
Eman Abdullah Hmood**

emanAbdullah@coeduw.uobaghdad.edu.iq

07813960305

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

الصحفيين اللبنانيين وأثرهم في تطور الصحافة المصرية في القرن التاسع عشر

ا.م. ايمان عبد الله حمود

الملخص:

شهد القرن التاسع عشر بزوغ نجم العديد من الصحفيين اللبنانيين في مصر، وقد كان لهؤلاء الصحفيين اللبنانيين دورًا كبيرًا وأثرًا بالغًا في تطور الصحافة المصرية، ففي مصر ظهر الكثير من الشخصيات البارزة من أصل لبناني ساهمت بشكل كبير في إثراء الثقافة المصرية والنهوض بالصحافة المصرية والارتقاء بها، مثل الأخوان سليم وبشارة تقلا، فارس نمر، يعقوب صروف، شاهين مكاريوس، سليم النقاش، وسليم حموي، وكانت الغالبية العظمى من اللبنانيين وغيرهم من المشرقيين الذين كانوا يقيمون في مصر من المتعلمين تعليمًا عاليًا ويتحدثون الفرنسية، ولذا ساهموا بشكل فعال في تطور الصحافة المصرية خلال القرن التاسع عشر.

Abstract

Lebanese journalists and their impact on the development of the Egyptian press in the nineteenth century

The nineteenth century witnessed the emergence of many Lebanese journalists in Egypt, and these Lebanese journalists had a great role and a profound impact on the development of the Egyptian press. Such as the brothers Selim and Bishara Takla, Faris Nimr, Yaqoub Sarouf, Shaheen Makarios, Salim al - Naqash, Salim Hamwi, and the vast majority of the Lebanese and other Levantines who were residing in Egypt were highly educated and spoke French, and therefore they contributed effectively to the development of the Egyptian press during nineteenth century.

الكلمات المفتاحية:

Thepress	الصحافة
Lebanon	لبنان
Development	تطور
Egypt	مصر
Effect	اثر

للصحفيين اللبنانيين دور كبير وأثر بالغ في تطور الصحافة المصرية في القرن التاسع عشر، ففي مصر ظهر الكثير من الشخصيات البارزة من أصل لبناني ساهمت بشكل كبير في إثراء الثقافة المصرية والنهوض بالصحافة المصرية والارتقاء بها، مثل الأخوان سليم وبشارة تقلا وفارس نمر ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس وسليم النقاش وسليم حموي، وكانت الغالبية العظمى من اللبنانيين وغيرهم من المشرقيين الذين كانوا يقيمون في مصر من المتعلمين تعليماً عالياً ويتحدثون الفرنسية.

وخلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ازداد عدد اللبنانيين الوافدين إلى مصر، كون ان لبنان كان جزءاً من سوريا العثمانية خلال ذلك الوقت، فقد هاجر المسيحيون من جميع أنحاء بلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين) إلى مصر بوصفهم جماعة واحدة تحت اسم الشوام، وخلال تواجد اللبنانيين في مصر، ساهموا بشكل فاعل في الحياة الثقافية الإعلامية، لاسيما في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وطول القرن العشرين. ومن تلك الشخصيات من لا يعرف البعض أصولهم اللبنانية، وفي هذه الدراسة، سوف نتناول الصحفيين اللبنانيين وأثرهم في تطور الصحافة المصرية في القرن التاسع عشر.

كانت الصحافة المصرية تتمتع بحرية أوسع نسبياً وبظهور نهضة ثقافية بين المتعلمين والمتفقيين في القرن التاسع عشر، وكانت تلك الصحف متطورة نسبياً، بعد أن كانت في بدايتها ركيكة الأسلوب، رديئة الطباعة، سيئة الإخراج، وقد أصبحت فيما بعد تعنتي بأسلوبها وإخراجها، وتميزت بمقالات ممتازة وراقية^(١).

وقد فتحت الصحافة المصرية جناحيها للصحفيين الشاميين بعد أن جربت الصحافة المصرية بجهد المصريين وأقلامهم، فأقبل هؤلاء على اصطناع القلم واتخذوا الصحافة حرفة لهم حتى كان أكثر أصحاب الصحف من أهل الشام والبلاد المجاورة لها كصابونجي^(٢)، ومجلة «النحلة». وكان لبعض تلك الصحف مواقف كريمة أخذت فيها جانب الخديوي المصري ودافعت عن استقلال مصر، فقد بدأت العلاقات بينه وبين السلطان حين استوزر نوبار باشا، وكلفه الدفاع عن وجهة نظر مصر في بعض المسائل المصرية في أوروبا، فاتصل نوبار بالحكومة الأوربية وتحدث معها في أمر إنشاء المحاكم المختلطة، فأذاعت السفارة العثمانية في صحف فرنسا أنها تحذر المسؤولين وعامة الناس من معاملة شخص يسمى نوبار باشا ويدعي لنفسه لقب وزير الخارجية المصري، لأن مصر كلها ليس لها صفة دولية ولا حق لها في تعاقد دولي، فكان أن ردت الصحف المصرية على السفارة التركية وأخذت تناقشها

الرأي وتؤكد حق مصر في مصالحها الخاصة، لأن مصر لا يمكن أن تنزل إلى مكان الولايات العثمانية الأخرى وقد سبق لها أن أمضت عقد قناة السويس دون تدخل تركيا أو وصايتها. ولما كانت الصحافة الشعبية في نشأتها الأولى يقوم على تحريرها جماعة من الشاميين، وهي حقيقة تاريخية لا ينكرها أحد، لذلك وجب علينا أن نبحث قبل التأريخ لتلك الصحافة- إلى أي مدى بلغت تلك الحقيقة التاريخية من التقدير والاعتبار، فلويس شيخو يقر، "أنه كان للسوريين في تلك الحركة نصيب عظيم حتى كان أكثر تلك المنشورات ومنشئها من أهل سوريا وزاد" (٣).

سليم وبشارة تقلا وتأسيس جريدة الأهرام

سليم تقلا، رئيس الوفد اللبناني حضرة صاحب المعالي سليم تقلا بك وزير الخارجية؛ من أعلام "صحيفة الأهرام"، وهو من مواليد بلدة كفرشيماء عام ١٨٤٩م (٤)، وكان من أوائل الصحفيين الذين قاموا برحلات إلى أوروبا ووافى جريدته بمقالات خاصة، كما التقى بكبار الشخصيات العالمية، ومنهم السلطان عبد الحميد عام ١٨٨٩م في قصر يلدز في إسطنبول، وكانت لغته لغة صحافة خالية من الزخارف اللفظية والسجع، وفي ٢٧ كانون الأول ١٨٧٥م، تأسست صحيفة «الأهرام» عام ١٨٧٥ بمدينة الإسكندرية بجهود سليم تقلا (١٨٤٩-١٨٩٢) وأخوه بشار تقلا (١٨٥٢ - ١٩٠١)، وصدر أول عدد منها في ٥ اب ١٨٧٦، وكانت أسبوعية في أول أمرها، ثم أصبحت يومية (٥).

حين بلغ سليم سن الثانية عشر عامًا أرسله والده إلى بيروت لتلقي العلم في المدرسة الوطنية على يد المعلم الشهير في ذلك الوقت بطرس البستاني، واشتغل بعدها مدرسًا للغة العربية وآدابها في المدرسة البطريركية، وهاجر إلى مصر وهو في السادسة والعشرين من عمره، وفيها قام بإنشاء مطبعة في شارع البورصة المتفرع من ميدان القناصل (المنشية حاليًا) بالإسكندرية، وتعرض تقلا لمشاكلات عديدة مع السلطة المصرية في عهد إسماعيل إذ سجنه الخديوي لجرأته، ثم أفرج عنه، وتوفي عام ١٨٩٢م، ولما توفي سليم تقلا استقل أخوه بشارة بها ثم نقلها إلى القاهرة، ولما توفي بشارة تقلا ١٩٠١ آلت إلى ابنه جبرائيل (٦).

أما بشارة تقلا، فهو أيضًا من مواليد بلدة كفرشيماء في لبنان، وُلد عام ١٨٥٢م، وتعلم ببيروت وعلم في مدرسة عينطورة (٧) نحو سنتين، عشق الصحافة فانتقل إلى الإسكندرية سنة ١٨٧٥م، وأصدر مع أخيه سليم، صحيفة الأهرام الأسبوعية، والتي تحولت فيما بعد إلى صحيفة يومية، ولما حدثت ثورة عرابي امتنع مع أخيه عن مناصرتها، فأحرق العرابيون المطبعة، وفي عام ١٨٧٧م، شرع بشارة في ترجمة

برقيات ووكالات الأنباء. وقد نُشر أول مقال بتوقيعه عن سياسة ألمانيا عام ١٨٧٩م، وفي ١٩٠٠م أصدر صحيفة "البيramidز" (Pyramides) باللغة الفرنسية وتميز عن أخيه بأنه حمل لقب الباشا^(٨). وتجدر الإشارة إلى أن تأسيس صحيفة في نهايات القرن التاسع عشر لم يكن بالأمر الهين، إلا ان بشارة تقلا فعلها ليؤسس بدل الصحيفة الواحدة صحيفتين صحيفة الأهرام بالعربية ٢٧ كانون الاول ١٨٧٥م، و"البيramidز" الناطقة بلغة غير العربية فيما بعد، ليوصف بشارة تقلا في المراجع الصحفية، بأنه "صاحب جريدة الأهراميين". كانت بيتشي كبابة تقلا، زوجة بشارة تقلا ابنة نعوم كبابة من كبار تجار حلب. أشرفت على صدور "البيramidز" الفرنسية ورثاها مصطفى صادق الرافعي بقصيدة منها، "سيدة النسوة"، ومن عائلته أسماء أيضاً اشتهرت في مصر جيرائيل تقلا (موفد جريدة الأهرام الخاص إلى مؤتمر مولتزو عام ١٩٣٧)، واحتفظ آل تقلا بإدارة جريدة الأهرام حتى التأميم وتولى رئاسة التحرير أدباء وصحفيون أعلام منهم الشاعر خليل مطران، لقد قام تقلا بتأسيس مدرسة في الصحافة العربية مع شقيقه الأكبر لتكون "جريدة الأهرام" من أهم المدارس الصحفية بمصر والدول العربية، بل وفي العالم أيضاً، باعتراف الصحفيين الأجانب الذين تعاملوا معه، وكتبوا عن مواهبه في إدارة الصحف وفي الكتابة الصحفية، كان بشارة تقلا قادمًا من قرية كفر شيما اللبنانية، وارتحل لمصر بناء على نصيحة شقيقه الأكبر سليم، وكان على تقلا الصغير أن التأقلم مع المدينة وطبقات مجتمعتها، وكان عليه كما يروى أن يصمم على مواصلة حلمه والإصرار عليه، وقد سبق وذكرنا أن بشارة تقلا وُلد في ٢٢ اب سنة ١٨٥٢م بقرية كفر شيما بلبنان، وهو الشهر الذي أصدر فيه العدد الأول من صحيفته الأهرام التي صدرت بشكل يومي في ٥ اب عام ١٨٨٦م، بالإسكندرية المقر الأول للصحيفة العريقة.

وفي ذلك الصدد ذكر بشارة قائلاً: "كنت أطوف على الناس صباحاً أتعرف عليهم أولاً، وأعرض عليهم الصحيفة، وقليل كان من يرضي الاشتراك فيها، إلا نفرًا "أشخاص" من الذين نصبوا أنفسهم منصب المحسنين إلينا، ثم أقصد أحد منتديات القهوة، فأول ما أطلبه جريدة أوروبية أطلعها وأعرف أخبارها ومقالاتها حيث لم يكن في وسعنا الاشتراك، فإذا فرغت من الترجمة أذهب إلى مقر الجريدة فاشتغل في التصحيح وكتابة الحوادث، ثم أجلس اساعد الفعلة على طي الأعداد، وتهيئتها، وكنت أتناول غذائي في الغالب وأنا بين صحيفة أطويها، ورغم ذلك كنت أشارف من وراء ذلك العناء إقبالاً ونجاحاً"^(٩).

وفي ذلك السياق خاض مؤسس صحيفة الأهرام رحلات داخل الأقاليم المصرية لإقناع الفلاحين المصريين بالاشتراك في صحيفته، ولتأسيس شبكة من المراسلين، اذ جعل هناك مندوباً للوجه القبلي،

ومندوبا في كوم حمادة بالدلتا، كي تتوسع صحيفة الأهرام فتغطي كافة أنحاء مصر، بل قام بجولات عديدة لخارج مصر فيما بعد وكانت أحلامه استبدال مطبعته الهزيلة في الإسكندرية بـ ١٢ مطبعة تدار بالغاز المحترق ويكون فيها نحو ٦٠ عاملاً، واستبدال صحيفته الأسبوعية الصغيرة بصحيفة يومية يكون عدد مراسليها ووكلائها كبيراً، وقد حقق حلمه فحول صحيفته من أسبوعية ليومية، فظن أصدقاؤه أن ذلك ضرب من التهور، وخذله أقرب الناس إليه فرفضوا مساعدته، لكنه أصر على تنفيذ حلمه ولما حان الموعد أصدر جريدة الأهرام يومية، وكانت آنذاك صغيرة الحجم، جامعة من الأخبار، ثم جرت عليه صفح الشرق بعدها، ليكون مؤسس جريدة الأهرام رائد الصحافة اليومية في الوطن العربي كافة، وازداد عدد مشتركى "جريدة الأهرام" بعد صدورها يومية، وتم توزيعها في كل مكان، ورغم ذلك قام أصدقاؤه بإخباره بأن هذا سقوط وعليه ألا يغتر، إلا أنه حمل الصحيفة بين يديه وانتقل بين الأرياف وعرض بضاعته على الفلاحين والأفندية، وكان الناس ينظرون له أنه أتى لهم ببدعة غريبة، إلا إنه لم يرجع من الأرياف إلا وقد ضمن للصحيفة اليومية جريدة الأهرام البقاء، ولم يبال بالجوع والعطش والحر والبرد والسهر، وكانوا يقولون عن مؤسس جريدة الأهرام، إنه كان لا يجد سعادة إلا في العمل، وكان عمله مقترنا بالتوفيق، وقد كان يقول عن نفسه مراراً: "قلما نلت أمنية لم أسع إليها حثيثاً، ومع ذلك لم أستبشر بشيء قط أصبته بلا عناء"، هذا العناء الذي أودى باعتلال صحته وعجل بموته صغيراً كما أكد معاصروه. كان مؤسس جريدة الأهرام يعرف لغات عديدة بجانب العربية، منها الفرنسية والإنجليزية، وكانت سياسته في تحرير صحيفة جريدة الأهرام مصرية في صنع صحافته، وكان يوصي أن تستمر على ذلك، حيث كان عاشقاً لمصر، وأول فصل كتبه في جريدة الأهرام تكلم فيه عن سياسة ألمانيا، وقد سافر لموطنه بلبنان عام ١٨٨١م من أجل مرض والده ووفاته^(١٠).

وفى عام ١٨٨٢م عاد إلى مصر وقابله الخديوي توفيق وأنعم عليه برتبة ثانية، وقد جاء للإسكندرية وكانت المذبحة بين الأجانب والمصريين مشتعلة، وهي الواقعة التي هيأت للتدخل البريطاني. وكانت الإسكندرية آنذاك خالية من الناس، بسبب الدمار الذي لحق بها، إلا أن مؤسس جريدة الأهرام صمم على إصدار صحيفته حيث كان يكتب الصحيفة بنفسه، ويطعم نفسه حيث كانت الإسكندرية خالية من السكان، وفى عام ١٨٨٤م سافر لحضور مؤتمر المسألة المصرية، وحين رجوعه استقبله الأهالي، وقاموا بتقديم ساعة له هدية، لأن صحيفة الأهرام كانت النافذة الوحيدة التي يطلع الشعب المصري من خلالها على ما يحدث في بلدهم، ومن أهم نصائحه الخالدة، "إذا رأيت أن كلمة تقولها يخسر معها

شخص قرشا وتريح صحيفة الأهرام آلافا فلا نقلها، ولو خسرت جريدة الأهرام فوق الريح المنتظر أضعافا، وأعلم أن الشرق هو وطننا، وفي الشرق العربي محصورة خدمتنا وخدمة الوطن وهي ضالتنا ننشدها في كل آن، ولا محاباة ولا مراعاة فجريدة الأهرام وقفت على ذلك يوم وجدت ولا تتبدل خطتها^(١١)، ومازالت صحيفة الأهرام حتى وقتنا هذا تحتفظ بتلك المدرسة وخدامتها لقضايا أمتها المصرية والعربية رغم مرور ١٤٥ سنة على تأسيسها

وقد نشر السيد بشارة تقلا كلمة مؤثرة، مودّعا الإسكندرية في جريدة الأهرام، جاء فيها: «تودّع الأهرام اليوم ثغر الإسكندرية... وهي تبرحه إلى عاصمة البلاد، مرتلة على أهله الكرام آيات الثناء... وموعد بها غداً بأهراميه الأهرام طبعة القاهرة في عاصمة البلاد السياسية، والأهرام طبعة الإسكندرية، في عاصمة البلاد التجارية»^(١٢). وقد نشر السيد بشارة تقلا كلمته في الأهرام عدد ٣١ تشرين الاول ١٨٩٩م.

وحرص أصحاب الجريدة على تميّزها، لذلك كانت الأهرام "أول صحيفة عربية تعيّن مراسلين دائمين لها في بعض العواصم الأجنبية، والأهرام أيضاً أول من أقامت مكاتب صحفية خاصة بها خارج البلاد، وكانت الأهرام أول صحيفة عربية تبعث بمراسل متحرّك لها خارج مصر^(١٣)، وكانت أيضاً أول صحيفة تنشر صوراً فوتوغرافية مع الموضوعات التي تعالجها، وقد عالجت الجريدة في مقالاتها كلّ ناحية من نواحي الحياة، سواء كانت أدبية، أم علمية أم اجتماعية أم طبية، ووقفت إلى جانب المصريين، فروجت لمشروعاتهم الوطنية،.....وعجبت من الحكومة كيف تهمل تعليم البنات. وخرجت إلى الناس بأسلوب أدبي صحفي، فيه المتانة اللغوية، ولكن ليس به كلفة أو تطويل^(١٤).

تأسيس صحيفتي المقتطف والمقطم

أسس ثلاث صحفيين لبنانيين في القرن التاسع عشر صحيفة المقتطف اليومية في مصر، وهم الصحافيين، فارس نمر^(١٥)، ويعقوب صروف^(١٦)، وشاهين مكاريوس^(١٧).

وكان نمر وصروف نشرا من قبل مجلة "المقتطف" في بيروت وحملهما معها إلى مصر أواخر القرن التاسع عشر. فارس نمر من مواليد حاصبيا في جنوب لبنان، يعقوب صروف من مواليد الحدث عام ١٨٥٢م، وشاهين مكاريوس من مواليد قرية ابل السقي ١٨٥٣م في لبنان.

وصدرت الصحيفة في ظل الاحتلال البريطاني في ١٨ أبريل ١٨٨٨م، وقد ذهل الرأي العام من سهولة الحصول علي ترخيص من وزارة الداخلية آنذاك، الأمر الذي كان متعسراً بل ومستحيلاً علي باقي

الصحف الأخرى، وذكر فارس نمر باشا أحد مؤسسيها في مجلة الاثنين والدنيا في عددها الصادر في آذار ١٩٤٢م، أن سبب اختياره اسم المقطم اعتقاداً منه أنه الجبل الذي بنيت من حجارته جريدة الأهرامات الثلاثة، وأن ذلك الاسم غرض يجب على الصحف السعي إليه انذاك، وكأنه أراد لها الشموخ والاستمرار، وكان يعاونه في إصدارها يعقوب صروف وشاهين مكاريوس، وتعاقبت المقطم مع اللورد كرومر المعتمد البريطاني والذي أمدها بالمال والأخبار والإعلان المواد الصحفية كافة التي تكفل لها الرواج، فضلاً عن انفراد المقطم بتقديم موضوعات كتبت بلغة صحفية ممتازة كان يفهمها العامة ويرضي بها الخاصة، رغم أن صحيفة المؤيد التي صدرت بعدها بعام واحد لقيت - علي عكس ذلك - من ترص ومضايقات، إذ كرومر يمد صحيفة المقطم بالأخبار الحكومية في الوقت الذي كان يحرم فيه المؤيد من تلك الأخبار تقل قيمتها الإخبارية في نظر الجمهور، ومع ذلك صبر السيد علي يوسف للوصول إلي الأخبار المهمة مما أذهل الاحتلال البريطاني، وراحت المقطم تهاجم الخديوي وترفع من شأن الأجانب بعبارات منسقة حتى أنها اتخذت لنفسها هدفاً كونها صحيفة يومية سياسية تجارية هدفها خدمة المصالح الوطنية وتقريب الصلات بين الهيئة الحاكمة والمحكومين، غير أن الرأي العام المصري لم ينصع لذلك العنوان العريض وأدرك كونها صحيفة إنجليزية فتصدوا لها وحاولوا تعطيلها، ولكن سرعان ما كان يتدخل المعتمد البريطاني لحمايتها وحال دون تنفيذ أي حكم عليها، وأكثر من ذلك كان يثبت بالدليل القاطع أن كلا من نظارتي الداخلية والحربية كانا يخصان المقطم كل عام بمنحة مالية، تشجيعاً لها علي أداء رسالتها. ولذلك ازداد عداؤ الشعب المصري للمقطم وترجم ذلك العداؤ بمظاهرات شعبية هاجمت الصحيفة في جميع الصحف الأخرى وقذف مقر صحيفة بالحجارة ومع ذلك صمدت الصحيفة في الميدان بمسانده الحكومة والاحتلال، وجاء ردها علي تلك الهجمات موضحة: "لما كثرت الأراجيف في سياسة المقطم بأنه يرهن القلم ويبيع الحرية بالدرهم، علي أن أوضح سياسة للصحيفة أنها تعمل علي توضيح حسن نية الهيئة الحاكمة إلي المحكومين، وأوضحت صحيفة أن الإنجليز لن يخرجهم أحد بالقوة وأنهم إن خرجوا سيخرجون برضاهم"، وراحت تعطل بأساليب شتى مولاتها للإنجليز حتي ضاقت الأمة ذرعا بها، والمقطم مصر علي عناده وتطبيق سياسته. واحتشدت الهيئات الصحفية وانبري الشباب السياسي للعمل بصحيفة المؤيد ولحمل لواء الحركة الوطنية، والتي جاءت تجسيدا لتحقيق أحلامهم في الاستقلال، وما لبثت أن انهارت أمام كل تلك التحديات^(١٨).

وفي عام ١٨٧٦م، تأسست مجلة المقتطف، وهي مجلة شامية مصرية أنشأت في الشام عام ١٨٧٦ من قبل يعقوب صروف وفارس نمر قبل أن الانتقال إلى القاهرة. وصدر أول عدد لها في سنة ١٨٧٦م، اذكتبت على صدرها كونها مجلة شهرية علمية صناعية زراعية، ولم يبدأ إصدارها المنتظم إلا في سنة ١٨٨٨م، وتعد من أبرز الظواهر الثقافية الأخيرة في بيروت، فقد أنشأها الدكتور يعقوب صروف مع رفيقه الدكتور فارس نمر في غرة حزيران ١٨٧٦، وهما لايزالون في المدرسة الكلية، كانت تشمل أولاً على ٢٤ صفحة حتى بلغ عدد صفحاتها ١٢٤ بحرف دقيق، ووصف بـ ("شيخ المجالات العربية") كونها بلغت عمراً طويلاً لم يبلغه سواها على الإطلاق، وتعتبر كانت بمثابة العمل الأعظم والتأليف الأكبر الذي وقف له العمر كل من صروف ونمر" (١٩).

وفي سياق متصل، يُذكر أن المستشرق السوفيتي (كوتولوف) قد جزم بأن صروف ونمر "كانا من ذوي الأفكار والميول الأوربية"، وأنهما كانا "ينتميان اجتماعياً إلى طبقة "الكومبرادور" (٢٠) قبل إصدار المجلة، إلا ان الحقيقة أن فارس نمر ولد في حاصبيا من أسرة من الروم الأرثوذكس التي تمزجت بالبروتستانتية، كان والده قد قتل إبان المذابح المروعة في لبنان والمعروفة اختصاراً بسنة الستين، فحملته أمه مع أخيه وأخته إلى بيروت. وفي أواخر سنة ١٨٦٣م ذهبت به والدته إلى القدس، وأدخل هناك المدرسة الإنجليزية اذ تعلم الإنجليزية والألمانية ومبادئ التاريخ والأدب والحساب. وظهرت عليه علامات النجابة فأرسلوه إلى مدرسة المرسلين الأمريكيان في عيبية (٢١) وفيها تلقى علوم اللغة والأدب. ولما عاد إلى بيروت دخل المدرسة الكلية السورية الإنجيلية واضطر إلى العمل طلباً للرزق في مدرسة البنات الروسية العليا، وصرف ما توفر له من وقت العمل في النشرة الأسبوعية، وفي عام ١٨٧٤م نال البكالوريا وبقي معلماً في المدرسة الكلية لعلمي الجبر والهندسة. ألف وترجم برفقة الدكتور صروف العديد من الكتب العلمية.

أما الدكتور يعقوب صروف فهو من مواليد الحدث، نال سنة ١٨٧٠م شهادة بكالوريوس العلوم من "المدرسة الكلية السورية"، وعمل مدرسا في المدارس التبشيرية بصيدا وطرابلس وبعدها في الكلية السورية، برز في الطب والكيمياء وغيرها من العلوم التي لم تكن تدرس قبلاً. الى جانب الشاعر إبراهيم اليازجي (٢٢) وهو أيضا من "الكومبرادور"، اذ شكل هو وأخوه خليل اليازجي، النواة الاولى التي قامت عليها مجلة "المقتطف" بمساعدة خليل سعادة (٢٣).

وقد صدق بهما قول جرجي زيدان "لقد وضع الأخوان العربية من الأم، وتنفساها من الأب ناصيف اليازجي". وافنى الأخوان حياتهما على خدمة اللغة العربية وسائر العلوم التقنية والعقلية ونهضتها الأدبية الثقافية الحديثة، فضلاً عن نشاطهما السياسي الوطني البارز، وكان الشاعر إبراهيم اليازجي العلامة المتبحر في اللغات الأجنبية والسامية وعلم المقارنة يوقع المقالات اللغوية البليغة، فكان موئل اللغة الحصين وإمام الإنشاء في عصره، شارك في ترجمة الأسفار المقدسة عن اليسوعيين، وهي أصح سائر الترجمات العربية عبارة وأضبطها تركيباً، وكان موسوعياً في معارفه وعلومه وكان يلذه منها الفلك والفلسفة الطبيعية، وصاحب العديد من المخترعات، نشر مؤلفات عدة في الكيمياء والطب والفلك وغيرها من العلوم، وأنتخب عضواً في العديد من الجمعيات الفلكية الأوربية، ونال الكثير من الأوسمة والميداليات^(٢٤).

وكان خليل اليازجي من أولئك المثقفين البارزين المختصين بالرياضيات والعلوم الطبيعية في الكلية السورية الإنجيلية، وحرص على خدمة الأدب، الا انه استغنى عن الشعر التقليدي وأكثر من نظم الروايات الشعرية والتواريخ، بيد أنه كان أحياناً يضحى بالحدث التاريخي في سبيل فكرة أساسية سامية كالتماثل والتكافؤ بين العرب المسلمين والنصارى، وإبراز الخطوط العامة لتواعد الأخلاق عند العرب، بصرف النظر عن الفوارق الدينية والاختلافات المذهبية. ويميل جرجي زيدان إلى الاعتقاد بأن رواية «المروءة والوفاء» للشيخ خليل اليازجي هي الرواية الشعرية الوحيدة في اللغة العربية، كان قد فرغ منها سنة ١٨٧٦م، ومثلت انشاء سنة ١٨٧٨م في بيروت، ذلك ذكر قائلاً «وتأليفها خطوة مهمة في التمثيل العربي؛ لأنها على مثال ما يفعله كبار الكتاب في أوروبا من تأليف الروايات الشعرية التمثيلية»، وقد لاقت مجلة "المقتطف" ترحيباً كبيراً، ونالت شهرة فاقت الأفاق. وفضلاً عن المقالات التي كتبها صاحبها العلامتان، فإن المجلة كانت مشحونة بفصول كثيرة؛ لأفضال حملة الأقلام في الشرق من جهابذة اللغة والشعر والتاريخ والصحافة والأدباء والعلماء والأطباء والصيدالة^(٢٥).

كما كانت المقتطف ميداناً تنبارى فيه أقلام الكتاب من البلدان العربية كافة، فكانت حقاً من أعظم وأهم المشاريع الثقافية في مضمار التنوير العربي وكانت مجلة من المستوى الراقي الرفيع لا يقل شأنًا عن أفضل الدوريات الأوربية على حد قول كريمسكي^(٢٦).

ومن هنا ينبغي علينا تقدير الدور العظيم، الذي اضطلعت به المقتطف في مجال الترويج للنظريات والأفكار العلمية التقدمية، وفي طبيعتها مذهب داروين في النشوء والارتقاء والبرهنة على أنه لا

يتناقض مع الأديان والكتب المقدسة، وكانت تحارب الفكر الرجعي والرجعية التي حاولت عرقلة تطور وتقدم الفكر الاجتماعي من موقع الدفاع عن الفكر العلماني - التنويري، ونخص بالذكر المناظرات العلمية الشهيرة بينها وبين "البشير" البيروتية لسان حال اليسوعيين، ومع الأوساط المتحالفة مع نظام القهر التركي التي لم يعد بالإمكان - في ظروف الاستبداد - دعوتها للبراز في الميدان السياسي - الاجتماعي^(٢٧).

لقد كانت الصحيفة مركز جذب واستقطاب للقوى النهضوية المبعثرة في الظروف الجديدة، نتج عنه تحرك تنويري عظيم الشأن تجلى في إنشاء المجمع العلمي الشرقي سنة ١٨٨٢م للبحث في العلم والصناعة لما يعود بالخير على البلاد. وقد شارك في تأسيسه طائفة من علماء العلم ومساندته في ذلك العهد. وكان دور المقتطف في ذلك عظيماً جداً لدرجة دفعت البعض إلى الظن بأن يعقوب صروف تولى رئاسة المجمع العلمي الشرقي. بينما تولاهما في الواقع الدكتور فاندريك الكبير، والدكتور يوحنا ورتبات. ولو أمعنا النظر في لائحة أعضاء المجمع تبين لنا بوضوح أنها تضم ممثلي التيارات النهضوية الثلاثة - التي أطلقنا عليها اصطلاحاً -:

١- التيار التبشيري العلمي "اليمني" بقيادة الدكتور يوحنا ورتبات.

٢- التيار الوسط (البساتنة بزعامة العلامة بطرس البستاني ونسيبه سليمان البستاني).

٣- التيار الراديكالي - اليساري (أنصار أديب اسحاق وأتباع المقتطف).

ونخلص من ذلك إلى استنتاج مفاده أن المناخ السياسي الذي ساد بعد توطد مواقع النظام الحميدي، وضع النهضة العربية أمام انعطاف مهم وخطير جداً، أدى إلى صب المهام الفكرية - الثقافية والقومية - السياسي في قنوات خاصة^(٢٨)، وممن ساعد في انتشار جريدة المقطم - وعمل بها - كل من: أسعد داغر^(٢٩)، وسعيد بن عبد ربه^(٣٠).

سليم حموي وتأسيس أول مطبوعة عربية في مصر:

كان اللبناني سليم حموي أول من أنشأ مطبوعة عربية في مصر، وهي مطبوعة الكوكب الشرقي، وهي مطبوعة أسبوعية صدر العدد الأول منها في الإسكندرية في ٢٠ يوليو ١٨٧٣ م. وحتى سنة ١٨٧٥ وهي السنة التي اتخذت فيها مصر موطناً لي بعد تخرجه من المدرسة الكلية في بيروت ورجوعي من فرنسا لم يكن في كل القطر المصري جريدة عربية عمومية سوى جريدة أسبوعية اسمها (الإسكندرية)

لمنشئها سليم حموي وكان مركزها مدينة الإسكندرية. وهي التي انتقلت بعد ذلك إلى القاهرة وتحول اسمها إلى (الفلاح) ثم ماتت. فسلم حموي شيخ الصحافة العربية في القطر المصري لو برّ الصحفيون^(٣١). ومن الأسماء الريادية البير عمون، واميل خوري، ونجيب حداد، فهو حفيد ناصيف اليازجي مواليد ١٨٧٦ م، أصدر صحيفة "لسان العرب" ونظم الشعر وترجم عددًا من المسرحيات العالمية ومن ترجماته «صلاح الدين الأيوبي»: «حصريّة عن الشاعر والتر سكوت» فيما نقولا حداد، والذي نشأ في بلدة جون، أصدر مع زوجته عام ١٩٢٢م مجلة "السيدات والرجال" وكان شاعرًا ومن الأسماء أيضًا يوسف الخازن^(٣٢) الذي أعاد نشر "الأخبار" جريدة يومية ونشر عام ١٩٣٤ جريدة "البلاد". أما سليم النقاش^(٣٣)، وهو مسرحيًا صحفياً، وقد أصدر مجلة أسبوعية سياسية تسمى "العصر الجديد"، وجريدة سياسية "المحروسة". وشهد سليم النقاش أحداث ثورة أحمد عرابي وكتب تاريخها في مؤلف "مصر للمصريين" وهو من تسعة أجزاء^(٣٤).

الخاتمة:

لقد كان للصحفيين اللبنانيين الذين أتوا إلى مصر خلال القرن التاسع عشر دورًا كبيرًا وفعالًا في تطور الصحافة المصرية، إذ أنشأ هؤلاء الصحفيين اللبنانيين العديد من الصحف التي جعلت مصر دولة رائدة في مجال الصحافة، وبفضل ثقافة هؤلاء الصحفيين اللبنانيين امتلأت أوراق هذه الصحف بالمقالات والموضوعات الصحفية القيمة التي أثرت الحياة الثقافية والفكرية والعلمية في مصر خلال القرن التاسع عشر، بل يوجد حتى الآن بعض الصحف الشاهدة على إثراء الصحفيين اللبنانيين للصحافة المصرية، مثل صحيفة الأهرام، والتي لا تزال شاهدة على فضل اللبنانيين ودورهم في تطوير الصحافة المصرية. ونستطيع إجمال نتائج البحث التي خلصت في الآتي:

- ١) تزايد عدد الصحفيين اللبنانيين الوافدين إلى مصر وكانت لهم اليد الطولى في تطوير الصحافة.
- ٢) كانت الغالبية العظمى من الشخصيات البارزة من أصل لبناني والتي ساهمت بدورهم بشكل كبير في إثراء الثقافة المصرية والنهوض بالصحافة المصرية والارتقاء بها، مثل: سليم وبشارة تقلا (الأخوان)، وفارس نمر، ويعقوب صروف، وشاهين مكاريوس، وسليم النقاش، وسليم حموي.
- ٣) أصبحت الصحافة المصرية تتمتع بأسلوبها المتطور وإخراجها المتميز بمقالات ممتازة وراقية بجهد من اللبنانيين وأقلامهم.
- ٤) أثرت الصحافة المصرية برؤية اللبنانيين في الجانب التاريخي ووقوفها مواقف مشرفة.

الصحفيين اللبنانيين وأثرهم في تطور الصحافة المصرية في القرن التاسع عشر

- ٥) تأسست جريدة «الأهرام» عام ١٨٧٥ بمدينة الإسكندرية بجهود لبنانية خالصة سليم وبشارة تقلا (الأخوان).
- ٦) تأسست في القرن التاسع عشر جريدة المقطم اليومية في مصر، على يد ثلاثة صحافيين لبنانيين هم: فارس نمر، ويعقوب صروف، وشاهين مكاريوس.
- ٧) أسس اللبناني سليم حموي أول مطبوعة عربية في مصر، وهي الكوكب الشرقي، وهي مطبوعة أسبوعية في القرن التاسع عشر.



الصحفيين اللبنانيين وأثرهم في تطور الصحافة المصرية في القرن التاسع عشر



المصادر والمراجع

١. إبراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية (١٧٩٨-١٩٥١)، الناشر: مكتبة الآداب، مصر، ط٣، تاريخ النشر: ١٩٥١م.
٢. أحمد الشقيري: الجامعة العربية.. كيف تكون جامعة.. وكيف تصبح عربية، دار بو سلامة للطباعة والنشر - تونس، تاريخ النشر: ١٩٧٩م.
٣. أحمد سيف النصر: مقال بعنوان: «رحلات بشارة تقلا... وثائق مهمة عن أوضاع الناس في نهايات القرن التاسع عشر»، مقال نُشر بتاريخ الأربعاء ٢٧ أبريل ٢٠٢٢، الساعة: ٢٤: ١١ صباحًا.
٤. أحمد طاهر حسنين، دور الشّاميين المهاجرين إلى مصر في التّهضة الأدبيّة الحديثة، الناشر: دار الوثبة - دمشق، سنة النشر: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
٥. أديب مروّة، الصّحافة العربيّة نشأتها وتطوّرها، الناشر: دار مكتبة الحياة، سنة النشر: ١٩٦١م.
٦. البرقوقي، عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سيد بن أحمد الأديب المصري (المتوفى: ١٣٦٣هـ)، مجلة البيان.
٧. بشارة تقلا باشا، ١٨٥٣ - ١٩٠١، أقوال الجرائد - مرثي الشعراء، مختارات من أقوال الفقيد المنشورة في الأهرام، طبع بمطبعة الأهرام بمصر سنة - ١٩٠٢م.
٨. جورج عارج سعادة، التّهضة الصّحفيّة في لبنان، الناشر/ منشورات دار وكالة النّشر العربيّة، بيروت، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.
٩. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار/ مايو ٢٠٠٢م.
١٠. سليم تقلا، صحيفة المستقبل، العدد ١٧٥٩، ثقافة وفنون، الخميس ٢٥ تشرين الثاني ٢٠٠٤م.
١١. سليمان بن محمد الجار الله، جهود الاستشراق الروسي في مجال السنة والسيرة، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
١٢. السيد مرسي أبو ذكري، المقال وتطوره في الأدب المعاصر، الناشر: دار المعارف، ط١، سنة النشر: ١٩٨٢م.
١٣. عبد العليم القباني، نشأة الصّحافة العربيّة بالإسكندريّة، القاهرة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٣٩٣ / ١٩٧٣.

الصحفيين اللبنانيين وأثرهم في تطور الصحافة المصرية في القرن التاسع عشر

١٤. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، د. ت.
١٥. فاروق أبو زيد، الصحافة المتخصصة، عالم الكتب - القاهرة، تاريخ النشر: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
١٦. كُرْد علي، محمد بن عبد الرزاق بن محمّد، (المتوفى: ١٣٧٢هـ)، خطط الشام، الناشر: مكتبة النوري، دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
١٧. محمود الدسوقي، تعرف على يوميات بشارة تقلا خلال إنشاء "جريدة الأهرام" في الإسكندرية نهايات القرن الـ ١٩، موقع صحيفة جريدة الأهرام الإلكتروني، بتاريخ: ٤ اغسطس ٢٠٢٢م، الساعة: ٢٥: ٣.
١٨. منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
١٩. يغيا نجاريان، النهضة القومية والثقافية العربية، أكاديمية العلوم الأرمنية - الدار الوطنية الجديدة، سوريا - دمشق، د. ت.
٢٠. محمد عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج٥، ط١٩٩٠، ٢.

قائمة الهوامش:

- (١) أديب مروّة، الصحافة العربيّة نشأتها وتطورها، دار مكتبة الحياة، ١٩٦١م، ص ١٤).
- (٢) باحث، عارف باللغات، متأدب. أصله من " ديار بكر " ومولده فهيا. تعلم في سورية ورومية. وأجاد العربية والتركية واللاتينية والإيطالية والفرنسية والانجليزية. وطاف حول الأرض في مدة سنتين وسبعة شهور. وأصدر مجلة " النحلة " ببيروت، مدة، ونقلها إلى لندن حيث أنشأ أيضا جريدة " الاتحاد العربي " وجريدة " الخلافة " وانتقل إلى الآستانة، فجعل أستاذا لأبناء السلطان عبد الحميد، و مترجما خاصا له. ثم قام بسياحات طويلة، واستقر في مدينة " لوس أنجلوس " التابعة لولاية كاليفورنيا، بأميركا الشمالية، واغتاله طامع بالمال وهو راقد في سريره ليلا في أحد فنادقها. له كتب، منها " تهذيب الأخلاق " و " شعر النحلة في خلال الرحلة " جمع فيه بعض منظوماته، و " النحلة الفتاة " رسالة طعن فيها بالطائفة المارونية. للمزيد ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة، ١٥٥، أيار، ٢٠٠٢، ج٥، ص ٢٤٧.
- (٣) إبراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية (١٧٩٨ - ١٩٥١)، مكتبة الآداب، مصر، ط٣، تاريخ ١٩٥١م، ص ٦١.
- (٤) أحمد الشقيري: الجامعة العربية.. كيف تكون جامعة.. وكيف تصبح عربية، دار بو سلامة للطباعة والنشر - تونس، ١٩٧٩، ص ٤٠٥.
- (٥) السيد مرسي أبو ذكري، المقال وتطوره في الأدب المعاصر، دار المعارف، ط١، ١٩٨٢م، ص ٣٠٤.

(٦) مقال بعنوان: سليم تقلا، صحيفة المستقبل، العدد ١٧٥٩، ثقافة وفنون، الخميس ٢٥ تشرين الثاني ٢٠٠٤ م، ص ٢٠.
(٧) (عينطورة) بلدة في لبنان أنشأ الرهبان العازريون الفرنسيون حين جاءوا إلى سوريا منذ نحو قرنين وأخذوا الديار التي كانت لليسوعيين مدرسة كاثوليكية في عينطورة ينظر: كُرد علي، محمد بن عبد الرزاق بن محمد، (المتوفى: ١٣٧٢هـ)، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط ٣، ١٩٨٣، ج ٦، ص ٢٤.

(٨) أحمد سيف النصر: مقال بعنوان: «رحلات بشارة تقلا... وثائق مهمة عن أوضاع الناس في نهايات القرن التاسع عشر»، مقال نُشر بتاريخ الأربعاء ٢٧ أبريل ٢٠٢٢، الساعة: ٢٤: ١١ صباحًا. ينظر الرابط التالي:

<https://cutt.us/ho9qB>

(٩) بشارة تقلا باشا، ١٨٥٣-١٩٠١، أقوال الجرائد - مراثي الشعراء، مختارات من أقوال الفقيه المنشورة في الأهرام، طبع بمطبعة الأهرام بمصر - ١٩٠٢م، ص ٤٥٥.

(١٠) محمود الدسوقي، تعرف على يوميات بشارة تقلا خلال إنشاء "جريدة الأهرام" في الإسكندرية نهايات القرن الـ ١٩، موقع صحيفة جريدة الأهرام الإلكتروني، بتاريخ: ٤ اب ٢٠٢٢م، الساعة: ٢٥: ٣، ينظر الرابط التالي:

<https://gate.ahram.org.eg/News/2884842.aspx>

(١١) ينظر: جورج عارج سعادة، النهضة الصحفية في لبنان، منشورات دار وكالة النشر العربية، بيروت، ١٩٦٠م، ص ٣٥١، ٣٥٠.

(١٢) عبد العليم القباني، نشأة الصحافة العربية بالإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٣١، ٣٢.

(١٣) فاروق أبو زيد، الصحافة المتخصصة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٤.

(١٤) أحمد طاهر حسنين، دور الشاميين المهاجرين إلى مصر في النهضة الأدبية الحديثة، الناشر: دار الوثيقة- دمشق، ١٩٨٦، ص ١٥٣.

(١٥) هو فارس باشا بن نمر بن فارس أبي ناعسة. كاتب من أهل لبنان. من السابقين إلى العمل في الصحافة، في الشرق العربي. ولد في حاصبيا بلبنان، وقتل أبوه في الفتنة المعروفة بحادثة الستين سنة ١٨٦٠ م فحملته أمه إلى بيروت ثم إلى القدس، وعادت به إلى حاصبيا سنة ١٨٦٨ م، وقد تلقى بعض مبادئ العلوم في المدارس الإنجليزية. وقصد بيروت ثانية، فتخرج بالكلية السورية سنة ١٨٧٤ م، وعمل في المرصد الفلكي مع الدكتور "فانديك" ثم تولى إدارته. كان إلى جانب يعقوب صروف وشاهين مكاريوس، من مؤسسي جريدة المقطم. من آثاره: ترجمة كتاب (الظواهر الجوية) عن الإنجليزية، انتقل إلى مصر في أواخر ١٨٨٤ م، فصدرت المجلة في القاهرة سنة ١٨٨٥، وكان لها شأن علمي كبير. وانضم إليه وإلى زميله صروف سنة ١٨٨٩ م، شاهين مكاريوس، فأنشأوا جريدة "المقطم" يومية بمصر. ومنح لقب "دكتور" في الفلسفة من جامعة نيويورك سنة ١٨٩٠ م، ترجم مع صروف كتاب (سير الأبطال والعظماء) وكتاب (مشاهير العلماء) وجعل من أعضاء مجلس الشيوخ المصري، ومجمع اللغة. واحتفظ بقواه الجسمية والعقلية إلى آخر حياته، وقد قارب المئة. وكان يعد في الخطباء. وتوفي في منزله بالمعادي، من ضواحي القاهرة، للمزيد ينظر: الزركلي، الأعلام، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٢٦ - ١٢٨.

(١٦) من أعلام النهضة العربية. تخرج من الكلية البروتستنتية السورية ثم هاجر من بعد إلى مصر واستقر بها. من التيار العلماني في النهضة العربية. ولد يعقوب صروف في قرية الحدث بلبنان، ثم أرسله والده إلى مدرسة الأمريكان في عبيه ثم إلى الجامعة الأميركية في بيروت. وبعد ذلك تولى رئاسة وإدارة مدرستي الأمريكان في صيدا وطرابلس. وفي سنة ١٨٧٦ م أنشأ مجلة المقطف في بيروت ومعه الأديب فارس نمر وظلت تصدر مدة تسع سنوات تقريبا ثم نقلت

بعدها إلى القاهرة سنة ١٨٨٨ م وظل يديرها ويشرف على ما يكتب فيها إلى آخر حياته. وقد صارت لها شهرة واسعة وحملت إلى الأقطار العربية كلها ثمرة جهود الرجل الجبارة في حقل العلم والفن وقد توفي يعقوب صروف سنة ١٩٢٧ م. أهم ما ترك يعقوب صروف من الآثار مجلة المقتطف التي رافقتها نحو اثنتين وخمسين عاما، فكان أكثر مقالاتها العلمية والفلسفية والفنية من قلمه. ومن أهم ما نشره في المقتطف واسترعى انتباه الكثيرين درس طويل عن نواحي العرب والإنجليز قابل فيها بين المعري وملتن، وابن خلدون ومسيتر، وصلاح الدين وريتشارد قلب الأسد. وقد ألف يعقوب صروف وعرب كثيرا من الكتب قبل انتقاله إلى مصر منها سر النجاح والحرب القدسية والحكمة الإلهية ومرآة العصر. ومما عربه مع فارس نمر سير الأبطال والعظماء ومشاهير العلماء وأما عن أهم رواياته فكانت فتاة مصر وفتاة الفيوم وأمير لبنان وقد ترجم روايات كليوباترا وتتكرد. كان يعقوب صروف مطبوعا على حب البحث والتدقيق شأن العلماء، يقضي الساعات الطويلة في المكتبات لدرس المسائل العلمية والنظريات الفلسفية والتاريخية. وكان واسع الاطلاع على المذاهب العلمية والنزعات الفلسفية وأحداث التاريخ ورجاله، متقنا لأهم اللغات القديمة والعصرية. وقد بسط يعقوب صروف في مقالاته العلمية التي كان ينشرها في كل عدد من المقتطف - وقد جمعت بعدئذ في كتب - اختبارات العلماء الغربيين في مختلف القضايا العلمية بأسلوب له صبغته العلمية من غير أن يكون جافا. وكان إلى ذلك يثبت في مقالاته هذه الكثير من ملاحظاته الشخصية ومن اختبراته الخاصة في الموضوع المطروق، مما يضاعف قيمته. وقد فتح للرياضيات بابا في مجلته تطرح فيه رجال العلم المباحث العويصة وتسايقوا على حلها سواء أكانت في الحساب أم في الجبر أم في الهندسة أم في غيرها. وكان يعقوب صروف الحكم المرجح. وقد وضع كتابا في بسائط علم الفلك ظهر فيه علمه واطلاعه الواسع في ذلك العلم، كما أنه عالج في مجلته موضوعات شتى في النظام الشمسي والسيارات والثوابت والسفح الشمسية والمذنبات وما إلى ذلك. واغاناه غنا لم يدرك شأو العبقرين في هذا العلم، فقد بلغ فيه شأوا عظيما، وكان بعيد الغور، واضح البيان، سهل المأخذ. أما الطبيعيات والكيمياء والفلسفة فقد كان صروف الصلة بين الشرق ورجالها بأوروبا فكتب عن جميع أساطينها وتبسطا الآراء الحديثة بسطا بين المعالم، واسع النطاق. وجال في العالمين القديم والحديث جولة اكتشاف قلما جراه فيها آخر من أبناء هذه البلاد. أما التاريخ فيعقوب صروف من رجاله الدين استقرأوا الحفريات الأثرية ووصفوا عاداتها واقتبسوا أخبارها من مصادرها الاصلية، حتى إنك لتستطيع أن تستخرج من المقتطف كتابا في علم الآثار ولا سيما آثار مصر التي كان يعقوب صروف يطوف بنفسه ليشاهدا ويكتب عنها. وقد تقصى البحث أيضا في أصول الشعوب وفروعها وأنسابها وتواريخها واخلاقها، معتمدا في كل ذلك أحدث الآراء، ناظرا في أقوال من سبقه نظر المحقق البصير. وهكذا كان يعقوب صروف من أبرز رجال النهضة العلمية الحديثة، ينظر الرابط التالي:

https://www.marefa.org/%D9%8A%D8%B9%D9%82%D9%88%D8%A8_%D8%B5%D8%B1%D9%88%D9%81/simplified

(١٧) من مؤسسي جريدة (المقطم) بمصر، وأحد أصحاب (المقتطف) ومنشئ جريدة (اللطائف) ولد في قرية إبل السقي (من مرج عيون - بلبنان) ونشأ في بيروت يتيما فقيرا، قُتل أبوه في حادثة سنة ١٨٦٠ م، وحملته أمه إلى بيروت حيث كانت تعوله من عملها في خدمة الدكتور فاندريك، فتعلم فن الطباعة، وتولى إدارة مجلة المقتطف ببيروت (سنة ١٨٧٦ م) ورحل إلى مصر مع زميليه يعقوب صروف وفارس نمر. له كتاب عن الماسونية بعنوان (الجوهر المصون في مشاهير الماسون) و(الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية) و(الدر المكنون في غرائب الماسون) و(اللآداب الماسونية). ونشر في (اللطائف) نبذا من كتاب له في تراجم (شهيرات النساء) وصنف (تاريخ الإسرائيليين)

و(تاريخ إيران) و(السمير في السفر والأنيس في الحضر) ومات في حلوان ودفن في القاهرة، ينظر: الزركلي، الأعلام، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٥٣ - ١٥٤.

(¹⁸) https://www.marefa.org/%D8%AC%D8%B1%D9%8A%D8%AF%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%B7%D9%85.

(¹⁹) يغيا نجاريان، النهضة القومية والثقافية العربية، أكاديمية العلوم الأرمينية، الدار الوطنية الجديدة، دمشق، د. ت، ص ٢٧.

(²⁰) الكومبرادور: هو مصطلح برتغالي سياسي يكثر استعماله من قبل التيارات الاشتراكية واليسارية ويُطلق على جميع فئات الشعب الذي يتبع الاستعمار في شتى المجالات الفكرية والثقافية والاقتصادية. للمزيد ينظر: محمد عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج ٥، ط ١٩٩٠، ص ٢٥٩.

(²¹) عبية قرية من شوف لبنان. للمزيد ينظر: كُزْد علي، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٥٥.

(²²) إبراهيم عالم بالأدب واللغة. أصل أسرته من حمص، وهاجر أحد أجداده إلى لبنان. ولد ونشأ في بيروت وقرأ الأدب على أبيه. وتولى تحرير جريدة النجاح سنة ١٨٧٢ م. وانتدبه المرسلون اليسوعيون للاشتغال في إصلاح ترجمة الأسفار المقدسة وكتب أخرى لهم، ففضى في هذا العمل وأشباهه نحو تسعة أعوام. وتعلم العبرية والسريانية والفرنسية، تبحر في علم الفلك وله فيه مباحث. وتولى كتابة (مجلة الطبيب) وألف كتاب «نجعة الرائد في المترادف والمتوارد - ط»، وله «ديوان شعر - ط»، و «الفرائد الحسان من قلائد اللسان - خ»، معجم في اللغة. وسافر إلى أوربا، واستقر في مصر فأصدر مجلة (البيان) مشتركا مع الدكتور بشارة زلزل فعاشت سنة، ثم أصدر مجلة (الضياء) شهرية، فعاشت ثمانية أعوام. وكان من الطراز الأول في كتاب عصره. وخدم العربية باصطناع حروف الطباعة فيها ببيروت وكانت الحروف المستعملة حروف المغرب والأستانة. وانتقى كثيرا من الكلمات العربية لما حدث من المخترعات. ونظم الشعر الجيد ثم تركه. ومما امتاز به جودة الخط وإجادة الرسم والنقش والحفر. وكان رزقه من شق قلمه فعاش فقيرا، غني القلب، أبي النفس. ومات في القاهرة ثم نقل رفاته إلى بيروت. للمزيد ينظر: الزركلي، الأعلام، المصدر السابق، ج ١، ص ٧٦.

(²³) طبيب، من الكتاب، لبناني الأصل، تعلم في الكلية الأميركية ببيروت، واشترك مع إبراهيم اليازجي في تحرير مجلة (الطبيب) وانتقل إلى مصر ثم إلى البرازيل فاستقر في سان باولو إلى أن توفي. كان من كبار العاملين في الحركة السورية العربية في المهجر، وتولى تحرير جريدة (الرابطة السورية الوطنية). ينظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، الناشر: مكتبة المثنى، بيروت، د. ت، ج ٤، ص ١١٩.

(²⁴) <https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%AA%D8%B7%D9%81/simplified>.

(²⁵) المصدر نفسه.

(²⁶) مستشرق روسي، ولد كريمسكي في عام ١٨٧١ في فلاديمير-فولينسكي، وفي عام ١٨٩٢ تخرج من معهد لازاريفسكي للغات الشرقية بموسكو وبعد أربع سنوات تخرج من كلية التاريخ والدراسات اللغوية في جامعة موسكو. وبعد ذلك سافر إلى سوريا ولبنان حيث أمضى فترة عامين (١٨٩٦-١٨٩٨) من أجل اتقان اللغة العربية، وهو من أشهر أساتذة الاستشراق الروسي الذين قاموا بالتدريس في المعهد. ينظر: سليمان بن محمد الجار الله، جهود الاستشراق الروسي في مجال السنة والسيرة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص ٨.

(²⁷) <https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%AA%D8%B7%D9%81/simplified>.

(²⁸) المصدر نفسه.

(²⁹) هو أديب، لغوي، شاعر، صحفي. ولد في كفر شيما بلبنان وتعلم في الجامعة الأميركية ببيروت، واشتغل بالتدريس باللاذقية، وانتقل الى مصر، فعمل في تحرير المقطم، ثم انقطع للأدب، وانتخب عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق، وتوفي بالقاهرة. من آثاره: "تذكرة الكاتب في أغلاط الكتاب والمحريين وتصحيحها"، "منظومة تاريخ الحرب الكبرى"، "مثلث خراب الديار: السكر والزنا والقمار"، "ديوان شعر"، و"حالة الامم وبني إسرائيل". توفي عام ١٩٣٥. ينظر: كحالة، معجم المؤلفين، المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٦.

(³⁰) أديب، نحوي، صرفي، شاعر، صحفي. ولد في الشويفات من أعمال لبنان في العقد السابع من القرن التاسع عشر الميلادي، وتخرج بالجامعة الأميركية سنة ١٨٨٦ م، ورحل الى مصر، فحرر في مجلة المقتطف وجريدة المقطم، وتولى المديرية العامة للحسابات في حكومة السودان، وتوفي قبل شباط ١٩٣٥ م. من آثاره: طيب العرف في فن الصرف بالاشتراك مع يوسف فتياموس، كتاب في النحو، التقدم الذاتي في الطريقة الشكدية، وله شعر. ينظر: كحالة، المصدر السابق، ج٤، ص٢٢٤.

(³¹) البرقوقي، عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سيد بن أحمد الأديب المصري (المتوفى: ١٣٦٣هـ)، مجلة البيان، ج٢٩، ص١٧.

(³²) كاتب صحفي لبناني. سكن مصر، وعمل في تحرير جريدة "الوطن" ثم "المقطم" و"الأهرام" وأنشأ جريدة "الأخبار" يومية (سنة ١٨٩٦) فمجلة "الخزانة" سنة ١٩٠٠ فجريدة "بريد الأحد" أسبوعية. وعاد إلى بيروت، فكان من أعضاء مجلس النواب. وقام برحلة إلى إيطاليا، فتوفي بها. وكان حاضر البديهة في النقطة، متأنقا في إنشائه بطيئا، يتحرى صحة الأسلوب وطلاوته. وترجم عن الفرنسية قصصا، منها "الهجرة - ط". ينظر: الزركلي، المصدر السابق، ج٨، ص٢٢٨.

(³³) هو أديب لبناني. ولد ببيروت وانتقل إلى الإسكندرية سنة ١٨٧٦ م. أصدر مع صديقه أديب إسحاق جريدة «مصر» عام ١٨٧٧ م، ثم جريدة «التجارة» عام ١٨٧٨ م، فجريدة «المحرسة» عام ١٨٨٠ م. وله كتاب باسم (مصر للمصريين أو حوادث الفتنة العربية) في تسعة أجزاء، توفي بالإسكندرية، للمزيد ينظر: منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م، ص ٤٦٥ - ٤٥٧.

(³⁴) كحالة، المصدر السابق، ج٤، ص٢٤٦.

العوامل التربوية

المكونة لشخصية الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)

م. م باسم عبد الزهرة دعير المطيري

المديرة العامة لتربية بغداد الرصافة الثالثة

M. Mr. Bassem Abdul-Zahra Duair Al-Mutairi

Basalmtryry@gmail.com

: 07702084772

العوامل التربوية المكونة لشخصية الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)

م. م باسم عبد الزهرة دغير المطيري

ملخص البحث:-

الحمد لله والصلاة والسلام على خير الأنام محمد بن عبد الله وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الأخيار المنتجبين وسلم تسليماً كثيراً :

قدم العظماء والمصلحون لشعوبهم واطنانهم خدمات جبارة في كل الميادين فأشاعوا العلم وحرروا اوطانهم من الخرافات والاباطيل وفتحوا جانباً مشرقاً من الوعي والتطور ولقد كان الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) احق بالتكريم والتعظيم لما منحة الله عز وجل من فصل الخطاب وباب الحكمة والتقوى فقد كان في حياته مفزحاً وملجأ لعامة المسلمين لما تميز به من صفات اهله أن يكون النموذج الصالح والأسوة الحسنة التي يقتدى بها فقد احاطت بالإمام اموراً عديدة منها الجانب الوراثي إذ أن موروثه الأكبر رسول الله وسيد الكائنات محمد ﷺ الذي كان نوراً في الاصلاب الشامخة والارحام المطهرة إضافة إلى البيئة المحيطة به إذا وفر أباه الإمام الصادق (عليه السلام) كل الظروف التي من شأنها أن تصل بالإمام إلى المستوى الذي يؤهله أن يكون خليفة أبيه على الامة الإسلامية وعلاوة على ذلك النفحات الالهية فقد اعز الله اسمه وقد منحة بقضاء حوائج المستجيرين بضريحة فقد كان ولا زال الإمام نافعاً بحياته وبعد مماته

وقد قسم الباحث البحث الى مقدمة ومبحثين وخاتمة، تناول المبحث الاول مفردات البحث الموسوم: **(العوامل التربوية المكونة لشخصية الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام))**، فقد شمل المبحث الاول السيرة الذاتية للإمام من اسمة وكنيته وابرز القابة وولادته الميمونة والمبحث الثاني كان اهم العوامل المؤثرة في بيان التكوين التربوي والتي تشمل الوراثة والكيان الاسري والبيئة ونبوغ الامام وذكائه واخيراً وفاته .

الكلمات المفتاحية (العوامل التربوية - الشخصية - الوراثة - الاسرة - البيئة)

mulakhas albahthi

Praise be to God, and prayers and peace be upon the best of creatures, Muhammad bin Abdullah, and upon his good and pure family, and upon his good and virtuous companions, and may the blessings of Allah be abundant: The great and the reformers rendered great services to their people and their countries in all fields, so they spread knowledge and liberated their countries from myths and falsehoods and opened a bright side of awareness and development

And the Imam (Musa bin Jaafar (peace be upon him)) was more deserving of honor and glorification for what God Almighty bestowed on the chapter of discourse and the chapter on wisdom and piety. The righteous and the good example that he should follow, for the Imam encompassed many things, including them

The hereditary aspect, as his greatest inheritance is the Messenger of God and the master of beings, Muhammad, who was a light in the lofty crosses and purified wombs, in addition to the surrounding environment if his father, Imam al-Sadiq (peace be upon him)) provided for all the circumstances that would bring the imam to the level that qualifies him to be his father's successor. On the Islamic nation, and in addition to the divine gifts, God glorified his name, and it was granted to meet the needs of those seeking refuge in a shrine. The Imam was and still is useful during his life and after his death.

The researcher divided the research into an introduction, two sections and a conclusion. The first topic dealt with the vocabulary of the tagged research: (The educational factors that make up the personality of Imam Musa bin Jaafar (peace be upon him)). The first topic included the Imam's biography of his name and nickname, the most prominent nickname and his auspicious birth, and the second topic was the most important factors Influencing the statement of educational formation, which includes heredity, family entity, the environment, the imam's brilliance, his intelligence, and finally his death.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي المواهب السنية ، والصلاة والسلام على الأنوار البهية أبي القاسم محمد المصطفى ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الأخيار المنتجبين وسلم تسليماً كثيراً..

أما بعد:

يُعد الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) فُذ من افذاذ العقل الإنساني، ومن كبار أئمة المسلمين وأحد شموع ذلك النقل الأكبر الذي اضاء الحياة الفكرية في الإسلام علماً ، وحكمة، وتقوى، وهو من أئمة العترة الطاهرة الذين قرنهم الله في محكم كتابه مادحاً لهم في قوله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ فقد طهرهم الله من الآفات، والزلل ، وأتم بهم الحجة على الخلق اجمعين؛ فهم شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة ، ومعادن العلم ، وينابيع الحكم كما يقول أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) فكل إنسان يتأثر سلوكه بصفة خاصة بالعديد من العوامل التي لها دور في تنمية ابداعاته وابرار مواهبه فمنها الجانب الوراثي والبيئي مضافاً إليه الجانب الاسري ودوره العظيم في ظهور الشخصية على أعلى المستويات، فقد حاكى الإمام سيرة جدة عطاءً ، وخيراً ، ونكراناً للذات ، وحباً لله ولعباده فقد سعى بكل ميادين حياته نشر العلوم التي ورثها عن آبائه (عليهم السلام) فقد خاض في كل المجالات في الفقه، وفي علم الكلام ، والرواية ، وكل العلوم فهو وريث من شق العلم ومن تكلم بروايته الآلاف الشيوخ في مختلف بقاع العالم فالأب الإمام الصادق (عليه السلام) والام سيده نساء عصرها السيدة حميدة الطاهرة (رضي الله عنها) فقد شق الإمام طريق آبائه في كل مجالات الحياة وكل العلوم ،وعن علي (عليهم السلام) ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : " منزلة أهل بيتي فيكم كسفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، تعلموا من عالم أهل بيتي ، ومن تعلم من عالم أهل بيتي نجا " (النوري، ١٤٠٨هـ، صفحة ٢٤٤/١٧) فلو استعرضنا حياة الإمام لوجدناه مجدبة من المغريات لم تتلوث روحه بأقذار المادة ولم تكرر جوهرها مآثم هذه الحياة الدنية وإنما كانت سيرته طافحة بالفضائل وإليه تنتهي المكارم فكان القدوة الفذة لكل إنسان نبيل يتطلع إلى المثالية وإلى الإنسانية الرفيعة .

المبحث الأول : سيرة الامام موسى بن جعفر(عليه السلام) الذاتية

المطلب الأول : الزواج المبارك :

تزوج الإمام الصادق (عليه السلام) من سيدة نقية الثوب طاهرة الذيل بريئة من النقص مملوءة بالإيمان والصلاح وقد غذاها الإمام بعلومه المختلفة حتى كانت المع نساء عصرها في العفة وعلوم الفقه (القرشي، ١٩٧٤، صفحة ٣٧/٢٨) فهي السيدة الطاهرة حميدة بنت صاعد البربرية، أو المصفاة (الطبري، ١٤١٥هـ، صفحة ١٩٠/٦) وسر اسمها نابعاً من مكانتها عند الإمام الصادق (عليه السلام) إذ قال في حقها: «حميدة مصفاة من الأدناس كسبيكة الذهب ما زالت الأملاك تحرسها حتى أدبت إلي كرامة من الله لي والحجة من بعدي» (الكافي، ١٣٦٣، صفحة ٤٧٧/١) وقال : «حميدة في الدنيا ومحمودة في الآخرة» (الكاشاني، ١٤٠٦هـ، صفحة ٧٩٨/٣) ولما احست السيدة بقرب الولادة ارسلت في طلب الإمام الصادق (عليه السلام) فقام مبادرا إليها فلم يلبث الا قليل حتى اشرفت الدنيا بسيدا من السادات ، وإماماً من أئمة أهل

البيت (عليهم السلام) الذي ما ولد في عصره ايمن ولا اكثر عائدة ولطفاً على الإسلام منه فقد بادر الإمام فتناول وليده، واجرى عليه مراسيم الولادة الشرعية فأذن في اذنه اليمنى، واقام في اليسرى لقد كانت أول صورة للإمام موسى (عليه السلام) هي صورة أبيه الذي ما اظلت سماء الدنيا اسمى، ولا اعظم شأناً بعد آبائه منه (القرشي، ١٩٧٤، صفحة ٣٨/٢٨)

الطلب الثاني: اسمه وكنيته وأبرز ألقابه

هو الإمام موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي أبو الحسين المدني الكاظم (العسقلاني، ١٣٢٦هـ، صفحة ٣٤١/٢٢) وكنيته أبو الحسن ويكنى أيضاً بأبي إبراهيم وأبي علي ولقبه الكاظم كان نابغاً من كثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، لنجاح المتوسلين إلى الله تعالى به، كراماته تحار منها العقول، وتقضي بأن له عند الله تعالى قدم صدق لا تزل ولا تزول (القمي، ١٤١٧هـ، صفحة ١٧٩) والعبد الصالح لأنه كان وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم واسخاهم كان موسى بن جعفر (عليه السلام) يدعى بالعبد الصالح، لعبادته واجتهاده (الشيرواني، ١٤١٤هـ، صفحة ٢٧٦) وكان اذا دخل مسجد رسول الله ﷺ فسجد سجدة في أول الليل كان يقول في سجوده عظم الذنب عندي فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى و يا أهل المغفرة فجعل يرددتها حتى أصبح (الصباغ، ١٤٢٢هـ، صفحة ٩٣٦) واللقابه تدل على مظاهر شخصيته المباركة ودلائل عظمته فقد كان زاهراً بالأخلاق الشريفة وكرمه الموروث عن جده رسول الله ﷺ

الطلب الثالث: ولادته وحب الامام له

ولد بالأبواء وهو موضع بين مكة والمدينة يوم الأحد لسبع ليال خلون من صفر سنة ١٢٨ من الهجرة (الطبرسي، ١٤٠٦هـ، صفحة ٤٦) وقد قطع الإمام شوطاً من طفولته بحفاوة وتكريم أباه له ومقابلته جماهير المسلمين له بالحب، والاحلال فمن مظاهر حب الإمام الصادق (عليه السلام) له هو قوله: حينما سئل: ما بلغ بك من حبك موسى؟ قال: «وددت أن ليس لي ولد غيره حتى لا يشركه في حبي له أحد» (المجلسي، ١٤٠٣هـ، صفحة ٢٠٩/٧٥) فإعلان حب الإمام له كان جوهره أنه رأى الصورة الصادقة في مواهبه، وعبقرياته عن كونه هو المفترض الطاعة من بعده على امه جده رسول الله ﷺ

الطلب الرابع: هيبته ووقاره

حاكى الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) هيبته اجداده الأوصياء فما رآه أحد إلا هابه وأكبره فقد روي عن المأمون أنه قال: "أستأذن الناس على ابي الرشيد فكان آخر من أذن له موسى بن جعفر (عليه السلام)"، فلما نظر إليه الرشيد تحرك ومد بصره وعنقه إليه حتى دخل البيت الذي كان فيه، فلما قرب منه جثا الرشيد

على ركبتيه وعانقه ثم أقبل يسأل عن أحواله وأبو الحسن يقول : خير خير . فلما قام عانقه وودعه ، فقلت يا أمير المؤمنين لقد رأيتك عملت بهذا الرجل شيئاً ما عملته مع أحد قط فمن هذا الرجل ! فقال : يا بني هذا وارث علم النبيين هذا موسى بن جعفر بن محمد إن أردت العلم الصحيح فعند هذا" (المازندراني، ١٣٧٦هـ، صفحة ٤٢٦/٣)

وقد صور الشاعر أبو نواس عظيم هيئته و وقاره حينما التقى به في الطريق فأشدد قائلاً :

إذا أبصرتك العين من غير ريبة * وعارض فيك الشك أثبتك القلب

ولو أن قوماً أمموك لقادهم * نسيمك حتى يستدل بك الركب

جعلتك حسبي في أموري كلها * وما خاب من أضحي وأنت له حسب (الامين، ١٤٠٣هـ، صفحة ٣٤٨/٥) فكانت هذه الابيات تعد صحوه للضمير فأبو نواس الذي كانت حياته مملوءة باللهو ، والمجون فما أن رأى الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) حتى انبرى صوته دفعة واحدة من دفعات الروح ليجسد هذه الشخصية العظيمة فيرجع هذا المديح العاطر . إلى شخصية الإمام المثالية التي لا ند لها في عصره (القرشي، ١٩٧٤، صفحة ٤٢/٢٨) .

المبحث الثاني : العوامل التربوية المكونة لشخصية الإمام (عليه السلام)

المطلب الأول : النظام الوراثي

أن قانون الوراثة قد أدركه الانسان منذ أمد بعيد ، ومفاده ، أن الجيل اللاحق يكتسب صفات الجيل السابق بنقل كثيراً من الصفات والخصائص إلى الأجيال التي تليه فبذرة الزهرة تحفظ في نفسها خصائص الساق والورقة والزهرة والألوان الطبيعية لها ، وبعد الانبات تأخذ بإظهار تلك الخصائص واحدة تلو الأخرى وكل الصفات الوراثية ترتبط بعوامل معينة تسمى بـ (الجينات) ولا تخلو الجينات من تأثير على بعضها البعض . بمعنى أن كلاً منها ينقل جزء معيناً من تلك الخواص والصفات (فلسفي، ١٤٢٦هـ، صفحة ٥٨) أذن كثيراً من الصفات الوراثية تنتقل بدون تجزئة، أو تغير من أحد الأصلين، أو منهما إلى الفرع . وأكد هذه الظاهرة " هكسلي " بقوله : " إنه ما أثر أو خاصة لكائن عضوي إلا ويرجع إلى الوراثة أو إلى البيئة فالتكوين الوراثي يضع الحدود لما هو محتمل ، والبيئة تقرر أن هذا الاحتمال سيتحقق ، فالتكوين الوراثي اذن ليس إلا القدرة على التفاعل مع أية بيئة بطريق خاص " . وبيان ذلك أن جميع الخواص الآثار التي تبدو من جسم الإنسان ، وخاصة في الأجهزة الحساسة كلها مصدرها العوامل

الوراثية وقوانينها ، أما البيئة فهي تقرر وقوع تلك المميزات وظهورها في الخارج ، فالنتيجة تكون ما البيئة إلا عاملاً مساعداً للوراثة ، وعلى أي حال فقد أكد علماء الوراثة بدون تردد أن الأبناء ، والأحفاد يرثون معظم صفات آبائهم ، وأجدادهم النفسية والجسمية ، وهي تنتقل إليهم وقد اكتشف الإسلام - قبل غيره - هذه الظاهرة ، ودلل على فعاليتها ، في التكوين النفسي ، والتربوي للفرد ، وقد حث بإصرار بالغ على أن تقوم الرابطة الزوجية على أساس وثيق من الاختيار والفحص عن سلوك الزوجين ، وسلامتهما النفسية والخلفية من العيوب والنقص (القرشي، حياة الامام الحسين ، ١٩٧٤ ، صفحة ٤٤/١) لذلك نجد ان الله عز وجل يقول : لذلك نجد قوله تعالى شاهداً على ذلك فيقول عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (عمران، ٦) فالصورة أراد بها ما خص الإنسان به من الهيئة المدركة بالبصر والبصيرة وبها فضله على كثير من الخلق ويمكن ان يراد به الحالة المستقبلية للمولود على صفاته من العلم والقدرة والارادة ونحو ذلك التي بها لبس خلعة الخلافة وامتاز به عما عداه (المظهري، ١٤١٢هـ، صفحة ٢٧٥/٩) وقد ذهب صاحب كتاب زبدة التفاسير إلى أن المعنى الصور المختلفة المتفاوتة على أي صفة يشاء ، والاستدلال على أنه عالم بإتقان فعله في خلق الجنين وتصويره . ويروي في كتابه رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) بتفسير هذه الآية: فيقول : أنها دللت على وحدانية الله سبحانه ، وكمال قدرته ، وتمام حكمته ، حيث صور الولد في رحم الأم على صفة مخصوصة ، وركب فيه من أنواع البدائع من غير آلة ولا كلفة ، وقد تقرّر في عقل كل عاقل أنّ العالم لو اجتمعوا على أن يخلقوا من الماء بعوضة ، ويصوّروا منه صورة في حال ما يشاهدونه ويصرفونه ، لم يقدروا على ذلك ، ولا وجدوا إليه سبيلا ، فكيف يقدرون على الخلق في الأرحام ؟ فتبارك الله أحسن الخالقين (الكاشاني، زبدة التفاسير ، ١٤٢٣هـ) والمقصود بصوركم لنفسه وعبادته كيف يشاء من الصور المختلفة ، مشابها لصورة أبيه أولاً (القمي، كنز الدقائق وبحر الغرائب ، ١٤٠٧هـ، صفحة ٣٠) فعن جعفر بن بشير ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : "إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقا جمع كل صورة بينه وبين أبيه إلى آدم ثم خلقه على صورة أحدهم فلا يقولن أحد هذا لا يشبهني ، ولا يشبه شيئا من آبائي " (الصدوق، علل الشرائع ، ١٣٨٥هـ، صفحة ١/١٠٣) ويؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ (الاعراف، ١٧٢) فيذكر صاحب تفسير المنار أن الذرية هي سلالة الإنسان من الذكور والإناث. فكل عاقل وقت أن استخرجه الله - تعالى - من أصلاب بني آدم ذريتهم ، فكان عن طريق أنهم كانوا نطفة فأخرجها - سبحانه - في أرحام الأمهات ، وجعلها علقة ثم مضغة ، ثم جعلها بشراً سوياً ، وخلقاً كاملاً مكلفاً (رضا، ١٩٩٠ ، صفحة ٣٢٥/٩). إن الكيان البشري ليرتفع من أعماقه وهو يتملىء هذا المشهد الرائع الباهر الفريد . وهو يتمثل الذر السابح . وفي كل خلية حياة . وفي كل خلية استعداد كامن . وفي كل خلية كائن إنسان مكتمل الصفات ينتظر الإذن له بالنماء

والظهور في الصورة المكونة له في ضمير الوجود المجهول ، ويقطع على نفسه العهد والميثاق ، قبل أن يبرز إلى حيز الوجود المعلوم! لقد عرض القرآن الكريم هذا المشهد الرائع الباهر العجيب الفريد ، لتلك الحقيقة الهائلة العميقة المستكنة في أعماق الفطرة الإنسانية وفي أعماق الوجود (قطب، ١٤١٢هـ، صفحة ٣/٣١٥) ويؤكد ذلك رسول الله ﷺ " أن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يتصور عليها الملك الذي يخلقها فيقول يا رب أذكر أم أنثى فيجعله الله ذكراً أو أنثى ثم يقول يا رب أسوي أم غير سوى فيجعله الله سوياً أو غير سوى ثم يقول يا رب ما رزقه ما اجله ما خلقه ثم يجعله الله شقيماً أو سعيداً " (الهندي، ١٤٠٩هـ، صفحة ١/١١١) أما الشقي فيذكره عز وجل بقوله: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٦١﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٦٢﴾ ﴾ (نوح، صفحة ٢٦/٢٧) وقد أوضح صاحب تفسير الكاشف ان اتساع رقعة الكفر والفجور قد طغت على مجتمع قوم نوح بحيث لا ينشأ فيه إلا الكافر الفاجر . . وهذا معلوم بان نفس الطفل كالمرآة ينعكس عليها كل ما يحيط بها من عوامل وراثية او بيئية مؤثره على سلوك الكبير بحيث يطرأ عليه الاختلاف في السلوك على الكبير فكيف الصغار (مغنية، الكاشف، ١٩٨٠، صفحة ٧/٤١٣) ويذكر صاحب تفسير الميزان بأن محتوى هذه الآية هي إخبار ببطلان استعداد أصلاهم ، وأرحامهم أن يخرج منها مؤمن ، وان ما ذكره هو من أخبار الغيب النابع عن وحى إلهي وتقرس نبوي (الطباطبائي، (د.ت)، صفحة ٦/٢٦٨) ويدلل ذلك قول النبي ﷺ « تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دساس » (الكاشاني، ١٤٠٦هـ، صفحة ٣/٧٠٦) فالرسول ﷺ يؤكد على ضرورة اختيار الزوجة من الأسر التي تحمل الصفات النبيلة ، لتأثير الوراثة على تكوين المرأة وعلى تكوين الطفل الذي تلده ، وكانت سيرته قائمة على هذا الأساس ، فاختر خديجة (عليها السلام) فأنجبت له أفضل النساء فاطمة (عليها السلام) ، وتبعه في السيرة هذه أهل البيت (عليهم السلام) فاخترت زوجاتهم من الأسر الكريمة وإلى جانب الانتقاء على أسس الوراثة ، أكد الإسلام على انتقاء الزوجة من المحيط الاجتماعي الصالح الذي أكسبها الصلاح وحسن السلوك (الاسلام، ١٤١٨هـ، صفحة ٢٨) وهو التخيير الذي أمرنا به الشرع ليشمل كل الصفات الأخلاقية ، والخلقية ، والصحية ، وأكد العالم "مندل" هذه الظاهرة بقوله " أن كثير من الصفات الوراثية تنتقل بدون تجزئه، أو تغيير من احد الاصلين ، أو منهما إلى الفرع (القرشي، ١٩٧٤، صفحة ٢٨/٥٢) وقد تصل أثر الوراثة إلى اطول طريق فعن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال : " أقبل رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، هذه بنت عمي وأنا فلان بن فلان حتى عد عشرة آباء ، وهي فلانة بنت فلان حتى عد عشرة آباء ، ليس في حسبي ولا في حسبها حبشي ، وأنها وضعت هذا الحبشي ، فأطرق رسول الله ﷺ طويلاً ، ثم رفع رأسه فقال : إن لك تسعة وتسعين عرقاً ، ولها تسعة وتسعين عرقاً ، فإذا اشتملت اضطربت

العروق ، وسأل الله عز وجل كل عرق منها أن يذهب الشبه إليه ، قم فإنه ولدك ولم يأتك إلا من عرق منك أو عرق منها ، قال : فقام الرجل وأخذ بيد امرأته ، وازداد بها ويولدها عجباً " (النوري، ١٤٠٨هـ، صفحة ٣٠٣/١٤) وقد يصل مفهوم الوراثة إلى الجوانب الاخلاقية ولعل اثر دعاء النبي الصالح زكريا ، في تصوير أمله في ذلك الوريث الذي يرجوه بحيث يكون لا جباراً ولا غليظاً، ولا متبظراً ولا طموحاً فأراد فيه نشر ظلال الرضى فيما حوله ومن حوله (قطب، ١٤١٢هـ، صفحة ٢٣٠٢/٤) لذلك نجد أن الله عز وجل يقول: ﴿ يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ (مريم، صفحة ٦/) فالوراثة هنا أن يكون رحمة على أمتهم بهدف هدايتهم إلى الطاعة ، والإيمان والشاهد حينما شرح لمحمد ﷺ طريقه في الإخلاص والابتغال في جميع الأمور فبتلك الطريقة كان نبي الله يحيى لزكريا عليهما السلام رحمة ورضوان (الرازي، مفاتيح الغيب، ١٤٢١هـ، صفحة ٥٠٧/٢١) وعلى ضوء ما ذكرت من قواعد الوراثة وعلى ما جاء من ذكر الآيات المباركة واخبار السنة النبوية نكاد نجزم أن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) قد أكتسب كل صفات آبائه الطاهرين من كرم، وسخاء ورحمة ، وحب خير ، وبر بالناس ، والتفاني في سبيل الصالح العام ، وقد جاء في كامل الزيارات في وصف النبي العظيم ﷺ نبي الرحمة المورث الاكبر لكل الصفات إلى ابناؤه فقد قال: " كنت نورا في الأصلاب الشامخة ، ونورا في ظلمات الأرض ، ونورا في الهواء ، ونورا في السماوات العلى ، كنت فيها نوراً ساطعاً لا يطفى ، وأنت الناطق بالهدى" (القمي، كامل الزيارات ، ١٤١٧هـ، صفحة ٤٠٣)

المطلب الثاني : الجانب الاسري

تعد الاسرة الركن الأساسي، واللبننة الاولى، في بناء الكيان التربوي فلها الأثر في تطبيع وغرس العادات، والقيم في شخصية الطفل لذلك يقول ماندر: " فإذا منح الطفل بتقليده الاشخاص المهذبين ظل متأثراً بأخلاقهم ، وعواظهم ، وأن هذا التأثير في اول الأمر يعتبر تقليداً لكن سرعان ما يصبح عادة .. وتتكون بهما الشخصية" (القرشي، ١٩٧٤، صفحة ٥٣/٢٨) اما "هربت سبنسر" فيعطي تحديداً كاملاً للتربية الاسرية فيقول: أن التربية هي اعداد الفرد ليعيش ، ويحيا حياة كاملة ... بحيث يكون قوي الجسم كامل الخلق منسق التفكير يعرف كيف يتعامل مع غيره ، ويقدر الطبيعة ، وما فيها من جمال، ويعرف كيف يدير شؤونه ، ويقوم بواجبه ، وينتفع بكل ما وهبه الله من مواهب فيفيد نفسه، وغيره (زيغور، ٢٠٠٦، صفحة ١٦٩) فلذلك نجد أن الله عز وجل يقول: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان، ٧٤/) فهنا إشارات واضحة لنية المؤمن البر النقي الذي هو على بصيرة من أمره ، والذي يتمنى من أعماق قلبه أن يسير جميع الناس على نهجه ، وان يكون أولاده على شاكلته يفرح بدينهم وسلوكهم ، فالمخلصون يسألون خالقهم أن يجعل أبنائه قدوة له في تقوى الله

وأن يكونوا أنوار الهداية في البحار والصحاري ، ينادون التائبين إليهم لينقذوهم من السقوط في المزالق، ومن الغرق في الدوام (الكاشف و مغنية، ١٩٨٠، صفحة ٤٨٤/٥) وقد بين صاحب تفسير الميزان أن المراد هنا بكون أزواجهم وذرياتهم قرّة أعين هو أن تكون ذريته القدوة الحسنة والطريق المستقيم الذي يقتدي به فلا حاجة لهم في غير ذلك ولا إربة وهم أهل حق لا يتبعون الهوى وهم يتسابقون في الخيرات (الطباطبائي، (د.ت)، صفحة ٢٤٥/١٥) لذلك نجد أن الإمام الصادق (عليه السلام) يقول : " نحن أصل كل خير ، ومن فروعنا كل بر ، فمن البر : التوحيد ، والصلاة ، والصيام ، وكظم الغيظ ، والعفو عن المسيئ ، ورحمة الفقير ، وتعهد الجار ، والإقرار بالفضل لأهله...." (الريشهري، ١٤١٦هـ، صفحة ١/١١٥) فلم يكن الهدف من نفحات الباري عز وجل أن يقبوعا المؤمنين في زاوية ويتضرعوا بالدعاء دون إن يكون هناك جد وعمل واضح وشوق داخلي في هذا الأمر بأنه يجب أن تكون هنالك همه في بذل ما لديهم من طاقة وقدرة في تربية أبنائهم وأزواجهم ، وتعريفهم بأصول وفروع الإسلام ، وسبل الحق والعدالة وفي ما لا تصل إليه قدرتهم وطاقاتهم وهذا الاصل الصحيح للدعاء (الشيرازي، ١٤١٢هـ، صفحة ٣٢٢/١١)

وعلى هذا فإن الإمام كان وحيداً في خصائصه ، ومقوماته لأنه نشأ في اسرة هي معدن التقوى ، ومنبع العلم ، والحكمة، ومهبط الوحي ، ومختلف الملائكة في بيت اذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً ، وإليهم تنتهي كل مكرمة ، وفضيلة لقد نشأ الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) في احضان أبيه الإمام الصادق (عليه السلام) الذي لم يعرف التاريخ الإنساني له نظير في العلم والتقوى ويروى أن الشهيد زيد بن علي (عليه السلام) قال: في بيان منزلة ومكانة الإمام الصادق (عليه السلام) فقال : « في كل زمان رجل منا أهل البيت يحتج به الله على خلقه ، وحجة زماننا ابن أخي جعفر بن محمد عليهما السلام لا يضل من تبعه ، ولا يهتدى من خالفه» (الفتال، ١٤١٣هـ، صفحة ٤٧١) وما ذكره مالك بن انس وهو تلميذ الإمام دلالة واضحة على الصورة الكاملة في وصفة فقال : " ما رأيت عين ولا سمعت اذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق فضلاً وعلماً وعبادة وورعاً " (المازندراني، ١٣٧٦هـ، صفحة ٣/٢٧٢) وقال ابن أبي ليلى واسمه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى : الأنصاري القاضي الكوفي ، وهو من أصحاب الصادق (عليه السلام) ، وكان صدوقاً مأموناً (التفرشي، ١٤١٨هـ، صفحة ٢٤١/٤) لذلك يذكر الامام الصادق (عليه السلام) قائلاً: " ما كنت تاركاً قولاً قلته أو قضاء قضيت له لقول أحد ألا رجلاً واحداً هو جعفر بن محمد . ولم يقل أحد سلوني قبل أن تفقدوني إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وولده جعفر بن محمد (عليه السلام) " (الامين، ١٤٠٣هـ، صفحة ١/٦٦٧)

لذلك نستنتج أن الإمام الهمام جعفر الصادق (عليه السلام) قد سكب في نفس ولده موسى جميع صفاته ومثله حتى صار بحكم نشأته وتربيته من اعلام الهدى ومن افذاذ الفكر الإسلامي صار كنفسه لا نظير له في العلم ، والتقوى .

الطلب الثالث: البيئة وأثارها على التربية

أن مواهب الطفل مرهونة بما تشملها البيئة عن كل المؤثرات التي تحيط بالإنسان والمؤثرات على نوعين أحدهما مادي أو جغرافي ويشتمل المناخ، الطقس، التضاريس، العمران، والبحار والمحيطات، .. والثاني يشتمل على البيئة الاجتماعية وتشمل الجماعات البشرية التي ينتمي إليها الفرد من أسرة، واصحاب إلى جانب القيم والعادات وأنماط السلوك والعرف و العلوم والدين واللغة وكل مظاهر الثقافة (السعود، ٢٠٠٧م، صفحة ١٨) لذلك تعد البيئة من اهم العوامل التي تعتمد عليها التربية؛ فهي لها دور كبير في تكوين العادات ، والغرائز في نفس الطفل ؛ فهي تعطي الأثر بالمثل فان كانت سليمة حسنت أثارها، وأن كانت سيئة ، وملوثة بالجرائم، والانحراف اصاب النشء بعاهااتها ، وآفاتها ومما يعني أن النظرية إذا كانت صحيحة، ومستقيمة كانت التربية ناجحة ، ولذلك فان من المهام الضرورية لكل مربي هو زرع هذه التصورات الصحيحة في ذهن الاطفال فتبدأ من نظرات الابوين لتمر بنوع الكلمات آخذة طريقها إلى البيئة، والمجتمع (الاسدي، ١٤٤٠هـ، صفحة ١٦/١) ومما لا شك فيه أن البيئة المستقرة ، والاسرة الموحدة التي يعيش اعضاؤها في جو من العطف المتبادل سيكون اول اساس يركز عليها تكييف الطفل من الناحية العاطفية ، والدينية وعلى هذا الأساس يستند الطفل فيما بعد في تركيز علاقاته الاجتماعية بصورة مرضية أما اذا شوهدت شخصية الطفل بسوء معاملة الوالدين فقد يعجز عن الاندماج في المجتمع (القرشي، ١٩٧٤، صفحة ٢٨/٥٥) لذلك فالمربي الكفاء يستطيع أن يستغل هذه الثروة الفطرية استغلالاً طيباً ، وينمي فيه كثيراً من الفضائل، والصفات الخيرة فالحب والعطف، إذا استغل بصورة معقولة ،وتبعاً لأساليب صحيحة ، كانت أساس سعادته ومن خلال تكريم الطفل والاهتمام بشخصية فقد تبين أن الذي يلتقي قدرأ كافياً من الاحترام في الأسرة ، وتلبي غريزة حبه للذات بالمقدار المناسب يملك روحاً سليمة ، ولذلك يمكن أن نتوقع من هذا الطفل سلوكاً مفضلاً وأخلاقاً حميدة ، وعلى العكس من ذلك بل ان هذا السلوك المفضل يشكل أساساً من أسس النظام الاجتماعي الصالح . (فلسفي، ١٤٢٦هـ، صفحة ٥٥) أذن فالإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) قد عاش بيئة دينية صالحة تسودها المثل العليا والقيم الإنسانية لذلك فقد ترعرع في بيت قد توفرت فيه كل عناصر التربية الرفيعة .

الطلب الرابع : مواهبه العلمية

ان الدلالات على مدى الامكانية العلمية التي كان يتمتع بها الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) كثيرة نذكر منها بعض المواقع

١- مع عيسى الشلقان :

لقد كان محمد بن مقلص الأسدي الكوفي، المعروف بـ (أبو الخطاب)، غالي ملعون، وكان ممن أعير الإيمان. كان ممن أباحوا وعطلوا الشرائع وتركوها وانسلخوا من الإسلام جملة وقد كان ذلك في عصر مولانا جعفر بن محمد (عليه السلام) وكان ممن اشتهر بالإلحاد وقد ظهرت مبادئه الهدامة على مسرح الكوفة ولما بلغ الإمام الصادق (عليه السلام) بمواقفه تجاه الإسلام تبرئ منه ولعنه على رؤوس الأشهاد (القمي، الكنى واللقاب، (د.ت)، صفحة ٦٤) وقد روي أن عيسى الشلقان من أصحاب الصادق (عليه السلام) وشلقان لقبه (الخوئي، ١٤١٣هـ، صفحة ٢٨٨/١٤) قال: "دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) وأنا أريد أن أسأله عن أبي الخطاب، فقال لي مبتدئاً قبل أن أجلس: يا عيسى، ما منعك أن تلقى ابني فتسأله عن جميع ما تريد؟ فقال عيسى: فذهبت إلى موسى بن جعفر (عليه السلام)، فقال لي مبتدئاً قبل أن أسأل: يا عيسى، إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبيين على النبوة فلم يتحولوا عنها أبداً، وأعار قوما الإيمان، وأخذ ميثاق الوصيين على الوصية، فلم يتحولوا عنها أبداً، وأعار قوماً الإيمان زماناً، ثم سلبهم إياه، وإن أبا الخطاب ممن أعير الإيمان، ثم سلبه الله تعالى، يقول: فضممته إلي وقبلت بين عينيه، ثم قلت: بأبي أنت وأمي [ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم] يقول فعلمت والله عند ذلك أنه صاحب هذا الأمر. فقال الإمام الصادق (عليه السلام): يا عيسى، إن ابني هذا الذي رأيت لو سألتها عما بين دفتي المصحف لأجابك فيه بعلمه" (البحراني، ١٤١٥هـ، صفحة ٢٣٦/٦)

٢- مع الإمام ابي حنيفة النعمان :

لقد ذهب ابي حنيفة إلى يثرب ليحاجج الإمام الصادق (عليه السلام) ولما انتهى إليه قصد دار الإمام وجلس في دهليز داره ينتظر الأذن بالدخول، وبينما هو جالس إذ خرج صبي وكان أبو الحسن موسى (عليه السلام) قائم وهو غلام فقال له أبو حنيفة: "أين يضع الغريب ببلدكم؟ فقال: اجتنب أفنية المساجد وشطوط الأنهار ومساقط الثمار ومنازل النزال ولا تستقبل القبلة بغائط ولا بول، وارفع ثوبك وضع حيث شئت" (الطوسي، ١٤١٨هـ، صفحة ٣٠/١). فبهر ابو حنيفة وأعجب به فهو لم يحسب أن يكون صبياً بهذا المقدار من النبوغ، والذكاء واندلع قائلاً ما اسمك فرد عليه موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن ابي طالب (عليهم السلام) ولما علم أنه من السلالة المحمدية وأنه فرع من الدوحة النبوية تقدم له بالسؤال الذي اعدده للإمام الصادق (عليه السلام) فقال: "يا غلام ممن المعصية، فنظر إلي وقال: إما أن تكون من الله أو من العبد أو منهما معا، فإن كانت من الله فهو أكرم أن يؤاخذ به بما لم يجنه، وإن كانت منهما فهو أعدل من أن يأخذ العبد بما هو شريك فيه، فلم يبق إلا أن يكون من العبد، فإن عفا فبفضله، وإن عاقب فبعدله (الصدوق، ١٤١٧هـ، صفحة ٤٩٥) فاغرورقت عيناى ابو حنيفة وقرأ قول الله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (عمران، ٣٤) وقد وقف ابو حنيفة مبهوراً وقد ملئت الدهشة إهابه وقال: قد استغنيت بما سمعت فقد ثبت الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) أنه كان يملك رصيذاً من

النبوغ ، والذكاء ما لا يملكه أي انسان في سنه عدا ما خصه الله عز وجل بالإمامة من ذرية رسول الله (القرشي، ١٩٧٤، صفحة ٢٨/٥٦)

٣- مع اليهود

وعن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال : « كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) ذات يوم وأنا طفل خماسي ، إذ دخل عليه نفر من اليهود فقالوا : أنت ابن محمد نبي هذه الأمة والحجة على أهل الأرض ؟ قال لهم : نعم فأرادوا ان يسألوه فنأدى على الإمام بقوله : أدن يا موسى فدنوت ، فمسح يده على صدري ثم قال : اللهم أيده بنصرك بحق محمد وآله ، ثم قال : سلوه عما بدا لكم . قالوا : وكيف نسأل طفلاً لا يفقه ؟ قلت : سلوني تفقهاً ، ودعوا العنت ! قالوا : أخبرنا عن الآيات التسع التي أوتيتها موسى بن عمران . قلت : العصا ، وإخراجه يده من جيبه بيضاء ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، ورفع الطور ، والمن والسلوى آية واحدة ، وقلق البحر . قالوا : صدقت... " (المجلسي، ١٤٠٣هـ، صفحة ٢٦٦/١٧) وختاماً فقد روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) : إن موسى بن جعفر (عليه السلام) تكلم يوماً بين يدي أبيه (عليه السلام) فأحسن ، فقال له : يا بني ، الحمد لله الذي جعلك خلفاً من الآباء ، وسروراً من الأبناء ، وعوضاً عن الأصدقاء.. " (الصدوق، عيون اخبار الرضا، ١٤٠٤هـ، صفحة ١٣٥/٢) .

المطلب الخامس : إلى منواه الأخير

إن هارون الرشيد لما ضاق صدره مما كان يظهر له من فضل موسى بن جعفر (عليه السلام)، وما كان يبلغه عنه من قول الشيعة بإمامته ، واختلافهم في السر إليه بالليل ، والنهار خشية على نفسه ومملكه ، ففكر في قتله من خلال ادواته (البحراني، ١٤١٥هـ، صفحة ٣٦٤/٦) لقد ذهب اكثر المؤرخين إلى أنه أمر السندي بن شاهك الوغد الاثيم الذي سولت نفسه الخبيثة في الاقدام على ابشع جريمة في الإسلام فاغتال سبط النبي ﷺ ، وازكى ذات خلقت في دنيا الوجود بعد آباءه الطيبين الطاهرين وفي روض الواعظين يشير إلى أن الفضل بن يحيى هو الذي سم الإمام حين قدم إليه مائدة : ورفع الإمام يده إلى السماء ، فقال : يا رب انك تعلم أني لو أكلت قبل اليوم كنت قد أعنت على نفسي ، قال : فأكل فمرض فلما كان من غد بعث إليه بالطبيب ليسأله عن العلة ، فقال له الطبيب ما علتك ؟ فأخرج يده ثم قال : هذه علتني وكانت خضرة وسط راحته تدل على أنه سم فاجتمع في ذلك الموضع قال فانصرف إليهم وقال والله لهو اعلم بما فعلتم به منكم ثم توفي (عليه السلام) (الفتال، ١٤١٣هـ، صفحة ٢١٧) ومما يؤيد هذا الكلام ما جاء في المستدرک حين "سئل الإمام الرضا (عليه السلام) : بأن يحيى بن خالد سمّ أباك موسى بن جعفر (صلوات الله عليهما) ؟ قال : نعم ، سمّه في ثلاثين رطبة" (النوري، ١٤٠٨هـ، صفحة ١٦٣/٨) وقد منع الرشيد كل الاسعافات ؛ بهدف إيصال الإمام إلى نهايته الحتمية فقد عانى الإمام بتلك الفترات ما لم

يعانيه أحد فقد فتق السم به ، وقطع اوصاله ، واحزنه أي حزن انتهاك حرمة، وغرته وعدم مشاهدة أعرائه واحبائه إضافة إلى عدم وداعهم، وقد علم الإمام بقرب اجله طلب من المسيب بن زهير بن عمرو الضبي ، أبو مسلم : قائد ، من الشجعان . كان على شرطة المنصور والمهدى والرشيدي ، العباسيين ببغداد . وولاه المهدي (خراسان) مدة قصيرة ، كان موكلا بموسى بن جعفر عليهما السلام من قبل الرشيدي ، وكان شيعيا ، وقد ذكر معجزة لموسى بن جعفر عليهما السلام مات في (منى) وقد دفن أسفل العقبة (الزركلي، ١٤٢٣هـ، صفحة ٢٢٥/٧) شربه ماء فشربها ثم دعاني فقال لي : يا مسيب ان هذا الرجس السندي شاهك سيزعم أنه يتولى غسلي ودفني هيهات هيهات أن يكون ذلك ابداً ! فإذا حملت إلى المقبرة المعروفة بمقابر قريش فألحدوني بها ولا ترفعوا قبوري فوق أربع أصابع مفرجات ولا تأخذوا من تربتي شيئاً لتتبركوا به . فإن كل تربه لنا محرمة إلا تربه جدي الحسين بن علي عليهما السلام فإن تعالي جعلها شفاء لشيعتنا وأوليائنا قال : ثم رأيت الإمام الرضا (عليه السلام) يتولى غسله وتحنيطه وتكفينه فلما فرغ من امره قال لي: يا مسيب مهما شككت فيه فلا تشكن في فأني إمامك ومولاك وحجه الله عليك بعد أبي (عليه السلام) (الصدوق، عيون اخبار الرضا، ١٤٠٤هـ، صفحة ٩٥/١) لقد مضيت يا سيدي شهيداً سعيداً برضاه لأنك لم توارب ولم تخادع بل رفعت لواء الحق وهتفت بالعدل وارتدت الخير لجميع المسلمين فكان على الله عز وجل ان يطيب ذكرك ويخلد اسمك وان يخسر خصمك ويخمد أسمه فلا يذكر الا قرين الخيبة والخسران فالسلام عليك يا بن رسول الله يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حياً وكان هذا الجلل سنة ١٨٣هـ (القرشي، ١٩٧٤، صفحة ٥١٢/٢٩) .

الخاتمة :-

- تبين للباحث من خلال التنقل بين كتب التاريخ وكتب الرجال وما كتب عن هذه الشخصية الفذة الاتي:
- ١- يعد الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) من كبار ائمة المسلمين وقد من افاذ العقل الإنساني الذي اضاء الحياة الفكرية في الإسلام علماً وحكمة تقوى وهو من بيت طهرهم الله من الآفات والزلل واتم بهم الحجة على الخلق اجمعين فهم الاسوة الحسنة ومثال في التقوى والعلم والحكمة.
 - ٢- ان للصفات الوراثية دور كبير في التأثير على بناء الانسان فهي تنتقل بدون تجزئة أو تغير من أحد الأصلين أو منهما إلى الفرع . فالتكوين الوراثي يضع الحدود لما هو محتمل ونكاد نجزم ان الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) قد أكتسب بالوراثة كل الصفات والجينات من آبائه الطاهرين من كرم وسخاء ورحمة وحب خير وير بالناس والتفاني في سبيل الصالح العام.

- ٣- أن الاسرة الركن الاساسي واللبنة الاولى في بناء الكيان التربوي فلها الاثر في تطبيع وغرس العادات والقيم في شخصية لذلك نستنتج ان الامام جعفر الصادق (عليه السلام) قد سكب في نفس ولده جميع صفاته ومثله حتى صار بحكم نشأته وتربيته من اعلام الهدى بل كنفسه لا نظير له في العلم والتقوى
- ٤- تعد البيئة من اهم العوامل التي تعتمد عليها التربية فهي لها دور كبير في تكوين العادات والغرائز في نفس الطفل فهي تعطي الأثر بالمثل فان كانت سليمة حسنت آثارها. اذن البيئة المحيطة بالإمام قد ساعدت ان يشق طريقة في الاصلاح والصالح اينما حل.
- ٥- لقد جسدت ملامح شخصية الإمام الكاظم (عليه السلام) جبلاً من الصبر والإيمان بالرغم من جملة المعاناة والظلم التي نالت به والتي أهمها مضايقات السلطة الحاكمة له وحصاره الاقتصادي بمنع حقوقه المادية ومنع عنه الاتصال بالاحبة والاصحاب مضافاً إلى ذلك سجنه وفساد السم إليه الذي كان سبباً بوفاته فكان على الله عز وجل ان يطيب ذكرك ويخلد اسمك وان يخسر خصمك ويخمد اسمه فلا يذكر الا قرين الخيبة والخسران.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الارشاد ، الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لتحقيق التراث، دارالمفيد للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ
- ٣- اصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني(ت ٣٢٩هـ)، تحقيق : علي أكبر الغفاري ،دار الكتب الاسلامية ، طهران ، ط ٤ ، ١٤٢٦هـ
- ٤- اعيان الشيعة ، السيد محسن الامين (ت ١٣٧١هـ) ، تحقيق : السيد حسن الاميني ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ
- ٥- الاعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، ط ١٥ ، ١٤٢٣هـ
- ٦- الأمالي ، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) ، مؤسسة البعثة - قم ، ط ١ ، ١٤١٧هـ
- ٧- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الامام علي بن ابي طالب ، قم ، ط ١ ، ١٤٢١هـ

- ٨- الانسان والبيئة دراسة في التربية البيئية، د. راتب ابو السعود ، الحامد للنشر والتوزيع ، عمان - الاردن ، ط١ ، ٢٠٠٧
- ٩- الأنوار البهية ، الشيخ عباس القمي(ت١٣٥٩هـ) ، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المشرفة، ط١، ١٤١٧هـ
- ١٠- بحار الانوار، محمد باقر المجلسي(ت١١١١هـ) تحقيق : محمد مهدي السيد حسن الخرسان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ
- ١١- تاج المواليد ، الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ) ، دار : مكتب آية الله العظمى المرعشي النجفي ، قم ، ١٤٠٦هـ
- ١٢- تربية الطفل في الاسلام ، مركز الرسالة ، قم ، ط١ ، ١٤١٨هـ
- ١٣- التربية مفهومها وخطواتها العملية، الشيخ حسين عبد الرضا الاسدي ، معهد تراث الانبياء ، النجف ، ط١ ، ١٤٤٠هـ
- ١٤- تفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠ هـ) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٠م
- ١٥- تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب ، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (ت ١١٢٥هـ) تحقيق : حسين درگاهي ، مؤسسة الارشاد الاسلامي، قم ، ط١ ، ١٤٠٧هـ
- ١٦- التفسير المظهري ، محمد ثناء الله المظهري (ت١٢٢٥) ، تحقيق: غلام نبي التونسي مكتبة الرشدية - الباكستان ، ط١، ١٤١٢هـ
- ١٧- تفسير المنار ، محمد رشيد بن علي رضا الحسيني (ت ١٣٥٤هـ) دار الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٠م
- ١٨- تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ) ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المشرفة ، (د.ط.ت)
- ١٩- تهذيب الأحكام، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) ، تحقيق : السيد حسن الموسوي الخرسان ، دار الكتب الاسلامية ، طهران ، ط١ ، ١٤١٨هـ

- ٢٠- تهذيب التهذيب ، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ
- ٢١- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ،أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (٧٤٢هـ)،تحقيق :عمر سيد شوكت، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٥ هـ
- ٢٢- حياة الامام الحسين ، باقر شريف القرشي (ت ١٤٣٣هـ) ، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ، ط١، ١٩٧٤م
- ٢٣- خلاصة الاقوال، العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ) ، تحقيق : جواد القيومي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المشرفة ، ط١، ١٤١٧هـ
- ٢٤- دلائل الامامة ، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ،تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة ، قم، ط١، ١٤١٣هـ
- ٢٥- رجال ابن داود ، ابن داود الحلي (ت ٧٤٠هـ) تحقيق: السيد محمد صادق آل بحر العلوم ، منشورات مطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف، ط١ ، ١٣٩٢هـ
- ٢٦- روضة الواعظين ، محمد بن الحسن الفتال النيسابوري(ت ٥٠٨هـ) ، تحقيق: غلامحسين المجيدي ، منشورات دليل ما ، قم ، ط٢ ، ١٤١٣هـ
- ٢٧- زبدة التفاسير ، الملا فتح الله الكاشاني (ت ٩٨٨هـ) ، تحقيق : مؤسسة المعارف، مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم ، ط١، ١٤٢٣هـ
- ٢٨- الطفل بين الوراثة والتربية، الشيخ محمد تقى فلسفي (ت ١٤١٨هـ) ، تحقيق : فاضل الحسيني الميلاني، دار سبط النبي، قم، ط٢، ١٤٢٦هـ
- ٢٩- عالم التربية ماهية وتاريخ وتطلعات ، د. محمد زيعور ، دار الهادي، بيروت ، ط١، ٢٠٠٦م
- ٣٠- علل الشرائع ، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) ، تحقيق : السيد محمد صادق بحر العلوم ،منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها ، النجف الأشرف ، ط١ ، ١٣٨٥هـ
- ٣١- عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ، الشيخ الصدوق(ت ٣٨١هـ) ، تحقيق : تصحيح وتعليق وتقديم : الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط١، ١٤٠٤هـ

- ٣٢- **الفصول المهمة في معرفة الأئمة** ، علي بن محمد أحمد المالكي المعروف بابن الصباغ (ت ٨٥٥ هـ) ، تحقيق : سامي الغريزي، دار الحديث للطباعة والنشر ، ط١، قم ، ١٤٢٢ هـ
- ٣٣- **في ظلال القرآن** ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥ هـ) ، دار الشروق بيروت، ط١٧، ١٤١٢ هـ
- ٣٤- **كامل الزيارات** ، جعفر بن محمد ابن قولويه القمي (ت ٣٦٨ هـ) ، تحقيق : جواد القيومي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ط١، ١٤١٧ هـ
- ٣٥- **الكنى والألقاب** ، الشيخ عباس القمي (١٣٥٩ هـ) ، تقديم محمد هادي الأمين ، مكتبة الصدر - طهران (د.ط.ت)
- ٣٦- **مدينة المعاجز** ، السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧ هـ) ، تحقيق : لجنة التحقيق بإشراف فارس حسون كريم ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم ، ط١، ١٤١٥ هـ: ٢٣٦/٦
- ٣٧- **مستدرك الوسائل** ، ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ) ، تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، بيروت ، ط٢، ١٤٠٨ هـ
- ٣٨- **معجم الرجال وتفصيل طبقات الرواة** ، السيد علي أكبر بن هاشم تاج الدين المعروف بالسيد ابو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣ هـ) ، مركز نشر الثقافة الإسلامية ، قم ، ط٥، ١٤١٣ هـ
- ٣٩- **مفاتيح الغيب** ، الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٢١ هـ
- ٤٠- **مناقب ال ابي طالب** ، ابو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨ هـ) ، تحقيق : لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، مطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، (د.ط) ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م
- ٤١- **مناقب أهل البيت (ع)** ، المولى حيدر الشيرواني (ت. ق ١٢) ، تحقيق : الشيخ محمد الحسنون ، مطبعة منشورات الإسلامية ، قم ، ط١، ١٤١٤ هـ

- ٤٢- موسوعة سيرة اهل البيت ،باقر شريف القرشي (ت١٤٣٣هـ) ، تحقيق : مهدي باقر القرشي ، مؤسسة الامام الحسن لأحياء تراث اهل البيت عليهم السلام ، النجف ، ط٢ ، ١٤٣٣هـ
- ٤٣- ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ، تحقيق : دار الحديث، ط١ ، ١٤١٦هـ
- ٤٤- نقد الرجال، مصطفى بن السيد الحسين الحسيني القرشي (١٠٤٤هـ)، تحقيق : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، قم ، ط١ ، ١٤١٨هـ
- ٤٥- الوافي ، محمد بن محسن بن مرتضى بن محمود الملقب بالفيز الكاشاني (ت١٤٠٦هـ) ، تحقيق : ضياء الدين الحسيني ،مكتبة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام ، اصفهان ، ط١ ، ١٤٠٦هـ

**دور سليم علي سلام في المؤتمر العربي الأول
في باريس (١٩١٣)**

**ياسر خاشع عبيد أحمد
أ.م. د. أنس إبراهيم العبيدي
جامعة بغداد - كلية الآداب - قسم التاريخ
Yaserkashea@gmail.com**

ياسر خاشع عبيد أحمد

أ.م.د. أنس إبراهيم العبيدي

الملخص

عندما عقد المؤتمر العربي الأول في باريس سنة ١٩١٣، كان سليم علي سلام أحد أعضاء وفد بيروت الذي تكون من ثلاثة مسلمين وثلاثة مسيحيين، وانتخب عضواً في اللجنة التنفيذية للمؤتمر. وكان المؤتمر قد عقد رداً على القمع العثماني الذي اشتد بعد وصول حزب الاتحاد والترقي إلى السلطة سنة ١٩٠٨، وقد طالب المؤتمر جعل اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية، وجعل الخدمة العسكرية للشبان العرب داخل ولاياتهم باستثناء حالات الحرب، ومنح صلاحيات أكبر للحكومات المحلية في الولايات العربية. وكان سليم علي سلام على رأس الوفد الذي اختاره المؤتمر لتبليغ مقررات المؤتمر إلى الحكومة العثمانية وإلى وزير خارجية فرنسا ستيفن بيشون.

Salim Ali Salam's role in the first Arab conference in Paris (1913)

Yasir Khashi'a Ubaid Ahmed

Dr. Anas Ibrahim al-Ubaidi

Baghdad University - College of Arts - Department of History

Abstract

When the first Arab conference was held in Paris in 1913, Saleem Ali Salaam was one of the members of the Beirut delegation, which consisted of three Muslims and three Christians. Saleem was elected as a member of the conference's executive committee. The conference was held in response to the Ottoman oppression that intensified after the Union and Progress Party came to power in 1908. The conference called for making the Arabic language an official language in the Arab states, making military service for Arab youths within their states, with the exception of cases of war, and granting more powers to local governments in the Arab states. Saleem was at the head of the delegation chosen by the conference to communicate the decisions of the conference to the Ottoman government and to the French Minister of Foreign Affairs, Stephen Pichon.

لمقدمة:

شهدت ولاية بيروت والولايات العربية الأخرى حراكاً سياسياً واجتماعياً معارض لسياسة الدولة العثمانية تجاه العرب لا سيما بعد اغلاق جمعية بيروت الإصلاحية واعتقال بعض أعضائها^(١). حيث زاد تعسف واضطهاد الاتحاديين للحركة القومية العربية، الامر الذي دفع قادة هذه الحركة الى نقل نشاطهم الى خارج الدولة العثمانية من اجل تعريف الرأي العام العالمي بمطالب العرب القومية، وتوحيد الجهود التي تبذل في هذا الشأن^(٢).

ففي بيروت بدأت توزع منشورات سرية على بعض الشخصيات وفي بعض الشوارع، ومما جاء في أحد هذه المنشورات والذي يحمل عنوان " الى الأمة العربية-الوطن في خطر" "قدمنا أولادنا للعسكرية وأموالنا للاستانة لأجل ان ترقى الدولة فكان رقيها الى أسفل، والان امسينا وبيننا وبين رجال الاستانة سوء تفاهم، نحن نعتقد انهم إخواننا وهم في الظاهر يضحكون علينا، وفي الواقع يرون اننا عبيدهم وان لهم ان يمنعونا حقوقا وهبها الله" ^(٣)، وانتهى البيان بإثارة الروح القومية العربية والمطالبة بمنح العرب حق إدارة ولاياتهم بأنفسهم^(٤).

وفي تلك الاثناء كان عدد من الطلاب العرب الذين يتلقون تعليمهم في باريس-من بينهم أعضاء من جمعية العربية الفتاة-يتابعون التطورات التي تحصل في بلدانهم. وبعد الاقصاء الذي نالته حركة الإصلاح في بيروت من قبل الاتحاديين قرروا إقامة مؤتمر للعرب خارج حدود الدولة العثمانية، وإرسال رسالة للعالم بأن اللامركزية هي قوام حياة العرب وأنهم شركاء في هذه الدولة بل ويشكلون الأغلبية المطلقة فيها^(٥). ويتبين ان فكرة هذا المؤتمر تعود لخمسة شبان من بيروت ودمشق وناپلس ممن كانوا متواجدين في باريس وهم كل من: عبد الغني العريسي^(٦)، عوني عبد الهادي، محمد المحمصاني، جميل مردم، وتوفيق فائد. ثم عرض هؤلاء الشبان الفكرة على الجالية العربية المتواجدة في باريس فلاققت استحساناً وتأييداً كبيراً، ثم عمدوا الى انتخاب لجنة تحضيرية للتواصل مع زعماء النهضة العربية في الأقطار العربية ودعوتهم للمشاركة في المؤتمر. ثم تقرر ان ترتبط هذه اللجنة بحزب اللامركزية بمصر بصفة رسمية، وأرسلت اللجنة بيانا الى اللجنة العليا لحزب اللامركزية

الإدارية تعرض عليها فيه ان يتصدر الحزب قيادة المؤتمر وأنها ستعهد برئاسته الى احد أعضاء الحزب، وذلك لان اهم الأهداف من عقد هذا المؤتمر هو الحفاظ على كيان العرب وتطبيق نظام اللامركزية في الحكم^(٧)، وبعد اخذ موافقة الحزب توجهت اللجنة ببيان الى الأقطار العربية تدعو فيه الى المشاركة في المؤتمر، ومما جاء في نص البيان ” نحن الجالية العربية في باريس، وقد اوقفنا المناظرات السياسية في الجرائد الاوربية، والأندية العمومية، على استقراء ما يجري من المخابرات الدولية بشأن البلاد العربية وأخصها زهرة الوطن سورية...فجرى البحث عن التدابير الواجب اتخاذها لوقاية الأرض...من عادية الأجانب “^(٨). كذلك اقترحت اللجنة التحضيرية ان يبحث المؤتمر المسائل الآتية:

-حقوق العرب في الدولة العثمانية.

-ضرورة تطبيق نظام اللامركزية في الحكم.

-التأكيد على الوحدة العربية ومناهضة أي محاولة للاحتلال^(٩).

ولا شك ان هناك عدة أطراف داخلية وخارجية يحاول كل طرف منها تحقيق أهدافه من خلال هذا المؤتمر. فحزب اللامركزية الإدارية في مصر بذل جهود كبيرة للتحالف مع الحركة الإصلاحية في بيروت، وأرسل الحزب أحد أعضائه الى بيروت ليقتراح التنسيق بين الحركتين، محاولا اقناع سليم علي سلام بفضائل إلحاق سورية بمصر تحت الحماية البريطانية، وهذا يوضح لنا ان بريطانيا سعت لبسط حمايتها على المعارضين للدولة العثمانية، فبعد ان ألغيت جمعية بيروت الإصلاحية عرضت القنصلية البريطانية في بيروت على أعضاء الجمعية الاجتماع داخل الكلية الامريكية وهي مقاطعة محمية ووعدهم بالسماح لهم بممارسة نشاطهم^(١٠).

اما فرنسا فتحاول كسب المعارضين من المسلمين العرب الى صفها تمهيدا لبسط حمايتها على مناطق المعارضة، وذلك عن طريق اصدقائها مسيحيي سورية الذين كانوا يشكلون نصف أعضاء جمعية بيروت الإصلاحية ونصف أعضاء اللجنة التحضيرية للمؤتمر، والذين ادوا دوراً مهماً في اعمال المؤتمر كما سنرى في الصفحات اللاحقة^(١١).

وهناك أيضا القوميون العرب المعارضون للاستعمار الأوربي بكل اشكاله ويهدف هؤلاء الى اصلاح أوضاع ولاياتهم عن طريق تطبيق قواعد اللامركزية بما يعزز من وحدتهم وقوتهم وقطع الطريق امام خطر الاستعمار الأوربي. ويعد سليم علي سلام واحدا من أبرز الشخصيات القومية التي بذلت جهوداً كبيرة في هذا الاتجاه^(١٢).

وفي تلك الاثناء وبينما كانت تتجاذب وجهات النظر حول هذا المؤتمر زار الصدر الأعظم السابق كامل باشا بيروت، وذلك في الحادي عشر من أيار ١٩١٣ وكان في طريقه الى أوروبا^(١٣). وبعد حضوره الى بيروت بيومين استدعى سليم علي سلام ودار بينهما حديث عن الإصلاحات ووجوب تنفيذها. ثم أشار الى سليم علي سلام بضرورة اشتراكه في المؤتمر بقوله ” من الضروري ان تسافر انت، انما اوصيكم ان لا تعتمدوا على الأجانب ولا تتقوا بهم“^(١٤)، وكان كامل باشا محقا في شكوكه لان المؤتمر يعقد في عاصمة اجنبية لها مطامع قديمة في بلاد الشام من جهة، وان بعض المشاركين في المؤتمر لهم ارتباطات سابقة مع فرنسا وبريطانيا من جهة اخرى^(١٥)، فبين له سليم علي سلام ان حركتهم ليست مستندة الى الدول الاوربية، فأجابه الصدر الأعظم ” اعلم ذلك جيدا وخوفا من تمكن الغير أرى من الضروري سفرك انت“^(١٦). وهذا ما يبين لنا مدى ثقة رجال الدولة العثمانية بسليم علي سلام، ونزعته العثمانية.

وكان أعضاء جمعية بيروت الإصلاحية يتداولون فيما بينهم حول من سيمثلهم في الوفد الذي سيشترك في المؤتمر، وكان من ضمن الذين وقع عليهم الاختيار منذ بداية طرح فكرة المؤتمر هو سليم علي سلام الا انه في بداية الامر رفض لأسباب عائلية، حيث لم يكن قد مضى أسبوعين على وفاة ولده محيي الدين. ولما لم يتمكنوا من تشكيل الوفد من جهة ورفض باقي الشخصيات التي ستمثل الوفد السفر الى باريس ما لم يكن سليم علي سلام معهم من جهة أخرى، أصروا عليه للذهاب مع الوفد وبعد عدة زيارات ومحاولات وافق سليم علي سلام على تمثيل بيروت والجمعية الإصلاحية في المؤتمر العربي الأول المنعقد في باريس، وكان معه في الوفد كل من احمد مختار بيهم وخليل زينية^(١٧) واحمد حسن طيارة^(١٨) وايوب ثابت^(١٩).

وبعد وصولهم الى باريس نشرت بعض الصحف العثمانية الرسمية ان الوفد السوري الذي وصل الى باريس لا يتمتعون بصفة تمثيل مواطنيهم^(٢٠)، وعلى إثر ذلك أرسل زعماء الطوائف المسيحية في ولاية بيروت برقية في ٢٦ أيار ١٩١٣ يفوضون فيها أعضاء الوفد المؤلف من: سليم علي سلام، احمد مختار بيهم، أيوب ثابت، احمد حسن طيارة، خليل زينية، بتمثيلهم والتعبير عن مطالبهم في المؤتمر^(١). كما أرسل بعض وجهاء بيروت برقية تأييد الى المؤتمر والموافقة على أي قرار يصدر عنه^(٢١).

وبادرت عنبرة سلام الخالدي أيضا مع عدد من الفتيات البيروتيات بإرسال رسالة تأييد وتشجيع للمؤتمر^(٢٢).

ولا شك ان التقارير الفرنسية اخذت حيزا مهما قبل انعقاد المؤتمر، ففي تقرير ارسله القنصل الفرنسي في بيروت "Couget" الى وزير الخارجية الفرنسي السادس عشر من ايار ١٩١٣، جاء فيه "من بين مبعوثي لجنة الإصلاح الذين ذكرتهم لك وارسلت الى سعادتك احتمال ذهابهم الى القاهرة وباريس في تقرير الثاني عشر من أيار، لم يسافر سوى عضو واحد نهار الاثنين الماضي، السيد خليل زينية، لالتحاق بأحمد مختار بيهم الموجود في القاهرة... اما سليم علي سلام فهو لا يزال في حيرة من امره، ويجب القيام بخطوة جديدة تجاهه هذا اليوم بالذات، وفي حال قبوله سوف يسافر بدون شك الى القاهرة في الباخرة القادمة مع الدكتور أيوب ثابت. وبذلك لا تعود البعثة تحتوي الا على خمسة أعضاء، ثلاثة مسيحيين واثنين مسلمين. السيدان: مختار بيهم، و خليل زينية هما الشخصيتان الأكثر تميزا. وأني اسمح لنفسي مجددا بأن اوصيك بأن تستقبل هذا الأخير بشكل خاص استقبالا حسنا، لقد برهن دائما عن كونه مخبرا متفانيا ومنبها مخلصا لهذه القنصلية العامة. فلنا ان نعهده بحق مواليا لفرنسا بصدق"^(٢٣). وفي التقرير ذاته أوضح "Couget" بأن أعضاء الوفد الإصلاحية وبقية الوفود الأخرى لن يبحثوا في المؤتمر موضوع الوحدة العربية وتأسيس دولة عربية مستقلة، لان مثل هكذا طرح ستحاربه الدول الكبرى، ولن يطالبوا بأكثر من نظام لا مركزي لبلادهم ومستشارين أجانب^(٢٤).

كما لقي المؤتمر معارضة من قبل بعض القوى الإسلامية في دمشق والتي أرسلت برقية في الخامس والعشرين من أيار ١٩١٣ الى العاصمة العثمانية تبين فيها تأييدها للدولة العثمانية واحتجاجها على انعقاد المؤتمر، ومما جاء فيها "ان بعض الشباب الجهلة مع بعض الطلاب يريدون إقامة مؤتمر في باريس، ان هؤلاء يدعون انهم يدافعون عن حقوق الوطن العربي، وفي الواقع ليس لدى هؤلاء هدف اخر غير تدعيم التأثير الاجنبي على سوريا والبلاد العربية الاخرى، انهم خونة يخونون دينهم ووطنهم"،^(٢٥).

على اية حال فقد عقد المؤتمر أولى جلساته في قاعة الجمعية الجغرافية في شارع سان جرمان في باريس يوم الأربعاء في الثامن عشر من حزيران ١٩١٣، وحضره ممثلون عن الجمعيات العربية، فضلا عن الجاليات العربية في فرنسا وامريكا واسطنبول^(٢٦)، وانتخب عبد الحميد الزهراوي^(٢٧) رئيسا للمؤتمر وشكري غانم نائبا له^(٢٨)، كما انتخب سليم علي سلام وكيلًا، مع ندره المطران، واحمد طيارة. وألقى رئيس المؤتمر عبد الحميد الزهراوي خطبة على المؤتمرين تحدث فيها عن أسباب عقد المؤتمر ومطالب العرب، وركز فيها على الاخاء العربي-التركي في إطار الرابطة العثمانية، وان ذلك الاخاء يتحقق عن طريق اللامركزية، وأشار الى وجوب معرفة ما يمكن اقتباسه من وسائل الحرية لدى الغرب وأن الغرب ليس هو الخطر الحقيقي، انما الخطر الحقيقي يتمثل بسوء الإدارة وفساد السياسة^(٢٩). وفي الجلسة الثانية في العشرين من حزيران فقد القى عبد الغني العريسي خطبة تحت عنوان (حقوق العرب في المملكة العثمانية) أكد فيها على حقوق العرب في مشاركة السياسة في الدولة العثمانية^(٣٠). وفي الجلسة ذاتها اقترح سليم علي سلام رفض كل الوظائف التي تعرض على العرب في الدولة العثمانية مالم يتم تحقيق المطالب الإصلاحية، وهذا يدل على ان سليم علي سلام رغم نزعه العثمانية الا انه غير موالي للعثمانيين موالاة التبعية. كما انه أيضا رغم عثمانيته لم يعارض الانفتاح على دول الغرب والتعاون معها، ولهذا نراه في احدى جلسات المؤتمر يرد على أحد المعارضين للمساعدة الاوربية بقوله " البيروتيين اجمعوا على هذا الطلب في لائحهم على ان يكون استخدام المستشارين الأجانب لمدة معينة...اما المعارضة التي توجه للبيروتيين بسبب امرأوا فيه مصلحتهم فإنها مثل أي معارضة يوجهها البيروتيين الى اهل ولاية أخرى في خصوصياتها، وهذا ما لا نرى أنفسنا محقين به لو

فعلناه“،^(٣١). وأثيرت مسألة الاستعانة بمستشارين أجنب في جلسة أخرى فحسم سليم علي سلام القضية بقولة ” ان النظام اللامركزي يحل المشكلة بترك الحرية لكل ولاية ان تقرر هذا الامر بملى حريتها“،^(٣٢).

ثم استمرت جلسات المؤتمر لعدة أيام وخرج المؤتمر يوم ٢٣ حزيران ١٩١٣ بمجموعة من القرارات والتوصيات ذهبت باتجاه استمرار العلاقة مع الدولة العثمانية وهي على النحو الآتي^(٣٣):

- ١- اجراء إصلاحات حقيقية وعلى وجه السرعة من قبل الدولة العثمانية.
- ٢- ضرورة إعطاء العرب حقوقهم السياسية ومشاركتهم في الإدارة المركزية اشتراك فعلي.
- ٣- عد اللغة العربية لغة رسمية في دوائر الولايات العربية.
- ٤- ضرورة انشاء إدارة لا مركزية في كل ولاية للنظر في متطلباتها.
- ٥- تكون الخدمة العسكرية بالنسبة للعرب داخل ولاياتهم الا في حالات الحرب.
- ٦- الاستعانة بمستشارين أجنب وتوسيع سلطة المجالس العمومية.
- ٧- يصادق المؤتمر ويظهر ميله لمطالب الأرمين العثمانيين القائمة على اللامركزية.
- ٨- يطلب المؤتمر من الحكومة العثمانية ان تكفل الوسائل المالية لإدارة جبل لبنان.
- ٩- يتم تبليغ هذه القرارات للحكومة العثمانية.
- ١٠- تبلغ أيضا هذه القرارات للحكومات الصديقة للدولة العثمانية.

ملحق بقرارات المؤتمر^(٣٤)

- ١- في حال لم تنفذ القرارات التي صدرت عن المؤتمر فإن أعضاء لجان الإصلاح يمتنعون عن قبول أي منصب في الدولة العثمانية الا بموافقة خاصة من جمعياتهم.

٢- تكون هذا القرارات بمثابة برنامج سياسي للعرب في الدولة العثمانية، ولا يتم مساعدة أي مرشح في الانتخابات التشريعية الا إذا تعهد بتأييد هذه البرنامج وطلب تنفيذه.

٣- يشكر المؤتمر الجاليات العربية لمؤازرتهم له ويرسل لهم تحياته بواسطة مندوبيهم.

وفي الثلاثين من حزيران ١٩١٣ توجه وفد من أعضاء المؤتمر برئاسة عبد الحميد الزهراوي ومعهم سليم علي سلام الى وزارة الخارجية الفرنسية، وسلموا نسخة من قرارات المؤتمر الى وزير الخارجية الفرنسي Stephen Pichon^(٣٥)، كما قدم الوفد شكره للحكومة الفرنسية لحسن ضيافتها، وطلبوا منها ان تساعدهم في اقناع الدولة العثمانية بإجراء الإصلاحات اللازمة، ثم توجه الوفد الى السفارة العثمانية في باريس وسلموا السفير العثماني نسخة من قرارات المؤتمر^(٣٦).

ثم توجه وفد بيروت الإصلاحية في أوائل تموز ١٩١٣ الى وزارة الخارجية الفرنسية للتباحث حول قرارات المؤتمر، وكان الوفد يتألف من: سليم علي سلام، احمد مختار بيهم، احمد طيارة، أيوب ثابت، خليل زينية. وكان سليم علي سلام واحمد مختار بيهم صريحين في هذا اللقاء، ومما قاله احمد مختار بيهم ”بلغنا انه يوجد البعض ممن لا صفة رسمية لهم يحضرون عندكم لجر مغنم لهم ويقولون إنهم يتمنون إلحاق سوريا بالحكومة الفرنسية، فنحن نصرح لكم اننا لم نختر باريس مؤتمرا لنا الا لما نعلمه من الحرية الفرنسية...واننا لن نرضى عن دولتنا بديلا“^(٣٧). فأجابه وزير الخارجية الفرنسي "Stephen Pichon" ” اننا قطعيا ليس لنا اقل مطمع بسورية وجل ما نتمناه ان تعيشوا مع دولتكم بسلام“^(٣٨). وأضاف سليم علي سلام للمسؤول الفرنسي ” يهنا يا صاحب السعادة ان تعرفوا حقيقة شعورنا ورأينا في مصير بلادنا. فنحن إذا طالبنا باللامركزية وبال حقوق العربية المهضومة، فإننا شديدو الإخلاص لسلطنة جلالة امير المؤمنين الخليفة الأعظم. ولا يمكن ان ننسلخ عن سلطته ولا يخطر ببالنا مطلقا ان نطلب حمايتكم ومجيئكم الى بلادنا “، الامر الذي دفع المسؤول الفرنسي الى ارسال برقية عاجلة الى سفارات وقناصل فرنسا في إسطنبول، وبيروت، والقاهرة، وبغداد، يحذرهم بها من سليم علي سلام والاصلاحيين وينقل لهم حرفيا ما قاله له سليم علي سلام^(٣٩).

ولما خرج الوفد من وزارة الخارجية ابدى أيوب ثابت وخلييل زينية اعتراضهما على موقف سليم علي سلام واحمد مختار بيهم، لأنهما كانا من المؤيدين لاحتلال فرنسا لسورية، وقد اشتركا في المؤتمر من اجل استغلال الحركة العربية المعارضة للحكومة العثمانية، وكان يشاركهما في هذه الرؤيا بترو طراد وشكري غانم واخرون، ممن سبق لهم ان أرسلوا مذكرة الى فرنسا يطالبونها بتخليصهم من الدولة العثمانية وبسط سيطرتها على سورية^(٤٠).

ولا شك ان نقطة الضعف في المؤتمر العربي الأول كانت جمعية بيروت الإصلاحية، التي اندس فيها بعض عملاء فرنسا فعملوا على تشويه سمعة باقي أعضاء الجمعية أمام شعبهم وأمام الحكومة العثمانية^(٤١). ويذكر سليم علي سلام حول هذا الموضوع في مذكراته انه مما يدل على ان أيوب ثابت وخلييل زينية وباقي الأعضاء المسيحيون لم يرق لهم ما جرى ” ولم ندر انهم يوم كنا في بيروت وإياهم نعمل سوية بالجمعية الإصلاحية انهم مقدمين تذكرة لقتصل فرنسا في بيروت ليقدمها لحكومته يطلبون بها عكس ما صرح به مختار.

وهذه الوثيقة لم ندر بها الا بزمن الحرب عندما فتحت الحكومة العثمانية القنصلية الفرنسية ووجدت هذه الوثيقة من جملة الوثائق التي وجدتها“^(٤٢).

وعلى اية حال فقد تم تشكيل وفد برئاسة سليم علي سلام وعضوية احمد مختار بيهم واحمد طيارة من اجل السفر الى العاصمة إسطنبول والتفاوض مع الحكومة العثمانية ومتابعة تنفيذ قرارات المؤتمر، فوصل الوفد الى إسطنبول في الخامس عشر من اب ١٩١٣ وتم استقبالهم بحفاوة^(٤٣). وما كان من الدولة العثمانية الا ان اوعزت لمسؤوليها في ولايتي سورية وبيروت بإرسال وفود مؤيدة لها ومعارضة لمقررات المؤتمر، وبعد أيام قليلة وصلت بعض الشخصيات المؤيدة للدولة العثمانية لتقوية موقفها امام الإصلاحيين^(٤٤).

وقابل الوفد الذي يرأسه سليم علي سلام وزير الداخلية طلعت باشا^(٤٥) فأوضح له سليم باسم الوفد ”إننا خرجنا من البلاد ونحن عالمون بأننا غير راجعين يقينا بأن الحكومة ستصدر الأوامر بعدم عودتنا لبلادنا...ولكن الوطنية فوق كل المخاطر، فليرسخ في اذهان

رجال الإدارة اننا لن نرجع عن تعزيز بلادنا بأية واسطة كانت،^(٤٦). ثم قابل الوفد السلطان محمد رشاد^(٤٧) وأعربوا له عن تمسك العرب بالرابطة العثمانية وطلبوا منه ان يأمر الحكومة بتنفيذ الإصلاحات اللازمة على وجه السرعة، لأن تحقيق الإصلاحات هو الطريق الوحيد للارتقاء بالدولة وإرضاء سكانها، فشكرهم ووعدهم بالمساعدة^(٤٨).

وبالمقابل فقد التقى الوفد المؤيد للدولة العثمانية عدد من المسؤولين الاتراك من بينهم السلطان محمد رشاد وطلبوا منه عدم تنفيذ قرارات المؤتمر الذي أقيم في باريس، وأوضحوا له بأن الشعوب العربية تؤيد الدولة العثمانية ومخلصة لها. والحقيقة فإن الخلافات الداخلية بين العرب ساهمت بشكل كبير في عدم تنفيذ قرارات المؤتمر لأنهم بذلك أعطوا مبررات للدولة العثمانية من اجل المماطلة والرفض لمطالبهم، بالإضافة الى نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤^(٤٩). وعلى الرغم من ان الحكومة العثمانية لم تقدم أي تنازل الا ان هذا اللقاء بالسلطان خفف من تشنج المواقف وجرى تلطيف الأجواء، وتزامن ذلك مع اجراء الانتخابات التشريعية عندما شجعت الحكومة العثمانية ترشيح سليم علي سلام الى البرلمان العثماني في ربيع ١٩١٤^(٥٠).

ومن هنا يلاحظ ان سليم علي سلام كان يؤمن باستمرار الرابطة العثمانية-العربية ويرفض الانسلاخ عن الدولة العثمانية، وانه كان عربيا عثمانيا اصلاحيا، معبرا عن اماني البيروتيين في تحقيق الإصلاح واسترداد الحقوق، ولهذا فانه لقي ترحيبا واسعا واستقبالا حاشدا بعد عودته الى بيروت.

هوامش البحث:

- (١) حسان حلاق، تاريخ لبنان المعاصر، ط٣، بيروت: دار النهضة العربية، ٢٠١٠، ص ٢٥.
- (٢) إبراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر، الموصل، ١٩٨٧، ص ٨٥.
- (٣) حسان حلاق، التيارات السياسية والطائفية في لبنان ١٩١٣-١٩٤٣، بيروت: دار النهضة العربية، (د.ت)، ص ١٩.
- (٤) حسان حلاق، تاريخ لبنان المعاصر، ص ٢٦.

دور سليم علي سلام في المؤتمر العربي الأول في باريس (١٩١٣)

- (٥) سليمان موسى، الحركة العربية ١٩٠٨-١٩٢٤، ط٣، بيروت: دار النهار، ١٩٨٦. ص٣٦-٣٧؛
سيار الجميل، مئوية المؤتمر العربي الأول في باريس ١٩١٣، مجلة عمران، العدد ٥، ٢٠١٣،
ص٢٢٨.
- (٦) عبد الغني العريسي (١٨٩١-١٩١٦): ولد وتعلم في بيروت، وأصدر صحيفة "المفيد". سافر الى
باريس ودخل مدرسة الصحافة، تميز بمهارته في السياسة الدولية، عاد الى دمشق في فترة الحرب
العالمية الأولى، ثم تم اعتقاله واعدامه عام ١٩١٦ من قبل الدولة العثمانية. ينظر: خير الدين
الزركلي، الاعلام، ج٤، ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢، ص٣٤-٣٥.
- (٧) اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر، المؤتمر العربي الأول المنعقد في القاعة الكبرى للجمعية
الجغرافية بشارع سن جرمن في باريس، مصر: مطبعة البسفور، ١٩١٣، ص٤-٥.
- (٨) وجيه كوثراني، الاتجاهات الاجتماعية-السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠-١٩٢٠،
بيروت: معهد الانماء العربي، ١٩٧٦، ص٢١٥.
- (٩) المصدر نفسه، ص٢١٤-٢١٥.
- (١٠) سمير قصير، تاريخ بيروت، بيروت: دار النهار، (د.ت)، ص٢٦٨.
- (١١) وجيه كوثراني، الاتجاهات الاجتماعية-السياسية، ص٢١٥.
- (١٢) المصدر نفسه، ص٢١٥.
- (١٣) يوسف الحكيم، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، ط٤، بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٩١، ص
٤٠.
- (١٤) حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨-١٩٣٨، بيروت: الدار الجامعية، ١٩٨٢، ص١٦٧.
- (١٥) حسان حلاق، التيارات السياسية والطائفية في لبنان ١٩١٣-١٩٤٣، ص٢٠.
- (١٦) حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص١٦٦-١٦٧.
- (١٧) خليل زينية (١٨٦٧-١٩٤٤): صحافي ابوه من كاثوليك دمشق. أصدر في الاسكندرية مجلة "الراوي"
الشهرية. ثم عمل في تحرير جريدة الاهرام. توفي في بيروت. ينظر: خير الدين الزركلي، الاعلام،
ج٢، ص٣١٦.
- (١٨) احمد حسن طيارة (١٨٧١-١٩١٦): ولد في بيروت وتلقى تعليمه فيها لا سيما في المدرسة
السلطانية. وكان فقيها واديبا وخطيبا لامعا في جامع الامير منذر في بيروت. عمل في تحرير
صحيفة "ثمرات الفنون" لصاحبها الشيخ عبد القادر قباني. ثم اسس صحيفة "الاتحاد العثماني" بعد
اعلان الدستور عام ١٩٠٨، ولكن سرعان ما اغلقتها الحكومة العثمانية. ثم أصدر صحيفة "الائتلاف
العثماني". ثم أصدر عام ١٩١٤ صحيفة "الاصلاح". كان من دعاة الاصلاح والنظام اللامركزي،

واحد اعضاء المؤتمر العربي الاول في باريس. ينظر: اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر، المصدر السابق، ص١٤؛ حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص١٣٣.

(١٩) أيوب ثابت (١٨٧٥-١٩٤٥): طبيب وسياسي لبناني، ولد في لبنان ودرس في الجامعة الامريكية في بيروت. ثم سافر الى أمريكا عام ١٩٠٥ لدراسة الطب، وبعد حصوله على الدكتوراه بقي في نيويورك. عاد الى لبنان عام ١٩٠٨، وكان أحد أعضاء المؤتمر العربي الأول في باريس ١٩١٣. عاد الى نيويورك بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤. في عام ١٩٢٢ انتخب نائبا عن بيروت، وفي عام ١٩٢٥ انتخب عضوا في مجلس الشيوخ. أصبح وزيرا للداخلية عام ١٩٢٨، ثم أصبح رئيسا للجمهورية اللبنانية عام ١٩٤٣. ينظر: علي عبد فتوني، تاريخ لبنان الطائفي، بيروت: دار الفارابي، ٢٠١٣، ص١٠٦؛ سليم عباينة، معجم اعلام الطب في التاريخ العربي الإسلامي، بيروت: دار البيروني للنشر، ٢٠١٢، ص٧٣.

(٢٠) المصدر نفسه، ص٣٠.

(٢١) عصام محمد شبارو، تاريخ بيروت منذ اقدم العصور حتى القرن العشرين، بيروت: دار مصباح الفكر، ١٩٨٧، ص٢٣٠-٢٣١.

(٢٢) عنبرة سلام الخالدي، جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين، بيروت: مشورات الجمل، ٢٠١٥، ص٧٦.

(٢٣) وجيه كوثراني، وثائق المؤتمر العربي الأول ١٩١٣، ط٢، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، ٢٠١٩، ص٨٢-٨٣.

(٢٤) حسان حلاق، الابعاد الطائفية والسياسية في مواقع الحكم والسلطة في لبنان، بيروت: الدار الجامعية، (د. ت)، ص٨-٩.

(٢٥) المصدر نفسه، ص٩.

(٢٦) عبد الله الحاج حسن، تاريخ لبنان المقاوم في مئة عام، بيروت: دار الولاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٨، ص١٦.

(٢٧) عبد الحميد الزهراوي (١٨٧١-١٩١٦): ولد في حمص، وهو أحد زعماء النهضة السياسية في سورية. مفكر وصحفي عمل على مقاومة النظام الحميدي قبل اعلان الدستور. ترأس المؤتمر العربي الأول في باريس ١٩١٣. ونتيجة لمناهضته لسياسة الدولة العثمانية قبض عليه وتم إعدامه عام

دور سليم علي سلام في المؤتمر العربي الأول في باريس (١٩١٣)

- ١٩١٦ من قبل السلطات العثمانية. ينظر: محمد راتب الحلاق، عبد الحميد الزهراوي دراسة في فكره السياسي والاجتماعي، دمشق: مطبعة اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٥.
- (٢٨) فؤاد عمون، سياسة لبنان الخارجية، بيروت: دار النشر العربية، ١٩٥٩، ص ٢٥.
- (٢٩) اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر، المصدر السابق، ص ٢٨-٣٩.
- (٣٠) محمود حداد، ولادة العروبة الدفاعية، مجلة العربي، العدد ٦٥٦، يوليو ٢٠١٣، ص ٥٦-٥٧؛ حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، بيروت: الدار الجامعية، ١٩٨٧، ص ٢٩٠.
- (٣١) حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص ٣٢.
- (٣٢) توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨-١٩١٤، القاهرة: دار الهناء، ١٩٦٠، ص ٥٢٧-٥٢٨.
- (٣٣) سمير قصير، المصدر السابق، ص ٢٦٩؛ حسان حلاق، تاريخ لبنان المعاصر، ص ٣٧؛ علي معطي، تاريخ لبنان السياسي والاجتماعي ١٩٠٨-١٩١٨، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة وانتشر، ١٩٩٢، ص ١١٥؛ فاطمة قدورة الشامي، عارف بك النعماني ١٨٨٢-١٩٥٥، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٩، ص ٢٨؛ وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي العربي أواخر العهد العثماني، ط ٢، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسات
- السياسات، ٢٠١٧، ص ٢٥٣؛ عبد الله الحاج حسن، تاريخ لبنان المقاوم في مئة عام، بيروت: دار الولاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٨، ص ١٧؛ فاضل حايك كاظم، صائب سلام ودوره السياسي في لبنان حتى عام ٢٠٠٠، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠١٤، ص ١٩.
- (٣٤) احمد قدرى، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، دمشق: مطابع ابن زيدون، ١٩٥٦، ص ١٨؛ حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص ١٧٣؛ عضو جمعية عربية سرية، ثورة العرب الكبرى ١٩١٦، مصر، ١٩١٦، ص ٣٥.

- (٣٥) ستيفن بيشون-Stephen Pichon (١٨٥٧-١٩٣٣): صحفي ودبلوماسي وسياسي فرنسي، شغل منصب وزير فرنسي في الصين للفترة ١٨٩٧-١٩٠٠. عين مقيما عاما للمحمية التونسية عام ١٩٠١ خلفا لجورج بينوا. شغل منصب وزير خارجية فرنسا في عهد كليمنصور، وكانت خدمته الاكثر شهرة

خلال الحرب العالمية الاولى ١٩١٤-١٩١٨، ومؤتمر باريس للسلام ١٩١٩. ينظر:

٧ حزيران ٢٠٢١، https://ar.esc.wiki/wiki/Stephen_Pichon

(٣٦) حسان حلاق، تاريخ لبنان المعاصر، ص ٣٧-٣٨.

(٣٧) حسان حلاق، التيارات السياسية والطائفية في لبنان، ص ٣٢.

(٣٨) حسان حلاق، تاريخ لبنان المعاصر، ص ٣٨.

(٣٩) وليد عوض، رؤساء لبنان، (د. م)، (د. ت)، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٤٠) حسان حلاق، تاريخ لبنان المعاصر، ص ٣٨-٣٩.

(٤١) أسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية، ط٢، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة

السياسات، ٢٠٢٠، ص ١٢٣.

(٤٢) حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص ٣٤.

(٤٣) أسعد داغر، المصدر السابق، ص ١٢٩.

(٤٤) حسان حلاق، التيارات السياسية والطائفية في لبنان، ص ٣٢-٣٣.

(٤٥) طلعت باشا (١٨٧٤-١٩٢١): هو أحد الزعماء الثلاثة في جمعية الاتحاد والترقي العثمانية. عمل

وزيرا للداخلية ثم صدرا أعظم للدولة العثمانية عام ١٩١٧، فر من إسطنبول مع أنور باشا وجمال باشا

بعد انهيار الدولة العثمانية، اغتيل لاحقا في عام ١٩٢١ على يد ناشط أرمني. ينظر: Hans

Lukas Kieser, Talaat Pasha Father of Modern Turkey, America: Princeton

University Press, 2018.

(٤٦) حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص ٣٦.

(٤٧) السلطان محمد رشاد الخامس (١٨٤٤-١٩١٨): تولى الحكم بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني عام

١٩٠٩. واستمر في الحكم الى عام ١٩١٨، وكان اداة بيد حزب الاتحاد والترقي وفي عهده انهارت

الدولة العثمانية. ينظر: صالح كولن، سلاطين الدولة العثمانية، القاهرة: دار النيل، ٢٠١٤، ص

٣٣٤-٣٤١.

(٤٨) اسعد داغر، المصدر السابق، ص ١٢٩.

(٤٩) حسان حلاق، تاريخ لبنان المعاصر، ص ٤٠.

(٥٠) سمير قصير، المصدر السابق، ص ٢٦٩.

مصادر البحث

- إبراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر، الموصل، ١٩٨٧.
- احمد قدرى، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، دمشق: مطابع ابن زيدون، ١٩٥٦.
- أسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية، ط٢، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠٢٠.
- توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨-١٩١٤، القاهرة: دار الهنا، ١٩٦٠.
- حسان حلاق، الابعاد الطائفية والسياسية في مواقع الحكم والسلطة في لبنان، بيروت: الدار الجامعية، (د. ت).
- حسان حلاق، التيارات السياسية والطائفية في لبنان ١٩١٣-١٩٤٣، بيروت: دار النهضة العربية، (د. ت).
- حسان حلاق، بيروت المحروسة في العهد العثماني، بيروت: الدار الجامعية، ١٩٨٧.
- حسان حلاق، تاريخ لبنان المعاصر، ط٣، بيروت: دار النهضة العربية، ٢٠١٠.
- حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨-١٩٣٨، بيروت: الدار الجامعية، ١٩٨٢.
- خير الدين الزركلي، الاعلام، ج٤، ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢.
- سليم عباينة، معجم اعلام الطب في التاريخ العربي الإسلامي، بيروت: دار البيروني للنشر، ٢٠١٢.
- سليمان موسى، الحركة العربية ١٩٠٨-١٩٢٤، ط٣، بيروت: دار النهار، ١٩٨٦.
- سمير قصير، تاريخ بيروت، بيروت: دار النهار، (د. ت).
- سيار الجميل، مئوية المؤتمر العربي الأول في باريس ١٩١٣، مجلة عمران، العدد ٥، ٢٠١٣.
- صالح كولن، سلاطين الدولة العثمانية، القاهرة: دار النيل، ٢٠١٤.
- عبد الله الحاج حسن، تاريخ لبنان المقاوم في مئة عام، بيروت: دار الولاة للطباعة والنشر، ٢٠٠٨.
- عبد الله الحاج حسن، تاريخ لبنان المقاوم في مئة عام، بيروت: دار الولاة للطباعة والنشر، ٢٠٠٨.
- عصام محمد شبارو، تاريخ بيروت منذ اقدم العصور حتى القرن العشرين، بيروت: دار مصباح الفكر، ١٩٨٧.
- عضو جمعية عربية سرية، ثورة العرب الكبرى ١٩١٦، مصر، ١٩١٦.
- علي عبد فتوني، تاريخ لبنان الطائفي، بيروت: دار الفارابي، ٢٠١٣.
- علي معطي، تاريخ لبنان السياسي والاجتماعي ١٩٠٨-١٩١٨، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة وانتشر، ١٩٩٢.

دور سليم علي سلام في المؤتمر العربي الأول في باريس (١٩١٣)

- عنبرة سلام الخالدي، جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين، بيروت: مشورات الجمل، ٢٠١٥.
- فاضل حاييف كاظم، صائب سلام ودوره السياسي في لبنان حتى عام ٢٠٠٠، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠١٤.
- فاطمة قدورة الشامي، عارف بك النعماني ١٨٨٢-١٩٥٥، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٩.
- فؤاد عمون، سياسة لبنان الخارجية، بيروت: دار النشر العربية، ١٩٥٩.
- اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر، المؤتمر العربي الأول المنعقد في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بشارع سن جرمن في باريس، مصر: مطبعة البسفور، ١٩١٣.
- محمد راتب الحلاق، عبد الحميد الزهراوي دراسة في فكره السياسي والاجتماعي، دمشق: مطبعة اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٥.
- محمود حداد، ولادة العروبة الدفاعية، مجلة العربي، العدد ٦٥٦، يوليو ٢٠١٣.
- وجيه كوثراني، الاتجاهات الاجتماعية-السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠-١٩٢٠، بيروت: معهد الانماء العربي، ١٩٧٦.
- وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي العربي أواخر العهد العثماني، ط٢، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، ٢٠١٧.
- وجيه كوثراني، وثائق المؤتمر العربي الأول ١٩١٣، ط٢، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، ٢٠١٩.
- يوسف الحكيم، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، ط٤، بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٩١.

بوغوص بك يوسفيان واثره في السياسة المصرية

(١٧٧٥-١٨٤٤)

Boghos Bey Youssefian and his impact on Egyptian
politics (1775-1844)

ا.م. نبراس خليل ابراهيم

Assistant prof. Nibras Khalil Ibrahim

nibras.khalil@coeduw.uobaghdad.edu.iq

07906455441

جامعة بغداد

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

ا.م. نبراس خليل ابراهيم

الملخص

بوغوص بك يوسفیان من بين الشخصيات المهمة التي تركت بصماتها الواضحة في تاريخ مصر وهو ارمني الاصل، كان سندا لمحمد علي باشا في المسائل المالية والتجارية والخارجية ووثق به محمد علي باشا واعتمد عليه في كل ما يخص شؤون مصر وكان اول مسيحي في مصر منح لقب بك.

Abstract

Boghos Bey Youssefian is among the important personalities who left their clear mark in the history of Egypt. He is of Armenian origin. He was a supporter of Muhammad Ali Pasha in financial, commercial and foreign matters. Muhammad Ali Pasha trusted him and relied on him in everything related to Egypt's affairs. He was the first Christian in Egypt to be granted the title of Bey.

الكلمات المفتاحية

بوغوص بك يوسفیان، محمد علي باشا، مصر، اثر، تاريخ

key words

Boghos Bey Youssefian, Muhammad Ali Pasha, Egypt, trace, history

المقدمة

تميز تاريخ مصر الحديث والمعاصر بظهور شخصيات سياسية واقتصادية ادت دورا متميزا ومهما في صياغة احداثه واسهمت بشكل واضح في بنائه السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وقد لاقت هذه الشخصيات اهتماما كبيرا من قبل الباحثين لان دراستها القت الضوء على الكثير من شؤون مصر العامة.

ومن بين الشخصيات المهمة التي تركت بصماتها الواضحة في تاريخ مصر هو بوغوص بك يوسفیان الارمني الاصل، إذ كان سندا لمحمد علي باشا في المسائل المالية والتجارية والخارجية حتى أن محمد علي باشا قال عنه "ان بوغوص بك هو الرجل الوحيد الذي اثق به كل الثقة واعتمد عليه كل الاعتماد"، وفي الوقت نفسه استفاد بوغوص بك من مكانته عند محمد علي باشا فرفع شأن الارمن في مصر الى حد كبير واقنعه بمنحهم امتيازات، وافساح المجال لهم بالتعليم، وتولي الوظائف المهمة، ووفر لهم الحماية والامان، وقدم لهم النصح والارشادات، لذا عد الاب الروحي للارمن في مصر، ولاهمية هذه الشخصية ولمكانته الكبيرة لدى محمد علي باشا ولانجازاته العظيمة في تاريخ مصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي جاء اختياره موضوعا للبحث والدراسة.

تضمن البحث مقدمة ومدخل تاريخي وثلاث محاور وخاتمة تضمنت أهم الاستنتاجات التي تم التوصل إليها.

تضمن المحور الاول، حياته ونشأته، ودراسته، وكيف كان بارعاً في اللغات المختلفة، وعمله في التجارة، وسفره الى مصر، وعمله مع ولاية مصر العثمانيين خسرو باشا، ومن ثم خورشيد باشا. واستعرض المحور الثاني عمله مع محمد علي باشا بعد توليه الحكم عام ١٨٠٥ والنجاحات التي حققها في المجالات كافة، واستطاع بفضل اخلاصه وتفانيه بالعمل من ان يصبح مستشاره في جميع شؤون الدولة وسكرتيره الخاص.

ووضح المحور الثالث، وفاته في الاسكندرية عام ١٨٤٤ بعد ان عجز الاطباء عن معالجته، وكيف جرى دفنه باقامة مراسيم عسكرية تقديرا للجهود الكبيرة التي بذلها في سبيل نهضة مصر وحداتها.

مدخل تاريخي

تمتعت مصر بموقع متميز عبر التاريخ^(١)، وبسبب موقعها وفدت إليها الجاليات المختلفة، ومنها الجالية الأرمنية التي عدت من أهم وأشهر الجاليات الأجنبية التي وفدت إليها، واستقرت فيها منذ حقب قديمة، واخذت بالازدياد اثناء العهد الإسلامي وتولى العديد منهم المناصب المهمة، رغم تعرضهم في فترات مختلفة للاضطهاد^(٢) وعندما حكم المماليك مصر (١٢٥٠-١٥١٧) قاموا بحملات عدة على كيليكية (أرمينيا الصغرى) حتى اسقطوها نهائياً في عام ١٣٧٥م، وبالتالي زاد عدد الأرمن الوافدين إلى مصر وانتشروا فيها، وعمل البعض منهم بالتجارة والصناعة والجيش، ونقلد البعض منهم الوزارات، وشيدوا كنيسة القديس ميناوس بحى كوم الأرمن^(٣) وازداد وجودهم في مصر بعد الفتح العثماني عام ١٥١٧ م، إذ اعتمد العثمانيين عليهم كثيراً، فشغلوا الوظائف الإدارية المختلفة^(٤) وبعد ان وصلت الحملة الفرنسية مصر عام ١٧٩٨م بقيادة نابليون بونابرت Napoleon Bonaparte^(٥) واحتلتها تعرض الأرمن لخسائر بالغة، بسبب الاتفاق الذي عقده نابليون بونابرت مع الإقباط^(٦) والغيت بموجبه الامتيازات التجارية الممنوحة للأرمن هذا من جهة، ومن جهة أخرى عد المسلمون المسيحيين الموجودين في مصر حلفاء الفرنسيين، لذا اتبع الشعب المصري سياسية عدائية تجاه الأرمن، وتعرضت الأحياء الأرمنية إلى اعتداءات الشعب المصري اثناء ثورتهم ضد الفرنسيين^(٧)

وعندما تولى محمد علي باشا^(٨) الحكم في مصر عام ١٨٠٥ وفد عدد كبير من الأرمن إلى مصر، وحصلوا على مكانة مرموقة عند محمد علي باشا لم تتلها طائفة أخرى، إذ كانوا يده التي ادار بها دفة الحكم، وبرزت منهم شخصيات كان لها اثر بارز في تغيير مسار الأرمن ورفع شأنهم أبان عهده، واستفاد منهم، واعتمد عليهم في تحقيق هدفه الكبير باقامة حكم ذاتي لمصر، وأمتاز الأرمن بالمعرفة التامة بالشرق وعاداته، وفي الوقت نفسه كانت علاقتهم وثيقة بالدول الأوروبية فنظر اليهم محمد علي باشا بانهم الجسر الذي يربطه بأوروبا، فأصبحوا مطلوبين للترجمة والوساطة في المعاملات التجارية والمالية والمداومات الدبلوماسية بينه وبين الدول الأوروبية^(٩) والذي ساعدهم للقيام بتلك الاعمال هي معرفتهم للغات عدة، وكانت الحكومة المصرية الناشئة بحاجة إلى من يقوم بتلك الاعمال^(١٠)

ومن الضروري الإشارة، إلى انه هناك عوامل عدة دفعت الأرمن للسفر إلى مصر، منها السياسة التي اتبعها محمد علي باشا تجاههم إذ احسن استقبالهم وشجع اعمالهم، إذ لاقوا معاملة حسنة ابان حقبة

حكمه، فلم يفرق بين مسلم ومسيحي، وعاقب كل من يتعدى عليهم وينعتهم بالكفار^(١١) لذا كان للارمن قساوستهم وبطاركتهم وكنائسهم وللارمن الكاثوليك هيكل خاص بهم ليؤدوا شعائرهم الدينية^(١٢) ويبدو ان حب محمد علي باشا للارمن كان بسبب علاقته المبكرة بهم قبل توليه الحكم، فقد اشتغل محمد علي باشا في صباه بتجارة الدخان عند تاجر ارمني اسمه (قرة قهيا يراميان) ولاقى منه معاملة حسنة، وعندما التحق بالفرقة الالبانية التي كانت ضمن الحملة العثمانية على مصر ضد الفرنسيين لم يكن يمتلك المال لتجهيز حملته العسكرية، لذا استدان من تاجر الارمني (يغيازار امير ابدروسيان) دون اي ضمان، وعلى اساس ذلك وثق محمد علي بالارمن وقربهم له عندما تولى حكم مصر، وسمح لهم بالعمل في قصره حتى ان الطبيب الخاص بحريم القصر كان ارمنياً، واوكل اليهم ادارة الثروات الخاصة لافراد اسرته^(١٣)

ونتيجة لسياسة محمد علي باشا تجاه الارمن انتشروا في مدن مصر فسكنوا في القاهرة والاسكندرية ورشيد ودمياط^(١٤)، وعد الارمن اثناء عهد محمد علي باشا اغنى طبقات المجتمع المصري، ومن اهم الشخصيات الارمنية البارزة التي لمعت اسمائهم وتولت مناصب رفيعة في مصر بوغوص بك يوسفیان^(١٥) وخصص محمد علي باشا لهم رواتب عالية جداً، فضلاً عن الابعاديات الممنوحة لهم^(١٦)

بوغوص بك يوسفیان

- حياته ونشأته.

ولد بوغوص بك يوسفیان في ازمير عام ١٧٧٥ ودرس في مدارسها حتى اتقن اللغات العثمانية واليونانية والايطالية والفرنسية الى جانب لغته الارمنية حديثاً وكتابة، وعمل في بداية حياته بالتجارة بناءً على نصيحة والده^(١٧) وبراعته في اللغات الاوربية جعلته تاجراً ناجحاً في الاسواق العالمية، وفي العام ١٧٩٠ توفي والده بعدها هاجر من بلاده الى مصر، واكتسب الخبرة والمعرفة باحوال مصر لعمله بالتجارة، اذ استأجر كمرك رشيد^(١٨) بعدها انتقل للعمل في كمرك الاسكندرية، وفي العام ١٧٩٨ عندما احتل الفرنسيون مصر غادر بوغوص بك مصر وعاد الى بلده^(١٩) وفي ازمير وافق على عرض القنصلية البريطانية بالعمل مترجماً فيها والاستفادة من خبراته ومعرفته باحوال مصر لطرد المستعمر الفرنسي منها^(٢٠) وفي العام ١٨٠٠ عاد الى مصر واستقر في الاسكندرية وعمل مترجم للقائد البريطاني (سيدني سميث) Sidney Smith، فأستاجر كمرك الاسكندرية وتمكن هو ومن معه من التجار الاجانب من مساعدة القائد البريطاني في طرد الفرنسيين من مصر، وبعد طرد الفرنسيين من مصر وانسحاب

الاسطول البريطاني من الاسكندرية عمل لدى الوالي العثماني خسرو باشا مترجم، بعدها عمل مترجم لدى الوالي العثماني خورشيد باشا ايضا (٢١)

- عمله مع محمد علي باشا

اختص الارمن واليونانيين بالذات من دون الجاليات الاخرى بشغل وظائف الادارة، وحظوا بعطف محمد علي باشا، وارتفع شأن الارمن بفضل ماتمتع به بوغوص يوسفیان في كنف محمد علي باشا من نفوذ كبير (٢٢)، اذ اسند اليه وظيفة الترجمان الاول في الادارة المصرية، وادرك قدرات بوغوص الادارية والتجارية والدبلوماسية الغير اعتيادية، فسعى للاستفادة منه ومن ولائه قدر المستطاع، ورغم عمله كمترجم واصل عمله في التجارة (٢٣) واستأجر كمرك الاسكندرية عام ١٨١٠ وكان محمد علي باشا على علم بمقدار ايراد الكمرك لذا طالب بوغوص بك بدفع مبلغ قدره خمسمائة كيس في العام لمدة خمس سنوات، الا ان بوغوص بك تردد في الموافقة خوفا من الخسارة، الا انه وافق بعد وعد محمد علي باشا له في حال قل دخل الكمرك عن الخمسمائة كيس في العام اتم له المبلغ من ماله، وفيما لو زاد عن ذلك قسم الربح بينه وبين الحكومة، وحقق بوغوص بك نجاحا كبيرا في التجارة وجنى ارباحا كبيرة اقتسمها مع محمد علي باشا فصار شريكا للحكومة المصرية (٢٤)

ورغم النجاحات التي حققها بوغوص بك في مجال عمله والعلاقة الوطيدة التي ربطته بمحمد علي باشا الا انها لم تستمر طويلا بسبب تدخل الوشاة والحاسدين اذ دبروا له الدسائس والمؤامرات فاوغروا عليه صدر محمد علي باشا، ففي الوقت الذي استلم فيه كمرك دمياط دار نقاش بينه وبين محمد علي باشا في بعض المسائل فاغضبه، فأمر محمد علي باشا حاجبه باعدامه قائلا له "فليجر برجليه" ومعناها اعدامه، فاخذ الحاجب بوغوص بك ليقتله، وكان الحاجب رجلا عثمانيا ممن احسن اليهم بوغوص بك وحفظوا له المعروف وراعوا له العهد فاخذه الى شاطئ النيل متظاهرا بقتله الا انه سلمه لزوجته سرا ثم رجع الى محمد علي باشا واخبره بقتله لبوغوص بك (٢٥)

وقد تحدث نوبار باشا (٢٦) عن تلك الحادثة ذاكرها كيف ان الحاجب اخذ خاله بوغوص بك الى منزل مهجور وخبأه فيه، وان محمد علي باشا مر بعد مدة قصيرة بأزمة مالية في رشيد واحتاج بشدة الى النصيحة فصرخ قائلا "رباه، لو كان بوغوص هنا لانقذني من هذه المحنة" (٢٧)

وعندما سمع الحاجب ذلك الصراخ اعتقد ان محمد علي باشا شك بعدم قتله لبوغوص بك فجلس امام محمد علي باشا مسترحما وسائلا عفوه، فساله عن اي شيء يطلب السماح فاعترف بانه لم يقتل بوغوص

بك وانه لايزال على قيد الحياة فصرخ محمد علي باشا قائلاً له "هيا انتتني به" فخرج واحضر بوغوص بك، وعندما قابله محمد علي باشا رحب به وعرض عليه المشاكل المالية التي واجهها فنظر فيها بوغوص بك واوجد لها الحلول فسر به محمد علي كثيراً^(٢٨)

وتبعاً لذلك، اصبح بوغوص بك موضع ثقة محمد علي باشا، واصبح من موظفي الحكومة المصرية بلا راتب محدد، ولم يرى محمد علي باشا منه طمعا ولا اسرافاً فمنحه رتبة فريق الى جانب لقب بك، ومنحه حرية التصرف في اعماله كافة^(٢٩)

وعلى الرغم من ذلك، عامل بوغوص بك محمد علي باشا بحذر شديد، وكان عندما يطلب محمد علي باشا حضوره اليه يقرأ صلواته قبل الدخول عليه خوفاً من وقوعه بخطأ يقتل بسببه^(٣٠) وقد اشار الى ذلك نوبار باشا في مذكراته "لازال حتى هذه اللحظة ارى تجربة خالي ماثله امامي لا يذهب الى الوالي قبل ان يصلي صلاة قصيرة، وكأنه يدخل الى قفص الاسد، وذلك بسبب تأثير الاحداث التي مر بها والمواقف الدموية التي كان شاهداً عليها، وتركت آثارها في نفسيته"^(٣١)

عموماً، بعد مباشرة محمد علي باشا بتنظيم الادارة وتقسيمه البلاد الى مديريات متفرعة الى مراكز انشأ دواوين عدة على رأس كل منها مدير^(٣٢)، وبما أن تجارة مصر الخارجية اتسعت في المدة بين (١٨١٩-١٨٢٦) تطلب ذلك تنظيم ديوان للتجارة في الاسكندرية، وسلم ادارته الى بوغوص يوسفیان منذ الرابع من نيسان ١٨٢٦ بأسم (ناظر ديوان التجارة)، وعندما اعيد تنظيم الادارة في العام ١٨٣٧ نظمت الامور الخارجية والتجارية في ديوان التجارة المصرية والامور الافرنجية، وكذلك ادارة بوغوص يوسفیان باسم (مدير ديوان التجارة المصرية والامور الافرنجية)^(٣٣) واستمر بوغوص يوسفیان بذلك المنصب قرابة العشرين عاماً، واعتمد عليه محمد علي باشا اعتماداً كلياً في كل ما يتعلق بعلاقاته التجارية والسياسية مع الدول الاخرى، ومرت كل محاصيل مصر تحت يده كأنه ناظر المالية ونظم له حسابات البلاد فأكتسب صداقة محمد علي باشا الى جانب ثقته^(٣٤)

ومن جانب اخر، اعتمد محمد علي باشا على بوغوص بك بتنظيم البعثات العلمية الى الدول الاوربية فأسفرت اتصالاته مع اصدقائه الاوربيين عن استبعاد ايطاليا لتعصبها الديني ضد المسلمين ولسيادة نظام الحكم الاستبدادي فيها، وشرح فرنسا لارسال البعثات اليها لاسباب عدة، منها تسامحها مع الغرياء، ومؤسساتها التعليمية ذات المستوى الرفيع فضلاً عن مناخها الصحي، واختار بوغوص عدداً كبيراً من اعضاء بعثة عام ١٨٢٦ الى فرنسا، وظل ينظم البعثات الى الدول الاوربية ويتواصل مع المشرفين

والمسؤولين فيها، كما أرسل محمد علي باشا بعثة إلى بريطانيا عهد أيضا باختيار اعضاءها إلى بوغوص بك واقامتهم في منزل صديقه (بريجز) Briggs، وبذلك استفاد محمد علي باشا من علاقاته الشخصية^(٣٥).

ومن الجدير بالذكر، ان بوغوص بك يوسفیان لم يتزوج طيله حياته، وبما انه كان وحيدا بلا زوجة ولا اولاد لذا لم يهتم بجمع الاموال وكرس كل وقته إلى عمله وتوثيق علاقته بمحمد علي باشا ورعاية اقرابه وحمايتهم وتوجيههم، فدفع الارمن لخدمة مشروعات محمد علي باشا ممهدا لهم الطريق للقيام بدور سياسي واجتماعي في مصر، فضلا عن دورهم كتجار واصحاب امتيازات^(٣٦).

لذا استدعى الارمن للعمل في الزراعة، لاسيما زراعة الافيون في مصر، وعمل البعض منهم في مجال التعليم، وبرز عملهم في مجال التعليم في النصف الاول من القرن التاسع عشر، كما عمل البعض منهم في صناعة الفضة والذهب، والصناعات اليدوية^(٣٧) ولاتقانهم اكثر من لغة برعوا في مجال الترجمة والسكرتارية والتواصل مع الاجانب كما ذكرنا سابقا^(٣٨)

وبسبب نجاح بوغوص بك في كل ما عهد اليه من اعمال اصبح مستشار محمد علي باشا في مسائل الدولة جميعها، واطلق له الحرية في تصريف الكثير من الامور الداخلية^(٣٩) وساهم بوغوص بك بشكل كبير في عملية صنع القرار الاقتصادي في مصر^(٤٠)

وفاته

ارتبطت مكانة بوغوص بك في مصر بشخصية محمد علي باشا، لذلك عندما داهمت محمد علي باشا الشيخوخة اساء عباس الاول^(٤١) معاملته فأستاء بوغوص بك كثيرا من مضايقاته له، فأضرب عن الطعام والشراب إلى ان اصابه المرض واصبح نحيفا^(٤٢)

وبعد ان علم محمد علي باشا بأن بوغوص بك مريضا في الاسكندرية ارسل اليه طبيبه الخاص وامره بأن لايعود إلى القاهرة حتى يشفى^(٤٣).

ويذكر نوبار باشا في مذكراته كيف ان خاله ظل مطيعا لمحمد علي باشا حتى في اخر ايامه اذ قال بوغوص بك " ان عظمت امرني ان اعالج فلتقلعوا مايجب "، وفعلا التزم بتعليمات الطبيب الذي ارسله محمد علي باشا واخذ الدواء الا ان معدته لم تتقبل الدواء ولم ينفعه العلاج^(٤٤).

وعلى اثر ذلك، توفي بوغوص بك في الحادي عشر من كانون الثاني عام ١٨٤٤ م عن عمر يناهز اثنان وسبعين عاما، ودفن في حديقة كنيسة الارمن في الاسكندرية دون مراسيم عسكرية في اول الامر،

رغم اسهاماته الواضحة في نهضة مصر الحديثة، وبعد ان علم محمد علي باشا ان بوغوص بك توفي ودفن دون مراسيم عسكرية غضب غضبا شديدا وارسل اوامره الى حاكم الاسكندرية يامره باخراج الجثة واعادة دفنها ثانية بمراسيم عسكرية، الا انه لم يتم استخراجها مرة اخرى ولكن اقيم له قداس مهيب حضره الضباط واصطف عسكر حامية الاسكندرية انذاك في حديقة الكنيسة بكامل اسلحتهم^(٤٥) وعلى اساس ذلك، وضع تاريخين للوفاة على قبر بوغوص بك^(٤٦).

ومن الضروري الاشارة، الى ان بوغوص بك عندما توفي لم يكن يمتلك سوى تسعة عشر شلنا وسبعة عشر قيراطا من الماس كانت ملكا لمحمد علي باشا، فضلا عن ست اوراق بيضاء مختومة من قبل محمد علي باشا كان قد منحها له اثناء سفره الى السودان الا انه لم يستخدمها، ويتبين من خلال ذلك مدى نزاهته واخلاصه لمحمد علي باشا^(٤٧).

وعندما علم محمد علي باشا بعد وفاة بوغوص بك بأنه لم يمتلك شيئا قال لو كنت اعلم بذلك لخبأت تحت سريره مائة الف تالاري حتى لايقال عنه بانه يهمل موظفيه.^(٤٨)

ويذكر نوبار باشا في مذكراته بان محمد علي باشا امر بان يبقى منزل بوغوص بك مفتوحا وتعنتي به الحكومة المصرية كنوع من العرفان بالجميل الذي ظن محمد علي باشا انه لابد من ان يقدمه لذكرى بوغوص بك^(٤٩).

كما اصدر محمد علي باشا اوامره الى ابراهيم باشا^(٥٠) باطلاق سراح السجناء في الاسكندرية^(٥١).

الخاتمة

أثناء البحث في موضوع " بوغوص بك يوسفیان وأثره في السياسة المصرية (١٧٧٥-١٨٤٤) " تم التوصل إلى مجموعة من الاستنتاجات يمكن توضيحها كالآتي :

- ١- عد بوغوص بك بما امتلك من مؤهلات ومكانة اجتماعية واحدا من ابرز الشخصيات في تاريخ مصر الحديث.
- ٢- كان بوغوص بك اهم موظف في عهد محمد علي باشا، والشخص الوحيد الذي شغل مكانة قوية لدى محمد علي باشا لانه خدم مصر بكل جهوده وله ايادي بيضاء في نهضتها، وعده المؤرخون الصديق الوحيد لمحمد علي باشا، وفيلسوفه، وكبير المترجمين والسكرتير الخاص له، تولى مناصب عدة ونجح في كل ماعهد اليه، وظل لعقود عدة من موظفي الدولة المؤثرين في الدواوين الحكومية.
- ٣- تمكن بوغوص بك بفضل ماحققه من نجاح وبفعل مكانته عند محمد علي باشا ان يكون مؤسس الجالية الامنية في مصر.
- ٤- ادرك محمد علي باشا قدرات بوغوص بك التجارية والادارية والدبلوماسية غير العادية، لذا استفاد منه ومن ولائه له فكان ترجمانه، ووزير خارجيته وتجارته، واعتمد عليه في اختيار اعضاء البعثات العلمية وتحديد البلاد التي تتوجه اليها تلك البعثات، واخذ رأيه في المسائل المالية جميعها، وكان رأيه هو المرجح دائما.
- ٥- تظهر ثقة محمد علي باشا الكبيرة في بوغوص بك بانه منحه وثائق وقع عليها قبل صياغتها، واثبت التاريخ انه كان جدير بثقته اذ خدم مصر بكل جهده.
- ٦- عد بوغوص بك اول مسيحي في مصر منح لقب بك.
- ٧- من خلال تتبعنا لمسيرة بوغوص بك وحياته يتضح بانه كان مثالا للاخلاص، وامتلك روحا تواقه للعمل المخلص والتفاني في سبيل نهضة مصر والبعيدة عن كل هدف مادي او دنيوي بل كان هدفه في كل ما بذله خدمة محمد علي باشا وتحقيق نهضة مصر الحديثة.
- ٨- كسب بوغوص بك بفضل اخلاصه في عمله احتراما واسعا وشهرة كبيرة في داخل مصر وخارجها، ولعل اسناد محمد علي باشا المناصب الحساسة له خير دليل على ذلك.

المصادر

أولاً: المذكرات الشخصية.

١- مذكرات نوبار باشا، تقديم : لطيفة محمد سالم، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩.

ثانياً: الرسائل الجامعية غير المنشورة.

١- هند نجم عبد عباس، الحياة الاجتماعية في مصر (١٧٩٨-١٨٤٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠١٧.

ثالثاً: الموسوعات.

- ١- عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج٦، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ت.
- ٢- محمد شفيق غريال، "الموسوعة العربية الميسرة"، ط٢، مؤسسة الشعب، القاهرة، ٢٠٠١.
- ٣- مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية والجغرافية، ج١٨، الشركة العالمية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٤.

رابعاً: - الكتب العربية والمعربة.

- ١- ا.ب كلوت بك، لمحة عامة الى مصر، ترجمة : محمود مسعود، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، د.ت.
- ٢- إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٧.
- ٣- الانبا مارتيروس، الارمن في مصر، مطبعة هيروبرنت للطباعة، مصر، د.ت.
- ٤- جاك تاجر، حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر، مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠١٢.
- ٥- جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج ١، مؤسسة هنداوي للترجمة، مصر، ٢٠١٢.
- ٦- حلمي احمد شلبي، الموظفون في مصر في عصر محمد علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٩.
- ٧- رشا عدلي، القاهرة. المدينة والذكريات، دار نهضة مصر للنشر، مصر، ٢٠٢١.
- ٨- سلوى العطار، التغيرات الاجتماعية في عهد محمد علي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٩.
- ٩- عبد الحكيم عبد الغني قاسم، تاريخ البعثات المصرية الى اوربا في عصر محمد علي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٠.

بوغوص بك يوسفیان وأثره في السياسة المصرية (١٧٧٥-١٨٤٤)

- ١٠- عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ مصر الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
 - ١١- مجموعة باحثين، الاقباط في مصر بعد الثورة، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي - الامارات، ٢٠١٢.
 - ١٢- محمد افندي البارودي، تاريخ العائلة الخديوية وتفصيل الثورة العربية، مطبعة الهلال، مصر، ١٨٩٧.
 - ١٣- محمد رفعت الامام، تاريخ الجالية الارمنية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٩.
 - ١٤- محمد عبد الله عودة و ابراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٩.
 - ١٥- محمود السيد الدغيم، محمد علي باشا. وجهة نظر عثمانية، د.م، د.ت.
 - ١٦- نجيب مخلوف، نوبار باشا وما تم على يده، المطبعة العمومية، مصر، د.ت.
- خامساً: الصحف.

١- صحيفة البيان، مصر، (د.ع)، ٨ اب ٢٠٠٢

٢- صحيفة الوان الوطن، مصر، (د.ع)، ٢٤ كانون الثاني ٢٠١٨.

سادساً : الانترنت.

- 1- <https://aztagarabic.com/archives>
- 2- [https:// www. marefa.org](https://www.marefa.org).

Conclusion

While researching the subject of "Boghos Bey Youssefian and his Impact on Egyptian Politics (1775-1844)" a set of conclusions were reached that can be clarified as follows:

- Boghos, with his qualifications and social standing, counted you as one of the most prominent figures in the modern history of Egypt.
- Boghos Bey was the most important employee in the era of Muhammad Ali Pasha, and the only person who occupied a strong position with Muhammad Ali Pasha because he served Egypt with all his efforts and had white hands in its renaissance, and historians considered him the only friend of Muhammad Ali Pasha, philosopher, chief translator and his private secretary He held several positions and succeeded in everything he was entrusted with, and for several decades he remained an influential state employee in government offices.
- Boghos Bey, thanks to his success and his position with Muhammad Ali Pasha, was able to be the founder of the security community in Egypt.
- Muhammad Ali Pasha realized the extraordinary commercial, administrative and diplomatic capabilities of Boghos Bey, so he benefited from him and his loyalty to him. He was his translator, and his Minister of Foreign Affairs and Trade, and relied on him in selecting the members of the scientific missions and determining the countries to which those missions go, and taking his opinion on all financial issues. His opinion was always likely.
- Muhammad Ali Pasha's great confidence in Boghos Bey shows that he gave him documents that he signed before drafting them, and history has proven that he was worthy of his trust as he served Egypt with all his efforts.
- Aad Boghos Bey was the first Christian in Egypt to be given the title Bey.
- By following the path of Boghos Bey and his life, it becomes clear that he was an example of sincerity, and possessed a spirit eager for sincere work and dedication for the sake of Egypt's renaissance and far from every material or worldly goal.
- Boghos Bey, thanks to his dedication to his work, earned him wide respect and great fame inside and outside Egypt, and perhaps Muhammad Ali Pasha's assignment of sensitive positions to him is the best proof of that.

- (١) محمود السيد الدغيم، محمد علي باشا. وجهة نظر عثمانية، دم، د.ت، ص ٦.
- (٢) هند نجم عبد عباس، الحياة الاجتماعية في مصر (١٧٩٨-١٨٤٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠١٧، ص ٥٥.
- (٣) الانبا مارتيروس، الارمن في مصر، مطبعة هيرويرنت للطباعة، مصر، د.ت، ص ٢٠.
- (٤) هند نجم عبد عباس، المصدر السابق، ص ٥٥.
- (٥) ولد عام ١٧٦٩ في اجاكسيو في جزيرة كورسيكا الايطالية، درس في فرنسا، عين قائدا للجيش الفرنسي في ايطاليا عام ١٧٩٦، قاد الحملة الفرنسية المتجهة الى مصر عام ١٧٩٨ التي اراد بها ضرب المصالح البريطانية وتهديد طريقها الى الهند، وفي العام ١٧٩٩ اصبح الزعيم الاول في فرنسا حتى عام ١٨١٤، وفي العام ١٨٠٤ قبض بشكل مطلق على السلطة لينهي خمسة عشر عاما من الاضطراب الداخلي، ونصب نفسه امبراطورا لفرنسا، توفي عام ١٨٢١. للمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ٦، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ت، ص ٥٣٨-٥٣٩.
- (٦) هم الجماعة الاصلية والاصيلة في المجتمع المصري، اذ عرفوا في مصر كما عرفت مصر بهم، وكلمة قبطي هي تحريف للكلمة اليونانية (ايجنبتوس) Aegyptus التي اطلقها اليونانيون القدماء على مصر ووادي النيل، واطلق تسمية (القبط) على سكانها المحليين قبل مجيء العرب الى مصر، كما اطلق على مصر دار القبط، واطلق على المصريين تسمية الاقباط قبل الفتح الاسلامي، و بعد الفتح الاسلامي اطلقت تسمية الاقباط على السكان المسيحيين. للمزيد من التفاصيل ينظر: مجموعة باحثين، الاقباط في مصر بعد الثورة، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي - الامارات، ٢٠١٢، ص ١٤.
- (٧) صحيفة البيان، مصر، (د.ع)، ٨ اب ٢٠٠٢
- (٨) ولد محمد علي في قولة عام ١٧٦٩ من والدين فقيرين، عمل في التجارة، وتزوج من امرأة أرملة ذات ثروه وجاه، فأنجب منها أبراهيم وأسماعيل وطوسون، التحق بالجيش وأرسل مع القوات التي أرسلها السلطان العثماني لاجراج الفرنسيين من مصر عام ١٨٠١، وابدى شجاعة فائقة في المعارك ضد المستعمرين الفرنسيين رقي على أثرها إلى رتبة قائد، الحق بمعية الوالي العثماني خسرو باشا أول والي عثماني بعد خروج الحملة الفرنسية من مصر، توفي عام ١٨٤٩
- (٩) رمضان عبد الباسط سالم رفاعي، طائفة الارمن في مصر تاريخا وعقيدة، حولية كلية الدراسات الاسلامية والعربية، القاهرة، العدد (٢٨)، ٢٠١٠، ص ٣٠.

- (١٠) عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ مصر الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص ٢٨١.
- (١١) رشا عدلي، القاهرة. المدينة والذكريات، دار نهضة مصر للنشر، مصر، ٢٠٢١، د.ص.
- (١٢) اب. كلوت بك، لمحة عامة الى مصر، ترجمة : محمود مسعود، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، د.ت، ص ٢٥٤-٢٥٥.
- (١٣) محمد رفعت الامام، تاريخ الجالية الارمنية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٩، ص ٧٠-٧١.
- (١٤) هند نجم عبد عباس، المصدر السابق، ص ٥٥-٥٦.
- (١٥) المصدر نفسه، ص ٥٧.
- (١٦) حلمي احمد شلبي، الموظفون في مصر في عصر محمد علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٩، ص ٨٨.
- (١٧) جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج ١، مؤسسة هنداوي للترجمة، مصر، ٢٠١٢، ص ٢٤٣.
- (١٨) عبد الحكيم عبد الغني قاسم، تاريخ البعثات المصرية الى اوربا في عصر محمد علي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٩٤.
- (١٩) جرجي زيدان، المصدر السابق، (د.ص).
- (٢٠) عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المصدر السابق، ص ٩٤.
- (٢١) المصدر نفسه، ص ٩٤.
- (٢٢) سلوى العطار، التغيرات الاجتماعية في عهد محمد علي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٣٦٣.
- (٢٣) صحيفة الوان الوطن، مصر، (د.ع)، ٢٤ كانون الثاني ٢٠١٨.
- (٢٤) جرجي زيدان، المصدر السابق، ص ٢٤٤.
- (٢٥) نجيب مخلوف، نوبار باشا وما تم على يده، المطبعة العمومية، مصر، د.ت، ص ٩-١٠.
- (٢٦) ولد نوبار باشا في ازمير عام ١٨٢٥، من اصل ارمني، كان والده من كبار موظفي مصر في عهد محمد علي باشا، تلقى تعليمه في جنيف وباريس، عاد الى مصر عام ١٨٤٢، حصل على لقب الباشوية في عهد اسماعيل باشا عام ١٨٦٣، عين وزيراً للخارجية، تولى رئاسة الوزارة ثلاث مرات في الاعوام ١٨٧٨ و١٨٨٤ و١٨٩٤، توفي عام ١٨٩٩. للمزيد ينظر :-
مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية والجغرافية، ج ١٨، الشركة العالمية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١-٢.

- (٢٧) مذكرات نوبار باشا، تقديم : لطيفة محمد سالم، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٥٤.
- (٢٨) نجيب مخلوف، المصدر السابق، ص ١٠.
- (٢٩) جرجي زيدان، المصدر السابق، ص ٢٤٥.
- (٣٠) عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المصدر السابق، ص ٩٥.
- (٣١) مذكرات نوبار باشا، المصدر السابق، ص ٥٣.
- (٣٢) محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٩، ص ٤٧.
- (٣٣) محمد رفعت الامام، المصدر السابق، ص ٢٣٦.
- (٣٤) جرجي زيدان، المصدر السابق، ص ٢٤٥.
- (٣٥) [https:// www. marefa.org](https://www.marefa.org).
- (٣٦) صحيفة الوان الوطن، مصر، (د.ع)، ٢٤ كانون الثاني ٢٠١٨.
- (٣٧) سلوى العطار، المصدر السابق، ص ٣٦٤-٣٦٥.
- (٣٨) عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص ٢٨١.
- (٣٩) جاك تاجر، حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر، مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠١٢، ص ٢٥.
- (٤٠) محمد رفعت الامام، المصدر السابق، ص ١١٥.
- (٤١) هو عباس بن طوسون بن محمد علي، تولي الحكم في مصر، وقام ببعض الاعمال أثناء ولايته للحكم منها انشاء الخط الحديدي من مصر إلى الاسكندرية، ونظم المدارس الحربية، ووضع الحجر الأساس لمقام السيدة زينب. للمزيد ينظر: محمد افندي البارودي، تاريخ العائلة الخديوية وتفاصيل الثورة العربية، مطبعة الهلال، مصر، ١٨٩٧، ص ٧.
- (٤٢) صحيفة الوان الوطن، مصر، (د.ع)، ٢٤ كانون الثاني ٢٠١٨.
- (٤٣) محمد رفعت الامام، المصدر السابق، ص ٢٤٢.
- (٤٤) مذكرات نوبار باشا، المصدر السابق، ص ٥٥.
- (٤٥) <https://aztagarabic.com/archives>
- (٤٦) المصدر نفسه.
- (٤٧) صحيفة الوان الوطن، مصر، (د.ع)، ٢٤ كانون الثاني ٢٠١٨.
- (٤٨) مذكرات نوبار باشا، المصدر السابق، ص ٥٦.
- (٤٩) المصدر نفسه، ص ٦١.

- (٥٠) (١٧٨٩-١٨٤٨)، قائد مصري، وهو الأبن الأكبر لمحمد علي، قاد الجيش المصري في حملته ضد الوهابيين (١٨١٦-١٨١٩)، كما قاد الجيش المصري الذي أرسل لاختماد ثورة اليونان ضد الدولة العثمانية، أصبح نائباً عن أبيه في حكم مصر عام ١٨٤٨. للمزيد ينظر: محمد شفيق غربال، " الموسوعة العربية الميسرة"، ط٢، مؤسسة الشعب، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٦.
- (٥١) محمد رفعت الامام، المصدر السابق، ص ٢٤٣.

إمارة الكنوز وعلاقتها مع الخلافة الفاطمية

(٣٩٧-٥٦٧هـ / ١٠٠٤ - ١١٧١م)

ا. م. د. علي فيصل عبد النبي العامري

جامعة سومر – كلية التربية الأساسية

Emirate of Al-kenose and its Relationship with the Fatimid
Caliphate

1006 -1171 A.D./397-567 A.H.

Assist. Prof. Dr. Ali faisal Abdul Nabi Al Ameri
Sumer University – Faculty of Basic Education

Gmail : alifaisall009@gmail.com

Orcid : 0000-0003-1343-9680

إمارة الكنوز وعلاقتها مع الخلافة الفاطمية (٣٩٧-٥٦٧هـ / ١٠٠٤-١١٧١م)

أ. م. د. علي فيصل عبد النبي العامري

المستخلص :

تنتمي إمارة الكنوز الى قبيلة ربيعة العربية ، التي استوطنت في ارجاء شبه الجزيرة العربية في تهامة والحجاز ونجد واليمامة ، وجاءت تسميتهم بالكنوز للقب (كنز الدولة) الذي لقبه الخليفة الحاكم بأمر الله لأميرهم أبي المكارم هبة الله .

يعود تأسيس إمارتهم الى أحد زعماء ربيعة ويدعى أبو مروان بشر بن اسحاق سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣م ، وتأثر الكنوز باللغات المحلية السائدة في بلاد النوبة واشتركوا مع الدناقلة في ذلك ، وعرفت لغتهم بـ (التوكي) والتي تعني بلغة أهل النوبة بـ (الشمالي).

وقد بقت مصالحي بني الكنز مع الفاطميين بعد سقوط دولته سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م ، لما لحق بهم من ضرر جسيم على مكاسبهم لذا أرسل صلاح الدين الأيوبي قاداته إلى بلاد النوبة لغرض ارغامهم على طاعته.

الكلمات المفتاحية: (ربيعة ، النوبة ، البجة ، أسوان ، إمارة)

Key word : (Rabi'a , Nubia , Beja , Aswan , Emirate)

Abstract

Emirate of Al-kenose and its Relationship with the Fatimid Caliphate

397-567 A.H. / 1006 -1171 A.D.

Assist. Prof. Dr. Ali faisal Abdul Nabi Al Ameri
Sumer University – Faculty of Basic Education

Abstract :

The Emirate of Al-kenose belongs to the Arab Rabi'a tribe, which settled throughout the Arabian Peninsula in Tihama, Hijaz, Najd and Al-Yamamah, where the Banu al-Ukhaydir settled.

The establishment of their emirate dates back to one of the leaders of Rabia, called Abu Marwan Bishr bin Ishaq in the year 332 AH / 943 AD.

Among the immortal stances that have a prominent role in the history of Bani al-Kinz and their support for the Caliph al-Hakim by Amr Allah al-Fatimi in the face of his fierce enemy Abu Rakwa. whose resistance drained huge sums of money from the state's resources and help in capturing him, so the Fatimid caliph honored their emir Abu al-Makarim with the title of Kins Aldawla.

المقدمة

يعد موضوع دور إمارة الكنوز في مسانقتها للخلافة الفاطمية سنة ٣٩٧هـ / ١٠٠٦م ، من المواضيع الهامة التي تستحق الدراسة ، فقد تمكنت قبيلة ربيعة من تأسيس إمارة مستقلة في منطقة حديثة العهد بها لم تعتاد عليها ، بعد أن حلّ بنو الأخيضر محل موطنهم الأصلي في شبه الجزيرة العربية وكان موطنهم في منطقة اليمامة على وجه التحديد لنتخذ من بلاد السودان مقراً جديداً لغرض الاستقرار .

ان قرب إمارة الكنوز للحدود الجنوبية للخلافة الفاطمية حتمت عليها الاحتكاك بها سلباً أو إيجاباً ، ودفعتها للتعاون معها في ظروفها العصيبة وكان لتسليمها الثائر على الخلافة الفاطمية الذي عرف بأبي ركة - الذي سنتحدث عنه في بحثنا هذا - خير شاهد على ذلك ، وان الفاطميين تجاوزوا مع هذا التعاون الذي أخذ بعداً عملياً سنة ٣٩٧هـ / ١٠٠٦م ، وقدره ومنحوا أميرهم لقب كنز الدولة.

أن المادة التاريخية عن هذه الأمانة محدودة ولم تعطِ عنها سوى تفاصيل شحيحة من الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية والدليل على ذلك صمت المؤرخين عن الحديث عنها ما يقارب حقبة من الزمن .

قسم الباحث بحثه هذا إلى عناوين تطرق فيها إلى جذور قبيلة ربيعة وتأسيس إمارتهم وإلى مناطق استيطانهم ولغتهم ، وكذلك إلى دورهم في مساندة ودعم الخلافة الفاطمية في مسيرتها وبعد سقوطها سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م على يد آخر وزرائها صلاح الدين الأيوبي .

إمارة الكنوز وعلاقتها مع الخلافة الفاطمية

جذور بنو الكنز يعود إلى قبيلة ربيعة :

تنتمي ربيعة إلى نزار بن معد^(١) بن عدنان وسمي بالفرس لأن أباه أوصى له بالخيول من ماله ، وكانت مضاربيهم في تهامة^(٢) والحجاز ونجد - وتضم بطون بكر وتغلب -^(٣) الواقعة في شبه جزيرة العرب^(٤) ، وهي أحد بطون سواة بن عامر بن صعصعة^(٥) وهاجرت جماعة من ربيعة نحو مصر سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٢م بحملة عسكرية في عهد الخليفة المأمون العباسي (١٩٨-٢١٨هـ / ٨١٣-٨٣٣م) قادها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)^(٦) ضد واليها عبيد الله بن السرى (ت ٢٥١هـ / ٨٦٥م)^(٧) ، وتركوا ديارهم في اليمامة^(٨) "بالعيالات والذرية"^(٩) ، عندما توطنت بها بنو الأَخْيَضِر وحلت محلهم^(١٠) ، ولكن الهجرة الأكبر منهم جرت في عهد الخليفة المتوكل على الله العباسي (٢٣٢-٢٤٧هـ / ٨٤٧-٨٦١م) التي استقرت فيها ربيعة عند موقع مدينة أسوان^(١١) وضواحيها ، وبعد أن تزايدت الأعداد القادمة ، خطوا لهم مدينة بأطراف أسوان ، من جانبها الجنوبي ، وعرفت تلك المدينة بالمحدثة ، ولكن هذه المدينة لم تستوعب الأعداد التي تنامت ووفدت لها واستقرت فيها عبر فترات زمنية متتالية من قبيلة ربيعة ، فاستقر قسماً منها في أسوان ذاتها حتى غطى كل المدينة ، وامتدت الكثافة السكانية إلى منطقة مريس^(١٢) في بلاد النوبة^(١٣) .

كانت أسوان الممر الضيق الذي نفذت خلاله القبائل العربية ومنها ربيعة ونقلت لها الدم العربي والدين والفكر الإسلامي^(١٤) بحلول منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وتمكنت ربيعة من مد نفوذها على هذه المواقع واندمجت بشكل كامل مع أهلها النوبيين ، وتكلموا بنفس لهجته السائدة^(١٥) ، ويعني اندماج ربيعة في هذا المكان دليل على رضاهم عن المنطقة الأمر الذي شجعهم على استيطانه.

تأسيس إمارتهم :

يعود الفضل لتأسيس إمارة لهم ، إلى أحد زعماء ربيعة يدعى أبو مروان بشر بن إسحق سنة (٣٣٢هـ / ٩٤٣م) ، الذي لاقى حتفه على أثر اندلاع نزاع على الزعامة بين بطون قبيلة ربيعة نفسها ، في منطقتي العلاقي^(١٦) وعيذاب وترأس قيادة القبيلة ابن عمه المسمى أبو عبد الله محمد بن علي المشهور بـ (أبي يزيد بن إسحق) خلفاً له ، وامتزج بنو ربيعة بسكان المنطقة الأصلية من النوبيين وتصاهروا مع كبارهم ، فولدت بينهم تبادل من المنافع المادية ، واستفادوا من نظام الوراثة السائد لدى النوبيين ، وهي وراثة ابن البنت أو ابن الأخت^(١٧) ، وبفضل هذا النظام اندمجت إمارة البجة^(١٨) مع ربيعة

وانتزعت الإمارة من البجة لصالح ربيعة التي ترأست البجا^(١٩) ، وقد يكون لطابعهم المسالم سبباً في الهيمنة عليهم^(٢٠) وصاهرت ربيعة أهل البجا^(٢١) .

وشهد حكم أبو يزيد بن اسحق اندماج النوبيين مع العرب وأخذت النوبة طابعها العربي النوبي المختلط^(٢٢) ، إلا أن الأخير لم يتلقب بكنز الدولة^(٢٣) ، وأسسوا بهذا كياناً سياسياً وطيداً^(٢٤) ، في الوقت الذي تنامت أهمية وادي العلاقي منذ بداية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي لوجود مناجم الذهب فيه وشجع العرب والناس بشكل عام على الاستقرار فيه^(٢٥) ، لذا قال ابن حوقل^(٢٦) "وتكامل بالعلاقي قبائل ربيعة ومضر" على الاستيطان فيه ونظراً لكثرة حجر الزمرد فيه لذا عرف بـ (أرض المعادن) واغتنمت ربيعة نظام الوراثة السائد في كلا المنطقتين ، فكان لهم بيت حاكم في مريس وآخر في ديار البجة^(٢٧) ، وهذا يعني ان قبيلة ربيعة لها طموحات مبكرة لتولى زعامة المنطقة التي رحلوا إليها ، ومن المحتمل أن هذه القبيلة أنشأت طبقة متزعمة للنوبيين من سكان مريس^(٢٨) .

وكان أمراء بنو الكنز "من ربيعة أمراء ممدوحون مقصودون"^(٢٩) ، وان كثرتهم في المناطق التي استقروا فيها مكنهم من الاستحواذ على المناجم ، وتغلبهم على القبائل العربية القاطنة في الصحاري الشرقية لمصر^(٣٠) ، ومنهم مضر وتميم^(٣١) ، التي كانت مستقلة عن نفوذ الملك النوبي النصراني^(٣٢) . وهناك أدلة على أصول بني الكنز الذي كان يعود لأي بطن من بطون ربيعة ، القبور التي اكتشفت في مقابر أسوان ، فالدليل الأول ذكر فيه اسم كريمة بنت أحمد المشهور بقسطنطين مولى هبة الله بن محمد علي بن محمد بن أبي يزيد الحنفي ، الذي وافاه الأجل في مطلع ربيع الأول من سنة ٤١٩م / ١٠٢٨م ، واسم هبة الذي ورد في هذا الدليل هو ذاته أبو المكارم هبة الله ، والدليل الآخر فقد حمل اسم يوسف بن الحسين بن سلامة وهو مولى محمد بن علي بن أبي يزيد الحنفي والمجهول تاريخ وفاته ، ومحمد بن علي هو والد أبا المكارم هبة الله ، والدليل الثالث يعود الى حقبة وفاة صاحب القبر في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وإلى القرن الخامس الهجري / العاشر والحادي عشر الميلادي حاملاً اسم عباس بن عبد الأحد مولى كنز الدولة أبو الحسن علي بن الأمير كنز الدولة بن محمد الحنفي الأول^(٣٣) ، وان ورود الاسم المشترك للدلائل الثلاث المذكورة ، يعني أن النسب يعود الى بني حنيفة بن لجيم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل بن جديلة بن أسد وهو أحد ولدي ربيعة^(٣٤) ، ورغم الأهمية المعمارية والطابع الفني لهذه القبور فإنها مؤشر على اختلاط السودان في نيل مصر بالدماء العربية^(٣٥) .

منطقة استيطانهم :

استوطن الكنوز في المنطقة التي تمتد من أسوان شمالاً إلى بلدة المضيق الواقعة شمال وادي السبوع^(٣٦) ، وانقسم الكنوز إلى فئات صغيرة وافرة العدد ، وانتقل بعضهم باتجاه الشمال الى أدفو^(٣٧) وعاشوا في قرى متباينة^(٣٨) .

حياتهم الاقتصادية :

هيمنة ربيعة على النوبة في منطقة مريس ، وفي الوقت ذاته سيطر فرع آخر منهم على البجة الواقع في وادي العلاقي والصحراء الشرقية من مصر، واستثمر بنو الكنز توفر الزمرد في العلاقي وانفراد وجوده فيه ^(٣٩) والذي كان يصدر إلى البلدان الأخرى ^(٤٠) وأصبح موضع اعتماد القريب والبعيد عليهم ^(٤١) ، وفي العلاقي اجتمعت به ربيعة في منطقة رملية مستوية تشوبها الجبال التي تفصلها عن أسوان وأموال هذا المعدن تقع الى مصر وهو معدن تبر لا فضة فيه وهو بأيدي ربيعة وهم أهل خاصة ^(٤٢) .

سعى الفاطميون في مستهل حكمهم بمصر سنة (٣٥٨هـ / ٩٦٩م) في مهادنة العرب المستقرين في شمال السودان والبجة ^(٤٣) ، وعملوا خط بريد يمر بأسوان وربط بين قوص وبلاد النوبة ^(٤٤) ، وقد أمد بنو الكنز الفاطميين بكميات ضخمة منه ، وفي اشارة الى ذلك ، قدم رجل من حوران ^(٤٥) في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ / ٩٩٦-١٠٢٠م) ، جاء من بلاد البجة وقد حمل بكيس علف وهو مليء بالزمرد والجواهر التي أخذت من أرضها ^(٤٦) ، وهذا دليل على غنى هذه المنطقة بثرواتها الكبيرة فضلاً عن أهميتها الاقتصادية بشكل عام .

وقد تحول طرق الحجاج نحو قوص الى جدة عبر عيذاب ^(٤٧) منذ زمن الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧-٤٨٧هـ / ١٠٣٥-١٠٩٤م) خلال بما عرف بالشدة المستنصرية (٤٥٧-٤٦٣هـ / ١٠٦٤-١٠٧٠م) ^(٤٨) ، ورفدوا بنوا الكنز برافد مالي مهم ، بسبب ما يتقاضونه من أموال لغرض تأمين طرق الحج في المناطق الصحراوية ^(٤٩) ، ومن المتوقع أن هذه الأموال المأخوذة من الحجاج تذهب إلى بني الكنز وحدهم ^(٥٠) ، ويبدو أن الأوضاع الأمنية في طريق الحج عبر مناطق نفوذ بني الكنز باتت أكثر أمناً ، الأمر الذي أدى إلى انتعاش الواقع الاقتصادي لهم .

بعد هيمنة ربيعة على بلاد النوبة في مريس ، سيطر فرع آخر لهذه القبيلة على البجة الواقعة في وادي العلاقي والصحراء الشرقية - الذي مر ذكره - لكن سرعان ما اتحدت هاتين الإماراتين (النوبة والبجة) مع بعضهما البعض في إمارة موحدة ، وأصبحت أسوان مركز حكمهما ، ونجح في ذلك الإنجاز (أبي يزيد بن اسحاق) أمير ربيعة الذي انتخب - في تاريخ غير معلوم على وجه الدقة - لأنه نقل مركز إمارته من العلاقي الى أسوان مبتعداً عن قلب منطقة المعادن ، وربما كان اختيار مركز حكمه الجديد ليتمكن من السيطرة وإدارة الإمارة الموحدة ، علاوة على اهمية أسوان من الجانب التجاري لوقوعها على الطريق التجاري الرابط بين مصر وجنوبها (السودان) ، وقد تكون طموحات أبا يزيد أبعد من ذلك للمغريات المهمة لبلاد النوبة الشمالية التي هي أفضل بكثير من التوسع داخل الأراضي القاحلة ^(٥١) .

ان اسباب ترك العلاقي الى مركز حكم جديد في أسوان لا يعني التخلي نهائياً عن المركز السابق ، فبقت اعداد كبيرة لم تنتقل من الصحراء الشرقية ، واستمرت في اشرافها على المناجم وتحكم البجة نيابة عنهم فضلاً عن حماية ثغر عيذاب التجاري ^(٥٢) ، واندمجوا مع أهالي أسوان بشكل كامل وخضعوا

لسلطان الفاطميين الروحي باعتبار دولتهم تعود بنسبها الى السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وزوجها الإمام علي وسبطي الرسول الحسن والحسين (عليهم السلام أجمعين) ^(٥٣) ، وهذا يعني ان الفاطميين تمتعوا باحترام وقديسية لدى الكنوز باعتبارهم أحفاد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

بقت أسوان مركز حكم اماره ربيعة الى أن توفي ابي يزيد بن إسحق في تاريخ غير معلوم ، وتولى الحكم بعده ولده (أبو المكارم هبة الله بن الشيخ أبي عبد الله محمد) المعروف بالأهوج المطاع ^(٥٤) ، ويعد ابو المكارم المؤسس الفعلي لإمارة ربيعة الكبرى داخل مصر ، التي توسعت في عهده وشملت جنوب الصعيد من قوص وحتى أسوان ، ومنطقة مريس في بلاد النوبة الشمالية فضلا عن وادي العلاقي في الصحراء الشرقية ، ومن الطبيعي ان توسع هذه الإمارة كان يعني تدفق الثروات لها ، واستمدت منه أحد نقاط قوتها ، وبعد اطمئنان الخلفاء الفاطميين لولائهم لهم منحهم شبه استقلال في حكمها ، ونعتوا امرائهم بلقب (كنز الدولة) لإضفاء الشرعية والهيبة لهم وسط حاشيتهم ، لذا عرفت إمارتهم بإمارة الكنوز نسبة إلى هذا اللقب ^(٥٥) ولم تشر المصادر عن سنة وفاة أبو المكارم هبة الله ^(٥٦) ، وأصبح هذا اللقب يحمله كل زعمائهم ^(٥٧) ، بل شمل أفراد العشيرة كلها وكل الموالين لها وحدث ذلك في سنة ٤٠٢هـ / ١٠١١م ، واستمر لقب الكنوز ساري المفعول يطلق عليهم حتى يومنا هذا ^(٥٨) ، وقاتلوا بلاد النوبة وتمكنوا منهم ، وبعدها ذابوا معهم وبنوا جامع في دنقلة ^(٥٩) لإيواء الغرباء من الناس ^(٦٠).

عندما أسس الفاطميون حاضرتهم القاهرة في مصر سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م أرسل جوهر الصقلي ^(٦١) قائد الخليفة المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ / ٩٥٣-٩٧٥م) مبعوثه ابن سليم الأسواني ^(٦٢) لملك النوبة جورج الثاني (٣٦٩-٣٩٢هـ / ٩٦٩-١٠٠٣م) سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م ، لغرض رسم خارطة طريق للتعاون بين الفاطميين ومملكة النوبة ، واتفقا على التزام ملك النوبة على تفعيل معاهدة البقط ^(٦٣) ، وحرية الطقوس الدينية والعبادة لكافة الأديان ، فضلاً عن تعهد الفاطميين بتوفير الحماية لهم ^(٦٤) ، وانعكست جهود الفاطميين بمرود ايجابي لهم ولبلاذ النوبة ، إذ أصبحت النوبة عوناً مهماً لهم وقت الأزمات الداخلية ، وانتعشت الحركة التجارية التي وفرت بدورها مردوداً اقتصادياً لهم ، وانتشار التجار المسلمين في وسطهم مما أدى إلى انتشار الإسلام لديهم ^(٦٥) ، ووجد الفاطميون ان الاعتراف بأماره تقع جنوب مصر ، يعزز الأمن لهم ويكون مصداً لهجمات النوبة المتوالية ضدها ، إلا ان تلك العلاقات التي تربط الفاطميين ببلاد النوبة كانت طيبة ، ففي المدة التي تلت بعثة ابن سليم الأسواني الى ملك النوبة جورج الثاني سنة ٣٧٠هـ / ٩٨٠م ، وبرغم شكهم في الولاء التام من قبل الفاطميين بهم ونقضهم للعهود ، إذ ان سجل العلاقات التي تربط الطرفين حافلة بهذه الخروقات ، وانهم كانوا لم يتورعوا في أن شكلوا تهديد لهم (أي للفاطميين) ينشط بين حين وآخر ^(٦٦) ، فكانوا " شيعه للعلوية بمصر " ^(٦٧) ، وربما كان هناك مبالغة في تفسير عدم الوثام بين الفاطميين والنوبة لأن المودة والمصالحة هو الطاغيتان بينهما ^(٦٨) ، وان والأرجح

أن ولاء بني الكنز كان ولاءً سياسياً وليس ولاءً مذهبياً^(٦٩) ، ومع ذلك نجح ابن سليم في كسب أعداد من السودان ليلتحقوا بصفوف الجيش الفاطمي بمصر ، سعى الفاطميون من خلالها تحقيق نوع من التوازن بين مكونات جيشهم الذي فيه عناصر أخرى مثل البربر والترک^(٧٠).

مساندة أبو المكارم للفاطميين ضد الثائر عليهم أبو ركوته :

ان العلاقة التي تربط بين الخليفة الفاطمي وملك النوبة ، كانت ايجابية في أغلب الأحوال^(٧١)، حيث "يرسل ملوكها ، من قديم ، الهدايا لسلطان [الخليفة] مصر . وبين البلدين عهود ومواثيق ، فلا يذهب جيش السلطان هناك"^(٧٢) ، وكان أول بوادر التعاون الجاد بين الفاطميين وبلاد النوبة ، هو الدور المساند الذي اتخذته أمير ربيعة أبو المكارم هبة الله ضد المناوئ للخلافة الفاطمية الذي عرف بـ (أبي ركوته) والذي يعود بجذوره من حيث النسب الى الأمويين من ولد هشام بن عبد الملك بن مروان (١٠٥- ١٢٥هـ / ٧٢٤- ٧٤٣م) ، ومن عمومة حاكم الأندلس الخليفة المؤيد هشام بن الحكم (٣٦٦- ٣٩٩هـ / ٩٧٦- ١٠٠٨م) ، في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة (٧٣).

وكان ابو ركوته الذي سمي لركوته كان يحملها لغرض الوضوء على طريقة الصوفية^(٧٤) ، والذي هرب مع من هرب خوفاً من بطش الوزير المنصور بن أبي عامر^(٧٥) الذي جمده وأخفى الخليفة المؤيد الأموي في الأندلس ، ورحل نحو مصر واهتم بكتابة الحديث ، وتوجه لمكة واليمن قبل ان يعود لمصر ، واعلن ثورته على الخليفة الحاكم بأمر الله واستجاب له بني قره^(٧٦) وزناتة^(٧٧) بعد أن تمت تصفية الخلافات بينهما^(٧٨) ، وقبيلتي لواتة^(٧٩) ومزاتة^(٨٠) البريريتان^(٨١)، مستغلاً نقمة بنو قره من الحاكم لتصفيته كبار رجالهم لفساد سيرتهم^(٨٢) ، ويبدو أن القبائل المتحالفة مع أبي ركوته قد تضررت مصالحها خلال مدة الحاكم بأمر الله لذا وجدت في عزم وتصميم أبي ركوته طريقاً للخلاص من سلطان الحاكم عليها .

بدأت المنازلة بين الطرفين في منتصف شعبان سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م ، بقيادة ينال الطويل التركي ومن معه ، والذي لم يحظ بقبول غالبية جيشه المتكون من قبيلة كتامة^(٨٣) ، وقتل الأخير وغنم ابو ركوته ما لديهم وسار الى برقة^(٨٤) ، واستولى عليها بعد مدة من الحصار ، واستعد الحاكم لمواجهته ثانية في ربيع الأول سنة ٣٩٦هـ / ١٠٠٥م ، بعساكر قادها بما عرف بـ (ابن الأرمنية) وتمكن بنو قره من قتله في قرية ذات الحمام غرب الإسكندرية ، التي تفصلها عن برقة صحراء صعبة ونهبوا ما لديه^(٨٥) ، ما شجع ابو ركوته بالتقدم نحو القاهرة وعزم القضاء على الخلافة الفاطمية وشعر بأن الأمر هذا سهل المنال^(٨٦).

ومما أثار قلق الحاكم مكاتبة قائد قواده الحسين بن جوهر الصقلي^(٨٧) لأبي ركوته لذا تزايد قلقه منه خاصة بعد وصوله لصعيد مصر ، الأمر الذي ارغمه على إغلاق أبواب القاهرة^(٨٨)، وبلغ عدد قوات ابو ركوته نحو اثني عشر ألف رجل من الفرسان والرجالة ، إضافة الى من التحق به من القبائل العربية ، بقيادة الفضل بن عبد الله^(٨٩) ، اضطر الفضل الى مهاجمة جيش ابي ركوته بعد ان شح القوت لديه ، إلا أن الفضل مني بالهزيمة أمامه للمرة الثالثة في منطقة كوم شريك^(٩٠) ، وتمكن الأخير من كسب ود أحد

شيوخ بني قرّة الى صفه يدعى (الماضي بن مُقَرَّب) والذي انضوى تحت لواء أبو ركوّة ، واعلمه بخططه واسرار جيشه ، الأمر الذي مكن الفضل من الحاق هزيمة بجيش ابي ركوّة ^(٩١) ، ثم استؤنف القتال عند الجيزة أسفر عن مقتل ما يقارب الألف من الطرفين ، وحاول بنو قرّة ان يكسبوا ولاء العرب في جيش الحاكم بأمر الله ، مذكريهم بقسوة الحاكم عليهم ونجحوا في ذلك ، وتمخض عن اتفاق قضى بأن تكون الشام للعرب بينما تكون مصر من حصة ابي ركوّة ومن معه ، وتوصلوا الى محاولة خداعة وهي التظاهر بهزيمة العرب أمام قوات ابي ركوّة لغرض فتح ثغرة في جيش الفضل ينفذ من خلالها ابي ركوّة ^(٩٢).

لم تتجح هذه الخطة لأن (الماضي) كشف للفضل تفاصيلها ، وسعى الفضل الى تفادي الأمر وإفشال خطتهم ، وجمع زعماء القبائل ليفطروا عنده ، وادعى انه صائم واشغلهم بطول الحديث وحذر جيشه ، وتركهم في خيمة وتوجه للقتال مع العرب ضد ابي ركوّة ، والذين لم يكن لهم علم بما اتفق عليه رؤسائهم ، وبذلك تمكن الفضل من افشال مخططهم وخلص جيشه من فخ محتوم ^(٩٣).

عندما وجد بنو قرّة ان ميزان المعركة ليس لصالحهم تخلوا عن ابي ركوّة ونصحوه باللجوء الى بلاد النوبة جنوب مصر واستجابة لنصيحتهم ^(٩٤) ، إلا ان ملك النوبة سلمه في الأخير حتى لا يخسر علاقته بالحاكم ، وارسل ابو ركوّة الى مصر ، وجعل قرد مدرب يضربه من ورائه ، وامر الحاكم بقتله الا انه توفي قبل ذلك ^(٩٥) ، وكان من بين الذين تعاونوا مع الحاكم وساعده في القاء القبض على أبي ركوّة ، هو أبو المكارم هبة الله ، زعيم قبيلة ربيعة وقيل انه وجد في دير أبي شنودة الواقع في ضواحي النوبة ، وكانت وفاته في ربيع الثاني سنة ٣٩٧هـ / ١٠٠٦م ، بعد أن كلفت عملية القبض عليه نحو ألف ألف (مليون) دينار ^(٩٦) ، واختلفت الأخبار بمن قبض على أبي ركوّة ^(٩٧) ، وقيل أن من قبض عليه هو ملك النوبة روفائيل (٣٩٣-٣٩٧ / ١٠٠٢-١٠٠٦م) ^(٩٨) ، إلا أننا نرجح ان الذي قبض عليه هو ابو المكارم ، والدليل نال تكريم الحاكم بأمر الله لتعاونه في هذا الخصوص.

أكرم الخليفة الحاكم بأمر الله أبو المكارم بشكل كبير ^(٩٩) ولقبه بكنز الدولة اعترافاً بجهوده الجليلة ، وهو أول من لقب بهذا اللقب ، وعرف كل امرائهم طيلة وجود إمارتهم بكنز الدولة ^(١٠٠) ، وحدود إمارتهم في داخل مصر ، وسكانهم لا يختلفون عن سكان الوجه القبلي ، ولهم في أغلب الأحيان وسامة عربية ^(١٠١) ، ويبدو ان هيمنة قبيلة ربيعة في أرض المريس ، شجع الخليفة الحاكم بأمر الله أن يمنحهم استقلال فعلي لغرض ان تكون حاجزاً يفصل مصر عن مملكة النوبة النصرانية ^(١٠٢).

وكان لقب كنز الدولة قد ورد قبل خلافة الحاكم بأمر الله ، وسبق ان أشار اليه المقريزي ^(١٠٣) ، نقلا عن عبد الله بن سليم الأسواني : " قال مؤلفه رحمه الله : وقد غلب أولاد ، كنز الدولة على النوبة وملكوها ... " ، والذي أكد ذلك وفاة ابن سليم الأسواني في عهد الخليفة العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ / ٩٧٥-٩٩٦م) ، ولم يشهد وقائع الصراع بين الحاكم بأمر الله وبين ابي ركوّة ، وقد وضح بيكيت (Beckett) في أحد

مقالته ان لفظ (كنز) أو (تاكنز) TA KENE ، أطلقت على جزيرة في النيل في الشلال الأول منذ عصر قديم ، وتعني في لغة المصريين القدماء (أرض القوص^(١٠٤)) ، وكل من نسب لهذه الجزيرة يطلق عليه (كنزي)^(١٠٥) ، وعرف سكان هذه المنطقة منذ سنة ٣١هـ / ٦٥٢م برماة الحدق لمهارتهم بإصابة حدق العيون عند غزوة عبد الله بن أبي سرح^(١٠٦) (ت ٣٦هـ / ٦٥٦م) لبلاد النوبة^(١٠٧) ، واندمج عرب ربيعة بسكان المنطقة منذ أن هاجروا لها ، اندماجاً كاملاً ، وعرفوا منذ حينها ببني كنز ، تمييزاً عن سواهم من القبائل العربية القانطة الأخرى^(١٠٨) ، ولا زال بنو الكنز حتى اليوم يشغلون منطقة أسوان ويمتد تواجدهم حتى كرشكو^(١٠٩).

ويمكن القول ، ان قبيلة ربيعة تعرف ببني الكنز قبل العصر الفاطمي لمصر - سواء صدر من الخليفة الحاكم بأمر الله أو لمن سبقه - كرس لقب (الكنز) للدولة^(١١٠) ، ويبدو أن مفهوم كنز وارد على مسامع الناس قبل أن يقره الخليفة الحاكم بأمر الله بشكل رسمي ، وقد يكون ان بعض المؤرخين لم يرتض ان يحسب هذا المفهوم للخليفة الحاكم بأمر الله .

ان منح هذا اللقب من قبل الحاكم بأمر الله ، ما هو إلا رد لجميل تعاونهم معه في ملاحقة وتسليم خصومه مثل أبي ركة ، واعتراف من قبل الخليفة الفاطمي بأهمية هذه القبيلة وهيمنتها على المنطقة الحيوية التي تربط مصر ببلاد النوبة ، الأمر الذي شجعه بالعمل على الاستقلال بإمارتها ، وجعلها ذات مكانة خاصة بقت عليها حتى نهاية الخلافة الفاطمية^(١١١) سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م .

لم تحدثنا المصادر التاريخية عن المدة الزمنية ما بين سنة ٣٩٧هـ / ١٠٠٦م وسنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م ، عن أي صلات بين الفاطميين والكنوز ، ومن المرجح ان ذلك يعزوا إلى بقاء الطابع الإيجابي بين الطرفين ، مادام الصلة بين الطرفين حديثة العهد وان رغبة بنوا الكنز هو تثبيت أركان إمارتهم ، والذي أكد ذلك ، انهم سرعان ما تمردوا على أسيادهم الفاطميين بمجرد دخولهم في مشاكل كبرى ، وخاصة عندما عصفت بهم فيما عرف بالشدة المستنصرية التي مرت بمصر والتي استمرت سبع سنوات (٤٥٧-٤٦٤هـ / ١٠٦٤-١٠٧١م) ، وأعلنوا انفصالهم عن الفاطميين ، لذلك نجد ان تلك المصادر قد خرجت عن صمتها وبدأت في الحديث عن التطورات الجديدة التي اعترت تلك العلاقات^(١١٢) ، ويبدو أن بني الكنز لم يكونوا مخلصين تماماً للفاطميين وأن النزعة الانفصالية تعد واردة في أي ظرف يعترى الخلافة الفاطمية يمكن استثماره لتحقيق أهدافهم وانتزاع المزيد من استقلالهم .

ويطلب من الخليفة المستنصر بالله وصل والي عكا بدر الجمالي^(١١٣) مصر سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م ، وتمكن من إخماد الفوضى والإضراب السائدة في البلاد ، وخرج للواتيين البربر الذين عاثوا فساداً وأخضعهم ، وفتح الصعيد وقضى على المارقين فيه^(١١٤) .

وشهدت سنة ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م ، اعلان كنز الدولة محمد استقلاله التام عن الخلافة الفاطمية ، بعد سيطرته على أسوان منتهزاً الصعوبات الجمة التي لاقاها الفاطميين من أثر تداعيات الشدة المستنصرية ،

الأمر الذي جعل بدر الجمالي يلاحق كنز الدولة ، ودخل معه في معركة أخرى في منطقة الشلال جنوب مدينة أسوان ، وتمكن من دحره ، وهرب الى دنقلة ، فسار إليه بدر الجمالي وتمكن من هزيمته وبعد أن حقق هذا النصر مكّن الخليفة المستنصر من مد مناطق نفوذه في أراضي الوجه القبلي وصولاً لأسوان^(١١٥) وكانت هذه الواقعة آخر الوقائع التي انصلح بها حال الديار المصرية بقتل المفسدين من غرماؤها وعساكرها^(١١٦) ، الأمر الذي جعل بدر الجمالي يقوم ببناء مسجداً خلد فيه انتصاره على كنز الدولة وسماه بمسجد النصر^(١١٧) ، والذي يشبه بطرازه بعض الجوامع المصرية^(١١٨) ، ان تخليد بدر لإنجازه هذا بدحر بني الكنز دليل على أنهم قد شكلوا مصدر قلق للفاطميين ، وسعى لتأمين الحدود الجنوبية للبلاد .

وقع كنز الدولة محمد في الوقت ذاته أسيراً لدى ملك النوبة ، فضلاً عن الصلة الروحية التي تربط ملك النوبة مع بطريك الكنيسة القبطية ، الأمر الذي جعل بدر الجمالي يقوم بإرسال الشريف سيف الدولة وبصحبه الأسقف (مرقورة) الذي اشتهر بالوعوع^(١١٩) ، حاملاً معه كتاب من البطريرك القبطي اخرسطودولوس (Christodulus)^(١٢٠) الى الملك النوبي وقد طلبا منه برغبة الخليفة الفاطمي بتسليم كنز الدولة لهما ، ونتيجة للصلات السياسية والروحية ، قبلَ ملك النوبة تسليمه كنز الدولة سنة ٤٧٤هـ / ١٠٨٠م ، وأكرم بدر الجمالي اخرسطودولوس ، وعند وصول كنز الدولة لحاضرة الفاطميين القاهرة أمر بدر الجمالي بقتله وصلب جثمانه في السنة التالية عند الباب الجديد ما بين القاهرة والفسطاط^(١٢١) ، ويبدو أن كنز الدولة قد شكل تهديداً حقيقياً للخلافة الفاطمية الأمر الذي جعل بدر الجمالي يتخذ هذا الإجراء الصارم .

توجه أخوي كنز الدولة ، بعد أن قبض على أخيهم كنز الدولة محمد في السنة المذكورة ، نحو (سالمون) مستثمرين الوساطة الناجحة بين بدر الجمالي وملك النوبة لغرض التسامح معهم ، وارجاعهم الى مناطق نفوذهم في امارتهم^(١٢٢) وقد طلبا الصفح لهما من بدر الجمالي ، واستجاب لطلبهما وأرسل رسولا لأخير طالباً منه النظر بطلب الأخوين ، ونجحت الوساطة لما شكله ملك النوبة من ثقل ونجح بمد جسور الثقة مع بدر الجمالي ، فأوعز الأخير بالعمو عنهم وعودتهم الى سابق عهدهم في امارتهم في أسوان^(١٢٣) ، ويبدو ان بدر الجمالي أراد بالتجاوب مع الوساطة هذه لغرض ترطيب الأجواء مع الكنوز والتعاون معهم كواقع حال لا بد منه .

بعد صفح بدر الجمالي عن بني الكنز ، عين ابن أخ كنز الدولة (سعد الدولة سارتيكين القواسي) سنة ٤٧٤هـ / ١٠٨٠م^(١٢٤) - والذي سبق وان شغل منصب عامل للفاطميين في الصعيد زمن الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ويقال انه شقيق كنز الدولة محمد وتم الإطاحة بعرشه ، لكنه عاد والياً على أسوان بعد نجاح وساطة ملك النوبة^(١٢٥) - وقد أكمل سعد الدولة مئذنة جامع إسنا^(١٢٦) وأشار النقش الذي وجد على هذه المأذنة إلى اسمه الصريح^(١٢٧) ، ويبدو ان استمرار بناء المنشآت الحضارية دليل على استقرار العلاقات الودية التي تربط بني الكنز بالخلافة الفاطمية .

استمرت العلاقة الطيبة التي تربط بني الكنز والخلافة الفاطمية في أواخر عهد المستنصر بالله وعهد الخليفة المستعلى بالله (٤٨٧-٤٩٥هـ / ١٠٩٤-١١٠١م) ، إذ اشرك سعد الدولة في القتال الدائر بين الفاطميين والصليبيين وأدى الى مصرعه سنة ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م في عسقلان^(١٢٨) ، بإيعاز من الوزير الأفضل بن بدر الجمالي (ت ٥١٥هـ / ١١٢١م)^(١٢٩) ، ويظهر لنا أن العلاقة التي تربط بني الكنز والفاطميين وصلت لدرجة التضحية بالنفس في مقاومة العدو الصليبي المشترك.

وقد يكون لتولي كنز الدولة المعروف (فخر العرب هبة الله) إمارة بني كنز سنة ٤٩٨هـ / ١١٠٤م ، يعني انهم تمكنوا من استعادة نفوذهم من جديد في صعيد مصر^(١٣٠) ، وربما احتفظوا بمكانتهم المعنوية دون المكانة السياسية .

وشهد عهد الخليفة الأمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٤هـ / ١١٠١-١١٢٩) تشجيعاً لبني الكنز على استخراج كل ما أمكن من الذهب من مناجمهم ، وعلى ما يبدو ان بني الكنز أبدوا تعاوناً معه ، واستخرجوا الكثير من الذهب ، الأمر الذي شجع بالقيام بإنشاء داراً لضرب النقود في مدينة قوص^(١٣١) وأواخر عهده والذي كان قريباً من مواقع الحصول على الذهب^(١٣٢).

بعد وفاة سعد الدولة ، لا تتوفر المعلومات التاريخية عن من خلفه ، وتوجد إشارة لدى ابن تغري بردي^(١٣٣) عن تولى أسوان ولاية لا يربطهم أي رابط ببني الكنز ، نفهم من ذلك ان العلاقات بين الفاطميين والكنوز شابها الفتن وربما التدهور ، فكانوا ولاية أسوان وقوص والصعيد كتبوا لطلّاع بن رزيك^(١٣٤) (ت ٥٥٦هـ / ١١٦٠م) أخبروه بمصرع الخليفة الظافر بأعداء الله (٥٤٤-٥٤٩هـ / ١١٤٩-١١٥٤م) سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م^(١٣٥).

ان ابعاد بني الكنز من سدة الحكم في أسوان دليل على تردي العلاقات التي تربطهم بالفاطميين ، وقد يكون أن الأخيرين شعروا بالعصبية القبلية لدى بني الكنز وشكلوا خطراً وتهديداً للخلافة الفاطمية ، لذا وجد الفاطميين أن الاعتماد على غيرهم هو خير سبيل لتفادي الدخول مع إمارة تشبعت بروح العصبية^(١٣٦).

وشهدت سنة ٥٥٦هـ / ١١٦٠م وفاة أمير بني كنز يدعى (أبو الطليق يوسف) وتولى الأمر من بعده أخيه (أبو العز فتوح)^(١٣٧) ، ويبدو أن ذلك كان في عهد الخليفة العاضد لدين الله (٥٥٦-٥٦٧هـ / ١١٦٠-١١٧١م) ولم تشر المصادر عنهما إلى أي نشاط يذكر.

وفي إشارة أخرى لتولي أسوان وإسنا وأرمنت^(١٣٨) من قبل والي آخر بعيد عن أسرة بني كنز سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م ، وهو (محمد بن إبراهيم بن أحمد بن نصر أبو الحسن الاسواني)^(١٣٩) ، وهذا يعني أن سياسة الفاطميين ارتأت الاعتماد على غير بني الكنز في هذه المرحلة أخذت مأخذاً جدياً بعد أفول ثقل بني الكنز على الحدود الجنوبية للخلافة الفاطمية.

وشهد عهد الخليفة العاضد بالله آخر الخلفاء الفاطميين انحسار كميات الذهب ونضوبها في العلاقي، ما دعا بني كنز للتفكير بالرحيل من موطنهم الصحراوي الأصلي إلى بلاد النوبة والسودان في مطلع عهد صلاح الدين الأيوبي^(١٤٠)، وأسفر نهاية الأمر عن تحول الكنوز بشكل تام عن أسوان، وتوطنهم في أرض النوبة، وهو بمثابة احلال الطابع العربي على كل أرضها^(١٤١)، وما دَلَّ على اضمحلال دور بني الكنز في أسوان، هو خروج ملك النوبة إلى أسوان سنة ٥٥٦هـ / ١١٦٠م وبمعيته اثني عشر ألف فارس وأدى الى مصرع عدداً كبيراً من المسلمين^(١٤٢).

محاولة بنو الكنز أحياء الخلافة الفاطمية :

بعد سيطرة الوزير صلاح الدين الأيوبي على الدولة الفاطمية سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م وقيد حركة الخليفة العاضد لدين الله (٥٥٥ - ٥٦٧هـ / ١١٦٠-١١٧١م)، ثار السودان المواليين للفاطميين على صلاح الدين بعد قتله لمؤتمن الخلافة^(١٤٣) نجاح سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م، والذي حظى بمحبتهم، ودخلوا في مواجهة مباشرة معه كادوا ان يحققوا النصر عليه في معركة عند بين القصرين^(١٤٤)، إلا انهم هزموا أمام عزيمة صلاح الدين وفروا الى الجنوب، اذ واصل توران شاه^(١٤٥) أخ صلاح الدين في تعقبهم وقتل عدداً كبيراً منهم، ولجأ البقية الباقية الى بني كنز الذي رحبوا بهم وآوهم^(١٤٦)، وقد يكون ابعاد صلاح الدين للنوبيين من الجيش واستبدالهم بعناصر جديدة من الكرد والترك و الديلم ادى الى استيائهم منه وسعوا لاستعادة مكاسبهم، والعمل على إحياء الخلافة الفاطمية لإرجاع نفوذهم الذي فقده بسقوط دولتهم^(١٤٧) وربما عزا سبب ترحيهم إلى شدة التعاطف معهم، أو بالإمكان تسخيرهم ضد صلاح الدين إذا ما فكر في تصفية بني الكنز، وعلى كل الأحوال جعلت تلك الأمور من صلاح الدين أن ضمير لهم العداء وتمكن من اسقاط إمارتهم^(١٤٨)، بسبب رغبتهم بالحفاظ على المكاسب التي حققها زمن الفاطميين^(١٤٩)، وحدث ذلك في عهد الأمير كنز الدولة بن المتوج^(١٥٠) الذي " طالت أيامه واشتهر"^(١٥١) على يد الملك العادل سيف الدين سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م^(١٥٢)، عند مينة طود^(١٥٣) بعد معارك ضارية^(١٥٤)، "ولم يبق للدولة الصلاحية بعد كنزها كنز يفسد عليها بلادها"^(١٥٥)، ووجد جند صلاح الدين في بيوتهم بيتين من الشعر لأبي محمد الحسن بن الزبير أنشد منها :

وَيُنَجِّدُهُ إِنْ خَانَهُ الدَّهْرُ أَوْسَطاً

أُنَاسٌ إِذَا مَا أُنْجِدَ الذُّلُّ أَتَهُمُوا

أَجَارُوا فَمَا تَحْتَ الكَوَاكِبِ خَائِفٌ

وَجَادُوا فَمَا فَوْقَ البَاسِطَةِ مُعَدِّمٌ^(١٥٦)

وكانت غايات أخرى لصلاح الدين الأيوبي في ارسال قواته الى النوبة - حيث ديار بني الكنز - منها تتبّع فلول الفاطميين وأنصارهم المتفهمين فيها، وابعاد أنظار نور الدين محمود (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م) عنه بأنه يطمح لتوسيع دولته نحو النوبة النصرانية جنوباً، أو ربما يكون صلاح الدين قد فكر من اتخاذ

النوبة موطناً له في حال عدم قدرته على تحمّل الضغوط الكبيرة عليه من قبل نور الدين ، إلا أن تقرير أخيه توران شاه كان غير مشجع على الاستقرار فيها لذا فكر بأن تكون اليمن ملاذ المفضل حينها (١٥٧)، لأنها بلاد مقفرة (١٥٨) .

الخاتمة

توصل الباحث إلى عدة نتائج في هذا البحث كان أهمها :

- ان قدوم رجل من بلاد البجة محملاً بكيس مليء بالجواهر ، دليل على غنى هذه المنطقة بثرواتها الكبيرة فضلاً عن أهميتها الاقتصادية بشكل عام.
- ان تحول طريق الحج زمن ما عرف بالشدة المستنصرية برعاية إمارة الكنوز ، يظهر لنا أن الأوضاع الأمنية في طريق الحج عبر مناطق نفوذ بني الكنز كانت أكثر أمناً.
- ان انتماء الفاطميين للدوحة المحمدية ، يعني ان الفاطميين تمتعوا باحترام و قدسية لدى بني الكنز باعتبارهم أحفاد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .
- ويبدو أن القبائل المتحالفة مع أبي ركوّة قد تضررت مصالحها خلال مدة الخليفة الحاكم بأمر الله لذا وجدت في عزم وتصميم أبي ركوّة طريقاً للخلاص من سلطان الحاكم عليها .
- قد يكون مفهوم (كنز) وارد على مسامع الناس قبل أن يقره الخليفة الحاكم بأمر الله بشكل رسمي ، وربما ان بعض المؤرخين لم يرتض ان يحسب هذا المفهوم للخليفة الحاكم بأمر الله .
- يتضح لنا أن بني الكنز لم يكونوا مخلصين تماماً للفاطميين وأن النزعة الانفصالية تعد واردة في أي ظرف يعتري الخلافة الفاطمية يمكن استثماره لصالحهم .
- ان تخليد بدر لإنجازه بدحر بني الكنز دليل على أنهم قد شكلوا مصدر قلق للفاطميين بعض الأحيان ، لذا سعى إلى تأمين الحدود الجنوبية للبلاد .
- ان قبول بدر الجمالي للوساطة التي تقدم بها ملك النوبة لبني الكنز نستنتج منه ، أنه أراد بهذا الصلح ، ترطيب الأجواء مع الكنوز واستمرار التعاون معهم كواقع حال .
- ويبدو ان النهضة العمرانية في بناء بعض المنشآت الحضارية من قبل الأمير (سعد الدولة سارتيكين القواسي) ، دليل على نجاح الصلح بين بني الكنز والوزير الفاطمي بدر الجمالي ، واستقرار العلاقات الودية التي تربط بني الكنز بالخلافة الفاطمية .
- ويظهر لنا عمق العلاقة التي تربط بني الكنز والفاطميين والتي وصلت لدرجة التضحية بالنفس في مقاومة العدو الصليبي المشترك.

- أن سياسة الفاطميين ارتأت الاعتماد على غير بني الكنز وابعادهم قد أخذت مأخذاً جدياً بعد أفول ثقلهم وأهميتهم على الحدود الجنوبية للخلافة الفاطمية.

هوامش البحث:

- (١) المسعودي ، مروج الذهب ، ٢٣/٢ ؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ٢٩٢ .
- (٢) تهامة : وهي منطقة تقع شرق ساحل البحر القلزم (الأحمر) من بلاد اليمن ، وتضم مدن أخرى منها : صعدة وزبيد وصنعاء ، وهي ذات طابع صحراوي ، ينظر : خسرو ، سفر نامه ، ١٢٥ .
- (٣) ماكمايكل ، تاريخ العرب في السودان ، ١٨٧ ؛ ونزار بن معد بن قحطان ، ينظر : النمكي ، الدولة الفاطمية ، ١٩٥ .
- (٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ١ / ٣٣٧ .
- (٥) القلقشندي ، نهاية الأرب ، ٢٥٨ - ٢٦١ .
- (٦) خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني: من قبيلة بني شيبان ، تولى مصر من قبل المأمون العباسي (١٩٨ - ٢١٨هـ / ٨١٣ - ٨٣٣م) سنة ٢٠٦هـ / ٨٢١م ووقف بوجه استقلال عبيد الله بن السري في الفسطاط وتمكن من أسره ، ينظر : الكندي ، الولاة والقضاة ، ١٣١ .
- (٧) الكندي ، الولاة والقضاة ، ١٣١ . عبيد الله بن السري : وهو عبيد الله بن السري بن الحكم الوالي العباسي زمن الخليفة المأمون حصل غلى بيعة الجند سنة ٢٠٦هـ / ٨٢١م ، ينظر : م . ن . ، ١٣١ .
- (٨) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ١٣٢ . اليمامة : وهو وادٍ يقع فيه مدينة تعرف بـ (الخضرمة) ، أقل من المدينة ، لكنها أكثر نخيلاً وثماراً منها ، ينظر : م . ن . ، ٣١ .
- (٩) اليعقوبي ، البلدان ، ٣٣٤ .
- (١٠) م . ن . ، ٣١ . بنو الأخيضر : كونوا دولة اسلامية (٢٥٢-٤٨٦هـ / ٨٦٦-١٠٩٣م) ، مذهبها زيدي في اليمامة ، أسسها الأمير محمد بن يوسف الأخيضر الحسني الهاشمي القرشي ، ينظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ٤٦ ؛ خسرو ، سفرنامه ، ١٤١ - ١٤٢ ؛ ابن عنبه ، عمدة الطالب ، ١٠٢ - ١٠٥ .
- (١١) اسوان : اسمها مشتق من الأسي (الحنن) ، تقع في أقصى الصعيد ، وهي أحد الثغور الفاصلة بين مصر وبلاد النوبة ، تكثر فيه الحبوب والفاكهة والماشية ، ينظر : المقرئزي ، الخطط ، ١ / ٣٦٥ .
- (١٢) مريس : بلد متصل بأسوان في صعيد مصر ، ينظر : المسعودي ، مروج الذهب ، ١٩/٢ ؛ ويطلق على أهل مدينة اسنا وهم قبيل الصعيد وقبط أسفل الأرض (شمال مصر) يعرفون بالبيما ، وعرفت فيها الحمير المريسية ، ينظر : اليعقوبي ، البلدان ، ٣٣٤ - ٣٤٠ ؛ المقرئزي ، الخطط ، ١ / ٣٧٥ ؛ والمريس جاورا المسلمين ، وما بين بداية موطنهم وبين أسوان خمسة أميال ، وقيا ان (سلها) هو جد النوبة ، بينما (مقري) جد أهل المقرة وهم من اليمن ، وقد يكون الاثنان من حمير ، واتفق غالبية المختصين بالأنساب على إنهم يرجعون إلى حام بن نوح ، ينظر : المقرئزي ، الخطط ، ١ / ٣٥٤ .
- (١٣) بلاد النوبة : بلاد واسعة تقع جنوب مصر ، وأصل الكلمة المصري يعود إلى نوب أو نويو ويعني الذهب ، وهناك من لا يتفق مع هذا الرأي ويجد النوبة هو شعب زنجي عرف بهذه التسمية (أي النوبة) ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ٤٠٥ ؛ محمد ، السودان الشمالي ، ٣٠٠ .

- (١٤) الحويري ، أسوان في العصور الوسطى ، ٢٠٥ .
- (١٥) انشأوا قرية تدعى النماس ، ينظر : المقرئزي ، البيان والإعراب ، ٤٨ ذكرها (النمامس) ؛ القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ٤٧ .
- (١٦) العلاقي : وادي شبيه بالمدينة الضخمة ، سكانها مزيج من العرب والعجم ، تضم أسواقاً ، أهلها يشربون مياه الآبار ، ينظر : اليعقوبي ، البلدان ، ٣٣٤ ؛ موضع لربيعية فيها حصن يسمى العلاقي ، أرضه سهل رملي وأحياناً توجد بعض الجبال ، ينظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، ٥٠ .
- (١٧) المسعودي ، مروج الذهب ، ٢ / ١٩ - ٢٠ ؛ المقرئزي ، الخطط ، ١ / ٣٥٩ ؛ القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ٤٧ .
- (١٨) البجة : يعرفون بالحدارية خيامهم من جلود ، من طعامهم الذرة ، يمتلكون الإبل في حريمهم وترحالهم ، ينظر : اليعقوبي ، البلدان ، ٣٣٦ ؛ وعاشوا بسلام مع المسلمين ، وعمل المسلمون في بلادهم بمجال المعادن ، ينظر : تاريخ اليعقوبي ، ١ / ١٦٥ ؛ وهم قوم نزلوا بين البحر الأحمر ونهر النيل ، وتفرقوا عدة فرق ، أرضهم غنية بالذهب والزمرد ، ينظر : المسعودي ، مروج الذهب ، ٢ / ١٩ ؛ وكانوا في عذاب يبيعون الماء لانعدام وجود الآبار والعيون فيها وكانوا أهلها مسالمون يشتغلون بالرعي ، وتختطف أولادهم لغرض بيعهم ، ينظر : خسرو ، سفر نامة ، ١١٨ - ١١٩ ؛ وعبدوا الأصنام وأسلموا في عهد إمارة عبد الله بن سرح ، عرفوا بالكرم وسماحة الخلق ، طعامهم يقتصر على اللحم واللبن ، ينظر : المقرئزي ، الخطط ، ١ / ٣٦٥ .
- (١٩) عبد المجيد ، معالم تاريخ وحضارة و بلاد النوبة ، ١٤٣ .
- (٢٠) خسرو ، سفرنامة ، ١١٨ .
- (٢١) المقرئزي ، الخطط ، ١ / ٣٦٤ .
- (٢٢) مؤنس ، الإسلام الفاتح ، ١٥٧ .
- (٢٣) خليل ، النوبة الإنسان والتاريخ ، ٤٦ .
- (٢٤) ماكمايكل ، تاريخ العرب في السودان ، ١٨٩ .
- (٢٥) مؤنس ، الإسلام الفاتح ، ١٥٥ - ١٥٦ .
- (٢٦) صورة الأرض ، ٥٣ .
- (٢٧) القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ٤٧ .
- (٢٨) مسعد ، الإسلام والنوبة ، ١٣٤ .
- (٢٩) المقرئزي ، الخطط ، ١ / ٣٦٧ .
- (٣٠) المسعودي ، مروج الذهب ، ٢ / ٢٣ ؛ النمكي ، الدولة الفاطمية ، ١٩٧ .
- (٣١) باز ، ممالك النوبة ، ٤٧ .
- (٣٢) محمد ، السودان الشمالي ، ٣٠٤ .
- (٣٣) نقلاً عن : الحويري ، أسوان في العصر الوسطى ، ٢٢٤ .
- (٣٤) م . ن ، والصفحة .
- (٣٥) باز ، ممالك النوبة ، ٤٦ .
- (٣٦) وادي السبوع : وادي يقع جنوب أسوان بمسافة ٢٢٠ كم ، وسمي بهذا نظراً لكثرة نصب الأسود الأثرية فيه ، ينظر :
article < https : // www.annahar.com

(٣٧) أُنْفُو : أحد قرى صعيد مصر الأعلى تتوسط أسوان وقوص ، تكثر بها النخيل ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ١٠٧ .

(٣٨) أبو بكر ، بلاد النوبة ، ١٠ . وتميز النوبيون - والكنوز أصبحوا جزءاً من بلادهم - بتعصبهم الى لغتهم الأم التي تأثرت بلغات مختلفة على مر العصور من رموز مصرية قديمة ، ويونانية ، ومرويتية ، فضلاً عن المفردات العربية الغزيرة ، وظلت هذه اللغة مدة زمنية طويلة نطق بها النوبيين ولم يكتبوها ، وتمسكوا بلغتهم حتى يومنا هذا ، بعد اعتناقهم الإسلام ، رغم انتشار اللغة العربية وسطهم ، ووجود مجاميع عربية تعرف بـ (العليقات) مستقرة معهم ، وانقسمت لغة النوبيين (الحامية) الى لهجتين فيها بعض التشابه ، فتحدث في اللهجة الأولى جماعات (المحس) و(السكوت) وأيضاً (القديجة) ، بينما كانت اللهجة الثانية من نصيب (الكنوز) و(الدناقلة) ، ومما يستدعي الملاحظة تشابه لغة الكنوز في أقصى الشمال مع لهجة الدناقلة في أقصى الجنوب بشكل تام ، ويعزو ذلك إلى نشاط الحركة التجارية التي تربط الكنوز الذين يستوطنون مصر وبين الدناقلة المستقرين في السودان ، والعامل الذي شجع على انتعاش الحركة التجارية فيها هو طول الطريق الذي يمر على شواطئ النيل وكثرة الصخور الكبيرة فيه ، وسميت لهجة الكنوز بـ (المتوكي) والتي تعني بلغة أهل النوبة بـ (الشاملي) ، بينما عرفت لهجة القديجة بـ (المريسي) والمقصود بها (الجنوبي) ، ينظر : أبو بكر ، بلاد النوبة ، ١١-١٣ .

(٣٩) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ١٥٠ .

(٤٠) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ٤٠ ؛ كذلك ينظر : المسعودي ، مروج الذهب ، ٢ / ٢٤ ؛ المقرئزي ، الخطط ، ٣٦٥/١ .

(٤١) ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ٨١ ؛ القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ١١٧ .

(٤٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ٥٠ .

(٤٣) مؤنس ، الإسلام الفاتح ، ١٥٧ .

(٤٤) فرحات ، الفاطميون ، ٢٤٠ .

(٤٥) حوران : كورة كبيرة ، وهي أحد أعمال دمشق من ناحية القبلة ، فيها قرى عديدة ومزارع وحرار ، مركزها بُصْرَى ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ١٩٣ .

(٤٦) ابن حمّاد ، أخبار ملوك بني عبيد ، ١٠١-١٠٢ .

(٤٧) عيذاب : مدينة على ساحل البحر الأحمر ، فيها مسجد لصلاة الجمعة ، عدد سكانها خمسمائة نسمة ، تعود لسيادة الفاطميين ، فيها تفرض المكوس على السفن القادمة من الحبشة وزنجبار واليمن ، ينظر : خسرو ، سفرنامه ، ١١٨ .

(٤٨) الشدة المستنصرية : وهي نتيجة انخفاض منسوب نهر النيل وما تبعه من أزمات اقتصادية واجتماعية وصحية خطيرة على المجتمع المصري ، ينظر : إغائَةُ الأُمَّة بِكشْفِ العُمَّةِ ، ص ٩٨-١٠٠ .

(٤٩) مشرفة ، نظم الحكم ، ٢٢٠ .

(٥٠) القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ١١٨ .

(٥١) م . ن ، ٤٧-٤٨ .

(٥٢) م . ن ، ٤٨ .

- (^{٥٣}) ماهر ، مدينة أسوان ، ١٤ .
- (^{٥٤}) الأهوج المطاع : ويعني في اللغة : الرجل البطل الذي لا يبالي بالموت ، وقد تأتي بمعنى الحمق والطيش ، ينظر : <https://www.almaany.com> ، وتصمت المصادر المتوفرة لدى الباحث عن تفسير لهذا اللقب .
- (^{٥٥}) القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ٤٨ .
- (^{٥٦}) م . ن . ، ١٣٠ .
- (^{٥٧}) شبكية ، السودان عبر القرون ، ٣٩ .
- (^{٥٨}) ماهر ، مدينة أسوان ، ١٤ .
- (^{٥٩}) دنقلة : مدينة كبيرة في بلاد النوبة ، امتدادها على ساحل نهر النيل ، طولها بلغ مسيرة ثمانين يوماً ، بعرض محدود ، ديانة أهلها النصرانية (يعاقبة) ، مناخها حار ، تكثر فيها النمر ولبس أهلها جلودها ، ينظر : القزويني ، آثار البلاد ، ٣٩ ؛ المقرئزي ، الخطط ، ١ / ٣٦٦ .
- (^{٦٠}) المقرئزي ، الخطط ، ١ / ٣٥٧ - ٣٥٨ ؛ ضرار ، تاريخ السودان ، ٣٤ .
- (^{٦١}) جوهر الصقلي ، هو أبو الحسن جوهر بن عبد الله المشهور بالكاتب ، الرومي ، مولى الخليفة المعز لدين الله ، وأرسله لفتح مصر بعد وفاة كافور الإخشيدي سنة ٣٥٧هـ / ٣٦٧م ، وتمكن منها وهو باني مدينة القاهرة سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م والجامع الأزهر في السنة التالية ، ولد سنة ٣١٢هـ / ٩٢٤م وتوفي سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م ، ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ١ / ٣٤٨ ؛ المقرئزي ، المقفى الكبير ، ٣ / ٤٩ .
- (^{٦٢}) ابن سليم الأسواني : هو عبد الله بن أحمد بن سليم الاسواني بعثه جوهر الصقلي بعد فتحه لمصر سنة ٣٥٨هـ / ٣٦٩م برسالة لملك النوبة جورج الثاني دعاه لدخول الإسلام ودفع ضريبة البقظ المترتبة على ملك النوبة منذ سنة ٣١١هـ / ٦٥١م ، ينظر : المقرئزي ، الخطط ، ١ / ٣٥٢ ؛ سليمان ، دور الأزهر في السودان ، ١٧ ؛ المناوي ، الوزارة والوزراء ، ٢٣٥ ؛ وتوفي في عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمي (٣٦٥-٣٨٦هـ / ٩٧٥-٩٩٦م) .
- (^{٦٣}) البقظ : وهي "هدنة أمان بعضنا من بعض نعطيهم شيئاً من قمح وعدس ويعطونا رقيقاً" ، ينظر : الكندي ، الولاة والقضاة ، ١٣ ؛ وتعني المعاهدة أو العهد أو الميثاق ، أو من كلمة (bak) وتعني الضريبة في اللغة المصرية القديمة ، وهي ضريبة سنوية على أهل النوبة ، وكانت قرية القصر المكان التي تجبى منه والتي تبعد عن أسوان مسافة خمسة أميال ، وأبتدأ أول أمره في ولاية عمرو بن العاص (ت ٤٣هـ / ٦٦٣م) بعد فتح مصر سنة ٢٠هـ / ٢٤٠م أو السنة التي تلتها عبر مبعوثه لهم وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة ٣١هـ / ٦٥١م ، ينظر : المقرئزي ، الخطط ، ١ / ٣٦٩ ؛ ماهر ، مدينة أسوان ، ١٠ ؛ وتقوم على تسليمهم ٣٦٥ رأساً لبيت مال المسلمين وأربعين رأساً لأمير مصر ولنائبه المقيم بأسوان عشرين رأساً إضافية ولحاكم أسوان خمسة رؤوس ولكل من الشهود الاثني عشر رأساً لكل واحد منهم ، ودامت هذه الجزية أكثر من ستة قرون حتى عصر المماليك ، ينظر : لين بول ، تاريخ مصر ، ٧٩ ؛ المناوي ، الوزارة والوزراء ، ٢٣٥ ، هامش رقم (١) .
- (^{٦٤}) مسعد ، الإسلام والنوبة ، ١٣٢ ؛ الجاسم ، العلاقات السياسية والاقتصادية ، ٤٦ .
- (^{٦٥}) م . ن . ، ١٣٤ - ١٣٥ ؛ م . ن . ، ٤٦ - ٤٧ .
- (^{٦٦}) القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ٤٨ - ٤٩ .
- (^{٦٧}) ابن خلدون ، العبر ، ٥ / ٢٨٥ .
- (^{٦٨}) شبكية ، السودان عبر القرون ، ٣٨ ؛ مصطفى ، علاقة بلاد النوبة ، ١٣٧ .

- (٦٩) القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ٦٨ .
- (٧٠) باشرى ، معالم تاريخ السودان ، ٢٦ .
- (٧١) البراوي ، حالة مصر الاقتصادية ، ٢٣٥ .
- (٧٢) خسرو ، سفر نامه ، ١١٦ .
- (٧٣) ابن الأثير ، الكامل ، ٧ / ٢٣٤ ؛ القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ٤٩ .
- (٧٤) ابن خلدون ، العبر ، ٤ / ٦١ .
- (٧٥) المنصور بن أبي عامر : هو أبو عامر محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور والمشهور بلقب (الحاجب المنصور) ولد سنة ٣٢٦هـ / ٩٣٧م ، والذي تغلب على أبي الوليد هشام بن الحكم ، وزاول جميع أمور الدولة في الأندلس الى وفاته سنة ٣٩٢هـ / ١٠٠٢م ، عن عمر ٦٥ عاماً ، ودامت مدة حجابته أكثر من ربع قرن ، ينظر : الضبي ، بغية الملتمس ، ٢٤ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢ / ٢٥١ - ٣٠١ .
- (٧٦) قرّة : قد يعودوا بنسبهم الى قرّة بن شريك بن مرثد بن حازم العبسي توفي سنة ٩٥هـ / ٧١٣م أو السنة التي تلتها ، والده كان والياً على مصر زمن الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ / ٧٠٥-٧١٤م) ، وهم أقوى قبائل برقة في حينها ، ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ٤ / ١٣٢ ؛ التجاني ، الرحلة ، ٤٩ ؛ المقرئزي ، المقفى الكبير ، ٣ / ٢١٤ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ١ / ٢٤١ ؛ عبد المجيد ، معالم تاريخ وحضارة وبلاد النوبة ، ١٤٤ .
- (٧٧) زناتة : من قبائل البتر المهمة ، وتتفرع الى فروع عدة مثل : جراوة ومغراوة وبنو يفرن وغيرها ، وتوزعت على أرجاء المغرب ، وكانت خططهم الحربية تقوم على ارتداء الدروع التي قوامها الجلود ، واستخدام الخيول العالية الركاب ، والخفة في الحركة وأسلوب الكر والفر ، ينظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١ / ٢٠٠ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٥ - ١٤ ؛ العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ١٧ ؛ إبراهيم ، زناتة والخلافة الفاطمية ، ٥٤ - ٥٥ .
- (٧٨) ابن الأثير ، الكامل ، ٧ / ٢٣٤ .
- (٧٩) لواته : وهم من بطن بتر البربر ، ويعودوا إلى بني لواته الأصغر بن لواته الأكبر ، وادعوا انهم من قيس عيلان ، ينظر : السويدي ، سبائك الذهب ، ٤٢٨ .
- (٨٠) مزاته : وهم أحد فروع بطون زواوة الكتامية البربرية ، وزواوة تتكون من قبائل عدة ، مثل : بني مليكش وبنو كوفي ومشدالة وبنو رزيق وبنو مزاتة المذكورة وبنو منقلات وبنو غبرين ، ينظر : خالد ، دور القبائل البربرية ، جدول رقم (١) ؛ لقبال ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، ١١٥ .
- (٨١) النويري ، نهاية الأرب ، ٢٨ / ١١٤ .
- (٨٢) ابن خلدون ، العبر ، ٤ / ٦١ .
- (٨٣) الأنطاكي ، تاريخ الأنطاكي ، ٢٦٢ ؛ دكتور ، تاريخ الفاطميين ، ٦٨ .
- (٨٤) برقة : هي أول كورة بعد مصر ، لها عدة مدن منها : ذات الحمام ، رمادة ، أطرابلس ، أجدابية ، وغيرها ، ينظر : المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ١٧٩ .
- (٨٥) النويري ، نهاية الأرب ، ٢٨ / ١١٤ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٤ / ٦٢ .
- (٨٦) عبد المجيد ، معالم تاريخ وحضارة وبلاد النوبة ، ١٤٥ .
- (٨٧) الحسين بن جوهر : هو قائد القواد أبو عبد الله بن القائد أبي الحسين الرومي تولى البريد والإنشاء من قبل الحاكم بأمر الله بعد قتل ابو الفتوح برجوان سنة ٣٩٠هـ / ٩٩٩م ، من المقرئيين إليه علي بن سليمان المنجم ، قتله الخليفة

الحاكم بأمر الله في سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م ، لأسباب غير واضحة وقد يكون لتواطئه مع أبي ركة إحداهما ، ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ٢٥٧/٧ - ٢٥٩ ؛ المقرئ ، المقفى الكبير ، ٢٧٩-٢٨٠ / ٣ .

(^{٨٨}) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٢١٦/٤ .

(^{٨٩}) ابن الأثير ، الكامل ، ٢٣٥ / ٧ .

(^{٩٠}) كوم شريك : من نواحي الإسكندرية ، عرفت بذلك نسبة لشريك بن سمي بن حرز الغطيفي ، وقد لجأ عند عمرو بن العاص سنة ٢١هـ / ٦٤١م عندما حاصره البيزنطيون ، ينظر : ابن دقماق ، الانتصار ، ٣٠ / ٤ ، ١١١/٥ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١٦٤ / ٤ ؛ وذكره المقرئ ، الخطط ، ٣٣٩/١ بشريك بن سمي بن عبد يغوث بن جزء المرادي القطيفي ، وهو من الصحابة .

(^{٩١}) ابن الأثير ، الكامل ، ٢٣٦/٧ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ٦٢ / ٤ .

(^{٩٢}) ابن الأثير ، الكامل ، ٢٣٦ / ٧ .

(^{٩٣}) م . ن ، ٢٣٦ / ٧ .

(^{٩٤}) م . ن ، ٢٣٦ / ٧ ؛ المقرئ ، الخطط ، ٧٣/٤ .

(^{٩٥}) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٢١٦ - ٢١٧ .

(^{٩٦}) المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ٣٦٦ / ١ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ١١٥ / ٢٨ .

(^{٩٧}) عبد المجيد ، معالم تاريخ وحضارة وبلاد النوبة ، ١٤٨ .

(^{٩٨}) ماجد ، الحاكم بأمر الله ، ١٦١ ؛ خليل ، النوبة الإنسان والتاريخ ، ٤٦ .

(^{٩٩}) الحويري ، أسوان في العصور الوسطى ، ٢٢٤ .

(^{١٠٠}) المقرئ ، البيان والإعراب ، ٤٤-٤٦ .

(^{١٠١}) محمد ، السودان الشمالي ، ٣٠٤ .

(^{١٠٢}) القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ٥٥ .

(^{١٠٣}) الخطط ، ٣٥٧ / ١ .

(^{١٠٤}) قوص : مدينة كبيرة وقصبة الصعيد في مصر ، تبعد عن الفسطاط ١٢ يوم ، تمتع أهلها بغنى كبير ، مناخها حار

وهي محط تجار القوافل العائدين من عدن ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١٠١/٤ .

(^{١٠٥}) نقلاً عن : القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ٥٥ - ٥٦ .

(^{١٠٦}) عبد الله بن أبي سرح : وهو الحسام بن الحارث بن حبيب بن جذيمة ، ووالدته مهانة بنت جابر ، ولاة الخليفة عمر

بن الخطاب صعيد مصر وجمع له أمر مصر كلها ، هزم الروم في ذات الصواري سنة ٣٤هـ / ٦٥٤م وسميت بذلك

"لكنثرة صواري المراكب واجتماعها" ، ينظر : الكندي ، الولاية والقضاة ، ١١ - ١٢ .

(^{١٠٧}) البلاذري ، فتوح البلدان ، ٢٣٨ .

(^{١٠٨}) القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ٥٦ .

(^{١٠٩}) مؤنس ، الإسلام الفاتح ، ١٥٧ .

(^{١١٠}) القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ٥٦ .

(^{١١١}) م . ن ، ٥٦ .

- (١١٢) م. ن ، ٥٧ ؛ وعن تداعيات الشدة المستتصيرية بسبب الفتن وانخفاض مناسيب مياه النيل ، ينظر : المقرئزي ، إغاثة الأمة ، ٩٨ .
- (١١٣) بدر الجمالي : أبو النجم الملقب بالسيد الأجل وأمير الجيوش وغيرها ، وهو مملوك أرمني لأمير طرابلس لجمال الدولة أبي الحسن علي بن عمار وأخذ لقبه منه ، اتخذته الخليفة المستنصر الفاطمي وزيراً له سنة ٤٦٦هـ / ١١٧٣م ، ونظم شؤون الحكم بحزم ، توفي سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ٢ / ٥٣٥-٥٣٦ ؛ المقرئزي ، المقفى الكبير ، ٢ / ٢٢٧ ؛ ابن حجر ، رفع الإصر ، ١٣٠ - ١٣٧ .
- (١١٤) ابن المقفع ، تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية ، ٣ / ٢٠٢ - ٢٠٤ .
- (١١٥) سرور ، الدولة الفاطمية ، ١٠٩ .
- (١١٦) ابن ميسر ، المنتقى من أخبار مصر ، ص ٥٣-٥٤ ؛ المقرئزي ، اتعاط الخنفا ، ٢ / ١٣٩ ذكرها : "آخر الوقائع التي قطع فيها دابر المفسدين ، وخدمت جمرتهم".
- (١١٧) ابن حجر ، رفع الإصر ، ١٣٢ ؛ وتضاربت الروايات التاريخية بين مقتل أو فرار محمد كرز الدولة في هذه السنة ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م أو سنة ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م ، ينظر : النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١٥٢ .
- (١١٨) القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ص ٥٨ .
- (١١٩) ابن المقفع ، تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية ، ٣ / ٢٠٤ - ٢٠٥ .
- (١٢٠) اخرستودولوس : تولى في عهد الخليفة المستنصر بالله بطريركية الإسكندرية سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م وعمل كنيسة بومرقرة في بلاد مصر وأخرى في مارة الروم بطريركية ، وتمخض بعد وفاته بقاء كرسي البطريركية بدون شاغل لها لأمد دام ٧٢ يوماً ، ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٥ / ٣٠٦ (طبعة دار كتب العلمية).
- (١٢١) ابن المقفع ، تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية ، ٣ / ٢٠٥ ذكره الباب الجديد .
- (١٢٢) سالمون : لم تذكر سنوات حكمه سوى ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م ، ينظر : مسعد ، الإسلام والنوبة ، ٢٨٢ .
- (١٢٣) م. ن ، ص ٢٠٥-٢٠٦ ؛ القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ٦١ .
- (١٢٤) مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص ٢١١ .
- (١٢٥) خليل ، النوبة الإنسان والتاريخ ، ٤٧ .
- (١٢٦) إسنا : مدينة على ضفة النيل ، أقصى الصعيد لم يكن خلفها سوى أدفو وأسوان وبعدهن بلاد النوبة ، وهي مدينة كثيرة العمران تكثر فيها النخيل والبساتين ونشطت بها التجارة ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ١٥٤ .
- (١٢٧) القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ٦١ ، ١٤٧ .
- (١٢٨) عسقلان : أحد أعمال فلسطين على ساحل بحر الشام ، ولجمالها عرفت بـ "عروس الشام" ، فتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، واستمرت تحت سيادة المسلمين (الفاطميين) الى أن احتلها الصليبيون سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣م ، ينظر : القزويني ، آثار البلاد ، ٢٢٢ .
- (١٢٩) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ١٥٢ .
- (١٣٠) المقرئزي ، اتعاط الحنفا ، ٢ / ١٦٦ ؛ الزيدي ، القبائل العربية في صعيد مصر ، ١٢٨ .
- (١٣١) قوص : من المدن الكبرى ، وهي قصبة صعيد مصر ، تبعد عن الفسطاط اثنا عشر يوماً ، وأهلها أصحاب ثروة كبيرة ، وهي مكان استراحة التجار العائدين من عدن ، مناخها حار لقربها من الحدود الجنوبية للبلاد ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤ / ١٠١ .

- (^{١٣٢}) ابن بكرة ، كشف الأسرار العلمية ، ٤٩- ٥٠ ؛ القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ١١٤ .
- (^{١٣٣}) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ٢٩٢ .
- (^{١٣٤}) طلائع بن رزيق : هو أبو الغارات ، تولى بادئ أمره منية بني الخصيب وهي جزء من أعمال الصعيد ، وتولى بعدها الوزارة لدى الفاطميين زمن الخليفة الفائز بنصر الله (٥٤٩-٥٥٦هـ / ١١٥٤-١١٦٠م) والخليفة العاضد لدين الله وتزوج الأخير كريمته ، وسيطر على تحركات العاضد ، اغتاله قادة الجيش من ((أولاد الراعي)) ، وفي عهده بنى جامع على باب زويلة في ضواحي القاهرة ، ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢/٤٣٢-٤٣٥ .
- (^{١٣٥}) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥ / ٢٩٢ .
- (^{١٣٦}) القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ٦٢ .
- (^{١٣٧}) المقرئزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢/٢٩٥ .
- (^{١٣٨}) أرمنت : أحد كور الصعيد تبعد مرحلتان عن قوص ، وعن أسوان مرحلتان أيضاً ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ١٣٢ .
- (^{١٣٩}) الأدفوي ، الطالع السعيد ، ٤٧٦-٤٧٧ .
- (^{١٤٠}) ابن بكرة ، كشف الأسرار العلمية ، ٣٩ ؛ القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ١١٥ .
- (^{١٤١}) مؤنس ، الإسلام الفاتح ، ١٥٨ .
- (^{١٤٢}) المقرئزي ، اتعاظ الحنفا ، ٢/٢٩٥ ولم يشر المصدر المذكور إلى اسم هذا الملك الذي على ما يبدو أنه أعقب الملك جورج الثالث (٥٢٥-٥٥٣هـ / ١١٣٠-١١٥٨م) ، ينظر : مسعد ، الإسلام والنوبة ، ٢٨٢ .
- (^{١٤٣}) مؤتمن الخلافة : وهو خصي أسود يدعى جوهر وكذلك بالطواشي ، وهو أرفع موظفي قصر الخلافة الفاطمية في عهد العاضد لدين الله ، وكان قائد جيش السودان ويحظى بمحبتهم ، أراد التخلص من نفوذ صلاح الدين الأيوبي ، وأكتشف أمره وأمر الأخير بقتله سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م ، ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢/٢٧٦-٢٧٧ .
- (^{١٤٤}) بين القصرين : هو الموقع الذي كان بين القصر الشرقي الكبير الذي أنشأ زمن الخليفة المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ / ٩٥٣-٩٧٥م) والقصر الغربي الذي أنشأ زمن الخليفة العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ / ٩٧٥-٩٩٦م) ، وكان يستوعب عشرة آلاف عسكري ، ينظر : ابن دقماق ، الانتصار ، ٤/١١ (إشارة محدودة) ؛ ريمون ، القاهرة تاريخ حاضرة ، ٣٥ (الخريطة) ؛ وهو شارع يربط باب زويلة مع باب النصر ، ينظر : ستوارت ، القاهرة ، ١٠٩ .
- (^{١٤٥}) أبو شامة ، الروضتين ، ١ / ٨٧ . توران شاه : هو توران شاه بن أيوب بن شاذي بن مروان ، واسمه يعني (ملك الشرق) ، والذي لقب بفخر الدين ، وهو الأخ الغير الشقيق لصلاح الدين الأيوبي ، أخضع اليمن بأمر من أخيه سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م "وكان كريماً أريحياً حسن الأخلاق" ، اناب أخيه صلاح الدين على دمشق سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م ، توفي سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م ودفن في الإسكندرية ، ونقلت رفاته شقيقته ست الشام ودفنته في مدرستها في ضواحي دمشق ، ينظر : ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ٨٧ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ١/٢٩٢-٢٩٥ .
- (^{١٤٦}) ابن واصل ، مفرج الكرب ، ١ / ١٧٦ ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ٨٩-٩٠ .
- (^{١٤٧}) مسعد ، الإسلام والنوبة ، ١٣٧ ؛ شبيكه ، السودان عبر القرون ، ٤٠ .
- (^{١٤٨}) القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ٦٤ .
- (^{١٤٩}) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ٨٩ .

- (^{١٥١}) القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ١٣١-١٣٢؛ وقد نال مديح الشعراء ومنهم عبد الله بن أحمد الأسواني ، ومن قصيده له في مدحه ذكرها الأدفوي ، الطالع السعيد ، ٢٧٧ ، منها :
- ما العيش إلا في الرياضِ ومسمعِ
عُودٍ وساقٍ طائفٍ بِشَمُولِ
ومديحِ كنزِ الدولةِ ابنِ مُتَوَجِّحِ
سببِ المرادِ وغايةِ التأميلِ
ذي الهمةِ العلياءِ والمجدِ الذي
طابَ الفروعُ له بطيبِ أصولِ
- (^{١٥١}) ابن خلدون ، العبر ، ٥ / ٢٨٥ .
- (^{١٥٢}) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ٩٠ ؛ ابو شامة ، الروضتين ، ٢ / ٢٢١ .
- (^{١٥٣}) طود : بلدة في صعيد مصر ، شمال قوص وجنوب أسوان ، فيها مناظر وبساتين ، من إنشاء الأمير درياس الكردي (الأحول) زمن صلاح الدين الأيوبي ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣ / ٢٧٠ .
- (^{١٥٤}) المقرئزي ، البيان والإعراب ، ٤٥ - ٤٦ .
- (^{١٥٥}) الحريري ، الأخبار السنوية ، ١٦٤ .
- (^{١٥٦}) المقرئزي ، الخطط ، ١ / ٣٦٧ ؛ الأدفوي ، الطالع السعيد ، ٣١ ؛ ضرار ، تاريخ السودان ، ٣٤ .
- (^{١٥٧}) ماهر ، مدينة أسوان ، ١٢ .
- (^{١٥٨}) المناوي ، الوزارة والوزراء ، ٢٣٧ ، وبعد سقوط دولة الكنوز الأولى انبثقت دولتهم الثانية (٧٢٣-٨١٥هـ / ١٣١٩-١٤١٢) ، ينظر : القوصي ، تاريخ دولة الكنوز ، ٩٤ ، ١٠٥ .

المصادر والمراجع :

أ- المصادر .

- ابن الأثير ، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) .
- الكامل في التاريخ ، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه : نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي ، ط ٢ (بيروت - ١٩٦٧م) .
- الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي الهاشمي القرشي (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م) .
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة - ٢٠٠٢م) .
- الأنطاكي ، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٧م) .
- تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيا ، حققه ووضع فهرسه : عمر عبد السلام تدمري ، جروس برس (طرابلس لبنان - ١٩٩٠م) .
- الأدفوي ، كمال الدين أبي الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوي الشافعي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) .
- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ، تحقيق : سعد محمد حسن ، إشراف : طه الحاجري ، الدار المصرية للتأليف والنشر (القاهرة - ١٩٦٦م) .

- البلاذري ، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م).
- فتوح البلدان ، عني بمراجعته والتعليق عليه : رضوان محمد رضوان ، منشورات الارومية (قم - ١٤٠٤هـ).
- ابن بكرة ، منصور بن بكرة الذهبي الكاملي (ت النصف الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي).
- كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية ، تحقيق : عبد الرحمن فهمي (القاهرة - ١٩٦٦م).
- التجاني ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني (ت ٧٢١هـ / ١٣٢١م).
- رحلة التجاني ، قدم لها : حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب (ل . م - ٢٠٠٥م).
- ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مطبعة كوستا تسوماس (القاهرة - د . ت .).
- * ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م).
- جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، ط٣ (بيروت - ٢٠٠٣م).
- ابن حماد ، أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد (ت ٦٢٦هـ / ١٢٣٠م).
- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق ودراسة : التهامي نقرة - وعبد الحليم عويس ، دار الصحوة (القاهرة - ١٩٨١م).
- ابن حجر ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٣٦١م).
- رفع الإصر عن قضاة مصر ، تحقيق : حامد عبد الحميد وآخران ، مراجعة : إبراهيم الإبياري ، المطبعة الأميرية (القاهرة - ١٩٥٧م).
- ابن حوقل ، أبو القاسم ابن حوقل النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م).
- صورة الأرض ، المكتبة الحيدرية ، مطبعة شريعة (قم المقدسة - ١٤٢٨هـ).
- خسرو ، ناصر (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م).
- سفر نامه ، نقلها إلى العربية ، يحيى الخشاب ، دار الكتاب الجديد ، ط٢ (بيروت - ١٩٧٠م).
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م).

- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار إحياء التراث العربي ، اعنتي بتصحيح ألفاظها والتعليق عليها : تركي فرحان المصطفى (بيروت - ٢٠١٠م).

ابن دقماق ، ابراهيم بن محمد بن ايدير العلاني (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م).

- الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها ، تحقيق : لجنة احياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة (بيروت - د.ت).

• السويدي ، أبو الفوز محمد أمين البغدادي (ت ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م).

- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، المحبين للطباعة والنشر ، ط ٢ (قم - ٢٠٠٦م).

• أبو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان المقدسي دمشقي الشافعي (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م).

- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، وضع حواشيه : ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط ١ (بيروت - ٢٠٠٢م).

• الضبي ، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م).

- بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس ، تحقيق : روية عبد الرحمن السويدي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ (بيروت - ١٩٩٧م).

• ابن عنبه ، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني (ت ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م).

- عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب ، مؤسسة انصارين للطباعة والنشر ، ط ٢ (قم - ٢٠٠٤م).

• الفزويني ، زكرياء بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م).

- آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر (بيروت - د.ت).

• القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م).

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، المطبعة الأميرية (القاهرة - ١٩٢٢م).

طبعة أخرى : شرح وتعليق ومقابلة النصوص : نبيل خالد الخطيب ، دار الكتب العلمية ، د.ت.

- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق : ابراهيم الأبياري ، مطبعة مصر ، ط ١ (القاهرة - ١٩٥٩م).

• ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م).

- البداية والنهاية ، دقق أصوله وحققه : أحمد أبو ملحم وآخران ، دار الكتب العلمية (بيروت - د.ت).
- الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٣٥٣هـ / ٩٦٣م).
- الولاة والقضاة ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن اسماعيل - وأحمد فريد المزدي ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت - ٢٠٠٣م).
- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الكتاب العربي ، ط١ (بيروت - ٢٠٠٤م).
- ابن المقفع ، ساويرس (ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م).
- تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، قام على نشره : يسي عبد المسيح وآخران (القاهرة - ١٩٥٩م).
- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م).
- نهاية الأرب في فنون الأرب ، تحقيق : نجيب مصطفى فواز - وحكمت كشلي فواز ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت - ٢٠٠٤م).
- المقريزي ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م).
- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت - ٢٠٠١م).
- إغائنة الأئمة بكشف الغمّة ، دراسة وتحقيق : كرم حلمي فرحات ، مطبعة صحوه ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط١ (القاهرة - ٢٠٠٧م).
- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق : عبد المجيد عابدين (القاهرة - ١٩٧١م).
- المقفى الكبير ، تحقيق : محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، ط٢ (بيروت - ٢٠٠٦م).
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م).
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ، تحقيق : إحسان عباس ، ط١ (بيروت - ١٩٩٣م).
- معجم البلدان ، قدمها : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي (بيروت - د.ت).
- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (كان حياً سنة ٢٩٢هـ / ٩٠٤م).
- البلدان ، دار صادر ، مطبعة برييل (لندن - ١٨٩٣م).

- تاريخ اليعقوبي ، علق عليه ووضع حواشيه : خليل المنصور ، مطبعة مهر ، دار الاعتصام للطباعة والنشر ، ط ١ (ل . م - ١٤٢٥هـ).

ب- المراجع.

- إبراهيم ، سنوسي يوسف .
- زناتة والخلافة الفاطمية ، مكتبة سعيد رأفت ، ط ١ (القاهرة - ١٩٨٦م).
- باز ، كرم الصاوي .
- ممالك النوبة في العصر المملوكي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة : محمد عبد الكريم حسان (القاهرة - ٢٠٠٦م).
- باشري ، محجوب عمر .
- معالم تاريخ السودان ، الدار السودانية (الخرطوم - ٢٠٠٠م).
- البراوي ، راشد .
- حالة مصر الاقتصادية ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السعادة ، ط ١ (القاهرة - ١٩٤٨م).
- أبوبكر ، عبد المنعم .
- بلاد النوبة ، دار القلم (القاهرة - ١٩٦٢م).
- خليل ، عبد المجيد حسن .
- النوبة الإنسان والتاريخ ، تقديم : فريدة النقاش ، مكتبة مدبولي ، ط ١ (القاهرة - ٢٠١٣م).
- الحريري ، سيد علي .
- الأخبار السنوية في الحروب الصليبية ، الزهراء للإعلام العربي ، ط ٣ (القاهرة - ١٩٨٥م).
- الحويري ، محمود محمد .
- أسوان في العصور الوسطى (القاهرة - ١٩٨٠م).
- دعكور ، عرب حسين .
- تاريخ الفاطميين والزنكيين والأيوبيين والمماليك وحضارتهم ، دار النهضة العربية ، ط ١ (بيروت - ٢٠١١م).
- ريمون ، أندريه .
- القاهرة تاريخ حاضرة ، ترجمة : لطيف فرج ، دار الفكر (القاهرة - ١٩٩٤م).
- سرور ، محمد جمال الدين .
- الدولة الفاطمية في مصر (القاهرة - ١٩٦٦م).
- ستيوارت ، ديزموند .
- القاهرة ، ترجمة : يحيى حقي ، تقديم : جمال حمدان ، دار المدى للثقافة والنشر (ل . م - ٢٠١٠م).

- سليمان ، محمد .
- دور الأزهر في السودان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة - ١٩٨٥م).
- شبيكه ، مكي .
- السودان عبر القرون ، دار الجيل ، (بيروت - ١٩٩١م).
- ضرار ، محمد صالح .
- تاريخ السودان ، دار مكتبة الحياة (بيروت - ١٩٦٥م).
- العبادي ، أحمد مختار ، في تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٢ (ل . م - ١٩٨٦م).
- عبد المجيد ، أسامة عبد الوارث وآخرون.
- معالم تاريخ وحضارة وبلاد النوبة منذ ما قبل التاريخ حتى العصر الإسلامي ، تقديم : زاهي حواس ، مطابع المجلس الأعلى للآثار (ل . م - ٢٠٠٦م) .
- فرحات ، أميرة الشيخ رضا.
- الفاطميون تاريخهم وآثارهم في مصر ، كتاب - ناشرون ، ط١ (بيروت - ٢٠١٣م).
- القوصي ، عطية .
- تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، دار المعارف (القاهرة - ١٩٧٦م) .
- لقبال ، موسى.
- دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط١ (الجزائر - ١٩٧٩م).
- لين بول ، ستانلي .
- تاريخ مصر في العصور الوسطى ، ترجمة وتحقيق وتعليق : أحمد سالم سالم ، مراجعة وتقديم : أيمن فؤاد سيد ، الدار المصرية اللبنانية ، ط٤ (القاهرة - ٢٠١٦م).
- ماجد ، عبد المنعم
- الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة - ١٩٥٩م) .
- ماكمايكل ، أ. هارولد .
- تاريخ العرب في السودان (الكتاب الأول) ، تعريب : سيد علي محمد ديدان ، مكتبة الدار البيضاء ، ط٢ (الخرطوم - ٢٠١٣م).
- ماهر ، سعاد.
- مدينة أسوان وآثارها في العصر الإسلامي ، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية (القاهرة - ١٩٧٧م).
- محمد ، محمد عوض .
- السكان الشمالي سكانه وقبائله ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط١ (القاهرة - ١٩٥١م).

- مسعد ، مصطفى محمد .
- الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ، مطبعة لجنة البيان العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة - ١٩٦٠م).
- مشرفة ، عطية مصطفى ، نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ، دار الفكر العربي (القاهرة - ١٩٤٨م).
- المناوي ، محمد حمدي .
- الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، دار المعارف (القاهرة - ١٩٧٠م).
- النمكي ، أحمد حسين .
- الدولة الفاطمية ومظاهر الحياة السياسية والحضارية في صحراء مصر الشرقية ، تقديم : محمود محمد الحوييري ، مكتبة مدبولي (القاهرة - ٢٠١٧م).
- مؤنس ، حسين .
- الإسلام الفاتح ، الزهراء للإعلام العربي ، ط ١ (القاهرة - ١٩٨٧م).

ت- الرسائل الجامعية .

- الجاسم ، عبد الرزاق ذنون .
- العلاقات السياسية والاقتصادية بين المماليك وبلاد النوبة ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الموصل - ١٩٧٤م).
- الزيدي ، أحمد عواد عطشان طعان .
- القبائل العربية في صعيد مصر وأثرها في الحياة العامة ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد - ٢٠١٧م).
- مصطفى ، عفيف محمد علي .
- علاقة بلاد النوبة والبجة بالدولة العربية الإسلامية حتى عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد - ١٩٩٩م).

ث - مراجع النت .

- article < <https://www.annahar.com>
- <https://www.almaany.com>

**منهج ابن ابي الدم (١٢٤٤م / ٦٤٢هـ) في كتابه
المختصر في تاريخ الاسلام**

علاء محمد الزيدي

أ. د. م. وسن ابراهيم حسين

كلية التربية ابن رشد / قسم التاريخ / ماجستير تاريخ اسلامي

منهج ابن ابي الدم(٥٦٤٢هـ/١٢٤٤م) في كتابه المختصر في تاريخ الاسلام

علاء محمد الزبيدي

أ. د. م. وسن ابراهيم حسين

المقدمة

شهدت الفترة التي عاصرها ابن أبي الدم (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) من الأحداث السياسية والفكرية التي كانت تعد من أقصى العصور التي مرت على الدولة الإسلامية تتمثل بالغزو المغولي من الشرق والصليبي من الغرب، اما داخليا كانت الفتن والنزاعات والخلافات بين حكام الدول آنذاك خاصة الدول الإيوبية الذي يعد مؤرخنا من مؤلفي العصر الايوبي الأول، ورغم ذلك الا انه كان عصرا مزدهرا فكريا ظهر فيه عدد من العلماء نتيجة لاهتمام الحكام تلك الفترة بالعلم والعلماء وساهم في حالة الازدهار.

ومن أبرز علماء هذا القرن هو ابن أبي الدم الذي صنف في عدة مؤلفات في الفقه والحديث والتاريخ، وبعد كتابة (المختصر في تاريخ الإسلام) مصدر مهما لما احتوى عليه من معلومات مهمة بأسلوب مختصر عن الحقبة الإسلامية من بدايتها لغاية عصر ابن أبي الدم فهو مؤلف لم يكن حديث العهد من حيث المنهجية في الاختصار وإنما سبقه الى ذلك ابن منظور في كتابة (مختصر التاريخ دمشق لابن عساكر) وابو الفداء في كتابة (المختصر في اخبار البشر) وغيرهم.

برزت أهمية الكتاب في تنوع مادته ولعل حسن اخبار المؤلف للمعلومات الغزيرة والمتنوعة ومن كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية لاهم احداث الحقبة التي أرخ لها، وتكمن أهمية لانه المؤلف عاصر فترة مهمة جدا وهي الحروب الصليبية و الدول الإيوبية الذي كان هو أحد دعائمها وأرخ للعصر الأول لهذه الدولة، وأهدى هذا المختصر للملك المظفر صاحب حماة موطن مؤرخنا ضمن سياق المنهج الحولي حسب السنين.

أولاً : حياة ابن ابي الدم

١- اسمه وكنيته: أجمعت المصادر^(١) التي ترجمت لابن أبي الدم على أن اسمه: ابراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن علي بن محمد بن فائق بن محمد بن أبي الدم، وأشارت أغلب المصادر الى أنه يكنى بـ"شهاب الدين" و بـ"أبو اسحاق"^(٢).

٢- نشأته : نشأ ابن أبي الدم في حماة، وترعرع في جناباتها، واكتسب منها معارفه الأولية^(٣)، ثم رحل الى بغداد وتفقّه على مذهب الإمام الشافعي (رضي الله عنه)، وسمع من الشيخ أبي أحمد بن علي بن علي البغدادي الأمين المعروف بـ"ابن سكينه"^(٤)^(٥).

ودرس بالمدرسة النظامية^(٦)، ثم انتقل الى القاهرة وسمع وحدث بها ودرس بالموصل على يد مشايخها، كما ذكر ذلك بنفسه فقال: "ووافقنا على ما صرنا اليه بعرف مشايخنا بالموصل"^(٧)، وكان إماماً في المذهب الشافعي، عالماً بالفقه والحديث والتاريخ وله مصنفات تدل على سعة علمه وفضله^(٨)، بعد أن أتم ابن أبي الدم طلبه للعلم وبذله مجهوداً كبيراً في تحصيله متمثلاً برحلاته العلمية والتقاءه بمشايخه، حتى بدء مرحلة جديدة من حياته لإعطاء ثمار ما يمتلكه من علم فاشتغل بالتدريس والتعليم محاولاً إرفاد تلك المؤسسة.

ذكر ابن واصل المتوفى (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) وهو أحد تلاميذه ورفاقه ان ابن أبي الدم تولى القضاء في حماة عام (٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) من قبل الملك الناصر^(٩) صاحب حماة^(١٠)، وكان فاضلاً منقفاً في المذهب والتاريخ، وقيل عنه كان وافر الفضل حسن الأخلاق، وهو محترماً جليلاً مهاباً عفيفاً ورعاً لا يعرف الهزل في القول ولا الفعل^(١١).

وذكر ابن العماد الحنبلي^(١٢) ان ابن أبي الدم تولى قضاء بلدة همذان^(١٣) وهو حموي ولي قضاءها أيضاً، وفندت هذه الرواية من قبل بعض الباحثين^(١٤). وقالوا ان مبعثها الوهم وهو خطأ مطبعي من خلال تحقيق الطبعة الثانية من (كتاب أدب القضاء) لابن أبي الدم إذ يروا ان نسبه ابن ابي الدم قبيلة همذان اليمانية وليس الى بلدة همذان.

أما الدكتور عدنان قيطاز^(١٥) يرى عكس ذلك تماماً لقوله "فأن ابن أبي الدم همذاني نسبه الى بلدان همذان الفارسية وقد ولي قضاءها كما قال ابن العماد الحنبلي وليس همذانياً نسبة الى قبيلة همذان اليمانية"، مستنداً بوجود ترجمة فارسية لابن أبي الدم وقف عليها الدكتور سهيل زكار^(١٦)، وكذلك ان حماة لم تكن موطن القبائل اليمانية في الماضي بخلاف حمص ولذلك انعدمت في حماة النزعات بين القيسية واليمانية^(١٧).

إذ أجمعت المصادر^(١٨) ان ابن ابي الدم تولى منصب القضاء في مدينة حماة، باستثناء بعض المؤرخين^(١٩)، الذين أشاروا انه تولى القضاء بمدينة همذان اليمانية ومدينة همذان الفارسية وان ما ذهبوا اليه انه من الوهم اذ خلطوا بأن نسبة الى القبيلة ونسبه الى البلدة، إذ لم يثبت لدينا بعد البحث في المصادر المتوفرة لدينا ان ليس لديه أي رحلة علمية أو سياسية الى همذان اليمانية أو الفارسية، ثم ان تلميذه ابن واصل الذي أخبرنا بتفاصيل عن حياته ورحلته العلمية ودوره السياسي لم يذكر انه تولى قضاء

همذان اليمنية او الفارسية، إضافة الى شهرة ابن ابي الدم ونسبه الى موطنه الأم حماة وبعد ذلك يتضح لنا انه تولى قضاء حماة وليس همذان.

ثانيا: منهج ابن ابي الدم

اتبع ابن ابي الدم منهج التسجيل الحولي ورتب الاحداث على السنين الا انه كان ممزوجا بالمنهج الموضوعي على اساس عهد الخلفاء احيانا و اشار الى اتباعه منهج ذكر سنوات الخلافة قال: "... ثم استساق بعد ذلك ذكر الخلفاء خليفه على سياق السنين الهجرية... " (٢٠).

جمع ابن ابي الدم الحادثة الواحدة التي جاءت متفرقة على عدد السنين فوصل اجزائها في موضع واحد حتى تبرز القيمة التاريخية للحادثة وتتابع عناصرها بانتظام وترابط حتى يقدمها للملك المظفر كما فعل في خلافة ابن الزبير مثلا^(٢١)، وامتاز منهج ابن ابي الدم بعدم اعتماده على السند وهي من الامور الي امتاز بها التدوين التاريخي خلال عصر المؤرخ، وهو اعلان النهاية الصلة بين علم التاريخ والحديث^(٢٢).

اما اسلوب الكتابة عند ابن ابي الدم فهو اسلوب واضح وبسيط في الفاظه بشكل عام، فكان اسلوبه على الاغلب في سرد الرواية التاريخية هو اسلوب من نقل منهم فجاءت معظم الروايات مطابقة لمصادرها تماما الا في بعض الاحيان اختلف بشيء بسيط ان كان حذف او اختصار او في الفاظ لكن دون ان يشوه نص الرواية ومعناها، لكنه في الوقت نفسه لم يغفل عن ضبط بعض الالفاظ مثال ذلك: "... واخذ الحكمة وعلم الكلام عن الحمصي^(٢٣) بميم مشدودة " (٢٤)، كما اورد الفاظ تشير الى التردد في بعض الاحيان واتبعها بقوله: " والعلم عند الله سبحانه وتعالى " (٢٥) .

ومن اجل ادخال السرور وروح الفكاهة في قلب الملك المظفر وقراء كتابه عموما وحتى لا يدخلهم الملك، ومن الاسترسال في ايراد الحوادث التاريخية البحتة اعتمد ابن ابي الدم في كتابة اسلوب سرد الكثير من الطرائف والنوادر المستحسنة عن بعض الشعراء والظرفاء والبخلاء وغيرهم، فظهرت براعته الأدبية والعلمية من خلال الاسلوب السلس والمنجز حيث ينساب الكلام من قلمه انسيابا دون التكلف والتعقيد.

لم يكن ابن ابي الدم جامع للروايات فقط بل كان ناقدا فلم يأخذ الروايات على علاقتها بل دقق وتمحص فيها، فهو ذاكرة لآراء من سبقه من المؤرخين، فنجده ذكر اكثر من رواية واحدة دون ترجيح لواحدة منهن اذا لم تسترجع له صحتها، وهذا ما وجدناه عند وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك^(٢٦)، وايضا في كلامه عن سن الامام علي (عليه السلام) " واختلف في سنة يوم إسلامه، فقيل سبع

سنتين وقيل ثمان، وقيل عشر، وقيل ثلاث عشر، وقيل اربع عشرة، وقيل خمس عشرة وقيل ست عشرة سنة، كل ذلك منقول^(٢٧)، كما انه لا يرجح على الرواية بعد ايرادها بذكر الصحيح فيها مثل قوله في قبر الامام علي (عليه السلام): " واما قبر علي عليه السلام فالصحيح انه دفن بالكوفة"^(٢٨).

تناول الكتاب سير الملوك الأمراء والقادة واهتم بتدوين كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرائية، لتكتمل فائدة كتاب ابن أبي الدم الذي حرص على تقديمه هدية للملك المظفر ومثال ذلك اسهابه عن الترجمة الخليفة عبد الملك بن مروان والحركات السياسية والدينية التي دارت في عصرة، وكذلك عند ذكر الخليفة عمر بن عبد العزيز^(٢٩).

ان ابن أبي الدم اعتمد اسلوب الاختصار في سرده للأحداث التاريخية خاصة فيما يتعلق بذكر بعض تفاصيل الواقعة أو الغزوة فاقصر على سرد أطراف الصراع وعدد الجيوش وعدد القتلى وأسرى الطرفين هذا في اغلب الوقائع اما القليل منها جاءت مقتصره على عام حدوثها مثل ذلك غزوة بدر وواقعة المدائن، واكتفى بذكر عام حدوث البعض الاخر مثل احداث غزوة خيبر، على الرغم من أسلوب الاختصار الذي اعتمدت ابن أبي الدم في هذه الكتاب الا انه ابدى اهتماما في الوصف الدقيق في إعداد الجيوش والقتلى والاسرى والاموال ونحو ذلك ومثال ذلك ما قاله عن واقعة القادسية: " قتل يوم من المسلمين خمس مائة رجل من بني أسد وقتل من المشركين خلف لا يحصون " ^(٣٠)

اهتم الكتاب بتاريخ المشرق الإسلامي ولم يحظ الغرب الإسلامي الا شذرات يسيرة لا تكاد تذكر فوردت الإشارة إلى تاريخ المغرب والاندلس خمس مرات في كتاب المختصر لابن أبي الدم وذلك في احداث عام (٥٢٥هـ/٦٤٥م) في خلافة عثمان ابن عفان (رضي الله عنه) عندما أعطى الحارث بن الحكم خمس أفريقية وفي حديثه من عبد الملك بن مروان عندما ولى أخاه عبد العزيز مصر والمغرب، وفي احداث عام (٣٥هـ/٦٥٥م) ^(٣١) "...وكان مروان بن إبان... وكان مقيما في الأندلس"^(٣٢) وفي احداث عام (٨٩هـ/٧٠٧م) اشار لغزو موسى بن نصير وفتحها^(٣٣) وفي احداث عام (٩٣هـ/٧١١م) ذكر فتح طارق لمدينة طليطلة من الأندلس^(٣٤)

١- منهجه في التراجم

- منهجه في ترجمة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان ابن أبي الدم أوضح منهجه في ذكر سيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) في مقدمة كتابه باعتبار الكتاب هدية للمظفر، اذ قصد منه النظر للسيرة النبوية المشرفة كعبرة وموعظة للقارئ كما قال: "...عبرة للمستبصر، واستبصار للمعتبر وموعظة للناظر المفكر..."^(٣٥)، فعرض احداثها على شيء من الاختصار الا اننا وجدنا عرض بعض احداث سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بشيء من التفصيل خاصة في نسب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ونشأته الاولى

ابتداءً من زواج والديه الى الهجرة المحمدية للمدينة المنورة ثم عاد الى اختصار غزوات الرسول (ﷺ) وسراياه حيث يبدأ تسجيلها بالتاريخ الهجري ويقتصر على ذكر اسم الغزوة والسرية دون ذكر وقائعها وسير أحداثها وترك تفاصيلها لأنه ربما تطرق لها في كتابه (التاريخ الكبير) او لأن تفاصيلها توجد في كتب السير والتاريخ، وكان عرضه بأسلوب ادبي يثير القارئ لهذه السيرة العطرة^(٣٦)، وعرض حياة الرسول (ﷺ) ونشأته مبتدئاً باسم امه واجداده وشرفهم وفضلهم على قريش، وزواج والديه وحمل امه به (عليه أفضل الصلاة) ومكان ويوم ولادته فأشار الى اختلاف تواريخ ولادته فرجح رواية باعتباره مؤرخ له النقد والترجيح إذ قال: "ثم وضعته بمكة في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول عام الفيل..."^(٣٧)، وهذا التاريخ هو ما اتفقت عليه اغلب المصادر^(٣٨).

نلاحظ اهتمام ابن ابي الدم فيما يتعلق بتواريخ ولادة الرسول (ﷺ) حتى انه وصل الى رحلة من التفصيل طابق تاريخ ولادته الهجري مع ابرز شخصية ذكرت في القران الكريم هي ذي القرنين اذ قال: "ووافق ميلاده العشرين من نيسان سنة اثنين وثمانين وثمان مائة لاسكندر ذي القرنين"^(٣٩)، وذكر وفاة والديه الرسول (ﷺ) حيث ذكر وفاة ابيه عبد الله على عدة أقوال، ورجح قولاً منهم: "اما عبد الله فتوفى ومحمد (ﷺ) حمل على أصح الأقوال..."^(٤٠)، وكذلك وفاة أمه آمنة وكم للرسول من عمر عند وفاتها ومكان وفاتها.

ولم يغفل ابن ابي الدم عن الجانب السياسي في حياة الرسول (ﷺ) حيث ذكر مشاركته في حرب الفجار، إذ قال: "شهد رسول الله (ﷺ) وله سبع عشرة سنة، وقيل عشرون سنة والفجار حرب بين العرب مشهورة في شهر رجب، ويسمى فجاراً لأنهم فجروا فيه فإنه كان شهراً حراماً لا تُسفك فيه الدماء"^(٤١)، وكذلك أبرز ابن ابي الدم نبوغه السياسي وحضوره لحلفي الفضول والمطيبين حتى انه ذكر عمره (ﷺ) عند حضوره الحلفين وسبب تسمية الحلفين، بينما وجدنا ان ابن هشام^(٤٢) لم يشر الى حضور الرسول (ﷺ) حلف المطيبين في حين أكد حضوره لحلف الفضول^(٤٣)، وكذلك ركز على الحالة الاجتماعية للرسول (ﷺ) حيث ذكر حالة اليتيم التي مر بها الرسول (ﷺ) وزواجه من خديجة ودورها وما ولدت له من الاولاد ومن مات منهم. وكفالاته جده وعمه والمكاسب التي ترتبت على خروج الرسول (ﷺ) للشام مع عمه للتجارة واتاه بحيرة الراهب وظهر اول علامة للنبوته^(٤٤)، ولم يغفل عن الحراك السياسي للرسول (ﷺ) بعد الهجرة من سراية وغزوات ووقائع مع المشركين^(٤٥)، الا انه لم يتناول أحداثها ووقائعها وقوادها ونتائجها على عكس ما ذكرته كتب التاريخ وربما قصد ذكرها دون الخوض في تفاصيلها لأن الكتاب كان هدفة امتاع الملك المظفر عند قراءته له لذا جاء على عجلة عن التبحر في الاحداث والاقتصار على ما أشار اليها.

• منهجه في تراجم الخلفاء: اهتم ابن ابي الدم اهتماماً كبيراً بسير الخلفاء وهذا ما اشار له في مقدمته فقال: "ثم استأنف بعد ذلك ذكر الخلفاء خليفة خليفة على سياق السنين والهجرة"، فكان مؤرخنا حريص على ان يوضح كل الجوانب الايجابية والسلبية في سياستهم فضلاً عن الجوانب الحضارية (العمرائية - والثقافية)، والهدف من ذلك هو اكمال فائدة الكتاب هو الاهداء الى الملك المظفر، معتمداً في منهجه هذا على النظام الحولي لخلافة كل خليفة.

فهو يفصل في احداث جرت في خلافة ابو بكر الصديق (رضي الله عنه) كاسمه ونسبه واسلامه وصحبته الرسول (ﷺ) وحروب الردة حتى وفاته ودفنه، كذلك الحال بالنسبة الى اسبابه في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، بالاضافة الى تفصيله عن خلفاء العصر الاموي ومثال ذلك الاسهاب عن ذكر خلافة عبد الملك بن مروان فعرض لمعظم الاحداث السياسية والثورات والحركات التي جرت في عصره وكذلك ذكر كل تفاصيل خلافة عمر بن عبد العزيز واسهب بذلك، أما في العصر العباسي اذ ذكر كل تفاصيل خلافة هارون الرشيد وحروبه مع الروم ونكبة البرامكة^(٤٦).

كانت ترجمة ابن ابي الدم لخلفاء الدولة الاسلامية (الراشدي والاموي والعباسي) حتى عام (١٢٣٠هـ/ ١٢٣٠م) ولم يترك ذكر اي خليفة وامتاز في دقته في ذكر تاريخ توليتهم والحيادية مع كل الخلفاء ومدة خلافتهم، وراعى التسلسل الزمني وسردهم واحداً تلو الآخر^(٤٧).

ففي العصر الراشدي ذكر الخلفاء الخمسة حيث ابتدأ في الخليفة ابو بكر الصديق (رضي الله عنه) وانتهى في خلافة الامام الحسن (رضي الله عنه)، حيث ذكر كل خليفة اسمه ونسبه، وحرص على ذكر ان يجمع نسبهم الى نسب الرسول (ﷺ) وركز على التقاء هذه النسب، وهذا ربما لزيادة شرف الخلفاء والتقائهم بنسب خير الخلف، وإبراز مكانة هؤلاء الخلفاء وقربهم للرسول (ﷺ)، وكذلك ذكر كناههم وولادتهم واسماء امهاتهم واسلامهم وبيعتهم بالخلافة واولادهم ووفاتهم^(٤٨).

ومدة خلافتهم ومثال على ذلك ما ذكره عن الخليفة ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) إذ قال: "واسمه: عبد الله بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، اجتمع مع النبي (ﷺ) في مرة، ولد بمكة بعد عام الفيل بسنتين وثلاثة أشهر، وأمه سلمى بنت صغر من بني تيم بن مرة، وسمي (عتيقاً)..."^(٤٩).

أما عند ذكره للخلفاء الامويين ترجم ابن ابي الدم (٤٤ خليفة) ولم يترك احد وراعى التسلسل الزمني لهم وضبط تاريخ تولية كل منهم إذ بدأ^(٥٠) في معاوية بن أبي سفيان وانتهى^(٥١) في مروان بن الحكم، حيث ذكر اسمائهم وانسابهم وكناهم واسماء امهاتهم وتاريخ بيعتهم ووفاتهم ومدة خلافتهم كل الخلفاء وذكر لبعضهم كم له من الاولاد وكم لهم من العمر عند وفاتهم وصفات بعضهم ، وعندما ترجم

للخليفة الوليد بن عبد الملك، إذ قال: "يكنى ابا العباس امة ولادة بنت العباس بن حرب بن الحارث بن زهير بن جزيمة العبسية، بويج بالخلافة يوم مات ابوه في نصف شوال سنة ست وثمانين" (٥٢)، وبعد ذكر كل الاحداث التي دارت بعهدده، يستكمل ترجمته عند ذكر تاريخ وفاته وعلى اقوال ولم يرجح اي منهما، ويذكر مكان دفنه وكم له نم الاولاد، ومدة ولايته (٥٣).

أما سير خلفاء الدولة العباسية وجدناه يرحم (٣٦ خليفة)، إذ بدأ بالخليفة السفاح وانتهى بالخليفة المستنصر بالله، حيث استمر على نفس النهج الذي سار عليه عند ذكر خلفاء العصر الراشدي والاموي، وذلك باعتماد التاريخ الهجري في تسلسل سنوات حكمهم ولم يترك ذكر اي خليفة ويذكر اسم الخليفة في وسط الصفحة ويكمل ترجمته.

ومما يلفت انتباه قارئ الكتاب ذكر ابن ابي الدم لأولاد الخلفاء بإشارة لبعض الذين تولوا الخلافة منهم، كما ان من جهة اخرى لم يذكر البعض الآخر ربما يعود السبب في ذلك لعدم توليتهم الخلافة او ربما من باب الاختصار الذي هو منهج المؤلف، ولم يغفل ابن ابي الدم عن أهم الأحداث التاريخية في العصر العباسي خلال عهد كل خليفة ولكثرة هذه الأحداث تقتصر على الاشارة لبعض منها او أبرزها، فعن نكبة البرامكة في خلافة هارون الرشيد عام (١٨٩هـ / ٨٠٤م) وسخط الخليفة منهم ذكر هذه الاحداث مع سيرة الخليفة (٥٤)، وكذلك عرض لأحداث مكاتبات الخليفة لملك الروم نقفور والحروب التي دارت بينهما (٥٥).

ولم يغفل ابن ابي الدم عند ذكره سير خلفاء بني العباس إبراز الجانب الحضاري من بناء مدن وثغور، وهذا ما نلاحظه عند ذكر ابو جعفر المنصور وبناء مدينة بغداد وعمر لابنه رصافة بغداد (٥٦)، وعند ترجمته للخليفة هارون الرشيد اشار ببناءه لمدينة طرطوس (٥٧) (٥٨).

• **منهجه في تراجم الولاة:** ذكر ابن ابي الدم ولاة الدولة الاسلامية حيث ذكر (٥٠ والي) موزعين على عصر الراشدين الاموي والعباسي ولكثرة ما ذكره من الولاة سوف نفتصر على ذكر البعض منهم في تلك العصور، ومن ولاة العصر الراشدي اشار الى (١٦ والي) (٥٩) وبهذا اشارة الى ظهور هذا المنصب خلال هذا العصر حيث ذكر بعضهم اثناء التولية والبعض الآخر ذكره عند عزله وهو اسلوب اعتمده ابن ابي الدم اثناء عرضه للولاة، وعند ذكره لولاة ابي موسى الاشعري على البصرة في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، إذ قال: "وفيها ولي عمر ابا موسى الاشعري البصرة وعزل الميرة بن شعبه..." (٦٠).

ونلاحظ ابن ابي الدم استخدم منهج آخر في عرض ولاة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حيث ذكر العصر ومن تولى عليه فقد عدد عشرة ولاة في نفس الصفحة واحد تلو الآخر، لم يغفل ابن ابي

الدم الصراع الأقوى في العصر الراشدي بين الامام علي (عليه السلام) ومعاوية بن ابي سفيان، حيث ذكر كل من ولاة الامام علي (عليه السلام) وولاة معاوية بن ابي سفيان، وجاء سردهم ليس منفرداً كما اعتدنا في السابق بل جاء اثناء انباء حديثه عن واقعة صفين ،واكتفى بذكر العدد من الولاة في العصر الراشدي وترك ذكرهم ليركز على أهم الأحداث السياسية خلال الحقبة الأخيرة من العصر.

وعن ولاة العصر الاموي عرض ابن ابي الدم (٢١ والي)^(٦١)، حيث بدأ بزياد ابن أبيه وانتهى بالجنيدي بن عبد الرحمن^(٦٢)، إذ ذكرهم من حيث تاريخ توليهم وأي خليفة ولاهم على اختلاف بسيط في ذكر الأحداث التي ادت الى توليتهم ، وللاختصار ذكر تولية زياد ابن ابيه البصرة، إذ قال: "ولى معاوية على البصرة زياد ابن ابيه ويسمى ايضاً زياد بن عبيد..."^(٦٣) وتبعية وتوليه للبصرة وانه أول من جمع له المصريين، وكذلك ذكر من ولاة معاوية اذ قال: "ولى معاوية سعيد بن عثمان بن عفان"^(٦٤) رضي الله عنه بلاد خراسان"^(٦٥). ويكمل سرد الأحداث ولم يأتي بخبر التولية منفردة بل ضمن الأحداث وهذا ما جاء في المثالين السابقين.

نلاحظ ان ابن ابي الدم يراعي التسلسل الزمني لتولي الولاة هنا حيث ذكر تولية الحجاج الثقفي في نفس الورقة عام (٧٣هـ / ٦٩٢م) لمكة ثم في نفس العام ذكر توليه لليمن والبصرة واليمامة، وعن احداث عام (٧٤هـ / ٦٩٣م) يذكر كذلك للمدينة، وكذلك الحال في عام (٧٥هـ / ٦٩٤م) توليه للعراق بعد موت بشر بن مروان وهذا يدل على دقة ابن ابي الدم في ذكر الولاة^(٦٦)، او انه اطلع على مصادر تاريخية اعانته في تتبع ولاة هذه الفترة.

وفي العهد العباسي اورد ابن ابي الدم (١٣ والي)^(٦٧) إذ بدأ بمعن بن زائدة^(٦٨) وانتهى بالعماد الدين زنكي^(٦٩)، اذ ذكر ابن ابي الدم توليه عند ذكره لوفاة من كان متولي كما جاء بقوله: "مات حميد بن قحطبة"^(٧٠) والي خراسان، ووليها عبد الملك بن يزيد^(٧١)^(٧٢)، ونلاحظ ان ابن ابي الدم يذكر بعض صفات الولاة، اذ ذكر صفات معن بن زائدة خلال سرده لأحداث تاريخية والمراسلات بينه وبين الخليفة المنصور اذ قال: "وكان معن شجاعاً بطلاً فصيحاً وجواداً، وتضرب بكرمه الأمثال تمدحاً، ولاء المنصور اليمن وغيرها ثم اذريجان وامتدحه خلق من الشعراء..."^(٧٣).

- منهجه في تراجم الوزراء: عرض ابن ابي الدم في مقدمة كتابه انه سيدون في كتابه اخبار "مشاهير الوزراء"^(٧٤) ليزين بسيرتهم كتابه المهدي الى الملك المظفر للعبارة من اعمالهم "...ومن سلف من مشاهير الوزراء... عبرة للمستبصر واستبصار للمعتبر وموعظة للناظر المتفكر..."^(٧٥)، لذا ترجم لوزراء العصر العباسي على اعتبار ان الوزارة خلال هذا العصر تكاملت ونمت كمؤسسة ادارية في الدولة، فكتب عن (٢١ وزيراً)^(٧٦)، اوردتهم بطرق مختلفة

فالبعض ذكرهم اثناء تناوله الاحداث التاريخية والبعض الآخر اشار لهم عند وفاتهم فعرض لأسمائهم واسماء آبائهم واسماء الخلفاء الذين استوزر لهم من اشار له والعام الذي استوزروا فيه، وايضاً خص البعض منهم بترجمة لحياتهم وصفاتهم وفضلهم عندما حدد عام وفاتهم لكنه لم يحدد اسم الخليفة الذي تولى له الوزارة، وركز ابن ابي الدم على نكبة الوزراء خلال العصر العباسي ونقمة الخلفاء عليهم وهذا ما أكده في تناوله لترجمة الوزير يعقوب بن داود^(٧٧) وزير الخليفة المهدي^(٧٨)، وفي نكبة البرامكة على يد الخليفة هارون الرشيد^(٧٩)، ونقمة الخليفة المتوكل على الوزير ابن الزيات^(٨٠) وقتله^(٨١).

• **منهجه في تراجم القضاة :** ذكر ابن ابي الدم تراجم القضاة في كتابه وبين دورهم ولا ننسى انه كان اشهر من تقلد هذا المنصب وذكرنا دوره السياسي في تلك المرحلة حيث دون ابن ابي الدم (٤٦ قاضي)^(٨٢) موزعين على العصور الثلاثة (الراشدي والاموي والعباسي) واخص قضاة الشام بذلك ، اذ لم يكتب قضاة العصر الراشدي سوى قضاة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وذكر منهم (خمسة قضاة) تحت عنوان (وقضاته) وذكرهم باختصار في صفحة واحدة وهي أول مرحلة للقضاة في الدولة الاسلامية حيث برزوا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حيث اشار الى الامصار اولاً ثم القضاة اذ بدأ بالسائب بن زيد^(٨٣) وانتهى بسليمان بن ربيعة^(٨٤). واختلف عرض تراجم القضاة في العصر الاموي في كتابه حيث ذكر (قاضيين فقط)، حيث اورد ذكرهم على حالتين الاولى عند ذكر من استعفى من منصبه ومن الذي عفاه ومن ولى بعد كما قال في عام (٥٧٩هـ / ٦٩٨م): "وفيها استغنى شريح القاضي الحجاج من قضاء الكوفة فأعفاه، وولى مكانه بردة بن بلال^(٨٥)"^(٨٦)، اما الحالة الثانية عرض تراجم قضاة في هذا العصر عندما ذكر وفاة القاضي وعلمه ومكانته، وربما يقود السبب في ذلك لإبراز دور القضاء في الحياة السياسية الى الملك المظفر الذي ألف الكتاب هدية له، ومثال ذلك عند ذكره احداث عام (١٢٢هـ / ٧٣٩م) ولم يذكر المكان الذي تولى فيه القضاء وكذلك لم يذكر من الذي ولاه القضاء، اذ قال: "تولى اياس بن معاوية^(٨٧) القاضي، كان من العلم والذكاء بمكان عال"^(٨٨).

أما قضاة العصر العباسي فذكر منهم (٣٨ قاضي)، واستخدم في عرض تراجمهم عدة اساليب منها انه يذكر القاضي عند وفاته وبعض من علمه وفضله وهذا اسلوب نجده الغالب في مروياته عن القضاة في العصر العباسي، فعن ترجمته للقاضي ابو يوسف يعقوب^(٨٩) نجد ان ابن ابي الدم اشار للخلفاء الذين قضى لهم، وذلك ربما لإبراز دوره في القضاء، ولحنكته مما ادى الى ان يستقضي لعدة خلفاء، ونتيجة لمكانة القضاء في الدولة خلال العصر العباسي ظهر منصب ارفع درجة من القاضي وهو اللقب الذي نعت به القضاة المرموقين مثل (قاضي القضاة) وهذا ما امتاز به ابو يوسف القاضي فأشار

ابن ابي الدم الى هذه الميزة بقوله: "فيها مات القاضي ابو يوسف يعقوب صاحب الامام ابي حنيفة، كان عالماً جليلاً عظيم القدر صدوقاً محدثاً ورعاً وولي قاضي القضاة لموسى ثم أقره الرشيد على قضائه وارتفعت منزلته عنده، وهو أول من دعي بقاضي القضاة في الاسلام"^(٩٠)، ولم يترك ابن ابي الدم طريقة الا وعمل على ان يعرض فيها اسماء القضاة البارزين خلال هذا العصر حتى يصل به الأمر انه خلال عرضه للأحداث التاريخية يذكر اسم القاضي الذي تولى المنصب خلال فترة الحدث وجاء ذلك اثناء فتح صلاح الدين لمدينة عكا .

وأهم ما امتاز به ابن ابي الدم في ترجمته للقضاة هو اسهابه في ذكر قضاة المذهب الشافعي فجاء في الكثير من الروايات التي تناولاه عند الحديث عن كل قاضي شافعي فقال في سيرة القاضي ابو علي بن ابي هريرة الشافعي^(٩١)، اذ قال: "فيها توفي القاضي ابو علي بن ابي هريرة الشافعي من اكابر اصحاب ابن سريج وله وجد في المذهب"^(٩٢).

٢- منهجه في الاختصار والاحالة والنقد

• منهجه في الاختصار: الاختصار السمة البارزة للكتاب وقد أكده ابن ابي الدم في مقدمة كتابه إذ قال: "...وقع اختياري على تأليف مختصر في التاريخ أطرزه بذكر دولته وتاريخ ومملكته ونشر فضائله..."^(٩٣)، لذا عمد الى منهج الاختصار في ذكر الروايات عن احداث التاريخ المشهورة، خاصة انه جعله تاريخاً اسلامياً ابتداءً فيه بسيرة المصطفى ومن ثم ولاية كل خليفة من بعده (ﷺ) فأصبح الكتاب مصدراً مكماً لما سبقه من المؤلفين، وربما عمد الى الاختصار باعتبار الهدف من تأليف الكتاب كما سبق واشرنا هو اهداءه الى الملك المظفر صاحب حماة، أو ربما اطل في تفاصيل هذه الاحداث بكتابه التاريخ الكبير وهذا ما أشار اليه في حديثه عن وقعة صفين اذ قال: "فأجابه علي عليه السلام بأجوبة سارت وطالت واستقصيناه في التاريخ الكبير"^(٩٤).

ونجد ابن ابي الدم لم يتبع أسلوب معين في الاختصار ففي كثير من الأحيان لا يصرح باختصاره للحدث وانما يعتمد على أن يُشعر القارئ بذلك، ومن أبرز هذه الاحداث المختصر عن عصر الرسالة النبوية خاصة غزوات وسرايا الرسول (ﷺ)^(٩٥) وحروب الردة ومعارك التحرير والفتوح البلاد الاسلامية في العصر الراشدي^(٩٦).

وكذلك اختصار أحداث العصر العباسي نلاحظ اختصار أحداث منها الخلاف بين الأمين وأخيه المأمون والفتوح التي حدثت في هذا العصر^(٩٧)، وعن رسالة الخليفة الناصر بالله العباسي لصلاح الدين الأيوبي إذ قال: "وذكر كلاماً طويلاً هذا خلاصته"^(٩٨).

وفي احيان اخرى وجدناه يصرح باختصاره ففي رضاع الرسول (ﷺ) من حليلة السعيدة وحادثة شق بطه (ﷺ) واستخرج منه علقه سوداء وغسل بالثلج وختم على قلبه من نور، وقال: "القضية مشهورة"^(١٩)، وكذلك في أعمال الرسول (ﷺ) في المدينة (المؤاخاة بين المسلمين) ثم شرح الأذان قال: "وقصته مشهورة"^(١٠٠)

وأشار في اختصار روايات من العصر الراشدي عند ذكره التشاور الذي دار لمبايعة الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) اذ قال: "مختصر ما جرى..."^(١٠١)، ثم أكمل سرد ما جرى، وكذلك الحال بالنسبة لأحداث وقعة صفين، وقال: "ومختصر الواقعة..."^(١٠٢). ثم أكمل سرد أحداثها باختصارها وإيجاز

• **منهجه في الإحالات :** ونعني بها ما يرشد اليه ابن ابي الدم من كتبه الاخرى (كتاب التاريخ الكبير) و (كتاب الفرق الاسلامية) أو من كتب الذين استقى منهم المعلومات فيكتفي بتلك الجهود ويحيل اليها من أراد الاستزادة، واحالات ابن ابي الدم ليست قليلة لكنها متنوعة وربما هدف منها مؤرخنا الاستئناس بجهد غيره أو عدم التكرار في جهده، واحالات ابن ابي الدم على نوعين: الاحالات الداخلية والاحالات الخارجية.

- **الاحالات الداخلية:** ذلك ان يحيل ابن ابي الدم في أثناء الترجمة الى مكان آخر من الكتاب يتم به كمال ذكر المعلومات واحالاته داخل كتابه.

- **الاحالة لما سيأتي:** وعن أمر الرسول (ﷺ) لأبي بكر (رضي الله عنه) أن يصلي بالناس فأحال ابن أبي الدم أحداث هذه الرواية وقال: "...وسياأتي بعض ذكر ذلك عند ذكرنا أبا بكر رضي الله عنه"^(١٠٣)، وعن أحداث عام (١١٣هـ / ٦٣٤م) وفتح أجنادين وفحل في آخر حياة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، لأنه تم فتحهما في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وقال: "وسنذكر فتحهما في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه"^(١٠٤)، وعن خبر جلد السفاح لجثة هشام بن عبد الله، وقال: "وسنذكر ذلك في ترجمة السفاح عند ذكر نبش قبور بني أمية واحراقهم ان شاء الله تعالى"^(١٠٥).

- **الإحالة لما سبق:** ان ابن ابي الدم جعل هذا الكتاب مختصر إذ لم يكرر ما ذكر سابقاً وذلك لعدم خلق الملل عند القارئ ويستخدم عبارات ينبه القارئ انه تناول هذا الحدث فيما سبق وجاءت بكثرة ، وذكر ابن ابي الدم ما جرى بين الامام الحسن (رضي الله عنه) والخليفة معاوية بن ابي سفيان، وعند ذكره لترجمة معاوية قال: "...وقد ذكرنا في ترجمة الحسين بن علي (عليهما السلام) ما جرى لمعاوية معه من الصلح وبيعة الجماعة..."^(١٠٦)، وفي ذكره لوفاة الامام الحسن (رضي الله عنه) في عام (٥١هـ / ٦٧١م) قال: "وقد سبق ذكره في ترجمة"^(١٠٧)، وسبب احالة هنا انه ذكر ترجمته عند ذكر توليه للخلافة عام (٤٠هـ / ٦٦٠م)

وجد ابن ابي الدم خلال صفحة واحدة اثناء نقله لبداية الدعوة العباسية وخلاف السفاح احواله للخبر الى صفحات سابقة لأنه ذكرها هناك سابقاً فقال أول مرة: "وقد ذكرنا في ترجمة الوليد بن يزيد بن عبد الملك قدم ابي مسلم الخراساني..."^(١٠٨).

• **الاحالات الخارجية:** اتبع ابن ابي الدم اسلوب الاحالات الخارجية الى كتبه الأخر من أجل الاستقصاء في المعلومات أثناء ذكره للحدث يميل الى الاختصار وقد أحال ابن ابي الدم الى كتبه وهم (كتاب التاريخ الكبير) و(كتاب الفرق الاسلامية)، وربما ان ابن ابي الدم أراد ان يطلع القارئ على كتبه الأخرى او لبيان علمه وكثرة اطلاعه على العديد من كتب الحديث و التاريخ ، ففي الخلاف الذي ورد في المصادر عن أول آية نزلت في القرآن الكريم وقال: "...وفي ترتيب ذلك خلاف مشهور ذكرناه في التاريخ الكبير"^(١٠٩)، وعن عزل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) للمغيرة بن شعبة بتهمة الزنى قال: "...وهي مستقصاة في التاريخ الكبير"^(١١٠)، وعن ذكر كيفية انتقال الخلافة من عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وقال: "...وشرحها يطول قد استقصيناها في التاريخ الكبير"^(١١١).

وفي اخبار العصر العباسي وأثناء كلامه عن اخبار وفاة أشعب الطامع^(١١٢) عام (١٥٤هـ/٧٧٠م) قال: "...ولأشعب اخبار كثيرة مستقصاة في التاريخ الكبير"^(١١٣)، وعند ترجمة الامام الشافعي قال: "...وللشافعي رضي الله عنه اخبار كثيرة ومناظرات مع العلماء سائرة قد استقصيناها في التاريخ الكبير وهذا مختصر لا يحتمل اكثر مما ذكرناه"^(١١٤).

٣- **منهجه في النقد والتجريح :** لم يكن ابن ابي الدم مجرد ناقل للرواية التي نقلها من الذين سبقوه من دون تدقيق، بل كان صاحب رأي في كثير من الروايات التي اوردتها، وكذلك انتقد روايات بعض من سبقوه، وفي مواضع أخرى نجده لم يرجح احدى الروايات على أخرى ويتركها عائمة، وربما لعدم تأكد المعلومة الأصح عند ابن ابي الدم ويترك الأمر للقارئ، أو ربما كثرة المصادر التي استخدمها ابن ابي الدم وجمعه للكثير من رأي للرواية الذي يدور الجدل حولها، وعندما يكون غير متأكد من صحة الرواية يستخدم لفظ "والعلم عند الله سبحانه وتعالى"، وهذا أمر قلما نجده في كتابات المؤرخين الذين سبقوه أو عاصروه الذين اكتفوا بالنقل فقط على من سبقوهم^(١١٥).

إذ ذكر في نسب الرسول (ﷺ) واختلاف الناس في قريش: "...فمنهم من قال: كل من انتسب الى فهر بن مالك فهو قريشي" وهو الأصح"^(١١٦)، وعند ذكره للبعثة المحمدية قال: "...والصحيح انه بعث في يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول..."^(١١٧).

وعن وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك عام (٩٦٦هـ / ٧١٤م) عندما طعن البعض من بني أمية على عمر بن عبد العزيز بقولهم انه دفن سليمان حياً، عندما رأوه تحرك في أيديهم. وقال: "قلت هذا غير صحيح ومنزلة عمر رضي الله عنه من الدين والاسلام أعظم من أن ينتسب اليه من هذا الأمر"^(١١٨)، وعن وفاة ابو تمام الطائي عام (٢٣١هـ / ٨٤٥م) اذ قيل له تمنّ؟ فاختر ولاية الموصل فدفعت اليه، وقال: "...وهذا لم يصح عندنا والعلم عند الله تعالى"^(١١٩).

أما في حين ان لم يكن متأكداً من أي الروايات اصح يذكر اختلاف المؤرخين فقط ولم يرجح أحدهما على الأخرى، ففي ذكر وقعة جلولاء وعند كلامه في تاريخ الوقعة، قال: "كانت هذه الوقعة في سنة ست عشرة رواية سيف وغيره وفي رواية الواقدي انها كانت في سنة تسع عشرة..."^(١٢٠). وفي ذكره لسن الامام علي (عليه السلام) يوم اسلامه: "...واختلف في سنه يوم اسلامه، فقيل سبع سنين، وقيل ثمان، وقيل عشر، وقيل ثلاث عشرة، وقيل اربع عشرة، وقيل خمس عشرة، وقيل ست عشرة سنة، كل ذلك منقول"^(١٢١).

أما عندما يكون غير متيقن من صحة الرواية التي يوردها يستخدم الفاظ (والعلم عند الله سبحانه وتعالى) و(هكذا قيل) ربما أراد ان يتخلص شرعاً مضمون هكذا روايات والا كان بإمكانه ان يتركها سائبة، ففي ما خلفه الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) من أموال وذكر اقوال الطبري والمسعودي وغيرهم، إذ قال: "هكذا حكاها هما وغيرهما من أهل العلم.. والعلم عند الله سبحانه وتعالى"^(١٢٢).

٣- منهجه في رواية الشعر :

ضمّن ابن ابي الدم كتابه المختصر الكثير من الأشعار التي اوردها على طريقتين الأولى عند عرضه التراجم، والثانية اثناء عرضه وبيانه الحوادث التاريخية، فهو ذكر الرواية مختصرة ويسرد أبيات شعرية، ولعل ذلك لزيادة الايضاح وتأكيد على الروايات او لتبيان اهتمام الشعراء في الحوادث التاريخية او لإبراز نفسه وعلميته وكثرة اطلاعه عند ايراده الكثير من الأبيات الشعرية ناقلاً إياها من مصدرها الأساسي، ولم يلتزم ابن ابي الدم في النقل فقط بل انفرد في بعض الأشعار، وكذلك أضاف وحذف وغير في بعض الكلمات، وحتى قدم وأخر في الأبيات، جاء ورود الشعر في كتاب المختصر من خلال أغلب الروايات واحداث العصور الاسلامية (الرسالة، الراشدي، الاموي، العباسي).

• **النقل الحرفي:** نقل ابن ابي الدم بيت من الشعر عند ذكره لجد الرسول (ﷺ) الثاني هشام بن عبد مناف، وذكر سبب تسمية هاشم بعد أن كان اسمه عمرو العلي، وذلك لهشم الثريد لقومه، إذ قال: "وفيه قال الشاعر:

عمرو العلي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف"^(١٢٣)

ربما ابن ابي الدم هو ناقل هذا النص الشعري من الطبري^(١٢٤). ذلك من خلال استقراءنا رواية الطبري نفسها التي نسبها الى قولين، بينما يذكر ابن سيده^(١٢٥) قول ثابت لهذا الشعر، وربما ان ابن ابي الدم ترك كل هذه الأقوال لاختلاف المؤرخين الذين سبقوه الى هذا الشعر بضبط الاختصار كما اعتدنا في منهج كتاب ابن ابي الدم، وجاء هذا النص عند بعض المؤرخين^(١٢٦).

• **انفراد:** انفراد ابن ابي الدم بذكر أشعار لم ترد في المصادر التاريخية ومن هذه الاشعار عن وفاة وترجمة الخليفة الناصر لدين الله، ذاكراً له شعر يمدح فيه آل علي بن ابي طالب (عليه السلام):

لا بلغتني همني مطالبي ولا سطت في معرك قواضي
ولا علت ناري لتهدني طارقاً ولا غدت مجنوبه جنائبي
ان لم اقدها ضمراً شوازيماً لأخذ ثار الملك الحبابي
الباقر بن أحمد بن حيدر سلاله الأبرار آل طالب...^(١٢٧)

• **الإضافة والحذف وتعديل:** أنشد الخليفة عبد الملك بن مروان أثناء مرضه ابيات شعرية كانت وصية لأولاده نقلها ابن ابي الدم فقال فيها:

"انفوا الضغائن بينكم وتواصلوا عند الأبعاد والحضور الشهد
فصلاح ذات البين طول بقائكم ودماركم بتقاطع وتفرد
فلمثل ريب الدهر الف بينكم بتوافق وتراجم وتودد
حتى تلين جلودكم وقلوبكم لحسود منكم وغير مسود..."^(١٢٨)

جاءت عند (المسعودي)^(١٢٩) باختلاف عما نقله ابن ابي الدم، وعند الاطلاع على هذه الأبيات في (كتاب شرح نهج البلاغة)^(١٣٠) عند ابن ابي الحديد جاءت باختلاف اكثر مما عند المسعودي وكذلك جاءت مختصره.

ومن الأشعار التي جاء فيها تغير وما نقلها ابن ابي الدم خلال حديثه عن احداث عام (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) عن فتح حلب على يد صلاح الدين الايوبي، إذ امتدحه القاضي محيي الدين بن زكي بقصيدة قال فيها:

"وفتحكم حلباً بالسيف في صفر مبشراً بفتوح القدس في رجب"^(١٣١)

وردت هذه الرواية عند (ابن الأثير)^(١٣٢) و(ابن كثير)^(١٣٣) على هذا النحو:

"وفتحكم حلب الشهباء في صفر قضى لكم بافتتاح القدس في رجب".

- السماع : انفرد بها ابن ابي الدم في المصادر التاريخية فابن ابي الدم كان سامعاً ومشاهداً لها فيما ان الكتاب أهدى للملك لذا عكف مؤرخنا على ان يدونها ليبرز الكتاب بذكر دولته وتاريخ ملكه ونشر فضائله حتى وجدنا في مقدمة كتابه يبدأ بأبيات شعرية في مدح الملك المظفر :
"فلا فضيلة إلا من فضائله ولا غريبة إلا وهو فشاها
حاز الفخار بفضل العلم وارتفعت به الممالك لَمَّا ان تولاها
فهو الوسيلة في الدنيا لطالباها وهو الطريق الى الزلفى بأخراها"^(١٣٤).

وزين ابن ابي الدم كتابه المختصر المهدي للملك المظفر ذاكراً أشعار المدح بحقه ليعظم شأنه من أجل شكره على النعمة وبقيم به رسم الخدمة ويجتتي بما أعطاه من ثمار القبول ويبلغ غاية المأمول^(١٣٥).

٤- منهجه في الكوارث الطبيعية والغلاء والقحط والابوئة:

- منهجه في الكوارث الطبيعية : تعد الكوارث الطبيعية بما فيها الزلازل والسيول والفيضانات وغيرها من المخاطر الجسيمة التي تواجه المجتمع قديماً وحديثاً إذ يبدو أثرها الاقتصادي والاجتماعي والصحي واضحاً على المجتمع لأنها تؤدي لهلاك البشرية.

عكف مؤرخو الاسلام لهذه الأحداث في مؤلفاتهم بالشيء المفصل لما خلفته هذه الحوادث (حوادث الطبيعة والأوبئة) من تلف المزروعات وتدمير المنازل وتشريد الناس بالاضافة الى حدوث الأمراض والأوبئة الفتاكة التي أدت الى موت الناس بأعداد كبيرة وعرض ابن ابي الدم هذه الكوارث الطبيعية والأوبئة في مؤلفه بمرات عديدة لكننا وجدناه لا يعرضها بالتفصيل على غرار ما موجود في المصادر التاريخية باستثناء الزلازل التي وقعت في الشام في السنوات التي عاصرها فهو يصورها بدقة وتفصيل ما لم نجدها عند نظرائه من المؤرخين الذين يذكرون الاحداث نفسها.

وفي السيل الذي ضرب مكة عام (٥٨٠هـ / ٦٩٩م) جاء ابن ابي الدم برواية مختصرة عنه على خلاف ما وجدناه عند غيره من المؤرخين^(١٣٦) جاء فيها: "جاء سيل بمكة بلغ الركن وجاوزه، وأخذ الجمال والحجاج، وعزفت بيوت مكة فسمي عام الحجاج"^(١٣٧)^(١٣٨).

وخص الزلازل التي وقعت في العصر العباسي في سائر أمصار الدولة الاسلامية منها الزلزال الذي ضرب مصر عام (١٨٠هـ / ٧٩٦م) فسقط جزء من منارة الاسكندرية، إذ قال عنها: "فيها ورد بمصر زلزلة عظيمة سقط بها رأس منارة الاسكندرية"^(١٣٩)، وهي حادثة وردت عند اغلب المؤرخين^(١٤٠).

وفي أحداث عام (٥٥٣هـ / ١١٣٨م) نلاحظ ان ابن ابي الدم انفرد في ذكر عدد الأشخاص الذين هلكوا في زلزال حلب، إذ قال: "فيها كان بحلب زلزلة عظيمة، وأتت على مائتي الف نفس فهلكوا"^(١٤١). ومن خلال استقراءنا للمصادر^(١٤٢) لم تذكر سوى ان حدوث زلزال في حلب على عكس ابن ابي الدم رغم اختصاره يذكر عدد الاشخاص الذين هلكوا بأكثر دقة.

أما في زلزلة حلب عام(٥٦٥هـ/١١٦٩م) نجد ان ابن ابي الدم ولأول مرة يتعمق ويروي تفاصيل دقيقة عنها ربما لأنه عاصر احداثها لكنه لم يشاهدها استناداً لذكره (على ما روى) وكذلك (يقال انها) و(روي)، فهنا هو ينقل رواية لم نجدتها فقط عند معاصره (ابن واصل)^(١٤٣). وكانت مختصرة أي لم تكن مفصلة كما عند مؤرخنا اذن هنا يكاد ينفرد ابن ابي الدم بذكر تفاصيل مهمة عن زلزلة حلب حتى انه ذكر انها عمت الأرض الى ان وصلت بلاد المغرب العربي وجاء في الرواية: "فيها كانت الزلزلة العظيمة المعروفة بزلزلة حلب، وحدثت في بكرة يوم الاثنين ثاني عشر شوال بعد طلوع الشمس، وتعرف في الشام بزلزلة حلب لأن تأثيرها في حلب أكثر من بقية البلدان وهلك من الروم بحلب على ما روي خمس عشر ألف آدمي، واضطربت قلعة بعلبك وتدم بعضها..."^(١٤٤).

• منهجه في غلاء الاسعار والقحط: ذكر ان الغلاء والرشاء مازال يتعاقبان في جميع البلدان والأقطار منذ بدء الخليقة لكنها تتفاوت في نطاقها الجغرافي وأسبابها وتوقيت حدوثها والآثار الاقتصادية والاجتماعية التي خلفتها من مكان الى آخر عبر التاريخ، وتعرضت ارجاء البلاد الاسلامية في مختلف العصور الى مجاعات سببها غلاء الأسعار بالاضافة الى الوبئة التي فتكت بالسكان مما ادى الى حدوث مجاعات.

اذ ذكر ابن ابي الدم ما حدث في العصر الراشدي في عام (١٨هـ / ٦٣٩م) عام الرمادة ما أصاب الناس من مجاعة وقح شديد وكيفية سيطرة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على هذه المجاعة اذ جاء نص الرواية: "في سنة سبع عشرة كان عام الرمادة، وقيل سنة ثمانى عشرة أصاب الناس جهد عظيم حتى استنف الناس الرماد واسودت الأرض من الجذب، واستمر ذلك تسعة أشهر بالمدينة والحجاز، وكتب عمر رضي الله عنه الى عمرو بمصر والى معاوية بالشام يستغيث بهم..."^(١٤٥).

وفي أحداث عام (٣٣٦هـ / ٩٤٧م) يذكر حادثة اكثر مبالغة عند ذكره لغلاء عظيم ضرب الشام ادى الى اكل الناس اولادهم والكلاب والحمير، وعند رجوعنا للمصادر التاريخية لم نجد هذه الرواية، وبالأخص في احداث العام المذكور ونص الرواية جاء فيها: "فيها كان الغلاء العظيم بالشام حتى أكل الناس اولادهم وبعضهم بعضاً والكلاب والحمير وبلغ مكوك الحنطة عشرين ديناراً"^(١٤٦).

• **منهجه في الأوبئة:** تعرضت الدولة الاسلامية لعدد من الأوبئة والطواعين تباينت في تأثيراتها السلبية في المجتمع الاسلامي، وتعد الكتابة في الأوبئة أهم الدراسات التي تغطي صفحات من التاريخ البيئي والصحي للمجتمع الاسلامي على مر العصور وذلك انها سلطت الضوء على مهلكة مر بها المجتمع آنذاك.

ونظراً لأهميتها اصبحت مادة كتب التاريخ ومن بينها كتاب المختصر لابن ابي الدم لكن لم يسهب في ذكر أحداث وتفاصيل هذه الحوادث لا نعرف ربما هو الاختصار الذي سارت عليه الحوادث كمنهج في كتابه ام لأن بعضها كان من الحوادث التي اسهب فيها المؤرخون الذين سبقوه فمن أبرز هذه الأوبئة التي دونها ابن ابي الدم في كتابه طاعون عمواس تناوله برواية تطرق فيها لاختلاف المؤرخين في تحديد عام وقوعه منفرداً روايته بالسند، وبلغ الطاعون أوجه اذ اودى بحياة الكثير من الصحابة بينهم واليين من ولاة الشام بالاضافة الى عدد من الصحابة واعداد كبيرة من الناس لكن لم يبالغ ابن ابي الدم في ذكر اعداد القتلى لهذا الطاعون على عكس ما اسهبت به المصادر^(١٤٧) فجاء في رواية مؤرخنا: "كان في سنة سبع عشرة، وقيل كان بعد عودة عمر الى المدينة بثلاث سنين، فعلى هذا يكون في سنة عشرين، وقال محمد بن اسحاق: كان طاعون عمواس في سنة ثمانى عشرة..."^(١٤٨)، ومن الأوبئة التي ذكرها ابن ابي الدم وهو لكثرة ما أصاب الناس فيها هو الرعاف^(١٤٩) الشديد ويسمى بعام الرعاف في عام (٢٤هـ / ٦٤٤م) وجاء في نص رواية مؤرخنا: "وأصاب الناس رعاف شديد فسمي بـ(عام الرعاف)"^(١٥٠)، وهذا ما وجدناه عند استقراءنا للمصادر التاريخية^(١٥١) التي سبقت مؤرخنا.

أما عن طاعون الجارف^(١٥٢) في البصرة من اسم الطاعون ندرك حجم الأثر الذي تركه في أهله، إذ اختلف المؤرخون في تحديد زمن طاعون الجارف بدقة فمنهم من حدد وقوعه في عام (٦٥هـ / ٦٨٤م)^(١٥٣) بينما يذهب البقية الى ايرادها في عام (٦٩هـ / ٦٨٨م) تحديداً زمنياً لوقوعه^(١٥٤)، وهو التاريخ المرجح لاجتماع أغلب المؤرخين على تأييده، أما ابن ابي الدم فنجدته يذكر وقوعه في عام (٦٨هـ / ٦٨٧م) فيما يحدد تاريخ وفاة ابو الاسود الدولي الى سنة (٦٩هـ / ٦٨٨م) وهو أشهر من مات بهذا الطاعون، فقال في روايته عن الطاعون الجارف: "وفيها وقع بالبصرة طاعون جارف"^(١٥٥).

الخاتمة

أثبتت الدراسة ان لابن أبي الدم دورا اساسيا وفكريا مهم جدا في حل النزاعات والخلافات بين البيت الايوبي فكان أحد أركان الدولة الإيوبية وكان مطيع للبيت الايوبي وعلى سبيل المثال تبريره لعمل الملك الكامل عند تسليم بيت المقدس لفرديريك الثاني عام (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) مما اثار استهجان العلماء والمؤرخين وعلى رأسهم سبط ابن الجوزي، تنوعت المادة العلمية في الكتاب من القران الكريم والحديث

النبوي الشريف من كتب تاريخ وكتب سيرة والمغازي وكتب الطبقات وكتب الآداب، و من خلال المقارنة التي اجريناها لموارد مع مصادر الأخرى، نلاحظ بعض تصرف او اختصر في نص الروايات في بعض الأحيان وفي البعض الآخر ينقله نصا دون تلاعب في المعنى العام للرواية و بعد دراسة موارد ابن ابي الدم ومقارنتها تبين لنا أن اغلب موارد جاءت مطابقة مع اصل.

الهوامش والمصادر والمراجع:

(١) الذهبي، شمس الدين ابن عبد الله محمد بن أحمد بن قايمار (ت: ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، تاريخ الاسلام وفيات المشاهير والاعلام، تح: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م، ج١٤، ص٤٠٦؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ج٢٣، ص١٢٥؛ السبكي، أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت: ٧٧١هـ / ١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطنجي وعبد الفتاح الحلو، ط١، دار احياء الكتاب العربية، القاهرة، مصر، ج٨، ص١١٥؛ ابن قاضي شهبة، ابي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الدمشقي (ت: ٨٥١هـ / ١٤٤٨م)، طبقات الشافعية، تح: الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٠٧، ١٩٨٧م، ج٢، ص٩٩.

(٢) الحسن، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت: ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م)، صلة التكملة لوفيات النقلة، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ، ج٢، ص٢٠٤؛ الذهبي، سير اعلام، ج٢٣، ص١٢٥؛ الصفي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠، ١٤٢٠هـ، ج٦، ص٢١.

(٣) ابن أبي الدم، أدب القضاء، ص١٨.

(٤) ابن سكينه: هو عبد الوهاب ابن الأمير ابن منصور علي بن عبد الله، أبو حامد البغدادي المعروف بابن سكينه الامام المحدث مسند العراق وشيخها، الصوفي الأمين، ولد عام (٥١٩هـ / ١١٢٥م)، توفي عام (٦٠٧هـ / ١٢١٠م) ودفن بمقبرة جامع المنصور. للمزيد ينظر: ابن نقطة الحنبلي، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع (ت: ٦٢٩هـ / ١٢٣١م)، التقييد المعرفة رواة السنن المسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص٣٧٣؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢١، ص٥٠٢-٥٠٣-٥٠٤؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٣٢٤-٣٢٥؛ الفاسي، محمد بن أحمد بن علي الحسن (ت: ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م)، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ج١، ص١٥٦.

(٥) الحسن، صلة التكملة، مج، ص١٠١.

(٦) جلال، أمانة حسن، اثر الصلات العلمية بين الدولة الايوبية والخلافة العباسية في ازدهار الحياة الثقافية في المجتمع الاسلامي، مجلد ١٤، العدد ٤، السعودية، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م، ص٢٩٣.

(٧) ابن أبي الدم، أدب القضاء، ص١٩-٣١٦.

(٨) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٩٩.

(٩) الملك الناصر: هو قلع رسلان بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك الناصر ابن المنصور، تولى حماة بعد وفاة أبيه عام (٦١٧هـ / ١٢٢٠م) متحالفاً مع الملك الأشرف اذ اغتصب حق أخيه الملك المظفر في ولاية حماة بعد

ذلك تولى الملك المظفر حماية بتحالفه مع الملك الكامل، وحبس الملك الناصر في مصر وتوفي عام (٦٣٥هـ/١٢٣٧م). للمزيد ينظر: ابن أبي الدم، المختصر، ص ٤٧٧-٤٧٨؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ١٤، ص ١٨٤؛ الحايك، مندر، العصر الأيوبي قرن من الصراعات الداخلية، تقديم: سهيل زكار، ط ١، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ٢٠١١م، ص ١٦٧.

(١٠) مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٧٤.

(١١) الحسن، حلة التكملة، مج ١، ص ١٠١؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٧٤؛ الصابوني، تاريخ حماة، ص ٨٠.

(١٢) شذرات الذهب، مج ٧، ص ٣٧٠.

(١٣) همذان: وهي مدينة مشهورة من مدن الجبال مدينة عظيمة لها رقعة واسعة، وهواء لطيف وماء عذب وتربة طيبة في بلاد فارس بناها همذان بن فلوج بن سام بن نوح، عليه السلام وفتحت عام (٢٣هـ / ٦٤٣م)، بقيادة المغيرة بن شعبة. للمزيد ينظر: ابن حوقل، محمد ابن حوقل البغدادي (ت: ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، صورة الارض، دار صادر، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ٣٥٨؛ الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤١٠.

(١٤) ابن أبي الدم، أدب القضاء، تح: محي هلال السرحان، ج ١، ص ٢٩؛ ابن أبي الدم، أدب القضاء، تح: محمد مصطفى الزحيلي، ص ١٩-٢٠.

(١٥) ابراهيم بن أبي الدم الحموي، ص ٢٣٠.

(١٦) زكار، سهيل، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، ج ٢١، ص ٦.

(١٧) قيطاز، ابراهيم بن أبي الدم الحموي، ص ٢٣٠.

(١٨) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٤، ص ١٧٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢٣، ص ١٢٦؛ تاريخ الاسلام، ج ١٤، ص ٤٠٦؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، ج ١، ص ٢٦٦؛ الصفدي، الوفي بالوفيات، ج ٦، ص ٢١؛ الزركلي، الاعلام، ج ١، ص ٤٩.

(١٩) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٣٧٠؛ قيطاز، ابراهيم بن ابي الدم الحموي، ص ٢٣٠.

(٢٠) ابن ابي الدم، المختصر، ص ١٨.

(٢١) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص ٩٩.

(٢٢) شاكر، مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الاسلام، ط ٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣، ج ١، ص ٣٧٨.

(٢٣) الحمصي: وهو المظفر بن علي بن ناصر القرشي، كمال الدين الحمصي، الطبيب، من اهل حمص، سكن دمشق، طلبه الملك العادل ابو بكر بن ايوب لخدمته فلم يفعل، واخذ يعالج المرض في المارسان الذي انشأه نور الدين زنكي، وله مصنفات كثيرة منها (كتاب المسائل لحنين) و (كتاب مقالة في الاستسقاء) وتوفي عام (٦١٢هـ / ١٢١٥م) في دمشق. للمزيد ينظر: البغدادي، هديه العارفين، ج ٢، ص ٤٦٣؛ الزركلي، الاعلام، ج ٧، ص ٢٥٦-٢٥٧؛ بوستينة، المنجى، موسوعة اعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، جامعة الدول العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، تونس، ١٤٢٥هـ، ج ٧، ص ٢٦١.

(٢٤) ابن ابي الدم، المختصر، ص ٤٧٤.

(٢٥) ابن ابي الدم، المختصر، ص ٦٨. وكذلك جاءت في ص ٧٢، ص ١٩٤.

- (٢٦) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص١٢٧
- (٢٧) ابن ابي الدم، المختصر، ص٦٩
- (٢٨) ابن ابي الدم، المختصر، ص٧٦
- (٢٩) ينظر ابن أبي الدم، المختصر، ص١٢٨ .
- (٣٠) ابن أبي الدم، المختصر، ص٥٠
- (٣١) ينظر، ابن أبي الدم، المختصر، ص٦٣
- (٣٢) ابن أبي الدم، المختصر، ص٦٨
- (٣٣) ينظر، ابن أبي الدم، المختصر، ص١٢٠
- (٣٤) ينظر: ابن أبي الدم، المختصر، ص١٢٢
- (٣٥) ابن ابي الدم، المختصر، ص١٧.
- (٣٦) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص١٧.
- (٣٧) ابن ابي الدم، المختصر، ص٢٠.
- (٣٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص١٠٣؛ ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد(ت٥٨٠هـ/١١٨٤م)، الانباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢١هـ، ٤٤٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٢، ص٣٤٥.
- (٣٩) ابن ابي الدم، المختصر، ص٢٠.
- (٤٠) ابن ابي الدم، المختصر، ص٢١.
- (٤١) ابن ابي الدم، المختصر، ص٢٣؛ للمزيد عن حرب الفجار ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص١١٩؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٢٨٦.
- (٤٢) السيرة النبوية، ج١، ص٢٥٨.
- (٤٣) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص٢٣.
- (٤٤) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص٢٢.
- (٤٥) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص٣١-٣٣.
- (٤٦) ابن ابي الدم، المختصر، ص١٨.
- (٤٧) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص٤٤.
- (٤٨) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص٧٨.
- (٤٩) ابن ابي الدم، المختصر، ص٤٤.
- (٥٠) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص٧٩.
- (٥١) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص١٦٦.
- (٥٢) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص١١٩.
- (٥٣) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص١٢٤.
- (٥٤) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص٢١٥.
- (٥٥) ابن ابي الدم، المختصر، ص٢١٨.

- (^{٥٦}) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص ١٨١-١٨٢.
- (^{٥٧}) طرطوس: وهي مدينة أمر الخليفة الرشيد ببناؤها، وهي بدلة في بلاد الشام على بحر قرب المرقب وعكا. للمزيد ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٠؛ صفي الدين، مرصد الاطلاع، ج ٢، ص ٨٨٤.
- (^{٥٨}) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص ٢٠٦.
- (^{٥٩}) ابن ابي الدم، المختصر، ص ٥٥، ص ٥٩، ص ٦٢، ص ٦٣، ص ٧٠، ص ٧١.
- (^{٦٠}) ابن ابي الدم، المختصر، ص ٥٥. وللمزيد من التفاصيل عن توليه وعزل ولاية الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ينظر: ابن خياط، تاريخ خليفة، ص ١١٠-١١١؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج ٤، ص ١٧٣.
- (^{٦١}) ابن ابي الدم، المختصر، ص ٨٠، ٨١، ٨٧، ٨٩، ١٠٦، ١٠٩، ١١٢، ١١٩، ١٢٥، ١٤٥، ١٤٨، ١٥١.
- (^{٦٢}) الجنيد بن عبد الرحمن: وهو الجنيد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث المري، تولى ولاية خراسان من قبل اللخيفة هشام بن عبد الملك عام (١١١١هـ / ٧٢٩م) وأقام عليها الى ان توفى عام (١١١٥هـ / ٧٣٣م). للمزيد ينظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٢٢٠؛ الزركلي، الاعلام، ج ٢، ص ١٤٠.
- (^{٦٣}) ابن ابي الدم، المختصر، ص ٨٠.
- (^{٦٤}) سعيد بن عثمان بن عفان: هو سعيد بن عثمان بن عفان بن ابي العاص الاموي القرشي، ولاه معاوية على خراسان عام (٥٦هـ / ٦٧٥م) وفتح سمرقند وعزل بعد عام وتوفى عام (٦٢هـ / ٦٨١م). للمزيد ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١، ص ٢٢٠؛ الزركلي، الاعلام، ج ٣، ص ٩٨.
- (^{٦٥}) ابن ابي الدم، المختصر، ص ٨١.
- (^{٦٦}) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص ١٠٩.
- (^{٦٧}) ابن ابي الدم، المختصر، ص ١٧٧، ص ١٩٧، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١٣، ٢٤٢، ٢٥٥، ٢٩٣، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٥٠.
- (^{٦٨}) معن بن زائدة: وهو معن بن زائدة بن عبد الله بن مصر الشيباني، وهو أحد أشهر الشجعان والصفحاء، ادرك العصر الاموي والعباسي، قربه المنصور وجعله من خاصته وولاه اليمن ثم تولى سجستان، وقتل عام (١٥١هـ / ٧٦٨م) على يد العمال الذين كانوا يبنون داره. للمزيد ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٢٣٦؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٥، ص ٢٤٤؛ الزركلي، الاعلام، ج ٧، ص ٢٧٣.
- (^{٦٩}) العماد الدين زنكي: وهو عماد الدين بن آق سنقر بن عبد الله، فوض اليه الولاية السلطان محمود بن ملكشاه في عام (٥١١هـ / ١١١٧م) ثم حوله الى مدينة الموصل عام (٥٢٢هـ / ١١٢٨م) فجعلها اتابكاً لوالده، وتوفى عام (٥٥٤هـ / ١١٥٩م). للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٢٢، ص ٣٢٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٢٠، ص ١٨٩.
- (^{٧٠}) حميد بن قحطبة: وهو حميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد الطائي، وهو من القادة الشجعان، تولى عام (١٤٣هـ / ٧٦٠م) مصر والجزيرة، وغزا عام (١٤٨هـ / ٧٦٥م) ارمينية وغزا كابل عام (١٥٢هـ / ٧٦٩م) واصبح اميراً على خراسان الى ان توفى عام (١٥٩هـ / ٧٧٥م). للمزيد ينظر: الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي، ص ٨٣؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٥، ص ٢٨٩؛ الزركلي، الاعلام، ج ٢، ص ٢٨٣.
- (^{٧١}) عبد الملك بن يزيد: وهو عبد الملك بن يزيد ابو عون الازدي، وهو أحد قادة الدولة العباسية ومضى الى مصر في طلب مروان بن محمد، وتولى ولاية مصر في خلافة السفاح، وكذلك تولى خراسان عام (١٥٩هـ / ٧٧٥م). للمزيد ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٣٧، ص ١٨٠؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج ٥، ص ٢٧٨.
- (^{٧٢}) ابن ابي الدم، المختصر، ص ١٩٧.

- (٧٣) ابن ابي الدم، المختصر، ص ١٨٦.
- (٧٤) ابن ابي الدم، المختصر، ص ١٧.
- (٧٥) ابن ابي الدم، المختصر، ص ١٧.
- (٧٦) ابن ابي الدم، المختصر، ص ١٩٩، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٩، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٩، ٣٤٣، ٣٨٢، ٤١١، ٤١٣، ٤١٤، ٤٢٥، ٤٣٦، ٤٣٧.
- (٧٧) يعقوب بن داود: وهو يعقوب بن داود بن عمر بن طهمان السلمي بالولاء، وهو من كبار الوزراء وكتابهم قرينه الخليفة المهدي واستوزره عام (١٦٣هـ/ ٧٧٩م) وعزل عام (١٦٧هـ/ ٧٨٣م) وامر بحسبه وخرج عام (١٧٥هـ/ ٧٩١م) في خلافة الرشيد وتوفى عام (١٨٧هـ/ ٨٠٢م). للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٧، ص ١٩؛ الذهبي، سير اعلام ج ٨، ص ٣٤٦؛ الزركلي، الاعلام ج ٨، ص ١٩٧.
- (٧٨) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص ١٩٩-٢٠٠.
- (٧٩) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص ٢١٥.
- (٨٠) ابن الزيات: وهو محمد بن عبد الملك بن ابان بن حمزة تولى الوزارة للخليفة المعتصم وللخليفة الواثق، ولم ينجح في ولايته مع الخليفة المتوكل فنكبه وعُذب الى ان مات في بغداد، تولى عام (١٧٣هـ/ ٧٨٩م). للمزيد ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٣، ص ١٤٤؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٥، ص ٩٤؛ الزركلي، الاعلام، ج ٦، ص ٢٤٨.
- (٨١) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص ٢٧٨-٢٧٩.
- (٨٢) ابن ابي الدم، المختصر، ص ٥٩، ١١٢، ١٥٨، ٢١١، ٢٢١، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣١٠، ٣١٤، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٧٠، ٣٧٥، ٣٨٠، ٣٨٦، ٣٩٨، ٥٠٥، ٤٣٤، ٤٤٣، ٤٤٧، ٤٦٢، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧٣.
- (٨٣) السائب بن زيد: وهو السائب بن زيد بن سعيد بن ثمامة، حج مع الرسول (ﷺ) وهو ابن سبع سنوات، تولى القضاء للخليفة ابو بكر الصديق وكذلك للخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). للمزيد ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢٠، ص ١٠٦.
- (٨٤) سليمان بن ربيعة: جاء اسمه في كتب التراجم سلمان بن ربيعة: وهو سليمان بن ربيعة بن يزيد بن عمرو بن سهم، وهو صحابي وقاضي شهد فتح الشام وسكن العراق، وتولى القضاء على الكوفة في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهو أول قاضي للخليفة عمر (رضي الله عنه) على العراق، واستشهد في خلافة عثمان (رضي الله عنه) عام (٣٠هـ/ ٦٥٠م). للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ١٨١؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢١، ص ٤٦٢؛ الزركلي، الاعلام، ج ٣، ص ١١١.
- (٨٥) بردة بن بلال: جاء اسمه في كتب التراجم بلال بن ابي بردة عامر بن ابي موسى الاشعري، وهو أمير البصرة وقاضيها، ولاء خالد القسري عام (١٠٩هـ/ ٧٢٧م) وعزل من القضاء عام (١٢٥هـ/ ٧٤٢م) وحسبه وتوفى في سجنه عام (١٢٦هـ/ ٧٤٣م). للمزيد ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٠، ص ٥٠٧؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٣، ص ٣٨٠؛ الزركلي، الاعلام، ج ٢، ص ٧٢.
- (٨٦) ابن ابي الدم، المختصر، ص ١١٢؛ وردت هذه الرواية عند: اطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، ص ٣٢٤؛ الأبي، منصور بن الحسين الأبي (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، نثر الدر في المحاضرات، تح: خالد عبد الغني محفوظ، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م، ج ٥، ص ٩٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٤٥٢.

(٨٧) اياس بن معاوية: وهو اياس بن معاوية بن قرّة، ابو وائلة المزي وهو احد اعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء وضرب به المثل بذكائه، تولى قضاء البصرة في خلافة عمر بن الخطاب، وتوفى عام (١٢٢هـ / ٧٣٩م). للمزيد ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٧٥؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٥، ص١٥٥؛ محمد علي حسين، سماهر محيي موسى، اياس بن معاوية المزي (دراسة في سيرته ودوره في الاسلام)، مجلة الفتح، ع٣٣، ٢٠٠٨، ص٣.

(٨٨) ابن أبي الدم، المختصر، ص١٥٨؛ للمزيد من التفاصيل عن تولي اياس بن معاوية ينظر: ابن خياط، تاريخ خليفة، ص٢٥٢؛ الدينوري، المعارف، ص٤٦٧؛ الحسن الاصفهاني، حمزة بن الحسن (ت: ٣٦٠هـ / ٩٧٠م)، سوائر الامثال على افضل، تح: فهمي سعد، ط١، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ص٤٠؛ ابي طالب المكي، محمد بن علي بن عطية (٣٨٦هـ / ٩٩٦م)، قوت القلوب في معادلة المحبوب ووصف طريق المريد الى مقام التوحيد، تح: باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢، ص٤٥٠.

(٨٩) ابو يوسف يعقوب: وهو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن سعد الانصاري، ولد عام (١١٣هـ / ٧٣١م) تولى منصب قاضي القضاة، وهو احد تلامذة الامام ابي حنيفة النعمان، تولى القضاء في خلافة الرشيد وتوفى عام (١٨٢هـ / ٧٩٨م). للمزيد ينظر: وكيع، اخبار القضاة، ج٣، ص٢٥٤؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٨، ص٥٣٥.

(٩٠) ابن ابي الدم، المختصر، ص٢١١.

(٩١) ابو علي بن ابي هريرة: وهو الحسن بن الحسين بن ابي هريرة الفقيه الشافعي انتهت اليه إمامة العراقيين، وتوفى عام (٣٤٥هـ / ٩٥٦م). للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٢، ص٧٥؛ الذهبي، يسر اعلام النبلاء، ج١٥، ص٤٣٠.

(٩٢) ابن ابي الدم، المختصر، ص٣٢٨.

(٩٣) ابن ابي الدم، المختصر، ص٨.

(٩٤) ابن ابي الدم، المختصر، ص٧٠.

(٩٥) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص٣١-٣٤.

(٩٦) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص٤٦-٥٤.

(٩٧) ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص٣٥٥-٣٧١.

(٩٨) ابن ابي الدم، المختصر، ص٤٥١.

(٩٩) ابن ابي الدم، المختصر، ص٢١.

(١٠٠) ابن ابي الدم، المختصر، ص٣٠.

(١٠١) ابن ابي الدم، المختصر، ص٦٠.

(١٠٢) ابن ابي الدم، المختصر، ص٧١.

(١٠٣) ابن ابي الدم، المختصر، ص٣٥.

(١٠٤) ابن ابي الدم، المختصر، ص٤٧.

(١٠٥) ابن ابي الدم، المختصر، ص١٦٢.

(١٠٦) ابن ابي الدم، المختصر، ص٧٩.

(١٠٧) ابن ابي الدم، المختصر، ص٨٥.

(١٠٨) ابن ابي الدم، المختصر، ص١٧٠.

- (١٠٩) ابن ابي الدم، المختصر، ص ٢٨.
- (١١٠) ابن ابي الدم، المختصر، ص ٥٥.
- (١١١) ابن ابي الدم، المختصر، ص ٥٨.
- (١١٢) أشعب الطامع: وهو شعيب بن جبير وقيل غير ذلك، فولى عثمان بن عفان وقيل غير ذلك، ولد عام (٦٣٠هـ/٦٣٠ م) وله نوادر وطرائف كثيرة وتوفى عام (١٥٤هـ/ ٧٧٠م). للمزيد ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٧، ص ٤١؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٢، ص ٤٧٣.
- (١١٣) ابن ابي الدم، المختصر، ص ١٩٢.
- (١١٤) ابن ابي الدم، المختصر، ص ٢٤٧.
- (١١٥) يحيى، الغرب الاسلامي عند ابن ابي الدم الحموي في كتابه التاريخ المظفري، ص ١٣٣.
- (١١٦) ابن ابي الدم، المختصر، ص ١٩.
- (١١٧) ابن ابي الدم، المختصر، ص ٢٤.
- (١١٨) ابن ابي الدم، المختصر، ص ١٢٧.
- (١١٩) ابن ابي الدم، المختصر، ص ٢٧٦.
- (١٢٠) ابن ابي الدم، المختصر، ص ٥٣.
- (١٢١) ابن ابي الدم، المختصر، ص ٦٩.
- (١٢٢) ابن ابي الدم، المختصر، ص ٦٨.
- (١٢٣) ابن ابي الدم، المختصر، ص ١٩.
- (١٢٤) للمزيد من التفاصيل ينظر عن هذين القولين. الطبري، تاريخ الرسل، ج ٢، ص ٢٥١-٢٥٢.
- (١٢٥) للمزيد من التفاصيل ينظر عن هذا القول. ابن سيده، المحكم والمحيط الاعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ، ج ٤، ص ١٩٤.
- (١٢٦) الهروي، أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي(ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م)، غريب الحديث، تح: محمد عبد المعيد خان، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٨٤هـ، ج ١، ص ٢٩٠؛ الأزهرى، ابو منصور محمد بن احمد (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م)، تهذيب اللغة، ط ١، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ، ج ٦، ص ٩٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٣، ص ٥٩.
- (١٢٧) ابن ابي الدم، المختصر، ص ٤٨٠.
- (١٢٨) ابن ابي الدم، المختصر، ص ١١٨.
- (١٢٩) مروج الذهب، ج ٣، ص ١٦٥-١٦٦.
- (١٣٠) ج ١٧، ص ٧.
- (١٣١) ابن ابي الدم، المختصر، ص ٤٤٣.
- (١٣٢) الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٤٩٧.
- (١٣٣) البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٣٨٤.
- (١٣٤) ابن ابي الدم، المختصر، ص ١٨.
- (١٣٥) للمزيد من التفاصيل عن بقية أشعار المدح ينظر: ابن ابي الدم، المختصر، ص ٥١٤-٥١٧.

- (^{١٣٦}) الطبري، تاريخ الرسل، ج٦، ص٣٢٥؛ الازدي، يزيد بن محمد الازدي (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م)، تاريخ الموصل، تح:احمد عبد الله محمود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ، ج١، ص١٤٣؛ الأزرقى، اخبار مكة، ج٢، ص١٦٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٥٣.
- (^{١٣٧}) عام الجحاف: وهو العام الذي جاء فيه السيل الذي ضرب مكة وجحف الحجاج وذهب بالإبل وما عليها من أحمال، وذلك في خلافة عبد الملك بن مروان. للمزيد ينظر: الأزرقى، محمد بن عبد الله الأزرقى (ت: نحو ٢٥٠هـ/٨٦٤م) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تح: رشدي الصالح ملحم، ط١، انتشارات الشريف الرضي، قم، ايران، ١٤١١هـ، ج٢، ص١٦٨؛ الطبري، المنتخب من ذيل المذيل، ص٣٠؛ المامقاني، عبد الله محمد حسن، تنقيح المقال في علم الرجال، تح:محمد رضا مامقاني، ط١، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، ايران، ١٤٣١هـ، ج٢، ق٤، ص١٧٤.
- (^{١٣٨}) ابن ابي الدم، المختصر، ص١١٣.
- (^{١٣٩}) ابن ابي الدم، المختصر، ص٢١٠.
- (^{١٤٠}) الطبري، تاريخ الرسل، ج٨، ص٢٦٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٤٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٥٢.
- (^{١٤١}) ابن ابي الدم، المختصر، ص٤١٠.
- (^{١٤٢}) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١١، ص٧١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٦٧؛ ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج٣، ص١٥.
- (^{١٤٣}) جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله، كتاب التاريخ الصالحى (سيرة النبي وانباء الخلفاء والملوك وغيرهم)، تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م، ج٢، ص٢١١.
- (^{١٤٤}) ابن ابي الدم، المختصر، ص٤٢٨.
- (^{١٤٥}) ابن ابي الدم، المختصر، ص٥٦؛ ووردت هذه الرواية عند: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٥٠؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص٩٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص٢٥٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٥٥.
- (^{١٤٦}) ابن ابي الدم، المختصر، ص٣٢٦.
- (^{١٤٧}) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٩٦؛ الدينوري، عيون الاخبار، ط٣، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ، ج١، ص٤٦٣؛ الازدي، تاريخ الموصل، ج١، ص٥٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٥٨.
- (^{١٤٨}) ابن ابي الدم، المختصر، ص٥٥.
- (^{١٤٩}) الرعاف: وهو مرض يصيب الانسان وهو خروج الم من الانف، وهو انتفاخ عرق (وريد) وانشاقه او ضعف القوة الحابسة عن حبس الدم. للمزيد ينظر: ابن سهل الطبري، علي بن سهل (٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)، فردوس الحكمة في الطب، تح: محمد زبير الصديفي، مطبعة افتاب، برلين، ١٩٢٨م، ص١٨٣؛ حنين بن اسحاق، ابو زيد بن اسحاق العبادي (نحو ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)، ط١، دار الجامعات المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٧٨م، ص٤٦٢؛ الرازي، الطب الملوكي، تح: محمد ياسر زكور، ط١، دار المنها، بيروت، لبنان، ١٤٣٠هـ، ص١٥٤.
- (^{١٥٠}) ابن ابي الدم، المختصر، ص٦٢.

(^{١٥١}) الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص٢٤٢؛ الازدي، تاريخ الموصل، ج١، ص٥٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٧٩.

(^{١٥٢}) طاعون الجارف: وهو الطاعون الذي ضرب البصرة راح ضحيته الكثير من اهالي البصرة، وعجزوا عن دفن موتاهم وكان يموت في اليوم سبعون ألف. للمزيد ينظر: ابن ابي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان (ت٢٨١هـ/٨٩٤م)، الاعتبار، تح: نجم عبد الرحمن خلف، ط١، دار البشير، عمان، الاردن، ١٤١٣هـ، ص٥٨؛ ابن عدي البر، التمهيد، ج٦، ص١٥؛ وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا، ص٢٨٧.

(^{١٥٣}) الطبري، تاريخ الرسل، ج٥، ص٦١٢؛ ابن الجوزي، شذور العقود، ص١١٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص٢٨٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص١٦٨.

(^{١٥٤}) ابن خياط، تاريخ خليفة، ص٢٠٤؛ الدينوري، المعارف، ص٦٠١؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج٥، ص٤٦٥.

(^{١٥٥}) ابن ابي الدم، المختصر، ص١٠٧.

**تقدیس الکلب فی معتقدات الشرق الادنی
القديم (بلاد الرافدين و وادي النيل أنموذجا)**

أ.م.د حسين عليوي عبد الحسين السعدي

كلية الآثار / جامعة الكوفة

Husseina.alsaadi@uokufa.idu.iq

تقدیس الكلب فی معتقدات الشرق الأدنى القديم (بلاد الرافدين و وادي النيل أنموذجاً)

أ.م.د حسین علیوی عبد الحسین السعدي

الملخص

تتمتع الكلاب في حضارتي بلاد الرافدين و وادي النيل بنوع من التقديس وصل حد التأليه نتيجة لأهمية هذا الحيوان في حياة الناس خاصة في عمليات الصيد والرعي التي كان دور الكلب فيها محوريا اذ شكل وجوده مع بني البشر منذ العصور المبكرة عاملا مساعدا في تلك العمليات لغرض الحصول على الطعام، ثم تطورت أهمية الكلب في كلا الحضارتين و ظهر له نشاط ومهام أخرى في ساحة الفكر الاعتقادي أذ أدخل في الممارسات السحرية ذات الطابع الديني للتطبيب و الشفاء من الامراض النفسية التي تسببها بعض الشياطين، رغم تشبيه بعض الشياطين التي تسبب الشر للانسان بهذا الحيوان، كما كان له دور في ارشاد الموتى الى العالم الاسفل، و حماية أجسادهم بتدخله بعمليات التحنيط عند المصريين أذ عد لها للحنيط و الها حاميا للمقابر.

The sanctification

of the Dog in the beliefs of the ancient Near East(Mesopotamia and the Nile Valley as a model)

Asst.Prof. Hussein A.Al-saadi

Faculty of Archeology – University of Kufa Husseina.alsaadi@uokufa.idu.iq

Research Summary

Dogs in the two civilizations of Mesopotamia and the Nile Valley enjoy a kind of sanctification that reached the point of cultism as a result of the importance of this animal in people's lives, especially in hunting and grazing operations in which the role of the dog was pivotal, as its presence with human beings since early times constituted a factor that helped in those operations for the purpose of obtaining the food. Then the importance of the dog developed in both civilizations, and other activities and tasks appeared in the arena of belief, as it was entered into magical practices of a religious nature to treat and heal people

from psychological diseases caused by some demons and physical ones that are treated from dog remains such as droppings. Although some demons that cause evil to humans are similar to this animal. He was also given the task of guiding Almuty to the underworld. And protecting their bodies by interfering with the embalming processes of the Egyptians, as it was considered a god of mummification and a protector of tombs in the civilization of the Nile Valley.

المقدمة

أن تطور الفكر البشري قد مر بمراحل وعصور عدة و قد أحاطت و رافقت هذا التطور عناصر كثيرة حيوانية كانت أم نباتية أم جمادا مما تضمه الارض التي تعيش عليها كل المخلوقات صغیرها وكبیرها، و كان فی مقدمة تلك المخلوقات بعض الحيوانات التي برزت مع ظهور أول ثقافة بشرية على وجه المعمورة، إذ كان لها دور مهم فی الحياة اليومية للناس، حتى أنهم أدخلوها فی صلب معتقداتهم الدينية لاهميتها فی مجالات العمل و تأمين المعيشة.

وقد بالغ الناس فی هذا خاصة فی مناطق الشرق الادنی القدیـم التي تعد من أوائل مناطق الاستيطان البشري إذ نجد فی حضارتي بلاد الرافدین و وادی النيل أمثلة عدة توضح تقربهم من بعض الحيوانات لدرجة تقدیسها و جعلها رمزا مميذا لبعض معبوداتهم، فأدخلوا تلك الحيوانات بشكل مباشر فی الطقوس و الممارسات و الشعائر الدينية، فصارت بعض الحيوانات تعبر عن فكرة الخصب و التوالد مرة أو عن حماية الانسان مرة أخرى بتعبيرها عن فكرة التطبيب والمعالجة فی بعض الاحیان مع معبودات أخرى، بل أن حضارة وادی النيل قد أدخلت أنواع من الحيوانات الى عالم الموتى ومنها الكلب الذي كان حاميا لهم فی العالم الآخر، فقد كانت فصيلة الكلاب التي تمثل فصيلة ابن آوہ بأنواعها المتنوعة وبنماذجها المتعددة من الكلاب قد دخلت فی الافكار الاعتقادية لأهم وأقدم حضارتین، وأن الذي عزز هذا الدخول فی الجانب الديني فی الشرق الادنی القدیـم بقوة هو أن بعض سكان هذه المناطق و منهم سكان بلاد وادی النيل قد جعلوا من فصيلة الكلبیات أحد أهم آلهة العبور الى العالم الاسفل بل جعلوا رمز الكلب لها مطلقا للمقابر و للعالم الآخر (عالم الاموات)، كما أن معظم النتاجات الفنية البدائية الاولى و ما بعدها فی العصور التاريخية فی الشرق الادنی القدیـم كانت ذات مدلول ديني بسيط أدخل فيه هذا

الحيوان بصورة مباشرة أو غير مباشرة ،وهذا التعامل يوضح بشكل جلي ماكان يجول في تلك المنطقة من أفكار و أعتقادات دينية خاصة في بلاد الرافدين وفي بلاد وادي النيل.

ويتضح هذا الوجود من الانماط و الافكار الاعتقادية البدائية التي تعامل بها الانسان في منطقة الشرق الادنى ومنها حضارتي وادي النيل و بلاد الرافدين الموعلة في القدم بسبب السبق الحضاري و التاريخي للحضارتين فقد كانتا أول من أشار الى الحيوانات بشكل عام ،لهذا فقد تم ألتخاذ تفديس الكلب موضوعا لبحثنا لتسليط الضوء على أقدم أنواع التفديس لآحد أنواع فصيلة الكلبيات الحيوانية المهمة، أذ كشفت التنقيبات الأثرية عن البقايا التي تعود الى تلك الفصيلة والتي يرجع تاريخها الى الألف الحادي عشر قبل الميلاد و المتمثل بأثار قرية نمريك في شمال بلاد الرافدين مرورا بمواقع زاوي جمي و كهف شانيدار و جتل هيوك، حتى أن رموز الكتابة الصورية الأولى قد ورد فيها صور للحيوانات المراد التعبير عنها عن طريق رسم صورتها وكانت قد صورت فصيلة أبن آوه (فصيلة الكلبيات) هذه بشكل واضح .

الكلمات المفتاحية: بلاد الرافدين، بلاد وادي النيل، التفديس

أولا: نبذة عن الكلاب في بعض مناطق الشرق الادنى القديم

تعد فصيلة الكلبيات من اولى الفصائل الحيوانية التي دجنها الانسان في الشرق الادنى القديم،وهذا يدل على وجود عمق صلات قديمة بين الانسان و فصيلة الكلبيات و ظهرت أنواع هذه الفصيلة في بلاد الرافدين منذ العصر الحجري القديم وأنقرض الكثير منها و بقي صنف الكلب البري الذي شاع ذكره في حضارتي بلاد الرافدين وبلاد وادي النيل (Daniel, 2009, P.60) و يحلول العصر الحجري الوسيط بدأت مرحلة أستئناس الكلب تمهيدا لتدجينه بشكل كامل في العصر الحجري الحديث، في بلاد الرافدين،أذ كانت لحوم الكلاب مصدرا للغذاء و أيضا أستخدم الكلب في الصيد و ربما لحماية المخيمات من هجوم الحيوانات و التجمعات السكانية الأخرى (Brock, 1980,p.37 ; Hayes, 1978,p.31) فقد أنتشرت الحيوانات الأليفة والمتوحشة و منها الكلاب في مناطق الشرق الادنى القديم وخاصة في بلاد الرافدين وبلاد وادي النيل بسبب توفر المراعي المناسبة و وجود المياه من نهري دجلة والفرات و النيل،لهذا كان نصيب التدجين للحيوانات الأليفة مبكرا في تلك الحضارتين ، لتوفر أسبابها و لقرب الحيوانات من الانسان بسبب وجودهما الحر في الطبيعة بدون أي حواجز، فأخذ الانسان القديم يفرد لها جانبا مهما من تفكيره فهي مصدر رعب و خوف كما انها مصدر مهم من مصادر غذاءه، و لتعدد حاجات الانسان

المعيشية، فقد كشفت التنقيبات الاثرية أن الانسان في منطقة الشرق الادنى القديم كان لديه اتصال بالحيوانات وظهر هذا في قرية أريحا بفلسطين التي تعود بتاريخها الى الالف العاشر قبل الميلاد، و ايضا ظهرت في مناطق الهضبة الايرانية منذ العصور الحجرية المبكرة، إذ اهتم سكان الشرق الادنى القديم بالكلاب لاهميتها الاقتصادية، وقد تعاضم دورها في العصور اللاحقة و بدا هذا واضحا منذ الالف العاشر ق.م في موقع (كول تبه) في اعالي دجله (Michelle, 2004, P.31, 228) علما أن أقدم تواجد للكلاب في الشرق الأدنى القديم يعود الى حوالي ١٢٠٠٠ قبل الميلاد و تتميز عائلة الكلبيات هذه بهيكل عظمي يحدد حجم و شكل الحيوان وتختلف هيئات الاناث في هذه الفصيلة عن الذكور كون كل منها يتميز بميزات حيوانية مثل زيادة عدد العظام عند الذكور بسبب وجود بعضها في القضيب (النجم، ٢٠٠٦، ص٤٦) و أهم عظام جسم الفصيلة المذكور هي الاسنان التي تكون حادة و طويلة الانياب (Brock, 1980, p.39)، وهذه الهيئة جعلت الكلب خير رفيق للانسان للقيام بالمساعدة في أعمال كثيرة و أهمها عمليات الصيد، إضافة الى حاجة الانسان القديم للكلب في الرعي بمختلف العصور (دانيال، ١٩٩٠، ص٥٨٧ - ٥٨٨) وتظهر البقايا العظمية لبعض الحيوانات في مناطق الشرق الادنى القديم خاصة في بلاد الرافدين و بلاد وادي النيل في وقت مبكر اذ ان السكان في تلك المناطق قد تعاملوا مع بقايا بعض الحيوانات تعاملًا طقوسيا كون تلك البقايا كانت قد دفنت بشكل منظم بعيدا عن مواقع السكن، و برغم أن كثرة البقايا العظمية ربما يرجح الى أنها كانت مصدرا للغذاء بالدرجة الاولى الا أن مستوى التطور الذي برز لاحقا يظهر أن مفاهيم بدائية كانت قد أنبتت خلال المرحلة المبكرة و أنها تطورت بعد ذلك لتصبح نواة لافكار اعتقادية ثابتة (Cibert, , 2000, P. 170) ويشير أحد الباحثين الى أن كما هائلا من الحيوانات كان لها دورا دينيا مقدسا بشكل او بآخر في تلك المرحلة ، و حتى التي لم يكن لها نمط ديني مثل الخيول في مصر حتى عصر الهكسوس وهي لم تمثل رمزا لاي معبود في تلك الحقبة لكن رغم ذلك تم ادخالها في الصور الدينية مع المعبودات من الاناث المحاربات مثل الالهة (عشتار Ištar) التي وصلت عبادتها الى مصر ، كما ظهرت صور الاله (حورس Horus) فوق الجواد في العصور المتأخرة، وظهر الكلب على الساحة الاعتقادية في حضارة وادي النيل بكونه اله المقابر الذي يقود الموتى و يأخذهم بيده الى محكمة القرار (محكمة العالم الاسفل) أي عالم الموتى، أما في بلاد الرافدين فقد ظهرت المشاهد التي تحكي قصة البدايات الأولية لعلاقة فصيلة (ابن آوه) المتمثلة بنوع من أنواع الكلاب مع السكان الاوائل لبلاد الرافدين في عصر الوركاء فقد أشارت المكتشفات الى أن تلك

المشاهد كانت تمثل مناظر الرعي و تنظيم الحياة الاقتصادية لسكان المستوطنات التي تعود بتاريخها الى الطبقتين الرابعة والثالثة أي بحدود ٣٥٠٠ - ٢٩٠٠ ق.م، وتعود السلالة الكلبية في أصلها الحيواني الى عائلة الذئب و الثعالب المتوحشة بأنواعها و أشكالها المختلفة و تعد من آكلات اللحوم ورغم تدجين الكلاب من قبل الانسان فالكلب هو الحيوان الاليف الوحيد الذي يأكل اللحم (Arlene, 2002, P. IX) و ربما لهذا أرتبط بالافكار الاعتقادية المبكرة في آسيا الصغرى أذ توصف الهة التنبؤات (هيكات Hekate) في تلك المنطقة من الشرق الأدنى بكونها الهة الكلاب التي تمتلك مجموعة من الكلاب المتوحشة، كما ظهر الكلب في عدة ممالك في مناطق شبه الجزيرة العربية نتيجة لأهميته أذ جسد في مملكة حمير بنسبة واحد بالمئة و في ملكة قتيان بنفس النسبة و في حضرموت بنسبة أثنان في المئة و عند المعينيين بنسبة خمسا في المئة، أما عند السبئيين فكان نسبة تجسيده قد وصلت الى سبعا في المئة، أذ أهتمت تلك المناطق بتربية الكلب بسبب أستعماله الشائع في الصيد و هذا ما خلده لنا الرسومات الحجرية في المناطق المذكورة (العميسي، ٢٠١٣، ص ١٣٨-١٣٩)

ثانياً / تقدّيس الكلب في بلاد الرافدين

تعاظمت أهمية هذا الحيوان و خاصة مع فجر التاريخ أذ ذكر أسمه بشكل واضح من قبل السكان من السومريين الذين كتبوه في اللغة السومرية بالمقطع (UR) و لم يغفل الاكديون أهمية الكلب بل أدرجوا أسمه تحت مصطلح (kalbu) ، وقد ظهر الكلب في بلاد الرافدين بزمان مبكر من عصر الوركاء كما ذكرنا آنفا و برز على الساحة الاعتقادية بعد هذا التاريخ بشكل يلفت الانظار (Albert, 2000,p.4) و تعود أقدم البقايا العظمية الواضحة للكلاب الى قرية جرمو من العصر الحجري الحديث وربما كان بسبب الأهتمام بتدجين الكلاب يتمحور حول ولادة أفكار أعتقادية بدائية ضمنية في هذه القرية تتعلق بتقدّيس هذا الحيوان ومما يؤكد على أمكانية حصول هذا التقديس هو العثور على بعض الدمى الطينية و التي شخصها المنقبون على أنها تعود لمجموعات من الكلاب يرجح أنها لذكور الكلاب والتي كانت لها أهمية في هذا الموقع (Wiggermann, 2017,p.166) و قد أستمرت و تطورت أهمية الكلاب في الممارسات الدينية نتيجة دخول الكلاب في الوصفات والعلاجات الطبية و خاصة الروحانية أذ كان هناك أفكار أعتقادية تتعلق بأكتشاف وصفات سحرية مرتبطة بكون الكلب بجنسه الذكر طارد للشياطين رغم أن نفس الافكار تجعل من الشيطان كلب شرير متوحش يؤذي بني البشر و يسبب لهم الامراض خاصة الكلب

ذي اللون الاسود الذي غالبا ما كان يسكن في الصحارى و المقابر و المناطق الموحشة و عند الجيف و القاذورات، و هنا يجب الاشارة الى أن هذا الوصف قد أنطبق على الكلب في وادي النيل أيضا إذ كان الكلب في فكرهم الاعتقادي قد أرتبط بالمقابر ولكن أعتبره السكان حاميا لارواح الموتى التي ترقد في تلك المقابر، و كان الكلب ذي اللون الاسود قد برز في الافكار الاعتقادية الخاصة بتفديس الحيوانات اللبونة ذات الاهمية في حياة الناس منذ فجر التاريخ في عصر السلالات بحدود (٢٦٠٠ ق م) في بلاد الرافدين كما ظهر هذا النوع من الكلاب في النصوص التعزيمية في مواقع (فارة) و (أبو الصلابيخ) و نصوص أخرى من موقع (أبيلا Ebla) و ان تلك النصوص تميزت بصعوبة الفهم و الترجمة لما يتخللها من تعقيدات تتعلق بمفهوم تفديس هذا الحيوان، إذ تشير تلك النصوص المذكورة أن الكلاب قد أرتبطت بمكان يدعى بحانة الموتى، فيرد في بعض نصوص التعزيم أن الكلب الشيطاني يضطجع في حانة يجتمع فيها الموتى المغادرون الى العالم الاسفل، و أن تلك الحانة واقعة على حدود ذلك العالم الذي هو بحسب راي علماء الآثار (Wiggermann, 2010,p.407 ; Wiggermann, 2017,p.166) المكان الذي يتوقف فيه الموتى في طريقهم الى (أرض اللاعودة) الذي ورد ذكرها في ملحمة كلكامش، كما يرد ذكر لنوع الكلاب السوداء في نصوص التعازيم الاشورية من مرحلة العصر الاشوري القديم، إذ نقرأ مانصه ((كلب مترصد)) و أيضا يرد ((كلب يهجم)) و كذلك يرد ذكر لنوع من الكلاب وهي تقوم بدورية في الطرق من العصر البابلي القديم، و أيضا يرد ذكرها في نصوص التعزيم البابلي رغم عدم ذكر الوانها بشكل محدد، كما عد الكلب ذي اللون الاسود مفتاحا لفك السحر الاسود عن الشخص المسحور في بلاد الرافدين، إذ يدخل الكلب ذي اللون الاسود في تعازيم طرد الشيطانة القائلة للاطفال الرضع المدعوة بـ(لماشتو Lamaštu) و كانت سلسلة التعزيم هذه تدعى بـ (a gallū-demon) ، و التي تعود للكلب الاسود الذي اخذ معنى و وصف الشيطان الذي يجلب الموت، و كما ذكرنا سابقا فأن ازدواجية الأذية و الحماية كانت تتمثل في الكلاب فمرة يستخدمون للحماية بشتى أشكالها و مرة يكون الكلب مصدرا للشور و للأذية، و لهذا يرد في بعض النصوص الطبية السحرية أن غائط و دم و لحم و شعر الكلب يستخدم في الوصفات العلاجية التي غالبا ما تعالج الامراض التي تسببها الشيطانة (لماشتو) بوصف الكلب خصما قويا و عنيدا ضد تلك الشيطانة (Wiggermann,2017, p.167) ; Wiggermann,2010,p.407,414)ومما يعزز سمة القدسية للكلاب وجود بعض الممارسات ومنها دفن عدد من الكلاب على أختلاف الوانها في مداخل الابنية لتمنع دخول الشر بشكل عام و تمنع

الشيطنانة (لماشتو) بشكل خاص من الدخول الى غرف النوم في البيت و تطردها للخارج و تتعاضم سمة التفديس التي وصلت الى حد مقاومة الكلب لشيطنانة ذات قوة و منزلة كبيرة كونها تعد ابنة اله السماء (آن/AN/آنو/anu) كبير آلهة بلاد الرافدين و أب كل الآلهة، أذ كانت من وظائف الكلب هي السهر طوال الليل لصد هجوم تلك الشيطنانة و طردها و منعها من العبث بأفراد البيت ولهذا أستعمل الاشوريين الكثير من تماثيل الكلاب في طقوس التعزيم في العصر الاشوري الحديث، و يذكر أحد النصوص الاشورية من هذه الحقبة ان طقسا دينيا معيناً كان يستلزم جلب خمسة ازواج من الكلاب والمرجح أنها كانت مذكرة الجنس كل زوج منها يتميز بمميزات جسمانية معينة على ان تكون الوانها مختلفة أختلافا تدريجيا و قد دفنت مثل هذه النماذج من الكلاب في المدخل الشمالي لقصر في نينوى وفي مداخل القصور في مدن أور و كيش (Wiggermann, 2017, p.167-168,170)، ونستشف من عبارتين مكتوبة على أحد تماثيل الكلاب تذكر أن ((الكلب الاسود لا يهدد البشر لكن يحميهم في أماكنهم الامنة)) و ((مجموعات الكلاب الحارسة هم كلاب الالهة كولا Gula عشيقة كل الكلاب و الهة الشفاء)) تأكيدا على الارتباط الوثيق بين الكلاب و الالهة خاصة بجنسها المذكر فقد ذكرت بعض نصوص سلسلة تعازيم (Udug ? ul) في أشارات عدة على علاقة العشق و ربما الزواج بين الكلاب و ربات الشفاء غير الالهة (كولا) مثل الالهة (نينكورا Ninkurra) و الالهة (نينسينا Ninisina) و هذا الارتباط قد أشرك الكلب ضمنا في عمليات الشفاء المقدس التي يتم فيها معالجة روح المريض بطرد الارواح الشريرة عنه و أيضا تدخل الكلب بشكل مباشر في عمليات تطيب جسد المريض من الجروح و بعض الامراض الاخرى و بشكل أوسع كانت الكلاب مرتبطة بشكل أو بآخر بالموت و الشفاء و المساعدة في طرد الشر و حماية بني البشر، و بذلك فقد أحتلت مكانة مقدسة في الساحة الاعتقادية في ديانة بلاد الرافدين لقيامها بتلك الاعمال التي كانت من أختصاص الالهة حصرا، لهذا فأن الكلب في الفكر الاعتقادي عند السومريين والاكديين يمكن أن يكون مصدرا للخير أو مصدرا للشر فهو أحيانا صديق للانسان و أحيان أخرى عدو و هذه الازدواجية هي صفة أغلب الالهة و منهم الالهة الكبار في مجمع آلهة بلاد الرافدين في العالمين الارضي و السفلي (العالم الاسفل)، و ربما لتمتع الكلاب بنوع من القدسية فقد أتسعت وظائفها لتشمل التدخل في معرفة الطالع في نصوص التنجيم من العصر البابلي القديم في بلاد الرافدين أذ نقرأ ((عندما تظهر كلاب سوداء مع كلاب ملونة تكون قوتهم كافية لدفع الشر)) أذ كان نوع الكلب هو ما يحدد نوع الطالع سواء أكان خيرا او شرا، ويستنرد الفكر الاعتقادي

برفع مستوى الكلاب ليجعلها وثيقة الشبه بالالهة التي تأخذ بأيدي الموتى لتقودهم من عالم الاحياء الى عالم الاموات و بهذا يكون عملها مشتركا بين عالم المعيشة و عالم الموتى(العالم الاسفل) وهم بهذا يشتركون مع الشياطين التي لها القدرة على الدخول و الخروج من عالم اللارجعة (عالم الاموات) الذي تحكمه ضوابط وحدود صارمة لا يستطيع الدخول اليها و الخروج منها حتى الالهة الكبار بدون سبب و بدون موافقة مجلس الالهة، و ربما كان هذا الامتياز الذي حصلت عليه الكلاب هو بسبب وجود مشتركات بينها وبين الشياطين فهم يسكنون نفس المناطق المعزولة أذ ساد اعتقاد في بلاد الرافدين ان الحيوانات البرية و خاصة المتوحشة و آكلة اللحوم كانت تقطن في مكان واحد في تلك الايام الموعلة في القدم، فتسبب الرعب و الخوف للرعاة و مربي الماشية و للبدو الرحل و أصحاب القوافل التجارية من التجار أثناء مرورهم عبر تلك المناطق الموحشة، لهذا نجد أن عمل الكلاب هو تقريبا نفس عمل شياطين ال(كالا galla) وهم يمثلون شرطة العالم الاسفل الذين تعاملوا مع الالهة (أينانا INANAA / عشتار) أثناء دخولها و خروجها من العالم الاسفل و الذين أحتجزوا الاله (دموزي Dumuzi / تموز Tummuz) و أخته الهة الحضائر الالهة (كشتن - أنا Geštin-anna) ليقضي كل منهم نصف العام مسجوناً في عالم الموتى ، وان أنتقال الكلاب من مجال الى آخر و تمتعها بصفات الالهة و الشياطين يؤكد و بدون اي شك أن للكلاب منزلة مقدسة ومهمة في ساحة الفكر الاعتقادي في ديانة بلاد الرافدين (Wiggermann,2010,p.407,414 ; Wiggermann,2017, p.167) وبهذا يكون الكلب قد تجاوز مرحلة التقديس و وصل الى مرحلة التأليه بحصوله على صفة حامي البشر و عشيق لربات الشفاء لذا يمكننا ان نستنتج ان الكلب قد أخذ مكانه في مجمع آلهة بلاد الرافدين بكونه اله و ان لم تصرح ديانة بلاد الرافدين بهذا بشكل علني و واضح ربما لعدة أسباب منها على سبيل المثال هو عدم رغبة الكهنة في حيونة الالهة و جعلها آلهة كاملة بل أخذوا منها سمة الرمزية فقط او ربما من الاسباب الاخرى في عدم تألية الكلب رغم تمتعه بكل هذا يعود كونه يتغذى على الجثث و القاذورات و القيء و النفايات التي يأكلها لتمنحه القوة و تجعله أقوى من البشر أو ربما أن التنقيبات الاثرية لحد الان لم تكشف لنا بعد المعلومات الكافية في هذا الموضوع نتيجة لكثرة المواقع الغير منقبة في بلاد الرافدين او لوجود أسباب أخرى تتعلق بالفكر الاعتقادي في بلاد الرافدين والذي سوف تكشفه معاول المنقبين مستقبلا.

ثالثاً / تقدّيس الاله الكلب في وادي النيل

لقد تأثرت حياة المصريين في وادي النيل بالحيوانات الى درجة لم يسبق لها مثيل في تاريخ العالم القديم فقد أوجد المصري القديم روابط و علاقات عميقة و أساسية بينه و بين تلك الحيوانات منذ عصر التدجين، و في مقدمة تلك الحيوانات كانت الخراف و الخنازير و الدواجن والكلاب، التي تم أستغلالها في توفير الطعام، ثم ظهرت أفكار أعتقادية تتعلق بالاهتمام بالمبالغ بتلك الحيوانات وربط هذا الاعتراف بتسمية الاقتصاد الزراعي على نطاق واسع تمهيدا لدخول مراحل الانتاج المعتمد على تنمية الثروة الحيوانية وفق منظور ديني ظهر واضحا في المراحل التاريخية اللاحقة ، وقد صنفت الحيوانات دينيا بحسب أهميتها فالمهمة منها كانت توضع تماثيلها في المعابد و الاقل منها كانت تدفن بشكل طقوسي مثل التماسيح (Taylor, 2001,p.244,246) لهذا شاع تفديس الحيوانات بشكل واضح وكبير منذ عصر الاهرام في الدولة المصرية القديمة رغم أن فكرة التفديس قد شملت الكثير من الاشياء و الكائنات لكن كانت حصة البشر و الحيوانات كبيرة فالموتى مقدسون و الحيوانات مقدسة في حياتها و بعد موتها، و وفق هذا المنظور كانت فكرة أستمرار الحياة بعد الموت قد هيمنت على المعتقدات الدينية في مصر منذ عصور قبل التاريخ، ففي البدايات الاولى كانت جثث الموتى تترك في العراء على الرمال الصحراوية التي تتولى تحفيها مع المناخ الصحراوي، ثم فيما بعد أصبح هناك أهتمام بأجساد الموتى من عهد ثقافة (البداري) أذ صارت تلك الاجساد تلف أو توضع في داخل جلود الحيوانات التي كانت في الغالب قطع من بقايا ملابس الصيادين، و لحماية هذه الجثث من الحيوانات كانت توضع في توابيت من الخشب أو صناديق و بعد دفنها توضع فوقها حصران أو أواني ضخمة (تشرني، ١٩٩٦، ص٣ ؛ هورنونج، ١٩٩٥ ص١٠٠) أذ كان هم المصري القديم هو المحافظة على الجثة في مضجعها الأخير وذلك عن طريق تهيئة مايشبه المخدع الحقيقي لجسد المتوفي (أستندرف، ٢٠٠٠، ص٩١) ومن ضمن تلك الاجساد كان قسم منها لجثث الكلاب أذ حنط المصريون بعضها و اتبعوا في هذا نفس الطرق المتبعة في تحنيط البشر، فقد وجدت في مصر العليا مقابر للحيوانات ومنها الكلاب ، ولاهمية ما يتمتع به الكلب من مكانة عند المصريين فقد أوردوا له أسما أذ دعي الكلب في اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) بمصطلح (اوو) وهو نفس الصوت الذي يصدره الكلب عند النباح، وتعامل السكان في حضارة وادي النيل مع الكلاب كحيوانات أليفة تستخدم في الصيد منذ العصر النيوليتي ، أذ كان الكلب الحارس الامين والصيد المرافق للانسان في حياته اليومية حتى ان سكان وادي النيل قد منحوا للكلب مكانا معيناً ينام فيه قريب من اصحاب البيت او معهم في السرير، وقد رافق الكلب المصري القديم في حله وترحاله في مختلف

مجريات حياته اليومية مثل الصيد والرعي وحماية قطعان الماشية و حتى في الصراعات الحربية كان الكلب في مصر القديمة حاضراً في المعارك، إذ برزت سمة تقدّيس الكلب في وادي النيل منذ عصور مبكرة ، وأستمرت بسبب الاهتمام بأجساد الموتى من حقبة (البداري) خاصة دفن الحيوانات وفي مقدمة تلك الحيوانات كانت الكلاب كما ذكرنا آنفاً، إذ لفت أجساد الكلاب بعناية في حصر من الكتان حالها حال أجساد الموتى من البشر و استمر هذا الاهتمام حتى نهايات العصور التاريخية و بداية عصر الاسرات الذي ظهرت فيه رموز الكلاب في رسومات اللوحات الاحتفالية بصفته مشاركاً في الاعمال السحرية، و له حضور مميز و واضح في فكرة وجود الكون إذ يرد ان الكلب في وادي النيل كان من أوائل الالهة التي أوجدت الوجود إذ نقرأ على لسان الكلب من أحد النصوص مانصه ((أنا الاله الذي جاء الى الوجود على شكل كلب، و أنا الخالق الذي جاء الى الوجود، و أنا خالق كل شيء جاء، أنا كونت لنفسي العديد من الاسماء))، وبهذا فان الاله الكلب قد فرض نفسه على مسرح الساحة الاعتقادية في الفكر الديني عند سكان بلاد وادي النيل إذ يستمر في وصف مكانته الالهية وفي هذا نقرأ ((هو صاحب الفخامة الذي جلب للوجود الحياة والقوة و الصحة)) و تماشياً مع مكانة الكلب يصف الاله (شو Shu) نفسه إذ يقول ((أنا نفسي جئت الى الوجود تحت شكل كلب في الوقت البدائي)) (هورنونج، ١٩٩٥، ص ٦١ ; Budge, 1912, p.50,52,54) ونتيجة لتربع الاله الكلب على منصة الفكر الاعتقادي بهذا الشكل فقد أهتم به الملوك منذ عصر الاسرة الاولى و نحتوا له التماثيل وكان يؤرخ به في حوليات الامبراطورية الفرعونية تحت أسم (أنوبيس Anubis) في تلك الحقبة الزمنية الموعلة في القدم، لهذا رسم المصريين منذ عهد الدولة القديمة على مقابرهم صورة الكلب بشكل رابض بعنق مستطيل و آذان مثقوبة ومربعة و وجه طويل مقوس و ذيل قائم و له قوة سحرية ، و بسبب أهمية الكلاب في عمليات الصيد أختيرت انواع منها لتوضع في بعض الاماكن بأعتبرها رموز مقدسة، كما ظهر رمز الكلب الذي يحمل أسم (أوبوات Upuaut) و الذي يعني أسمه (فاتح الطريق) الذي يفسح الطريق للموتى الذاهبين الى العالم الاخر، وكان اله مشهور في منطقة (أسيوط) و يدل اسمه على أنه كان يقوم بعمليات الكشف و التجوال و ربما كان هذا الاسم هو صفة من صفات الكلاب إذ دعي هذا النوع من الكلاب منذ عصر مبكر بالاله (سيد Sed)، و الذي كان رمزه غالباً ما يحمل أمام الملك في بداية العصور التاريخية في ساحات الحرب و مواكب النصر، حتى أن مدينة (أسيوط) قد دعت بمدينة الكلاب الوحشية المقدسة، و قد عرف الاله الكلب في مصر عند اليونانيين بـ (أنوبيس) الذي كانت عبادته سائدة في الاقليم المصري

السابع عشر في مصر العليا الذي عرفت عاصمته بأسم (كينوبوليس **Kynopolis**) أي (مدينة الكلاب) و كان الهها المقدس رمز الكلب الذي جسد هيئته الاله (آنوبيس) الذي عد اله للموتى و حامى للمدافن و ربما تقلد هذه المهام بسبب أن الكلب يقوم بنيش القبور بحثاً عن عظام الموتى لهذا كانت عمليات تقدّيسه هي للتقرب منه لاتقاء شره باعتباره حامياً من حماة عالم الاموات (بوركر، ٢٠٠٠، ص ١٠٣١، ; تشرني، ١٩٩٦، ص ١٦، ١٣-١٧) وتأكيد لدور هذا الاله في مجمع الالهة المصرية فقد جعلوا له نسب مع الالهة (ست **set**) التي كانت تذكر في مراسيم الادعية الجنائزية و يرسم رمزها بجوار جثة الاله (أوزيريس) إذ تصفها المعتقدات الدينية المصرية أنها حبيبته التي كان يختلي معها في الظلام، و بهذه المكانة تقلد الاله الكلب (آنوبيس) ذي راس الكلب و جسم الانسان وظيفة خفير الاموات و دليلهم للحياة الاخرى بل صار مدير الدفن و حارس مملكة الغروب (نجيب، ١٩٩١، ص ٣٣٢) الذي يعتني بأجساد الموتى أثناء عمليات التحنيط التي تضمن السلامة لجثث الاموات، إذ يشاهد هذا الاله في رسوم المقابر واقفا أمام نعوش الموتى واضعاً يده على المومياء تصحبه الالهة (أيزيس **Isis**) و الالهة (نفتيس **Nephtys**) وهما تتحنيان على جنبي نعش الميت، فقد كان كل مايتعلق بالوجود الجسدي للميت يعزى الى الاله (آنوبيس) فهو الحارس الرئيس وسيد (الارض المنعزلة) و التي يقصد بها (المقبرة)، التي أريد للصور المرسومة على جدرانها أن تخلد عالم الخلود الباقي، لهذا عد الكلب في وادي النيل اله جنائزي يرسم على شكل حيوان خرافي له راس كلب و جسم أنسان، جعلته الالهة أمينا على مومياءات الموتى خاصة الفراعنة منهم و لهذا كان يؤدي دورا بارزا ومهما بصفته اله حافظ للمقابر الملكية وله دور في النصوص الملكية الخاصة بالابدية (نونخ، ١٩٩٦، ص ٨٩، ٣٥٠) و نقرا من عصر الدولة القديمة ما يؤكد على علاقة هذا الاله بجسد الميت إذ يرد ما نصه ((نزل الى داره بسلام جميل، وهذا ماكان مهموما به عند آنوبيس بعد أن أحضر له قربان وضع على حافة البئر..... و يتم المحنط الشعائر له عند آنوبيس)) (أسمان، ٢٠١١، ص ٩٠) و بصفته اله للتحنيط كان يقف امام المقصورة المقدسة الخاصة بالتحنيط بهيئته الكاملة على شكل الكلب لحماية المومياء من القوى الشريرة، وفي عملية التحنيط يقوم احد الكهنة بتأدية دور هذا الاله عند تحنيط الجثث، فيلبس الكاهن المحنط قناع (آنوبيس) و يؤدي عمله في تحنيط جسد الميت، و عند تعاظم دور اله الموت (أوزيريس) أصبح (آنوبيس) مساعدا له إذ يقوم الاخير بعملية وزن قلب الميت في قاعة العدالة مع (أوزيريس) وقضاة المحاكم ال (٤٢) و يحرر قلب الملك المتوفي من القيود (بوركر، ٢٠٠٠، ص ٥٩ ; Hart, 2005, p. 26) وأن حضور (آنوبيس) الى قاعة

محكمة الموتى لها دلالات مهمة على اهمية وسعة نشاطات هذا الاله الذي كان دوره واضحا في هذه القاعة فقد كانت له مهام كثيرة ومتعددة اضافة لماتم ذكره ومنها انه كان يقوم بأختبار لسان الميت اي يتحقق من صدق كلامه، كما يقوم باحتضان جسد الميت، لذا عد من الالهة الحكام و الكبار، اذ نقرأ في نص بردية الموتى ((الحكام الالهيون الكبار في اراضي (ريختي) هم (حورس) و (ايزيس) و (أنوبيس) و و ((تحتوت))، وزادت أهميته بوصفه الها محاربا يشترك بشكل مباشر في المعارك التي تحدث بين الالهة اذ نقرأ ((أوزيريس....، منتصرا على أعدائه في وجود الحكام العظام الكبار في الليلة التي يرفع فيها أنوبيس باسطا ذراعيه و يديه فوق الاشياء))، ونتيجة لأهميته الخاصة في عالم الموتى فقد ذكرت بردية الموتى أن معبدا قد بني لهذا الاله في الطريق لذلك العالم يتم فيه تناول الخبز واللحم وشرب الجعة من قبل الميت أثناء رحلته الى عالم الاموات (هرو، ١٩٨٨، ص١٢، ٦١، ٦٣، ٧٩) ولقد تم عبادة (أنوبيس) كونه ينتمي الى الجيل القديم من الالهة الحيوانية التي ترجع عبادتها الى عصور قبل التاريخ فقد أزاحه اله الموت (أوزيريس) الملقب بـ (سيد الموتى وملك الابدية) وتنازل (أنوبيس) عن وظائفه ومهامه و استلمها (أوزيريس) بشكل كامل حتى أنه أنتزع منه مدينة (أبيدوس) وصار (أوزيريس) معبودا على نطاق واسع في الاقاليم المصرية المختلفة، و أن سبب هذا التنازل جاء من كون (أوزيريس) كان قد أخذ وظيفة اله الموتى في مجمع آلهة وادي النيل و ان (أنوبيس) رغم أنتشار عبادته لم يرتقي في مجمع الالهة الا لمنصب الاله الوزير المساعد لملك عالم الاموات المتمتع بكونه الها مقدسا و أحد الهة مجمع وادي النيل البارزين و المهمين خاصة في عالم الاموات (تشرني، ١٩٩٦، ص١٧-١٨، ٤١-٤٢)

المصادر العربية

- ١- أستندرف، ديانة قدماء المصريين، ترجمة سليم حسن، القاهرة، ٢٠٠٠
- ٢- أسمان، يان، الموت و العالم الاخر في مصر القديمة، ترجمة محمود محمد قاسم، القاهرة، ٢٠١١
- ٣- تشرنى، ياروسلاف، الديانة المصرية القديمة، ترجمة أحمد قدوري، القاهرة، ١٩٩٦
- ٤- دانيال، كلين، علم الاثار، الجزء الثاني، ترجمة ليون يوسف، بغداد، ١٩٩٠
- ٥- العميسي، فضل محمد، التجسيديات الحيوانية على الاثار في جنوب الجزيرة العربية و اليمن قبل الاسلام، الرياض، ٢٠١٣
- ٦- النجم، حسين يوسف، اقتصاد القرى الزراعية خلال العصرين الحديث و المعدني في العراق، أطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الاداب، ٢٠٠٦
- ٧- نجيب، خضر أحمد، الاثر الجليل لقدماء وادي النيل، القاهرة، ١٩٩١
- ٨- هورنوج، أريك، وادي الملوك، أفق الابدية، العالم الاخر لدى قدماء المصريين، ترجمة محمد العزب، القاهرة، ١٩٩٦
- ٩- هورنوج، أريك، ديانة مصر الفرعونية الوحداية و التعدد، ترجمة محمود ماهر و مصطفى ابو الخير، القاهرة، ١٩٩٥
- ١٠- هرو، برت ام، كتاب الموتى الفرعوني، ترجمة، والس بدج، القاهرة، ١٩٨٨
- ١١- يوركر، مانفرد، معجم المعبودات و الرموز في حضارة مصر القديمة، ترجمة صلاح رمضان، القاهرة، ٢٠٠٠

المصادر الاجنبية

- (1) Arlene C, and Noreen L, An Atlas of Interpretative Radiographic Anatomy of the Dog and Cat, London, 2002
- (2) Albert, M., Ancient civilization prehistory, London, 2000
- (3) Brock, J.C., Early History Domestic Animals Westren Asia, sumer, Vol.36, 1980
- (4) Budge, E.A., Legends of Egyptian, Gods, London, 1912

- (5) Clbert, A., The Flora and Founa of the Ancient Near East in Civilization of the Ancient Near East, New York, 2000
- (6) Daniel A. Foxvog, Elementary Sumerian Glossary, California, 2009
- (7) Hayes, W.C., the Scepter of Egypt, part II, London, 1978
- The Routledge Dictionary of Egyptian Gods and Goddesses, London, 2005
Har, t, G,)8 (
- (9) Michelle, J., Determining the Antiquity of Dog Origins: London, 2004
- (10) Taylor, J., Death and the After life in Ancient Egypt, British, 2001, p.244, 246
- (11) Wiggermann, F. A., Black Dogs in Mesopotamia and Beyond, Germany, 2017
- (12) Wiggermann, F. A. Dogs, Pigs, Lamaštu, and the Breast-Feeding of Animals by Women. , Boston, 2010.

**التوثيق الرقمي للمباني الأثرية الإسلامية التي
تعرضت للتخريب من قبل تنظيم داعش في
محافظة نينوى (دراسة ميدانية)
(جامع الأغوات وجامع الجويجاتي أنموذجا))**

أ.م. د. عمار صبحي خلف

الأثار الإسلامية / جامعة تكريت – كلية الآداب

التوثيق الرقمي للمباني الأثرية الإسلامية التي تعرضت للتخريب من قبل تنظيم داعش
في محافظة نينوى (دراسة ميدانية) ((جامع الأغوات وجامع الجويجاتي أنموذجا))

أ.م. د. عمار صبحي خلف

Abstract

The architectural and technical aspect is an important pillar in archaeological studies, and even contributes significantly and effectively to reaching the facts of archaeological studies. The need for documentation in archaeological studies increases when there are circumstances that may affect the identity of these monuments and to indicate their importance and noting to study everything related to them because they may be Subject to falling due to climatic conditions or deliberate destruction and sabotage, as happened in the models that we will study.

It was necessary for us to explain the importance of these buildings, their history and importance in the Iraqi civilization and their architectural pillars, detailing their elements, and explaining their wonderful architectural features that were destroyed by ISIS⁽¹⁾ and the gangs associated with it that distorted the historical, artistic and psychological identity of everything related to these monuments, which are considered our shame and the inheritance of humanity in general. And the people of Iraq in particular, which we will talk about briefly.

And then talk about the destroyed parts and indicate the extent of the damage, whether in whole or parts of the building, or focusing on a specific thing of those buildings, such as mihrabs and rare minbars in mosques or small mosques, with attached pictures of the two stages before and after to show the differences in the single building. This was in the buildings that were renovated Or under renovation and maintenance.

The nature of the research necessitated dividing it into an introduction, two chapters and appendices, which were represented by images related to the research:

التوثيق الرقمي للمباني الأثرية الإسلامية التي تعرضت للتخريب من قبل تنظيم داعش في محافظة
نينوى (دراسة ميدانية) ((جامع الأغوات وجامع الجويجاتي أنموذجاً))

The first topic included: a study of the location, history and planning of each of the collectors targeted in the study, while the second topic: studying the decorations of the collectors and the damage they sustained. Accessories that included pictures of the buildings included in the study.

الملخص:

يُعدُّ الجانب العماري والفني ركناً مهماً في الدراسات الإثارية ، بل ويُسهم بشكل كبير وفَعَّال في التوصل إلى حقائق الدراسات الإثارية وتزداد الحاجة الى التوثيق في الدراسات الإثارية عندما تكون هناك ظروف قد تآثر على هوية هذه الآثار وبيان أهميتها والتنويه الى دراسة كل ما يتعلق بها لأنها قد تكون عرضة للسقوط بسبب الظروف المناخية او للتهديم والتخريب المتعمد كما حدث في النماذج التي سنقوم بدراستها.

فكان لزاماً علينا بيان أهمية هذه المباني وتاريخها وأهميتها في الحضارة العراقية واركائها المعمارية وتفصيل عناصرها وبيان ملامحها المعمارية الرائعة التي تعرضت للخراب على يد تنظيم داعش^(١) والعصابات المرتبطة به التي شوهت الهوية التاريخية والفنية والنفسية لكل ما يتعلق بهذه الآثار التي تعتبر خزينا وراث لل بشرية بشكل عام واهل العراق بشكل خاص الذي سنتحدث عنه بشكل مختصر.

ومن ثم الحديث عن الاجزاء المدمرة وبيان حجم الضرر أكان بشكل كامل او اجزاء من البناء او التركيز على شيء معين من تلك الابنية كالمحاريب والمنابر النادرة في المساجد الجامعة او المساجد الصغيرة مع أرفاق الصور للمرحلتين قبل وبعد لبيان الفروقات في البناء الواحد يكن ذلك في المباني التي جددت او قيد التجديد والصيانة.

لقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على مقدمة و مبحثين وملحقات تمثلت بصور تخص البحث:

ضم المبحث الاول: دراسة موقع وتاريخ وتخطيط كل من الجامعين المستهدفين في الدراسة ، اما المبحث الثاني: تناول دراسة زخارف الجامعين والاضرار التي لحقت به، ثم جاءت الخاتمة بأهم النتائج التي توصل اليها الباحث والمقترحات التي يجب اخذها لإعادة الصيانة والمحاذير المتبعة في عمليات الصيانة ومن ثم الملحقات التي شملت صور المباني المشمولة في الدراسة.

المقدمة:

يُعَدُّ الجانب العماري والفني ركناً مهماً في الدراسات الإثارية ، بل ويُسهم بشكل كبير وفَعَّال في التوصل إلى حقائق الدراسات الاثرية وتزداد الحاجة الى التوثيق في الدراسات الاثرية عندما تكون هناك ظروف قد تؤثر على هوية هذه الاثار وبيان اهميتها والتتويه الى دراسة كل ما يتعلق بها لأنها قد تكون عرضة للسقوط بسبب الظروف المناخية او للتهديم والتخريب المتعمد كما حدث في النماذج التي سنقوم بدراستها .

فكان لزاما علينا بيان اهمية هذه المباني وتاريخها واهميتها في الحضارة العراقية واركائها العمارية وتفصيل عناصرها وبيان ملامحها المعمارية الرائعة التي تعرضت للخراب على يد تنظيم داعش الذي سنتحدث عنه بشكل مختصر .

ومن ثم الحديث عن الاجزاء المدمرة وبيان حجم الضرر مع رفق الصور للمرحلتين قبل وبعد لبيان الفروقات في البناء الواحد .

لقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على مقدمة ومبحثين وملحقات تمثلت بصور تخص البحث:

ضم المبحث الاول: دراسة تاريخ المباني المشمولة بالبحث وتخطيطها وزخارفها والاضرار التي لحقت بهما ونحن نعلم ان الدراسات السابقة قد ذكرت العديد من التخطيطات والزخاف الا ان الاشارة هنا هي للدلالة على اهم الزخارف للتوثيق وبيان اهمية الاثر كون المرحلة مهمة ودرجة في حال بيان اهمية الاثر الذي تعرض للتدمير والتخريب، أما المبحث الثاني: تناول دراسة اقتراحات الصيانة العلمية التي يجب اتباعها في اعادة التأهيل والاعمار، ثم جاءت الخاتمة بأهم النتائج التي توصل اليها الباحث ومن ثم الملحقات التي شملت صور المباني المشمولة في الدراسة.

المبحث الاول: ((جامع الأغوات وجامع الجويجاتي الموقع والتاريخ والعناصر المعمارية والزخرفية والاضرار التي لحق بهما))

١: جامع الأغوات

يقع في سوق باب الجسر القديم^(٢) على الجهة اليمنى لنهر دجلة قبالة القلعة الداخلية (ايح قلعة)^(٣) في المنطقة الواقعة في الجزء الجنوبي الشرقي من مدينة الموصل القديمة، وهو أول مسجد جامع بناه الجليليون في مدينة الموصل في حدود سنة (١١١٤هـ/١٧٠٢م) أي قبل ولايتهم للمدينة في سنة

التوثيق الرقمي للمباني الأثرية الإسلامية التي تعرضت للتخريب من قبل تنظيم داعش في محافظة
نينوى (دراسة ميدانية) (جامع الأغوات وجامع الجوجاتي أنموذجاً))

(١١٣٩ هـ - ١٧٢٦ م)^(٤)، تولى بنائه إسماعيل أغا وإبراهيم أغا وخلييل أغا^(٥) وهم من اعيان الموصل لذلك سمي بهذه الاسم نسبة الى مشيده من الذين يحملون لقب اغا، ولا يزال هذا المسجد قائماً ومحتفظاً بعناصره المعمارية والفنية كافة وزخارفه الإسلامية والتخطيط القديم للبناء، وقد جُدد المسجد الجامع عدة مرات من قبل مديرية الأوقاف والشؤون الدينية في الموصل^(٦) (الالواح ١-٥).

وامتاز هذا الجامع في بموقعه المهم وسط أسواق الموصل القديمة عند المنطقة التجارية الكائنة في الجزء الجنوبي الشرقي لمدينة الموصل القديمة^(٧)، وقد ألحقت به مدرسة دينية لتدريس العلوم المختلفة وهي بالمدرسة الخليلية على يد خليل اغا بن عبد الجليل بعد أن اتم عمارة المسجد الجامع والصلاة فيه^(٨).

المسجد الجامع مستطيل الشكل غير منتظم وذلك لكون الارض التي انشاء عليها كانت من بقايا الارض المتروكة بين سور المدينة وخذقه ولم يكن لها شكل ثابت منتظم^(٩). فهو يتكون من بيت صلاة والذي يشغل الجانب الجنوبي يتقدمه رواق صيفي يطل على الصحن ببائكة من ثلاث عقود مدببة ستند الأوسط منها من كل جانب على كتف بينما استند العقدان الجانبيان على الكتف المذكورة من جهة وعلى الجدران من جهة أخرى (لوح ٩_)، هذا وهناك عقدان داخليان ربطا جدار بيت الصلاة الشمالي بالكتفين في أعلاه واللذان عملتا على شكل الحرف (T) يتجه بروزهما نحو الداخل ليرتكز عليه العقد الداخلي^(١٠). قسّم العقدان المذكوران رواق بيت الصلاة على ثلاثة اقسام عقدت بقباب منخفضة الوسطى منها هي الأهم^(١١) سطحها العلوي مستوي من الخارج اشتملت في بنائها على العديد من المواد الخفيفة (الخرشانة)^(١٢) والجص مما لا تشكل ثقلاً على الجدران، وساعدت على عملية العزل الحراري، شغلت منطقة الانتقال من الشكل المربع والذي يمثل شكل الرواق إلى الشكل الدائري والذي يمثل السقف المقبب بسلسلة من المقرنصات الآجرية حيث شغل كل ركن من أركان المربع بأربع صفوف من المقرنصات يعلوها بروزات بهيئة مسننة تحيط بأسفل القبة عملت على تحويل الشكل المربع إلى مثنى بغية استناد السقف المقبب عليه فعقدت بقبة منخفضة^(١٣)، ويتم النفاذ إلى المسجد بوساطة مدخلان: الاول يتوسط الجدار الشمالي، أما الثاني فقد كان يتوسط الجدار الجنوبي الغربي وقد اغلق من نتيجة لأعمال التجديد والتعمير الذي قامت به مديرية بلدية الموصل سنة (١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م)^(١٤) (الالواح ١-٢).

اما بيت الصلاة فيشغل مساحة مستطيلة الشكل تقريبا، اذ يبلغ قياسه وعمقه من الداخل (١٠,٣٠ م). وطول الجدار الجنوبي (جدار القبلة) من الداخل (٢٢ م) ، اما الجدار الشمالي (جدار مؤخرة بيت الصلاة) طوله (٢٤,٦٠ م). وبديل هذا التفاوت في الابعاد على وجود انحراف في جدار القبلة بمقدار (٢,٦٠ م)^(١٥) (الالواح ١-٢).

التوثيق الرقمي للمباني الأثرية الإسلامية التي تعرضت للتخريب من قبل تنظيم داعش في محافظة
نينوى (دراسة ميدانية) (جامع الأغوات وجامع الجوجاتي أنموذجاً)"

ويتكون بيت الصلاة من ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة تفتح على بعضها عن طريق فتحات متوجه بعقود مدببة تستند من طرف على اكتاف رخامية ضخمة مستطيلة الشكل، يبلغ ابعاد كل منهما (٢م × ٠,٧٠م) وارتفاعهما (١,٤٠م)، وقد نحتت هذه الاكتاف من عدة قطع من الرخام المستطيل الشكل، ومن الطرف الاخر تستند على دعائم مندمجة في الجدران الاربعة لبيت الصلاة، تبرز جميع الدعائم عن مستوى الجدار المدمجة فيه (٠,٨٠م)، وامتازت هذه الاكتاف والدعائم بكبرها وفخامتها، اذ تركز عليها العقود الحاملة للقبلة، وكونت تلك الفتحات اسكوبين موازيين لجدار القبلة طول الأسكوب الاول (٢٤,٢٠م)، اما السكوب الثاني (٢٧,٥٥م) ^(١٦).

ومن الامور التي يجب الاشارة اليها ان الجامع لم يتم تدميره بالكامل بل تعرض لقذائف اصابت القبة والمأذنة ومجموع من الشظايا التي اصابت الجدار الشمالي للجامع (الالواح-٣،٤) وتم ازالة المنبر بشل امل على غرار الكثير من الجوامع او اغلبها في مدينة نينوى وبالأخص في المدينة القديمة (الالواح-٤-١٤).

٢: جامع الجوجاتي:

تم زيارة وتصوير وتوثيق البناء ميدانيا يوم الثلاثاء ١٩/١٠/٢٠٢١ ويقع الجامع في محلة باب العراق (البارود جية) ^(١٧)، الكائنة في الجهة الجنوبية الغربية لمدينة الموصل القديمة أنشأه الحاج أبو بكر عبد الله بن إبراهيم الجوجاتي سنة (١٠٦٠هـ/١٦٥٠م) ^(١٨) (الالواح-١٤-١٧)، على أنقاض مسجد قديم يعود بتاريخه إلى حدود القرن الخامس الهجري بدلالة المحراب الرخامي الذي كان مثبت في مصلاه القديم ^(١٩).

لم يتم تفجير البناء بالكامل بل تعرضت معظم اجزائه لشظايا اثناء المعارك ويعد عمليات التحرير تم اعادة بناء وترميم الجامع من قبل الاهالي وميسوري الحال من اعيان الموصل (الالواح-١٤-١٧)

الخاتمة:

خلص البحث الى نتائج اهمها:

١: بين البحث اولاً حجم المؤامرة التاريخية التي تعرض لها هذا البلد بشكل عام ومحافظة نينوى والمدينة القديمة العريقة والطاعة بالقدم في اركانها والتي تحمل الهوية الوطنية المتجسدة بالتنوع الديني والعربي والطائفي الذي كان الصرة الاجمل لعراق مصغر وحضارة اشمل في كل زواياها والتعمد بشكل خاص محاولة طمس المعالم التاريخية وحرب خفية تقودها المنظمات الارهابية وهي حرب الهوية .

٢: بين البحث في محوره الاهم الجانب الاصعب وهو خسارة هذه المعالم التي وقفت بوجه الظروف والتقلبات المناخية والجوية كل هذه الفترة لتنتهار على يد اقدر تنظيم شهده الكوكب ان لم يكن الاقذر في المجرة بأسرها .

٢: ان الهدف من ذكر القياسات والتفاصيل الدقيقة للزخرفة ليس لإعادة صياغة مضمون جديد او اعادة كتابة سطور قد كتبت لكن الهدف هو اعادة هذه السطور الى الازهان وتحريكها لكي لا تهدم بهدم الجدران لكي تبقى متداولة بين الاجيال ولكي تبقى محفورة في ضمائرنا وقلوبنا ماحيينا .

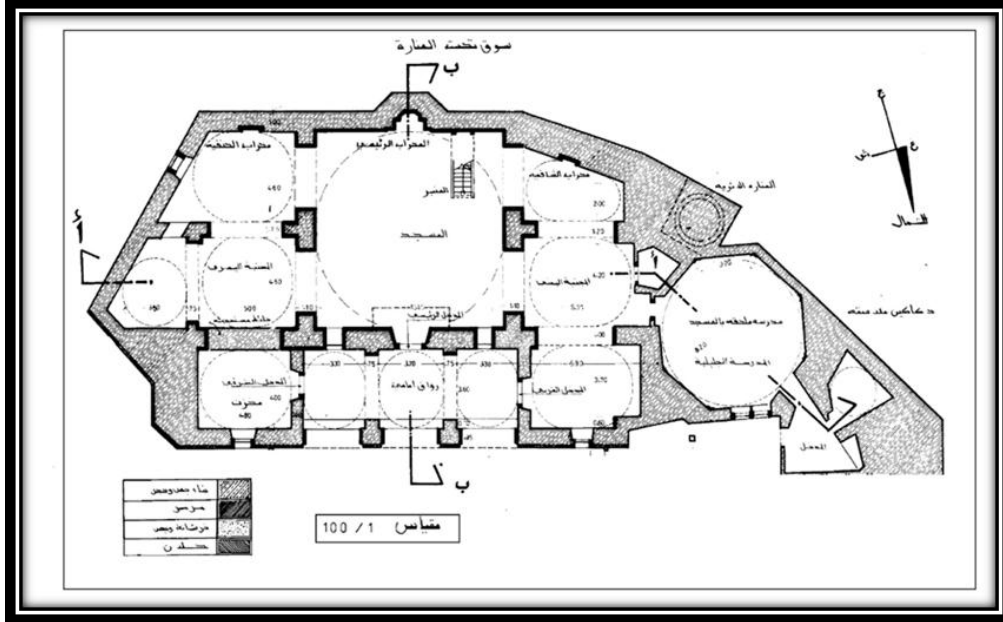
٣: بين البحث روعة الابنية المختارة ودلالاتها الدينية وتأثيرها ومكانتها المهمة في هذه المحافظة الغنية بالمباني التي تعتبر من امهات المباني العمارة الإسلامية وماقبلها، وماهيتها في اعادة انظار الجمهور مما يساعد على محاربة كل الافكار الهدامة في الاجيال القادمة .

٤: ان رفق البحث بالقياسات والابعاد والصور المختارة هو باكورة وبداية للشروع في اعمال الصيانة بالنسبة للجوامع المذكورة وبالفعل انطلقت عمليات الصيانة في الجامع المذكور في نيسان ابريل من العام الماضي من قبل منظمة (اليونسكو) وبخبرات عراقية من خيرة النخب المختصة بالصيانة كما وافاد التوثيق الرقمي والصور القديمة اهالي المنطقة القريبة من جامع الجوجاتي من اعادة ترميم الجامع دون المساس بالهوية الاصلية للأثر بجهود محلية .

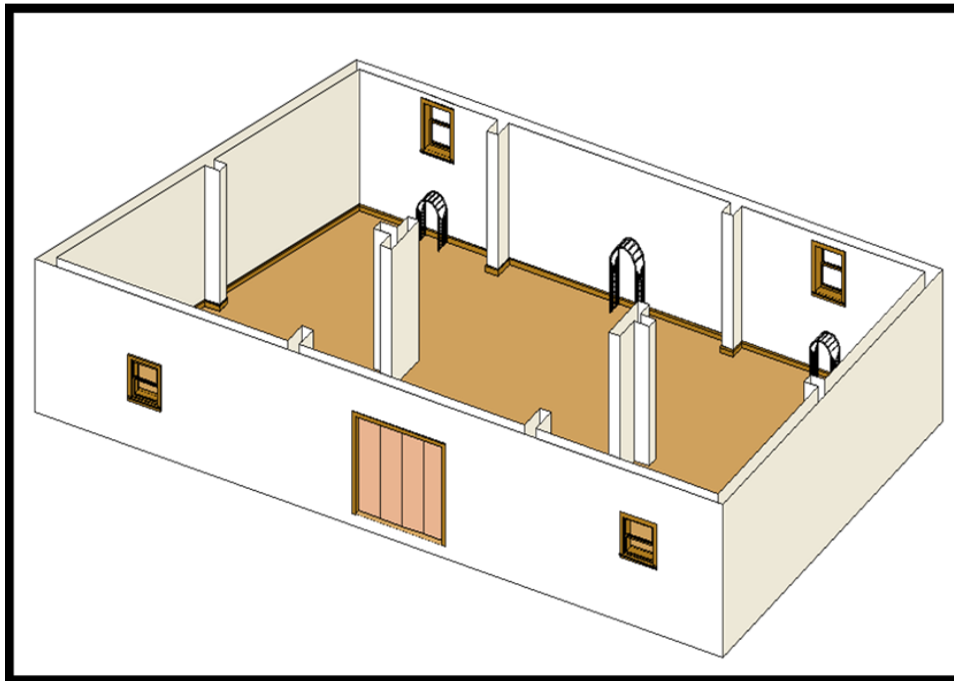
التوثيق الرقمي للمباني الأثرية الإسلامية التي تعرضت للتخريب من قبل تنظيم داعش في محافظة
نينوى (دراسة ميدانية) ((جامع الأغوات وجامع الجويجاتي أنموذجا))

ملحق

الصور والمخططات



لوحة (١): المخطط الأرضي لجامع الاغوات



لوحة (٢): نموذج لمخطط علوي لجامع الاغوات

التوثيق الرقمي للمباني الأثرية الإسلامية التي تعرضت للتخريب من قبل تنظيم داعش في محافظة
نينوى (دراسة ميدانية) ((جامع الأغوات وجامع الجويجاتي أنموذجا))



لوح (٣): صورة قديمة لجامع الاغوات



لوح (٤): صورة حديثة لجامع الاغوات



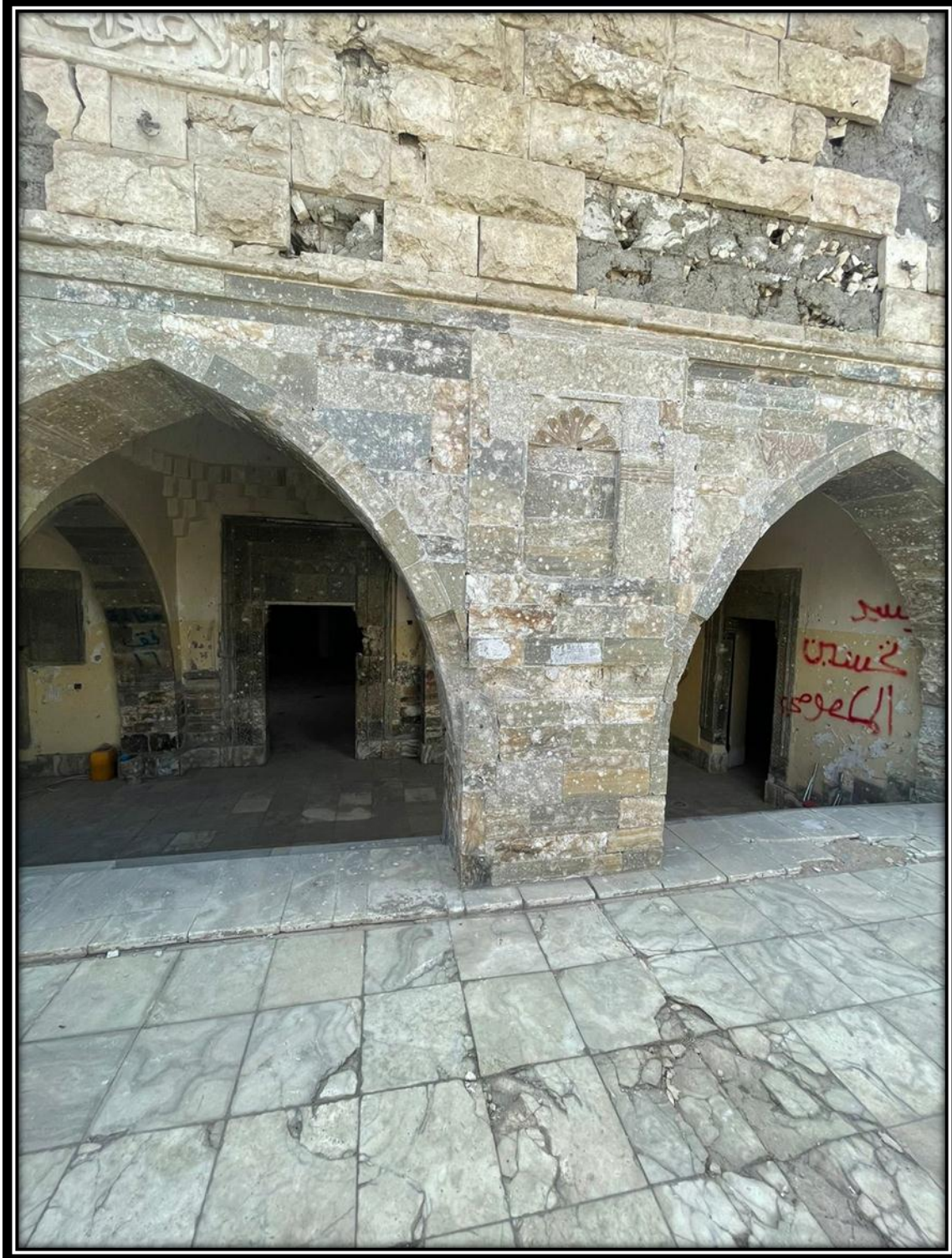
لوح(٥): الأضرار الخارجية لجامع الاغوات (تصوير الباحث)

التوثيق الرقمي للمباني الأثرية الإسلامية التي تعرضت للتخريب من قبل تنظيم داعش في محافظة
نينوى (دراسة ميدانية) ((جامع الأغوات وجامع الجويجاتي أنموذجا))



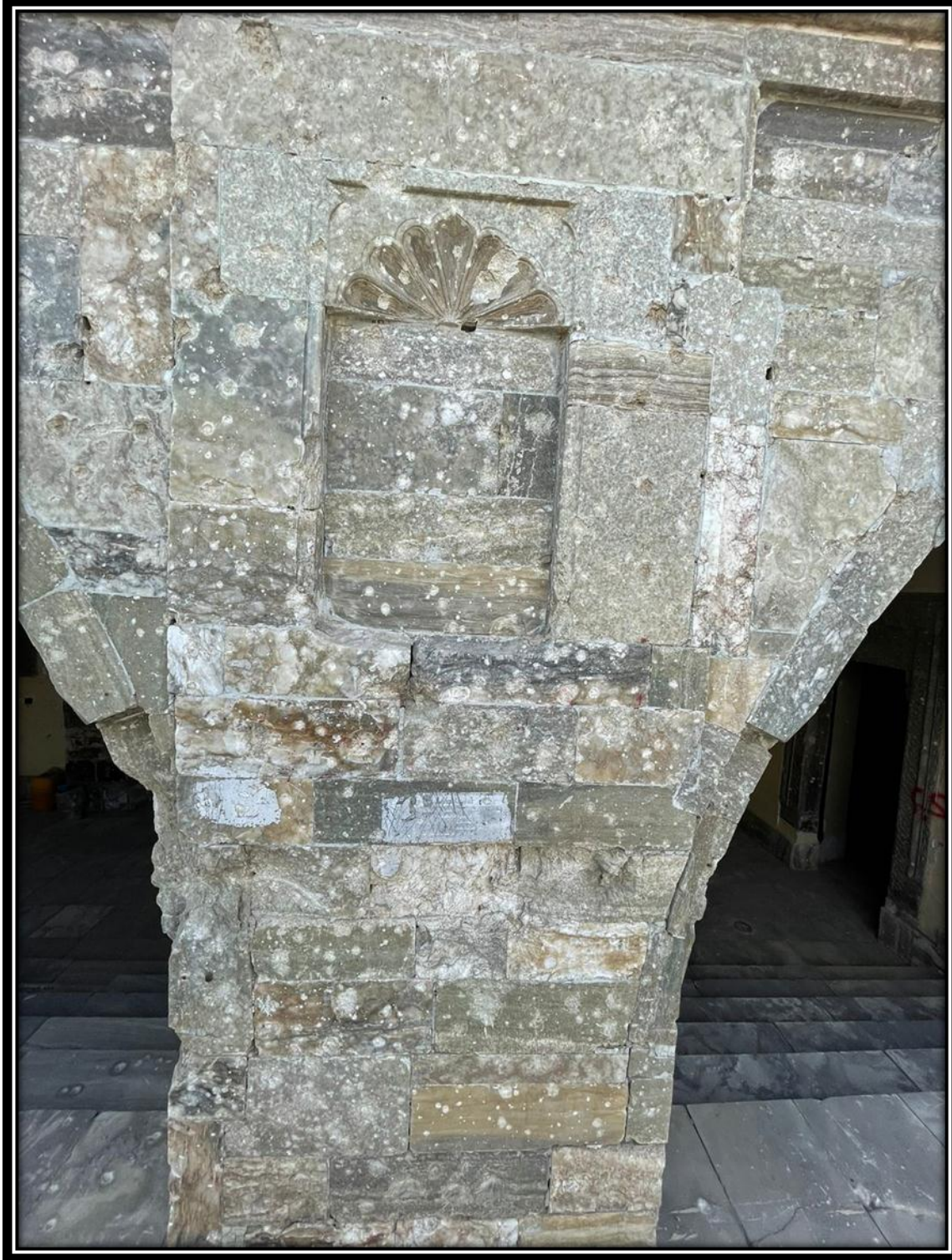
لوح(٦):جامع الاغوات من الداخل وتوضح الصورة المنبر المزال(تصوير الباحث)

التوثيق الرقمي للمباني الأثرية الإسلامية التي تعرضت للتخريب من قبل تنظيم داعش في محافظة
نينوى (دراسة ميدانية) ((جامع الأغوات وجامع الجويجاتي أنموذجا))



لوح (٧): الجدار الشمالي والباحة الخارجية لجامع الاغوات والاضرار الناجمة عن المعارك (تصوير
الباحث)

التوثيق الرقمي للمباني الأثرية الإسلامية التي تعرضت للتخريب من قبل تنظيم داعش في محافظة
نينوى (دراسة ميدانية) ((جامع الأغوات وجامع الجويجاتي أنموذجا))



لوح (٨): الزخارف الرخامية والاضرار في الجدار الداخلي للباحة (تصوير الباحث)

التوثيق الرقمي للمباني الأثرية الإسلامية التي تعرضت للتخريب من قبل تنظيم داعش في محافظة
نينوى (دراسة ميدانية) ((جامع الأغوات وجامع الجويجاتي أنموذجا))



لوح (٩): محاريب جامع الاغوات (تصوير الباحث)



لوح (١٠): مداخل جامع الاغوات (تصوير الباحث)

التوثيق الرقمي للمباني الأثرية الإسلامية التي تعرضت للتخريب من قبل تنظيم داعش في محافظة
نينوى (دراسة ميدانية) ((جامع الأغوات وجامع الجويجاتي أنموذجا))



لوح (١١): المدخل الرئيس لجامع الاغوات والكتابات والزخارف المحيطة به (تصوير الباحث)

التوثيق الرقمي للمباني الأثرية الإسلامية التي تعرضت للتخريب من قبل تنظيم داعش في محافظة
نينوى (دراسة ميدانية) ((جامع الأغوات وجامع الجويجاتي أنموذجا))



لوح (١٢): لوح كتابي من جامع الاغوات (تصوير الباحث)

التوثيق الرقمي للمباني الأثرية الإسلامية التي تعرضت للتخريب من قبل تنظيم داعش في محافظة
نينوى (دراسة ميدانية) ((جامع الأغوات وجامع الجويجاتي أنموذجا))



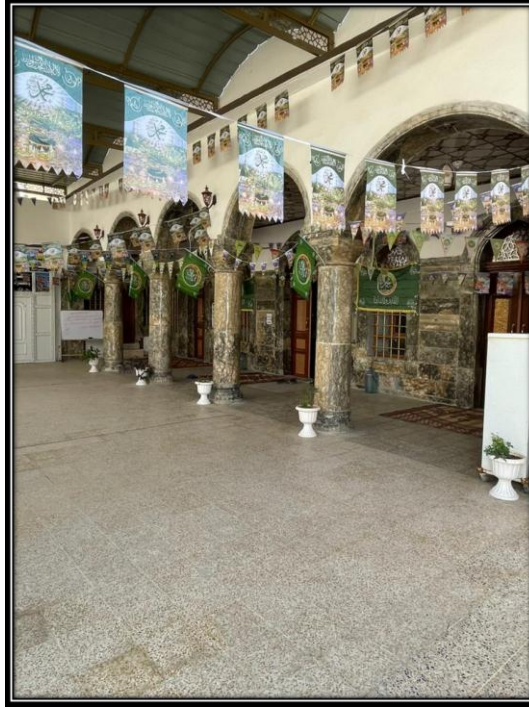
لوح (١٣): نوافذ جامع الاغوات (تصوير الباحث)

التوثيق الرقمي للمباني الأثرية الإسلامية التي تعرضت للتخريب من قبل تنظيم داعش في محافظة
نينوى (دراسة ميدانية) ((جامع الأغوات وجامع الجويجاتي أنموذجا))



لوح (١٤): جامع الجويجاتي (تصوير الباحث)

التوثيق الرقمي للمباني الأثرية الإسلامية التي تعرضت للتخريب من قبل تنظيم داعش في محافظة
نينوى (دراسة ميدانية) ((جامع الأغوات وجامع الجويجاتي أنموذجا))



لوح (١٥): الباحة الداخلية لجامع الجويجاتي (تصوير الباحث)



لوح (١٦): جامع الجويجاتي من الداخل (تصوير الباحث)

التوثيق الرقمي للمباني الأثرية الإسلامية التي تعرضت للتخريب من قبل تنظيم داعش في محافظة
نينوى (دراسة ميدانية) ((جامع الأغوات وجامع الجويجاتي أنموذجاً))



لوح (١٧): محراب جامع الجويجاتي (تصوير الباحث)

قائمة المصادر والمراجع :

١. داعش: يسمى تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام الذي يُعرف اختصاراً بـ داعش، وهو تنظيم مسلح يتبع الأفكار السلفية الجهادية، ويهدف أعضاؤه -حسب اعتقادهم- إلى إعادة "الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة"، ويتواجد أفرادُه وينتشر نفوذُه بشكل رئيسي في العراق

التوثيق الرقمي للمباني الأثرية الإسلامية التي تعرضت للتخريب من قبل تنظيم داعش في محافظة
نينوى (دراسة ميدانية) ((جامع الأغوات وجامع الجوجاتي أنموذجا))

- وسوريا مع أنباء بوجوده في المناطق دول أخرى هي جنوب اليمن وليبيا وسيناء وأزواد والصومال
وشمال شرق نيجيريا وباكستان. وزعيم هذا التنظيم هو أبو بكر البغدادي، للمزيد ينظر، شبكة
PBS الأمريكية عام ٢٠١٤ وثائقي بعنوان "The rise of ISIS" (صعود داعش).
٢. باب الجسر: وهو من المداخل القديمة للمدينة الموصل، يؤدي الى الجسر وكان امامه ساحة
واسعة هي ساحة باب الجسر، تحف بها اسواق وخانات وقيساريات وبقي حتى الحرب العالمية
الاولى فهدمه الاتراك، للمزيد راجع، الديوه جي، سعيد: بحث في تراث الموصل، دراسة في
تاريخ وتراث وخطط الموصل، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٢م، ص٢٢.
٣. أيج قلعة: هي القلعة الداخلية التي بناها الأتراك في الموضع الذي تقع عليه دائرة بلدية الموصل
في الوقت الحاضر للمزيد ينظر: الديوه جي، سعيد: جوامع الموصل في مختلف العصور،
مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٣م، ص١٧٦؛ سيوفي، نيقولا: مجموع الكتابات المحرر في أبنية
الموصل، تحقيق، سعيد الديوه جي، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٥٦، ص١٢٥.
٤. الديوه جي، سعيد: تاريخ الموصل، الموصل، ٢٠٠١م، ص٤٧.
٥. خليل أغا: هو ابن عبد الجليل زادا وكان محبا للأعمار والإصلاح ومنعما على الفقراء والمساكين
توفي سنة (١١٢٢هـ / ١٧١٠م). العمري محمد أمين بن خير الله الخطيب (ت ١٢٠٣هـ): منهل
الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحذباء، تحقيق: سعيد الديوه جي، الموصل
١٩٦٧م، ص١٤٠.
٦. العلي بك، منهل إسماعيل حسن: تاريخ الخدمات الوقفية في الموصل، اطروحة دكتوراه (غير
منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٦م، ص١٦٨.
٧. ذنون، يوسف واخرون: العمائر الدينية في مدينة الموصل (نماذج من التوثيق العام)،
١٩٨٢م، ص٣٩-٤١.
٨. احمد، إبراهيم خليل: حركة التربية والتعليم، موسوعة الموصل الحضارية، مج١٧، الموصل،
١٩٩٢م، ص٣٣٦.
٩. الديوه جي: جوامع، ص١٧٥؛ الحياي، أكرم محمد يحيى جاسم: خطط مدينة الموصل في
العصر العثماني من خلال المباني الشاخصة (١٥١٦-١٩١٨م)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)
، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٩م، ص٦٧.
١٠. محمد، هيثم قاسم: الحلول الانشائية في مباني الموصل خلال العصور الإسلامية، اطروحة
دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآثار، جامعة الموصل، ٢٠١٢، ص٢٨.

التوثيق الرقمي للمباني الأثرية الإسلامية التي تعرضت للتخريب من قبل تنظيم داعش في محافظة
نينوى (دراسة ميدانية) ((جامع الأغوات وجامع الجويجاتي أنموذجاً))

١١. ذلك لكون مدخل بيت الصلاة الرئيس يقع بضمنها.
١٢. الخرسانة: وهي تسميه محلية تطلق على الجص والمواد الرابطة المنقولة من مبنى قديم هُدمَ تتميز بخفة وزنها فاستفاد منها المعمار في عقد سقوف المباني.
١٣. في زيارة ميدانية لمسجد الأغوات الجامع بتاريخ ٢٠/٣/٢٠١٤.
١٤. ذنون ، وآخرون : العمائر الدينية ، ص ٤٠ ؛ الحيايالي : عمارة وتخطيط المساجد ، ص ٧٣.
١٥. المصدر نفسه، ص ٦٨.
١٦. الحيايالي : عمارة وتخطيط المساجد ، ص ٧٤.
١٧. محلة باب العراق(البارود جية): تقع في الجزء الجنوبي لمدينة الموصل القديمة وهي من محلات الموصل القديمة التي أخذت تسميتها من مهنة سكانها التي كانوا يمتنونها وهي صناعة البارود، للمزيد راجع ، الربيعي، عماد غانم : موجز تاريخ أهالي نينوى، مطبعة الزهراء ، الموصل ، ١٩٩٩. ص ١٢٥؛ الديوه جي، سعيد : تاريخ الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر ، مطابع جامعة-الموصل ، ١٩٨٢، ج ١، ص ٣٣.
١٨. الديوه جي، سعيد : الموصل في العهد الاتابكي، مطبعة شفيق - بغداد ، ١٩٥٨، ص ١٢٣.

**دور فن
التصوير الإسلامي في توثيق غزوات الرسول
محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)**

علي كريم محمد العموري

ali.07708034031@gmail.com

أ.م.د. حيدر فرحان الصبيحاوي

haiderfarhan@coart.uobaghdad.edu.iq

دور فن التصوير الإسلامي في توثيق غزوات الرسول محمد (ﷺ)

علي كريم محمد المعموري

أ.م.د. حيدر فرحان الصبيحاي

تعتبر غزوات الرسول محمد (ﷺ) من الأحداث المهمة في التاريخ الإسلامي، ولما لهذه الغزوات من الأثر الملهم في نفوس الشعراء والأدباء والكتاب والفنانين فقد وثقها كل واحد منهم حسب اختصاصه، والفنان المسلم بعد ان ازدهر فن التصوير في الممد الإسلامية اللاحقة سعى جاهدا إلى تخليد تلك الغزوات بأسلوب فني اقرب لنفس المتلقي من أسلوب التدوين الكتابي الذي تناولته الروايات والأخبار التي ذكرت عنها فاختار المواقف البطولية التي سطرها أبطال المسلمون في تلك المعارك وجسدها بصور دقيقة بناءً على ما تكوّن من أفكار تأملية فنية عن تلك الأحداث ليرمز بها عن كامل المعركة قاصدا منها إيصال المواعظ والعبر المستفادة منها للمتلقي، واستطعنا جمع عدد من صور الغزوات لدراستها هنا.

The battles of the Messenger Muhammad are considered among the important events in Islamic history, and because of the inspiring effect of these battles on the souls of poets, writers, writers and artists, each of them documented them according to his specialization, and the Muslim artist after the art of Islamic painting evolution in the later Islamic periods go to Documentation The battles in an artistic style are closer to the same recipient than the written method of writing that was dealt with in the novels and news that I mentioned about, so he chose the heroic stances written by the Muslim heroes in those battles and embodied them in accurate images based on what was formed of artistic contemplative ideas about those events to symbolize them about all the battle, repair to transportation sermons, The lessons learned for the reader, we have a collection of battles for study here.

إن تأريخ المسلمين الزاخر بالأمجاد يحدثنا عن صور البطولة التي جسدها فرسان المسلمين في المعارك الحربية بعد إن شرع الله تعالى القتال للمسلمين بقوله (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)^(١)، خرج الرسول (ﷺ) مع أصحابه بغزوات بلغ عددها ثمان وعشرون غزوة كان لها الأثر البالغ في تثبيت أسس الدين بعد إن صار للمسلمين قوة عسكرية مهابة.

وما للمعارك الحربية من الأثر الملهم في نفوس الفنانين والشعراء والأدباء والكتاب كونها مدعاة فخر تتفاخر بها الأمم والملوك منذ عصور موعلة في القدم فعبروا عنها كل حسب اختصاصه، ولازدهار فن التصوير الإسلامي في المدد التاريخية اللاحقة من حياة المسلمين انتقل توثيق الانتصارات من المنحوتات وجدران العمائر_ كما في الحضارات القديمة_ إلى صور تزوق المخطوطات الإسلامية فأصبحت صور المعارك والرسوم الحربية من المواضيع التي احتوتها المخطوطات الإسلامية كونها توثق جهود المسلمين الأوائل وما عانوه في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، إذ اخذ الفنان المسلم على عاتقه تخليد تلك الغزوات بأسلوب فني اقرب لنفس المتلقي من أسلوب التدوين الكتابي الذي تناولته الروايات والأخبار التي ذكرت عنها فاختر المواقف البطولية التي سطرها أبطال المسلمون في تلك المعارك وجسدها بصور دقيقة بناءً على ما تكون من أفكار تأملية فنية عن تلك الأحداث ليرمز بها عن كامل المعركة قاصداً منها إيصال المواعظ والعبر المستفادة منها للمتلقي فضلاً عن تخليد جهود الرسول (ﷺ) والمسلمين الأوائل وما عانوه في سبيل تثبيت أركان الدين الإسلامي والدعوة إليه.

ومن أشهر غزوات الرسول (ﷺ) التي وثقها الفنانون المسلمون:

١- غزوة بدر.

تعتبر غزوة بدر من الأحداث الفاصلة في التاريخ الإسلامي إذ إنها أول معركة حدثت بها مواجهه مسلحة بين المسلمين والمشركين وذلك في السابع عشر من رمضان (٢هـ/٦٢٣م)، وبعد انتصار المسلمين بها صارت لديهم قوة عسكرية مرهوبة بين قبائل الجزيرة العربية^(١).

تشير المصادر التاريخية ان الرسول (ﷺ) حرض أصحابه للهجوم على قافلة قريش القادمة من الشام والتي يرأسها أبو سفيان لتكون ضربة لاقتصاد قريش، خرج المسلمون للإيقاع بالقافلة ألا ان أبو سفيان اكتشف الأمر وارسل إلى قريش يعلمهم بالأمر واستطاع من الهروب بالقافلة، ولما وصل خبر القافلة إلى قريش سرعان ما تجهزوا واتجهوا نحو بدر وبالرغم من وصول خبر نجات القافلة ألا ان أبا جهل^(٢) عزم على مسير الجيش إلى بدر لكي تسمع بهم قبائل العرب جميعاً بهدف فرض السيطرة والهيبة لقريش وتدعيم مكانتها^(٣).

عند وصول أخبار هروب القافلة وخروج جيش المشركين للقتال فرأى الرسول (ﷺ) ان الرجوع يضعف من مكانة المسلمين ويدعم المكانة العسكرية للمشركين فسارع بعقد اجتماع مع أصحابه وبين لهم خطورة الموقف لان إعداد جيش المسلمين كان قويا بالنسبة إلى القافلة ألا انه ضعيف بالنسبة إلى جيش كبير مستعد للقتال فكان موقف المسلمين من المهاجرين والأنصار واحد وهو الوقوف إلى جانب الرسول (ﷺ) والاستعداد للقتال^(٤).

تناول الفنان المسلم أحداث هذه المعركة وجسد ما استوحاه من الروايات بصور معبرة، ومن بين مصورات تلك المعركة لدينا صورة من مخطوط جامع التواريخ^(٦) نسخة جامعة ادنبرة تمثل استشارة الرسول (ﷺ) أصحابه قبل المعركة^(٧).

يظهر في الصورة سبعة أشخاص يرتدون الزي العربي المتمثل بالجبة والعمامة ويحملون الأسلحة ويمتطون جيادهم وبناءً على صور المخطوط السابقة كان أحدهم يمثل الرسول (ﷺ) والذي يظهر في الجهة اليسرى من الصورة وبجانبه شخص يصعب تمييزه وفي الوسط هناك رجلان يديران بظهرهما نحو الأفق أحدهما يشير بسبابته نحو الرجال الثلاث الذين يحتلون الجزء الأيمن من الصورة، أما الرجال الثلاث الواقفين على يمين الصورة فيمثلون فرسان المسلمين وهما حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب و عبيد بن الحارث (رضي الله عنه) وقد مثل الفنان الأرض الصخرية للمنطقة صورة رقم (١).

توالى الرسامون المسلمون على تمثيل أحداث واقعة بدر بمصورتهم ومن جملة هذه الأحداث حادثة المبارزة بين الفرسان، جاء بالمصادر التاريخية بعد ان التقى الجيشان قرب آبار بدر خرج ثلاث من اشجع فرسان قريش وهما عتبة بن ربيعة^(٨) و شيبه بن ربيعة و الوليد بن عتبة يطلبون المبارزة قبل بدء القتال والتي كانت احدى مظاهر القتال بين جيشين في الحضارات القديمة واستمرت في المدد الإسلامية اللاحقة لاستعراض القوة ورفع الروح المعنوية للمقاتلين، فخرج لهم سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) والإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وعبيد بن الحارث (رضي الله عنه) ودار حديث بينهم ثم تبارزوا حتى انتصر فرسان المسلمين بعد ان قتلوا فرسان الكفار الثلاث^(٩).

من مصورات هذه الحادثة لدينا صورة مخطوط سير النبي^(١٠) تمثل حادثة المبارزة بين الفرسان بشكل اقرب إلى الواقع^(١١).

يمثل مشهد الصورة مبارزة بالسيوف بين فرسان المسلمين والذين اتخذوا الجزء الأيسر من الصورة وفرسان كفار قريش الذين اتخذوا الجانب الأيمن من الصورة، يبدو في وسط الصورة الإمام علي (رضي الله عنه) وهو شاهر سيفه ذو الفقار المشهور بين المؤرخين ويمسك بيده اليسرى ترس دائري وتغطي رأسه عمامة خضراء وتحتة شخص صريع وبجانب الإمام علي (رضي الله عنه) يقف متأهباً سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) شاهراً سيفه المقوس وتغطي رأسه خوذة مخروطية وينسدل منها المغفر الذي يغطي الرقبة ويعلوا الخوذة ريشة بيضاء، ويحيط بالمبارزين جيش المسلمين وجيش كفار قريش وهم يتربصون ما تسفر عنها تلك المبارزة، وتفصل بين الجيشين ارض صخرية ويلاحظ وجود نخلة مرتفعة في المسافة الفاصلة بين الجيشين.

وفي اعلى الجزء الأيسر يظهر الرسول (ﷺ) وتحيط به هالة من ألسنة اللهب جالسا على عرش ويمد يديه بالدعاء ومرتديا جبة خضراء وتغطي رأسه عمامة بيضاء وقد حجب وجهه بستارة بيضاء وعلى

جانبي اللوحة يظهر صفوف من جيش المسلمين ويقابلهم جيش المشركين بشكل منظم وهم يحملون اسلحتهم ويتقدمهم الفرسان وهم في حالة ترقب لما ستسفر عنه مبارزة الفرسان. صورة رقم (٢) فضلا عن ذلك فقد مثل الفنان المسلم بمصوراته حادثة نزول الوحي على الرسول محمد (ﷺ) بتلك المعركة ، فتشير المصادر التاريخية ان المسلمين قد وضعوا قبة عريش للرسول (ﷺ) يجلس فيها ومنها يدير المعركة ووفروا له الحماية الكافية فكان الرسول (ﷺ) يدعو الله تعالى لنصرة المسلمين ويمدهم بالعون فنزل جبرائيل (عليه السلام) وبشره بالنصر إذ جاء في قوله تعالى (إِذْ تَسْتَعْثِفُونَ رَبَّكُمْ فَاَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ *) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^(١٢).

جسد الفنان المسلم حادثة نزول الوحي على الرسول (ﷺ) بصور معبرة كان منها صورة من مخطوط سير النبي توثق تلك الحادثة^(١٣).

يظهر في الجزء الأيمن من الصورة التحام الجيشين أثناء القتال وهم يمتطون جيادهم وهي بحالة ركض وشاهري سيوفهم شبه المستقيمة ويرتدوا الدروع القصيرة وتغطي رؤوسهم الخوذة المخروطية التي تنتهي بأعلاها ببروز علق فيه ريشة بيضاء ويمسكوا بأيديهم اليسار بتروس دائرية، أما في الجزء الأيسر من الصورة فيظهر الرسول (ﷺ) واقفا في عرشه مرتديا جبة خضراء وعمامة بيضاء وتحيط به هالة من ألسنة اللهب وبالقرب منه يظهر جبرائيل (عليه السلام) طائرا بالهواء مرتديا ملابس حمراء وعلى رأسه تاج ذهبي وله أربعة أجنحة ملونه ، وخلفه ومن وراء السحاب تخرج كوكبة من الفتيان المسلمين ينظرون إلى الرسول (ﷺ) ربما يمثلون الملائكة الذين أمد الله تعالى بهم جيش المسلمين ، وفي القسم الأسفل هناك أربعة فرسان من المسلمين يلاحقون بسيوفهم المرفوعة مجموعة من جنود المشركين. صورة رقم (٣)

ومن مشاهد أحداث معركة بدر الأخرى التي رسمها الفنان المسلم حادثة اشتداد القتال بين الجيشين، فقد تواردت الأخبار ان المشركين عندما خسروا ثلاث من اشجع فرسانهم استشاطوا غضبا وهجموا هجمة رجل واحد على المسلمين مستخدمين أسلوب الكر والفر اذ اشترك به جميع أصناف الجيش من فرسان ومشاة ورماة وغيرهم ودارت معركة طاحنة بينهم هب منها الغبار وتعاليت منها الصيحات ألا إن المسلمين وقفوا مدافعين عن مواقعهم بثبات ساعدتهم الملائكة على ذلك^(١٤).

وبمخطوطة تاريخ نامة للبلعمي^(١٥) هنالك صورة وثق بها الفنان المسلم أحداث تلك المعركة الطاحنة بين الجيشين بتفاصيل دقيقة^(١٦).

يظهر بالصورة مجموعة من الرجال يرتدون الزي العربي المتكون من جبة وعمامة والبعض منهم يرتدون لباس الحرب آنذاك ويحملون الأسلحة الحربية والبعض منهم يمتطي فرسا وآخر يركب جملا إضافة إلى مجموعة من الراجلة وهم في حالة قتال فيما بينهم اذ سقط عدد منهم صرعا على الأرض وفي

الأعلى هناك مجموعة من الملائكة الطائرة تقاتل إلى جانب المسلمين، وقد نجح الفنان بتمثيل شدة المعركة بين الجيشين من خلال وضعية الاشتباك بينهم داخل الصورة . صورة رقم (٤).

إضافة إلى ما سبق فقد صور الفنان المسلم حادثة مقتل قائد جيش الكفار عمرو بن هشام المخزومي الشهير بأبي جهل، يذكر ان الصحابي معاذ بن عمرو بن الجموح أول من ضرب أبا جهل ضربة أصابت ساقه ثم مر الصحابي معوذ بن الحارث فضربه ضربة أخرى فلم يقتل اذ بقي به رمق بعدها جاء الصحابي الكبير عبد الله بن مسعود^(١٧) فوضع رجله على عنقه ثم احتز رأسه بالسيف فقطعه^(١٨).

من المصورات التي توثق حادثة مقتل أبا جهل هناك صورة من مخطوط تاريخ نامة للبلعمي^(١٩)، يظهر في الجزء الأيمن من الصورة رجلين في حالة قتال وهناك جثة رجل ساقطة على الأرض بالقرب منهم وفي اعلى المصورة يظهر ثلاث من الملائكة الطائرة تحلق فوقهم، وفي الجزء الأيسر من الصورة يبدو الصحابي عبد الله بن مسعود مرتديا الزي العربي من جبة وعمامة ويضع قدمة على ظهر أبي جهل المطروح أرضا ويحز رقبتة بالسيف ليقطع رأسه. صورة رقم (٥)

٢ - غزوة بني قينقاع.

كان يهود بني قينقاع من سكان المدينة القدماء وهم غالبا ما يثيرون المشاكل ويهددون الأمن فيها، وعندما انتصر المسلمون في معركة بدر احزنهم ذلك وأثار حقدهم حتى انهم نقضوا عهدهم مع الرسول (ﷺ) وبدأوا بإثارة الفتن بالرغم من تحذير الرسول (ﷺ) لهم ألا انهم لم يتعظوا الأمر الذي دعا إلى اتخاذ الرسول (ﷺ) قراراً بغزوهم وحصارهم داخل حصونهم ومن ثم طردهم خارج المدينة^(٢٠).

يذكر ان الرسول (ﷺ) عندما علم بغضب بني قينقاع من انتصار المسلمين بمعركة بدر جمعهم بسوق لهم ودعاهم إلى الإسلام وحذرهم ان يصيبهم مثلما أصاب قريش في بدر غير انهم أجابوه بجواب التحدي والاستعلاء اذ قالوا للرسول (ﷺ) (لا يغرناك من نفسك انك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال، انك لو قاتلتنا لعرفت إنا نحن الناس، وانك لم تلق مثلنا) اذ لم يكن في جوابهم ما يشير إلى الالتزام والاحترام فبدأت الأزمة تتفاعل^(٢١)، عندها بشر الله تعالى الرسول (ﷺ) بنصره عليهم كما في قوله تعالى (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُّغْلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيُنْسِ الْمِهَادُ * قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنِ النَّفْتَانِ فَتَةً تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيِ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ)^(٢٢).

اخذ يهود بني قينقاع يحيونون الفرص لمناوشة المسلمين وفي احد الأيام جاءت امرأة مسلمة لسوق بني قينقاع لتبيع قرط لها وجلست عند الصائغ اليهودي فأرادوها ان تكشف عن وجهها فرفضت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعمده إلى ظهرها وعندما قامت انكشفت عورتها فضحكوا عندها صاحت فوثب رجل من المسلمين وقتل الصائغ واجتمع اليهود على المسلم فقتلوه فأستصرخ اهل المسلم المسلمين على اليهود

وحينما علم الرسول (ﷺ) بذلك جهز جيش وعقد لواءه إلى سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) وسار بهم الرسول لغزو بني قينقاع وذلك في منتصف شوال من سنة (٥٢/٦٢٣م) (٢٣).

تناول الفنان المسلم أحداث هذه الغزوة فوثقها بصور دقيقة استمدتها من الروايات التي وصلتته، ومن بين مصورات تلك الغزوة لدينا صورة من مخطوط جامع التواريخ توثق مسيرة الرسول (ﷺ) وجيش المسلمين لغزوة بني قينقاع (٢٤).

يظهر الرسول (ﷺ) متمطياً جواده ومتمنطقاً بسيفه ويحمل رمحا طويلاً، وقد ارتدى جلباباً أبيض اللون وتغطي رأسه عمامة متعددة الطيات وتحيط به مجموعتين من الملائكة تفصل بينهما السحب الصينية الكثيفة فلم يظهر من المجموعة الأولى إلا رؤوسها، أما المجموعة الثانية فقد رسمت بهيأة أنثوية وأجنحة طويلة، ويسير خلف النبي (ﷺ) مجموعة من المقاتلين المسلمين راكبين على ظهور خيولهم يتوسطهم سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) ويحملون الرماح الطويلة ويتمنطقون بسيوفهم وهم على أهبة الاستعداد للقتال. صورة رقم (٦)

تابع الفنان المسلم تصوير أحداث هذه المعركة ومن جملة هذه الأحداث حادثة حصار المسلمين لحصون بني قينقاع، فقد أوردت مصادر التاريخ ان اليهود عندما علموا بقدوم الرسول (ﷺ) على رأس جيش كبير تحصنوا في حصونهم فحاصروهم جيش المسلمين اذ قطع عنهم كل الإمدادات وشل حركتهم واستمر الحصار لمدة خمسة عشر يوماً حتى قذف الله في قلوبهم الرعب فاضطروا للنزول إلى حكم الرسول (ﷺ) حتى امر بهم فربطوا وبعدها تدخلت العديد من الشخصيات ليستشفعوا لهم عند الرسول (ﷺ) ليخلي سبيلهم عندها اخلى سبيلهم وامر بإجلاتهم من المدينة (٢٥).

ومن مصورات هذه الحادثة هناك صورة من مخطوطة روضة الصفا (٢٦) تمثل حصار حصون بني قينقاع بإيجاز فني دقيق (٢٧).

قسم الفنان الصورة إلى قسمين يظهر في القسم الأيسر من الصورة أربعة فرسان يركبون على ظهور خيولهم مرتدين الزي العربي المتكون من جبة وعمامة ويطلقون السهام من أقواسهم باتجاه المدافعين في اعلى سور الحصن، ويفصل بين جيش المسلمين وسور الحصن مجرى مائي ربما يمثل خندق يحيط بالسور من الخارج، وفي القسم الأيمن يظهر حصن بني قينقاع الذي يتميز بأسواره العالية والضخمة وبواجهته مدخل معقود بعقد مدبب وهناك مجموعة من الرجال فوق السور يرتدون ملابس ذات ألوان مختلفة وتعلوا رؤوسهم عمامات ذات طيات متعددة ادهم يطلق السهام من قوسه باتجاه المهاجمين أما الآخرين فيحملون الأحجار بأيديهم ويلقوها على المهاجمين كما مثل الفنان بيئة المنطقة اذ رسم البعض من الأشجار الكبيرة والحشائش الصغيرة كما رسم السماء بلون أزرق. صورة رقم (٧)

٣- معركة احد.

بعد هزيمة قريش في معركة بدر وانكسار شوكتهم فتهدمت هيبتهم في نفوس العرب جعلهم يصممون على الأخذ بالثأر ليمحووا هذا العار الذي لحق بهم فجهزوا جيش كبير لقتال المسلمين بعقر دارهم اذ حدثت معركة دامية بينهم عرفت بمعركة احد وذلك في الخامس عشر من شوال من سنة (٦٢٤هـ/٦٢٤م)، وقد تواردت الأخبار إن كبار قريش بعد إن أتموا تجهيز جيشهم الجرار المتكون من ثلاثة آلاف مقاتل انتخبوا أبي سفيان ابن حرب الأموي كقائد عام لهذا الجيش بينما اختير خالد بن الوليد لقيادة الخيالة ويعاونه عكرمة بن أبي جهل فتحرك جيش المشركين نحو المدينة ، عندها ارسل العباس بن عبد المطلب رسالة مستعجلة إلى الرسول (ﷺ) يبلغه بها قدوم الجيش نحوه وضمنها تفاصيل هذا الجيش من ناحية العدة والعدد^(٢٨).

عندما وصلت رسالة العباس إلى النبي (ﷺ) جمع أصحابه وشاورهم بالأمر عندها ارسلوا دوريات لاستطلاع أخبار العدو وحينما تأكدوا من ذلك شاور الرسول (ﷺ) أصحابه بشأن مواجهة جيش المشركين فصار رأيهم الخروج بجيش لمقابلتهم خارج المدينة وبالفعل تم تجهيز الجيش وسار به الرسول (ﷺ) إلى ان وصل إلى الموقع الذي دارت به المعركة^(٢٩).

وثق الفنان المسلم مسيرة النبي محمد (ﷺ) بصور معبرة استمدها من الروايات التي وصلته عنها ، من بين مصورات تلك الحادثة لدينا صورة من مخطوط سير النبي تمثل مسيرة الرسول (ﷺ) وجيش المسلمين لقتال المشركين بتلك المعركة^(٣٠).

قسم الفنان الجيش الإسلامي إلى أربعة أقسام تفصل بين قسم وآخر مجموعة من التلال الصخرية الجرداء يظهر في القسم الأول في مقدمة الصورة الرسول (ﷺ) مرتديا جبة خضراء وتغطي رأسه عمامة بيضاء وقد حجب وجهه بستارة بيضاء وتحيط به هالة من اللسنة الذهب وهو راكب على ظهر جواده ويسير بجانبه أربعة أشخاص يحملون الرماح الطويلة وخلفه ربما يمثل الإمام علي (عليه السلام) وهو يحمل راية خضراء ويسير خلفه مجموعة من الجنود المجهزين بالتجهيزات العسكرية، أما القسم الثاني فيتقدمهم ثلاث أشخاص يحملون الرماح الطويلة والتروس ويظهر خلفهم حمزة بن عبد المطلب (عليه السلام) راكبا على ظهر جواده ومرتديا لامة الحرب ويحمل بيده راية حمراء وتسير خلفه مجموعة من الجنود، أما القسم الثالث فيتقدمهم رجل يمتطي صهوة جواده مرتديا ملابسه ذات لون اصفر وتغطي رأسه عمامة بيضاء ويحمل راية بيضاء اللون وخلفه مجموعة من الجنود ، والقسم الرابع من الجيش يتقدمهم رجل راكب على ظهر جواده وملابسه ذات لون احمر ويحمل راية صفراء اللون وخلفه مجموعة من الرجال يحملون الرماح الطويلة.

وفي نهاية الصورة وخلف التلال هناك رجلان احدهما يحمل رمح طويل وخلف هؤلاء الرجال تظهر شجرة كبيرة إضافة إلى شجرتين من أشجار النخيل.

يلاحظ ان الأشخاص في الصورة ارتدى البعض منهم لباس الحرب أما البعض الآخر قد ارتدوا القميص الطويل إضافة إلى السراويل القصيرة التي تصل إلى اسفل الركبة وتغطي رؤوسهم عمائم ذات ألوان وأشكال مختلفة . صورة رقم (٨)

تابع الفنان توثيق أحداث هذه المعركة ومن بين هذه الأحداث حادثة التقاء الجيشين واشتداد القتال بينهم ، اذ تشير المصادر التاريخية إلى ان الجيشان عندما تلاقى بمعركة احد بدأ القتال بالمبارزة اذ خرج حامل لواء المشركين طلحة بن عثمان^(٣١) يطلب المبارزة فخرج له الإمام علي (عليه السلام) فضربه الإمام ضربه قطع رجله فوقع على الأرض فانكشفت عورته وأقسم على الإمام بالرحم بينهم فتركه ولم يقتله بعدها إلتحم الجيشان واشتد القتال وشرع الرسول (ﷺ) بشحذ همم المقاتلين ويرفع من معنوياتهم حتى استبسل المسلمون في مقاتلة المشركين وقتلوا قتال بطولي سجل فيه أبطال الإسلام أروع صور البطولة والشجاعة وانتصروا في المرحلة الأولى من المعركة^(٣٢).

من بين المصورات التي توثق هذه الحادثة صورة من مخطوط روضة الشهداء^(٣٣) تمثل القتال الشديد بين الجيشين بتلك المعركة^(٣٤).

يظهر الرسول (ﷺ) في اعلى الجزء الأيسر من الصورة راكبا على ظهر جواده وتغطي رأسه عمامة بيضاء متمنطقا بسيفه ورافعا يده اليمنى للدعاء وتحيط به هالة من اللسنة اللهب ، وخلفه رجل يحمل بيده لواء الحرب ذات اللون الأخضر وهناك رجل بجانب الرسول (ﷺ) راكبا على ظهر جمل ويده قوس يسدد منه السهام على الأعداء اذ يظهر أمامه مجموعة من الأعداء احدهما سقط من جواده متأثرا بالسهم والآخر على وشك السقوط ، وفي مقدمة الصورة هناك مجموعة من الرجال البعض منهم يركب جملا والآخر راكب فرسا وهم بوضعية القتال بالسهم والرمح والسيوف ويظهر عدد من القتلى مجندين على الأرض، أما في وسط الصورة فيظهر الإمام علي (عليه السلام) راكبا جواده وتحيط به هالة من اللسنة اللهب وهو يضرب بسيفه رجل من الأعداء راكب على ظهر جمل وقتله . صورة رقم (٩)

ولدينا صورة أخرى من مخطوطة روضة الصفا تمثل مشهد القتال بين الجيشين أيضا^(٣٥).

تمثل الصورة معركة بين جيشين والقتال بينهم شديد اذ تظهر على الأرض الرؤوس الأدمية المتطايرة على ارض المعركة ، ويركب اغلب الفرسان خيولهم وهم يحملون السيوف والرمح والتروس والخناجر وتغطي رؤوسهم عمائم متعددة الطيات والبعض منهم تغطي رأسه خوذة أما أرضية التصوير فهي على هيئة ارض مستوية زرقاء اللون . صورة رقم (١٠)

من الأحداث الأخرى التي وثقها الفنان المسلم حادثة مشاركة الرسول (ﷺ) بالقتال بهذه المعركة، تذكر المصادر التاريخية ان الرماة حينما شهدوا الهزيمة قد لحقت بجيش المشركين ضنوا ان المعركة قد انتهت فتركوا مواقعهم ونزلوا إلى ارض المعركة ليحصلوا على الغنائم ، عندها استغل خالد بن الوليد الفرصة والتف من حول المسلمين بكتيبة الخيالة فحاصر المسلمين عندها فقد المسلمون مواقعهم واخذوا

يقاتلون بدون تخطيط حتى أشيع الخبر ان الرسول (ﷺ) قد قتل واختلط الحابل بالنابل وهرب جمع كبير من المقاتلين المسلمين ولم يصمد معه إلا الإمام علي (عليه السلام) وثلة قليلة من الصحابة (رضوان الله عليهم) واخذ المشركون يقتلون أي شخص أمامهم واستطاعوا الوصول بالقرب من الرسول (ﷺ) حتى انه قاتلهم قتال شديد فأصابوه بحجر كسر ربايته لكن الرسول (ﷺ) بحكمته استطاع توحيد الصفوف والقيام بهجوم مضاد لينفذ ما تبقى من المسلمين (٣٦).

من بين مصورات هذه الحادثة لدينا صورة من مخطوط سير النبي توثق مشاركة الرسول (ﷺ) بالقتال (٣٧).

يظهر الرسول (ﷺ) في الجزء الأيمن من الصورة مرتديا جبة خضراء وتغطي رأسه عمامة بيضاء يظهر من أعلاها طاقة حمراء وتحيط به هالة من اللسنة الذهب ويحمل بيده اليمنى سيفاً وباليمنى ترسا وهناك جعبة سهام على خصره وهو يقاتل بسيفه مجموعة من جنود المشركين الواقفين أمامه ويفصل بين الرسول (ﷺ) والمقاتلين المسلمين تل حجري وخلف التل يظهر مجموعة من جنود المسلمين يقاتلون جنود الأعداء بسيوفهم ومن بينهم الإمام علي (عليه السلام) وهو راكب على جواده ومرتديا جبة خضراء وتغطي رأسه عمامة ذات لون اخضر ويضرب بسيفه رجل من الأعداء قاطعا رأسه ، وفي الجانب الأيسر يظهر مجموعة من جنود المشركين الذين مثلهم الفنان بعددهم الكبير وتجهيزاتهم العسكرية الكاملة ، وخلف التلة وفي اعلى المصورة هناك يجلس أربعة رجال وتغطي رؤوس عمائم وهم بوضعية الحزن صورة رقم (١١).

٤- غزوة بني النضير.

كانت خسارة المسلمين بمعركة أحد بمثابة الشعلة التي أوقدت روح الأمل بنفوس اليهود لتحقيق مطامعهم الخبيثة اذ قام يهود بني النضير بنقض عهدهم مع المسلمين وحاولوا اغتيال الرسول (ﷺ) هذه الأسباب وغيرها جعلت من الرسول (ﷺ) أن يأمر بجلائهم من المدينة وعندما رفضوا ذلك جرد عليهم حملة عسكرية وطردهم من المدينة بالقوة وكان ذلك في ربيع الأول من سنة (٤هـ/٦٢٥م)، وفي هذا المضمار أشارت المصادر التاريخية إن يهود بني النضير قد نقضوا العهد مع المسلمين إضافة إلى انهم تأمروا على الرسول (ﷺ) وحاولوا قتله ألا ان محاولتهم فشلت ولهذه الأسباب وغيرها امر الرسول (ﷺ) بإجلائهم من المدينة وارسل اليهم الصحابي محمد بن مسلمة (رضي الله عنه) يطالبهم بالخروج وحذرهم من البقاء وأمهلهم مدة عشرة أيام لإتمام ذلك (٣٨).

رفض اليهود الخروج من المدينة وحرصهم على ذلك زعيم المنافقين عبد الله بن أبي سلول (٣٩) وبعد انقضاء العشرة أيام سار الرسول (ﷺ) بجيش كبير لمحاربتهم فحاصر حصونهم لمدة خمسة عشر يوم وقذف الله بقلوبهم الرعب عندها نزلوا إلى حكم الرسول (ﷺ) فسلموا انفسهم إليه وأمرهم بالرحيل بأموالهم وكل ما يملكون ألا الأسلحة حتى لا يحاربون بها مرة أخرى فرحلوا إلى خيبر ويذكر انهم عندما رحلوا

هدموا سقوف بيوتهم واقتلعوا الأبواب حتى لا يستفاد منها احد بعدهم^(٤٠)، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحادثة بقوله تعالى (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ * وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)^(٤١).

تناول الرسامون المسلمون أحداث هذه الغزوة فنسجوا منها مشاهد جسدها بصور تعبر عن طبيعة الحادثة استمدوها من الروايات التي وصلتهم، ومن بين تلك الصور لدينا صورة من مخطوط جامع التواريخ لرشيد الدين تمثل غزوة الرسول (ﷺ) لبني النضير^(٤٢).

قسم الفنان مشهد الصورة إلى قسمين في القسم الأيسر من الصورة يظهر الرسول (ﷺ) راكبا جواده وتغطي رأسه عمامة سوداء حاملا بيده رمحا طويلا وهناك ملاك طائر بالسماة بجانب الرسول (ﷺ) ويحمل بيده شيء ما، وإلى الخلف من الرسول (ﷺ) يسير ستة أشخاص بصفين شخصين في الصف الأول وأربعة في الصف الثاني وهم يرتدون الزي العربي المتكون من جبة وعمامة ذات اللون وأشكال مختلفة ومدججين بالسلاح وهم على أهبة الاستعداد للقتال وأمام الرسول (ﷺ) وبالقرب من سور الحصن يقف شخصين يرتدون الزي العربي المتكون من جبة وعمامة احدهما يحمل سيفا والآخر يضع يديه داخل أكمام جبته وتظهر الشمس ساطعة في السماء.

أما في القسم الأيمن من الصورة فقد مثل الفنان السور الضخم لحصن بني النضير المشيد بالآجر وبواجهته مدخل يعلوه عقد نصف دائري وتعلوا العقد زخارف عمارية وفي اعلى السور يلاحظ وجود شرفات دائرية ويقف على السور أربعة رجال من اليهود وهم يرتدون الزي العربي المتكون من جبة وعمامة باللون وأشكال مختلفة، ويلاحظ إن سحن الوجوه مغولية صورة رقم (١٢).

٥ - معركة (الأحزاب) الخندق.

تعتبر معركة الخندق ثالث المعارك الكبرى التي حدثت بين المسلمين والمشركين سنة (٦٢٦م/٥هـ)، إن إجلاء يهود بني النضير من المدينة إلى خيبر جعلهم يتحينون الفرص للتأثر لأنفسهم من المسلمين فأرسلوا وفدا إلى مشركي قريش والقبائل المجاورة يحتوهم على قتال المسلمين ويعدونهم بالقتال معهم نتيجة لهذا تجمع جيش كبير ضم عددا من القبائل العربية بقيادة قبيلة قريش لمحاربة المسلمين واستئصالهم من المدينة ، ألا ان الله سبحانه وتعالى أراد لعباده النصر والعزة ولأعدائه الذل والخذلان^(٤٣).

تذكر المصادر التاريخية ان المسلمين كانوا على دراية تامة بالوفد اليهودي الذي خرج من خيبر إلى مكة ليحث المشركين على قتال المسلمين وما وعد به هذا الوفد القبائل العربية من الدعم المالي والمعنوي

إضافة إلى القتال معهم ضد المسلمين، وعندما نجحت مهمة هذا الوفد من تحشيد الأحزاب من القبائل العربية لتكوين جيش المشركين^(٤٤)، وصلت أخبار الجيش وتحركه باتجاه المدينة لقتال المسلمين الرسول (ﷺ) فاجتمع مع أصحابه ليستشيرهم بأخذ التدابير اللازمة لصد هذا الهجوم فأشار عليهم الصحابي سلمان المحمدي (رضي الله عنه) بحفر خندق في الجهة الشمالية الغربية من المدينة لكونها مكشوفة أما الجهات الأخرى فهي محصنة طبيعياً فأعجب الرسول (ﷺ) بفكرة الخندق فأخط المسلمون الخندق وحفروه بعرض وعمق مناسب إذ اشترك في حفره عامة المسلمين وكان أسوتهم بذلك الرسول (ﷺ) وعندما تم الحفر اجري به الماء^(٤٥).

وعندما وصل جيش المشركين إلى المدينة تفاجأوا بوجود الخندق فضربوا الحصار على المدينة استمر أربع وعشرون يوماً حدثت بها بعض المناوشات بالنبال والحجارة بين الجيشين حتى استطاع البعض من فرسان المشركين عبور الخندق بقيادة عمر بن ود العامري المعروف بالقوة والفروسية والذي يعد بألف فارس وطلب النزال من المسلمين فلم يجبه احد منهم حتى أجابه الإمام علي (عليه السلام) على طلبه وعندما برز أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال الرسول الكريم محمد (ﷺ) قولته الشهيرة (لقد برز الإيمان كله إلى الشرك كله) وتشير المصادر التاريخية ان الإمام علي (عليه السلام) قبل بدء القتال عرض الإسلام على عمر ألا انه رفض فقال له الإمام (عليه السلام) اني ادعوك إلى النزال فقال عمر لم يا ابن أخي فوالله لا أحب ان أقتلك فالإمام (عليه السلام) قال له لكني والله أحب ان أقتلك فبدأ القتال فضربه الإمام علي (عليه السلام) ضربه بالسيف قطع عنقه^(٤٦).

ان للصبر والصلابة التي تحلى بها المسلمون جعل من عبور الخندق مرة أخرى مستحليه على جنود المشركين إضافة إلى عدم مقدرة يهود بني قريظة من مهاجمة المسلمين من الخلف جعلت من الإحباط ان يدب بقلوب المشركين عندها نصر الله عباده المسلمين إذ ارسل ريح شديدة اقتلع خيامهم وفرقت تجمعهم عندها امر ابو سفيان بالانسحاب إلى مكة والقبول بالهزيمة^(٤٧).

تناول الرسامون المسلمون أحداث هذه المعركة فجسدوها بصور دقيقة بتفاصيلها استمدوها من الروايات التي وصلتهم، ومن بين مصورات معركة الأحزاب او الخندق لدينا صورة من مخطوط تاريخ نامة للبلعمي تمثل المناورة قبل القتال بين عمر بن ود العامري والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٤٨).

قسم الفنان مشهد هذه الصورة إلى قسمين يفصل بينهما شق ارضي يمثل الخندق الذي حفره المسلمون يظهر في يسار الصورة رجل ذو لحية طويلة يرتدي جبة خضراء وغطي رأسه عمامة وتدور حول رأسه هالة نورانية وهو راكب على ظهر جواده ورافعا كلتا يديه بوضعية الدعاء ربما يمثل الرسول (ﷺ)، ويقف خلفه رجل يرتدي لباس حربي وتحيط برأسه هالة، وفي الجانب الأيمن من الصورة هناك شخصان يركبان على ظهور جيادهم وهم في حالة قتال احدهما يمثل الإمام علي (عليه السلام) الذي يظهر وهو مرتدي لباس الحرب و متمنطقاً بسيفه ذوالفقار وتحيط برأسه هالة نورانية أما الشخص الآخر فيمثل عمر

بن ود العامري وهو راكبا على ظهر جواده الأسود ومرتديا لامة الحرب ورافعا سيفه لقتال الإمام علي (عليه السلام) صورة رقم (١٣).

وهناك صورة من مخطوطة روضة الصفا النسخة المحفوظة بمجموعة آرثر م. ساكلر بمتحف الفن الآسيوي بواشنطن والتي تعود إلى سنة (٩٧٩-٩٨٠هـ/١٥٧١-١٥٧٢م) تمثل مقتل عمر بن ود العامري على يد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٤٩).

الصورة تمثل مشهد بانورامي لحصار جيش المشركين للمدينة المنورة اذ قسم الفنان مشهد هذه الصورة إلى ثلاثة أقسام، في القسم السفلي يظهر جيش المشركين بكامل عدتهم من مشاة وخيالة يحاصرون المدينة خارج الخندق المائي الذي حفره المسلمون والذي يظهر على شكل مجرى مائي مقوس للخارج، أما في القسم الوسطي فيظهر عمر بن ود العامري وهو يعبر الخندق فيلاقيه الإمام علي (عليه السلام) والذي يظهر بهيئة رجل مقاتل مرتديا جبة رافعا أطرافها إلى منتصف جسمه ومن تحتها سروال طويل احمر اللون وتغطي رأسه عمامة بيضاء وقد حجب وجهه بستارة بيضاء وتحيط برأسه هالة من اللسنة الذهب ويحمل بيده اليسرى ترس وفي اليد اليمنى سيفه ذوالفقار ليضرب به عنق عمر بن ود العامري فيقطعه، ويظهر الرسول (ﷺ) جالسا على بساط ازرق مرتدي عباءة حمراء وتحتها لباس ابيض وتغطي رأسه عمامة بيضاء تظهر من أعلاها طاوية سوداء وقد حجب وجهه بستارة بيضاء وتحيط برأسه هالة من اللسنة الذهب، وبجانب الرسول (ﷺ) هناك شجرة كبيرة.

أما في القسم العلوي يظهر فرسان جيش المسلمين موزعون على ثلاثة مجموعات بعضهم خلف الساتر الترابي والبعض الآخر خلف الجبل وهم ينظرون إلى الإمام علي (عليه السلام) وهو يقتل عمر بن ود العامري، وقد مثل الفنان بيئة المنطقة المتكونة من ارض الجبال الحجرية والساتر الترابي وبعض الأشجار. صورة رقم (١٤)

٦- معركة خيبر.

أصبحت خيبر وكرا للتأمر والدس عندما سكنها يهود بني النضير بعد إجلائهم من المدينة وما قام به زعمائهم من تحشيد الأحزاب من القبائل العربية لقتال المسلمين في معركة الخندق وحثهم ليهود بني قريظة على الغدر بالمسلمين ونقض العهد مع المسلمين كل هذه الأحداث جعلت من الرسول (ﷺ) يفكر بتأديبهم والخلص من شرهم لما يشكلوه من خطر على المدينة والمسلمين، وبعد عودة الرسول (ﷺ) من صلح الحديبية وأمن من هجوم المشركين على المدينة او مساندتهم لليهود بعد ذلك الصلح جهز الرسول (ﷺ) جيش لقتال يهود خيبر سنة (٥٧هـ/٦٢٨م) (٥٠).

تشير المصادر التاريخية ان جيش المسلمين سار نحو خيبر بقيادة الرسول (ﷺ) بروح إيمانية مخلصه لله سبحانه وتعالى مستبشرين بالنصر والغنائم كما وعدهم الله سبحانه وتعالى بقوله (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا

مُسْتَقِيمًا^(٥١)، كما ان الرسول (ﷺ) لم يسمح للمناققين وضعفاء الإيمان الذين تخلفوا عن صلح الحديبية بالخروج معه فسار بجيش المسلمين ليلا باتجاه خيبر، فوصل إلى خيبر التي كانت ذات حصون منيعة وعندما حل الصباح خرج اليهود بمساحيهم وأدواتهم الأخرى فتفاجأوا بالجيش الكبير فارتدوا إلى حصونهم هارين مفزوعين فحاصر المسلمون تلك الحصون وفتحوها واحدا تلو الآخر واجه المسلمون مقاومة شديدة وصعوبة عند فتح بعض الحصون ومنها حصن ناعم الذي كان لمرحب^(٥٢) حيث استمر حصاره عشرة أيام حمل بها راية المسلمين ابو بكر الصديق (رضي الله عنه) ولم يفتح الله عليه ، وعندما جهد الناس قال لهم الرسول (ﷺ) بأنه سيعطي اللواء غدا إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح له فلما صلى الفجر دعا الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعقد له اللواء، وعندما اشتد حصار المسلمين للحصن برز لهم مرحب اليهودي فبارزه الإمام علي (عليه السلام) فقتله وبعدها عبر الخندق وقلع باب المدخل ورماه بالخندق ودخل الجيش الإسلامي للحصن والذي كان له اثراً سلبياً بمعنويات اليهود وخاصة بعد مقتل اليهودي مرحب الذي كان من اشجع فرسان اليهود على يد الإمام علي (عليه السلام) وبعدها سار المسلمون لفتح بقية الحصون وفتحوها وهكذا سقطت خيبر بيد المسلمين^(٥٣).

هذه الأحداث التاريخية الكبرى لم تكن غائبة من تأملات الرسام المسلم فجسدها بصور دقيقة التفاصيل استنادا لما وردته من روايات ساقها المؤرخون عن تلك الحادثة ، ومن بين مصورات هذه المعركة لدينا صورة من مخطوطة كليات حافظ^(٥٤) المحفوظة بمتحف طوبقابي بإسطنبول تمثل جانب من تلك المعركة^(٥٥).

قسم الفنان الصورة إلى قسمين، في القسم الأيمن يظهر الرسول (ﷺ) ممتطيا صهوة جواده ومرتديا جبة خضراء وتغطي رأسه عمامة بيضاء تخرج من أعلاها طاقية سوداء وتحيط برأسه هالة من اللسنة اللهب رافعا يديه للدعاء ، ويقف بجانبه احد جنود المسلمين يحمل راية حمراء مزخرفة بزخارف نباتية دقيقة ويمسك بلجام فرس ابيض اللون على ظهره سرج ، وهناك مجموعة من التلال وخلف تلك التلال وفي اعلى المشهد تظهر مجموعة من جنود المسلمين التي تغطي رؤوسهم العمام وهم راكبين على ظهور الخيول ويحملون السيوف والتروس.

أما القسم الأيسر من المصورة فيظهر سور أحد حصون خيبر فخم البناء مزين بزخارف اجرية دقيقة ويدور حول السور خندق مائي وفي اعلى برج السور يقف مجموعة من الجنود المرتدين للملابس الحربية وهم يطلقون السهام ويرمون الحجارة على الإمام علي (عليه السلام) الذي يظهر واقفا على مجموعة من جثث الأعداء أمام بوابة الحصن مرتديا قميص طويل ازرق اللون وسروال وتغطي رأسه عمامة بيضاء تظهر من أعلاها طاقية سوداء وقد اقتلع البوابة بيده اليسرى واتخذها ترس يصد بها السهام ويحمل سيفه ذوالفقار بيده اليمنى ليضرب به احد جنود اليهود قاطعا رأسه وخلف هذا الجندي هناك جنديان آخران

يحاولان رمي السهام على الإمام علي (ﷺ) وقد صور الفنان مجموعة من المباني على شكل مكعبات داخل الحصن تعبيرا عن العمق. صورة رقم (١٥)

وهناك صورة أخرى من مخطوطة الفألنامة^(٥٦) المحفوظة بمتحف جستر بتي في دبلن تمثل مشهد بانورامي لبعض أحداث المعركة وأهمها قلع باب الحصن من قبل الإمام علي (ﷺ)^(٥٧).

قسم الفنان الصورة إلى ثلاثة أقسام، القسم السفلي من الصورة يظهر شخص يرتدي فرجية ذات لون أزرق فاتح وسروال احمر وتغطي رأسه عمامة بيضاء ويحمل راية بكلتا يديه وأمامه شخص يرتدي ملابس صفراء وتغطي رأسه عمامة بيضاء أيضا وهو ممسك بلجام الفرس وعلى ظهر الفرس بساط تعلوه شعلة نورانية ربما تمثل فرس الإمام علي (ﷺ) وأمامه شخص ممدد على الأرض وقد سقطت خوذته من رأسه ربما يمثل الفارس اليهودي مرحب.

أما في القسم الوسطي فيظهر الرسول الكريم محمد (ﷺ) في الجزء الأيسر راكبا على ظهر حصانه الأبيض ومرتديا قباء أزرق مزين بزخارف نباتية وتحت ثوب اصفر اللون وتغطي رأسه عمامة بيضاء تظهر من أعلاها طاقة حمراء وقد حجب وجهه بستارة بيضاء وتحيط برأسه هالة من اللسنة الذهب وخلفه راية خضراء ربما تمثل الراية التي عقدها للإمام علي (ﷺ) ويقف أمامه شخص يرتدي ملابس بلون برتقالي ، وفي الجزء الأيمن من هذا القسم يظهر احد حصون خيبر المنيعة المتمثل بعمارته الضخمة المتكونة من أبراج مزلعه تعلوها شرفات مسننة ويقف فوق برج المدخل والأبراج الأخرى مجموعة من الرجال وهم يحملون السيوف والأفواس وهناك خندق يحيط بالحصن ويظهر ملاك واقفا في وسط الخندق يرتدي ملابس ذات لون برتقالي وله جناحان ملونان ويحمل الإمام علي (ﷺ) من قدميه ويظهر الإمام علي (ﷺ) مرتديا قباء أزرق مرفوع جزئه الأسفل إلى وسط الجسم وتمنطقا فوقه بنطاق احمر اللون وتغطي رأسه عمامة بيضاء تظهر من أعلاها طاقة حمراء وقد حجب وجهه بستارة بيضاء و تحيط برأسه هالة نورانية من ألسنة الذهب وهو يحمل باب مدخل الحصن الذي قلعه من مكانه وكشف لجيش المسلمين المدخل والذي صورته الفنان بشكل مدخل مستقيم يعلو فتحته عقد مدبب.

أما في القسم العلوي من المصورة فهناك مجموعة من رجال المسلمين يقفون خلف الجبال المحيطة بالمنطقة ويرتدون الزي العربي بألوان مختلفة وتغطي رؤوسهم عمام بيضاء تظهر من أعلاها طاقات واحد هؤلاء الرجال تغطي رأسه خوذة حربية وهؤلاء الرجال يحملون الرايات ذات الألوان المختلفة صورة رقم (١٦).

٧- غزوة فتح مكة.

تعد هذه الغزوة من الوقائع الفاصلة في تاريخ الإسلام التي أعز الله فيها دينه وأذل أعداءه، فهذا الفتح خسر الكفر أهم معاقله وحماته في بلاد العرب، وبعده دخل الناس في دين الله أفواجا وقد اخبرنا

القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَعِذْ بِهِ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) * (٥٨)، فبذلك أصبحت مكة مركزا لدين التوحيد والهداية.

لقد جاء في الأثر إن الرسول (ﷺ) في سنة (٨هـ/٦٢٩م) أمر المسلمين بالاستعداد للخروج إلى مكة نصره لحلفائهم خزاعة بعد نقض كفار قريش لبنود صلح الحديبية بدعمهم قبيلة كنانة إذ أوصى بكنم الأمر عن قريش حتى يباغتها جيش المسلمين ألا ان قريش انتبهوا لخطورة ما أقدموا عليه وأنهم دخلوا في ورطة، فسافر زعيمها أبو سفيان بن حرب إلى المدينة المنورة لعلاج المشكلة وتجديد الصلح مع الرسول محمد (ﷺ)، ولكنه وجد أن فرصة ذلك قد فاتت لأن الرسول (ﷺ) عزم على الغزو وأمر بالتجهز له ، في يوم (١٠ رمضان سنة ٨ هجرية) خرج الرسول محمد (ﷺ) من المدينة لفتح مكة بجيش قوامه اثنا عشر ألف جندي من أصحابه ومن رجال القبائل المسلمة حول المدينة التي طلب الرسول (ﷺ) منهم حضور الفتح فسار الرسول (ﷺ) والمسلمون معه صائمون^(٥٩)، فلما وصل إلى مكان يدعى الجحفة إنلقى بعمه العباس بن عبد المطلب وكان قد خرج بأهله وعياله مهاجرا إلى المدينة، فاصطحبه في طريقه إلى مكة وعندما وصلوا وادي (مَرَّ الظهران) القريب من مكة فركب العباس راحلة الرسول محمد (ﷺ) وانطلق يبحث عن أحد يخبره بمقدم جيش المسلمين لفتح مكة ليبلغ قريشا ويحثهم على طلب الأمان من الرسول (ﷺ) قبل أن يدخلها عليهم محاربا بقوة السلاح فوجد أبو سفيان الذي كان خارج مكة يتجسس الأخبار ونصحه بأن يأتي معه ليطلب له الأمان من الرسول (ﷺ) فذهب معه، ولما دخلا على الرسول (ﷺ) وجرى الحديث بينهم وخرج ابو سفيان مع العباس لمكة ليخبر أهلها ألا ان الرسول (ﷺ) امر العباس بان يحبسه بالوادي حتى يرى جنود الله فحبسه العباس حتى مرت كل القبائل بعدها أسرع أبو سفيان إلى قومه صارخا بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به، فنفرك الناس واحتموا بدورهم ولما وصل الرسول الكريم (ﷺ) إلى ذي طوى قسم جيشه إلى عدة أقسام ليدخلوا مكة ووجههم بأن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم فدخل الجيش الإسلامي مكة اذ دخلها الرسول (ﷺ) من أعلاها والمسلمون بين يديه ومن خلفه وحوله حتى دخل المسجد الحرام فكبروا عدة تكبيرات فأقبل الرسول (ﷺ) إلى الحجر الأسود فاستلمه ثم طاف بالبيت^(٦٠).

تناول الفنان المسلم تفاصيل تلك الحادثة بما استوحاه من الروايات التي وصلتته عن تلك الحادثة فجسدها بصور دقيقة، من بين مصورات تلك الحادثة ، لدينا صورة من مخطوط سير النبي توثق سير الرسول (ﷺ) مع المسلمين لفتح مكة^(٦١).

يظهر الرسول (ﷺ) بالصورة ممتطيا جواده ومرتديا جبة خضراء اللون وتغطي رأسه عمامة بيضاء وحجب وجهه بنقاب وتحيط به هالة من اللسنة الذهب ويتقدمه مجموعة من المسلمين سيرا على الأقدام ويرتدون الزي العربي من جبة وعمامة ويتقدم هذه المجموعة الإمام علي (عليه السلام) مرتديا جبة حمراء وتغطي

رأسه عمامة خضراء وتمنطق سيفة ذو الفقار ويحمل رايتين بكلتا يديه ربما هذه إشارة من الفنان إلى ما ذكرته المصادر التاريخية حول حمل الإمام علي عليه السلام راية جيش المسلمين عندما دخلوا مكة فاتحين بعد ان اخذ الراية من سعد بن عبادة بأمر من الرسول (ﷺ)^(٦٢) وهناك مجموعة من المسلمين يسيرون خلف النبي (ﷺ) ويظهر عدد من الملائكة الطائرة فوقهم ترافق موكبهم وتبدوا عليهم علامات الفرح والسرور ، وقد مثل الفنان البيئة الجبلية لمكة وأضاف عليها أشجار بناءً على بيئته. صورة رقم (١٧)

وهناك صورة في مخطوط مرقعة بهرام ميرزا^(٦٣) التي تعود الى سنة (١٥٤٤م/٩٥١هـ) والمحفوظة بمتحف طوب قابي في إسطنبول تمثل دخول المسلمين إلى مكة^(٦٤).

وفي هذه الصور قد مثل الفنان الكعبة المشرفة وسورها وهي محاطة بعدد من الأبنية ذات الألوان الجميلة التي تمثل مساكن بعض سادة قريش وهناك مجموعة من المسلمين يتدفقون من باب السور والبعض منهم يطوفون حول الكعبة شاكرين الله تعالى على نصرهم وتظهر مجموعة من الملائكة ترفرف بأجنحتها في سماء مكة ويسكبون شيئاً ما من الأنية التي بأيديهم وقد اضفى الفنان صفة البداوة على المكان برسمه لعدد من الجمال التي تطل بأعناقها من بين الخيام. صورة رقم (١٨)

فضلا عن ذلك فقد صور لنا الفنانون المسلمون واقعة تحطيم أصنام المشركين فقد ذكرت صفحات التأريخ ان الرسول (ﷺ) كان في يده قوس يطعن بها الأصنام المنصوبة حول الكعبة فتخر الأصنام ساقطة على وجوهها ويردد قوله تعالى (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)^(٦٥)، وقد اتبعوه المسلمون بتحطيم الأصنام حتى سقطت كلها إلا الصنم هبل الذي كان فوق الكعبة عندها نظر الرسول (ﷺ) إلى الإمام علي (عليه السلام) ودار بينهم حديث لغرض تحطم الصنم هبل فرجع الرسول (ﷺ) الإمام علي (عليه السلام) على ظهره فألقى الإمام (عليه السلام) بالصنم هبل على الأرض محطما^(٦٦).

وهناك صورة من مخطوط روضة الصفا لميرخواند والتي تعود الى سنة (١٠٠٤هـ/١٥٩٥م) توثق هذه الحادثة^(٦٧)، يظهر الرسول (ﷺ) مرتديا اللباس العربي المتكون من جبة وعمامة وقد حجب الفنان وجهه بستارة بيضاء وتحيط برأسه هالة من اللسنة الذهب ، حاملا الإمام علي (عليه السلام) على ظهره والذي يرتدي الزي العربي أيضا المتكون من جبة وعمامة وتحيط برأسه هالة من اللسنة الذهب ، وهو يقوم بتحطيم الأصنام اذ نشاهد احد الأصنام قد سقط على الأرض وتحطم والأخر بيد الإمام علي (عليه السلام) على وشك ان يحطمه والثالث مستقرا في مكانه فوق الكعبة ينتظر دوره من التحطيم ، وعلى جانبي الصورة يقف مجموعة من المسلمين وهم ينظرون الى مشهد التحطيم ، وقد اضفى الفنان على الجدران المحيطة بالكعبة زخارف هندسية إضافة إلى الألوان الزاهية. صورة رقم (١٩).

نستخلص مما سبق ان الفنان المسلم قد صور غزوات الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) كونها محببة للمتلقي محاولا بذلك تخليد جهود الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) والمسلمين الأوائل ومعاناتهم

في سبيل نشر الدين الإسلامي بأسلوب جميل يغني عن الكلام ظننا منه ان بعمله هذا يساند الرسالة الإسلامية بمحاولته إيصال المواعظ والعبر المستقاة من تلك المعارك.

قائمة الهوامش:

- (١) سورة الحج ، الآية ٣٩ .
- (٢) حسن، حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط٧ ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ج١ ، ص١٠٧ .
- (٣) ابا جهل : عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي الكناني كان سيداً من سادات قريش واشد المعادين للرسول (ﷺ) اذ اعلن العداة للدين الإسلامي والمسلمين جميعا وقاد الجيش في معركة بدر الا انه قتل بتلك المعركة على يد الصحابة (رضوان الله عليهم) ؛ الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ج١ ، ص٢٣٦ .
- (٤) ابن كثير ، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) ، البداية والنهاية ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، ١٩٩٧ ، ج٣ ، ص٢٥٧ .
- (٥) ابن كثير ، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) ، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، مكة المكرمة، ١٩٨٨ ج٢ ، ص٣٩٩ .
- (٦) جامع التواريخ: كتاب من تأليف الوزير رشيد الدين فضل الله الهمداني (٦٤٥ - ٧١٨ هـ / ١٢٤٧ - ١٣١٨ م) يوثق تاريخ المغول ومآثرهم من زمن جنكيراخان إضافة إلى تاريخ الكون والأنبياء وملوك الفرس والعرب وزين بالصور الجميلة المعبرة وقد نسخ عدة مرات إذ تحتفظ مكتبات العالم بهذه النسخ ومنها المكتبة الوطنية بباريس ومكتبة جامعة ادنبرة ونسخة أخرى في لندن؛ عكاشة ، ثروت، موسوعة التصوير الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١، ص١٧١ .
- (٧) Martin, F.R The Miniature Painting And Paintres Of Persia India And Turkey from the 8th to the 18th Century, London, 1912, VOL.1, p: 30.
- (٨) عتبة بن ربيعة : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن مناف القرشي ولد في مكة قبل عام الفيل بثلاث سنوات من الشخصيات البارزة في مكة فهو وجيها من وجهائها وحكائها وبارسا من فرسانها كان يمتهن التجارة ويعد من أكابر كفار قريش اللذين رفضوا الدين الإسلامي وقتل بمعركة بدر مع اخوه شيبة وولده الوليد على يد فرسان المسلمين أثناء المباراة؛ الزركلي ، الأعلام ، ص١٩٧-١٩٩ .
- (٩) ابو بلال، مبارك، سلسلة غزوات الرسول (غزوة بدر) ، القاهرة، ٢٠٠٢ ، ص١٣ .
- (١٠) مخطوط سير النبي: وهو من تأليف السيد مصطفى بن يوسف الأرزومي المعروف بالضرير، كتبه عام (٧٩١هـ / ١٣٨٨م) خلال سنوات تعليمه بمصر وقدمه إلى السلطان بقوق نال هذا العمل إعجاب أفراد القصر العثماني فتم نسخة من قبل السيد مصطفى بك ولي والسيد احمد نوري بك

مصطفى والعمل هذا مؤلف من ستة أجزاء تسرد قصة حياة النبي محمد (ﷺ) وثلاث أجزاء منه محفوظة بمتحف طوبقابي باسطنبول ؛ البدرى، شيماء جاسم، مدرسة التصوير العثماني في عصر الوثائق (٩٢٧-١٠٣١ هـ / ١٥٢٠-١٦٢٢م) في ضوء صور المخطوطات، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الآثار جامعة القاهرة، ٢٠١٦، ص ٢٦٥.

(11)Özoguz, Y,Siyer-i-Nebi, Berlin,2009,p:17

(12) سورة الأنفال ، الآية ٩-١٠ .

(13)Özoguz,o.p,c,t, p:18

(14) المدري ، أمير بن محمد ، موسوعة غزوات النبي المصطفى دروس وعبر ، صنعاء ، ٢٠١٦ ، ص ١٢ .
(15) تاريخ نامة: و يعرف بتاريخ البلعمي أيضا وهو الترجمة الفارسية لتاريخ الطبري قام بترجمة ابو علي البلعمي المتوفي سنة (٣٦٣هـ/٩٧٥م) اذ اختصر الكثير من الأحداث المذكورة بتاريخ الطبري وأضاف له العديد من الأحداث الأخرى توجد نسخة منه محفوظة بمتحف فير غاليري بواشنطن مزينة بتصاوير غاية في الدقة والجمال ؛

Peacock ,A.C.S, Mediaeval Islamic Historiography and Political Legitimacy
Bal'ami's Tarikhnamah,London,2007,p:1-6.

Peacock o.p,c,t, p: 16 (16)

(17) عبد الله بن مسعود : ابو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي يعد من السابقين الأولين للإسلام وممن هاجروا الهجرتين وادرك القبلتين وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة وشارك باغلب غزوات الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وكان يصاحبه دائما فروى الكثير من الاحاديث الشريفة توفي سنة (٣٢ هـ / ٦٥٢م) ؛ ابن الأثير ، ابو الحسن بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري(ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، اسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت، ١٩٩٤، ج ٣، ص ٣٨١ .

(18) باوزير، احمد محمد العليمي ، مرويات غزوة بدر، السعودية ، ١٩٨٠ ، ص ٢٢٤ .

(19)Peacock,o.p,c,t, p:17.

(20) الشنقيطي ، احمد بن محمد الأمين بن احمد المختار ، البعث والغزوات ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ص ١٠٠ .

(21) الخاني، احمد ، غزوة يهود بني قينقاع، الرياض، د.ت، ص ١٠ .

(22) سورة آل عمران ، الآية ١٢-١٣ .

(23) البدرى، شيماء جاسم ، " التأثير الصيني في مخطوط جامع التواريخ " ، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، جامعة الكوفة، ٢٠١٨ ، عدد ٢٣، ص ٣١٩ .

(24) الخاني، غزوة يهود بني قينقاع، ص ١١ .

(^{٢٦}) روضة الصفا: روضة الصفا في سير الملوك والأنبياء والخلفاء: مخطوط فارسي من تأليف ميرخواند الشاعر والأديب والمؤرخ الفارسي (٨٣٧-٩٠٣هـ/١٤٣٣-١٤٩٧م) وقد ضمنه التاريخ العام ابتداء من بدء الخليقة الى وفاة السلطان حسين بايقرا سنة (٩١٢هـ/١٥٠٦م) ويقع في ستة مجلدات وقد توفي قبل ان يكمله واتمه ابنه من بعده ويحتوي العديد من الصور الجميلة وقد نسخ الى عدة نسخ وتحفظ العديد من مكنتبات العالم بنسخ منه وهناك نسخة محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة تعود لسنة (١٠١٥هـ/١٦٠٧م)؛ محمد، تامر مختار، "دراسة لفنون الكتاب في ضوء نسخة من الجزء الثاني من مخطوط روضة الصفا في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة"، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، ٢٠٢١، مج ٢٢، ع ١٤، ص ٤٤٥.

(^{٢٧}) محمد، دراسة لفنون الكتاب، ص ٤٦٤.

(^{٢٨}) باشميل، محمد احمد، موسوعة الغزوات الكبرى (غزوة أحد)، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٥٣.

(^{٢٩}) الشنقيطي، البعوث والغزوات، ص ١٠٧.

(^{٣٠})Özoguz,o.p,c.t, p:19

(^{٣١}) طلحة بن عثمان: طلحة بن ابي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي وهو حامل لواء المشركين في معركة احد وكان يدعى بكبش الكتيبة وقتل بتلك المعركة بعد خسارته المبارزة مع الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ الشيخ المفيد، الإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت:٤١٣هـ/١٠٢٢م)، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٨، ج ١، ص ٨١.

(^{٣٢}) أبو بلال، مبارك، سلسلة غزوات الرسول (غزوة أحد)، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٩.

(^{٣٣}) روضة الشهداء: مخطوط إسلامي من تأليف حسين الكاشفي البيهقي ألفه في بغداد سنة (٩٠٨هـ/

١٥٠٣م) وهو تناول فيها مواضيع إسلامية وخاصة شهادة الإمام علي (عليه السلام) واهل بيته الأطهار وتوجد منه نسخة تعود إلى سنة (٩٩٩هـ/١٥٩٠م) محفوظة بمكتبة ديز الدولية في برلين تحتوي على اثني عشر صورة؛ البيهقي، كمال الدين حسين واعظ كاشفي (ت:٩١٠هـ/١٥٠٤م)، روضة الشهداء، تحقيق: محمد روشن، طهران، ١٩٨٩، ص ٥-١٥.

(^{٣٤}) الصورة من مخطوطة روضة الشهداء المحفوظة بمكتبة ديز الدولية في برلين تحت الرقم (Diez A fol 5) وتوجد منها نسخة الكترونية في مركز تصوير المخطوطات وفهرستها التابع للعتبة العباسية المقدسة.

(^{٣٥}) محمد، دراسة لفنون الكتاب، ص ٤٦٥.

(^{٣٦}) المدري، موسوعة غزوات النبي المصطفى، ص ٣٢.

(^{٣٧})Özoguz,o.p,c.t, p:20.

(^{٣٨}) الشنقيطي، البعوث والغزوات، ص ١٥٨.

(٣٩) عبد الله بن أبي بن سلول الأزدي: من كبار رجال الخزرج ورجلا مطاعا في قومه، عندما كانت يثرب تعاني من التوتر الكبير بين قبائل الأوس والخزرج اتفق الطرفان على التنصيب عبد الله بن أبي بن سلول حاكما على المدينة ، ألا ان هجرة الرسول (ﷺ) لها واجتماع القبائل حول راية الإسلام جعل من ذلك التنصيب يذهب هباءً فحقد ابن السلول على الرسول (ﷺ) وعلى الدين الإسلامي حتى انه عرف بزعيم المنافقين لما كان له من دور كبير في اشعال الفتن ؛ المجلسي، محمد باقر (ت ١١١٠هـ / ١٦٩٨م) ، بحار الانوار، تحقيق : مجموعة من العلماء ، بيروت، (د.ت.)، ج٩٠، ص ٨١

(٤٠) الخاني ، احمد ، غزوة يهود بني النضير، الرياض ، د.ت. ، ص ٤-٧.

(٤١) سورة الحشر ، الآية ٢- ٤ .

(42) Martin, o.p.c.t, p:29.

(٤٣) الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/٩٢٣م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧، ج ٢، ص ٥٦٤.

(٤٤) ولي، عبد العزيز محمد نور عبد القادر، " غزوة الأحزاب الموقع والحدث"، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الزقازيق، مصر، ٢٠١٧، ج ٧٤، ص ٣٢٩٥.

(٤٥) علي، فاروق محمد، الاستحكامات الدفاعية في تخطيط المدن والعمارة الإسلامية في العراق حتى نهاية العصر العباسي، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الآداب جامعة بغداد ، ٢٠٠٦، ص ٥٢.

(٤٦) ابن الجوزي ، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا ، بيروت ، ١٩٩٢، ج ٣، ص ٢٣٣

(٤٧) ولي، غزوة الاحزاب ، ٣٢٩٧.

(٤٨) الصورة منشورة على الرابط / <https://asia.si.edu/object/F1947.19>

(٤٩) الصورة منشورة على الرابط / <https://artsandculture.google.com/asset/folio-from-a-rawd-at-al-safa-by-mirkhwand-d-1498-verso-the-prophet-watches-ali-behead-a-foe-recto-illuminated-text-calligrapher-inayatullah-al-katib-al-shirazi-author-khwandshah-mirkhwand/yQE6iVNrw9LzdQ>

(٥٠) المدري ، ، موسوعة غزوات النبي المصطفى ، ص ٤٣.

(٥١) سورة الفتح ، الآية ٢٠.

(٥٢) مرحب: قائد يهودي يدعى مرحب بن أبي زينب او مرحب بن الحارث كان طويل القامة ضخم البنية وكثير المال وصاحب احد الحصون المنيعه في خيبر وبعد من اشجع فرسان يهود خيبر و اقواهم حتى انه لم يستطع احد مبارزته من المسلمين غير أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) وقتله بعد ان ضربه بسيفه ذوالفقار على رأسه فأنتشر رأسه ؛ العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، بيروت، ١٩٩٤، ج ٤، ص ٤٦٦.

(٥٣) الزيدي، علي ، خيبر في التأريخ، بيروت ، ٢٠١٧، ص ١٢٤-١٢٦.

(٥٤) كليات حافظ: مخطوط إسلامي من تأليف الكاتب حافظ أبو المتوفى سنة (٨٣٣هـ / ١٤٣٠م) كتبها للأمير شاه رخ وزوقت بالصور وهناك العديد من نسخ هذه المخطوطة موزعة بمكتبات العالم منها نسخة بدار الكتب المصرية ونسخة أخرى بمتحف طوبقابي بإسطنبول تعود إلى بداية القرن الثامن الهجري / الخامس عشر الميلادي ؛ عكاشة، موسوعة التصوير الإسلامي، ص ١٧١.

(٥٥) عكاشة ، موسوعة التصوير الإسلامي، ص ١٧١.

(٥٦) الفألنامة: ويعرف بكتاب الفأل أو الحظ لان محتواه يتحدث عنهما وهو من تأليف قلندارباشا المتوفى

سنة (١٠٢٥هـ / ١٦١٦م) وقد انجز هذا المخطوط للسلطان احمد الاول وتم نسخه عدة مرات

يحتفظ متحف طوبقابي بنسختين منه وهن مزدانات بالصور الجميلة ؛ دنيا ، أسماء شوقي احمد ،

الأزياء في تصاوير المخطوطات التركية العثمانية حتى نهاية القرن ١٣هـ / ١٩ م " دراسة أثرية

فنية" ، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الآثار جامعة القاهرة ، ٢٠١٧، ص ٤٨١.

(٥٧) الصورة من منشورات متحف جستر بتي على الرابط / <https://artsandculture.google.com/asset/ali-fighting-to-take-the-fortress-of-qamus/ZgE6NhDAUyq5SQ>

fighting-to-take-the-fortress-of-qamus/ZgE6NhDAUyq5SQ

(٥٨) سورة النصر ، الآية ١-٣.

(٥٩) العلي، إبراهيم ، صحيح السيرة النبوية ، الأردن، ١٩٩٥، ص ٤٠٢.

(٦٠) القحطاني ، عبد الرحمن سعيد علي وهف، غزوة فتح مكة في ضوء السنة المطهرة، تحقيق: سعيد بن علي القحطاني، الرياض، ٢٠٠٢، ص ١٧٥-٢١٤.

(٦١) عبد النور، حسن نور ، صور المعارك الحربية في المخطوطات العثمانية دراسة أثرية فنية ، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٨٩، ص ١٦٧.

(٦٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣، ص ٥٦.

(٦٣) مرقة بهرام : وهي مجموعة من الصور ومن نماذج فن الخط لأعلام المصورين والخطاطين اعدھا الفنان الفارسي (دوست محمد) إلى الأمير بهرام ميرزا اخو الشاه طهماسب بعد ان طلب منه الأمير ذلك في سنة (٩٥١هـ / ١٥٤٤م) والان محفوظة في متحف طوبقابي في إسطنبول ؛ عكاشة ، موسوعة التصوير الإسلامي ، ص ٣٣٤.

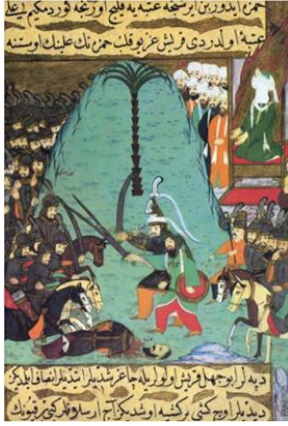
(٦٤) عكاشة، موسوعة التصوير الإسلامي، ص ١٥٤.

(٦٥) سورة الإسراء، الآية ٨١.

(٦٦) الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله بن احمد (ت: ٤٩٠هـ / ١٠٩٦م) ، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ، تحقيق : محمد باقر المحمودي، بيروت، ٢٠١٠، ج ١، ص ٣٥٠.

(٦٧) عكاشة ، ثروت، التصوير الإسلامي الديني والعربي، بيروت، ١٩٧٧، ص ٤٥.

الصور



صورة رقم (٢) المبارزة قبل بدء القتال في معركة بدر
Özoguz, Siyer-i-Nebi,p:17



صورة رقم (١) النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)
يجتمع بأصحابه قبل معركة بدر
Martin, The Miniature Painting,p:30



صورة رقم (٤)
اشتداد القتال بين الجيشين في معركة بدر
Peacock, Mediaeval Islamic Historiography,p:16



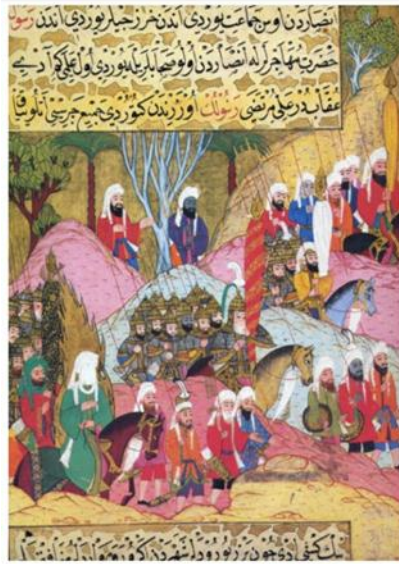
صورة رقم (٣)
نزول الوحي على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)
في معركة بدر
Özoguz, Siyer-i-Nebi,p:18.



صورة رقم (٦)
البيدي، التأثير الصيني، ص ٣١٩



صورة رقم (٥) مقتل أبا جهل
Peacock, Mediaeval Islamic
Historiography, p:17



صورة رقم (٨) مسيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)
لقتال المشركين بمعركة احد
Özoguz, Siyer-i-Nebi, p:18



صورة رقم (٧)
حصار المسلمين لحصون بني قينقاع
محمد، دراسة لفنون الكتاب، ص ٤٦٤



صورة رقم (١٠) القتال بين الجيشين في معركة احد
محمد، دراسة لفنون الكتاب، ص ٤٦٥



صورة رقم (٩) اشتداد القتال بين جيش المسلمين وجيش
المشركين بمعركة احد



صورة رقم (١٢) غزوة بني النضير

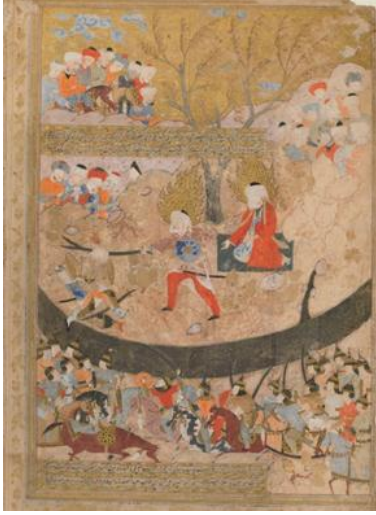
Martin, The Miniature Painting,p:29



صورة رقم (١١) مشاركة النبي محمد (صلى الله عليه

واله وسلم) بالقتال في معركة احد

Özoguz, Siyer-i-Nebi,p:20



صورة رقم (١٤) مقتل عمر بن ود العامري على يد الإمام علي (عليه السلام) في معركة الخندق

[oogle.com/asset/folio-from-a-rawdat-al-safa](https://www.google.com/asset/folio-from-a-rawdat-al-safa)



صورة رقم (١٣) المناورة قبل القتال بين الإمام علي (عليه السلام) وعمر بن ود العامري في معركة

الخندق

<https://asia.si.edu/object/F1947.19>



صورة رقم (١٦) قيام الإمام علي (عليه السلام) بقلع باب خيبر



صورة رقم (١٥) جانب من معركة خيبر
عكاشة، موسوعة التصوير الإسلامي، ص ١٧١



صورة رقم (١٨) دخول المسلمين إلى مكة
عكاشة، موسوعة التصوير الإسلامي، ص ١٥٤



صورة رقم (١٧) مسيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) واله
وسلم

مع المسلمين لفتح مكة عبد النور، صور المعارك
الحربية، ص ١٦٧



صورة رقم (١٩) تحطيم أصنام مكة
عكاشة، التصوير الإسلامي الديني، ص ٤٥

الشائعة وأثرها على الفرد والمجتمع

The Rumor and its impact on the individual and
society

م.م. سرباست عثمان بكر
جامعة السليمانية / إقليم كردستان العراق

SARBAST OTHMAN BAKR

assistant teacher

University of Sulaymaniyah / Kurdistan Region of
Iraq

٠٠٩٦٤٧٧٠٣٥١٨٠٩٢

sarbast.bakr@univsul.edu.iq

الشائعة وأثرها على الفرد والمجتمع

م.م. سربست عثمان بكر

الملخص:

من الواضح أن بداية هدم أي شيء تبدأ بتغيير واقعه وجعله على غير واقعه، وتبدأ هدم المجتمع وتشويه سمعة أفراده لاسيما الوجهاء والقادة منهم، بتغيير واقع أمرهم وصيبتهم، وكل ذلك يحصل عن طريق نشر الشائعات والأخبار المكذوبة، والإتيان بما هو غير صحيح وغير واقع منهم، بغية عرض من الدنيا، أو عداوة أو انحراف مطلق الشائعات عن طريق الحق.

لذلك جاء البحث ليلسط الضوء على جانب من هذا المرض العضال، الذي ابتلي به عدد غير قليل من الناس، وأصبحوا يرددون أو حتى يختلقون الشائعات دون تردد، ولا رادع، وتعرف الشائعة على أنها معلومة غير متحقق من صحتها تتناقل من شخص لآخر، وفي الكثير من الحالات يكون لكلمة الشائعة دلالات سلبية، وتنقسم إلى نوعين رئيسيين بالنسبة لنية مطلقها، وهما: المعلومات الخاطئة والتي يروجها الأفراد دون نية الخداع والتضليل، والمعلومات المضللة، التي يبث بغرض التضليل والتحايل على الناس لتحقيق مكسب اقتصادي أو سياسي، بيد أنه ومع اختلاف الدوافع وراء اطلاق الشائعة، إلا أن لها نفس التأثير على الفرد والمجتمع، بما أنها تعرقل وتخفف من حد القدرات على فصل الحق من الباطل والجيد من السيء والنافع من الضار، واتخاذ القرارات الصائبة المستقبلية، وأحيانا ما تكون ثمة عواقب وخيمة لقرارات اتخذت بناءً على شائعات ومعلومات غير متحقق من صحتها.

ولا يمكن أن يتم تجاهل الشائعات باعتبارها مجرد ثرثرة داخل أذنة أو أفضية بعينها، حيث أن لأغلبها أكبر تأثير على سامعيها وملتقطيها، ومع ذلك فإنه يمكن استغلال قوتها بشكل يعود بالفائدة على المؤسسات والجهات وحتى الأفراد، فقد تعطي تحذيراً مبكراً عما سيحدث قريباً من أزمات اقتصادية وسياسية، بحيث يمكن تفادي العواقب الوخيمة قبل الكارثة.

Abstract:

It is clear that the beginning of demolishing anything begins with changing its reality and or making it different from its reality, and it begins with the demolition of society and distorting the reputation of its members, especially the notables and leaders among them, by changing the reality of their affairs and their will. In order to display from the world, or the enmity or deviation of those who spread rumors from the path of truth.

Therefore, the research came to shed light on an aspect of this incurable disease, which has plagued quite a few people, and they are repeating or even fabricating rumors without hesitation, or deterrence, and the rumor is known as unverified information transmitted from one person to another, and in many Cases The word rumor has negative connotations, and it is divided into two main types in relation to the intention of its launchers, namely: false information that is promoted by individuals without the intention of deceiving and misleading, and misleading information, which is broadcast for the purpose of misleading and deceiving people to achieve an economic or political gain, however, with different motives behind launching Common rumors, however, have the same effect on the individual and society, since they impede and reduce the ability to separate the right from the wrong, the good from the bad, the beneficial from the harmful, and the right future decisions, and sometimes there are serious consequences for decisions taken based on rumors and unverified information from her health.

Rumors cannot be ignored as mere gossip within certain alleys or districts, as most of them have the greatest impact on their listeners and pickers, however, their power can be exploited in a way that benefits institutions, agencies, and even individuals, as it may give an early warning of what will happen soon in economic and political crises, so that the dire consequences can be avoided before the disaster.

الكلمات المفتاحية:

أثر / شائعة / فرد / مجتمع

Keywords:

impact/ individual/ Rumor/ society

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

أما بعد: تميل النفس الإنسانية دوماً إلى تنظيم المعلومات بطريقةٍ تحقق أكبر قدرٍ من الوضوح والانتظام والكمال، وعندما يسمع الإنسان خبراً غامضاً يميل فوراً إلى تبسيطه ليكون واضحاً، وفي حال عدم توفر معلوماتٍ كافيةٍ لذلك يميل إلى سدّ هذه الثغرة وتعويض هذا النقص في المعلومات، وإذا لم يستطع تحصيل ذلك من المصادر الموثوقة يستعين بمصادر أخرى من أوساط الناس والمجتمع، أو من وكالات الأنباء المختلفة وغيرها من وسائل الإعلام المتعدّدة أو بالأخير من عند نفسه ومخيلته... وهذه الأوساط كلها قد تكون بؤراً لبتّ الأخبار الملقّقة الكاذبة والشائعات، مما يؤدي إلى نتيجتين سيئتين:

١- تصديق الشائعة أو الخبر الكاذب أولاً.

٢- ثم المشاركة في نشره وتوسيع دائرة انتشاره في المجتمع.

إن الشائعة مرض خطير، داءٌ ينخر في عظام المجتمع، خاصة بعد أن أصبحت مهنة من لا مهنة له، ومن النادر أن يجتمع القوم في مجلسٍ إلا ويخالط حديثهم بعض التجاوزات يكون للشائعة منه النصيب الأكبر والحظ الوافر.

وأن الله -تعالى- قد وجه النفس البشرية إلى ما يحقق لها سعادتها في الدنيا والآخرة في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

ولو نظرنا إلى مسألة (الشائعة) اليوم لوجدناها مشتملة على كثير من المغالطات وقلب الحقائق، والإذعان لما يسوق في المجالس والإعلام من كلام مخالف للحقيقة، وهذا يعني استمرار الظلم والقبول بزخرف القول، وكل يوم تطلع فيه الشمس تطلع معها (شائعة) جديدة، ويطلع معها متطفلون يتعاهدونها بالشائعة والتأييد والتنطع ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أُمُورِكُمْ وَتُنْصَبُ عَلَيْكُمْ وَتُنْصَبُ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، فكم سمع

المسلمون من الأذى والإهانة والتشكيك في وحدة صفهم وكلمتهم، وهذا ليس بغريب بل هو سنة ماضية، إنما الغريب أن يساعد في نشر أذاهم شريحة من المسلمين، أو بعض الغيورين الذين خرجت عاطفتهم وحماستهم عن الحد الشرعي لها، فأعانوا -على حسن نية- على زيادة الجراح، ونشر الشائعة.

ولو بحثنا عن سبب الآثار المترتبة عن الشائعة لوجدنا أن النواة والبذرة الأولى هي عدم التثبت في الأخبار، وأخذها جزافاً دون تمحيص أو نقد.

ولو رجعنا إلى مبادئ الإسلام في مثل هذه الأمور لما حدث ما حدث، وما يحدث الآن، وما سيحدث - والعلم عند الله - من تناقض الأخبار والمصادر، فهذا ينفي، وهذا يثبت، وذاك يشكك، وآخر يؤكد، فكم من حي قد أميت، وكم من ميت قد أحيى، وكم من ضال شاع أمره بأنه أصبح من الأولياء، وكم من صالح ذكر أنه نكص على عقبيه، وكم من بريء قد اتهم، وكم من متهم حوله قرائن وشواهد قوية قد برئ براءة كاملة فاختلف الحابل بالنابل.

فما مبادئ الإسلام في مثل هذا الأمر؟

منهج عظيم، وميزان دقيق أدق من ميزان الذهب في بيان صحيح الأخبار من سقيمها يتمثل في نصوص كثيرة على رأسها: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ» [الحجرات: ٦]، نداء وأمر بالتبين وتحذير ثم بيان العاقبة الوخيمة في حالة عدم التروي والتثبت. أمّا النصوص الثابتة في السنة فكثيرة منها:

قوله -صلى الله عليه وسلم-: "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع". (ابو داود: ٤٩٩٢).

أما كلام العلماء في التثبت في الرواية فأشهر من أن يحصر، بل عقدوا له أبواباً في كثير من كتبهم وخاصة فيما يتعلق بكتب مصطلح الحديث، فمن ذلك قول مالك لابن وهب: اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع، ولا يكون إماماً أبداً وهو يحدث بكل ما سمع.

أسباب اختيار الموضوع:

١- التأثير الكبير الذي يخلفه كل رسالة (خبراً كان أو شائعة) على المستقبل.

- ٢- العلاقة الكبيرة بين الخبر الصحيح والشائعة، إذ أن الشائعة دائما تشتمل على فتات من الأخبار وبالتالي تشتمل على جانب من الحقيقة.
- ٣- صعوبة غربلة فتات الخبر الصحيح من الشائعة.
- ٤- الرابط بين التربية والتنشئة الاجتماعية من جانب، وما يسمعه الفرد من أخبار صادقة وشائعات يومية من جانب آخر.

أهداف البحث:

- ١- بحث قوة كل داعٍ ومعلنٍ، سياسي واجتماعي وتربوي، وكيفية ارسال رسالاتهم.
- ٢- بيان المميزات التي يتميز بها ناشر الأخبار وناشر الشائعات.
- ٣- معرفة الضوابط الاساسية لاختيار ومتابعة الأخبار والشائعات.
- ٤- معرفة مدى ذكاء مرسل الخبر والشائعة في إسراع عملية التغيير الاجتماعي التي تحصل عند المستقبل.
- ٥- معرفة الدوافع الخاصة وغيرها عند ناشري الشائعات.
- ٦- معرفة اشكال الشائعات وأنواعها بهدف اجتنابها ومعالجتها.
- ٧- معرفة ما يتناسب عند معالجة الشائعة من أساليب ووسائل.

اشكالية البحث:

تتمحور إشكالية هذا البحث في ماهية الدور الحقيقي للفكر الإسلامي في معالجة الشائعات والأخبار المغلوطة، وما هي الوسائل والأساليب المتبعة في ذلك، مع بيان السبل الكفيلة بالحد من الآثار السلبية الناجمة عنها في المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية.

منهجية البحث:

والمنهجية المتبعة هي منهج وصفي-تشخيصي، بهدف كشف المظاهر المتميزة للخبر والشائعة، وبيان الطرق الصحيحة للفرق بينهما وكيفية قبولهما أو دحضهما.

مخطط البحث:

يتكون البحث من ثلاثة مباحث، وكل مبحث إلى مطلبين:

المبحث الأول: الخبر، أنواعه وضوابط قبوله.

المطلب الأول: مفهوم الخبر وأنواعه.

المطلب الثاني: ضوابط قبول الخبر.

المبحث الثاني: الشائعة وأثرها في المجتمع.

المطلب الأول: مفهوم الشائعة ومصادرها.

المطلب الثاني: القيمة الزمنية للشائعة وأثرها في المجتمع.

المبحث الثالث: أساليب ووسائل معالجة الشائعات.

المطلب الأول: أساليب ووسائل إسلامية في معالجة الشائعة.

المطلب الثاني: أساليب ووسائل إعلامية في معالجة الشائعة.

- الخاتمة.

- المصادر.

المبحث الأول: الخبر، أنواعه وضوابط قبوله.

أصبحنا اليوم في عالم يعيش على الأخبار وبالأخبار، وأصبح المواطن العادي في كل بلد يسأل عن الأخبار، ويطلبها ويحرص على الوقوف عليها من مصادرها المتاحة له، ولم يعد اهتمام هذا المواطن مقتصرًا على أخبار بلده، على أهميتها ووفرتها، ولكن تجاوزها إلى أخبار البلاد الأخرى يتابع مشكلات العالم وأحداثه، وبخاصة تلك التي تتصل ببلده أو البلاد التي تشارك بلده نفس المصير، وأصبحت أخبار ما تفعل أو تقول الشخصيات العالمية مألوفة لديه ومثيراً لاهتمامه.

ومع التقدم الهائل الذي تحرزته البشرية في المادة الإعلامية ووسائلها الحديثة، فإن الخبر ما يزال يمثل حجر الأساس في العملية الإعلامية، وتتفرع منه باقي الأنواع العمليات الصحفية الأخرى، كالتحقيق والتحليل والمقال والتقرير والقصة الإخبارية بمفهومها الجديد في الإعلام الأمريكي^(١).

المطلب الأول: مفهوم الخبر وأنواعه.

تمثل الأخبار جانبا مهما داخل عالم الإعلام في عالمنا المعاصر، وتبقى باستمرار السبيل الأهم في متابعة الأحداث وتطوراتها، ويمثل (الخبر) عنصراً أساسياً في العملية الإعلامية، سواء في مجال الصحافة أو الإذاعة أو قنوات التلفزة وشبكات البث الفضائي والعنكبوتي. فصناعة الأخبار وأساليب إعدادها وإخراجها قد شهدت تطوراً كبيراً في سنوات العقد الأخير من القرن الماضي، وقد امتد ليشمل لغة الخبر وصياغته وتحريره والشكل الذي يصل به إلى المتلقي، لذلك فقد أولاه الباحثون أهمية خاصة، انسجاماً مع تلك التطورات الكبيرة التي تشهدها الصحافة والإعلام في نظرتنا إليها كعلم وفن وصناعة^(٢).

أولاً: مفهوم الخبر.

أ- تعريف الخبر لغة واصطلاحاً.

تمثل الأخبار ركنا مهما من أركان الإعلام وأداة بارزة تمكن الجماهير من التواصل مع الأحداث المحلية والعالمية، كما تمثل واحدة من الوسائل الأساسية التي تتيح تكوين الانطباعات وتشكل الاتجاهات، فضلاً عن أحداث التأثير في العلاقات الدولية. ونأتي إلى التعريف، حيث أن:

١- الخبر لغة:

"واحد الأخبار، وأخبره أنبأه، واستخبر سأل عن الخبر وطلب أن يخبر، وخبرت بالأمر أي علمته، والخبر هو ما أتاك من نبياً"^(١)، و "أن الخبر هو استجلاء لبواطن الأمور مما يوصل إليها بالخبر اليقين"^(٢).

والخبر عرفاً ولغةً هو ما ينقل عن الغير وهو مرادف النبأ وأن النبأ خبر مقيد بكونه عن أمر عظيم^(٣)، وفي المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية فيرى أن "الخبر هو ما ينقل ويحدث به قولاً أو كتابة"^(٤).

وفي القرآن الكريم ورد الخبر في مواضع كثيرة بمعنى النبأ وهو ما اتفقت عليه كثير من المصادر، والخبر "هو العلم بالأشياء المعلومة من جهة الأخبار وخبرته وأخبرت أي علمت بما يحصل، وقيل المعرفة ببواطن الأمور"^(٥) كما جاء في الآية الكريمة: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَذَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

٢- الفرق بين الخبر والنبأ.

النبأ بمعنى الخبر، قال الله تعالى: ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩] وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحریم: ٣].

وجاء في لسان العرب^(١): (النبأ: الخبر، والنبوء المخبر عن الله عز وجل، لأنه أنبأ عنه، وهو فعيل بمعنى فاعل. وقال الفراء^(٢) النبي: هو من أنبأ عن الله فترك همزه، قال: وإن أخذ من النبوة والنبوة وهي الارتفاع عن الأرض-أي أنه شرف على سائر الخلق- فأصله غير الهمز).

قال ابن تيمية: (وهو "أي لفظ النبي" من النبأ، وأصله الهمزة وقد قرئ به، وهي قراءة نافع يقرأ النبيء، لكن لما كثر استعماله لينت همزته كما فعل مثل ذلك في الذرية، وفي البرية، وقد قيل هو من النبوة، وأيضا فإن تصريفه أنبأ ونباً ينبئ وينبئ بالهمزة، ولم يستعمل فيه نبا ينبو، وإنما يقال هذا ينبو عنه، والماء ينبو عن القدم إذا كان يجفو عنها، ويقال النبوة، وفي فلان نبوة عنا أي مجانية، فيجب القطع بأن النبي مأخوذ من الإنباء لا من النبوة)^(٣).

٣- الخبر اصطلاحاً:

تعددت تعريفات الخبر وتشعبت تشعباً كثيراً بالنظر للأهداف والتوجهات والزوايا التي ينظر من خلالها للأخبار، وأن محاولة حصر وجمع وتصنيف كل التعريفات المقدمة للخبر الصحفي مهمة صعبة لا تقل صعوبة عن تقديم تعريف للخبر "فمن ناحية يوجد كم هائل من التعريفات المطروحة بطريقة يصعب حصرها وسردها وتزداد الصعوبة إذا علمنا أن الكثير منها مكرر وبعبارات تماثل عدد العاملين في ميدان الصحافة"^(٤).

والخبر هو^(١):

مادة إعلامية تسمح ببيع الجريدة وتجعل الناس يستمعون إلى الإذاعة ويشاهدون التلفزيون ويتصفحون المواقع الإخبارية. أو نقل وقائع تهم القراء والمستمعين والمشاهدين وتقديمهم. وهو رواية مختصرة لأحداث ووقائع وأفكار تشد انتباه الناس وتساعدهم على التعامل مع محيطهم. أو كل ما يجله القارئ قبل قراءة الجريدة. وكل ما يشد انتباه أكبر عدد من القراء. وهو كل ما يحدث ويهتم به الناس. أو كل ما قد يتحدث عنه الناس. وكل ما يثير فضول الناس. أو الاستطلاع الدقيق للأحداث الإنسانية والآراء التي تهم الناس وتؤثر فيهم.

ويرى "جيرالد وجونسون" أن "الخبر هو ذلك التقرير عن تلك الأنواع من الأحداث التي يجد الصحفي من الدرجة الأولى نفسه مرتاحاً كصحفي إلى كتابتها ونشرها"^(٢). وأورد جلال الدين الحمامصي تعريفاً للخبر لا يختلف كثيراً عن فئات سابقة في مجال إعطاء الأولوية لخيارات رئيس التحرير وما يهم القراء والمتابعين، فهو يرى أن "الخبر هو كل خبر يرى رئيس التحرير أو رئيس قسم الأخبار في جريدة ما أنه جدير بأن يجمع ويطلع وينشر على الناس لحكمة أساسية هي أن الخبر في مضمونه يهم أكبر جمع من الناس"^(٣).

والملاحظ أن التعريفات السابقة تركز على ذكاء رؤساء التحرير في خيارات الأخبار، غير أن آخرين زادوا عناصر أخرى في تعريفات الخبر، رأوا أنها مهمة لكونها ذات طابع ترويجي، ويأخذون الخبر على أنه الإثارة والغرابة والخروج عن المألوف، فيعرف "ثورث كليف" الخبر على هذا الأساس وظل مثله "إذا عض الكلب إنساناً فليس هذا بخبر، ولكن إذا عض الإنسان كلباً فهذا هو الخبر"^(٤).

ويسير "جوزيف بوليتزر"^(١) في نفس الاتجاه، فهو يرى أن "الخبر يوجد عندما توجد الجودة والتميز والدراما والرومانسية والإثارة والتفرد وحب الاستطلاع والطرافة والفكاهة"^(٢).

ثانياً: أنواع الخبر.

تتنوع الأخبار تنوعاً كبيراً، ولا شك أن عناصر الأخبار تؤثر في نوعيتها، فبعض العناصر تحدد أنواعاً بعينها من الأخبار، كأخبار الكوارث الطبيعية، والأخبار العلمية الاستكشافية، والأخبار الاقتصادية، بحيث أنه يمكن تصنيف الأخبار حسب العناصر التي تدخل في تكوينها وتضفي عليها صفة الخبر، ولكن ثمة أكثر من تصنيف للأخبار، وسنورد بعض التصنيفات الرئيسة التي قد تساعد في تمييز الأخبار وفهمها ومعرفة مصادرها:

١- التقسيم المكاني الجغرافي^(٣): وتصنف الأخبار وفق هذا التقسيم إلى: الداخلية أو المحلية والخارجية أو الدولية أو العالمية.

٢- التقسيم الزمني^(٤): وهو نوعان: المتوقعة وغير المتوقعة.

٣- التقسيم النوعي^(٥): وهو ثلاثة أنواع: القصير والموضح والمركب.

٤- التقسيم حسب الموضوع (التقسيم التقليدي)^(١): كتصنيف الأخبار إلى أخبار سياسية أو أخبار اقتصادية أو رياضية أو فنية.

٥- التقسيم النمطي^(٢): وبحسب هذا التقسيم يكون الخبر أربعة أنواع: الصحفي والإذاعي والتلفزيوني والالكتروني.

٦- التقسيم حسب الجاهزية والصنع^(٣): وهو نوعان: الجاهز والمصنوع.

٧- التقسيم حسب التجريد والتفسير^(٤): المجرّد والمفسر.

وفيما يتعلق بكلمة "خبر" فقد وردت في القرآن في موضعين، وكلاهما يتعلق بالنبي موسى عليه السلام وهو يسير بأهله من مدين إلى مصر، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل:٧]، وقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩].

وفي الآيتين قال موسى عليه السلام سأتيكم ولعلي آتيكم بخبر، ولم يقل نبأ، لأنه كان يتكلم عن مشهد قائم مائل للعيان عندما رأى النار، وتوقع أن يجد عندها خبر الطريق أو يقبس منها فيستدفي هو

وأهله، ومضى إلى النار التي أنسها ينشد خبراً، فإذا هو يرجع منها بخبر عظيم، حيث تلقى النداء الأسمى وهو الاصطفاء الذي وراءه التكليف بحمل الرسالة إلى أكبر الطغاة في الأرض في ذلك العصر^(١)، "وواضح من الآيات الكريمة أن كلمة (خبر) في المفرد وكلمة (أخبار) قد استعملها القرآن الكريم في الكشف عن الوقائع القريبة الوقوع عند نزول القرآن والملاحظ من الآيتين الكريمتين أن النبي موسى عليه السلام لم يكن يعلم ماذا عند النار لأنه لو كان يعلم ما سيرجع به من الخبر العظيم لقال سأتيكم منها (بنبأ) ولكنه قال سأتيكم ولعلي آتيكم منها (بخبر) لأنه لم يكن يعلم"^(٢)، والخبر عند علماء الحديث مرادف لمعنى الحديث ويطلق اللفظان على المرفوع، والمقطوع وعلى الموقوف، وقيل الحديث ما جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام والخبر ما جاء عن غيره. وأشار مفسرون كثيرون إلى أن كلمتي خبر ونبأ مترادفتين لغوياً وتحيلان إلى ذات المعنى؛ فيما انفرد الممارسون الإعلاميون باستعمال كلمتي أنباء وأخبار بذات الصيغة وقرنوها بالمعاني التطبيقية لهما.

المطلب الثاني: ضوابط قبول الخبر.

تشير الدراسات والنظريات الإعلامية الوضعية إلى ضرورة تمتع القائم بالاتصال بالحرية الكاملة في البحث عن الأخبار وتتبع المصادر، ومن حقه وفق هذه النظريات جميعاً أن يتبع كل الطرق والمسالك في سعيه لاستقاء الأخبار، وتسقط هذه النظريات أهمية الوسيلة التي اتبعها في الحصول على ما يسمى "سبقاً صحفياً" ومدى مشروعيتها من الجانب الأخلاقي أو القانوني بقدر ما تهتم بتحقيق الانفراد، وكسب الرهان التجاري دون مراعاة أثر نشر الخبر وانعكاساته على الجمهور.

من هنا كان من الواجب اعتماد بعض الضوابط المهنية والقانونية والشرعية لنقل الأخبار وقبولها من مصادرها، كما صرّح وصرّح بعض الجمعيات والنقابات والمؤسسات الصحفية والإعلامية في موثيق شرف عملها ونظامها الداخلي، إلى ضرورة وجود هذه الضوابط، منها^(١):

- ١- الدقة والمصادقية والشفافية، وذلك عبر التحقق من صحة الأنباء دون مغالطات أو افتراءات أو تزييف للحقائق أو تضليل للرأي العام، ووضع المعلومات والصور في سياقها، وعدم نقل أي أخبار أو معلومات تم التأكد من عدم صحتها.
- ٢- الموضوعية والحيادية والاستقلالية، والتفرقة بين التغطية الإخبارية المجردة وبين التعبير عن وجهة النظر الشخصية أو القناعات الأيدولوجية، وعدم صياغة الأخبار بأسلوب قد يدل على الانحياز

لأيديولوجية سياسية أو معتقد طائفي معين، وعدم الانحياز إلى الدعوات العنصرية أو التي تتطوي على ازدراء الأديان أو كراهيتها.

٣- التجريد من التشويه أو التزييف أو التضليل أو سوء النية، ونسب الأقوال والأفعال إلى مصادر معلومة قدر الإمكان، ومراعاة أن يكون عنوان الخبر معبراً بدقة عن محتواه وضرورة ذكر مكان الحدث وتاريخه.

وإذا كان الخبر يمثل حجر الأساس في العملية الإعلامية ككل فقد شمله المشرع بقواعد حكيمة وضوابط سليمة تنظم التعامل معه جمعاً ونشراً وتداولاً، وتجعل منه أداة لنشر الكلمة الطيبة وترسيخ السلوك القويم، وتأسيس النموذج الأمثل للفرد، "وبذلك نجد أن القرآن قد اهتم بكلمة خبر ومرادفاتها، كما اهتم بالرسائل الإخبارية في ذاتها وبصياغتها وأسلوبها الذي يجمع بين الدقة والوضوح والإيجاز غير المخل بالمعنى والتفصيل البعيد عن الحشو والكلام الزائد الذي لا موضع له وحسن العرض في فنية رقيقة دقيقة"^(٢). "وأن استجلاء الملامح الأساسية لصناعة الأخبار يقتضي التأمل في طبيعة الركائز الأساسية لهذه الصناعة، والعوامل المؤثرة فيها فمن المعروف أن صناعة الأخبار تقوم على ثلاث ركائز أو عمليات أساسية وهي، جمع الأخبار، تصنيع الأخبار، توزيع الأخبار"^(٣).

فقد اهتم القرآن الكريم بالخبر ابتداء من معالجة مرحلة جمعه وهي من أهم خطواته وأكثرها حساسية، فمن مرحلة الاستقاء يتم التعرف على إمكانية انتشاره ورواجه، ووجد له الضوابط التي تعنى بضرورة الانتباه لمصادره وتحديد كيفية الحصول عليه والطريقة التي يتم بها التعامل مع الجوانب المتعلقة بحدوثه. وهناك ضوابط تشير إلى ضرورة الانتباه إلى المرحلة الثانية من تصنيع الخبر، وهي كيفية تقديم منته ومحتوياته ومعالجته من حيث مطابقته لظروف حدوثه، وهي مرحلة مهمة تعنى بصدق وموضوعية وأنية الخبر. ولم تهمل الضوابط القيمة التي وضعتها الآيات العظيمة المرحلة الثالثة والأخيرة لإنتاج الخبر والمتعلقة بمعالجة توزيعه وأثره وصداه وكيفية التعامل مع انتشاره ورواجه.

المبحث الثاني: الشائعة وأثرها في المجتمع.

للشائعات ميدان متسع ليشمل كل مناحي الحياة، فهو يمتد إلى جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، ولذا كان التصدي لها بالمواجهة نوعاً من الدفاع عن المجتمع، واللجوء إلى الشائعات هو أسلوب مكرر يحتاج إلى مواجهات تعتمد على الذكاء والخبرة، وتقوم على الأسلوب الشرعي والعلمي والسند القانوني.

وقد أشارت آيات القرآن الكريم إلى خطورة الشائعات وعظم شرها، محذرة من مخاطرها على المجتمع، ففي قوله تعالى ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧] إشارة إلى صنيع المنافقين بالإشاعة والإثارة التي يتسللون من خلالها إلى الصف المسلم، ومما يضاعف الأثر الذي تحدثه شائعاتهم أن في صف المسلمين من يصغي إليهم ويسمع قولهم^(١).

المطلب الأول: مفهوم الشائعة ومصادرها.

أولاً: مفهوم الشائعة.

الشائعة من الشيع الذي يعني الانتشار غير المحدد، نقول شاع الأمر وشاع الذعر، وشاع الأثر، وشاع الخير، وفي المعجم: شاع الخبر في الناس يشيع شيعاً، فهو شائع إذا انتشر وافترق، وأشاعه: أطاره وأظهره، و: هذا خبر شائع وقد شاع في الناس: أي اتصل بكل واحد فاستوى علم الناس به ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض، والشائعة: الأخبار المنتشرة^(١). واصطلاح على أن الشائعة هي الخبر المختلق كلياً أو جزئياً وليس عليه دليل ولا برهان^(٢)، وهي "رواية تنتقلها الأفواه دون التركيز على مصدر يؤكد صحتها، أو أنها اختلاق لقضية أو خبر ليس له أساس من الواقع، أو هي مجرد التحريف بالزيادة أو النقصان في سرد خبر يحتوي على جزء ضئيل من الحقيقة"^(٣) وأنها "الأقوال والأحاديث والروايات التي يتناقلها الناس دون التأكد من صحتها ودون التحقق من صدقها"^(٤).

ثانياً: مصادر الشائعة.

لا تتحقق الشائعة إلا إذا اتصفت بصفتين أساسيتين، هما: الأهمية والغموض^(٥)، وتتولد من خلال إحدى ثلاث حالات^(٦):

- إيجاد خبر لا أساس له من الصحة.
 - تلفيق خبر، لجزء منه نصيب من الصحة.
 - المبالغة في نقل خبر ينطوي على بعض من العناصر الصحيحة.
- لذلك فإن مصدر الشائعة يتغير تبعاً للمصلحة المقصودة من تلك الإشاعة، من الفرد إلى الجماعة ومن الشخص البسيط إلى القادة السياسيين والعسكريين، وتلعب الحروب الدائرة بين الأجهزة الاستخباراتية

أيضاً دورها الفاعل في بث الشائعات، وتكون الأجهزة الإعلامية مصدراً لكثير منها، وهي بيد المحترفين من رجال الحرب النفسية، يُستعمل للسيطرة على الاتجاهات الشعبية وزعزعة الوحدة الفكرية والانتماء والتماسك الاجتماعي. وكذلك بث روح الانتقام لنشر جو من الشك بين القادة والشعب وبين الضباط والجنود وبين الأصدقاء والحلفاء.

المطلب الثاني: القيمة الزمنية للشائعة وأثرها في المجتمع.

تمر الشائعات في انتشارها بعدة أطوار:

١- طور الولادة: وهي طور إنتاج الشائعة، ففيها يقوم العدو أو الطابور الخامس أو العملاء والمأجورين أو بعض رجال الاعلام بإنتاج الشائعة، عند توفر الجو والوقت المناسب، أي الوقت الذي يطلب الناس فيه المعلومات التي تساعد على تفسير ما يجري حولهم في الحرب والسلم ولا يجدونها، فيقوم مصدر الشائعات بتزويدهم بمعلومات تلي رغباتهم، ويقوم لهم بتفكيك الغموض والشك.

٢- طور الدائرة أو الانتشار: وهي طور ذبوع الشائعة بين الناس، إنها الطريق الدائري الذي تسير فيها الشائعات، إذ تعتمد الشائعات بشكل رئيس على العمل الجماعي، فالأفراد والجماعات يطلقونها ويشتركون في ترويجها، "فمنهم من يوصل رسالة الشائعة إلى الجمهور المستهدف، وهو أهم دور في طور الانتشار، وبعضهم يفسرونها محاولين فهم ما يجري حولهم، وآخرون مشككون فيما سمعوا أو قرأوا ويحذرون غيرهم منها، ومنهم من يحاول تقديم التفسيرات الخاصة بتلك الشائعة دون غيرها، وجماعة تقوم بالتصرف بناءً على الأخبار أو المعلومات الواردة في تفاصيل الشائعة، وهؤلاء هم عامة الناس الذين ينقصهم الوعي الكافي"^(١).

٣- الطور النهائي أو الموت: وهي المحصلة النهائية لعملية ولادة وانتشار الشائعة وعمرها وقيمتها الزمنية، فمنها ما تحيا لمدة ساعة أو ساعات، أو يوم وأيام، أو شهر وعدة أشهر، أو سنوات وقرون، أو تموت لتعاود الظهور في فترات دورية، "وفي تحليل للشائعة قام به علماء العلوم الاجتماعية في أمريكا ونشرت نتائجه سنة ١٩٩١ قالوا: إن الشائعة هي عبارة عن نوع من الجراثيم أو الفيروسات النشطة، والتي تنمو بسبب قدرتها على توليد مخاوف لدى الجمهور المستهدف، تمكنها من الانتشار، وتتغير هذه الجراثيم لتتناسب أوضاعاً جديدة، وبعضها عاشت لعدة قرون"^(٢)، ومن أمثلتها شائعات اليهود عن عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام، رغم دحضها في القرآن الكريم في أكثر من موضع، والإسرائيليات الموجودة منذ قرون في بعض كتب التراث الإسلامي، والإفك المخلتق لأُم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، والتي قصدوا بها شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالرغم من نزول الآيات المباركات

ببراعتها، إلا أنها تتردد إلى زماننا هذا زيفاً وزوراً وبهتاناً على ألسنة أناس لا يخافون الله في عرض سيد الأنبياء والمرسلين وزوجته الطاهرة.

المبحث الثالث: أساليب ووسائل معالجة الشائعات.

إن الانشغال بإشاعة الأخبار السيئة، وتضخيم أخطاء الناس، والحرص على تصيدها ومتابعتها والتفاكه بعرضها في المجالس، يشيع الاضطراب والقلق في النفوس، ويكون من باب إشاعة الشعور بالإحباط واليأس عند كثير من الناس، ومن باب نشر الفتنة وتهوين نقلها بين الشباب وربما قاد ذلك إلى تهوين ارتكابها في نفوسهم. وفي ظل هذا الواقع المرير لانتشار الشائعة وتغلغلها في مختلف جوانب الحياة وعلى جميع المستويات، أصبحت مقاومة الشائعة ومواجهتها واقعاً ملحاً، وضرورة من ضرورات الأمن والأمان للأفراد والمجتمعات.

المطلب الأول: أساليب ووسائل إسلامية في معالجة الشائعة.

لا شك أن العناء الشديد الذي عاناه المسلمون من حرب الشائعات التي شنت ضدهم، كان من الطبيعي أن يجعلهم في حاجة ملحة إلى ما يحصنهم ضدها، وإلى أسلحة يتصدون بها، لذلك تكفل الوحي الإلهي بأهم تلك الأسلحة التي جاءت في الآيات القرآنية الكريمة، كما تكفل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوجيهات إسلامية فعالة، كان لها آثار بعيدة المدى في مقاومة تلك الشائعات، والقضاء عليها في الوقت المناسب.

ف نجد أن نصوص القرآن والسنة مليئة بالتوجيه والإرشاد إلى وسائل دحض الشائعات واجتتابها ومعالجتها، ونرى في القرآن الكريم هذه المعالجات:

١- التثبت عند سماعها وعدم الاستعجال في تصديقها^(١) حتى تتبين حقيقتها، وعدم المبادرة في الأخذ بها؛ دون روية وفكر وبحث، كما قال تعالى في ذكر حادثة الإفك: ﴿لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ {النور: ١٣}. وكما ورد في السنة النبوية المطهرة، قال عبد الله بن أبي بن سلول -زعيم المنافقين- في غزوة بني المصطلق: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ {المنافقون: ٨}، يريد بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله، فنقل زيد بن أرقم الأنصاري هذا الكلام إلى الرسول، فتغير وجهه وأراد أن يتثبت من صحة النقل فقال: "يا غلام لعنك غضبت عليه فقلت ما قلت" فقال: والله يا رسول الله لقد سمعته. فقال: "عله أخطأ سمعك". وفي رواية البخاري: فصدقهم وكذبني

فأصابني همٌّ لم يصبني مثله، فجلست في بيتي فأنزل الله (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ...) فقال له النبي: "إن الله قد صدقك يا زيد"، (البخاري: ٤٩٠٠)، وهذا الإجراء من النبي -صلى الله عليه وسلم- دليل على وجوب التحري والتنبيه، حتى لو نُقلت الإشاعة عن العدو.

٢- عدم التحدث بكل مسموع والتحرز من النشر^(١)، فإن الناس لو سكتوا عن الشائعات لماتت في مهدها، ولم تجد من يحييها، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ {النور: ١٦-١٧}.

٣- رد الأمور إلى أولي الأمر والأجهزة المختصة، وعدم إشاعته بين الناس، خاصة الأخبار المهمة التي لها أثر في واقع المجتمع وحياة الناس، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ ۗ وَوَلَّوْا رُءُوسَهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ {النساء: ٨٣}.

٤- استحضار العواقب وما ينتج عن نشر الشائعات^(٢) من انتشار الفواحش وظهور الفتن، كما أخبر عز من قائل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ {النور: ١٩}، وقال سبحانه: ﴿وَاقْفُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۗ وَعَلِّمُوا أَنْ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ {الأنفال: ٢٥}.

٥- النهي عن القيل والقال كما في الحديث: (الله كره لكم ثلاثا قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال) (البخاري: ١٤٧٧)، والنهي عن التخمين وسوء الظن، كما لعنَ وقُبِحَ المرتابون وأهل الظنون ودُعي عليهم بقوله سبحانه ﴿قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ {الذاريات: ١٠}.

٦- أن يقدم المسلم حسن الظن بأخيه المسلم^(٣)، وأن ينزل أخاه بمنزلته قبل إصدار الأحكام، كما قال تعالى ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِنَفْسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ {النور: ١٢}، وكما دخل أبو أيوب على زوجته بعد انتشار شائعة الإفك عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فسأل زوجته: "أرأيت لو كنت مكان عائشة أكنت تفعلين ذلك؟ فقالت: لا والله. فقال: فوالله إن عائشة خير منك^(١)."

٧- التفكير في محتوى الشائعة^(٢)، حيث أن بعضها -منطقيًا- غير قابل للتصديق بتاتا، كما قال تعالى ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِنَفْسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ {النور: ١٢}، فقوله ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ دليل على أن بالتفكير في هذه الشائعة المشينة وللوهلة الأولى فور سماعها، يتبين للمؤمنين والمؤمنات أنها إفك مبين، غير قابل للقبول أو التصديق.

المطلب الثاني: أساليب ووسائل إعلامية في معالجة الشائعة.

تحت سيطرة وقوة الوسائل الإعلامية في الوقت الحاضر، وظهور أجهزة الكترونية جديدة، وازدياد عدد مشتركى الانترنت، وظهور وسائل الاتصال الاجتماعية الجديدة بين كل فترة وأخرى، فقد أصبح عبارة (العالم قرية صغيرة) لا يؤدي معناها الكبير كما في السابق، وأدى كل ذلك لنشوء بيئة خصبة لانتشار الشائعات بشكل غير مسبوق^(٣)، وحيث أصبح الكل تقريباً، يمتلك هاتفاً ذكياً يستقبل رسائل وأخباراً على حسابات في مواقع التواصل الاجتماعي مثل تويتر والفيسبوك وغيرها، ولا شك أن بعض من يستخدمون هذه الأجهزة هم صغار السن الذين لا يقدرّون العواقب المترتبة من إطلاق الشائعات ونقلها بين مستخدمي التكنولوجيا، وبالتالي تنتشر الشائعات بسهولة، ومن خلال المشاهدة والنظر إلى واقع الناس فإن وسائل الإعلام أصبحت تلعب دوراً فعالاً في تكوين الرأي العام بين فئات المجتمع وتثقيفهم نحو اتجاه معين، فصار من الواجب إعلامياً، وأكثر من أي وقت مضى، اتباع أساليب ووسائل إعلامية في معالجة الشائعة من قبل الإعلاميين والقنوات الإعلامية، منها:

- ١- التأكد من الخبر والتثبت منه قبل تصديقه أو نشره عبر الوسائل المتاحة للتأكد من الخبر سواء من مصدره الذي أطلقه أو مصدره الذي يعنيه هذا الخبر^(١).
- ٢- ضرورة التفكير ولو للحظات في محتوى الأخبار من قبل المؤسسات الإعلامية، قبل ترديدها ونشرها، حيث أن بعضها غير قابل للتصديق منطقياً^(٢).
- ٣- التفكير في عواقب النشر الجراف وأضراره على المجتمع، وحتى على مستوى عواقب المسائلة القانونية، قبل التفكير بالنشر^(٣).
- ٤- عدم ترديد الشائعة وكتمانها حيث أن ذلك من أنجح الوسائل للقضاء عليها لأن الكتمان يميئها ويوقف انتشارها، كما أن السماح بتمريرها لأشخاص آخرين يساهم في تداولها من قبل الأفراد في المجتمع، وبالتالي سريانها دون توقف، فلو أن كل شخص وصلته شائعة وقام بمسحها من جهازه لما استمرت هذه الشائعات بالانتقال من مستخدم إلى آخر ولجنبتنا المجتمع الكثير من الشرور^(٤).
- ٥- استحضار الولاء للوطن والشعور بالمسؤولية عند جميع العاملين في المؤسسات الإعلامية، ومعرفة أن الشائعة تضر بالوطن وبكل من يعيش على أرضه^(٥).
- ٦- التوجه نحو إنتاج برامج عديدة ومتنوعة يغرس في المواطنين نبذ الشائعات والقضاء عليها، وبرامج ومقاطع إعلامية وتوعوية لتوضيح القوانين الجزائية الرادعة لمطلقى الشائعات.

مادام الشائعة كالنار في الحشيش في يوم عاصف، ولها من التأثير السلبي على المجتمع والفرد بشكل عام، وعلى خواص المجتمع ورموزه بشكل خصوصي، فعلياً أن ندرك:

١- أن الشائعات يمكن مواجهتها بتعميق الإيمان بالله تعالى، ومراقبته، والخوف منه، مع ربط ذلك بمسؤولية الكلمة، وخطورة تداول الحديث ونقله، فضعف التربية الإيمانية، مدخل شياطين الإنس والجن، في هذا الباب، فمن خاف الله تثبت، ومن خاف الله تحرى، "وكفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع" (أبو داود: ٤٩٩٢).

٢- تدارك فقه الواقع وإدراكه ومعرفة لوازمه، ومعرفة قواعد الحذر، ومعالم أخذ الحيطة، فالأمر جد خطير، إذ العدو يريد استئصالنا، ويزيلنا من خريطة الحياة، فعلياً أن نقابل الخطة بالخطة والوسيلة بالوسيلة، بأحدث ما توصل له العقل البشري، في كل المسائل.

٣- إن مواجهة الشائعات والحرب النفسية، تحتاج إلى صبر وأناة، وتريث وهدوء، لأن العدو يريد لك أن تقلت أعصابك، وتقع في التخبط والغلط، حتى يوقعك في فخ الغباء والعشوائية، فيكسب الرهان، وتخسر المعركة.

٤- رصد الموقف بدقة، والتمتع بحكمة بالغة، وفي مثل هذه المعارك، غياب الحكمة غالباً يكون في صالح العدو.

٥- الأخذ بالأسباب الناجعة في معالجة الموقف، من خلال خطة مرسومة، وأدوات متطورة، ولكل زمان وسائله وأدواته، فالصبر والحكمة، لا يعنيان الصمت والسكوت وعدم المواجهة، فهذا خلل كبير إن حدث، من هنا نجد كيف أن القرآن الكريم فند ادعاءات المشركين، ورد على شبهات المبطلين، ومثالاً في زمن النبوة، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن راحة بين يديه يقول خلو بني الكفار عن سبيله اليوم نضريكم على تأويله ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله فقال عمر يا ابن راحة في حرم الله وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول الشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم: خلّ عنه فولّذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبيل" (النسائي: ٢٨٩٣).

٦- الحذر كل الحذر من الدخول في معارك لا نفع منها، وذلك من خلال ترتيب الأولويات بشكل مدروس، وتنظيم جدول التصدي بصورة دقيقة، فكثير من الشائعات، ينبغي ألا نلتفت لها، ولا تشغلنا عن مهامنا، وبعض الأشخاص يروق له أن ترد عليه حتى يشتهر، وفي بعض الأحيان يكون الأخذ والرد هو السبب في نشر الشائعة، فالأمر دقيق وحساس، ولا بد من الدقة في التعاطي معه.

٧- العناية كثيراً بالصنف الذي ذكروا بقول الله تعالى: (وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ) {التوبة: ٤٧}، هذا الصنف هو مدخل الشر، ونافذة السوء، حيث يسيرون وراء كل ناعق، ويركضون وراء كل صيحة، فلا يفهمون معنى التثبيت، ويلتقطون الشائعات، ومن خلال عملهم هذا يخدمون العدو، حتى شاع عن بعض الناس أنه إذا أردت أن تنتشر قضية، أسمعها لفلان، وهذا الصنف الفضولي، غالباً ما يمتلك من الأساليب ومهارة النقل، الشيء العجيب، لكن بلا تثبت ولا دراية، فهو كحاطب ليل، هؤلاء يحتاجون إلى توعية وتدريب وتربية.

المصادر.

- إبراهيم أحمد أبو عرقوب: سيكولوجية الإشاعة، ط ١، ١٩٩٤، مؤسسة وائل للنسخ، عمان-الأردن.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم: لسان العرب، مج ٢، باب الخاء، مادة خبر، دار المعارف، بيروت-لبنان.
- ابن وهب: البرهان في وجوه البيان، تحقيق احمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط ١، ١٩٨٧، بغداد-العراق.
- أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، النبوات، ط ١، ١٩٨٥، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
- إسماعيل بن كثير: تفسير ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط ٢، ١٩٩٩، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض-السعودية، ج ٢.
- جلال الدين الحمامصي: المنذوب الصحفي، الكتاب الأول، ط ١، ١٩٦٣، دار المعارف، القاهرة-مصر.
- جواد عبد الستار: فن كتابة الأخبار، عرض شامل للقولب الصحفية وأساليب التحرير الحديثة، ط ٢، ٢٠٠١، دار مجدلاوي، عمان-الأردن.
- جون هوهنبرغ: الصحفي المحترف، ترجمة فؤاد مويستاتي، تقديم ياسر هوارى، ط ١، ١٩٦٠، المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان.
- ذياب موسى البدائية: استخدام التقنيات الحديثة في الشائعات، ط ١، ٢٠٠١، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض-السعودية.
- زيدان عبد الباقي: وسائل الاتصال، ط ١، ١٩٧٩، دار غريب، القاهرة-مصر.
- سيد قطب: في ظلال القرآن، ط ١٠، ١٩٨٠، دار الشروق، بيروت-لبنان، مج ٣.
- عبد الحي عبد السميع: الخبر في القرآن الكريم: رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية.

عبد الفتاح عبد الغني الهمص، فايز كمال شلدان: الأبعاد النفسية والاجتماعية في ترويج الإشاعات عبر وسائل الإعلام وسبل علاجها من منظور إسلامي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، ٢٠١٠.

عبد اللطيف حمزة: المدخل في فن التحرير الصحفي، ط٢، ١٩٥٨، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر.
عبد الله بدران: الخبر الصحفي في منهج الإعلام الإسلامي، ط١، ٢٠٠٢، دار المكتبي، دمشق-سوريا.

عبد الوهاب كحيل: الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، ط١، ١٩٨٥، مكتبة القدسي، بيروت-لبنان.

علي بن فايز الجحني: "ماهية الشائعة-التطور التاريخي"، ورقة بحث مقدمة في ندوة "أساليب مواجهة الشائعات" لأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، المنعقد في ٢٠٠١، كتاب أعمال الندوة.

عوض هاشم والمهدي الجندي، دليل كتابة الخبر، نشر وزارة الإعلام بالبحرين، ط١، ٢٠١٠.
فاروق أبو زيد: فن الخبر الصحفي، ط١، ٢٠٠٨، دار الشروق للنشر والتوزيع، الإسكندرية-مصر.
فريزر بوند: مدخل إلى الصحافة، ترجمة راجي صهيون، مراجعة إبراهيم داغر، ط٢، ١٩٨٨، دار بدران للنشر، بيروت-لبنان.

كورستين ماكدوغال: مبادئ تحرير الأخبار، ترجمة: أديب خضور، ط١، ٢٠٠٠، المكتبة الإعلامية، دمشق-سوريا.

مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط٤، ٢٠٠٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة-مصر.
محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، ط١، ٢٠٠٠، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان.

محمد سلمان الحتو: مناهج كتابة الأخبار الإعلامية وتحريرها، ط١، ٢٠١٢، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن.

محمد سيد طنطاوي: الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام، ط١، ٢٠٠١، دار الشروق، القاهرة-مصر.

محمد عبد القادر حاتم: الرأي العام وتأثيره بالإعلام والدعاية، ط١، ١٩٧٣، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان.
محمد عثمان الخشت: الشائعات وكلام الناس، ط١، ١٩٩٦، مكتبة ابن سينا، القاهرة-مصر.

محمد فريد محمود عزت: دراسات في فن التحرير الصحفي في ظل معالم قرآنية، ط١، ١٩٨٤، دار الشروق، جدة-السعودية.

محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج١١، ط١، ١٩٨٧، الكويت-الكويت.

محمود أبو زيد: الشائعات والضبط الاجتماعي، ط ١، ١٩٨٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية-مصر.

وليم الميري: الأخبار مصادرها ونشرها، ط ١، ١٩٦٨، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة-مصر.

مدونة سليم الخليفة-اوي http://alkelefawycom.blogspot.com/2012/07/blog-post_26.html

موقع جسد الثقافة <http://aljsad.com/forum28/thread18641>

ميثاق الشرف الصحفي لجمعية الصحفيين البحرينية، على موقع الجمعية

<https://bajournalists.wordpress.com>

جريدة أيام بريس الإلكترونية-مغربية مستقلة <ثقافة <http://www.ayampress.com>

Abdel Hai Abdel Samie: *The news in the Holy Qur'an: an unpublished master's thesis*, Hadj Lakhdar University Batna, Faculty of Islamic and Social Sciences.

Abdel Latif Hamza: *The Introduction to the Art of Press Editing*, 2nd Edition, 1958, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo - Egypt.

Abdel-Fattah Abdel-Ghani Al-Hams, Fayez Kamal Shaldan: *The psychological and social dimensions of spreading rumors through the media and ways to treat them from an Islamic perspective*, The Islamic University Journal, Volume Eighteen, Issue Two, 2010.

Abdullah Badran: *The Press Release in the Islamic Media Curriculum*, 1st Edition, 2002, Dar Al-Maktabi, Damascus - Syria.

Abdul-Wahhab Kahil: *Scientific and Applied Foundations of Islamic Media*, 1st Edition, 1985, Al-Qudsi Library, Beirut - Lebanon.

Ahmed bin Abdul Halim bin Taymiyyah Al-Harrani, *The Prophecies*, 1st Edition, 1985, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon.

Ali bin Fayez al-Jahni: "What is a rumor-historical development", a research paper presented in the symposium "Methods of Confronting Rumors" of the Naif Arab Academy for Security Sciences, held in 2001, the book of the proceedings of the symposium.

Arabic Language Complex: *Intermediate Dictionary*, 4th Edition, 2004, Al Shorouk International Library, Cairo - Egypt.

Awad Hashem and Al-Mahdi Al-Jindoubi, *Guide to Writing the News*, published by the Ministry of Information in Bahrain, 1st Edition, 2010.

Corsten McDougall: *Principles of News Editing*, translated by: Adeeb Khaddour, 1st Edition, 2000, Media Library, Damascus - Syria.

Farouk Abu Zaid: *The Art of the Press Release*, 1st Edition, 2008, Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution, Alexandria - Egypt.

Fraser Bond: *An Introduction to the Press*, translated by Raji Zion, revised by Ibrahim Dagher, 2nd edition, 1988, Dar Badran Publishing, Beirut - Lebanon.

Ibn Manzoor, Jamal al-Din Abu al-Fadl Muhammad ibn Makram: *Lisan al-Arab*, Volume 2, Bab al-Kha, article of news, Dar al-Maaref, Beirut - Lebanon.

Ibn Wahb: *The Proof in the Faces of the Statement*, investigated by Ahmed Matlab and Khadija Al-Hadithi, 1st edition, 1987, Baghdad - Iraq.

Ibrahim Ahmed Abu Arqoub: *The Psychology of Rumor*, 1st Edition, 1994, Wael Transcription Institute, Amman - Jordan.

Ismail Bin Kathir: *Interpretation of Ibn Katheer*, Investigated by Sami Bin Muhammad Salama, 2nd Edition, 1999, Dar Taiba for Publishing and Distribution, Riyadh - Saudi Arabia, Volume 2.

Jalal Al-Din Al-Hamamsi: *The Press Delegate*, Book One, 1st Edition, 1963, Dar Al-Maaref, Al-Qara - Egypt.

Jawad Abdel Sattar: *The Art of Writing News*, A Comprehensive Exposition of Journalistic Templates and Modern Editing Methods, 2nd Edition, 2001, Majdalawi House, Amman - Jordan.

John Hohenberg: *The Professional Journalist*, translated by Fouad Mouissati, presented by Yasser Hawari, 1st edition, 1960, the National Institution for Printing and Publishing, Beirut - Lebanon.

Mahmoud Abu Zeid: *Rumors and Social Control*, 1st Edition, 1980, General Egyptian Book Organization, Alexandria - Egypt.

Muhammad Abdel Qader Hatem: *Public Opinion and Its Impact on Media and Propaganda*, 1st Edition, 1973, Library of Lebanon, Beirut - Lebanon.

Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghaleb Al-Amali, Abu Jaafar Al-Tabari (died: 310 AH): *Jami' al-Bayan fi Interpretation of the Qur'an*, edited by: Ahmed Muhammad Shaker, 1st Edition, 2000, Al-Resala Foundation, Beirut - Lebanon.

Muhammad Farid Mahmoud Ezzat: *Studies in the Art of Press Editing in the Light of Quranic Landmarks*, 1st Edition, 1984, Dar Al-Shorouk, Jeddah - Saudi Arabia.

Muhammad Murtada Al-Hasani Al-Zubaidi: *The Crown of the Bride from the Jewels of the Dictionary*, Volume 11, 1st Edition, 1987, Kuwait - Kuwait.

Muhammad Othman Al-Khasht: *Rumors and People's Words*, 1st Edition, 1996, Ibn Sina Library, Cairo - Egypt.

Muhammad Salman Al-Hato: *Methods of Writing and Editing Media News*, 1st Edition, 2012, Dar Osama for Publishing and Distribution, Amman - Jordan.

Muhammad Sayed Tantawi: *False rumors and how Islam fought them*, 1st Edition, 2001, Dar Al-Shorouk, Cairo - Egypt.

Sayyid Qutb: *In the Shadow of the Qur'an*, 10th Edition, 1980, Dar Al-Shorouk, Beirut - Lebanon, Vol. 3.

Theyab Musa Al-Badayna: *Using Modern Technologies in Rumors*, 1st Edition, 2001, Naif Arab University for Security Sciences, Riyadh - Saudi Arabia.

William Al-Mary: *News, Sources and Publishing*, 1st Edition, 1968, Anglo-Egyptian Library, Cairo - Egypt.

Zidan Abdel-Baqi: *The means of communication*, 1st edition, 1979, Dar Gharib, Cairo - Egypt.

Salim Al-Khelefawy's blog http://alkelefawycom.blogspot.com/2012/07/blog-post_26.html

Body of Culture website <http://aljsad.com/forum28/thread18641>

The press code of honor of the Bahraini Journalists Association, on the association's website <https://bajournalists.wordpress.com>

Ayam Press - independent Moroccan electronic newspaper > Culture <http://www.ayampress.com>

الهوامش:

(١) عبد الحي عبد السميع: *الخبر في القرآن الكريم*، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية، ص: ٦.

(٢) انظر: محمد سلمان الحتو: *مناهج كتابة الأخبار الإعلامية وتحريرها*، ط١، ٢٠١٢، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ص: ١٢.

(١) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم: *لسان العرب*، مج٢، باب الخاء، مادة خبر، دار المعارف، بيروت - لبنان، ص: ١٠٩٠.

(٢) ابن وهب: *البرهان في وجوه البيان*، تحقيق احمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط١، ١٩٨٧، بغداد - العراق، ص: ١٢.

(٣) محمد مرتضى الحسني الزبيدي: *تاج العروس من جواهر القاموس*، ج١١، ط١، ١٩٨٧، الكويت - الكويت، ص: ١٢٥.

(٤) مجمع اللغة العربية: *المعجم الوسيط*، ط٤، ٢٠٠٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة - مصر، ص: ٢١٥.

(٥) عبد الله بدران: *الخبر الصحفي في منهج الإعلام الإسلامي*، ط١، ٢٠٠٢، دار المكتبي، دمشق - سوريا، ص: ٢٢.

(١) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري، *لسان العرب*، ط١، ٢٠٠٣، دار صادر، بيروت - لبنان، مادة نبأ، ص: ١٦٢، ١٦٣.

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي المعروف بالفراء (١٤٠-٢٠٧ هـ)، كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي، له مصنفات عدة منها: معاني القرآن، اللغات والمصادر في القرآن، النوادر. انظر: بغية الوعاة، ج٢، ص: ٣٣٣.

(٣) أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني: *النبوات*، ط١، ١٩٨٥، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص: ٣٣٦-٣٣٧.

- (٤) جون هوهنبرغ: *الصحفي المحترف*، ترجمة فؤاد موبساتي، تقديم ياسر هواربي، ط١، ١٩٦٠، المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ص: ٦٨.
- (١) تم اقتباس أغلب هذه التعريفات من كتب الصحافة التالية: عبد اللطيف حمزة: *المدخل في فن التحرير الصحفي*، ط٢، ١٩٥٨، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر. وكورستين ماكدوغال: *مبادئ تحرير الأخبار*، ترجمة: أديب خضور، ط١، ٢٠٠٠، المكتبة الإعلامية، دمشق-سوريا، ٢٠٠٠. وفاروق أبو زيد: *فن الخبر الصحفي*، ط١، ٢٠٠٨، دار الشروق للنشر والتوزيع، الإسكندرية-مصر. نقلاً عن: عوض هاشم والمهدي الجندوبي، *دليل كتابة الخبر*، نشر وزارة الإعلام بالبحرين، ط١، ٢٠١٠، ص: ٢١٤.
- (٢) نقلاً عن: فريزر بوند: *مدخل إلى الصحافة*، ترجمة راجي صهيون، مراجعة إبراهيم داغر، ط٢، ١٩٨٨، دار بدران للنشر، بيروت-لبنان، ص: ١١٨.
- (٣) جلال الدين الحمامصي: *المنذوب الصحفي*، الكتاب الأول، ط١، ١٩٦٣، دار المعارف، القاهرة-مصر، ص: ٢٤.
- (٤) فاروق أبو زيد: *فن الخبر الصحفي*، المرجع السابق، ص: ٢٤.
- (١) صحفي أمريكي (١٨٤٨-١٩١١) مؤسس عدد من الصحف الأمريكية وصاحب الجائزة المعروفة باسمه التي تمنح للأعمال المتميزة.
- (٢) فاروق أبو زيد: *فن الخبر الصحفي*، المرجع السابق، ص: ٢٧.
- (٣) وليم الميري: *الأخبار مصادرها ونشرها*، ط١، ١٩٦٨، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة-مصر، ص: ١٩، ٢٠. ومعنى الداخلية أو المحلية: هي التي تصف أحداثاً أو نشاطاً مما يقع داخل الوطن أو تتعلق بالوطن وأبنائه، حتى لو وقع هذا النشاط خارج حدود الوطن، ومصادره في الغالب أجنبية كوكالات الأنباء. والخارجية أو الدولية أو العالمية: فهي التي تخبر عن النشاطات أو الأحداث التي تقع خارج حدود البلد.
- (٤) موقع *جسد الثقافة* < *السرد، الفكر، والإعلام* < *إعلام وصحافة* < <http://aljsad.com/forum28/thread18641> والمراد بالمتوقعة: وهي عندما يتلقى المحرر دعوة لحضور فعالية ما لتغطيتها، يكون معلوماً للمحرر زمن الخبر، فهو خبر متوقع. وغير المتوقعة: كأخبار الكوارث والحوادث الطارئة والتي لا يمكن التنبؤ بها.
- (٥) جريدة أيام بريس الإلكترونية-مغربية مستقلة < *هيئة التحرير* < *ثقافة* < <http://www.ayampress.com> والخبر القصير: يتم فيه الإجابة عن أربعة أسئلة على الأقل، ولا يتجاوز ستة أسطر ويكون بدون عنوان. والموضح: يصل إلى عشرين سطراً وله عنوان. والمركب: مجموعة من الأخبار تقدم كمادة إعلامية واحدة يكون الرابط بينها هو وحدة الحدث أو وحدة الموضوع.
- (١) وليم الميري: *الأخبار مصادرها ونشرها*، المرجع السابق، ص: ٢٣. وموقع *جسد الثقافة* < <http://aljsad.com/forum28/thread18641>
- (٢) مدونة سليم الخليفاي < http://alkelefawycom.blogspot.com/2012/07/blog-post_26.html ومعنى الصحفي: ويسمى (بالمقروء) هو الذي يتحمل الإسهاب في التفاصيل، كما لا يتحمل التعقيد في الصياغة وطول الجملة، لذا فهو أسهل أنواع الأخبار التي تكتب من قبل الصحفي، أما قارئ هذا الخبر فليديه الوقت الكافي لقراءته ومراجعته متى يشاء لأنه مطبوع ومحفوظ على الورق. والإذاعي: ويسمى (بالمسموع) وهنا يتحتم على كاتب الخبر أن يكتبه بعبارات سلسة خالية من أي ألفاظ معقدة ويمتاز بجمال قصيرة كي لا يمل السامع. والتلفزيوني: ويسمى (بالمرئي) يعتمد هذا الخبر في الأساس على الصورة التي ترفقه حتى لو كانت صورة ساكنة، ومتى ما فقد هذه الخاصية يكون

خبراً إذاعياً ويجب أن يكون مرتباً حسب اللقاءات الشخصية مع التعليق والصور. والالكتروني: وهو نفس الخبر الصحفي ولكن لا يتحمل الإسهاب، فالأفضل فيه أن يكون قصيراً ولكن شاملاً للحدث.

(٣) جريدة أيام بريس الإلكترونية-مغربية مستقلة <هيئة التحرير> ثقافة <http://www.ayampress.com> والجهاز: هو الخبر الذي لا يبذل الصحفي جهداً في الحصول عليه، فهو يصله على سبيل المثال جاهزاً عن طريق إدارات العلاقات العامة بالوزارات والهيئات. والمصنوع: هو خبر جديد وهام، يبذل الصحفي جهداً للحصول عليه والذي تزداد معه الحصول على السبق الصحفي.

(٤) نفس المصدر: والمجرد: هو الخبر الذي يقتصر على تسجيل الوقائع أو سرد المعلومات، دون تقديم خلفية من المعلومات والتفاصيل. والمفسر: هو الخبر الذي يضيف خلفيات ومعلومات وبيانات توضح وتفسر الأحداث وأبعادها المختلفة، دون أن يزعج المحرر برأيه في الخبر حتى لا يفقد صفة الموضوعية.

(١) إسماعيل بن كثير: تفسير ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط ٢، ١٩٩٩، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض-السعودية، ج ٢، ص: ٢٢٢.

(٢) محمد فريد محمود عزت: دراسات في فن التحرير الصحفي في ظل معالم قرآنية، ط ١، ١٩٨٤، دار الشروق، جدة-السعودية، ص: ٢٢.

(١) نرى نصوصاً وبنوداً مشابهة لما جاء في هذه النقاط، وأن الذي اعتمده الباحث تلخيص لما جاء في ميثاق الشرف الصحفي لجمعية الصحفيين البحرينية، على موقع الجمعية <https://bajournalists.wordpress.com>.

(٢) عبد الوهاب كحيل: الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، ط ١، ١٩٨٥، مكتبة القدسي، بيروت-لبنان، ص: ١٠٩.

(٣) جواد عبد الستار: فن كتابة الأخبار، عرض شامل للقولب الصحفية وأساليب التحرير الحديثة، ط ٢، ٢٠٠١، دار مجدلاوي، عمان-الأردن، ص: ١٧.

(١) أنظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، ط ١٠، ١٩٨٠، دار الشروق، بيروت-لبنان، مج ٣، ص: ١٦٦٣.

(١) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم: لسان العرب، مج ٤، المصدر السابق، ص: ٢٣٧٨. ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المصدر السابق، ص: ٥٢٣.

(٢) محمد عثمان الخشت: الشائعات وكلام الناس، ط ١، ١٩٩٦، مكتبة ابن سينا، القاهرة-مصر، ص: ١١-١٣.

(٣) محمود أبو زيد: الشائعات والضبط الاجتماعي، ط ١، ١٩٨٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية-مصر، ص: ٦٥.

(٤) محمد عبد القادر حاتم: الرأي العام وتأثيره بالإعلام والدعاية، ط ١، ١٩٧٣، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، ص: ١٨٠.

(٥) علي بن فايز الجحني: "ماهية الشائعة-التطور التاريخي"، ورقة بحث مقدمة في ندوة "أساليب مواجهة الشائعات" لأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، المنعقد في ٢٠٠١، كتاب أعمال الندوة، ص: ٢٣٦.

(٦) زيدان عبد الباقي: وسائل الاتصال، ط ١، ١٩٧٩، دار غريب، القاهرة-مصر، ص: ٤٥٠.

(١) إبراهيم أحمد أبو عرقوب: سيكولوجية الإشاعة، ط ١، ١٩٩٤، مؤسسة وائل للنسخ، عمان-الأردن، ص: ٨-١٢.

(٢) نفس المصدر: ص: ١٢.

(١) محمد سيد طنطاوي: الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام، ط ١، ٢٠٠١، دار الشروق، القاهرة-مصر، ص: ١٨٧.

- (١) عبد الفتاح عبد الغني الهمص، فايز كمال شلدان: الأبعاد النفسية والاجتماعية في ترويج الإشاعات عبر وسائل الإعلام وسبل علاجها من منظور إسلامي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، ٢٠١٠، ص: ٢٧.
- (٢) عبد الفتاح عبد الغني الهمص، فايز كمال شلدان: الأبعاد النفسية والاجتماعية في ترويج الإشاعات عبر وسائل الإعلام وسبل علاجها من منظور إسلامي، المصدر السابق، ص: ٢٦.
- (٣) محمد سيد طنطاوي: الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام، المصدر السابق، ص: ٢١٤-٢٢٠.
- (١) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، ط ١، ٢٠٠٠، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ص: ٣٥١.
- (٢) عبد الفتاح عبد الغني الهمص، فايز كمال شلدان: الأبعاد النفسية والاجتماعية في ترويج الإشاعات عبر وسائل الإعلام وسبل علاجها من منظور إسلامي، المصدر السابق، ص: ٢٤-٢٥.
- (٣) ذياب موسى البداينة: استخدام التقنيات الحديثة في الشائعات، ط ١، ٢٠٠١، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض-السعودية، ص: ٤٩، بتصرف.
- (١) محمد سيد طنطاوي: الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام، المصدر السابق، ص: ١٨٧.
- (٢) عبد الفتاح عبد الغني الهمص، فايز كمال شلدان: الأبعاد النفسية والاجتماعية في ترويج الإشاعات عبر وسائل الإعلام وسبل علاجها من منظور إسلامي، المصدر السابق، ص: ٢٤-٢٥.
- (٣) نفس المصدر: ص: ٢٦، بتصرف.
- (٤) نفس المصدر: ص: ٢٧.
- (٥) محمد سيد طنطاوي: الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام، المصدر السابق، ص: ٢١٤-٢٢٠.

دراسة أختام إسلامية من المتحف العراقي

أ.م.د. علي كاظم الشيخ

جامعة القادسية - كلية الآثار

Study of Islamic seals in the Iraqi Museum

Asst. Prof. Ali Kadhim Alsheikh

alialsheah497@gmail.com

Al-Qadisiyah University - College of Archeology

دراسة أختام إسلامية من المتحف العراقي

أ.م.د. علي كاظم الشيخ

Abstract

The study of Islamic seals is one of the important studies in Islamic arts. It is regarded as an important document that reveals to us names, titles, nicknames, Quranic and non-Quranic verses and expressions. Most of them were made of precious stones. Finally, the international museums took care of it, as it represents the types of Arabic and non-Arabic fonts, and this is a clear evidence of its importance. Special offers have been allocated to it and catalogs showing the stone from which it is made, its sizes, weights, and everything related to it.

Key words : 1- Islamic seals 2- Quranic phrases and prayers 3- precious stones 4- Numismatiques (numismatics).

المخلص

تعتبر دراسة الأختام الإسلامية من الدراسات المهمة في الفنون الإسلامية، وهي تعد وثيقة مهمة تكشف لنا أسماء وألقاب وكنى وآيات وعبارات قرآنية وغير قرآنية، وقد عملت أغلبها من الأحجار الكريمة وأخيراً اعتنت المتاحف العالمية بها كونها تمثل أنواع الخطوط العربية وغير العربية، وهذا دليل واضح بأهميتها فقد خصصت لها عروض خاصة بها وكتلوكات توضح الحجر الذي عملت منه وأحجامها وأوزانها وكل ما يتعلق بها.

الكلمات المفتاحية: ١. أختام إسلامية. ٢. عبارات قرآنية ودعائية. ٣. أحجار كريمة. ٤. ضمن علم

Numismatiques

تقديم . . .

تعد دراسة الأختام الإسلامية من الدراسات المهمة والتي تتطوي تحت علم (Numis matique) (نيو مسمتاك) العلم الذي يهتم بدراسة النقود والأوزان والأختام والأنواع وغير ذلك.

والختم: هو الوسيلة للتعرف الشخصي والتأمين على ممتلكاته الخاصة وتستعمل الأختام لحد الآن للغاية نفسها، وتذكر المصادر أن لكل خليفة أو ملك أو والي أو رجل مهم في الدولة ختم خاص به.

وأن أول ختم عرف في الإسلام هو ختم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي كان من معدن الفضة والذي ختم به الرسائل التي بعثها إلى ملوك عصره يدعوهم إلى الإسلام، وكتب بهذا الختم ثلاثة كلمات هي (محمد رسول الله).

وأن الباحثين والدارسين في هذه الأختام يجب أن يكونوا ذات خبره ومعرفة بأنواع الأحجار، لأنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بها، وليدهم أيضاً مهارة عالية بمعرفة الخطوط القديمة؛ لأن معظمها يحمل رموز وعلامات وطلاسم يصعب قراءتها، والدراسات المختصة بهذه الأختام قليلة جداً، إذا ما قرونت ببقية الدراسات الأخرى كالخزف والمعادن والفنون الأخرى.

حظيت مجموعات الأختام باهتمام كبير من قبل إدارة المتاحف، وكانت على أشكال وأحجام متنوعة تم عرضها في المتاحف العالمية، ولدى أصحاب المجموعات الخاصة التي أوروها عن الآباء والأجداد، وأن معظم هذه الأختام قد عُملت من أحجار كريمة وثمانية ويعتقد أغلبهم أن اقتنائها قد يكون له تأثير بطرد الأرواح الشريرة أو جلب الحظ السعيد له، أو الشفاء من بعض الأمراض وغير ذلك.

من خلال هذا البحث قمنا بدراسة بعض الأختام المحفوظة في المتحف العراقي والتي تعود إلى عصور مختلفة عملت أغلبها من الأحجار الكريمة ونقشت بعبارات قرآنية واسماء أشخاص وهي تدرس لأول مرة في هذا البحث، وقمنا بدراسة علمية، وبرسم تخطيطي لبعضها، وعززنا ذلك بدراسة بعض الأختام من المتحف البريطاني، وهذا ما سنتعرف عليه من خلال البحث. (أشكر السيدة Venetia Porter) المسؤولة في المتحف البريطاني على الأختام بدراسة بعض منها.

الأحجار في العصور القديمة:

بينت لنا التنقيبات الأثرية علاقة الإنسان بالحجر منذ أقدم العصور فقد وجدت في المقابر القديمة حلي وأحجار كريمة وأدوات نادرة تظهر شغف الإنسان قديماً بصناعة واقتناء الحجر، والباحث في التاريخ القديم يجد حقه زمنية كاملة مهمة سميت (بالعصور الحجرية)، وذلك لكثرة استخدامها في العراق القديم وكانت في مختلف نواحي الحياة فعملت منها الفؤوس والمناجل والصولجان، وكذلك استخدمت بعض أنواعها لصناعة شظايا القطع (كالسكاكين، والشفرات، والنصال) وعرف العراقيون القدماء الاحجار وبرعوا

في استخدامها في صناعة الحلي وبعض الدمى وغيرها، واستعملها السومريون والآكديون، وكذلك البابليون والآشوريون، وكانت مادة مهمة لصناعة التماثيل والأختام الأسطوانية والمنبسطة (إسماعيل، ١٩٩٣م، ص ١)، وأن أول من استعمل الأختام هم سكان العراق القدامى وانتقلت منهم إلى المناطق المجاورة حتى وصلت إلى مصر واليونان غرباً وإلى الهند شرقاً، وكان شكل الختم عند ظهوره منبسطة (Stamp seal)، وذلك في حدود الألف السادس (ق.م) في قرية حسونة ومنطقة يارم تبه، وكذلك وجد في تل الصوان، وبعدها تطور إلى الختم الأسطواني (Sylinder sear) في عصور سامراء وحلف والعبيد والوركاء وجمدة نصر، وبعد الختم من الناحية الفنية من أجمل ما أنتجه فن النقش والنحت في جميع الحضارات وكان يحفر وينقش بصورة معكوسة بحيث إذا درج على الطين الطري ترك طبعة بصورة طبيعية، وكان ذلك بمثابة التوقيع أو الختم لتوثيق المعاملات (باقر، ١٩٨٦م، ج ١، ص ٢٤٠)، وقد استعمل الختم من قبل عامة الشعب ولم يقتصر على فئة معينة فقد استعمله الأسياد والعبيد، والملوك، والأمراء، والموظفين والكهنة، ولم يقتصر استعماله على الرجال بل كانت المرأة تمتلكه أيضاً فالأميرات ونساء الأعمال وأخريات، لتوثيق البيع والشراء (كيدا، ١٩٦٢م، ص ٢١٢).

يتوارث الختم عدة أجيال إذ كان معمول من حجر ثمين ونادر، وقد عثر على ختم يعود إلى عصر جمدة نصر بكتابات مسمارية تعود إلى عصور متأخرة، وعثر على ختم آخر في موقع تل سليمة استعمل من العصر الأكدي (٢٣٧١ ق.م) وإلى العهد البابلي بحدود (٢٠٠٦ ق.م) أي توارثته ثلاثة أجيال متعاقبة وكان يسمح جزء من الختم ويضاف إليه معلومات أخرى، ويستدل من ذلك أن الأبن استعمل ختم أبيه بعد وفاته، وهذا ما حصل أيضاً في العصور الإسلامية من توارث الختم لعدة أجيال لعدم التفريط به (محسن، ١٩٨٧م، ص ١٢-١٣).

الأختام في العصور الإسلامية:

الختم من الألفاظ العربية الأصلية والتي وردت في القرآن الكريم، إذ قال في كتابه الحكيم بسم الله الرحمن الرحيم: { خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (سورة البقر: آية ٧). وقد جاءت في مواضع عدة ولنفس المعنى.

والختم: هو الطابع والعلامة والسمة، وهو ما يوضع على الطينة وحلى للأصبع وتقول العرب: خواتم وخواتيم، وتختم به ولبسه (ابن منظور، ١٩٩٠م، مج ١٢، ص ١٦٣-١٦٤).

يعد خاتم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أول ختم في الإسلام، وبعد وفاته توارثه الخلفاء الراشدين، لكن للأسف فقد من الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، حيث سقط منه في بئر أريس إحدى الآبار القريبة من المدينة (ابن خلكان، ١٩٩٤م، ج ١، ص ٦٠).

يذكر بأن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) له ختم آخر من الورق كان فسه حبشياً (أي مائل للسواد)، وكان نقشه أيضاً (محمد رسول الله) (ابن سعد، دون تاريخ نشر، ج ١، ص ٤٧٢).

جرت العادة عند الخلفاء الراشدين تيمناً بالرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ولتمشيه الأمور الأخرى باستعمال الختم، ويذكر بأن الخليفة الأول أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) (١١-١٣هـ) قد استعمل ختم رسول الله، ولديه ختم آخر نقش فيه عبارة (نعم القادر لله) (ابن الكازورني، ١٩٧٠م، ص ٥٩).

أما الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (١٣-٢٣هـ) فكان عنده عدة أختام منها ختم نقش عليه عبارة (كفى بالموت وأعظاً يا عمر) (ابن الكازورني، ١٩٧٠م، ص ٦٨).

وكذلك الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (٢٣-٣٥هـ) لديه عدة أختام منها مكتوب بعبارة (أمنت بالله الذي خلق فسوى)، أما الخليفة الرابع علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٣٥-٤٠هـ) كان لديه عدة أختام مكتوبة بعبارات مختلفة منها (الملك لله الواحد القهار)، و (الله الملك الحق)، وغيرها من الأختام (السيوطي، ١٩٨٦م، ص ١٧١).

تذكر المصادر التاريخية أن لآل الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) كلاً له ختم خاص به، فكانت السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول (عليها السلام) زوجة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ختم مكتوب فيه (الله ولي عصمتي)، ويقال منقوش بعبارة (أمن المتوكلون) (الأبطحي، ٢٠١٢م، ص ١١٦).

استمر الخلفاء في العصر الأموي باستعمال الختم، والذي كان يمثل شارة من شارات الخلافة والحكم، وكانت أختامهم منقوشة ومكتوبة بعبارات دينية أو حكم أو أدعية، ولأهمية الختم وضع الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤٠-٦٠هـ) ديوان خاص به لكي لا يتم التلاعب أو التزوير فيه، وذلك لأهميته (الطبري، ١٩٩٠م، ج ٥، ص ٢٣٠). وأيضاً استمر خلفاء الدولة العباسية على هذا التقليد وشمل أيضاً رجال القضاة والوزراء والكتاب والولاة وكانت منقوشة بعبارات ما يجب كتابته صاحب الختم.

ويذكر بأن بعض الأختام قد يكون فيها أشكال آدمية أو حيوانية أو زخرفة وغير ذلك مثلاً ، أن ختم (عمران بن الحصين) كان نقشه ، رجلاً منقلداً سيفاً، ونقش أحد الرجال المهمين صورة أسد رابض وغيرها (ابن سعد، دون تاريخ نشر، ج ١، ص ٤٧٤).

وأغلب الأختام كانت تصنع من الأحجار الكريمة وعليها خطوط كتابية محفورة، ويذكر أن الختم نزل من السماء وعلى صورة ياقوته خضراء، نقش عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وكان ملك سليمان وقوته في خاتمه، ويعتبر الختم صفة ملازمة للشخص ورمز له (الخرجي، ٢٠٠٩م، ص ٢٦).

أما الأختام التي سنقوم بدراستها فهي محفوظة في المتحف العراقي وهي كالاتي:

أولاً/ رقمة: ٨٧٦٩١ - م ع ينظر لوح رقم (١)

المادة : حجر كريم من العقيق الأحمر الفاتح.

القطر: ٢٨ ملم.

الوزن: ٦ غم.

الوصف/ فص خاتم شبه دائري كتب عليه بشكل معكوس (يا أحمد) وحوله تشكيلات أو خطوط زخرفية وأسفل الاسم خطوط قد يكون تاريخ لم يكتمل، لأن أغلب الأختام يضع فيها تاريخ، وقد كتب الاسم بالخط النسخي^(*).

ولربما يقصد (يا أحمد) ، أي اسم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذه العبارة تعتبر للترجي ب(يا أحمد)، الختم من معدن العقيق الأحمر الفاتح، والعقيق سيد الأحجار في التختم عند المسلمين، والمشهور منه العقيق اليماني، والعقيق دقيق التعريق يوجد على هيئة مخطوط من العقيق الأبيض ويوجد بشكل رئيسي على هيئة طبقات في تجويفات الصخور الرسوبية، وينتمي العقيق إلى الاحجار السلكا ويعد من الفصيلة غير المتبلورة منها (برس، ٢٠٠٤م، ص ٢٤١)، ويوجد حجر العقيق في استراليا وفي أمريكا وفي البرازيل وفي اليمن و يكون أفضلها، والذي أقتناه الملوك والأمراء (مرتضى، ٢٠١٤م، ص ١٥٦)،

(*) الخط النسخي: هو الخط المدور، وقد سمي بعدة تسميات منها البديع، والمقور، والمدور، وقد عرف بالخط اللين المدور في النصوص العربية السابقة للإسلام، ومنها نقش حران المؤرخ سنة (٥٦٨هـ) حيث نجد بعض الحروف المدورة واللين، وللمزيد ينظر: صالح، عبد العزيز حميد، ودفتنر، ناهض عبد الرزاق، والعبيدي، صلاح حسين، الخط العربي، جامعة بغداد، ١٩٩٠م، ص ١٤٩.

وتعتبر منطقة (آنس) أشهر المناطق اليمينية التي يتواجد فيها العقيق حيث يوجد على أشكال عروق شبيهة بالمناجم، وكذلك يوجد في (عنس) في ذمار وفي المناطق الأخرى (برس، ٢٠٠٤م، ص ٢٤٢).

ثانيًا/ رقمه: ٨٧٧٠٤ - م ع ينظر لوح رقم (٢)

المادة: حجر كريم من العقيق الأحمر الفاتح

القطر: ٢٩ ملم.

الوزن: ٨ غم.

الوصف/ فص خاتم شبه دائري كتب عليه وبشكل معكوس اسم (صادق عبد) وبالخط النسخي ويلاحظ على الأحرف التنقيط، وقد زين الاسم من حوله بعض الزخارف البسيطة مثل نجمة سداسية فوق حرف (الصاد) وعلى شكل دائرة فوق حرف (الباء)، وقد آرخ هذا الفص بشكل مقطعين الأول (١٣) فوق حرف (الباء)، والثاني تحتها (١٤) أي يكون (١٣ ١٤)، وهذا بالتاريخ الهجري، وقد كتب التاريخ بالأرقام الفارسية (زادة، دون تاريخ نشر، ص ٧١)، لأن الرقم (٤) يعني (٦) فيصبح التاريخ (١٣١٦هـ).

ثالثًا/ رقمه: ٨٧٦١٧ - م ع (اكرامية) ينظر لوح رقم (٣)

المادة: حجر (كوارتز صخري أو بلور صخري) در النجف

القطر: بحدود ٢٨ ملم.

الوزن: ٢٥ غرام مع المدالية.

الوصف/ ختم على شكل هرمي من حجر (در النجف) له جهتين ومنقوش مرتين مثقوب من الوسط وتحمله ماسكة ختم على شكل قلادة أو مدالية كتب على شكل وجهين (أي أسمين) الختم الأول مكتوب باسم (عوض علي) لكن الخط متصل اي الاسمين كتبت بخط واحد وبالشكل الآتي (عوضلي) ، وقد نفذ الاسم بالخط النستعليق^(*)، وتحت الاسم أرضية مزخرفة بزخرفة المراوح النخيلية والتفرعات الأفعوانية أو

(*) خط النستعليق: النستعليق: كلمة مركبة من كلمتين النسخ والتعليق، وكانت تستخدم لفترة طويلة من الوقت بهذا الأسلوب نسخ وتعليق، ثم خففت فيقل (نستعليق)، واسم الخط يعني أنه مقتبس من خط النسخ والتعليق، وهذا الخط من اختراع الإيرانيين. للمزيد ينظر: رمضان، عاطف منصور، موسوعة النقوش الأثرية على المسكوكات الإسلامية، ج ١، القاهرة، ٢٠١٨م، ص ٦٦.

ما يشبه بزخرفة الاريسك وتحت الاسم تاريخ مكتوب (١٣٣٨)، أما الجهة الثانية من الختم أيضًا كتب نفس الاسم لكن بصورة مختلفة وبالشكل الآتي (عو/ صلعي) وفوقها خط الطغراء مكونة من كلمة (الراجي) والظاهر أن هذا الختم الثاني جاء متأخرًا أو لربما يكون تقليدي للختم الأول، أو أراد الخطاط أن يكتب الاسم بهيئة ختمين مختلفين وبخطوط مختلفة.

وقد عمل هذا الختم من حجر البلوري أو بلور الكرستال ويدعى بـ(در النجف) وهو يشبه الزجاج أو كوارتز الهالين، مصادره الرئيسية في اليابان وسويسرا والبرازيل وإيران وفي وادي الغدير بالعراق، ويكثر بعد هطول المطر في صحراء النجف الأشرف فيجمعه الناس الذين يعملون في هذا المجال ويصقل ويبيع (مرتضى، ٢٠١٤م، ص ٩٠).

رابعًا/ رقمه: ٦١٥٨ - ع (اكرامية) ينظر لوح رقم (٤)

المادة : معدن برونزي.

القطر : ٤٠ ملم.

الوزن : ٤٧ غرام.

الوصف/ ختم من مادة البرونز دائري الشكل من خلال النص الكتابي على الختم أنه يعود إلى العصور الإسلامية، لأن من خلال العبارة وردت أختام إسلامية بهكذا صيغة (النقشبندي، ١٩٧٤م، ص ١٥ - ٢٠)، والكتابة التي على الختم هي:

الأسطر الأول/ بالله

السطر الثاني/ عبد الله كبر بن الحسين.

السطر الثالث/ ابن محمد بن ابي (رينقة).

السطر الرابع/ يثق.

أي أن عبد الله كبر بن ٠٠٠ يثق بالله ، وهذا يعني أنه يثق بالله بكل أموره، وقد تأتي عبارة أيضًا وردت في الأختام الإسلامية والأغلب شخصية، وهي آية قرآنية بسم الله الرحمن الرحيم: {أَفَوْضُ أُمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} (سورة غافر: آية ٤٤)، فهذه الآية أيضًا يعتمدها الإنسان ويتضرع إلى الله بكل

أموره الصغيرة والكبيرة، أما من ناحية هذا الاسم (عبد الله كبر الحسين ٠٠٠٠) فلم أجد لهذه الشخصية ترجمة في مصادر المعاجم.

خامساً/ رقمه: ٨٧٧١١ - م ع ينظر لوح رقم (٥)

المعدن: عقيق برتقالي (زعفراني).

القطر: ٣٠ ملم.

الوزن: ٧ غم.

الوصف/ فص عقيق برتقالي ويقال له لون زعفراني كتب عليه (عبد ولى) على أرضية من زهريات ويزدان هذا الختم بتاريخ مكتوب عليه سنة (١٣١٣هـ).

تأتي هذه العبارة على أدلال أو تصغير الإنسان امام الله القادر الواحد الاحد سبحانه وتعالى بصيغة عبده أو المسكين أو الحقير أو الذليل وغيرها من الأسماء التي تأتي على أختام شخصية أيضاً، وولي هو اسم علم.

سادساً/ رقمه: ٨٧٧١٧ - م ع ينظر لوح رقم (٦)

المادة: عقيق برتقالي.

القطر: ٢٥ ملم.

الوزن: ٧ غم.

الوصف/ ختم دائري من حجر العقيق كتب باسم شخصي، يحيط بالاسم دائرة والاسم هو (أسد الله الموسوي)، وأن اسم (أسد الله) صيغة لتسمية رجل يمثل شخصية باسم (أسد الله)، واسم (أسد الله) شخصية معروفة، هو أحد صانعي السيوف العربية وهناك شخصيتين بهذا الاسم، دمشق السكن وآخر أصفهاني (العماري، ٢٠٢١م)، لكن جاءت هنا (عبارة أسد الله الموسوي) والموسويين أحد العوائل العربية في العراق (*).

(* الموسوي، بضم الميم والسين المملة المفتوحة بين الواوين، هذه النسبة لجماعة من السادة العلوية ينتسبون إلى الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) وهو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه

سابقاً/ رقمه: ١١٦٦٢ - ع (اكرامية) ينظر لوح رقم (٧)

المادة : معدن فضة

القطر: ٢٧ ملم.

الوزن: ٤٠ غرام مع الماسكة.

الوصف/ ختم فضة منقوش بكتابة بخط الثلث (*) نصه (عبد الوهاب وهبي) وفيه تاريخ (٠٣٣٨) هكذا كتب التاريخ، ولربما بدل الصفر الرقم (١)، لأن من غير المعقول تاريخه (٣٣٨ هجرية) لكن الخطاط وضع علامة (٠) قد يكون الرقم (١) صغيراً، والدليل على ذلك أن تصميمه وشكله يوحي إلى المدة المتأخرة أي (١٣٣٨هـ)، لكن الجميل في هذا الختم هي الماسكة التي تعلق الختم فقد صممت بشكل جميل جداً على شكل يشبه رأس محراب، ومن ثم فوّه عدة دوائر وبعدها شكل يشبه ورقة الأكانثاس، وقد رسم في شكل المحراب طير يقف على غصن نباتي وعلى يمينه شكل أوراق، وقد اشتغل الفنان هذه الزخرفة بمادة المينا التي تضاف إلى الصياغات الفضية أو الذهبية وغيرها من المعادن.

ثامناً/ رقمه: ١١٦٢٨ - ع (اكرامية) ينظر لوح رقم (٨)

المادة : حجر عقيق يمانى

القطر: ٢٥ ملم.

الوزن: ٧ غم.

السلام). للمزيد ينظر: السمعاني، الإمام ابي سعد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي، الأنساب، دار الجنان، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ج٥، ص٤٠٥.

(*) خط الثلث: هو من أشهر أنواع الخط النسخي وسمي بالثلث، لأنه يكتب بقلم رأسه بعرض ثمانية شعرات أي ثلث قطر القلم ويسمى خط الثلث، لأنه المنهل الأساسي لأنواع كثيرة من الخطوط العربية الأخرى من حيث القواعد والموازين. للمزيد ينظر: القيسي، ناهض عبد الرزاق، تاريخ الخط العربي، عمان، ٢٠٠٨م، ص٩٤.

الوصف/ ختم عقيق يمانى أحمر فاتح ببيضوي الشكل مكتوب عليه اسم على أرضية مزهرة بأفرع نباتية الاسم مكتوب هكذا (رمصا لعلی) وحوله دائرة نفذ الختم بخط التعليق (*)، وهذا يعني أن الاسم (رمضان علي) لقد قام الخطاط بدمج نون مع العين ورسم النون على شكل (اللام) وهذا يحصل في خطوط التعليق و نستعليق، وهذه من ابداعات الخطاط (الألوسي، ٢٠٠٨م، ص ٥٤)، ويحتوي هذا الختم على تاريخ أسفل الاسم والتاريخ هو (١٣٥٧) ودائماً هذه الاختام تكتب بالتاريخ الهجري والملاحظ أن التاريخ كتبت فيه المئات بالصورة الآتية (٣)، ويقصد بها الخطاط أثنين أو ثلاثة، وهذا فارق كبير بالنسبة للسنتين أن كانت أثنين؟ لكن من خلال الخط وكذلك هيئة الختم أنا اعتمد التاريخ الآتي (١٣٥٧هـ).

تاسعاً/ رقمه: ٨٧٧٥٢ - م ع (اكرامية) ينظر لوح رقم (٩)

المادة : حجر عقيق يمانى

القطر: - ٢٦ ملم.

الوزن: ٨ غم.

الوصف/ ختم شبه دائري من العقيق اليماني الأحمر، وقد نقش على أرضية من التفرعات النباتية والاسم هو (محمد تقي) وقد كتب بخط الثلث، ويعود إلى شخصية اسمه هكذا.

عاشراً/ رقمه: ٨٧٧٥٤ - م ع ينظر لوح رقم (١٠)

المادة : حجر عقيق يمانى

القطر: ٢٩ ملم.

الوزن: ٩ غرامات.

الوصف/ ختم ببيضوي الشكل من العقيق المائل إلى اللون الجوزي، ويطلق عليه جزع يمانى نقش فيه اسم كتب هكذا (خاك قدم علي/ مظهر) وقد أطر الاسم بدائرة ويوجد على جهة اليمين من اسم (مظهر) تاريخ (١٨) ومن خلال العبارة والتاريخ يتضح أنه ختم فارسي، لأن العشرات كتبت بالرقم الفارسي وهو (٤)

(* الختم التعليق: يمتاز الخط التعليق بجمالة ودقة امتداد حروفه ويتميز بالوضوح وعدم التعقيد ويستخدم في كتابة عناوين الصف والمجلات والإعلانات التجارية، وقد شاع خط التعليق في شرق العالم الإسلامي، وقد بدأ بالظهور منذ أوائل القرن الثالث الهجري، للمزيد ينظر: القيسي، ناهض، تاريخ الخط، ص ٩٦.

الذي يقابله بالعربي رقم (٦) ولا يعقل أن تاريخ الختم بهذا التاريخ أي (١٨٦)، ولربما يكون بالتاريخ الفارسي أو قد نسي الخطاط رقم آخر، لكن بعد التمعن بالختم لا يوجد رقم آخر غير هذه الأرقام الثلاثة. أما الكتابة فهي عبارة ومن ثم اسم شخص والعبارة هي (خاك قدم علي) والسطر الثاني اسم (مظهر) والخاك تأتي بمعنى تراب (زادة، دون تاريخ نشر، ص ٢٠)، ويكون معنى الختم (تراب قدم علي) (مظهر) أي التضرع والخضوع لقدسية ومكانة الإمام علي (عليه السلام) في نفوس المسلمين وقد جاءت عبارات عديدة مثل هكذا معنى التضرع للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) ولبيته الأطهار في الأختام الإسلامية.

وبعد الانتهاء من دراسة الأختام في المتحف العراقي سنتناول دراسة أختام إسلامية محفوظة في المتحف البريطاني وعددها (٤) قمت بدراستها دراسة علمية، وللأمانة العلمية بعد ذلك نشرتها الأنسة (Venetia) بكتاب (Porter, Venetia, 2011, p.00000) خاص للأختام الإسلامية، وقد وجهت لي الشكر في مقدمة الكتاب لمساعدتها بقراءة الكثير من هذه الأختام الإسلامية ، ومنها ما يأتي:

أولاً/ تحت رقم 384 ينظر لوح رقم (١١)

القطر: ١٩ ملم.

الوصف/ ختم عقيق سمائي دائري الشكل (porter, ibid.p.8) ، نفذت الكتابة فيه على شكل زخرفة متشابكة وفي بعض ثنايات الأحرف توجد زخرفة تشبه زخرفة الأريسك، أما في وسط الختم فكذلك توجد زخرفة شبيهة للزخرفة في نهاية الأحرف، لكن على شكل أكبر والعبارة المكتوبة هي (توكلي على خالقي) بشكل معكوس بالخط الثلث المتكرر أي المتماثل، والمعنى واضح هو التوكل على الله.

ثانياً/ الرقم 381 ينظر لوح رقم (١٢)

القطر: ٢٥ ملم.

الوصف/ ختم دائري من العقيق البنفسجي الفاتح (porter, ibid.p.8) كتب في وسطه بخط الثلث (وما توفيقي إلا بالله) في وسط مربع والمربع متكون من خلال حرف (الباء) المتكرر حول العبارة، والعبارة هي (نادي علياً مظهر العجائب تجده عوناً لك في كل النوائب كل هم وغم سينجلي بولايتك يا علي يا علي يا علي) وكل العبارات قد أطرت بدائرتين في حافة الختم، وهذه العبارة تطلق على طلب الحاجات وقضاء كل هم وغم بالتقرب إلى الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) والمناداة لهذه الشخصية المهمة

في الإسلام، وهذه العبارة من العبارات المهمة التي دائماً تكتب عند الشيعة، لمكانة الإمام العالية عندهم، وبعد الشخصية الثانية بعد الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) (شرف، ٢٠١٠م، ص ١٨٠٥ - ١٨٠٦).

ثالثاً/ الرقم 417 ينظر لوح رقم (١٣)

القطر: ٢١ ملم.

الوصف/ ختم من عقيق لونه بني غامق (porter, ibid.p.94) يطلق عليه أحياناً يشم^(*) وهو فصيلة من حجر العقيق مثنى الشكل تقريباً في وسط الختم كتب (بندة طيبة) في مربع متكون من الأحرف التي حول هذا الاسم (بندة طيبة) وبندة تعني خادمة بالفارسية ، وطيبة اسم علم لشخصية ما. وحول هذا الاسم عبارات أخرى تقرأ (يا واهب العطايا ٠٠٠ أغفر لي الخطايا يا خافي الألفاظ ٠٠٠ نجني مما أخاف)، والمعنى واضح من أن الله يهب للإنسان كل شيء وهو الذي يغفر الذنوب والخطايا و يا الله ادركنا ونجنا من كل سوء نخاف منه.

رابعاً/ الرقم : 433 ينظر لوح رقم (١٤)

القطر: ١٦ ملم.

الوصف/ عقيق أحمر غامق على شكل كمثري (لوزي) (porter, ibid .p.9) نقش فيه غزال في حالة حركة وحوله رسمت دائرة على مدار الختم فوق الغزال اسم شخص (حسن) وحول الغزال يتصور للناظر أنها كتابات مكملة لكلمة (حسن) لكن بالأحرف خطوط أراد الفنان أن يملأ الفراغ ويصنع زخرفة بسيطة بهذا الختم.

وللمزيد من الفائدة نضيف إلى وجود أختام قد نشرها "ميشيل ميتشيز" (Mitchiner, Michael,2000, p.477)، ومنها ختم صغير من العقيق مستطيل الشكل تقريباً، يعود للعصر الأموي نقش فيه عبارة (العزة لله). ينظر لوح (١٥)

(*) اليشم: أو الجاد بالإنكليزية (Jade) وهو من الأحجار الكريمة عادتاً يكون لونه أخضر ويوجد بجميع الألوان ما عدا الأزرق ويوجد نوعان منه: (١) الجاديت: هو الأكثر غلاءً وجمالاً. (٢) التفريت: الذي يتكون من سيليكات الكالسيوم والمغنيزيوم، والحديد، وتعتبر أكثر منطقة رئيسية في العالم لاستخراجه هي غواتيمالا في أمريكا اللاتينية. للمزيد ينظر: برس، رشاد، الأحجار الكريمة، ص ٣٠٦.

وآخر أيضاً من العقيق الأحمر مربع الشكل يعود للدولة الغزنوية نقش عليه (محمد رسول الله). ينظر لوح (١٦)

وقد نشر "روجرز" (J.M. Rogers, 2007, 0.474) ختم يعود إلى الشاه طهماسب في إيران مستطيل الشكل، ومن حجر الكرستال حجمه (٤,٢سم) يحمل أسماء الله الحسنى وبتجاه عقرب الساعة، وقد آرخ سنة (٩٦٣هـ) أسفل الختم ويحتل في الوسط اسم الشاه ولقبه (خادم ملك القداسة: أي علي بن ابي طالب "عليه السلام") مما يؤكد اخلاص طهماسب والسلالة الصفوية لعلي بن ابي طالب (عليه السلام). ينظر لوح (١٧)

وقد نشر أيضاً ختم من الدولة الفاطمية بحجر رمادي مستطيل فيه صياغة ذهب نقش عليها ثلاثة أسطر على النحو الآتي: (أمة الله/ زبيدة/ تثق بالله). ينظر لوح (١٨)

توجد أيضاً أختام إسلامية في مجاميع خاصة (٤٠) لديهم الرغبة باقتناء هذه الأختام أو قد تكون أورثوها عن طريق الأجداد أو الآباء، و لا بد من عرض قسم منها وهي تكون بالعشرات عند هؤلاء ومن بين هذه الأختام:

(١) ختم عقيق يمانى أحمر بيضوي الشكل أبعاده حوالي (٢٠ملم) نقش فيه بخط كوفي (الله ثقني ورجائي) وقد وضع النقاش علامة نجمة تحت أسفل الكتابة لكي يجمل الختم . ينظر لوح (١٩)

(٢) ختم من الجزع اليماني (طبقات) يدعى بقري، أبعاده (١٨ملم) نقش فيه عبارة (أفح من أتقى) وبالخط الكوفي الجميل ، وفوق كلمة أفح رسم الفنان شبه النجمة. ينظر لوح (٢٠)

(٣) ختم من العقيق الأحمر المائل إلى البرتقالي قياسه (٢٣ملم) نقش عليه عبارة (يا عالم خفيتي أغفر لي خطيئتي)، وتحت هذه العبارة اسم (فرج) وقد يكون هذه الاسم اسم الخطاط الذي قام بخط هذه العبارة أو اسم صاحب الختم، والعبارة مفهومة أي أن الله يعلم ما بداخل العبد وما يطلب العبد منه ربه، وقد جاءت عبارة (يا عالم خفيني) أي أن الله يعلم ما بداخل كل نفس وما تخفي الصدور؟ وبعدها يقول العبد لله سبحانه وتعالى (اغفر لي خطيئتي) وأنت تعلم بها يا رب. ينظر لوح (٢١).

الاستنتاجات

بعد الانتهاء من هذا العرض لهذه الأختام الإسلامية وبعد البحث والدراسة لهذه القطع الصغيرة تبين لنا ما يلي:

(١) تعد الأختام الإسلامية من الوثائق المهمة لبيان مكانة الأشخاص الذين كانوا يحملونها ويختمون بها، ولربما تكون شخصيات مهمة من خليفة أو أمير أو موظف مهم في الدولة، وهي تعد من علم النيومستك الذي يتهم بالنقود والأختام وغير ذلك.

(٢) صعوبة القراءة لبعض منها، لأنها نفذت بأنواع الخطوط العربية ومنها الكوفي بأنواعه والنسخي والتلث والخطوط الأخرى أي التعليق أو نستعليق وغيرها من الخطوط، إضافة إلى ذلك حمل بعضها أو أغلبها تاريخ معين لصاحب الختم و البعض الآخر زاد في ذلك بعض الطلاسم أو الرموز الصعبة لحلها.

(٣) تعد الأختام الإسلامية من الفنون الإسلامية المهمة لما تحويه من زخارف نباتية وهندسية وحيوانية والخطوط بأنواعها.

(٤) معظم الأختام كانت من الأحجار الكريمة والمهمة والتي كانت لها تأثير نفسي على الشخص قد يكون لبعض الأمراض، أو لجلب الرزق وغيرها من أمور الحياة وفي هذه الدراسة كانت أغلبها من الحجر العقيق المبارك الذي تختم به آل البيت الأطهار.

(٥) كانت الحالة الاقتصادية للشخص الدور الرئيسي للاقتناء ختم يكون حجره من الأحجار الكريمة الغالية الثمن والتي كانت تجلب من خارج البلاد الإسلامية إذا اضطر الأمر لذلك.

(٦) نفذت كل العبارات في الأختام الإسلامية، أما تكون دينية أي آيات قرآنية أو عبارات توسل وتضرع لآل البيت (عليهم السلام) أو أحاديث نبوية شريفة أو حكم وغيرها من العبارات.

(٧) للأسف لم تأخذ الأختام الإسلامية الدور الفاعل في عرضها في المتاحف العراقية إلا ما ندر، وكذلك ضياع أغلبها من الناس حينما توارثوها عن الآباء والأجداد، وهذا عرفته من خلال بعض اللقاءات الشخصية للمهتمين بها.



٨٧٦٩١ م - ع
قرار رقم ٨٢

لوح رقم (١)



٨٧٧٠٤ م - ع
أكرامية

لوح رقم (٢)



٨٧٦١٧ م - ع
أكرامية



٨٧٦١٧ م - ع
أكرامية

لوح رقم (٣)



ع - ٦١٥٨
اكرامية



ع - ٦١٥٨
اكرامية

لوح رقم (٤)



ع م - ٨٧٧١١
قرار رقم ٨٢



ع م - ٨٧٧١١
قرار رقم ٨٢

لوح رقم (٥)



ع م - ٨٧٧١٧
قرار رقم ٨٢



ع م - ٨٧٧١٧
قرار رقم ٨٢

لوح رقم (٦)



ع - ١١٦٦٢
اكرامية



ع - ١١٦٦٢
اكرامية

لوح رقم (٧)



ع - ١١٦٢٨



ع - ١١٦٢٨
اكرامية

لوح رقم (٨)



ع م - ٨٧٧٥٢
اكرامية



ع م - ٨٧٧٥٤
قرار رقم ٨٢

ع م - ٨٧٧٥٤

لوح رقم (٩)

لوح رقم (١٠)



لوح رقم (١١)



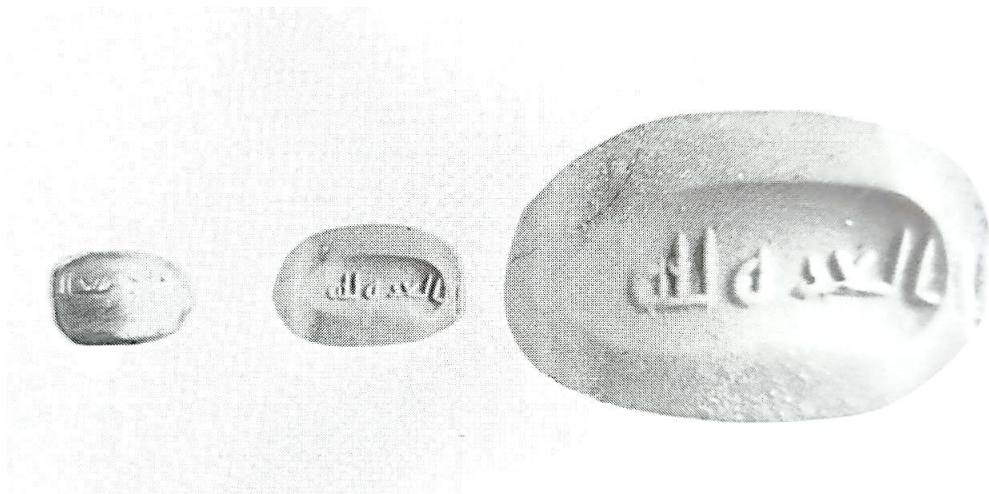
لوح رقم (١٢)



لوح رقم (١٣)



لوح رقم (١٤)



لوح رقم (١٥)



لوح رقم (١٦)



لوح رقم (١٧)



لوح رقم (١٨)



لوح رقم (١٩)



لوح رقم (٢٠)



لوح رقم (٢١)

قائمة المصادر

* القرآن الكريم

أولاً: المصادر العربية

١. ابن الكازروني، ضمير الدين علي بن محمد، مختصر التاريخ، حققه: مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٠، الصابي، أبو الحسين هلال بن الحسن، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فرج، دار أحياء الكتب العربية، ١٩٥٨م، ص ١٢٧.
٢. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن علي بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م، ج ١، الدروبي، محمد محمود أحمد، نقوش خواتم الخلفاء العباسيين، دراسة وتحقيق: حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية ٣٤، الأردن، ٢٠١٤م، ص ١٦.
٣. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م، مج ١٢. وابن سيدة، أبو الحسن إسماعيل، المخصص، ط ١، مطبعة بولاق، ١٣١٨هـ، مجلد ٥، ص ٩٦.
٤. السمعاني، الإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي، الأنساب، دار الجنان، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م، ج ٥.
٥. السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بغداد، ١٩٨٦م.
٦. الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضيل إبراهيم، ط ٥، دار المعارف، مصر، ١٩٩٠م، ج ٥.

ثانياً: المراجع العربية

١. الأبطحي، محمد صدر الموحد، الأحجار الكريمة وخواصها العجيبة، بيروت، ٢٠١٢م. والشيخ، علي كاظم، الأختام الإسلامية ما بين اقتنائها وضياعها، مجلة السفير، أمانة مسجد الكوفة، السنة الثالثة، العدد ١٤، ٢٠١٢م، ص ٢٤-٢٥.

٢. إسماعيل، خالد سالم، الأحجار في المدونات العراقية القديمة، ندوة أحياء التراث العلمي العربي والإسلامي، جامعة بغداد، ١٩٩٣م. والنقشبندى، إسامة ناصر، والحوري، حياة عبد علي، الأختام الإسلامية في المتحف العراقي، مديرية الآثار العامة، بغداد، ١٩٧٤م، ص ٩-١٠.
٣. الألويسي، عادل، الخط العربي نشأته وتطوره، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٤. باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط ٢، بغداد، ١٩٨٦م، ج ١. الهاشمي، نسيبة محمد، الختم الإسلامية من ظهوره وتطوره، دراسة تحليلية لمجموعة من الأختام في المتحف العراقي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩١م، ص ٦.
٥. برس، رشاد، الأحجار الكريمة بين العلم القديم والحديث، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م.
٦. الخزرجي، عمار، تحفة الأحجار، العراق، النجف، ٢٠٠٩م.
٧. رمضان، عاطف منصور، موسوعة النقوش الأثرية على المسكوكات الإسلامية، القاهرة، ٢٠١٨م، ج ١.
٨. زادة، محمد، تعلم اللغة الفارسية، بدون تاريخ.
٩. شرف، وفاء السيد أحمد، دراسة ونشر الخاتم وقلادة بالأكاديمية الملكية بمديرة، المؤتمر الثالث عشر للاتحاد العام للآثاريين العرب، طرابلس، ليبيا، ٢٠١٠م.
١٠. صالح، عبد العزيز حميد، ودقتر، ناهض عبد الرزاق، والعبيدي، صلاح حسين، الخط العربي، جامعة بغداد، ١٩٩٠م. وحمودة، محمد عباس، تطور الكتابة الخطية العربية، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٤٥.
١١. القيسي، ناهض عبد الرزاق، تاريخ الخط العربي، عمان، ٢٠٠٨م. و رمضان، عاطف منصور، موسوعة النقوش، ص ٦٦.
١٢. كيدا، أورد، كتبوا على الطين، بغداد، ١٩٦٢م.
١٣. مرتضى، موسى، وعلامة، معصومة، الموسوعة الشاملة للأحجار الكريمة، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ٢٠١٤م.
١٤. النقشبندى، إسامة ناصر، والحوري، حياة عبد علي، الأختام الإسلامية في المتحف العراقي، مديرية الآثار العامة، بغداد، ١٩٧٤م.

ثالثاً: الرسائل والأطاريح

١. العماري، نعيمة علي جلاب، سيوف أسد الله الدمشقي وأسد الله الأصفهاني المحفوظة في متحف الكيف (نماذج مختارة)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٢١م.

رابعاً: المجموعات الخاصة

١. مجموعة خاصة بالسيد محمد سيد كاظم، كربلاء، تاريخ ٥/١١/٢٠١٤م.

خامساً: المصادر الأجنبية

1. J.M. Rogers, the arts of Islam, master pieces from, the Khalil collection, London, 2007.
2. Mitchiner, Michael, riental coins their values, the world of Islam, London, 2000.
3. Porter, Venetia, Arabic and persian seals and Amulets in the British Museum, London, 2011.

**مقومات فكرة العدالة والتشريع
في بلاد اليمن القديم**

أ.م.د. حسن كاظم دخيل

Dr.hassan19642@gmail.com

مقومات فكرة العدالة والتشريع في بلاد اليمن القديم

أ.م.د.حسن كاظم دخيل

الملخص العربي

تعد القبيلة الاساس في تكوين المجتمع اليمني القديم ولقد حافظ هذا النظام على ديمومته حتى الان ... ، أن النظرة الخاصة للقبيلة هي التي حملت أهل الأنساب والأخبار على إطلاق لفظة القبيلة على الحضر ايضا، ولقد كان للزراعة أثراً في استقرار النظام القبلي ... ، من الطبقات الاجتماعية في اليمن القديم : الطبقة العليا (الملوك) ... والطبقة الدنيا (العبيد والموالي) ... والخدم (الذين يعملون في الأرض ويبيعون ويشتررون) ... لقد كان للعرب دور مهم في ارساء القواعد التشريعية في بلاد اليمن القديم ... ، كانت صلاحيات السلطة التشريعية تكاد تكون محدودة بسبب سيطرة وهيمنة الملك على قرارات المجلس القبلي ... ، تضمن القانون اليمني حقوقاً يعمل القانون على المحافظة عليها ومن الحرية الشخصية ، الحق في الحياة ، حق السلامة الجسمية ، الحق في التنقل ، حرية التفكير ، حرية التجارة ، حقوق الأسرة. وقد عاليت القوانين اليمنية القديمة الجانب المالي من حيث النفقات والأيرادات ، كما عالجت قانون العقوبات أشكال الردع على من يقوم بالاعتداء على الآخرين كالقتل والجرح والاجهاض وشهادة الزور، او العقوبات الواقعة على الاموال كالسرقة والتهديد وخيانة الامانة، الا انه ولعدم وجود سلطة تنفيذية لمحاسبة المعتدي فانه يترك الامر غالباً للمجني عليه ان يمارس القصاص بنفسه ...

ABSTRACT

The qiblah is the basis for your formation of the ancient Yemeni society It is imperative for those who preceded, this system has maintained its durability until now that the special view of the religion is what madet the people of genealogy and news worked to apply the word qiblah to the poor urban area - (and agriculture had an impact) on the stability of the tribal system of social characteristics With the old: the upper class (the kings) - and the lower class (the mawali (the slaves and the loyalists) - and the servants (who work in the land and sell and buy) custom has played an important role in establishing the legislative rules and the direction for progress in the ancient Yemen, there were the essences of carrying power Is sort of limited because of the king's dominance.

On the decisions of the tribal council

The Yemeni law guarantees who has rights. The law works against opposition: the right to life, the right to bodily integrity, the right to movement, the right of trade, the family rights and The ancient Yemeni laws dealt with the financial aspect in terms of expenditures and revenues, The Penal Code also deals with forms of deterrence against those who attack others, such as murder, crime, abortion, perjury, or penalties for money, such as theft and threats and the integrity of the trust, because there was no authority to hold them accountable, they often leave the matter to the victim to get justice by himself.

-The Researcher, Baghdad, 2022

المبحث الأول

نظرة عامة على فكرة التشريع والقانون في بلاد اليمن القديم

يتجه علماء تاريخ القانون إلى أن (القانون الروماني) يعد أعظم تراث عرفه العالم لايزال يدرس في جميع جامعات العالم، ولا يوجد بين العلماء في الوقت الحاضر من ينكر الفائدة التاريخية والفائدة القانونية التي تعود على رجال القانون والباحثين في العصر الحديث من دراسة تاريخ هذا القانون ونظمه وإجراءاته، وأنه من العسير استيعاب الشرائع العصرية والقوانين الحديثة وفهماها على حقيقتها دون الرجوع إلى مصادرها التاريخية، فالقانون الروماني هو المصدر التاريخي الذي أخذت منه أغلب الشرائع الحديثة والأصل الذي تفرعت عنه. وقد ذهبوا إلى أن القانون الروماني أصبح عنصراً من عناصر الحضارة الغربية الحديثة، وأنه قانون عالمي يمثل وحدة الإنسانية المستحدثة، وإن الفائدة القانونية من وراء دراسة هذا القانون فهي ترجع إلى أن غالبية الشرائع الحديثة قد اقتبست أحكامها من القانون الروماني^(١).

وتعود الفترة الأولى للقانون الروماني إلى العصر الملكي من سنة ٧٥٤ حتى ٥٠٩ قبل الميلاد، والفترة الثانية في العهد الحميري من سنة ٥٠٩ إلى ١٣٠ قبل الميلاد^(٢).

ويعود إنشاء مدينة روما إلى ٧٥٤ قبل الميلاد، وتقول الروايات: إن أول قانون وضع هو قانون الألواح الاثني عشر وهو نظام الدعاوي التنفيذية ونظام الأسرة والتصرفات القانونية التي وضعت في سنة ٤٥٠ قبل الميلاد، ثم ظهر قانون البرينثوري في سنة ٣٦٧ قبل الميلاد، وهي مهمة جديدة للقضاء بإصدار حكم بعد الاستماع إلى إدعاءات الأطراف المتنازعة^(٣).

ثم ظهر قانون الشعوب Jus gentium الذي منح الأجانب حماية خاصة في حق الزواج والتعامل بصورة أقل مما هو معترف به للرومان^(٤).

وقد دونت القوانين الرومانية في عهد الإمبراطور (جوستينيان) الذي تولى الحكم (٥٣٧) حتى عام (٥٦٥) بعد الميلاد ووضعتها في مجموعات حملت اسمه (مجموعات جوستينيان) من أجل تيسير الاطلاع عليها وحفظ هذا القانون باعتباره تراثاً عالمياً نفيساً ينطلق بعظمة وعبقورية أولئك الذين اشتغلوا بعلم القانون، كما يعتقد علماء القانون^(٥).

مقومات فكرة العدالة والتشريع في بلاد اليمن القديم

وبناء على ذلك ، فإن القانون الروماني عند علماء الغرب يعد من أقيم القوانين الغربية وأساسها حتى الوقت الحاضر .

وبغض النظر عما يحمله القانون الروماني من تعسف واستغلال وتفريقته بين الأحرار والعبيد والوطني والأجنبي، واعتماده الشكلية غير المنطقية في إجراء التصرفات القانونية وكونه معبراً عن السلطة الحاكمة وحمايته المطبقة المنتفذة وعدم مراعاته الجوانب الإنسانية في التعامل ، نقول أن الوطن العربي قد عرف النظم القانونية المتطورة قبل أن تعرفه روما بعشرات القرون بصورة أكثر عدلاً وإنسانية وأوسع نطاقاً .

فقد ظهرت الحاضرة في العراق القديم منذ الألف الخامس قبل الميلاد، وظهرت الكتابة في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، فقد قامت الحضارة السومرية والبابلية والآشورية^(٦)، وظهرت نظم قانونية منها المراسيم الملكية القديمة والرسائل الرسمية التي تعود إلى تاريخ إنشاء هذه الدول والأحلاف والمعاهدات والوثائق اليومية والقوانين المكتوبة مثل قانون (أورنو) سنة ٢١١٢-٢٠٩٥ قبل الميلاد، وهو مؤسس سلالة اور الثالثة، وقانون (لبت عشتار) سنة ١٩٣٤-١٩٢٤ قبل الميلاد، وقانون (حمورابي) أشهر ملوك العهد البابلي القديم. وساد حكام سلالة بابل الأولى وهي من أشهر القوانين القديمة في العالم في الألف الثاني قبل الميلاد ، والتي تتكون من (٢٨٢) مادة قانونية، وتتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية: المقدمة والمتن والخاتمة، وكتب بأسلوب أدبي رائع أقرب إلى الشعر^(٧).

وان كان من الثابت أن أصل أهل العراق جاؤوا من اليمن وأنهم نقلوا حضارة إلى العراق فإنه من الطبيعي أن تكون قوانين اليمن أقدم من قوانين العراق التي تمتد إلى الألف الخامس قبل الميلاد. وهي أقدم قوانين في تاريخ البشرية. وبذلك نقول إن تاريخ القانون في اليمن يمتد إلى أصول سحيقة في التاريخ، وأن اتساع الدول التي حكمت اليمن واحتلالها لمناطق كبيرة من العالم خلال خمسة القرون التي سبقت التاريخ الميلادي إنما يعبر عن مراحل تطور الدولة والقانون في اليمن في أوج مرحله. أما القرون التي سبقت ذلك فإنها شهدت تطوراً كبيراً تبعاً لتطور النظم السياسية القائمة في ذلك والتي لا تقل بطبيعة الحال عن التطور القانوني والسياسي في العراق القديم وفي مصر، خاصة عندما كانت اليمن الحضارة الأولى في الجزيرة العربية.

وتشير المصادر الآشورية والبابلية إلى العلاقات التي تربطها مع حضارة اليمن القديم إلى الألف الثالث قبل الميلاد، كما أن مصادر التوراة أشارت إلى حضارة اليمن قبل الميلاد بقرون متعددة. كما ظهرت حضارات متعددة في اليمن قبل الميلاد بطرق متعددة كالدولة المعينة ١٣٠٠-٦٣٠ ق.م ودولة قنبان في القرن السادس قبل الميلاد ، ودولة سبأ ٥٠٠-١١٥ ق.م ودولة حمير ١١٥ إلى ٦٢٨ ق.م. وقد ظهرت فيها أنظمة قانونية متطورة مما يشير إلى أن هذه الأنظمة لم تصل إلى هذه الدرجة إن لم تكن أصولها قد امتدت إلى آلاف السنين.

مقومات فكرة العدالة والتشريع في بلاد اليمن القديم

وبذلك فإن ما طبق من قواعد قانونية في اليمن يسبق القانون الروماني الذي لم يتجاوز عمره التاريخي ٧٥٤ قبل الميلاد وهو إنشاء مدينة روما.

غير ان موضوع تاريخ القانون في اليمن لم يحظ بدراسات علمية كما هو الحال بالنسبة للدراسات العلمية التي شملت تاريخ القانون الروماني والعراقي والمصري وبقية الدول الأخرى للأسباب التالية:-

١- ان الدول القديمة في اليمن توزعت على جميع أراضي اليمن، الأمر الذي يتطلب إجراء تحري عن الآثار في جميع أرجاء اليمن وهي مسألة في غاية الصعوبة.

٢- صعوبة المواصلات في اليمن حيث الجبال الوعرة التي تعرقل الوصول إلى مناطق الآثار .

٣- لم يتمكن الاستعمار البريطاني من التغلغل إلى داخل البلاد، وإنما اقتصر احتلاله على المناطق الجنوبية ، الأمر الذي لم يتمكن فيه الوصول إلى هذه الآثار والإطلاع عليها كما فعل ذلك في بالنسبة للعراق.

٤- إن طبيعة النظام القبلي في اليمن وتمسكه بترائه وعدم اطمئنان علماء الآثار على توفير الأمن لأعمالهم لم تشجعهم على التحري عن آثار اليمن خلال القرنين الماضيين وبداية القرن الحالي.

٥- إن غموض تاريخ اليمن بالنسبة لعلماء التاريخ القدامى لم تشجع المستشرق بالتوجه إلى اليمن والبحث عن آثاره.

٦- لم تلق آثار اليمن التاريخية الرعاية اللازمة في الماضي من قبل مؤسسات الآثار الوطنية والعربية، فلا تزال حضارة اليمن ذلك العالم المجهول لم يكتشف بعد.

ومن حيث البنية الاجتماعية فإن المجتمع اليمني القديم يتكون من طبقات اجتماعية تتمتع بخصائص معينة ينفرد بها عن المجتمعات الأخرى.

ان كل مجتمع من المجتمعات القديمة من عدة طبقات، ولكل طبقة منها تنظيم قانوني يميزها عن غيرها من الطبقات، حيث يحدد القانون حقوق والتزامات كل طبقة.

وعلى الرغم من أن المجتمع اليمني، مجتمع قبلي يتساوي فيه الأفراد مع بعضهم في الحقوق والواجبات، وأن كل فرد في القبيلة يعد جزءاً مهماً لا يختلف عن غيره، إلا أن المجتمع اليمني القديم لا يخلو من التمايز بين طبقة وأخرى.

ومن الطبقات الاجتماعية في اليمن القديم:-

أولاً- الطبقة العليا:

يتربع على العرش الملوك، وهم الطبقة العليا يحكون ما يروونه مناسباً في نظرهم، وحكيم مبرم لا يقبل الاستئناس والتمييز، ويكتسب أصحاب هذه الطبقة الشرف من عدة طرق، الأول النسب، فقد يكون

الشخص من أبناء الملوك والسادة، وهؤلاء أغنياء بطبيعة الحال فيرث عنهم المال وجاء النسب معاً والثاني عن طريق الظفر في الحرب.

والعادة عند العرب أن الشريف لا يقتل إلا بالشريف، وجعلوا دية الملوك أعلى الديات سعراً. وقدورها بألف من الإبل ويليها رتبة دية الأشراف، وذلك تبعاً لمنزلة كل واحد منهم^(٨).

ثانياً- الطبقة الدنيا

أدنى الطبقات الدنيا العبيد ويطلق عليهم لفظنا الفين والمولى، والعبيد الفى وهو الذي ولده أبواه عند سيدهما فهو وارث العبودية وأنثى ال عبيد أمة وتطلق القبيلة على كل أمة وقد تختص بالحواري المعينات.

ومصدر العبيد عند ال عرب الحرب والغزو أو ممن يبتاعونهم من الأمم المجاورة فيصبح العبد من متاع الأسر يستعبده أو يبيعه بعد أن يضع في عنقه حبلاً كالدابة.

وإذا ولدت الأمة تسمى أم ولد ويقال لابنها (هجين) ويطلق عبداً إلا إذا أنجب فتعترف به قبيلته. وقد نشأ عن كثرة العبيد تجارة عرفت بالنخاسة حيث كل النخاسون يأتون بالعبيد من بلاد شتى ويبيعون بالأسواق ومن العبيد قوم كانوا أحرار ولكنهم عجزا عن إيفاء ديونهم فبيعوا رقيق^(٩).

ثالثاً- الخدم

كان الخدم عند الملوك والأغنياء ويطلق عليهم (.....) وقد تقع هذه التسمية على العبيد والأماء وقد يطلق على جميع هؤلاء بـ ()^(١٠).

ومن أقسام هؤلاء العبيد (الفئ) وهو العبد الذي يعمل في الأرض وبياع معها ومن العبيد من يدخل الرق

ويوجد جماعة الشذاذ وهم الذين لا يعرف لهم نسب وكذلك - قطو النسب والخلعاء، كان الرجل اذا اساءه امر من ابنه خلعه أي نفاه عن نفسه وقد كثر الخلاء قبل الإسلام واصبحوا ثلاث مجموعات:-

١- الخلاء الشذاذ الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائمهم

٢- ابناء الحشيات السود ممن نبذهم أبائهم ولم يلحقوهم بها لعار ولادتهم.

٣- المحترفون للصعلكة ولم يكونوا من الفئتين السابقتين وتجمعوا وأصبحوا بشكل قبائل^(١١).

وعلى الرغم من اختلاف مجموع الصعلكة من حيث القبائل التي أنحدروا منها ، والأنساب التي جعلتهم من هذا المركز ووضعهم الاجتماعي السابق، إلا أن بعض مجموعاتهم تماسكت وشكلت وحدة اجتماعية الفها ال فقر والبعد، مما جعلها تعمل لنصرة الضعفاء، وقد اختارت بعض مجموعات الصعلكة الأماكن الخصبة والعيش قرب طرق القوافل التجارية وقوافل الحجاج من أجل الإغارة عليهم وسلب أموالهم.

المبحث الثاني

دور العرف كمصدر للتشريع القانوني في بلاد اليمن القديم

يقصد بالعرف، مجموعة القواعد القانونية التي تنشأ من اضطراد سلوك الناس على نحو معين في اتباعها زمنياً طويلاً، مع اعتقادهم بالزامها، وان مخالفتها تتبع توقيع الجزاء على المخالف^(١٢). وينظر في العرف لكي يكون ملزماً أن يتوافر فيه ركنان: الأول ركن مادي، وهو تكرار العمل بقاعدة معينة فترة من الزمن والثاني ركن معنوي الشعور في الجماعة بالزام العرف وعدم مخالفته. وينشأ العرف من التعامل المستمر بين الأفراد على تطبيق قاعدة معينة ، وبذلك فهو يعبر عن رغبة الأفراد في تطبيق قاعدة معينة ، بينما يعبر التشريع عن رأي السلطة الحاكمة. وقبل أن تنشأ الدولة كان العرف المصدر الأساسي للقانون، ولا يزال العرف حتى الوقت الحاضر مصدراً مهماً من مصادر القوانين الحديثة ، ويسد النقص في التشريعات التي تصدرها الدولة. والعرف المطبق في اليمن وهو العرف القبلي كان سائداً منذ القدم، ولا تزال العديد من أحكامه مطبقة في اليمن في الوقت الحاضر. وبناء على ذلك سنتناول العرف القبلي اليمني كمصدر من مصادر القانون، وأهميته ، وذلك في الفقرتين الآتيتين:-

لم يعرف العرب قبل الإسلام القوانين المنظمة المكتوب في بداية عهد القبيلة أو الدولة في اليمن، وكان كل ما عندهم مجموعة من تقاليد وعادات وطبقوها فترة طويلة من الزمن والتزموا بأخذ الالتزام تي أصبحت بمثابة قواعد قانونية ثابتة أطلق عليها بالعرف القبلي.

غير أن نطاق هذه القواعد العرفية يتحدد في حدود القبيلة لا يحدوها إلى القبائل الأخرى فكل قبيلة قواعدها العرفية الخاصة بها، وهي أعرف على بساطتها جامدة اعتاد عليها أفراد القبيلة ويصعب عليهم مخالفتها أو تغييرها.

ومن طبائع العربي أن يحافظ على عادات آبائه وأجداده ولا يرغب في تغييرها^(١٣). وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ} (الزخرف: ٢٢). ولا توجد حدود فاصلة بين العادات والأعراف والدين، فالأعراف عندهم أقرها المجتمع والدين عادة سلكها الأفراد من أجل الاتصال بالآلهة، ومعنى الدين بالآلهة. ومعنى الدين عادة وقد اختلط الدين بالعرف حتى ليصعب الفصل بينهما^(١٤).

ويعد العرف القبلي في اليمن، من أهم الوسائل المنظمة للعلاقات بين أفراد المجتمع وغن دراسة العرف اليمني كمصدر مهم للقانون يوضح لنا طبيعة النظم القانونية السائدة في اليمن منذ أغوار سحيقة حتى الوقت الحاضر، فعلى الرغم من وجود الدولة ومؤسساتها المختلفة في الوقت الحاضر فإن العرف

مقومات فكرة العدالة والتشريع في بلاد اليمن القديم

القبلي لا يزال هو المصدر الأساس للقانون في اليمن، بل لا نغالي إذا قلنا أن تطبيق العرف القبلي في اليمن هو السائد الآن، ويطبق في بعض الأحيان وإن خالف قاعدة قانونية مكتوب صادرة عن الدولة.

ويعد العرف القبلي مصدرا مهما من مصادر القانون في اليمن للأسباب الآتية:-

١- أن العرف القبلي يمثل النظام العام المتعارف عليه من قبل جميع أفراد المجتمع، سواء أكان أثناء وجود الدولة أم في حالة غيابها.

٢- ان ال عرف القبلي نظاما اجتماعيا قديما ورثته القبائل اليمنية، وأصبح راسخاً لدى الناس.

٣- يمثل العرف القبلي نظاما ثابتا وقويا التزام بتطبيقه باعتباره قاعدة قانونية ملزمة لاتجوز مخالفتها.

٤- يتضمن العرف القبلي قواعد ومعايير محددة تعارف عليها الناس في معاملاتهم.

٥- لا يتضمن العرف القبلي أية قواعد تخالف القانون العام والآداب العامة في المجتمع اليمني وينظر إليه كمؤسسة قانونية تعمل على ضبط ورعاية القيم الأخلاقية والروحية من خلال ما يتضمن من قواعد سلوكية تنظم قيم المجتمع^(١٥).

٦- يمتاز العرف ال يماني في اليمن بأن أكثر الأفراد والحكام يعرفونه ويطبّقونه في تعاملهم اليومي وتسوية منازعاتهم. وإن كان هناك من هو مختص في معرفة القواعد العرفية كالقضاء والعرافة وأصحاب الرأي وشيوخ القبائل.

٧- أن العرف القبلي اليمني يختلف عن الأعراف الأخرى، في ان بعض قواعده مكتوبة تتداول بني المختصين به، غير أن كتابة هذه القواعد لاتخرجه عن إطار العرف، لأنه لم يصدر من من الدولة وإن كانت تعترف به وتطبقه، ولكنه نشأ عن التعامل والتطبيق العملي.

٨- يحكم اليمن نوعان من العرف، الأول العرف العام الذي يطبق على جميع قبائل اليمن كالقواعد الخاصة بتسوية المنازعات بين القبائل ومشاكل الأراضي بين القبائل ومشاكل المياه، والثاني العرف الخاص بكل قبيلة، وهو يختلف من قبيلة لأخرى، كالقواعد الخاصة بالقتل والسرقة والدية وقواعد الزواج وغيرها .

أولا- أهمية العرف في اليمن

وتعود أهمية العرف القبلي للأسباب الآتية:-

١- استقرار التنظيم الاجتماعي، ذلك أن اضطراب التنظيم الاجتماعي يؤدي إلى الفوضى وعدم الاستقرار.

٢- ضرورة وجود قواعد مستقرة تحقق العدالة بين أفراد المجتمع، حيث أن اختلاف الاحكام التي ضبط تصرفات الأفراد تفقد الثقة بالقضاء.

٣- المحافظة على التقاليد والعادات القديمة. ويمنع من تطبيق عادات وتقاليد تتداخل نتيجة الاختلاط مع الشعوب الأخرى ، خاصة وأن اليمن تقع على البحر وسهولة الاتصال مع الشعوب الأخرى التي تختلف عاداتها وتقاليدها عن ما هو موجود في اليمن.

٤- يتميز العرف اليمني بالتطور. حيث ان القواعد العرفية التاريخية التي تناقلتها وتوارثتها الأجيال ليست قواعد جامدة لا اجتهاد فيها أو خروجاً عن نصوصها الحرفية، إذ أنه في الكثير من الأحيان يحاول المحكمون استنباط أحكام وقرارات غير موجودة في القواعد العرفية القديمة.

٥- يعمل أفراد المجتمع اليمني على تطبيق القواعد العرفية باعتبارها تعبر عن سلوك قبلي ثابت، وإن التمسك بالقواعد العرفية يحفظ للقبيلة احترامها ومكانتها بين القبائل الأخرى^(١٦).

٦- أن العرف اليمني القديم من القواعد المستقرة التي تناسب طبيعة المجتمع اليمني. ولهذا نرى أن الكثير من هذه القواعد لاتزال مطبقة حتى الوقت الحاضر بموافقة ورضاء جميع الأطراف، لأنها تقدم لهم حلاً مقبولاً أكثر مما تتضمنه القواعد القانونية لاتزال لاتزال حتى الوقت الحاضر تجد تطبيقها خارج مؤسسات الدولة الرسمية. ولا يزال المجتمع اليمني يحتفظ بالقواعد العرفية المطبقة منذ القدم/ وتعد (قواعد السبعين) المصدر الأساسي لكل القواعد العرفية المعروفة حتى الآن. كذلك ما يعرف بقواعد (ابن زبناغ) وغيرها من القواعد العرفية المدونة والمحفوظة عند بعض الأشخاص المعروفين باسم (المراغة الغصابة). وتعد تلك القواعد من أهم مصادر العرف القبلي اليمني^(١٧).

أما موقع العرف في العراق القديم. فإنه على الرغم من الحركة التشريعية التي اتبعتها العراقيون القدماء، واصدار القوانين والمراسيم بصورة فاقت غيرهم من الأقاليم المعاصرة. فإن العرف لم يفقد أهميته ، حيث يطبق المجتمع قواعد عرفية ثابتة في تعاملهم في الحالات التي لا يوجد فيها تشريع، وخاصة في قضايا البيع والرهن والايجار والإرث، بل إن القوانين التي تصدرها الدولة مصدرها العرف القديم^(١٨).

ثانياً - خصائص النظام التشريعي في اليمن :-

يتميز النظام التشريعي في اليمن بالخصائص الآتية:-

- أ- أن النظام التشريعي في اليمن نظام قبلي، وهو أشبه ما يكون بتحالف قبلي يضم رؤساء القبائل التي تنضوي تحت قيادة الدولة، وهو نظام يقوم على مشاركة رؤساء القبائل وتحملهم المسؤولية.
- ب- لم يتخذ أسلوب انتخاب القبائل في التمثيل بالمجلس القبلي، وإنما بعد كل رئيس قبيلة عضواً في هذا المجلس. ولم يعرف العرب أسلوب الانتخابات في الدول القديمة. ذلك أن رئيس القبيلة يعبر عن حاجات القبيلة، ونرى أن هذا الأسلوب لا يختلف عن أسلوب الانتخابات الحديثة التي تنظمها الدول لانتخاب أعضاء برلماناتها، ذلك أن موقع رئيس القبيلة بالنسبة للقبيلة ليس مفروض اعليها

باقوة وإنما هو احد أفرادها، ويرتبط معهم برابطة الدم، ولو حصلت الانتخابات لم يفز غيره ممثلاً عنها، وبهذا فهو الممثل الحقيقي لقبيلته ، ممثلهم بقناعتهم، ولولا ثقتهم به لما أصبح رئيساً لهم ولهذا يمكننا القول أن رئيس القبيلة في المجلس القبلي عملية ديمقراطية رائد تعبر عن رغبة أبناء القبيلة.

ج- على الرغم من سيطرة النظام القبلي على الدولة وسياستها ، إلا أن صلاحيات السلطة التشريعية تكاد تكون محدودة بسبب سيطرة وهيمنة الملك على القرارات التي تصدر من المجلس القبلي. وبناء على ذلك فإن مناقشة المجلي القبلي لاتخرج في جميع الأحوال عن الرأي المعبر عن رغبة الملك، أما في الحالات غير المهمة فإن للمجلس أن يتخذ القرارات بشأنها.

د- إن السبب في مراعاة رغبة الملك يقوم على أساس أن رؤساء القبائل إنما يمثلون مصالح قبائلهم، وهي مصالح إقليمية، بينما يراعي الملك المصالح الوطنية العامة أي المصالح العليا للدولة. يتمتع الملك بحق النقض (الفيتو) لمنع أي قرار يصدر من المجلسين. وبناء على ذلك فإن القرارات تصدر باسم الملك بوصفه صاحب السلطة.

ويمكننا القول، إن الحكم في دول اليمن القديم يتصف في بعض جوانبه بالنظام الديمقراطي وهو أفضل بكثير من الأنظمة في العالم الحديث.

ثالثاً- الحقوق والحريات الأساسية

الحقوق والحريات الأساسية هي الحقوق الشخصية المتعلقة بحماية المقومات الشخصية للإنسان المتعلقة بسلامة حياته وحمايتها، وحقه في السلامة الجسمية وحقه في حماية شرفه، وحرية التنقل والإقامة، وحرية الفكر، وحرية الزواج، وحرية التجارة، وحقوق الأسرة^(١٩).

وتضمن الدساتير الحديث والقوانين الداخلية والقانون الدولي حماية هذه الحقوق وعدم المساس بها بأي شكل من الأشكال.

وقد تمسك اليمني منذ القدم بحقوقه وحرياته الأساسية ، ومن هذه الحقوق والحريات:-

أ- الحرية الشخصية:

والعربي مجبول على الحرية، وهو لا يطبق الخضوع لأحد سوى قبيلته، على أن لا يثر ذلك في حريته الشخصية. وقد أعجب فقهاء اليونان والرومان بحب العرب للحرية ومقاومتهم للاسترقاق، وذكروا أنهم كانوا الشعب الوحيد من بين الشعوب الآسيوية الذي لم يخضع لحكم الفرس. والعربي شديد التعليق بالحرية، وهو يشعر وهو في الحضر بين سكان القرى او المدن. أنه في سجن لا يطاق لكثرة القيود التي تقتضيها عادات المتحضرين، ويسعى للعودة إلى وطنه حيث ينطلق حراً كما يشاء. والقبائل تشعر هذا الشعور نفسه ، فهي تعيش متمتعة بأعظم قسط من الحرية، لا تضحي بها الا لمقتضيات المحافظة على الحياة حيث ترتبط بواجبات التحالف مع القبائل الأخرى للدفاع عن النفس وتأمين ضروريات الحياة^(٢٠).

فحرية العربي أقدس ما يطمح إليه، ويحرص على التمتع به، وهو محارب ويحارب حاقداً على كل من يحاول استعباده^(٢١).

وقد واجهت الدول العربية القديمة متاعب كثيرة من جراء تمسك العربي بحريته ، ومن الفردية المتطرفة، فكانت هذه الحرية من أهم العوامل في تحديد أهداف الدولة، وكانت الدول العربية القديمة تعاني من صراع بين فكرتين ، فكرة عامة ترفي إلى التكتل على أساس إقامة دول كبير ، وفكرة قبلية ترمي إلى التمسك بسطان القبيلة والمحافظة على حرية الفرد. وكان من جراء التمسك بهذه الحرية أن أسقطت العديد من الدول، وإثارة الحروب المستمرة التي أتت على حضارة العرب قبل الإسلام.

إن الحياة الصحراوية قد طبعت بطابع الإفراط في حب الحرية والفردية، وقد أثرت كثيراً في الحياة السياسية والتفكير السياسيين فاقترنت كل الفعاليات السياسية على فعاليات القبيلة، وتراج الفرد والأهل والعشيرة تجاه القبيلة، وأثرت في شكل الحكومات ، فجعلت منها اتحاداً من القبائل جمعت بينها مصالح متشابهة ومنافع مشتركة ، فإذا ما شعرت بزوال مصلحتها أو أن من مصلحتها الانفصال عن هذا الاتحاد فإنها لا تتوانى عن تنفيذ رغباتها وتحقيقها بالقوة.

والعربي مع استماتته في الدفاع عن حريته، يطبع الأحكام والأوامر التي يصدرها رؤساء القبيلة.

ب- الحق في الحياة:-

إن العربي أكثر من غيره يشعر بحقه في الحياة. فقد ضمن العرف القبلي دم العربي، وعدم إراقتهم وكثيراً ما نشبت الحروب بين القبائل بسبب قتل شخص منها، ولهذا ، فإن عادة الأخذ بالثأر عادة عربية خالصة مؤداها أن دم العربي لا يضيع أو يهدر.

وقد وضع العرب قواعد للقصاص من القاتل من أجل ضمان حق العربي في الحياة.

ج- حق السلامة الجسمية:-

إذا كان العرف القبلي قد منع قتل الإنسان فإنه منع أيضاً جرحه أو ضربه، وسن قاعدة العين بالعين والسن بالسن والجرح بالجرح، وقد وضع العرب نظاماً دقيقاً للمحافظة على سلامة جسم الإنسان.

د- الحق في الشرف:

الحق في الشرف من الحقوق اللصيقة عند أهل اليمن، ولا نعتقد أن هناك أمة أكثر من العرب تتمسك بالشرف، فالعربي يضحى بحياته وحياة أسرته وأمواله من أجل المحافظة على شرفه وشرف عائلته، وعند المساس به، وقد وضع العرف القبلي القواعد التي تضم لليمني المحافظة على شرفه.

هـ- حرية التنقل:

أرض العرب كلها ملك للعربي، لا حدود بين دولة وأخرى، ولا جنسية لدولة تمنحها لمواطنيها معزولة عن العرب الآخرين ، فالعربي يستطيع التنقل من دولة لأخرى بحرية تامة لحدود تمنعه. وحرية اليمني مصونة بشكل تعجز عن تقريره جميع الأنظمة القانونية الحديثة.

و- حرية التفكير:

العربي طليق الفكر، فه ويتذوق الشعر والبلاغة ويحترم الرأي الآخر، فكثيراً ما تقام مباريات بين ممثلي القبائل في مدح نفسه وقومه وخصالهم ومكارمهم، وفي أرض اليمن تنتوع الأفكار والأديان والآراء، فالعربي مجبول على الحرية، وهي جزء من حياته، ويأبى أن يسكن المدينة لأنها تقيد حريته، ويأنف الخضوع لأية سلطة عدا قبيلته.

ز- حرية الزواج:

على الرغم من تعدد أنواع الزواج عند العرب قبل الإسلام، فإنه لا أحد ينكر أن الزواج عندهم قائم على الحرية والرغبة، وإذا كانت القوانين الغربية تفرض حالة استمرار الزواج رغم إرادة الزوجين، فإن العرب كانوا يملكون حرية انحلال الزواج إذا تبين عدم نجاحه أو فشله.

ح- حرية التجارة:

يتميز اليمني في القدم عن غيره من العرب، أنه محب للتجارة ملم بها، يسير أغوارها، وتجارة أهل اليمن لا تتحدد بينهم فحسب بل إنهم يتاجرون بينهم وبنو الأمم الأخرى، وأنهم يتاجرون فيما بين الأمم الأخرى، فينقلون التجارة من دولة لأخرى.

وإن تجارة أهل اليمن لا تتحدد بمادة معينة، وإنما تشمل جميع المواد الزراعية والصناعية والمواد الثمينة.

خ- حقوق الأسرة:

حقوق الأسرة هي حق الأب على أبنائه بالتربية، وحقهم على أبيهم بالنفقة، وحق الزوج على الزوجة حماية شرفه وخدمته، وحقها عليه في النفقة، وتعد حقوق الأسرة عند أهل اليمن ثابتة، بل إنها من الحقوق العريقة عندهم، من حيث مضمونها ومن حيث الأشخاص الذين تشملهم هذه الحقوق، وهو أمر لم تصل إليه القوانين الحديثة.

المبحث الثالث

دور التشريع في تنظيم القواعد القانونية المالية

يعد القانون المالي بانه هو من يقوم بتنظيم نفقات وإيرادات الدولة. ونفقات الدولة كل ما تنفقه الدولة لضمان حسن أداء واجباتها، كرواتب الموظفين والأموال التي تصرف على إدارة المؤسسات الحكومية العامة ونفقات حفظ الأمن الداخلي والدفاع عن الدولة، وبعبارة أخرى كل ما تصرفه الدولة من نفقات تتعلق بالمنفعة العامة. أما الإيرادات، فهي كل ما تحصل عليها الدولة من أموال سواء ما تحصل عليه، من الضرائب أو من إيرادات الأراضي الزراعية أو من إيرادات المؤسسات الحكومية الخدمية.

مقومات فكرة العدالة والتشريع في بلاد اليمن القديم

وتتولى الدولة في اليمن القديم تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع عن طريق سن القوانين الخاصة بكل وحدة إنتاجية ، أي أن كل هيئة اقتصادية واجتماعية لها نظامها الخاص الذي ترسمه الدولة (٢٢).

أولاً- النفقات:

من استقراء تاريخ الدول القديمة في اليمن ، يمكن أن نستنتج أن الدولة كانت تتولى الإنفاق على الجيش أثناء الحروب أما في حالة السلم ، فإن غالبية أفراد الجيش يرجعون إلى قبائلهم لممارسة أعمالهم العادية ، فالخدمة العسكرية مفروضة على كل شخص قادر على حمل السلاح، فرجال القبائل هم حماة الدولة ، وهم المزارعون والعمال في وقت السلم.

وعندما تنفق الدولة على الجيش، فإن الإنفاق يتحدد بالمواد التموينية والأسلحة وكل ما يتعلق بالمعركة، أما بالنسبة للرواتب فلا نعتقد أن الجندي المكلف في الدفاع عن الدولة يستلم راتباً معيناً ، عدا الجنود الدائمين حيث تتولى الدولة إعالتهم، أما بالنسبة لكبار القادة العسكريين، فقد كانت الدولة تمنحهم إقطاعات زراعية مقابل خدماتهم.

وأما بالنسبة لرواتب الموظفين الذي يتولون أعمالاً عامة للدولة ، فإن الدولة تقوم بدفع رواتبهم بشكل عطايا عينية أو نقدية ، وغالباً ما يقوم هؤلاء بتحصيل رواتبهم من المستفيدين عن أعمالهم، أو يتفقون مع الدولة على حصولهم على نسبة معينة من الإيرادات التي يحصلون عليها (٢٣). كما كانت الدولة تنفق على إدارة قصر الملك وما يتعلق بذلك من المؤن والحماية والهدايا التي يقدمها الملك لتابعيه.

وتخصص الدولة مبالغ كبيرة من أجل بناء السدود ومخازن المياه وشق الأنهر والقنوات وصيانتها.

ثانياً- الإيرادات

تقوم الدولة بتغطية نفقاتها من الإيرادات الآتية:-

١- واردات الأرض الزراعية: تشير المصادر الزراعية إلى أن الملك هو الزعيم الذي كان يضع نفسه على رأس الشعب كان يقوم بامتلاك أرضه وأرض الآخرين تحت زعامته ، وله غلة هذه الأراضي (٢٤).

٢- ثمن الأراضي الزراعية التي تبيعها الدولة، ويتحصل ثمن هذه الأراضي من محصول الأرض.

٣- الأموال التي تحصل عليها الدولة نتيجة تأجيرها الأراضي الزراعية، وتستحصل هذه الأموال من محصول الأرض أيضاً قبل إجراء عملية الحصاد (٢٥).

ثالثاً- الضرائب:

كان الملوك يفرضون نظاماً خاصاً للضرائب ، فقد كان مندوبو هؤلاء يجوبون ضرائب السلع فيأخذون عشراً من ثمن السلعة المباعة من التاجر واصطلحوا على تسمية ذلك تعشيراً.

وكان سادة العرب يتنافسون في أخذ الإذن من الملك للإشراف على السوق، والاستئثار بحظوة الضرائب، ويدفعون للملك أموالاً مقابل ذلك، وربما تزايدوا في الدفع حتى يفوز أحدهم بحق الإشراف فيخضع له الآخرون.

وفوق ذلك كان على المشرف على السوق دفع سهم من أرباح العشور والخفريات لشريف المدينة في السوق^(٢٦)، وقد كانت الضرائب تفرض على الأراضي الزراعية والتجارة وسائر طبقات الشعب الأخرى^(٢٧).

وتنوعت الضرائب في اليمن القديم ، فقد كانت في الأصل نوعاً واحداً تجبي بشكل حبوب وتجبي لمؤنة الجيش.

وقد أوكلت جباية الضرائب إلى جماعة صغيرة تحت إشراف الملك، وهي تختلف باختلاف الإقليم، وتختار الدولة الجباة من قبائل خاصة أو من طبقة معينة من الشعب، وكان عمل كل من الجماعتين واحداً تقريباً

ويعقد الملك اتفاقيات بينه وبين رؤساء القبائل، تحدد مقدار الضرائب وأسلوب وطرق ومواعيد جمعها^(٢٨).

أما بالنسبة للأشخاص الذين يكفون بأعمال السخرة، فإن أعمالهم هذه تحتسب مقابل الضرائب التي تؤخذ من أقرانهم حيث يسخر بعض الأفراد أو الجماعات في بناء المباني العامة والمعابد والطرق والحصون والسدود والصحاريح والمخازن، بالتعاون مع مسؤولي المعابد^(٢٩).

وقد استنتج هذا النظام الاقتصادي الدقيق أن الدولة لابد من أن توفر المخازن ورجال التجارة والمالية لتقدير أثمان المحاصيل، وكانت الضرائب تقدر والمحصول لم يجمع.

أما نسبة هذه الضرائب فلم يتم معرفتها ، وكل ما يعرف هو أنها كانت تُجبي من القبيلة كوحدة، وكانت تختلف باختلاف المحاصيل من حيث الكثرة ونوع الغلة ، وأن ضريبة الكم هذه التي كانت تفرض على القبيلة، كانت تفرض على الفلاحين بعد أخذ رأي مجلس الشورى وموافقة القبيلة.

ولما كان الفلاح مطالباً بالتزامات عسكرية أيضاً ، فقد أصبح لازماً على قانون الضرائب أن يبحث عن يخلف الفلاح في استثمار الأرض أثناء قيام الفلاح بواجبه العسكري وفي حق تمثيله في الهيئات الاستشارية القبلية، حيث تنفذ القرارات التي تصدر بحق الحاضرين والغائبين^(٣٠).

ويتميز القانون المالي في اليمن القديم بالخصائص الآتية:-

١- تعتمد إيرادات الدولة على مدى القوى التي تتمتع الدولة بها، فإذا كانت الدولة تتألف من تحالف يضم بعض القبائل، فإن ما تحصل عليه السلطة المركزية من غيرادات يتمثل في موافقة كل قبيلة على دفع حصتها من الضرائب، أما إذا كانت الدولة قد قامت على قوة قبيلة وسيطرتها على القبائل الأخرى ، فإن ما تدفعه من أموال تحده الدولة بحكم قوتها وسيطرتها.

مقومات فكرة العدالة والتشريع في بلاد اليمن القديم

- ٢- تراعي عند جمع الدولة لواراداتها وضع القبائل وطبيعة العلاقة معها، وتحاول عدم إثارتها لمنع دفعها للعصيان ضد الدولة أو التحالف مع القبائل المعادية.
- ٣- لا تستحصل الدولة إيراداتها في الغالب من الشعب مباشرة ، وإنما يكون عن طريق رؤساء القبائل، فهم المسؤولون أمام الدول في دفع الإيرادات المتحققة لها.
- ٤- تتولى الدولة صرف النفقات الضرورية بخصوص الأعمال التي لا تستطيع القبيلة وحدها القيام بها، كبناء السدود ووسائل الري، أما الأعمال التي يمكن للقبيلة ان تقوم بها، فإن الدولة لا تتدخل في مساعدتها ، وإنما يعد هذا من شأن القبيلة.
- ٥- ان الدولة تلجأ في بعض الأحيان إلى أعمال السخرة التي تقدمها القبائل عندما لا تتوفر الأموال الكافية ، حيث تقوم كل قبيلة بإرسال عدد من أفرادها للعمل في الأعمال التي تقوم بها الدولة، كبناء السدود والمخازن وشق قنوات الأنهر وفتح الطرق.
- ٦- تقوم الدولة بفرض ضريبة خاصة للأغراض العسكرية، وتفرض هذه الضريبة على الأرض^(٣١). وتعد الضريبة العسكرية ضرورية لحماية الدولة.
- ٧- إن إيرادات ونفقات الدولة ليست ثابتة أو محددة سلفاً، وإنما تحدد طبقاً للظروف الاقتصادية التي تمر بها الدولة ، وطبقاً للمواسم وظروف الزراعة.

المبحث الرابع

آثر النصوص القانونية والتحكيم في فض المنازعات

يعرف قانون العقوبات بانه "القانون الذي تحدد قواعده السلوك الانساني المعترف وترتب على السلوك المخالف عقوبة معينة"^(٣٢).

والجرائم على نوعين: الاولى : جرائم الاعتداء على الاشخاص كالقتل والضرب والجرح عمداً والقتل والايذاء خطأ واخفاء جثة القتل والاجهاض وشهادة الزور والبلاغ الكاذب وافشاء الاسرار .

اما الثاني : فهي الجرائم الواقعة على الاموال كالسرقة والتهديد والنصب واعطاء شيك بدون رصيد ، وخيانة الامانة ، واخفاء الاشياء من جريمة^(٣٣).

ويعد قانون العقوبات من القوانين القديمة في اليمن ، وقد وصل الى الباحثين الاجانب نسخة من هذا القانون القديم الصادر عن الملك والمجلس الاستشاري القضائي وعدد من القبائل^(٣٤).

غير انه لم تصلنا نسخة من هذا القانون لدراسته وتحليل احكامه .

وبالنظر لعد وجود سلطة تنفيذية تحاسب المعتدي وتنزل القصاص به ، فانه يترك الامر للمجني عليه ان يتقص لنفسه ، وفي اكثر الاحيان كانت القبيلة تساند المجني عليه .

وتعد الجريمة عندهم حقاً شخصياً وليست حقاً عاماً، واذا ما اراد المجني عليه اسقاط حقه فلا يترتب على الجانب اي عقاب اخر .

والمبادئ التي كان يقوم عليها القانون الجنائي هي القصاص او الانتقام، وليس للاصلاح اي مجال في العرف القبلي القديم ، فاذا ما جرح رجل شخصا، كان للمجني عليه الحق في ان يطلب الجاني او يقتص منه بنسة الاذى الذي اودي به حريا على مبدا العين بالعين والسن بالسن ، او قد يطلب تعويضا عن الجرح او قطع احد الاعضاء ، بما يتناسب مع اثر ذلك في اعاقه العمل والقدرة على العطاء.

وستتناول اهم الجرائم ، وهي جرائم القتل والاعتداء على العرض والسرقة ، ثم نتناول الدية وقواعد المسؤولية والجزاء ، وذلك في الفقرات الآتية :

اولا - جريمة القتل :

اذا ارتكب احد افراد القبيلة جريمة قتل ، فيطالب اهل المقتول بالقود ، وهو القصاص وقتل القاتل بدل القتل، ويجوز في بعض الحالات وبرفهاء اهله دفع الدية ، وهي حق القتل ويشترك في دورها دور القربى والعشيرة ، او افراد القبيلة تبعا لظروف اهل القاتل المالية ومقدار الدية واذا لم يتم القود، او لم يحدث التراضي على الدية ، او اذا فر القاتل فلا بد من الاخذ بالثار ولا يستقر لاهل القتل قرار الا بعد الاخذ بالثار، وقد يتركون الخمر والطيبات طيلة طلبهم للثار، فاذا تمكنوا منه استراحوا واستقروا ، وقد يقع عدد كبير من القتلى من اجل المطالبة بالثار ، وفي بعض الحالات يستغرق الاخذ بالثار عشرات السنين ، لا يكل اصحاب القتل عن ادراك الثار ، فعندهم ان التواني عن الاخذ بالثار ازدراء واحتقار ، ويلحق بهم وينسلمهم العار من هذا الاهمال ، وقد يلحق ذلك بالقبيلة برمتها، ولهذا لا يتهاون اهل القتل عن تتبع اثار القاتل او اقربائه او افراد القبيلة التي ينتمي اليها لغسل هذا العار^(٣٥).

وينظم العرف القبلي في الوقت الحاضر قواعد خاصة بخصوص جرائم القتل ويحدد انواعها ، ويعتقد ان هذه القواعد القديمة ، وهي :

١- العيب الاسود او الاجذم ، وهو قيام الفرد او الجماعة بقتل الضيف اثناء استضافته وقتل السير وهو الشخص المرسل صحبة شخص اخر وجماعة اخرى من قبيلة الى قبيلة اخرى، وذلك بقصد حمايته اثناء سيره في اراضي القبيلة وقتل (القطير) و (الربيع) وهما اللذين ينزلان ارض القبيلة ، وتقوم القبيلة بالاعلان بموافقتها على حمايتهما ، وكذلك قتل الشخص المسافر عبر اراضي القبيلة ، وقتل اي من الاشخاص الذين يعيشون تحت حمايتها، سواء كانوا من الفئات الدنيا او الفئات الدنية الاقلية ، او العرفية التي تحتل مك عليا في سلم الترتيب الاجتماعي القبلي ، وكذلك قتل الفرد اثناء قيامه بالوساطة بين الاطراف المتحاربة او اثناء قيامه بالتوسط بين فردين متنازعين او جماعتين متنازعتين ، وكذلك قتل المحكم اثناء الاجتماع لبحث النزاع ، ففي كل حالة من حالات هذا القتل يحكم العرف اليمني على مرتكب جريمة القتل بتسليم الدية ب

(المدعش) والتي تعادل احد عشر دية مقابل التنازل عن حق الثار ، اضافة الى (الحشم) ، وهو جزاء مادي يدفع بشكل نقود ومواشي نتيجة خرق القاتل قواعد العرف القبلي.

٢- العيب الاحمر: وهو القتل اخذا بالثار خلال الفترة التي اتفقت فيها الاطراف المتنازعة على الصلح وتعهدت بعدم الاعتداء ، ويحكم على القاتل ب(المربوع)، وذلك بالزام القاتل بتسليم اربع ديات مع حشومها^(٣٦).

٣- العيب الابيض : وهو قيام شخص بقتل اخر عمدا، او بدون عمد ويدفع القاتل الدية الكاملة مع حشومها^(٣٧).

ثانيا : جرائم العرض :

يهتم اهل اليمن بمثل هذه الجرائم ، وتعد اهم من جرائم القتل ، ويحكم العرف القبلي بعقوبات شديدة وجزاءات رادعة ضد الاشخاص الذين يرتكبون مثل هذه الجرائم، ومن هذه الجرائم الزنى والخطف او الزراء اي التهمة الكاذبة، قتل امراة او الاعتداء عليها بالضرب، كذلك الاعتداء على افراد الفئات الضعيفة المحمية بوساطة القبائل مثل (المزين) و (القطير) و (الربيع) و(اليهودي)، وتختلف العقوبات ضد الجاني باختلاف القبائل ، فبعض القبائل تضع علامة على وجهه تسمى (ذم) حتى يقبل الحكم الذي يصدر حقه. ويحكم العرف في هذه الجرائم بما ياتي:

١- الاعتداء على البنت البكر وازالة بكرتها بارغام المعتدي بالزواج منها ودفع مهرها بالكامل، ومثله يدفع كنوع من العقوبة، ويقوم المعتدي بارضاء اقربائها.

٢- الحكم على الشخص الذي يثر على الفاحشة بطرده من الوحدة القرابية .

٣- الحكم على الشخص الذي يخون الشيء الذي يؤتمن عليه بالمربوع ، وقطع علاقة الصحب ، اي الاخوة بينه وبين اعضاء الوحدة التي ينتمي اليها^(٣٨).

ثالثا - جرائم الاعتداء على الاموال :

وهي الجرائم المتعلقة بالسرقة ، ويحكم فيها على السارق بدفع اربعة امثال قيمة ما سرق مع اضافة نفس قيمة ما حكم به من تعويض يتم دفعها (ادوبات) اي جزاءات على شكل ابقار وغنائم تذبح في مكان السرقة، وفي حالة قيام شخص بسرقة ثمار من مزرعة يحكم عليه بذبح راس من الاغنام مقابل دخوله المكان وراس اخر مقابل خروجه منه ، مع دفع مبلغ من المال يعادل نفس القيمة لكل راس ، وذلك يسمى (هجر المكان) اي انتهاك حرمة المكان مع الزامه بدفع تعويض عن الشيء الذي قام بسرقة.

اما اذا حصلت السرقة من قبل احد الاشخاص الذين هم تحت حماية القبيلة ، فانه يحكم على السارق بدفع ما سرقه مع (الهجر) مقابل انتهاكه حرمة المكان^(٣٩).

ويتطلب من الشخص الذي سرق منه ان يبحث عما سرق منه وعن السارق، والبدوي لا يرى عارا في السرقة ، ولكنه يخاف اللعنة، ويخاف شرها، وغالبا ما يعيد الشيء المسروق^(٤٠).

رابعاً - قواعد المسؤولية والجزاء :

١- المسؤولية العائلية : تكون العائلة مسؤولة عن الجرائم التي يقوم بها احد اعضائها وتتحمل النتائج والتعويضات ، عدا الجرائم (السوداء) وهي التي تسود وجه الجاني كالزنى والسرقه.

٢- مسؤولية الوحدة الثرابية : تعد الوحدة القرابية للفرد والمعروفة باسم البيت هي المستوى الاجتماعي الثاني ، يتحمل السلوك والافعال والجرائم التي يقوم بها اي فرد من الافراد الذين ينتسبون الى جد واحد عاش قبل خمسة اجيال او اكثر ، حيث يشترك اعضاء الوحدة القرابية في تحمل المسؤولية بصورة جماعية عن الجريمة.

٣- مسؤولية الوحدة السياسية القبلية : وتشارك القبيلة افراد العائلة والبيت في دفع الاغرام بحسب نوعية الجريمة ، وتتكفل القبيلة بالدفاع عن الجاني وتتحمل المسؤولية بصورة جماعية .

ومن الطرق الي استخدمت للبحث عن ادلة الاثبات براءة او ادانة المتهم ، طريقة (المباهلة) وهي تعني الاحتكام الى القوى الالهية ، مثل التعرض للغرق في الماء او الحريق بالنار ، فاذا نجا المتهم تثبت براءته، واذا لم ينج تثبت ادانته ، ومن ثم اخذ العقاب الذي يستحقه .

خامساً- الدية :

تختلف الدية باختلاف درجات القبائل ومنازل الناس ، وقد جرت العادة عند العرب انهم باخذون في دية النفس مائة من الابل ، وكانت دية الاشراف تزيد عن هذا ، اما الملوك فكانت ديتهم الف بغير^(٤١).
اما في ما يتعلق بالقوانين ذات الصفة الخاصة :

فانه يقصد بالقانون الخاص مجموعة القواعد التي تنظم العلاقات بين الافراد ، او القواعد التي تحمي المصالح الفردية .

ويتكون القانون الخاص من عدة قوانين ، من اهمها القانون المدني والذي ينظم الملكي والعقود وقانون الاسرة ، وقانون القضاء الذي يفصل في المنازعات بين الافراد .

وفي اليمن نظام خاص يتعلق بمنح بعض المناطق حماية خاصة يطلق عليه ب(الهجرة) وسنتناول هذه الموضوعات في المطالب الاتية :

أ- نظام الملكية والحيازة في اليمن :

يقوم النظم السياسي في اليمن القديم على مبدا التدرج الاداري فالملك يعد في القمة ويتولى السلطة السياسية والدينية ، و كانت الارض توزع على شكل قكاعات يشرف عليها المعبد الديني الذي كان مستقل بممتلكات واسعة وبكيان خاص.

وبعد انتقال السيادة الدينية الى السيادة المدنية ظهرت سلطة الملك واتباعه من الاشراف، وظهرت

علاقة جديدة بين الحاكم والارض تتطلب شيا من التوطن والاستقرار وان الحاكم اصبح يملك ارضه

مقومات فكرة العدالة والتشريع في بلاد اليمن القديم

وارض الاخرين، ويفرض على القبائل استصلاح الارض والعمل فيها مقابل ضرائب تدفع للدولة ، وتقوم الدولة بتأمين وسائل الري وبناء السدود والصهاريج الصخرية^(٤٢).

وبناء على ذلك ، كانت ملكية الارض في اليمن القديم ملكية دولة ، وكانت الدولة تتولى توزيع الاراضي على كبار رجال الدولة من الكهنة والادواء والاقبال الذي كانوا يمثلون كبار القادة العسكريين. وكانت بعض الاراضي توزع على الجند والجماعات القبلية ، حيث يملك هؤلاء حق الانتفاع والاستغلال فقط ، اما حق الرقبة فتبقى للدولة ، ولهذا فان انماط الانتاج الزراعي كانت تقوم على نوعين من الانتاج: الاول : علاقة تعاون ومشاركة جماعية من قبل المزارعين تعود حيازتها للوحدة القبلية ، وان هذه الوحدات تدفع جزءا من عائدها على شكل ضرائب للدولة ، والثاني : علاقة عبودية بين بعض المالكين والحائزين للارض^(٤٣).

بعد الفتوحات العظيمة التي قام بها الملك البني (كرب ال وتر) اصبح من الضروري احداث نظام سياسي واقتصادي يتفق والوضع الجديد لليمن ، بعد ان اصبحت مترامية الاطراف، وضمت اليها البلاد المفتوحة ، واصبحت ادارتها في يد السبئيين، كما اعيدت اقاليم اخرى الى اصحابها الاولين، فاصبحت مستقلة لحلفاء السبئيين ، وشراء الدولة السبئية بعض الاقطاعات والمناطق وما عليها وضمها الى املاك الدولة كاملاك حكومية، كما توجد الى جانب الاراضي الحكومية اراضي تابعة للملك مباشرة ، او لا تباعه او للقبائل تدار من قبلهم مباشرة^(٤٤).

ب- قانون الاسرة :

الزواج :

كان المجتمع العربي ينظر الى المرأة نظرة خاصة متدنية ، ولهذا فقد كانوا يشدون البنات لاسباب متعددة منها :

أ- الخوف من سبيها من قبل الاعداء .

ب- اذا كانت فيها علامة قبحية ، تجلب عليها للذمة .

ت- خشية الاملاق ، وعدم امكان توفير معيشتها .

وقد ورد في القرآن الكريم حكم الواد بقوله تعالى : (واذا بشر احدكم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو ك ايم

* يتوازي من القوم من سوه ما بشر به ايمكه على هون ام بنسه في التراب الا شاء ما يحكمون)^(٤٥).

وقد كان البعض من العرب يهتمون بالمرأة ويعتنون بشئنه بناتهم وقد ملكت بعضهن الاموال الطائلة

والشرف الرفيع ، واصبح لها حق مناظرة زوجها في حضور بعض عموميتها عن الاختلاف بينهما^(٤٦).

وكان دور المرأة الاساسي انجاب الاقوياء الذين يدافعون عن شرف القبيلة .

اما حق المرأة في اختيار الزوج المناسب لها ، فان ذلك من حق النساء الحرائر فقط ، اما سائر النساء

كن يخضعن لقرار ابائهن واخواتهن الكبار في موضوع الزواج ، وغالبا ما كان الزوج يختار زوجته ، لا

مقومات فكرة العدالة والتشريع في بلاد اليمن القديم

لانه اعجب بها ، بل اعتماداً على صورة ذويها الجسدية والاجتماعية ، لان المرأة كانت متحجبة ومحجوبة عن الرجل في اكثر الاحيان .

وكان الاب ياخذ من مهر ابنته ، وغالبا ما كان المهر سببا من اسباب الثروة ، وكان الزواج من الاقارب على نوعين :

الاول - زواج الاباعد : وهو ادعى الى انجاب النجباء من الاولاد ، وان مثل هذا الزواج كان مقصوراً على رؤساء القبائل ويعود لاسباب سياسية ، او لكي يظاهروا مع من هو كفاء لهم ، وقد يتزوج الخلاء مثل هذا الزواج .

الثاني - الزواج الداخلي : وهو الزواج الشائع عند العرب ، فالقبيلة ترغب في المحافظة على انسجامها ووحدتها ، ويتم عادة بأن يخطب الرجل البنت من ابيها ، وليس من الضروري ان تكون موافقتها بالنطق ، بل ان سكوتها يكون دليلاً على رضاها ، وقد تخطب الفتاة عند الطفولة وتكون ملزمة ادبياً بالزواج عندما تكبر^(٤٧).

المهر :

يدفع الخطيب المهر لابيها ، ويختلف مقدار المهر باختلاف مركز الخطيب ومركز ابيه ، او الفتاة وابيها ، وقد تعطى المرأة هدية سموها صداقا ، ولا يحق للرجل استرداد الصداق ، ولكن يحق له استرداد المهر اذا لم يتم الزواج ، بل ان الزوج كان احياناً يطلب رد المهر اذا ماتت زوجته، او قد يطلب من ابيها ان يزوجه باختها بعد موتها تعويضاً له عن خسارته^(٤٨).

انواع الزواج هي :

أ. زواج الصداق :

يخطب الخطيب ابنة الرجل بعد ان يتفقا على مهر يعقد الزواج على اساسه ، وهذا النوع هو المفضل .

ب. زواج الضيزن او الميراث :

اذا مات الرجل كان الابنه الاكبر ان يتزوج من زوجة ابيه كجزء من ميراثه ، كما يرث الرجل ارملة اخيه او يرثها اقرب الرجال الى زوجها ، وفي هذه الحالة لا يدفع الزوج مهراً .

ج. زواج الرهط او المشاركة :

يشترك في هذا الزواج عدة رجال بزوجة واحدة ، ولعل اصله الاسرى وصعوبة توزيعهن ، وقد يكون سببه الصعوبات المالية في الزواج فيشترك الاخوة في زوجة واحدة ، وقد يكون بسبب الوراثة ، ان يرث الاولاد زوجة ابيهم فيشتركون فيها ، ويتم بان يدخل الرجال ما دون العشرة على المرأة كلهم يصيبونها فاذا حملت ووضعت ارسلت اليهم فنقول لهم قد عرفتم الذي كان من امركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان ، تسمى من احبت ، فيلحق به ولدها ولا يستطيع ان يتمتع منه الرجل .

د. زواج المبادلة او الشفار :

مقومات فكرة العدالة والتشريع في بلاد اليمن القديم

وهو زواج المقايضة يتم بلا مهر ، يزوج فيه الرجل ابنته او موليته لرجل على ان يتزوج هو ابنة هـ ١١ او موليته .

هـ. زواج الاسر :

وهو ان يتزوج الرجل من السبية التي ياسرها ، وقد رغب العرب في هذا النوع من الزواج لانه يتم بلا مهر .

ر. زواج الاماء

وهو ان يتزوج الرجل من امه ، ويبقى ابناء الاماء عبيداً الا اذا انجبوا فيلحقهم قومهم بهم .

ز. زواج المتعة او الزواج المتقطع :

ويتم هذا الزواج بالاتفاق بين الرجل والمرأة الى اجل محدد بالتراضي بينهما ، مقابل صداق معين ، فاذا انقضت المدة فليس عليها سبيل اما اذا انجبت في هذه الفترة فالاولاد منها لهم حق الانتساب وحق الارث ، فهم اولاد شرعيون كاولاد الزواج الدائم^(٤٩) .

ح. تعدد الزوجات :

عرف العرب نظام تعدد الزوجات ، فقد اعطي للرجل الحق في ان يتزوج باكثر من واحدة ، وكان لتعدد الزوجات اهمية تكثير الاولاد وتصريف النساء الفاتصات ، وحل مشاكل العقم عند بعضهن^(٥٠) .

الطلاق :

عرف العرب الطلاق قبل الاسلام ، وهو ان يفترق الرجل عن المرأة وتحرم عليه ، الا انه كان من حق المرأة والرجل على السواء .

وانواع الطلاق هي :

أ- الطلاق العادي : ويتم الطلاق العادي بالاتفاق بين الزوج وابي الزوجة على الفصل بين الزوجين

، ويسترجع الزوج المهر الذي دفعه للزوجة عن زواجه، ويتم الطلاق قبل الاسلام بثلاث طلاقات .

ب- طلاق الظهار : وهو ان يقول الزوج لزوجته انت علي كظهر امي او اختي ، فاذا قال ذلك ،

حرمت عليه زوجته^(٥١) .

الذمة المالية للنساء :

تستقل المرأة بذمة مالية منفصلة عن ذمة زوجها ، فاذا كان الزوج مديناً لآخر ، فان زوجته غير

مسؤولة عن دينه ، والعكس صحيح ايضاً^(٥٢) .

النسب :

ان اكثر ما يتمسك به العربي هو نسبه الى ابيه واسرته وقبيلته ، فعلى الرغم من الوضع

الاجتماعي في اليمن قبل الاسلام وتعدد انواع النسب ، الا ان اليمني يحرص على نسبه ، ومن النادر ان

تظهر حالات اللقطاء قياساً الى المجتمعات الاخرى .

الميراث والوصية والهبة :

تنتقل التركة الى الرجال دون النساء ، وكان الابن الاكبر هو الوارث الوحيد والذي يحل محل ابيه، وفي مناطق اخرى كانت التركة تنتقل للبنين بالتساوي ، وللرجل حق الوصية وهبة امواله لم يشاء^(٥٣).

اما ما يخص التحكيم :

فيقصد به : قيام الاطراف المتنازعة باختيار شخص او مجموعة اشخاص لتسوية النزاع القائم بينهما.

ويعد التحكيم من اكثر الوسائل المعتمدة في اليمن لتسوية المنازعات بين الافراد، او المنازعات الناشئة بين القبائل ، ولا يزال التحكيم حتى الوقت الحاضر هو الاساس في تسوية المنازعات، على الرغم من وجود المحاكم الرسمية.

وقد كان التحكيم يقتصر على الاحتكام الى الكهان والعرافين او تقض عن طريق البيوتات المرموقة اجتماعيا او بحسب الاتفاقات المعقودة بين القبائل ، كحلف الفضول الذي عقدته العرب قبل الاسلام وتعاهدوا فيه على الايجادوا مظلوما الا قاموا معه ، وكانوا على من تسبب في ظلمه حتى ترد اليه مظلّمته^(٥٤).

ويقوم المحكم الذي يتولى ببحث النزاع مع الاطراف المتخاصمة وتقدير التعويض للمتضرر ويطلق على هذا الاجتماع حاليا باسم (المحضر) او (المعياد) ، ويشترك بالاضافة الى المتخاصمين مشايخ وبعض اعضاء الوحدة القرابية .

ان القرارات التي يتخذها المحكمون تقوم على عنصر الارضاء بين المتخاصمين ، وليست لها قوة الزامية ، ولهذا يجوز نقل القضية المتنازع عليها الى هيئة تحكيمية اخرى تعرف باسم الفروع الذين يتم اختيارهم من بين مشايخ القبائل الاخرى، ويقوم هؤلاء بمراجعة صحة الاحكام التي اصدرتها الهيئة التحكيمية السابق او المحكم السابق، واذا لم يرض المتخاصمون يستعينون بهيئة تحكيمية ثالثة او محكم ثالث ممن يعرفون بـ(المراغة الغصابة) التي يكون لها الحكم النهائي، واذا تمت عملية (تفويض) المحكم من قبل الخصوم، فان ذلك يعني الالتزام بالقرارات، ويبقى الاطراف المتنازعة حرية قبول او رفض الاحكام الصادرة من المحكمين ، وفي بعض الاحيان يشترط المتخاصمون تمتعهم بحرية قبول او رفض الاحكام الصادرة من المحكمين وهو ما يعرف بـ(طلب النها) عند هيئة تحكيم اخرى، وعند ذلك يحال النزاع الى (المراغة)، وهي اعلى هيئة قضائية في العرف القبلي اليمني، والتي تشبه محاكم الاستئناف والتمييز الحالية، باعتبار قراراتها نهائية^(٥٥).

وقد اشتهر بعض المحكمين في اليمن القديم ، ومن هؤلاء الافعى بن الافعى الجرهمي في شمال اليمن ، واعتبره بعض المؤرخين من الملوك لعلو قدره وهيئته ونفاذ حكمه، وكان المحكمون يجلسون في

مقومات فكرة العدالة والتشريع في بلاد اليمن القديم

الاماكن العامة التي يجلس فيها اهل البلد او في بيوتهم، وان مصادر حكمهم الاعراف والتقاليد، وكانت لهم دراية وخبرة يكتسبونها من تجاربهم وعلمهم باحوال الامم الاخرى، فاثرت في بعضهم مما جعلت لهم ملكة خاصة في القضاء^(٥٦).

وقد تتفق القبائل على تسوية المنازعات الناشئة عن القارات وحقق الدماء ، فينتخبون مجلس تحكيم لاصدار قرار يضمن المتخاصمون تنفيذه ، وقد يصدرن احكاما بابطال المطالبة ببعض الدماء باعتبارها باطلة لا تستوجب دفع الدية ، ويقال لذلك (الشدخ)^(٥٧).

ونتيجة لعدم وجود نظام قضائي شامل وملزم في اليمن قبل الاسلام ، وفشله في توبة غالبية المنازعات، فقد بقي مبدأ الاخذ بالثار شائعا في الاقتصاص من الجاني ، وهذا ما يزيد في المشكلة ولا يعمل على تسويتها ، كما ان هذه الحالة غالبا ما تنشأ بسببها الحروب الدامية بين القبائل.

قائمة المصادر

١. أبو اليزيد علي المتيت ، النظم السياسية والحريات العامة ، الاسكندرية.
٢. احمد عبد الملك بن احمد بن قاسم ، قضاء المظالم في النظام الاسلامي وامكانية تطبيقه في الدولة الاسلامية المعاصرة، صنعاء، ١٩٩٠م.
٣. اسعد زغول عبد الحميد ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار النهضة العربية ، بيروت، ١٩٦٧م.
٤. الاصفهاني ، ابو الفرج ،(ت٣٦٥هـ)، الأغاني، الجزء التاسع.
٥. الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير ، (ت٨٤١-٩٢٣هـ) ، تفسير الطبري ، الجزء الرابع، مطبعة " بريل " بمدينة ليدن، ١٨٧٩م.
٦. توفيق فرج ومحمد يحيى مطر؛ المدخل للعلوم القانونية الدار الجامعية، الإسكندرية.
٧. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، بغداد ، ١٩٥٠م.
٨. حسين الحاج حسن ، حضارة العرب في عصر الجاهلية ، المؤسسة العامة للدراسات والنشر ، بيروت، ١٩٨٩م.
٩. ديتلف نيلس وآخرون ،تاريخ اليمن القديم، القاهرة، ١٩٥٨م.
١٠. رمسيس بهنام، الجريمة والمجرم والجزاء، الاسكندرية ، ١٩٧٦م.
١١. رؤوف عبيد ، جرائم الاعتداء على الاشخاص والاموال ، القاهرة ١٩٧٤م.
١٢. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي بالعصر الجاهلي، دار المعارف، مصر.
١٣. عامر سليمان ، القانون في العراق القديم، الموصل ، ١٩٧٧م.
١٤. فضل على أبو غانم، البنية ال قبلية في اليمن، دار الحكمة اليمانية، ١٩٩١م.
١٥. محمود عبدالمجيد مغربيين، الوجيز في تاريخ القوانين، بيروت ١٩٧٩م.
١٦. مصطفى أبو ضيف أحمد، دراسات في تاريخ العرب ، الاسكندرية، ١٩٨٢م.
١٧. ناجي معروف ،اصالة الحضارة العربية، ط٢، بيروت ، ١٩٧٥م.

- (١) محمود عبدالمجيد مغربين، الوجيز في تاريخ القوانين، بيروت ١٩٧٩م، ص ٢٠.
- (٢) المصدر نفسه، ص ٣١.
- (٣) المصدر السابق نفسه، ص ٨٢.
- (٤) محمود عبدالمجيد مغربين، الوجيز في تاريخ القوانين، بيروت ١٩٧٩م، ص ٩٠.
- (٥) المصدر نفسه، ص ١٩٥.
- (٦) عامر سليمان، القانون في العراق القديم، العراق - الموصل، ص ٣٣.
- (٧) عامر سليمان، القانون في العراق القديم، العراق - الموصل، ص ٣٤.
- (٨) حسين الحاج حسن، حضارة العرب في عصر الجاهلية، المؤسسة العامة للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٢٠.
- (٩) أبو اليزيد علي المتيت، النظم السياسية والحريات العامة، الاسكندرية، ص ٣٠.
- (١٠) الاصفهاني، الأغاني، الجزء التاسع، ص ١٩.
- (١١) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي بالعصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ص ٢٨٢.
- (١٢) توفيق فرج ومحمد يحيى مطر؛ المدخل للعلوم القانونية الدار الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠م.
- (١٣) حسين الحاج حسن، حضارة العرب في عصر الجاهلية، المؤسسة العامة للدراسات والنشر، بيروت، ص ٢٩.
- (١٤) المصدر نفسه، ص ٨٤.
- (١٥) فضل ابو غانم، البيئة القبلية في اليمن، دار الحكمة اليمانية، ١٩٩١م، ص ٢٥٤.
- (١٦) فضل على أبو غانم، البيئة القبلية في اليمن، دار الحكمة اليمانية، ١٩٩١م، ص ٢٥٥.
- (١٧) المراغة العصابة: يقصد بهم الهيئة القبلية التحكيمية العليا، أي الأشخاص الذين يمثلون القضاء العرفي الأعلى وهو ما يشبه الاستئناف القضائي. يراجع الدكتور فضل علي أبو غانم، مصدر سابق، ص ٢٦١.
- (١٨) عامر سليمان، القانون في العراق القديم، الموصل، ١٩٧٧م، ص ١٢٩.
- (١٩) ابو اليزيد علي، النظم السياسية والحريات العامة، الإسكندرية، ص ٦٧.
- (٢٠) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، بغداد، ١٩٥٠م، ص ٢٧.
- (٢١) ناجي معروف، اصالة الحضارة العربية، ط ٢، بيروت، ١٩٧٥م، ص ١٣٢.
- (٢٢) فضل علي أبو غانم، البيئة القبلية في اليمن، دار الحكمة اليمانية، ١٩٩١م، ص ١٥٣.
- (٢٣) حسين الحاج حسن، حضارة العرب في عصر الجاهلية، المؤسسة العامة للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٩م، ص ٢٠٢.
- (٢٤) فضل علي أبو غانم، البيئة القبلية في اليمن، دار الحكمة اليمانية، ١٩٩١م، ص ١٥٥.
- (٢٥) فضل علي أبو غانم، البيئة القبلية في اليمن، دار الحكمة اليمانية، ١٩٩١م، ص ١٥٥.
- (٢٦) حسين الحاج حسن، حضارة العرب في عصر الجاهلية، المؤسسة العامة للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٩م، ص ٢٠٢.
- (٢٧) مصطفى أبو ضيف أحمد، دراسات في تاريخ العرب، الاسكندرية، ١٩٨٢م، ص ٢٦.
- (٢٨) ديتلف نيلس وآخرون، تاريخ اليمن القديم، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ١٣٨.
- (٢٩) المصدر نفسه، ص ١٤٢.
- (٣٠) المصدر السابق نفسه، ص ١٤٤.
- (٣١) فضل علي أبو غانم، البيئة القبلية في اليمن، دار الحكمة اليمانية، ١٩٩١م، ص ١٥٥.
- (٣٢) رمسيس بهنام، الجريمة والمجرم والجزاء، الاسكندرية، ١٩٧٦م، ص ٢٦.

مقومات فكرة العدالة والتشريع في بلاد اليمن القديم

- (٣٣) رؤوف عبيد ، جرائم الاعتداء على الاشخاص والاموال ، القاهرة ١٩٧٤م، ص ٩ وما بعدها .
- (٣٤) المصدر نفسه ، ص ١٣٦ .
- (٣٥) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ص ٣٦٦ .
- (٣٦) فضل علي احمد ابو غانم ، البيئة القبلية في اليمن، دار الحكمة اليمانية، ١٩٩١م ، ص ٢٨٥ .
- (٣٧) المصدر نفسه ، ص ٢٨٧ .
- (٣٨) المصدر السابق نفسه، ص ٢٩٢ .
- (٣٩) فضل علي ابو غانم ، البيئة القبلية في اليمن، دار الحكمة اليمانية، ١٩٩١م ، ص ٢٩٣ .
- (٤٠) حسين الحاج حسن، حضارة العرب في عصر الجاهلية ، المؤسسة العامة للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٩م ، ص ٧٠ .
- (٤١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص ٢٦٨ .
- (٤٢) فضل علي احمد غانم ، البيئة القبلية في اليمن، دار الحكمة اليمانية، ١٩٩١م ، ص ١٤٤ .
- (٤٣) فضل علي ابو غانم، البيئة القبلية في اليمن، دار الحكمة اليمانية، ١٩٩١م ، ص ١٥٧ .
- (٤٤) د. بتلف نيلس واخرون، تاريخ اليمن القديم ، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ١٤٣ .
- (٤٥) سورة النحل: ايه (٥٨-٥٩-٦٦) .
- (٤٦) اسعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار النهضة العربية ، بيروت، ١٩٦٧م، ص ١١٧ .
- (٤٧) حسين الحاج حسن ، حضارة العرب في عصر الجاهلية، المؤسسة العامة للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٩م ، ص ١٢٦ .
- (٤٨) المصدر نفسه ، ص ١٢٨ .
- (٤٩) حسين الحاج حسن ، حضارة العرب في عصر الجاهلية، المؤسسة العامة للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٩م ، ص ١٢٨ .
- (٥٠) تفسير الطبري ، الجزء الرابع ، ص ١٥٧ .
- (٥١) حسين الحاج حسن ، حضارة العرب في عصر الجاهلية، المؤسسة العامة للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٩م ، ص ١٢٩ .
- (٥٢) اسعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ العرب قبل الاسلام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦م، ص ١١٧ .
- (٥٣) حسين الحاج حسن ، حضارة العرب في عصر الجاهلية، المؤسسة العامة للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٩م ، ص ٨١ .
- (٥٤) احمد عبد الملك بن احمد بن قاسم ، قضاء المظالم في النظام الاسلامي وامكانية تطبيقه في الدولة الاسلامية المعاصرة، صنعاء، ١٩٩٠م، ص ١١٢ .
- (٥٥) فضل علي احمد ابو غانم، البيئة القبلية في اليمن، دار الحكمة اليمانية، ١٩٩١م ، ص ٢٦٥ .
- (٥٦) احمد عبد الملك بن احمد بن قاسم، قضاء المظالم في النظام الاسلامي وامكانية تطبيقه في الدولة الاسلامية المعاصرة، صنعاء، ١٩٩٠م ، ص ٢٢٦ .
- (٥٧) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ص ٣٦٦ .

معبد أبيس في العهد الأحميني

(٥٣٠-٤٢٤ ق.م.)

أ.م.د. فاضل كاظم حنون

كلية التربية للعلوم الإنسانية

جامعة واسط

أ.م.د. فاضل كاظم حنون

Abstract.

This study shed light on the treatment of the Temple of Apis in the Achaemenid period, which included an introduction and a preamble, and then examined the stages of construction of the temple and the stages of construction, who is the king who built the temple and the restoration and reconstruction, as well as excavations conducted in the temple , Then the findings of the research, and the appendices of the subject.

الملخص

سلطت هذه الدراسة الضوء على تناول معبد أبيس في العهد الأخميني، وقد شملت هذه الدراسة على مقدمة وتمهيد، ثم تُرست مراحل بناء المعبد والمراحل التي مر بها البناء، ومن هو الملك الذي قام ببناء المعبد ومراحل ترميمه وإعادة بناءه، فضلاً عن التنقيبات التي أجريت في المعبد، ثم النتائج التي توصل إليها البحث، والملاحق الخاصة بموضوع البحث.

المقدمة

إن موضوع معبد أبيس من الموضوعات المهمة جداً، وأن دراسة الجوانب المختلفة للمعبد، وما يتعلق به يُعد من الدراسات الرائدة، وذلك لاعتقادنا بأن الموضوع كان وما يزال بعيداً عن متناول الباحثين، ولم تقدم لنا المصادر العربية معلومات وافية عنه بالصورة التي تتم به معالجة الموضوع في هذه الدراسة.

ثمة بد من وضع فرضية للبحث محاولين إثبات صحتها على شكل استنتاج، من قام ببناء معبد أبيس؟ وماهي التنقيبات التي أجريت في المعبد؟ وغيرها من التساؤلات والإجابات التي تضمنها البحث.

أما عن المنهج المُتبع في تناول الموضوع، فهو المنهج الوصفي التاريخي لإيضاح الأمور التي تتعلق بالمعبد أبيس ووصف النقوش والكتابات في هذا المعبد.

أما الصعوبات التي واجهت البحث، عدم وجود معلومات عن المعبد في المصادر العربية، وتضمن البحث على ترجمة للنصوص التي توفرت في المصادر الانكليزية.

وتضمنت هذه الدراسة على مُقدمة وتمهيداً عن الموضوع، ثم شملت الدراسة على عدة محاور، تناول المحور الأول التنقيبات والبعثات الأثرية التي نُقبت في معبد أبيس، إذ شمل هذا المحور تاريخ التنقيب والجهة المنقبة وما توصلت إليه بعثات التنقيب، وخصص المحور الثاني إلى وصف الخواص المعمارية للمعبد، بمعنى آخر وصف بناء المعبد وممن يتكون والمراحل التي تم بها بناء المعبد، ودُرس المحور الثالث النقوش والكتابات في المعبد، وتحليل هذه النقوش وفي عهد أي ملك نُقشت، فضلاً عن ما توصل إليه البحث من استنتاجات.

تمهيد

عندما تولى الملك الأخميني قمبيز الثاني (٥٣٠-٥٢٢ ق.م) الحكم، كان من اولوياته هو تجهيز القوات العسكرية لغزو مصر، وقد تمكن في عام (٥٢٥ ق.م) التوجه نحو مصر، وسار على رأس تلك القوات، ودارت معارك على بوابه مدينة منف حقق فيها الأخمينيين النصر على مصر وغدت مصر تابعة للدولة الأخمينية^(١).

جاء للحكم بعده الملك داريوش الأول (٥٢٢-٤٨٦ ق.م)، وحينما كان الملك داريوش يتواجد في بابل اعلنت مصر حالها حال كافة الولايات الأخمينية الأخرى التمرد على سلطة الدولة المركزية، إذ كانت على وشك الخروج من الحكم السياسي للدولة الأخمينية. لذا قام الملك داريوش الأول في حدود سنة (٥١٨ ق.م) من إعادة مصر وتمكن من فرض الامن والاستقرار فيها. واقام الملك داريوش الأول في مصر عدة شهور، ثم عاد إلى وطنه في إيران. وحسب سياسة التسامح التي اتبعها الملوك الأخمينيين تجاه البلدان الأخرى في ممارسة العادات والاديان وشرع الملك داريوش في تعمير المعابد وبنى العديد من الابنية الدينية^(٢).

وفي أثناء تواجد الملك داريوش الأول في مصر أمر ببناء العديد من المعابد وقد امتزج في البناء الفن الأخميني مع الفن المصري، ومن جملة تلك المعابد معبد أبيس^(٣). وسافر الملك داريوش الأول إلى جنوب مصر والصحراء الليبية ودخل الواحة الخارجة وهناك أمر باستدعاء خبراء شق القنوات من إيران

معبد أبيس في العهد الأخميني (٥٣٠-٢٤٤ ق.م)

للمجيء إلى مصر والصحراء الليبية من أجل ايجاد العديد من القنوات لكي يستفاد اهالي تلك المناطق من المياه للزراعة^(٤).

ان الواحة الخارجة تقع في الصحراء الغربية لمصر، وان المصريون يسمونها بالواحة الجنوبية وبالقرب من هذه الواحة تقع مدينة الخارجة التي سماها الرومان باسم(هبت) واليونانيين يسمونها باسم(هيبس) ومن القرون الوسطى حتى القرن الثامن عشر كانت تسمى (الملك الميمون) ويُحتمل ان يكون هذا الاسم مُقتبس من اسم الإله آمون، وتقع الواحة الخارجة على بعد(٢٢٠كم) جنوب غرب اسبوط وعلى بعد(٢١٠كم) من الاقصر^(٥).

التنقيبات الأثرية في معبد أبيس

وضمن المكتشفات الأثرية المحدودة حول هذا المعبد والذي كان يضاهاي معبد آمون في مصر. لقد حدد الملك داريوش الأول مكان المعبد في محل يعرف باسم الواحة الكبرى الخارجة في غرب وجنوب غرب مدينة طيبة والتي تسمى اليوم باسم الاقصر. لقد كان البناء في منطقة تسمى بمقبرة آمون القديمة الصغيرة ويسمى اليوم بمعبد أبيس وقد تم بناء المعبد خلال فترة عشرون سنة أي من عام (٥١٠ ق.م) لغاية (٤٩٠ ق.م)، بمعنى خلال فترة حكم الملك داريوش الأول^(٦).

وفي عام(١٩٨٠م) بدأت البعثات الاستكشافية الالمانية بالتنقيب عن الآثار، واستخدمت بعض اجهزة التنقيب الحديثة، وقد عثروا بالقرب من(Qasr Ghueida) التي تقع قرب معبد أبيس، إذ عثروا على بناء أخميني، وعلى كميات كبيرة من الفخار، مثل الاقداح الفخارية لحفظ المون، وان قسم منها مكتوب عليها اسماء الملوك الأخمينيين، ويبدو ان الملك داريوش الأول، عندما كان في مصر، ووصل إلى الخارجة، أمر بصنع تلك الاقداح الفخارية، وأمر ببناء معبد أبيس هنالك^(٧).

وأجريت تنقيبات أخرى في المعبد خلال الفترة من (١٩٨٥م) إلى عام (١٩٨٦م)، وقد استفاد الآثاريون من الكتابات والصور الموجودة على الجدران الخاصة بمصر والتي تسمى بالخراطيش، وهي عبارة عن تزيينات بيضوية الشكل، وان فراغنة مصر كانوا يدرجون جميع مفاهيمهم في هذه الاشكال البيضوية. لقد قسم الآثاريون مراحل بناء معبد أبيس إلى خمسة مراحل، وهذا ما سنفصله في الموضوع القادم^(٨).

الخواص المعمارية لمعبد أبيس

يُعدّ بناء معبد أبيس من الأبنية الضخمة، ويضم العديد من الصالات الخاصة بالعبادة المصرية ومراكز للتغذية بأيدي الآلهة المصرية^(٩). إذ ورد في الكتابات المصرية حول بناء معبد أبيس بأنه قد تم بناءه في عهد الملك داريوش الأول، وعلى إحدى الجدران دُون تاريخ إعادة ترميمه في عهد الملك داريوش الأول وأضيف إليه العديد من التزيينات والاضافات^(١٠). وحول ضلع المعبد هو (٤٤م) ويعرض (٩م) وارتفاع (٨,٥م)، وقد نظم فضاء المعبد ليُشبه المعابد المصرية، وكتب على الباب الرئيسة كتابة بالخط المسماري (داريوش ملك الملوك) ويحتمل ان تكون هذه الكتابة تعود إلى الملك داريوش الثاني عندما رُمم المعبد عام (٢٤٤ ق.م)^(١١).

ومن الخواص الأخرى للمعبد هي الصالة وتحتوي على اثني عشر عموداً، وأن رؤوس الاعمدة جاءت على شكل اشجار واوراد والجدران مُزينة بالنحت البارز والكتابات. وصالة لتقديم القرابين جدرانها مُغطاة بالنقوش والرسوم البارزة والكتابات ويظهر في الصور العديد من الآلهة مصر وهم يقدمون كؤوس الشراب، واما الكتابات فهي عبارة عن بعض الترانيم الدينية. كذلك هنالك صورة للملك وهو يُقدم كؤوس الشراب للآلهة المختلفة، اما الاناشيد الدينية فإن اغلبها تمجد بالاله آمون وبعض الآلهة الأخرى التي نصف منها اسطورية والنصف الآخر فيها بعض الخواص الفلسفية. وفي إحدى الكتابات ترنيمة دينية باسم (شمس داريوش) مكتوبة على الاركان الأربعة لهذا البناء^(١٢).

وفي الصالة الأخرى للقصر فيها أربعة اعمدة وتحتوي هذه الصالة على سرداب لحفظ الاموات ومكان إلى اوزيريس وفي خلف الصالة سُلم يصل إلى اعلى سطح الصالة، وفي الجدار الشمالي للمعبد هنالك ثلاث طرق، الأول يصل إلى صالة الاعمدة، والثاني نحو صالة تقديم القرابين، والثالث نحو المحراب ومكان حفظ الاشياء الثمينة في المعبد. وإلى جوار محراب المعبد من جهة الغرب للمعبد وعلى الجدار الطويل للمحراب نجد الكثير من الرسوم البارزة والنقوش وقد اعطتنا الكثير من المعلومات حول الاساطير المصرية القديمة، لأن هذه الرسوم كانت تظهر كافة الآلهة المصرية وبأشكال مختلفة^(١٣).

وقد قسم الآثاريين مراحل بناء معبد أبيس إلى خمسة مراحل هي: المرحلة الأولى وبدأت هذه المرحلة منذ حكم بسماتيك الثاني، إذ تم الشروع بالبناء واكماله وتم تزيين فضاءه واقسام (M) و (H1) و (H2) وبقيّة الطريق المؤدي إلى الداخل^(١٤).

اما المرحلة الثانية يقوم الملك داريوش الأول بترميم وتحسين البناء السابق وجميع الجدار الغربي وقواعد الاعمدة الملونة القسم (B) وقد تم تزيين وكذلك ترميم الاعمدة الخشبية المكتوبة الواقعة إلى جوار

الاعمدة القسم (M) وبقايا الباب الخارجي (J). والمرحلة الثالثة قام الملك داريوش الثاني بترميم القسم الشمالي والجنوبي للمعبد الواقعة خارج السور وزُين الجدران بالرسوم والكتابات التي توضح وتخلد له هذا العمل. والمرحلة الرابعة قيام آخوريس ببناء القسم المسقف ذات الاعمدة (N) لإقامة مجسمة هناك والمرحلة الأخيرة الخامسة قام نكتانبوس الأول والثاني ببناء الصالة المسقفة^(١٥).

إن من الدلائل الأخرى على أهمية المنطقة وقوعها على الطرق التجارية المهمة بين مصر والسودان والتوسع السياسي الأخميني نحو ليبيا وكذلك لتوسعة وفتح الطريق التجاري المهم والطويل من الجنوب نحو الشمال المصري، إذ تمكنت القوافل التجارية في ذهاب وإياب على هذا الطريق. وبما ان هذا الطريق يجب ان يمر في الخارجة لذا اصبحت مدينة أبيس من المراكز التجارية المهمة ولأجل حماية هذا الخط التجاري الحيوي فقد تم بناء حامية عسكرية وكذلك بناء معبد أبيس في هذه المنطقة دليل على الأهمية القصوى لهذه المنطقة. وكذلك تؤكد التنقيبات الأثرية على ان الملك داريوش الأول قد بنى معبداً صغيراً آخر في هذه المنطقة^(١٦).

ويبدو لنا بشكل واضح ان هذا الاثر قد تم بناءه من قبل المعماريين وأصحاب الفن المصري في عهد الأخمينيين في مصر، وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال يطرح نفسه، هل هناك شيء يشبه هذا الصرح المعماري الذي بقى كذكرى للحكم الأخميني في مصر؟ أن الأخمينيين بنوا هذا الصرح الديني ليكون ذكرى لوجودهم على أرض مصر وفي الواحة الخارجة، ويظهر من كتابات الملك داريوش الأول على جدران المعبد، وكما يبدو من كتابات هذا الملك ان المعبد قد بنى من الحجر الأبيض المصقول وان سقفه مكون من اعمدة خشبية تم جلبها من ليبيا^(١٧).

ويذكر كروز اورييه الخبير العام للشؤون القديمة وقد توصل إلى استنتاج هو إذا تركنا كل الاشياء، وذهبنا إلى الخط الهيروغليفي الذي يُزين بعض الجدران ماذا يقول لنا هذا الخط؟ أن أهم اشارة نراها في باب الدخول الغربي نحو الغرفة (J) نجد كتابة على العمود وكتابة على الجدار الشمالي في الخارج وكلا الخطين يؤكدان أن الملك داريوش الأول قام بإعادة اعمار المعبد فقط، ويذكر كروز اورييه ان الكتابة الأولى مكتوبة على الجدار بين اعمدة (M) و (N) غرف (H1) و (H2) والجدار الغربي وكزينة للجدار الشمالي والجنوبي^(١٨).

أن الشيء الذي يجلب الانتباه هو ان اسم الملك داريوش الأول المكتوب على الجدار الخارجي للمعبد والاهم وجود فوارق في الاشكال البيضوية والخرطوشات الموجودة على الجدران الداخلية مع الموجودة على الجدران الخارجية، وهذه المسألة تأخذنا إلى العديد من الفرضيات بحيث يمكننا اثبات ان الآثار الموجودة في معبد أبيس هل هي للملك داريوش الأول أم للملك داريوش الثاني، وان المهم هنا هو

ان ملكين باسم داريوش قد أمر ببناء هذا المعبد أو ترميمه وان الاختلاف في الاسماء الصغيرة في مكانين التي تم العثور عليها في المعبد وهي تعني اما ان الملك داريوش الأول قد غير اسمه طوال وجوده في مصر أو ان علينا مطالعة ودراسة ملكين باسم داريوش، والشيء الذي يجب ان يقال هو ان الأخمينيين كان لهم توجه خاص للأمور الدينية في مصر. وأن المحقق الآثاري الفرنسي بوزنر يؤرخ لنا اسماء الملك داريوش الأول خلال اعوام حكمه في إيران ومصر وخاصة السنة الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين (٤٩٦-٤٩٥ ق.م) ففي بادئ الأمر كان اسمه درويز (dryws) أو بدله إلى نتريز (ntryws) لأن جملة (Dariy avanaus, ntryws) عيد فارسي قديم واعتبروه عيد الأخمينيين وكان هذا العيد متداولاً خلال حكم الملك داريوش الأول^(١٩).

وتذكر السيدة كارل ميسولويج خبيرة الآثار القديمة ومؤلفة كتاب (داريوش حاكم دوكتشور إيران ومصر) أي بمعنى داريوش حاكم دولتين إيران ومصر، وتعتقد بأن الملك داريوش هو من قدم الاحترام للآلهة مصر وبنى عدداً من المعابد من جملتها معبد أبيس في واحة الخارجة التي كانت بعيدة من المراكز الدينية المهمة في مصر في ذلك الزمان. ان بناء المعبد كان من الابنية التي في غاية الابهة والجلالة قياساً إلى الابنية الأخرى لذا فأن هذا المعبد قد حفظ هيبة وأهميته لهذا اليوم^(٢٠).

الواح الملك داريوش في معبد أبيس

أن أغلب هذه اللوحات كانت بيضوية الشكل خاصة بفراغة مصر ترافقها صور مختلفة وكتابات بالخط الهيروغليفي كانت لهدف معين وقد صورت على الجدران أو على المجسمات وكانت هذه من الاعراف الفرعونية القديمة الهدف منها التبليغ بعقائدهم الدينية، وقد ثبت معبد أبيس هذه الاشكال، فلقد قام الملك داريوش الأول بكتابة اسمه على القسم الخارجي وكذلك الداخلي في الاشكال البيضوية ثم دُرج اسم الملك داريوش الأول على الابواب والجدران الخارجية وعلى الاعمدة خاصة على العمود (M) وعلى الاعمدة (٣٤ و٣٠) وكانت هذه الاشكال ملونة بعدة الالوان منها اللون الاحمر أو السمائي^(٢١). وفي الشكل رقم (٦) وهو شكل بيضوي دُرج فيه اسم الملك داريوش الأول وقد تم نقشه على جدران معبد أبيس للدلالة على انه هو الباني لهذا المعبد.

صور الملك داريوش الأول على جدران المعبد

وفي أغلب جدران معبد أبيس توجد صوراً للملك داريوش الأول وبهيئة مصرية، وأن السبب في اظهار الصورة العجيبة والغير مألوفة للملك داريوش الأول، هو ان الفنانين لم يكن لديهم فرصة كافية لأجل اظهار الصورة بشكل أقرب إلى الواقع، وكذلك ان الملك داريوش لم يمكث مطولاً في مصر وانه

كان في الغالب في إيران، والسبب الآخر ان فنانونا مصر قبل السيطرة الأخمينية على مصر كانوا يصورون فراعتهم وملوكهم في هيئة الهية^(٢٢).

وقد صوروا الكثير من الصور على جدران المعبد كزينة للمعبد وحسب معلوماتنا عن الاساطير المصرية انهم كانوا يصورون الهتهم لأن هذه الفترة من تاريخ مصر مثلت هذه الصور الداعية للتعجب اسطورة كانت متداولة كثيراً ولذلك صور الملك داريوش الأول على جدران المعبد بشكل بارز وفي احدى الصور نرى الملك داريوش الأول وهو في حالة جلب قربان إلى المعبد ضمن تشريفات خاصة وهو يقف امام الآلهة وخاصة على جدار الضلع الغربي لبناية المعبد وكذلك على الباب الرئيسي للمعبد، إذ يظهر الملك داريوش الأول على هيئة احد الفراعنة المصريين^(٢٣).

أن معبد أبيس قد تم بناءه في الواحة الخارجة التي كانت موقوفة للإله آمون، وفي هذا المعبد تمت عبادة الآلهة الاسطورية المصرية لقرون طويلة. كذلك كان ملوك مصر يحثون الشعب على عبادة الآلهة وصوروا ملوكهم مع الهتهم وكذلك فعل الملك داريوش الأول، إذ تم رسمه بعنوان فرعون مصر مع الآلهة. وهناك صور على شكل بارز توضح الاتحاد التام بين مصر العليا والسفلى^(٢٤).

النقوش البارزة في معبد أبيس

أن النقوش والصور الخاصة بالملك داريوش الأول في معبد أبيس وكانت عبارة عن مظهر من مظاهر الدولتين الأخمينية والمصرية وبمعنا حاكم كلاً الدولتين، ففي الصورة رقم (٨) نجد الملك داريوش الأول وهو يجلس على عرشه وإلى جانبه الإلهين اوزيريس وحورس، فالإله حورس ظهر ورأسه على شكل رأس عقرب والإله اوزيريس رأسه على شكل رأس لقلق. بعنوان توت الإله العقل والمعرفة في الاساطير المصرية القديمة وكانت اقدام الإلهان تحت عرش الملك داريوش الأول^(٢٥).

ففي الصورة في القسم الثاني منها صور الملك داريوش الأول كما هو مبين في الصورة رقم (٩) في قسمين مجزأين أنه جالس وهو تحت حماية ومحبة الآلهة الاسطورية المصرية ويحتمل هذا الإله هو الإله آمون، وقد جعل الملك داريوش الأول في احضانه وفي الجدار الغربي للمعبد المنتهي إلى خلف المعبد وهو الجدار الخلفي للمعبد صورة الملك داريوش الأول وهو في حالة التتويج وقد وقف الإله رع اله الشمس في مصر وقد تم تزيينه بشكل خاص كما في الشكل رقم (١٠) وهذه الصور اكتملت بعد عدة اعوام من بناء المعبد وهي تذكر مراسيم تتويج الملك داريوش عام (٤٩٦ ق.م) في مدينة ممفيس عاصمة ولاية مصر بالقرب من مدينة هيبوليس مدينة الشمس^(٢٦). وفي صورة أخرى نجد الملك داريوش الأول وهو في صورة اله مصري وفي حالة المبارزة بالرمح مع افعى كبيرة كما في الصورة رقم (١١)^(٢٧).

الاستنتاجات

- ١- تميزت فترة الحكم الأخميني باعطاء الحرية الدينية للبلدان التي وقعت تحت نفوذهم، أي بمعنى نهج الملوك الأخمينيين سياسة التسامح الديني تجاه أقاليم الإمبراطورية، وهي سياسة سار عليها أغلب ملوك الدولة الأخمينية.
- ٢- يُعد الفرعون المصري بسماتيك الثاني هو من قام ببناء معبد أبيس من خلال الحفريات التي أجريت في المكان وإن الملكين الأخمينيين داريوش الأول والثاني هم من قاموا بإعادة ترميمه وتزيينه.
- ٣- إن بناء المعبد كان يتميز بدقة وذوق الفنانين الذين قاموا ببناء المعبد، وهذا يدل على أنه تم اختيار أمهر الفنانين في ذلك الوقت وتم الاشراف المباشر من قبل الملوك على هذا البناء.
- ٤- حرص الملك الأخميني داريوش الأول على ذكر اسمه في النقوش والكتابات على جدران المعبد، وهذا يقودنا إلى اتجاهين الأول من أجل ابراز هيبة وقوة هذا الملك وفرض سيطرته على مصر، والشئ الثاني هو اهتمام الملوك الأخمينيين ببناء المعابد الخاصة بالديانات الأخرى.

قائمة المصادر:

- (1) Naseer Zayer Ajeel, *Royal Court of Achaemeind (559- 330 B.C)*, Master Degree, University of Wasit ,2017, pp.10-11.
- (²) Erich. f. Schmidt, *persepolis, Structures. Reliefs. Inscriptions.* (Chicago-1953), p. 25.
- (³) Gerd Gropp, *Einportrat Des Konigs Darius I. im Hibis-Tempel, Agypten, Das Bildnis inder Kunds des orientis*, (Stuttgart-1990), p. 46.
- (⁴) Walther Hinz, *Darius und die perser, Einekulturges chichte der Achameniden*, (Baden-1976), p. 214.
- (⁵) H. E. Winlock, *The Temple of Hibis in el KharghOasis. Part I. The Excavations*, Metropolitan Museum of Art, *Egyption Expedition, publications*, XIII, (New york-1941), p. 13.
- (⁶) Joachim Willeitner, *Die agyptischen Oasen, Stadte, Tempel und Graber in der libyschen Wuste*, Verlag philipp Von zaben, (Mainz-2003), p. 20.
- (⁷) H. E. Winlock, *The Temple of Hibis*, p. 32.

(⁸) Eugene Cruz Urub, Hibis Temple project, preliminary Report, 1985-1986- and Summer 1986 Field Sesons, Varia Egyptiaca San, (Antonio-1987), P.P.215-230.

(⁹) آملى كورت، هخامنشيان، ترجمة مرتضى ثاقب فر، انتشارات ققنوس، (تهران-١٣٧٩)، ص ٦١.

(¹⁰) Wolfgang Helck und Wolfhart Westendorf, Lexikon der Egyptology, pyramidenbau-Steingefabe, Otto Harrassowitz, (Wiesbaden-1984), p.p. 968-982.

(¹¹) Walther Hinz, Darius und die perser, p. 216.

(¹²) W. D. Van. Wijngaarden, Der Hibis Tempel in der Oaseel-chargeh in zeitschrift agyptische Sprache und, (Al Tertumskunde-1954), p.p.68-72.

(¹³) W. D. Van. Wijngaarden, Der Hibis, p.p. 68-70.

(¹⁴) Eugene Cruz Uribe, Hibis Temple project, preliminary Report, 1985-1986 and Summer 1986 Field Sesons, Varia Egyptiaca San, (Antonio-1987), p.p 215-230.

(¹⁵) Eugene Cruz Uribe, Hibis Temple, p.230.

(¹⁶) D. A. Aston, The Funerary archaeology of The Persian perod, Studies on Ancient Egyptin In Honour of H. S. Smithe, (London-1999), p.p17-22.

(¹⁷) W. D. Van. Wijngaarden, Der Hibis Tempel, p. 71.

(¹⁸) Eugene Cruz Uribe, Hibis Temple, p.228.

(¹⁹) Eugene Cruz Uribe, Hibis Temple, p. 230.

(²⁰) Karol Mysliwec, Herr Beider Lander, Agypten im 1. Jahrtausend v. chr, (Mainz-1998), p.182.

(²¹) Eugene Cruz Uribe, Hibis Temple, p.p. 215-230.

(²²) Gerd Gropp, Einportrat, p.46.

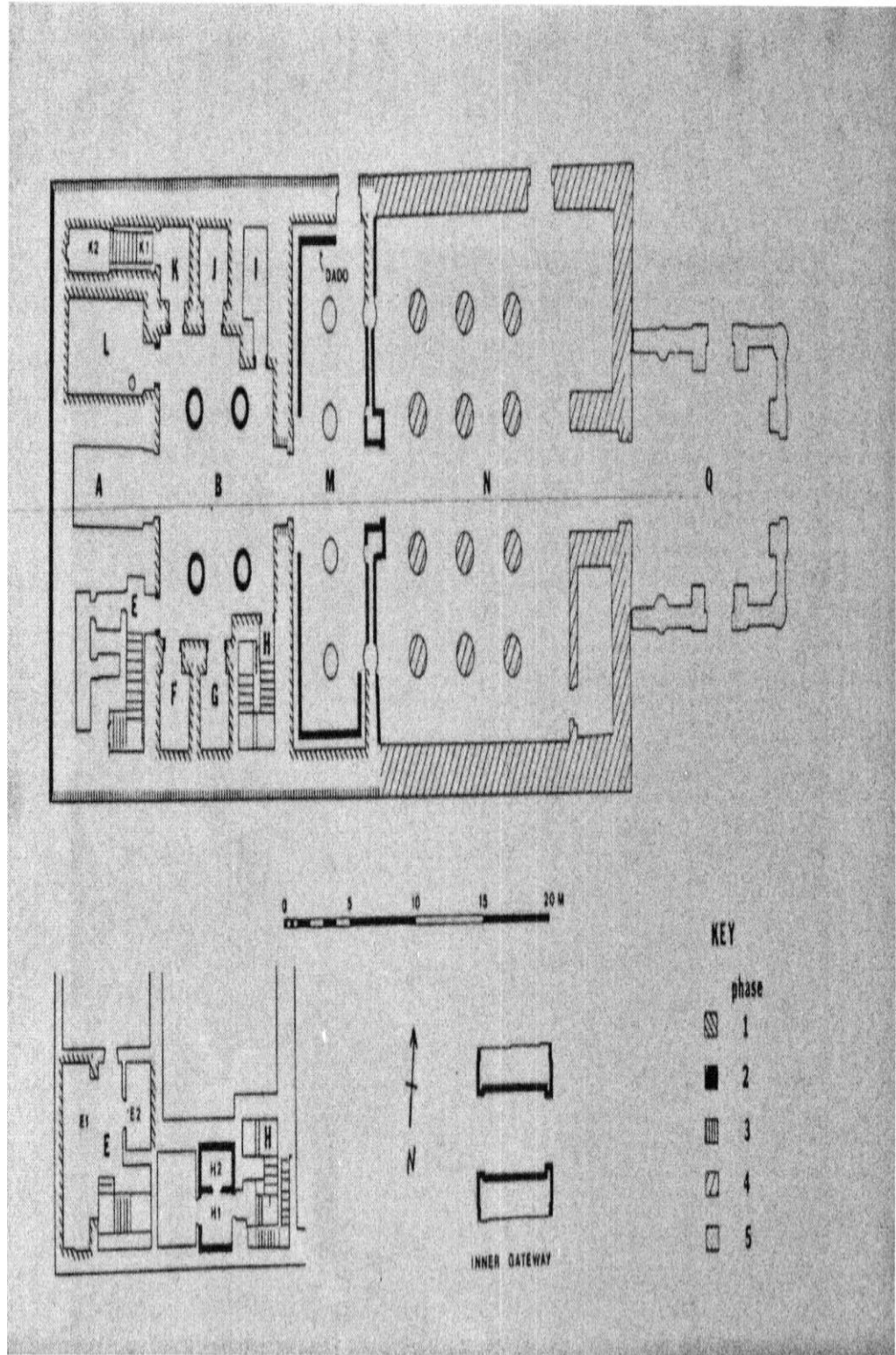
(²³) W. D. Van, Wijngaarden, Der Hibis Tempel in der Oase el-Chargeh in Zeitschrift agyptische Sprache und Alertumskunde, 1954, p.70.

(²⁴) Karol Mysliwec, Herr Beider, p.183.

(²⁵) Karol Mysliwec, Herr Beider, p.183.

(²⁶) Gerd Gropp, Ein portrat, p.47.

(²⁷) Karol Mysliwec, Herr Beider, p.186.



شكل رقم (٦)

Eugene Cruz Urib, Hibis Temple project, p.227.



شكل رقم (٧)

Eugene Cruz Uribe, Hibis Temple project, p.228.



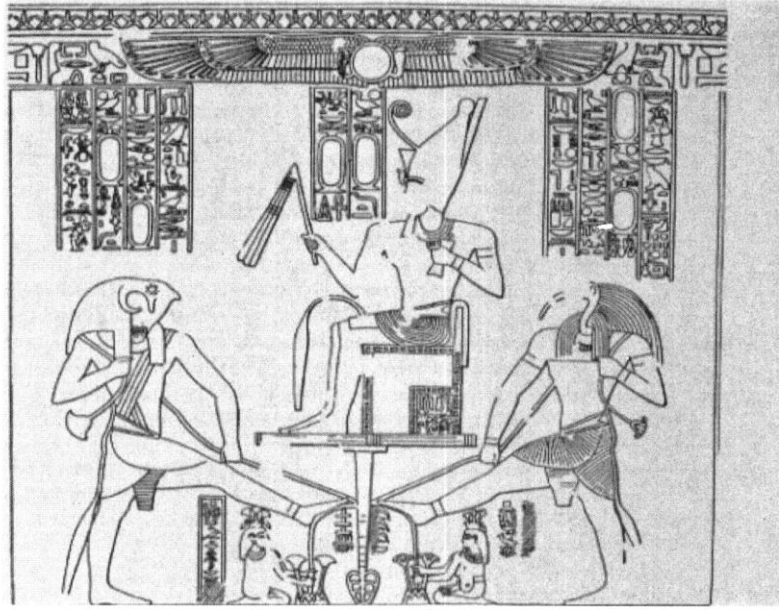
شكل رقم (٨)

Eugene Cruz Uribe, Hibis Temple project, p.229.



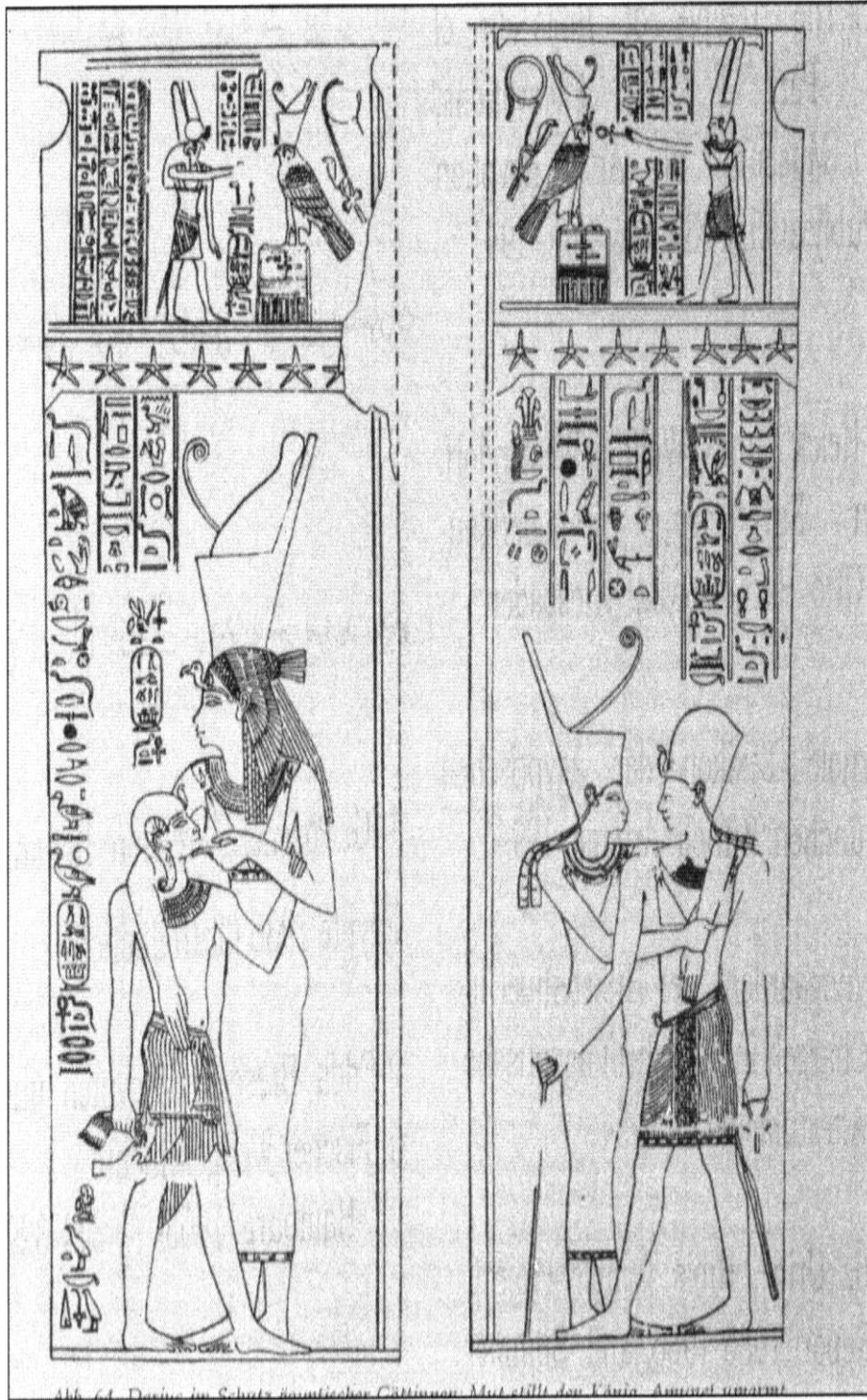
شكل رقم (٩)

Joachim Willeitner, Die agyptischen Oasen, Stadte, Tempel und Graber in der libyschen Wuste,p.30.



شكل رقم (١٠)

Karol Mysliwiec, Herr Beider Lander, p.p.183-185.



شكل رقم (١١)

Gerd Gropp, Einportrat Des Konigs Darius I. im Hibis-Tempel, p.47.



**Unpublished Omen Reports Texts From the Old
Babylonian Period**

Ahmed Naje Sabe,

Department of Archaeology, College of Arts, The
University of Babylon , Baghdad, Iraq; E-Mail:
art.ahmed.naje@uobabylon.edu.iq .

Dr.Samraa Hameed Naeif,

Department of Archaeology, College of Arts, The
University of Babylon , Baghdad, Iraq; E-Mail:
art.samraa.hameed@uobabylon.edu.iq .

Unpublished Omen Reports Texts From the Old Babylonian Period

Ahmed Naje Sabea,

Dr.Samraa Hameed Naeif,

Abstract:

Publication and edition of two tablets from the library in the Ebabbar Temple of Sippar, a manuscripts represent a Babylonian extispicy reports for the god marduk.

The texts of this article belong to the texts discovered during the eighth excavation campaign of Baghdad University at Sippar in the twenty-fourth excavation season .

As it was among the texts discovered in Room No. 1 and it belongs to the Old Babylonian Period, especially from the time of the King Ammi Saduqa (reigned 1646-1626 BC) .dated to the years .¹

Keywords :

(omen , Liver , religion , priests , ritual)

كلمات مفتاحية :

(فآل ، كبد ، ديانة ، كهنة ، طقس)

Mesopotamia has witnessed, since early ages, a great interest by the omen and astrology , and this matter has taken a lot of their thinking because of their fearing from the unknown future .

Therefore, the Mesopotamians dealt with this matter sensitivity and struggled hardly to find a way to overcome this ordeal by finding a way to introspect and find out what the gods were hiding for them, trying to avoid a bad omen in the future.

Because of that most of the Mesopotamians resorted to the priests to help them to get rid of obsession of fear cause they represented the gods on earth and were aware of the will and decisions of the gods.

Therefor the divination appeared in the ancient mesopotamia society , as a means of predicting the future. Although it was not so easy as they tought . Where the omens divination was just a type of soothsaying only in that observed signs were considered to correlate with events that usually had not happened yet.

In mesopotamia, there were many ways of omen which used to extrapolating the future , for example :

- Liver omen which considered one of the most important ways of omen , particularly its depending on inspection the internal organs of the of sacrificial lamb .
- Oil omen , appearance of oil poured on water (lecanomancy) .
- Smoke omen , which rising from burning incense (libanomancy) .
- Flour omen , which dropped on to a surface (aleuromancy) .
- Eclipses and planetary movements (astrology) .
- Natural phenomena such as thunder and earthquakes .
- Multiple births, human and animal, and malformations of stillborn fetuses .
- Agriculture and animal husbandry.
- Movement of animals and birds , (dogs , snaks , scorpions) .
- Behavior of humans .
- Flames of lamps and torches .

Concerning to these texts , they represent a type of a liver omen texts reporting , and inspite of the vast number of Babylonian extispicy published texts , there are still substantial gaps in our knowledge .

Anyway the ancient mesopotamians had thier own habits which represents a way that enable them to contact with gods and find out thier will.

The mesopotamians believed that the best way to approach the gods was by offering the animals as a sacrificings , because when they sacrificed the goat it would generate a connection between the sacrificial goat and the gods , because it will be (the goat) a part of god . Where the behavior of the sacrificial lamb when slaughtered is likewise considered as predictive of future events. as well as the god will guide the priest to extrapolating process for the signs on the internal organs of the sacrificial lamb , which thereby indirectly the future .

First of all we must clarify that the results of these extispicy proceses was not inevitable , in the sense it rejecting the pairing of portent and prediction as evidence of fatalism, or as inevitable, pre-determined future.

The Ancient Iraqi Diviner's understood the naturally occurring, unprovoked portents not as statements of a fixed future but as communications from the gods that invited a response from those who could decode them.

If the signs were unfavorable, they were taken as warnings, and they must avoid falling in it and should be eliminate by aspecial Priest.²

Where a specialized priest called (asipu) "exorcist"³ performs a religious rituals which called (asiputu) .

in addition to another ritual called (kalaûtu) accompanies by incantations and chanted litanies to appease the gods which achived by a priest called (kalaû) specialized with "lamentation- chanter"⁴ .

The mesopotamians dealt sensitivity with the result of the extispicy and they gave it a huge concern , as they sought to averting the consequences of bad portents , cause it was source of fear and anxiety according to the ancient Mesopotamian religion.⁵

Obv.

1 immerum(UDU) li-pí-it qá-ti a-na 𐎠𐎠𐎠 marduk
(AMAR.UTU)

a-na šu-lum be-li-ia-tum

iš-tu abu(^{ITI} NE.NE.GAR) U₄ 4 KAM

a-di ulûlu (^{ITI} KIN.^dINNIN.NA) U₄ 30 KAM

5- niqû(SIZKUR) ep-še-et

te-er-tum šulmam(SILIM-MA) išu(TUK) padānam(GÍR)

išu(TUK)šu-ul-mu

danānam(KAL) išu (TUK) martum(ZÉ) imittum (ZAG) bāb
ekallim(KÁ É.GAL)

^{gis}kakkum (^{gis}TUKUL) zi- 𐎠𐎠𐎠 𐎠na-di 𐎠

manzāzum(KI.GÙB) martum (ZÉ) imittam (ZAG) ki-na-at

a-na qa₂-qa₂-ar ik-[kul]

10. šumēl(GÙB) martim(ZÉ) šēpum(GÍR)

šumēl(GÙB) martim(ZÉ) paṭer(DU₈)

Rev.

i-na šumēl(GÙB) martim(ZÉ) ši-lum 𐎠na-di 𐎠

imitt(ZAG) ubani(ŠU.SI) paṭer(DU₈)

imitt(ZAG) ubani(ŠU.SI) e-ki-im

15. i-na ekall(É.GAL) ubani(ŠU.SI) kakkum(^{gis}TUKUL) iš-tu
šumēli(GÙB)

a-na imitt(ZAG) te-bi

ḥašūm(MUR) imittam(ZAG) ta-li-il

uban(ŠU.SI) ḥašī(MUR) qablītu(MURUB₄)

išidiša(SUḤUŠ)-sá ra-ki-is

14 ti-ra-nu

20. šumēl(GÙB) tu-ru <uk> a-na pa-ni-šu i-šu

abu (^{iti}NE.NE.GAR) ūmu U₄ 4 KAM

Šattu(MU) am-mi-ša-du-qá šarru(LUGAL.E)

nāru(ÍD) am-mi-ša-du-qá

Translating :

1. One sheep for the performance of extispicy for Marduk
2. concerning the well-being Bēliatum
3. For the duration from the fifth day from august
4. to the day thirty from September
5. the extispicy ritual performance was conducted
6. Extispicy It had an appeasement (SILIM-MA) , it had a path ,
They are healthy (are all right) .
7. It had a "strength , ,[to] right side of the gallbladder and the"
palace door " the weapon-mark , a dark furrow sets in / mucus
was deposited
8. The station on the right side of the gallbladder is firm
9. . in the normal zone [.....]
10. (on) the left of the gallbladder was a foot-mark
11. [on] the left of the finger was a fissured

Rev

12. [on] the left of the gallbladder a hole was placed .
13. [on] the right side of the finger is fissured
14. [on] the right side of the finger was atrophied / dislocated / torn
.
15. On the palace <gate> (and the) finger , the weapon mark
swellings / rises from the left to the right .
16. The lung from the right side is hanging
17. The middle finger from the lung its base is supplement
18. Fourteen convolutions of the colon
19. To the left there is a dark spot at the tip
20. The month of (abu) the fourth day from it
21. The year of the king Ammisaduqa
22. The year of the canal of Ammisaduqa (nuhus-nisi) was built

Vocabulary Explanation :

1. UDU: Sumerian Vocabulary mean sheep , opposite by Akkadian (immeru) .⁶
li-pí-it qá-ti: The expression lipit qatim refers to a religious ceremony .⁷
2. a-na : Akkadian Preposition , mean (for) .⁸
šu-lum be-li-ia-tum : to (obtain) a favorable omen for beliatum .⁹
3. iš-tu : Akkadian Preposition , mean (from) .¹⁰
ITU : Sumerian Vocabulary mean (month) , opposite by Akkadian (warhu) .¹¹
NE.NE.GAR : Sumerian term for the month (August) , opposite by Akkadian (abu) .¹²
U₄ : Sumerian Vocabulary mean (day) , opposite by Akkadian (ūmu) .¹³
KAM : Sumerian tool for Converting an integers to an ordinal number .¹⁴
4. a-di : Akkadian Preposition , mean (for / till) .¹⁵
KIN.^dINNIN.NA : Sumerian term for the month (September) , opposite by Akkadian (ulûlu).¹⁶
5. SIZKUR : Sumerian Vocabulary mean (Sacrifice) , opposite by Akkadian (niqû).¹⁷
ep-še-et : Akkadian Vocabulary mean (conducted / Proces / Operation) .¹⁸
6. te-er-tum: Akkadian Vocabulary mean (Extispicy / Check / Examine)¹⁹
SILIM-MA : Sumerian Vocabulary mean (It had an appeasement /

Part of the Liver) , opposite by Akkadian (šulmam) .²⁰

TUK : Sumerian Vocabulary mean (Existing / it had) , opposite by Akkadian

(išu) .²¹

GÍR : Sumerian Vocabulary mean (a path / Part of the Liver) , opposite by Akkadian (padānam) .²²

šu-ul-mu : Akkadian Vocabulary mean (Well being)²³

7. KAL : Sumerian Vocabulary mean (strength) , opposite by Akkadian (danānam) .²⁴

ZÉ : Sumerian Vocabulary mean (gallbladder) , opposite by Akkadian

(martum) .²⁵

ZAG : Sumerian Vocabulary mean (Right) , opposite by Akkadian (imittum) .²⁶

KÁ É.GAL : Sumerian Term means literally (Palace door) , opposite by Akkadian (bāb ekallim).²⁷

^{giš}TUKUL : Sumerian term mean (weapon mark) , opposite by Akkadian (^{giš}kakkum)²⁸

zi-^{ḥu} ^{na-di} : Akkadian pphrase means literally , " ulceration / a dark furrow sets in / "the mucus was deposited / pustule " ²⁹

8. KI.GÜB : Sumerian term mean (Station / Liver Center) ,opposite by Akkadian (manzāzum) .³⁰

ki-na-at : Akkadian Vocabulary mean (Fixed / in its place)³¹

9. a-na qa₂-qa₂-ar ik-[kul] : Akkadian term means literally (in the normal zone / area) .³²

10. GÜB : Sumerian Vocabulary mean (left) , opposite by Akkadian (šumēl).³³

GİR : Sumerian Vocabulary mean (foot) , opposite by Akkadian (šēpum).³⁴

11. DU₈ : Sumerian Vocabulary mean (Fissured) , opposite by Akkadian (paṭer) .³⁵

12. ši-lum 𒊩na-di𒊩 : Akkadian phrase mean , (a hole was placed, pinched) ³⁶
13. ŠU.SI :Sumerian Vocabulary mean (finger /part of the Liver) , opposite by Akkadian (ubani). ³⁷
14. e-ki-im : Akkadian stative verb for the third person . means literally (atrophied / pinched / torn) . ³⁸
15. te-bi : Akkadian Vocabulary mean (swellings / raised) . ³⁹
16. MUR : Sumerian Vocabulary mean (lung) , opposite by Akkadian (ḥašūm) . ⁴⁰
ta-li-il : Akkadian stative verb for the third person . mean (hanging, flutter) . ⁴¹
17. MURUB₄ : Sumerian Vocabulary mean (middle) , opposite by Akkadian (qablītu). ⁴²
SUḪUŠ)-sá : Sumerian Vocabulary mean (its base) , opposite by Akkadian (išidiša). ⁴³
ra-ki-is : Akkadian stative verb for the third person . mean (appendix) . ⁴⁴
18. 14 ti-ra-nu : Fourteen convolutions / Coils of the colon." ⁴⁵
tu-ru-<uk> : Akkadian Vocabulary mean (dark spot) ⁴⁶
pa-ni-šu : Akkadian Vocabulary means (in front of)
MU: Sumerian Vocabulary mean (year) , opposite by Akkadian (Šattu) . ⁴⁷

Obv.

1 būru(AMAR) nīqi(SIZKUR) a-na ᵀ^dmarduk¹(AMAR.UT)
te-er-tum šulmam(SILIM-MA) i-šu
padānam(GÍR) i-šu(TUK) pu-uš-qum šumēlam(GÙB) paṭer(DU₈.
)

danānam(KAL) i-šu(TUK) manzazam(KI) išu(TUK) i-na
imitt(ZAG) martim(ZÉ) paṭer(DU₈)

5- martum(ZÉ) imittam(ZAG) kīnat
i-na šumēl(GÙB) martim(ZÉ) šēpum(GÌR)
i-na šumēl(GÙB) martim(ZÉ) šēpum(GÌR) šumēl(GÙB) [x x x
x].

imitt(ZAG) ubānim(ŠU.SI) e-ki-im-ma
pa-ni ne-ki-im-ti paṭer(DU₈)

10. ḥašūm(MUR) imittam(ZAG) ta-li-il

Rev.

ubān(ŠU.SI) ḥašīm(MUR) qablītum(MURUB₄) šumēlam(GÙB)
paṭrat(DU₈)

12 ti-ra-nu

tal libbim(ŠÀ) 2 šak(GAR)-nu

a-na ta-i-ti-ša šu-ul-mu

15. a-ḥi-tam i-šu

^{iti}ābu(NE.NE.GAR) ūmu(UT) 14 KAM

šattu(MU) am-mi-ša-du-qá šarru-e(LUGAL.E)

URUDU KI.LUGAL.GUB.BA Ì.MAH.A

HUR.SAG TIL₄.TIL₄.A [ÍD.DA]

Translating :

1. One calf as a sacrifice for the performance of extispicy for Marduk
2. The (omen) Extispicy : It had an appeasement .(šulmam)
3. It (the liver) had a 'path'. The constriction / narrow part of the 'path' was split at the left.
4. (The extispicy) it has a it has Strength ; it has a station , on the right of the gallbladder there is a fissured
5. the Gall Bladder is firm on the right side
6. [on] the left of the gallbladder there is a foot-mark
7. [on] the left of the gallbladder was a foot-mark , and also In the left of the gallbladder there is [x x x x]
8. to the right of the " finger," there is an atrophied (pinched)
9. in front of the hidden parts there is a fissured (pinched)
10. The Right lung is hanging

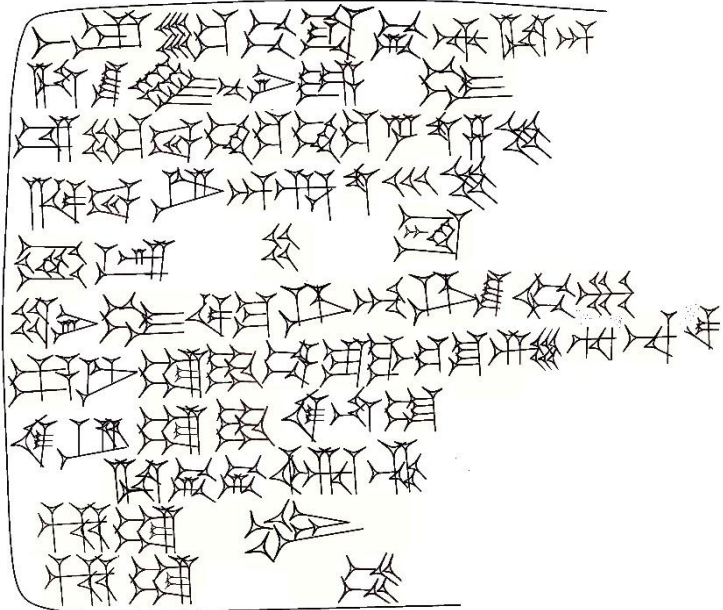
REV

11. The Middle Finger of the Lung is split on the left
12. twelve convolutions of the colon
13. it had two diaphragms placed ./ the lintel of the entrails
14. as far as the oracular message is concerned , it (meant) good luck
15. it had a follow-up " . (but) It had an opposite Features ., it (the omen) had an additional (follow-up)
16. The month of August the day fourteen from it the year (13) of the king Ammisaduqa the year in which (Ammi-syaduqa) placed as an ornament for the Emah of the Enamhe a magnificent / extraordinary large royal platform in copper (representing) mountains and numerous streams .

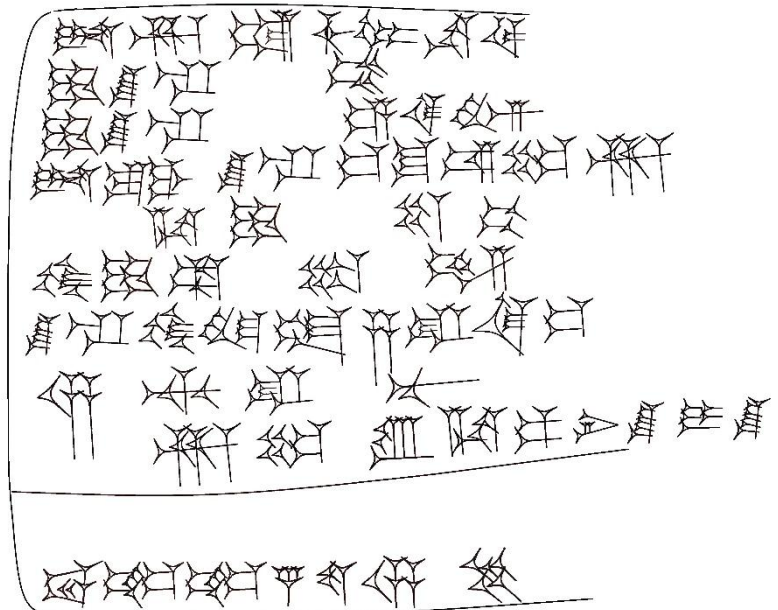
Obv.

1. AMAR : Sumerian Vocabulary means (), opposite by Akkadian (būru)⁴⁸
3. GÍR : Sumerian Vocabulary means literally " path." , opposite by Akkadian (padānum) .⁴⁹
pu-uš-qum : Akkadian Vocabulary means (constriction / narrow)⁵⁰ .
4. KI : Sumerian Vocabulary means (a part of the liver/ "station," / "lobe") , opposite by Akkadian (manzazum) .⁵¹
8. e-ki-im-ma : Akkadian Vocabulary means (atrophied) .⁵²
9. pa-ni : Akkadian Vocabulary means (in front of) .
ne-ki-im-ti : Akkadian Vocabulary means literally (atrophied / hidden parts) .⁵³
12. 12 ti-ra-nu : Akkadian Vocabulary means (12 convolutions of the intestine / colon.) .⁵⁴
13. tal : Akkadian Vocabulary means (diaphragms placed) .⁵⁵
ŠÀ : Sumerian Vocabulary means (middle / heart) , opposite by Akkadian (libbum).⁵⁶
GAR-nu : Sumerian Vocabulary means (diaphragms) , opposite by Akkadian (šaknu)
14. ša-i-ti-ša šu-ul-mu : Akkadian phrase mean (as far as the oracular message is concerned, it (meant) good-luck .⁵⁷
15. a-ḫi-tam : "it (the omen) had an additional (follow-up)".⁵⁸

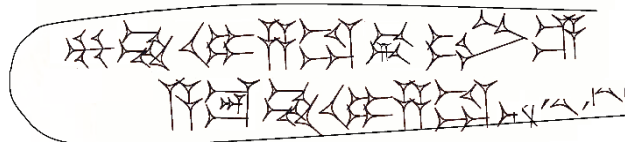
Obv.



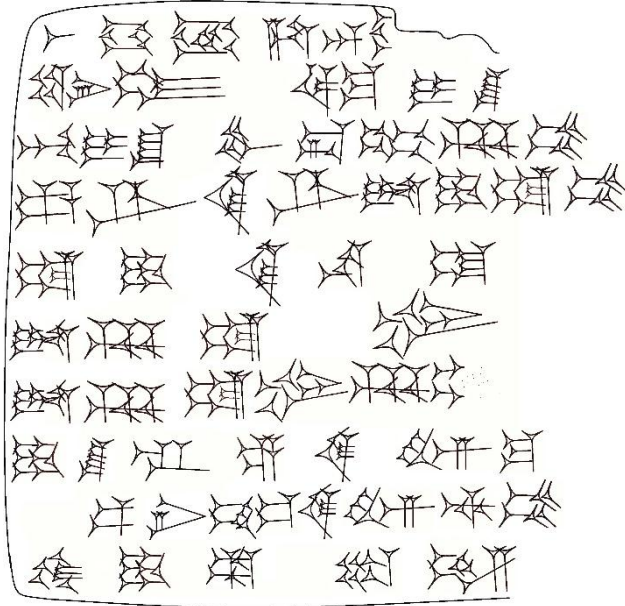
Rev.



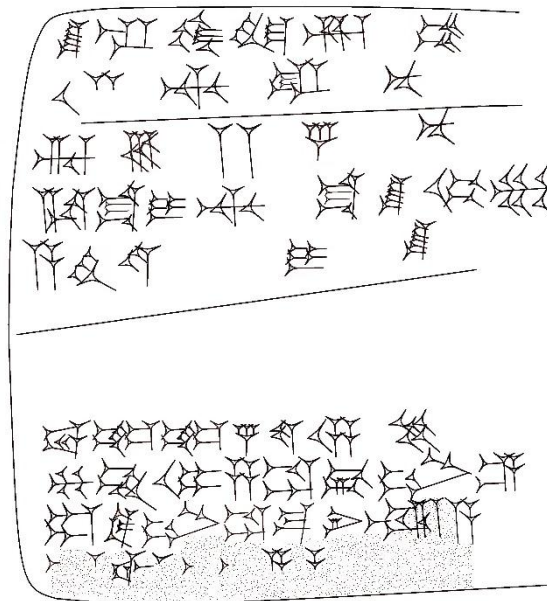
Up.edg



Obv.



Rev.



No. 1 (IM 191344)

s-24.3192

Obv.



Rev.



Up.edg



No.2 (IM. 191283)

3125

Obv.



Rev.



Footnotes :

- ¹ - For a detailed account of this excavation see:
A. Fadhil and Z. R. Al-Samarraee., «Excavation in Sippar (Tell Abu Habbah) - preliminary report on the excavation results of the 24th campaign 2002», BaM 36 (2005), pp. 157-224.
See also
A. Fadhil and Z. R. Al-Samarraee., «The results of the 24th Excavation campaign in the city of Sippar », Sumer 52 (2002/03), pp. 294-357, (in Arabic).
- ² - Oppenheim, A. L., “ A Babylonian diviner's manual” . Journal of Near Eastern Studies, **JNES** , (1974) . ,33:197-220,. 1.46
- ³ - Oppenheim , A.L. The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago , Gluchstadt (1956ff). **CAD** ,. A.2, p.431:a
- ⁴ - George, A. R., Babylonian Divinatory Texts Chiefly in the Schøyen Collection , Cornell University Studies in Assyriology and Sumerology, (**CUSAS**) , Vol.18 , (Bethesda, 2018.) ,p.16 .
- ⁵ - Maul, S. M., ZukunJtsbewaltigung. Eine Untersuchung altorientalischen Denkens anhand der babylonisch-assyrischen Loserituaie (Namburbi). Baghdader Forschungen 18. Mainz am Rhein , p.50 , 1994.
- ⁶ - Borger, R., Assyrisch-Babylonische Zeichenliste, Germany, (1988) **AbZ**, p.188, No:437
- ⁷ - Goetze ,A, “Reports on Acts of Extispicy from Old Babylonian and Kassite Times” Journal of Cuneiform Studies, **JCS** , Vol. 11, No.4, (Chicago, 1957) , p. 94 ;
Ulla Koch., Old Babylonian Extispicy Reports ,2002 ,p.133-134 .
- ⁸ - Von Soden, W., Akkadisches Handwörterbuch, Wiesbaden (1959ff), **AHw**, p:47
; Black, J. and George, A. and Postgate, N., A Concise Dictionary of Akkadian , Wiesbaden, (1999) , **CDA**, p:16
- ⁹ - **CUSAS** , Op.Cit , p.16
- ¹⁰ - Leemans, W.F Legal and Economic Records of The Kingdom of Larsa , Leiden ,(1954), **SLB, 1/2** ,p.50,35:14 ;
CDA, p.135:b .
- ¹¹ - Falkenstein, A. Die Neusumerischen Gerichtsurkunden, Munchen (1957). **NG3**, p.125.

- ¹²- Labat, R., Manual d'epigraphie Akkadienne, paris (1976). MDA,p.289 ; AHw, p.8:a .
- ¹³- Oppenheim , A.L. The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago, (CAD) , Gluchstadt (1956ff). U/W ,p.92 .
- ¹⁴- MDA, p.101:143.
- ¹⁵- AHw,p.12:a ; CDA,p.4:b
- ¹⁶- Langdon, S.,Babylonian Menologies and Semetic Calender,London,1933,BMSC, pp.126-129
- ¹⁷- Goetze ,A, Old Babylonian Omen Texts Babylonian Texts, (YOS) vol. 10 , (New Haven, 1947) . , 2:1 ; AHw, 793 :a .
- ¹⁸- CAD, E ,P.241:a .
- ¹⁹- CAD, T, P.357:b ; CT, 31, 30:4 .
- ²⁰- CAD, Š/3, P.247:a ; YOS, 10,8:26 .
Concerning the Sumerian term (SILIM-MA) we are still uncertain of its primary meaning. Although the spelling by cannot lie considered sufficient proof that the word is etymological connected with " well -bieng." . It may by mere accident be-homonymous with "well-being."
The customary translation "blister, vesicle " is based on an uncertain interpretation of the word in the oil omina,
The context of the liver omina favors a position between the feat ekalim and the gall-bladder, close to the root of the latter.
- ²¹- AHw, P.402 .
- ²²- Archives royales de Mari, traduction , (Paris, 1950 ff.). ARMT ,26 , 113:9 ; YOS, 10,44:49 ; CAD, P, P.2:b ff. .
- ²³- ULLA, Jeyes ., Old Babylonian Extispicy Omen , Op.Cit ,p.61
- ²⁴- H.F.LUTZ., "A CASSITE LIVER-OMEN TEXT", Journal of the American Oriental Society, (JAOS), VOL. 38 (USA, 1918) . 82:9 ; CAD, D, P.81:a ; CT,28, 46:5 ; BE, 14, 4:4.
- ²⁵- CAD, M/1, P.297:a ; CT, 30, 9:16 .
- ²⁶- CAD, I, p.120:a .
- ²⁷- YOS.10,p.6
- ²⁸- CUSAS , p.16
- ²⁹- JAOS,38 , p.92 ; CAD,§,p.176 ; Old Babylonian Extispicy Reports ,Op.Cit ,p.134.
- ³⁰- CDA,P:206 .
- ³¹- CAD, K, P.159:a ; Bab, 2 , 257:6 ; TCL,6 , 5:33 .

- ³² - Nougayrol, Jean, [Rapports paléo-babyloniens d'haruspices](#)“ , Journal of Cuneiform Studies, **JCS** , Vol.21, No.1 ,(Chicago,1967). p.226 , 860:8 ; **YOS** 10 25:17 ; **CAD**, Q , p.121:a . ; JCS,11, No. 4. , Op.Cit , p. 105 .
- ³³ - **CAD**, Š/3, P.267:b ; **YOS**, 10 ,2r.4 .
- ³⁴ - Old Babylonian Extispicy, Op.Cit ,p.134 .
- ³⁵ - Moti. Kohen, André Parrot, Georges, [Archives royales de Mari : \[transcriptions et traductions\]](#) , (**ARM**) , Vol. 5 , (Paris, 1952) . 65:34 ; **CAD**, P/1, P.286:b ; JCS, 21,222 BM 12287:6 .
- ³⁶ - Old Babylonian Extispicy Reports , Op.Cit ,p.139 ; **JCS**,11,p.95 ; Annual of the American School(s) of Oriental Research, (**ASOR**), (New Haven, 1919/1920 ff.), p.220 ; [Old Babylonian Extispicy omen](#) Op.Cit , p. 99; 1:1.
- ³⁷ - [Old Babylonian Extispicy omen](#) , Op.Cit ,p. 65. ; **CAD**, P.3:b .
- ³⁸ - Old Babylonian Extispicy Reports, Op.Cit ,p.139 . ; **JAOS**,38 , p.94 .
- ³⁹ - **CUSAS** , p.23
- ⁴⁰ - **CAD**, H, P.143:b ; **AbZ**, 164:401 .
- ⁴¹ - **CAD**, T, P.91 ; JCS,11,p.99
- ⁴² - **JCS**, 11, p.104 no.22:12 .
- ⁴³ - Ibid.
- ⁴⁴ - **CAD**, R,P.91:a;**JAOS**, 38, 82:12 ;**CT**, 41, 42:7 ;**JCS**, 37, 147.
- ⁴⁵ - **JCS**, 21 , p.223 b ; **JAOS**,38, , p.96 .
- ⁴⁶ - **CAD**,T,p.478 ; **YOS**.10 , 45:66 .
- ⁴⁷ - Stone. ,E. C., [Nippur Neighborhoods,..](#) , Studies in Ancient Oriental Civilization, (SAOC), (Chicago 1987) . 44 , 43:r.9. ; **CAD**, Š/2 ,P.197:a
- ⁴⁸ - **MDA**, p.191, :420 .
- ⁴⁹ - Meissner ,B., Babylonian and Assyrian,Heidelberg ,(1952) ,p.267. ;**ARMT**, 26 , 113:9 ;**YOS**, p.6 .
- ⁵⁰ - **CAD**,P,p.544:b
- ⁵¹ - **YOS**,10, p.5 ; (**CUSAS**),Vol.18 , Op.Cit, p.16
- ⁵² - Old Babylonian Extispicy Reports, Op.Cit ,p.139 .
- ⁵³ - **JCS**,11, No. 4 , p.98 .
- ⁵⁴ - **YOS** . 10, p. 8 .
AHw,p.1361:a ;**JAOS**, 38 , 82/5 .
- ⁵⁵ - **YOS**,10 ,p.8-9 .
- ⁵⁶ - **ASOR** , p.220
- ⁵⁷ - **JCS**,11, Op.Cit , p.95
- ⁵⁸ -. Ibid , p.95